أنا مدينة العلم وعلي بابها

في ظلال نهج البلاغة

محاولة لفهم جديد

شرح

العلامة الشيخ محمد جواد مغنية

الجزء السادس

وثق أصوله وحققه وعلق عليه
سامي الغريري

دار الكتاب الإسلامي

www.haydarya.com

في ظلال نهج البلاغة

محاولة لفهم جديد

شرح

العلامة الشيخ محمد جواد مغنية

الجزء السادس

وثق أصوله وحققه وعلق عليه

سامي الغريري

مؤسسة

دار الكتاب الإسلامي

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم: ٢٦٦٧٤
التاريخ: ٥/١٠

BP
٣٨/٠٢
/٢٦
ف٩٠٣
١٤٢٥ق.
ج٦.

مكتبة الروضة الحيـ
النجف الاشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع حقوق الطبع مسجله و محفوظه للناشر

الكتاب .... فى ظلال نهج البلاغة (ج ٦)

المؤلف .... العلامه محمدجواد مغنية رحمه الله

الناشر............................ دارالكتاب الاسلامي

الطبعه .... الاولى ١٤٢٥هـ. ق / ٢٠٠٥م

المطبعه............................ مطبعة ستار

عدد النسخ .... (٢٠٠٠) نسخه

الترقيم الدولي للمجموعة: ٦ - ١٠٠ - ٤٦٥ - ٩٦٤

ISBN: 964 - 465 - 100 - 6

الترقيم الدولي (ج ٦): ٥ - ١٠٦ - ٤٦٥ - ٩٦٤

ISBN: 964 - 465 - 106 - 5

فهرس الموضوعات

تَمْهِيد ١٥

حَقَائِق إِنْسَانِيَة ١٥

الْعُلُوم وَهَذِهِ الْحِكَم ١٥

ثَلاَثَة عُلُوم ١٦

الْمَعَانِي الكِبَار فِي الكَلِمَات القِصَار ١٩

كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ ١٩

أَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ ١٣٣

شَرُّ أَهْلِ الأَرْضِ، مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ ٤٢٨

الطَّمَعَ ٣٢

إِنَّ الطَّمَعَ مُورِدٌ غَيْرُ مُصْدِرٍ ٣٤٩

اَلْبُخْلُ عَارٌ ٢٢

الْجُبْنُ مَنْقَصَةٌ ٢٢

الْفَقْرُ يُخْرِسُ ٢٢

الْفَقْرُ فِي الْوَطَنِ غُرْبَةٌ ٩٧

الْفَقْرُ الْمَوْتُ الْأَكْبَرُ ٢٣٧
الْفَقْرُ بَعْدَ الْعَرْضِ عَلَىٰ اللهِ........................ ٤٩٠
نِعْمَ الْقَرِينُ الرِّضَىٰ........................ ٢٦
الْعِلْمُ وِرَاثَةٌ كَرِيمَةٌ ٢٦
الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ........................ ٢٠٩
الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ ٢٠٩
الْعِلْمُ يَزْكُوا عَلَىٰ الْإِنْفَاقِ ٢٠٩
الْعِلْمُ حَاكِمٌ........................ ٢٠٩
العنَاصِر الْعَقْلِيَة والعَاطِفِيَة ١٥٢
يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ ٢٠٩
هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَىٰ حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ........................ ٢١٠
قَطَعَ الْعِلْمُ عُذْرَ الْمُتَعَلِّلِينَ ٣٥٥
الْقَضَاءُ وَالْإِخْتِيَار........................ ١١٦
الْعِلْمُ عِلْمَانِ: مَطْبُوعٌ وَ مَسْمُوعٌ ٤٠٦
الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ........................ ٤٢١
الْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ ٤٢١
صَدْرُ الْعَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ ١٩
لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ ٧٨
الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ ٣١
الصِّدْقِ فِي الْمَوَاطِنِ ٦٤

بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْمَال ٢١١
الِاسْتِغْنَاءُ عَنِ الْعُذْرِ، أَعَزُّ مِنَ الصِّدْقِ بِهِ ٤٠١
اَعْجَبُوا لِهَذَا الْإِنْسَانِ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ ٣٢
لَقَدْ عُلِّقَ بِنِيَاطِ هَذَا الْإِنْسَانِ بَضْعَةٌ ١٥٢
إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَىٰ أَحَدٍ أَعَارَتْهُ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ ٣٥
رِضَا الشَّيْطَان رِضَانَا ٢٣٢
وَ مَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا اَسْتَهَانَ بِالْمُصِيبَاتِ ٦٤
وَ مَنِ اَسْتَسْلَمَ لِهَلَكَةِ الدُّنْيَا وَ اَلْآخِرَةِ هَلَكَ فِيهِمَا ٦٧
وَ لَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَّاتِهَا عَلَى الْمُنَافِقِ عَلَىٰ أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي ٨٤
أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ يُسَارُ بِهِمْ وَ هُمْ نِيَامٌ ١٠٣
وَ لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لِرَجُلَيْنِ ١٣٤
إِنَّ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةَ عَدُوَّانِ مُتَفَاوِتَانِ ١٤٥
فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَتَوَلَّاهَا أَبْغَضَ الْآخِرَةَ وَ عَادَاهَا ١٤٥
طُوبَىٰ لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا ١٤٦
مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا ١٧٤
فَيَعِيشُ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ ١٨٢
سَمِعَ رَجُلًا يَذُمُّ الدُّنْيَا ١٩٣
إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا ١٩٣
وَ صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَىٰ ٢١٠
يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ، وَ يَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاغِبِينَ ٢٢٦

إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا ٢٥٣
لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَىٰ وَلَدِهَا ٢٦٦
مَنْ أَصْبَحَ عَلَىٰ الدُّنْيَا حَزِيناً ٢٨٤
وَ مَنْ لَهِجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا الْتَاطَ قَلْبُهُ مِنْهَا بِثَلَاثٍ ٢٨٤
مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ ٣١٢
النَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَامِلَانِ ٣٤١
خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مِتُّمْ مَعَهَا بَكَوْا عَلَيْكُمْ ٣٦
أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ الْإِخْوَانِ ٣٩
أَوْلَىٰ النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَىٰ الْعُقُوبَةِ ٩٢
إِذَا قَدَرْتَ عَلَىٰ عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ الْعَفْوَ عَنْهُ شُكْراً لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ ٣٨
الْعَفْوُ زَكَاةُ الظَّفَرِ ٢٦٧
أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَ مُؤَدِّبِهِمْ ١٠٩
أَصْلَحَ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ النَّاسِ ١٢٩
الْفَقِيهُ كُلُّ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ١٣١
أَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ ١٣٤
إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ بِمَا جَاءُوا بِهِ ١٣٦
يَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُقَرَّبُ فِيهِ إِلَّا الْمَاحِلُ ١٤٣
لَا يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ لِاسْتِصْلَاحِ دُنْيَاهُمْ ١٥١
وَ كَانَ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهِ ١٥٧
عَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ ١٧٩

النَّاسُ فِيهَا رَجُلَانِ ١٩٧
النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ ٢٠٩
فَهُوَ عَلَىٰ النَّاسِ طَاعِنٌ ٢٢٦
النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا ٢٤٢
فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ ٢٦٠
أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ ٢٦٣
أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَىٰ الْجَاهِلِ ٢٦٤
لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ ٢٧٨
أَعْظَمُ النَّاسِ رَاحَةً فِي مَنْفَعَةٍ ٣٤٦
النَّاسُ مَنْقُوصُونَ مَدْخُولُونَ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ ٤٠٨
الْيَأْسُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ ٤٠٨
مَعَاشِرَ النَّاسِ، اتَّقُوا اللهَ ٤٠٩
أَيُّهَا النَّاسُ، لِيَرَكُمُ اللهُ مِنَ النِّعْمَةِ ٤١٧
لِيَرَكُمُ اللهُ مِنَ النِّعْمَةِ ٤١٧
وَبِالتَّوَاضُعِ تَتِمُّ النِّعْمَةُ ٢٨٠
أَلَا وَ إِنَّ مِنْ النِّعَمِ سَعَةَ الْمَالِ ٤٤٨
إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النِّعَمِ فَلَا تُنَفِّرُوا أَقْصَاهَا ٤٢
احْذَرُوا نِفَارَ النِّعَمِ ٣٠٨
إِنَّ للهِ عِبَاداً يَخْتَصُّهُمُ اللهُ بِالنِّعَمِ ٤٧٣
أَيُّهَا النَّاسُ؛ تَوَلَّوْا مِنْ أَنْفُسِكُمْ تَأْدِيبَهَا ٤١٨

يَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَىٰ فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ ٤٢٨
كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ ٤٣٠
كَانَ يَحُضُّ بِهِ النَّاسَ عَلَىٰ الْجِهَادِ ٤٣٢
مُقَارَبَةُ النَّاسِ فِي أَخْلَاقِهِمْ أَمْنٌ مِنْ غَوَائِلِهِمْ ٤٥٥
أَحْسَنَ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ النَّاسِ ٤٧٢
اَشْتَغَلَ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا ٤٧٨
النَّاسُ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا ٣٧٤
كَانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ٣٥٩
رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ ٤١٢
الْمُعَرِّجَ عَلَىٰ الدُّنْيَا لَا يَرُوعُهُ مِنْهَا إِلَّا صَرِيفُ أَنْيَابِ الْحِدْثَانِ ٤١٨
مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ مُوبِئٌ ٤٢٣
يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَىٰ الدُّنْيَا بِعَيْنِ الِاعْتِبَارِ ٤٢٤
الْمَغْرُورُ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الدُّنْيَا بِأَعْلَىٰ هِمَّتِهِ ٤٢٦
قِوَامُ الدِّينِ وَ الدُّنْيَا بِأَرْبَعَةٍ ٤٣٠
مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَىٰ اللهِ أَنَّهُ لَا يُعْصَىٰ إِلَّا فِيهَا ٤٤٦
اَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُبَصِّرْكَ اللهُ عَوْرَاتِهَا ٤٥١
خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ ٤٥٢
لَمْ يَأْخُذْ مِنَ الدِّينِ إِلَّا مَا قَارَبَهُ مِنَ الدُّنْيَا ٤٥٧
الدُّنْيَا: «تَغُرُّ وَ تَضُرُّ وَ تَمُرُّ ٤٦٢
إِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ ٤٦٣

لَا تُخَلِّفَنَّ وَرَاءَكَ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ تَخَلِّفُهُ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ ٤٦٤
فَإِنَّ الَّذِي فِي يَدِكَ مِنَ الدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ ٤٦٤
فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِحَسْرَتِهِ ٤٧٧
فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَهُ الْمَوْتُ ٤٧٨
أَوْلِيَاءَ اللهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَىٰ بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَىٰ ظَاهِرِهَا ٤٧٨
الدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا ٤٩٥
الصَّبْرُ شَجَاعَةٌ ٢٢
الصَّبْرُ عَلَىٰ أَرْبَعِ شُعَبٍ ٦٣
الصَّبْرُ صَبْرَانِ ٩٦
عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ ١٢٢
يَنْزِلُ الصَّبْرُ عَلَىٰ قَدْرِ الْمُصِيبَةِ ٢٠٧
مَنْ لَمْ يُنْجِهِ الصَّبْرُ أَهْلَكَهُ الْجَزَعُ ٢٥٢
الصَّبْرُ يُنَاضِلُ الْحِدْثَانَ ٢٦٧
إِنَّ الصَّبْرَ لَجَمِيلٌ إِلَّا عَنْكَ ٣٦٦
مَا كُلُّ مَفْتُونٍ يُعَاتَبُ ٤٣
رُبَّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ ١٦٨
خَذَلُوا الْحَقَّ ٤٧
وَ لَمْ يَنْصُرُوا الْبَاطِلَ ٤٧
الْغَضَبُ للهِ قَوِيَ عَلَىٰ قَتْلِ أَشِدَّاءِ الْبَاطِلِ ٢٤٣
وَ لَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ ٣٣٤

وَ لَمْ يَخْذُلَا الْبَاطِلَ ٣٣٥
وَ إِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَبِيءٌ ٤٣٨
الْحَيَاءُ بِالْحِرْمَانِ ٥١
وَ لَا إِيمَانَ كَالْحَيَاءِ ١٦١
مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ ٢٧٨
الْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ٥١
إِضَاعَةُ الْفُرْصَةِ غُصَّةٌ ١٧٣
وَ الْأَنَاةُ بَعْدَ الْفُرْصَةِ ٤٢٠
وَ الزُّهْدُ ثَرْوَةٌ ٢٢
الزُّهْدِ إِخْفَاءُ الزُّهْدِ ٦١
وَ لَا زُهْدَ كَالزُّهْدِ فِي الْحَرَامِ ١٦١
الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ ٤٨٤
وَ الْمَوْتُ فِي إِقْبَالٍ ٦٢
وَ مَنِ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ إِلَىٰ الْخَيْرَاتِ ٦٤
وَ أَسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا ١٧٤
كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَىٰ غَيْرِنَا كُتِبَ ١٧٨
الْكُفْرُ وَالشَّكُّ ٦٦
وَ عَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ الْمَوْتَ ١٨٢
يَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ ٢٢٦
وَ يُقِيمُ عَلَىٰ مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ مِنْ أَجْلِهِ ٢٢٦

يَخْشَىٰ الْمَوْتَ ٢٢٦
وَبَادِرُوا الْمَوْتَ الَّذِي إِنْ هَرَبْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ ٢٦٣
وَ مَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ ٤١٢
الْأَنْبِيَاء وَتطَور الْمُجْتَمَع ١٦٦
الْإِيمَانُ عَلَىٰ أَرْبَعِ دَعَائِمَ ٦٣
الْإِيمَانُ مَعْرِفَة بِالْقَلْبِ ٢٨٢
فَرَضَ اللهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشِّرْكِ ٣١٢
إِنَّ الْإِيمَانَ يَبْدُو لُمْظَةً فِي الْقَلْبِ ٣٢٩
الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْثِرَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ ٤٩٢
مِنْ غَرِيبِ كَلاَمَه الْمُحْتَاج إِلىٰ التَّفْسِير ٣٢٥
حَدِيث مَوْضُوعِي عَنْ الرِّزْقِ ٤٤١

تمهيد

حقَائِق إِنْسَانِيَة:

يَنْقَسم نَهْج اَلْبَلاَغَة بِمَجمُوعِهِ إِلىٰ ثَلاَثة أَقْسَام:

خُطْب، وَرَسَائِل، وحِكَمْ، وآنْـتهىٰ شَرح القِـسم الْأَوَّل والثَّـانِي بِـتَوفِيق الله وَعَونهِ، وبَقِي القِسم الثَّالِث، وهُو أَكْثَر صِلَة بِالحيَاة مِن السَّابقِين، لأَنَّ كَلمَاته مِرآة صَافِية تَعْكس حَقِيقَة الإِنْسَان وتَجَاربه، وأَفْعَاله مِن حَيْث هُو إِنْسَان بِلا حَد مِـن زَمَانٍ، أو مكَانٍ، أو قَيدٍ بِحَادثة ووَاقعَة مُعِينَة، كوَاقِعَة الْجَمَل أو صِفِّين، وغَيْرهما مِن الوقَائِع الَّتي تَكرَّر الحَدِيث عَنْهَا فِي الخُـطَب والرَّسَـائِل... إِنَّ الحِكَـمْ الآتِـية يَتمَثلهَا كُلّ إِنْسَان فِي نَفْسهِ، ويُحيهَا فِي سلُوكه وأَفْعَاله، ويَنْفَعل بِها رُوحاً وجِسْمَاً.

الْعُلُوم وهَذِهِ الْحِكَم:

ولِهَذِه الحِكَمْ صِلَةٌ وَثِيقَة مِن العلُوم، لِأَنَّهَا تَتَعَلق بِالإِنْسَان مِن حَيْث هُو، كـمَا أَشرنَا، والإِنْسَان يُبْحَث عَنْهُ فِي عِلم التَّأرِيخ، وَعِلم الطِّب، ووظَائِف الأَعْـضَاء، وَعِلم النَّفس، والأَخْلاَق، والاِجْتمَاع، والفِقْه والفَلْسَفَة، وغَيْر ذَلِكَ مِـن العـلُوم.

وعَلىٰ سَبِيل المِثَال مِن هَذِه الحِكَمْ:

قَوْله ﷺ: «فَقَدْ تَكْذِبُ الْعُيُونُ أَهْلَهَا، وَلَا يَغُشُّ الْعَقْلُ مَنِ ٱسْتَنْصَحَهُ»[١] يُشِير إِلىٰ سَبَب المَعْرِفَة، وهُو مِن مبَاحث الفَلْسفَة. وَقَوْله: «لَا قُرْبَةَ بِالنَّوَافِلِ إِذَا أَضَرَّتْ بِالْفَرَائِضِ»[٢] يَدْخُل فِي عِلم الفِقْه.

وَقَوْله: «ٱعْجَبُوا لِهَذَا الإِنْسَان يَنْظُرُ بِشَحْمٍ، وَيَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ، وَيَسْمَعُ بِعَظْمٍ، وَيَتَنَفَّسُ مِنْ خَرْمٍ»[٣] يَدْخُل فِي عِلم الأَعْضَاء.

وَقَوْله: «ٱمْشِ بِدَائِكَ مَا مَشَىٰ بِكَ»[٤] يَدْخُل فِي عِلم الطِّب.

وَقَوْله فِي الْغُوغَاء: «هُمُ الَّذِينَ إِذَا ٱجْتَمَعُوا ضَرُّوا، وَإِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا»[٥] يَدْخُل فِي عِلم الاِجْتِمَاع... وكُلّ حِكْمَة تَتَعَلق بِالنَّفسِ، والْعَقْل تَدْخُل فِي عِلم النَّفس، وكُل مَا يَتَعَلق بِمَبدأ وقَانُون سلُوكِي يَدْخُل فِي عِلم الأَخْلَاق.

ثَلاَثَة عُلُوم:

وأَكْثَر حِكَم الإِمَام فِي النَّهج وغَيْره تَدْخُل فِي عُلُوم ثَلاَثَة: الاِجْتِمَاع، والنَّفس، والأَخْلَاق، وتَشْتَرك هَذِه الثَّلاَثَة فِي أَنَّهَا عُلُوم إِنْسَانِيَّة، ويَفتَرق كُلّ وَاحد مِنْهَا عَن الآخِرَة بِجِهَةٍ خَاصَّة، فَعِلم النَّفس يَبْحَث عَن غَرَائِزها وصِفَاتها، وسَلاَمتها ومَرَضها، وعَن أَسْبَابها: هَل هِي ذَاتِية، أو أَتَت إِلَيْه بِالوِرَاثَة،

(١) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٢٨١).
(٢) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٣٩).
(٣) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٨).
(٤) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٢٦).
(٥) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (١٩٨).

أو مِن التَّربِية والبِيئَة، ويَبْحَث عَن تَأرِيخ الصِّفَات: هَل وِلِدَت بِولاَدة الإِنْسَان، أو بَعد الوِلاَدة بِسَنَة أو أَكْثَر، وأيضاً يَبْحَث آثَارها ونَتائِجها فِي سلُوكه وأَفْعَاله. وبِكَلِمة يَبْحَث عِلم النَّفس عَن عنَاصِرها، وتَأرِيخها، وآثَارِها.

ويَبْحَث عِلم الاِجْتَاع فِي أَحوَال المُجْتمعَات الإِنْسَانِيَّة، وأوضَاعها، وقوَانِينهَا، والأَسْبَاب الَّتِي نَشَأت عَنْهَا المَعِيشَة الاِجْتَاعِيَّة.

أمَّا عِلم الأَخْلاَق فَلا يَبْحَث عَن النُّفُوس والطَّبائِع، والغَرَائِز، والشَّمَائل كَعِلم النَّفس، ولاَ عَن المُجْتمَعات كَعِلم الاِجْتَاع، بَل يَضع القَانُون الخُلقي، ويُحَدد المَثل الأَعلىٰ الَّذي يَنْبَغي أنْ يَحْتَذِيه الإِنْسَان فِي سلُوكِه، وأَفْعَاله تَمَاماً كَالفِقْه يُحَلل ويُحَرم. ومِن هُنا كَان عِلم الأَخْلاَق مِن العُلُوم المِعْيَارِيَّة الَّتي يُقَاس بهَا حُسن الشَّيء وقُبْحه.

وَبِهَذا يَسْهل عَلينَا التَّمْيِيز بَيْنَ الحِكَم الآتيَة مِن حَيْث عَدّها واعتبَارهَا مِن مسَائِل هَذَا الْعِلْم أو ذَاكَ.

الْمَعَانِي الكِبَار فِي الكَلِمَات القِصَار

١ ـ وَقَالَ عليه السلام : «كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ ، لَا ظَهْرٌ فَيُرْكَبَ ، وَلَا ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ» .

● اللَّبُونِ مِن الإِبِلِ ، والشَّاء هِي ذَات اللَّبَن قَلّ أو كَثُر . وابن اللَّبُون فَصِيلُ النَّاقة قَبْل أنْ يقوىٰ ظَهْره لِلرُّكُوب ، أو يَصلح ضَرْعُهَا لِلحَلِيب ، وظَهْرٌ بِالرَّفع اسم «لاَ» العَامِلة عَمل لَيْسَ مَذْهَب الحِجَازِيين ، وخَبَرَها مَحْذُوف ، والتَّقدِير لاَ ظَهْرٌ صَالِحاً لِلرُّكُوب ، ولاَ ضَرْعٌ صَالِحاً لِلحَلِيب ، والفِعْل المُضَارع هُنا مَنْصُوب بِأنْ مُضْمَرَة بَعد الفَاء لوقُوعهَا بَعد النَّفي المَحض مِثل مَا أَعرف دَارُك فَأَزُورَك أي كِي أَزُورَك .

والمُرَاد بِالْفِتْنَةِ هُنا البَاطِل ، والمَعْنَىٰ إذَا رَأيتَ فَلا تَدْخُل فِيهِ ، واحْذَر مِن أَهْله أنْ يَخْدَعُوك ، ويَسْتَغلُوك فِي أَغرَاضِهِم ومَآرِبهم ... وسَكَت الإِمَام فِي حِكْمَتِه هَذِه عَن الحَقّ وأَهْله ، ولَيْسَ مَعْنَىٰ سكُوته عَنْه ، وعَنْهُم أنَّه يَنهىٰ عَن الدّخُول فِي شَأن المُحقِين ومُنَاصرتِهُم ، وإنَّه يُساوي بَيْنهُم وبَيْنَ المُبطِلين ... كَلا ، وأَلفُ كَلا ، لأنَّ مِثل هَذا الكَلاَم يَقتَصر فِيهِ عَلىٰ دِلاَلَة المَنْطُوق دُونَ المَفهُوم ... هَذَا ، إلىٰ أنَّ كَلِمَات الإِمَام ، وَوَصَايَاه بِنُصرَة الحَقّ تَجاوَزت حَد الإِحْصَاء ، مِن ذَلِكَ قَوْله لِوَلَدَيه

الْحَسَن والْحُسين: «كُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً، وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً»[١]. وذَمَّهُ لِلَّذين لَمْ يُحَارِبُوا مَعْهُ النَّاكِثِينَ بِأَنَّهُم لَمْ يَنصرُوا الْحَق، ولَمْ يَخذلُوا البَاطِل.

وخَفِي الْمَعْنَىٰ الْمُرَاد مِن هَذِه الحِكْمَة عَلىٰ كَثِير مِن الشَّارِحِين، وخَبَطُوا فيهِ، وفَهمُوا مِنْهُ أَنَّ الإِمَام أَمرنَا بِأَنْ نَسْكُت أَيَّام الْفِتْنَة، ونَعْتَزِل إذَا رَأينَا يَتْبَعه قَوم، ويُعَارِضه آخرُون، حَتّىٰ أَنَّ بَعْض الشَّارِحِين قَالَ: «أَرَاد الإِمَام أَنْ يَكُون الإِنْسَان أَيَّام الْفِتْنَة ضَعِيفاً غَيْر مُسْتَكثِر مِن الْمَال»[٢]!. ولاَ أَعرف السَّبب المُوجِب لِحَشْر

(١) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلرِّسَالَة (٤٧).

(٢) أنظر، تَأريخ بَغداد: ٣٠٥/١٤، أسد الغَابَة: ٢٩٧/١، سِير أَعْلاَم النُّبلاء: ٣٢٧/٢٢.

وأُنظر، قَول ٱبن أَبي ٱلحَدِيد: ٨٢/١٨، حَيْث قَالَ: أَيَّام الْفِتْنَة هِي أَيَّام الْخُصُومَة والْحَرْب بَيْنَ ضَالين يَدعُون كِلاهُما إِلىٰ ضَلالة كالْفِتْنَة عَبدالملك وٱبن الزُّبَيْر، وفِتْنَة مَروان والضَّحاك، وفِتْنَة الحَجَّاج وٱبن الأَشْعَث، ونَحو ذَلِكَ. فأمَّا إذَا كَان أَحدهُما صَاحِب حَقٍّ فَلَيْسَت أَيَّام فِتْنَة كَالجَمَل وصِفِّين ونَحوهما، بل يَجب الْجِهَاد مَع صَاحب الْحَقّ وَسَل السَّيف والنَّهي عَن الْمُنْكَر وبَذل النَّفس فِي إعزَاز الدِّين وإِظْهَار الْحَقّ.

أَمَّا قَول ٱبن أَبِي ٱلدُّنْيَا فِي كتَابه الإِعْتِبَار: ٦٨، حَيْث نَقَل عَن أَبِي زَيد الصُّوفي، قَالَ: كَان رَجُلاً مِن العِبَاد أَيَّام الْفِتْنَة، يَخْرُج إِلىٰ المَقَابر والجَبَّابين فزِعاً، ظَلَّ نَهارَه ورُبَّما بَات لِيْلَه فِي خَرَابَات أَفنَاء هَذَا الَّذي تَدعُونه الخُلد فهُو فِي فِكرةٍ وبُكاء. قَالَ فَبَينا أَنَا ذَات لِيْلَة فِي بَعْض خَرَابَاته سَعِيد، وذَاكَ بَعدمَا مَضىٰ لِيلٌ طَوِيل إِذْ سَمِعتُ هَاتِفاً يَهتف يَقول:

وَقِف بِالقصُور عَلىٰ دِجْلة ... حَزِيناً فَقُل أَين أَربَابها
وأَين المُلوك ولاَّة العهود ... رُقَاة المنَابر غُلابها
بَكَر تُجِيبُك آثَارهم ... إِلَيكَ فَقَد مَات أَصْحَابها

قَالَ: فأَرْعَدتُ والله، وسَقطتُ مَغشِياً عليَّ.

وَوَرَد فِي الحَدِيث أَنَّه ﷺ قَالَ: «إِنَّ الله تَعَالىٰ قَد كَتَب عَلىٰ الْمُؤْمِنِين الجِهَاد فِي الْفِتْنَة مِن بَعدي كَمَا كَتَب عَلَيْهم الْجِهَاد مَع المُشْرِكِين مَعي، فقُلتُ يَا رَسُول الله: ومَا الْفِتْنَة الَّتي كَتَب عَلينَا فِي الجِهَاد؟ قَالَ: فِتْنَة قَوم يَشْهَدُون أَنْ لاَ إِله إلاَّ الله، وأَنَّك رَسُول الله؟ قَالَ: عَلىٰ إحدَاثِهِم فِي دِينِهِم وفرَاقهم لأَمري، وٱستِحلالِهِم دَم

المَال هُنا ! وحَاشَا للهِ ، ولِلْإِمَام الَّذي أوقَفَ نَفْسه لِلحَقِّ ، وضَحىٰ بِها فِي سَبِيله أنْ يَأمر بِالفرَار مِن جِهَاد البَاطِل ، والْفَسَاد .

وَبَعْد ، فَكُلنا نَحنُ ـ أَبْنَاء الهِيئَة الْعِلْمِيَّة الدِّينِيَّة ـ نَحفظ هَذِه الحِكْمَة عَن ظَهر قَلْب تَمَامَاً كَمَا نَحْفَظ سُورَة الإِخْلاص ، ونَروِيها ونوصِي بهَا ، ولكنْ مَا لَهَا فِي أَعْمالنا ، أو أعْمَال معْضَمنا مِن نَصِيب ... فهَذا يُؤيد زَعِيماً طَاغِية ، ويَقول : أُرِيد أنْ أَعِيش ، وذَاكَ يُوقّع عَرِيضة مَسْمُّومَة مَلغُومَة إرْضَاءً لشَّهوَة رَئِيس أو مُتزَعم ، وآخر يُزيف ويُحرف بوحي الشَّركَات ، وكَاتب الاِسْتِخبَارَات ، ورَابع إِمَّعَة يَسْتَجِيب لِكُلّ نَاعِق ، وشَاهِق ... وهُنا يَكمن السِّر فِي أَننا نَسِير مِن ضَعفٍ إِلىٰ ضَعف ، ويَكثَر فِينا أَهْل الجَهْل ، والدَّجل .

٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «أَزْرَىٰ بِنَفْسِهِ مَنِ ٱسْتَشْعَرَ الطَّمَعَ ، وَ رَضِيَ بِالذُّلِّ مَنْ كَشَفَ عَنْ ضُرِّهِ ، وَ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَّرَ عَلَيْهَا لِسَانَهُ » .

● الطَّمَعَ ضِدّ الْقَنَاعَة ، لَكنْ كَثُر ٱستِعْمَاله ضِدّ الْمُروءَة والوَرع حَتَّىٰ صَار حَقِيقَة فِيهِ ، أمَّا حُكْمَه فَيُقَاس بِآثَارهِ ونَتَائِجهِ ، إنْ خَيْرّاً فَخَيْر ، وإنْ شَرّاً فَشَرّ .

وقَول الإِمَام : (مَنِ ٱسْتَشْعَرَ الطَّمَعَ) مَعْنَاه مَن ٱتخَذه دِيناً لهُ ، ودَيدَناً بِحَيْث لاَ

⇐ عِتْرَتِي . أنظر ، دَعَائِم الإِسْلاَم : ١/٣٨٩ طَبْعَة ١٣٨٣ هـ.
والسُّؤال الَّذي يَطرح نَفْسه : هَل يَجوز تَرك الحَاكِم الْفَاسِق ؟
وكَيفَ يُمكن الجَمع بَيْنَ الرُّؤيتين ؟
وهَل يَصح قَول ٱبن عُمر : لاَ أُقاتل فِي الْفِتْنَة ، وأُصلّي وراء مَن غَلب ؟
أُنظر ، طَبقات ٱبن سَعد : ٤/١٤٩ ، فَتح البَاري : ١٣/٣٩ ، تَأريخ ٱبن كَثِير : ٩/٥ .

يَلتَزِم بِشَيء إلاّ عَلىٰ أَسَاس مَنْفَعته الخَاصَّة. ومَن كَان كذَلِكَ فَقَد حقَّر نَفْسه بِنَفْسه، لأنَّ الإِنْسَان يُقاس بِأهدَافه وأَمَانِيه. وَقَالَ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ هِمَّته مَا يَدْخُل بَطْنه، كَانَتْ قِيمَته مَا يَخْرُج مِنْهُ»[١].

وَقَد يُبتَلىٰ الإِنْسَان بِمَرَض أو فَقْر غَيْرهُما مِن الآفَات. ومَا مِن شَكٍّ أَنَّ المَرَض بَلاَء، وَالْفَقْر مُصِيبَة، ولكنَّ الكَشْف والإِعْلاَن عَنْهُما، وعَن أيَّةِ آفَة ـ فَضِيحَة. وقَدِيماً. قِيل: الشَّكوىٰ لِغَير الله مَذَلَّة[٢]... وأيَّة جَدوىٰ مِن الشَّكوىٰ إِلىٰ النَّاس مَا دَامت لاَ تَدفع ضَرّاً، ولاَ تَجْلب نَفْعاً، وتَسُوء المُحب، وتَسر المُبغِض؟ وأيضاً لاَ جَدوىٰ مِن أَمرِ المُبْتَلىٰ وحَثَّه عَلىٰ الصَّبْر، وكِتْمَان العِلة إلاّ إذاكَان ذَا عَقل رَزِين، لأنَّ الصَّبْر عَلىٰ قَدْر الْعَقْل.

والشَّكوىٰ مِن مَقولَة الكَلاَم وَصِفَاته، ولذَا عَقبهَا الإِمَام بِالإِشَارَة إِلىٰ اللِّسَان، ومَرّ الْحَدِيث عَنْهُ[٣]. وَقَالَ مُجرب حَكِيم: «يَتْنَازع لِسَانك عَقْلك وهوَاك، فإنْ غَلَب الأَوّل فهُو لَكَ، وإنْ غَلَب الثَّانِي فهُو عَلَيْكَ، فَلا تَطلق لِسَانك حَتَّىٰ تَعْلَم أَنَّ كَلاَمه لَكَ لاَ عَلَيْكَ».

٣ ـ وَ قَالَ ﷺ: «اَلْبُخْلُ عَارٌ، وَ الْجُبْنُ مَنْقَصَةٌ، وَ الْفَقْرُ يُخْرِسُ الْفَطِنَ عَنْ حُجَّتِهِ، وَ الْمُقِلُّ غَرِيبٌ فِي بَلْدَتِهِ. وَالْعَجْزُ آفَةٌ، وَ الصَّبْرُ شَجَاعَةٌ، وَ الزُّهْدُ ثَرْوَةٌ، وَ الْوَرَعُ جُنَّةٌ».

---

(١) أنظر، غُرَر الحِكَم: (٨٨٣٠).

(٢) أنظر، كَشف الخَفَاء لِلعَجلُوني: ٢/١١ رَقم «١٥٦٠».

(٣) أنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلْخُطبَة (٩٦). فِقرَة، «السُّكُوت». (مِنهُ ﷺ).

● اَلْبُخْلُ يُخَطط لصَّاحِبه مَنْهجاً يَسِير عَلَيْهِ فِي تَفْكِيره وسِلُوكه، ولاَ يَحِيد عَنْهُ بِحَال، وهَذَا المَنْهْج يَرفض بِطَبعَه التَّعاون عَلىٰ الْخَيْر، ومَصْلَحة الفَرد والجَمَاعَة، ويَهدِي إلىٰ القَسوَة وعَدَم الاِكْترَاث بِالنَّاس، ومَشَاكلّهم... ومَن لاَ يَهتَم بِهمُوم النَّاس فلَيْسَ مِنْهُم ولاَ مِن الإِنْسَانِيَّة فِي شَيء. وَنَعْطف عَلىٰ ذَلِكَ مَا جَاء فِي الآثَار مِن أنْ الْبَخِيل: «يَعِيشُ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ، وَيُحَاسَبُ فِي الْآخِرَةِ حِسَابَ الْأَغْنِيَاءِ»(١). وأنَّه كالخِنزِير لاَ يُنْتَفَعُ بِهِ إلّا بَعْد مَوته حَيْث تَنْهَشه الكِلاَب، وإنَّ الْبَخِيل يُفسد الرَّأي، ويَمْنَع صَاحِبه عَن رُؤيَة الحَقِيقَة، لأنْ يَنْظُر إِلىٰ الأَشْيَاء مِن خِلاَل ذَاته الشَّحِيحَة الشَّاحِبَة.

وإذَا كَان الإِمْسَاك رَذِيلة فَالبَذل والتَّضحِية فَضِيلة فِي كُلّ زَمَان ومَكَان، ولكنْ إطعَام الطَّعام قَد بَلغ الغَاية والنِّهايَة مِن التَّقدِيس عِند القُدَامىٰ، وبِخَاصَّة الْعَرَب الَّذِين اعتَبرُوه سَبَباً ورَئِيسياً مِن أَسْبَاب السِّيَّادَة والقِيَادَة، وَمَلأُوا اَلدُّنْيَا فِي المَدِيح، والثَّناء نَظْماً ونَثراً عَلىٰ صَاحِب الخوَان، وكَنُّوا عَنْهُ بِجَبَان الكَلب، وكَثِير الرَّمَاد والنِّيرَان... ووَضَع الجَاحظ كتَاباً فِي البُخلاَء، وأَفرَد الكَثِير مِن المُؤلفِين بَاباً طَوِيلاً فِي كُتُبِهم لِذَّم البُخل والبُخلاَء، ومَدح الجُود والأَجوَاد(٢).

---

(١) أنظر، نَهج اَلبَلاَغَة: اَلحِكْمَة (١٢٥).

(٢) ومِن أَحْسَن مَا قِيل فِي تَعود الضِّيافة، والأنس بِها، والاِستمرار عَلاَنِيَة، قَول حَاتم بن عَبدالله الطَّائي:

إذَا مَا بَخِيل النَّاس هَرَّت كِلاَبه ... وشَق عَلىٰ الضَّيف الغَرب عقُورَهَا

فَإنِّي جَبَان الكَلب بَيتي مَوطأً ... جوَاد إذْ مَا النَّفس شَحَّ ضَميرهَا

وإنَّ كِلاَبي مُذ أقرب وعودَت ... قَلِيل عَلىٰ مَن يَعترِينا هَرِيرهَا

أنظر، ديوَان حَاتم الطَّائي: ٦٣ طَبعة بَيرُوت، تَأرِيخ أبن عسَاكر: ٤٢٣/١٢، أمَالي السَّيِّد المُرتضىٰ:
↔

والشُّر العُسر، والمَعِيشَة الضَّنكىٰ فِي ذَاكَ العَصر حَيْث الجائِعون مِن كُـلّ بَـلد بِالآلافِ، أو بِالمِئات... هَذا، إِلىٰ أنَّ المُسَافِرين كَانوا يَسِيرُون أيّـامَاً، أو أَشهُـراً عَلىٰ الأَقدَامِ، أو عَلىٰ الحَيوَان، ولاَ مطَاعم وفَنَادق، فَلا بَدع إذَا كَان لإِطْعَام الطَّعَام شَأنه ووَزنه، ومِن هُنا سَاوىٰ رَسُول الله ﷺ بَيْنهُ وبَيْنَ السَّلام فِي قَـوْله: «أَفْـضَل الأَعْمَال إِفْشَاء السَّلاَم، وإِطْعَام الطَّعَام»[1].

حَتَّىٰ المَاء كَان لِبَاذله أَجرٌ وَفَضلٌ عَلىٰ قَـدْر عَـطش الظَّـمْآن ولَهـفَته، لِـتَعذُّر الوصُول إِلىٰ مَجرىٰ المَاء ومَصدَره... أمَّا الآن، وقَد غَيّر الْعِلْم الأَرْض ومَن عَلَيْهَا،

↩ ٢٦/٤، وأُنظر عَلىٰ سَبِيل المِثَال لاَ الحَصر، قَول الشَّاعر السَّيِّد جَمال الدِّين بن السَّيِّد نُور الدِّين عَليّ بن أَبي الحَسَن المُوسوي العَاملي الجبعي، والَّتي يَمدح فِيها الشَّيخ مُحَمَّد الحُر، والَّتي يَصْفه فِيها بوَصف الكَرَم، وكَثِير الطَّبخ والضِّيوف.

فَتىً أَضْحَىٰ لِكُلِّ النَّاس رُكناً ... لدَفـع مُـلِمَة الخَـطب المَـهُول
شَدِيد ٱلبَأس ذُو عَزمٍ سَـدِيد ... جَبَان الكَلب مَهزُول الفَـصِيل

أو كَمَا قَالت الخَنْسَاء فِي أَخِيها صَخْر: رَفِيع العِمَاد طوِيل النَّجاد كَثِير الرَّمَاد.

أُنظر، أمَل الآمَل: ٤٧/١، مُختصر المَعَاني لسَعد الدِّين التَّفتَازاني: ٢٦١، تَأريخ ابن عسَاكر: ٢٢٥/٨، سِير أَعْلاَم النُّبلاَء: ٩٦/٤، لِسَان المِيزَان: ٢٠/٣، النَّهاية فِي غَرِيب الحَدِيث: ٢٩٦/٣. ونُسب إِلىٰ أَمِير المُؤْمِنِين عليه السلام كَان يَقول:

خَـلَقت الخَـلاَئِق فِي قُـدرة ... فَـمِنْهُم سَـخي ومِـنْهُم بَخِـيل
فَأمَّـا السَّـخي فَـفِي رَاحـة ... وأمَّـا الْـبَخِيل فَشـؤم طَـوِيل

أُنظر، عُيون أَخبَار الرِّضا: ١٩٠/١، مُسْتَدرك الوَسَائِل: ٣٠/٧، بِحَار الأَنْوَار: ١١١/٤٩.

(١) أُنظر، شَرح النَّووي عَلىٰ صَحِيح مُسْلِم: ١٠/٢، سُنن التِّرمِذي: ٤٥/٥ ح ٣٢٨٦، الدِّيبَاج عَلىٰ مُسْلِم: ٥٦/١، مُنْتَخب مُسْنَد عبد بن حَمِيد: ٢٢٨ ح ٦٨٢، صَحِيح ابن حبَّان: ٢٤٢/٢، مُسْنَد أَحمد: ٣٦٨/١ و: ٦٦/٤، المَبسوط للسَّرخسي: ٢٧١/٣٠، الدُّر المَنثور: ٣١٩/٥، تَأريخ دِمَشْق: ٤٧١/٣٤، تَهذِيب الكَمَال: ١٥٧/٢٤، سُبل الهُدىٰ والرَّشاد: ١٥٧/٩.

وخَطَا بِالبَشرية خُطوَات يَسرَت لهَا العَسِير، وقَربَت لهَا البَعِيد، وحَقَقت الكَثِير مِن مطَالبها. أمَّا الآنْ فَلم يَعد لإِطْعَام الطَّعام ونَحوه ذَاكَ الوَزن والأَثر الَّذي كَان لهُ مِن قَبل... ولَيْسَ مَعْنَىٰ هَذا أنَّ الكَرَم قَد تَحول عَن طَبِيعَتهِ ونَزَل عَن مَرتبَته، وإنّما يَعْنِي أنَّ مظَاهر الكَرَم قَد تَغيّرت وانْتَقلت مِن التَّعاون الفَردِي إلىٰ التَّعاون الاجْتمَاعِي، مِن إطعَام الرَّغِيف إلىٰ بِناء دَار للأَيْتَام، ومُسْتَشفىٰ لِلمُعوزِين، ومَدَارس لِلمُتَعلمِين، ومَن سَقي الظَّمْآن إلىٰ رَي الأَرَاضي، وتَحوِيل الصَّحرَاء الجَردَاء إلىٰ جَنَّاتٍ وعُيُون، ومَعْنَىٰ هَذا أنَّ مَعْنَىٰ الكَرَم قَد عَمّ واتسَع بَعد أنْ كَان ضِيقاً ومَحدُوداً، وإنَّ اسم الكَرِيم قَد تَطور إلىٰ اسم المُصلح، والمُنقِذ.

(وَ الْجُبْنُ مَنْقَصَةٌ) لأنَّ الجبَان يَرىٰ الْمُنْكَر فَيَتعَامىٰ عَنْهُ، ويَسمع دَعْوَة الْجِهَاد فِي سَبِيل الله، والْحَقّ فَيصُد عَنْهَا، وإذَا شَكا إليْهِ مَظلُوم أدَار لهُ ظَهره، وإذَا أرَاد أنْ يَتكلم خَاف مِن النَّقد... وهَكذَا يَسْلبهُ الْخَوْف مَا يَملك مِن طَاقَات، ويَعِيش حَبِيسَاً بَيْنَ جُدرَان الهَوَاجِس والأَوهَام بِلا شَخصِية وإرَادة، ولاَ زُهرة أو ثَمرة إلاّ الْهَذَر والثَّرثَرة... وهَل عَلمتَ أو سَمعتَ أنَّ لِلجبَان شَأناً، أو تَأرِيخاً ؟.

(وَ الْفَقْرُ يُخْرِسُ الْفَطِنَ عَنْ حُجَّتِهِ) لأنَّ الْفَقْر يَضغَط عَلىٰ الْعَقْل، ويَسدُّ أَمَامه منَافِذ الرُّؤيَة... أَللَّهُمَّ إلاّ إذَا كَان لِلفَقِير هَدف أعلىٰ يُضحي مِن أَجْله، ويَنْسىٰ مَعه نَفْسه وبُؤسه، كَطَلَب الْعِلْم، أو الْحُرِّيَّة لوَطنه، كمَا حَدث لِكَثِير مِن الفُقَرَاء المُنَاضِلين الأَحرَار. وتَقَدَّم الكَلاَم عَن الْفَقْر مَرَّات، ويَأتي أيضاً.

(وَ الْمُقِلُّ غَرِيبٌ فِي بَلْدَتِهِ) ومِثله قَول الإِمَام: «الْغِنَىٰ فِي الْغُرْبَةِ وَطَنٌ، وَالْفَقْرُ فِي الْوَطَنِ غُرْبَةٌ»[١] لأنَّ مِن شَأن الْوَطَن أنْ يُسَهل لَكَ العَسِير، ويَسْتَجِيب لحَاجَتك

---

(١) أنظر، نَهج البَلاَغة: الحِكمَة (٥٥).

وأَمُنِيتك، والْمَال قَاضي الْحَاجَات، وَالْفَقْر أَصل الوِيلاَت، ومِن هُنا كَان الْفَقْر غُرْبَة فِي الْوَطَن، والْغِنَىٰ وَطَناً فِي الْغُرْبَة.

(وَ الْعَجْزُ آفَةٌ) وكَلِمَة الْعَجْز تَعم، وتَشمل وَبَاء الْفَقْر، والمَرض، والْجَهْل، وهَذِه الْأَوبَاء الثَّلاَثَة آفَة الْإِنْسَانِيَّة بِكَاملها، ومِنْهَا تَنبُع القَبَائِح والرَّذَائِل، وبِخَاصَّة الْفَقْر فَإِنَّه السَّبب القَرِيب، والبَعِيد لأكْثَر الآفَات والمِشكلاَت.

(وَ الصَّبْرُ شَجَاعَةٌ) وجِهَاد. وحِين يَتحَدث الإِمَام عَن الصَّـبْر وفـوَائِـده فـإِنَّه يَتحَدث عَن عِلمٍ، وتَجرُبِةٍ، فَلَقد رَأىٰ وشَاهد صَبر رَسُول الله ﷺ، والْصَّحَابَة عَلىٰ الْأَذَىٰ والتَّنْكِيل فِي سَبِيل الْإِسْلاَم، وَثَبَاتهم عَلَيْهِ مُسْـتَهِينِين بِكُـلِّ شَيء، وهَـذا الصَّبْر هُو الْأَصل، والْأَسَاس لِحَيَاة الْإِسْلاَم وأنْتشَاره، وعَلىٰ صَخرَته تَحَطم الكُفر والشِّرك، ولَوْلا هَـذا الصَّـبْر، والثَّبات مَـا كَـانَتْ الْهِـجْرَة، ولاَ بَـدر، وأُحُـد، والْأَحْزَاب، وبِالتَّالِي مَا كَان لِلْإِسْلاَم عَينٌ، ولاَ أَثَر.

(وَ الزُّهْدُ ثَرْوَةٌ وَ الْوَرَعُ جُنَّةٌ) الْمُرَاد بِالزُّهْد التَّورع عَن الحَرَام، بِالوَرَع الكَـفّ عَنْهُ، ويَكُون عَلَيْهِ العَطف لِلبَيَان والتَّفْسِير، والْمَعْنَىٰ أَنَّ العَفِيف النَّزِيه فِي غِنىٰ عَن النَّاس، وأَمَانٍ مِن شَرّهم، لأَنَّه بِعِفَّتِهِ ونَزَاهتِهِ يَرضىٰ ويَقنع بِالمَيسُور، ويَكفّ أذَاه عَن الآخرِين، والْقَنَاعَة كَنز، وكَفّ الْأَذَىٰ حِصن، وصِيَانة، وتَقَدَّم الكَلاَم عَن ذَلِكَ مِرَاراً وتِكرَاراً مُفْصَلاً ومُجْمَلاً[1].

٤ ـ وَ قَالَ ﷺ: «نِعْمَ الْقَرِينُ الرِّضَىٰ. وَالْعِلْمُ وِرَاثَـةٌ كَـرِيمَةٌ، وَ الْآدَابُ حُـلَلٌ مُجَدَّدَةٌ، وَ الْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ».

---

(١) أُنظر، نَهْج ٱلْبَلاَغَة: ٱلْخُطْبَة (١٩١). فِقْرَة (التَّقْوىٰ). (مِنْهُ ﷺ).

● (نِعْمَ الْقَرِينُ الرِّضَىٰ) عَلَيْكَ أَنْ تَسْعىٰ جُهدَكَ لِلرِّزق، ولاَ تَتَكل عَلىٰ الْقَدَر، وإذَا سَعِيتَ، ونِلتَ من الْحَلاَل دُونَ مَا أَمّلت فَارضَ بِما تَيسَّر ولاَ تَرفضَه، وتَتَبرَم بِهِ. وَقَدِيماً قِيل: «لاَ يُترَك المَيسُور بِالمَعسُور»[1]، كَيف والحِرْمَان أَقل مِنْهُ، وبَعْض الشَّرَّ أَهْوَن مِن بَعْض؟ خُذْ مَا تَيسَّر، وانتَظر الْفُرْصَة إِلىٰ مَا هُو أَفضل، ولاَ تَتَعَجل الشَّيء قَبل أَوَانه، فإنَّ الأُمُور مَرهُونة بِأوقَاتها... ولاَ أَظنّ مَخلُوقاً حَقق كُلّ مَا يَنْشُد مِن سعَادَة إلّا مَن رَوّض نَفْسه عَلىٰ التَّسلِيم، والرِّضا بِما لاَ سَبِيل إِلىٰ سوَاه، ولاَ يَقول لِشَيء لَمْ يَكُن: لَيْتَهُ كَان، أو لِمَا كَان: لَيْتَهُ لَمْ يَكُن.

والرِّضا بِمَنطق الوَاقع هُو الَّذي عَنَاه الإِمَام، وأَثنىٰ عَلَيْهِ بِقَوْلَه: «نِعْمَ الْقَرِينُ الرِّضَىٰ» لأَنَّه يُحرر صَاحِبهُ مِن الحِيرَة والقَلق، والتَّبرُم والسُّخط بِلا جَدوىٰ.

وبِالإِخْتصَار أَنَّ تعَاسة الإِنْسَان قَد تَأتِي مِن دَاخله لاَ مِن خَارجه، ومِن صُنع يَده لاَ مِن صُنع الْقَدَر، لأَنَّه يَرفض الإِنسجَام مَع ظرُوفه الخَاصَّة الَّتي تَمسه فِي الصَّمِيم، وتُؤثر عَلَيْهِ وعَلىٰ شؤونَه، ولاَ يَجني مِن معُاندتهَا إلّا الآهَات والحَسرَات... ورَأَيْت مِن الشَّباب الجَامعِي مَن يَأنَف، ويَحتَقر بَعْض الأَعْمَال، لِأَنَّهَا -بِزَعمه- عَيب يَمس بِكَرَامته، ويَطمَح إِلىٰ وظَائِف الأَغوَات وأَبْنَاء الذَّوات، فَيَبحث ويَلهث ورَاء كُلّ مُترَعم حَتَّىٰ إذَا يَئس عَاد إِلىٰ مَا استَنْكَف عَنْهُ مِن قَبل، وطَلَبه بِلهْفَة... ولكنْ بَعد فوَات الْفُرْصَة الَّتي لاَ سَبِيل إِلىٰ مَردهَا... فَقَعد كَسِيحاً خَاسِراً، لأَنَّه أَرَاد القَفز أَكْثَر مِمَّا تَسْتَطِيع عَضلاَته.

وهَكذا قَضت حِكْمَة الخَالِق جلّ وَعلاَ أَنْ يُعَاقب بِالحرمَان مَن استَنْكَف عَن

(١) أُنظر، عوالي اللئالي: ٤/٥٨ ح ٢٠٥، جامع المقاصد: ١/٣٧٢، عوائد الأَيّام: ٨٨.

رِزقه المَكتُوب.

وأيضاً رَأيتُ كَثِيراً مِن الشَّبَاب الجَامعي يَسْتَسلمُون لِمَنطق الوَاقع، ولاَ يَأنفُون مِن وَظِيفة كَاتب بَسِيط، وبَعْضهُم مِن حَمَلة الدّكتُورَاه، ومَع الصَّبْر والأَيَّام صَار أَحدهُم مُدِيراً عَاماً، وآخر أُستَاذاً جَامعِيَاً، أو رَئِيساً لِمَصلَحة، أو قَاضِياً مَرمُوقاً... ولاَ سِرّ ـ فِيمَا أَعْتَقد ـ إلّا الرِّضا الَّذي هُو مِن مظَاهر الحَمْد والشُّكْر، فَأنجز لهُم قَوْلَه ووَعدَه: ﴿لَـبِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1].

حَمْدَاً لله وشُكرَاً.

(وَٱلْعِلْمُ وِرَاثَةٌ كَرِيمَةٌ) قَالَ آبن أَبِي ٱلْحَدِيد فِي شَرحِهِ: «كُلّ عَالِمٍ مِن البَشَر إنَّمَا يَكْتَسب عِلْمَه مِن أُستَاذٍ يُهذبَه، ومَوقِف يُعْلمه، فَكأَنَّه وَرِث الْعِلْم عَنْهُ كمَا يَرِث الإبْن الْمَال مِن أَبِيه»[2]. وتَبعَه مِيْثَم فِي هَذا التَّفْسِير، وَقَالَ: «الْعِلْم ورَاثَة عَن الْعُلَمَاء»[3]. وَقَالَ شَارِح ثَالِث: «أَخْطَأَ الاِثْنَان، والحَقّ فِي التَّفْسِير أنَّ الْعِلْم يُؤخذ بِلا عِوض تَمَاماً كَالإرث»[4]... ولَو تَنبَه هَؤُلاَء الشَّارحُون لِقَول الإِمَام فِي الحِكْمَة رَقم لأَرَاحوا وآستَرَاحوا مِن هَذا التَّكلُّف والتَّعسُّف. قَالَ الإِمَام فِي هَذِه الحِكْمَة مِن جُملَة مَا قَالَ فِي الْعِلْم: «يَكْسِبُ الإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ، وَجَمِيلَ الأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ»[5] وهَذا بِالذَّات هُو مُرَاد الإِمَام بِقَوْلِه: «ٱلْعِلْمُ وِرَاثَةٌ كَرِيمَةٌ» فَإِنَّ كَلاَمَ

(١) إبْرَاهِيم: ٧.

(٢) أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة: ١٨/٩٣.

(٣) أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة: ٤/٣٨١.

(٤) أُنظر، العقد الفَرِيد: ١/٢٦٤ الطَّبعَة الثَّانِيَة.

(٥) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (١٤٦). (مِنهُ ﷺ).

الإِمَام يُفسر بَعْضَه بَعضاً، لأَنَّ مَصدَره وَاحد... وكُلّنا يَـعْلَم أَنَّ النَّـاس يَـذكرُون الإِنْسَان بَعد وفَاته بِأَفْعَالهِ، وصِفَاته، وإِنَّ الْعِلْم مِن الصِّفَات الجليّ.

(وَ ٱلْآدَابُ حُلَلٌ مُجَدَّدَةٌ). الحُلَل المُجَدَّدَةُ كنَايَة عَـن البَهـجَة والزِّيـنَة الدَّائِمـة، والْمُرَاد بِٱلآدَابُ هُنا الصِّفَات الحَـمِيدَة عِند الْعَقْل والعُقْلاَء، كَٱلْـبَلاَغَةِ، والذَّكَـاءِ، وحُسن السّلُوك، ومَا إِلىٰ ذَلِكَ مِن الفضَائِل الشَّخصِية، والاِجْتِمَاعِيَّة... نَقول هَذا مَع الْعِلْم أَنَّ تَحدِيد الْمَفَاهِيم ومَعَانِي الأَلْفَاظ مِن أَدق الأَشْيَاء وأَصْعَبها... ولكنْ هَذا مَا فَهْمنَاه مِن سِياق الكَلاَم، أو مَنْطِق الوَاقِع، فإِنْ كَان هَذا مَا أَرَادَه الإِمَام مَن كَلاَمه هُنا فَذَاك، وإِلّا فَإِنَّ الإِمَام لاَ يَرفض الْمَعْنَىٰ الَّذي فَهْمنَاه لأَنَّه حَقّ فِي نَـفْسه ومِـن حَيْث هُو.

(وَ الْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ) الْمُرَاد بِالْفِكْر هُنا القُوَّة الْمُدْرِكة العَاقِلة الَّـتي إِذَا أَعْـمَلها الإِنْسَان بَعِيداً عَن الْهَوَىٰ، والمُحَاكَاة دَلَّت عَلىٰ الْحَقِّ والصَّوَاب، كَنّىٰ الإِمَام عَن هَذِه الدِّلاَلة الصَّادِقَة بِالمرآة الَّتي تَعْكس الشَّيء كمَا هُو فِي وَاقِعه. وأَخذنَا هَذا التَّـفْسِير مِن قَول الإِمَامعليه السلام: «وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ»[1]. وقَوْلهعليه السلام: «وَلاَ عِلْمَ كَالتَّفَكُّرِ»[2] أي أَنَّ العِلْم بِلا تَفْكِير أَكْثَر خطُورَة مِن التَّـفْكِير الَّـذي لاَ يَـدْعَمه عِـلْم، كـمَا قَـالَ كُونفُوشيُوس.

٥ ـ وَ قَالَعليه السلام: «صَدْرُ الْعَاقِلِ صُنْدُوقُ سِـرِّهِ، وَ الْـبَشَاشَةُ حِـبَالَةُ الْـمَوَدَّةِ، وَ ٱلاِحْتِمَالُ قَبْرُ الْعُيُوبِ».

---

(١) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلرِّسالَة (٣١). (مِنهُ).

(٢) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكمَة (١١٢). (مِنهُ).

وَرُوِي أَنَّه قَالَ فِي ٱلعِبَارَة عَنْ هَذَا ٱلْمَعْنَىٰ أَيضاً : «ٱلْمَسْأَلَةُ خِبَاءُ ٱلْعُيُوبِ ، وَ مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّاخِطُ عَلَيْهِ » .

● (صَدْرُ الْعَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ) بَعْض الْحَاجَات لاَ يَسْتَقِيم قَضَاؤهَا إلاّ بِالكِتْمَان ، ومِن الْجَـهْل والْحُـمْق إِفْشَـاؤها وَإِذَاعـتهَا . . . وكَـان النَّـبيّ ﷺ : «إِذَا أَرَادَ غَـزوَاً وَرَّىٰ »(١) أَو « كُلَّما أَرَاد غَزْوَة وَرَّىٰ بِغيرِهَا إلاَّ غَزْوَة تَـبُوك فـإِنَّه أَظْـهَر مَـا كَـان يُرِيدَه »(٢) . وَمَن ضَاق بِسِرِّه فَلا يَلُومُنَّ مَن أَفْشَاه . وَالْحَقّ خَاصّ بِصَاحِبه ، وعَلَىٰ كُلّ إِنْسَان أنْ يَحتَرم هَذا الْحَقّ ويُقَدسه ، ويَحرُم التَّجَسُّس عَلَيْهِ . . . ولكنَّ الغَرب قَد ٱنتَهك هَذا الْحَقّ ، وٱخْتَرع لِلتَّجَسُّس عَـلىٰ الشّـعوب والْـبُيُوْت والْأَفـرَاد آلاَت مُذْهِلة شَدِيدَة الدِّقَة ، وقَد هُددت حُـرِّيَّة الإِنْسَـان وأَصْـبَحت حَـيَاته وأَسْرَّارَه مُشَاعاً لِلَّذِين يَمْلكُون هَذِه الآلاَت ، وَيَبِيعُونها كَالسِّلعَة لِمَن يَدفع الثَّمَـن ، وفَـتَحوا بنُوكَاً وحوَانِيت لِبَيعها عَـلاَنِية ، وعَـلىٰ عِـلم مِـن السُّـلطة الَّـتي تَـصُون الأمـن وَالْحُرِّيَّات .

وهَكذا حَوَّلوا الْعِلْم لصَّالح الإِنْسَان وخِدْمَته إِلىٰ الْإِضرَار بِهِ ، والإِعْتدَاء عَلَيْهِ والْقَضَاء عَلىٰ حُرِّيَّته ، وفَرضُوا عَلَيْهِ لَوناً جَدِيداً مِن الضَّغط لاَ نَـظِيرَ لهُ حَـتَّىٰ فِي

(١) أُنظر ، مَعَانِي الأَخْبَار : ٣٨٦ ح ٢٠ ، مُفرَدَات غَرِيب القُرآن : ٥٢٠ ، بِحَار الأَنْوَار : ٢٥٨/٢١ ح ٦ ، مُسنَد مُحَمَّد بن قَيس البَجلي : ٨٠ ح ١٢٣ .

(٢) أُنظر ، صَحِيح البُخَاريّ : ١٠٧٨/٣ ح ٢٧٨٧ و : ١٦٠٣/٤ ح ٤١٥٦ ، سُنَن الدَّارمي : ٢٨٩/٢ ح ٢٤٥٠ ، سُنَن البَيْهَقِيّ الكُبرىٰ : ٤٠/٧ ح ١٣٠٥٨ ، المُصَنَّف لِابن أَبِي شَيبة : ٥٣٩/٦ ح ٣٣٦٦٣ ، المُعْجَم الكَبِير : ٥٣/١٩ ح ٩٥ ، فَتح البَاري : ١٥٩/٦ ، شَرح النَووي عَلىٰ صَحِيح مُسْلِم : ٩٩/١٧ ، السِّيرَة النَّبَوِيَّة : ٢١٤/٥ ، الجَامِع الصَّغير : ٧٥/١ ح ٨٨ ، التَّرغِيب والتَّرهِيب : ٣٦٠/٣ ، تَفسِير ٱبن كَثِير : ٣٩٨/٢ .

عصُور الجَهْل ، والتَّخَلُّف .

(وَ الْبَشَاشَةُ حِبَالَةُ الْمَوَدَّةِ) إذَا خَرَجَت الإبتسَامَة مِن القَلْب دَخَلْت فِي القَلْب تَمَاماً كَكَلِمَة الصِّدْق والإِخْلاَص ، أمَّا ٱبْتسَامَة المَكْر فَهِي وَكَلِمَة النِّفَاق سَوَاء ، تَخرُج مِن الحنَاجِر ، ولاَ تتَجَاوز الآذَان .

(وَ ٱلاِحْتِمَالُ قَبْرُ الْعُيُوبِ) الْمُرَاد بِالاِحْتِمَالُ هُنا الصَّبْر عَلىٰ كَلِمَة تَافِهَة أو حرَكَة نَابِيَة مِن زَوْجَةٍ ، أو وَلدٍ ، أو جَارٍ ، أو أي سَفِيه ، والْمُرَاد بِقَبْرُ الْعُيُوبِ أنَّ هَذا الصَّبْر فَضِيلة تَشْفَع فِي بَعْض الْعُيُوب ، أو تَستُرها ـ عَلىٰ الأَقل ـ وأيَّة جَدوىٰ مِن إظْهَار الْغَيْظِ ، والغَضبِ إلّا البَغْضَاء والشَّحْنَاء .

(وَ مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّاخِطُ عَلَيْهِ) كَثْرَة الادْعَاء تَدل عَلىٰ كَثْرَة الْعُيُوب ، ومَن ٱستَطَال عَلىٰ النَّاس بمَا فِيهِ أو بِزُورٍ يَدعِيه فَقَد فَتَح عَلَيْهِ أبوَاب الذَّم ، والطَّعن ، والسُّخرِية ، والاِسْتهزَاء ، والمَقت ، والكرَاهِية ... والعَالِم حَقّاً يَتوَاضع ويَتوَقع الخَطأ مِن نَفْسه ، والدَّعي اللَّصِيق بِأهل الْعِلْم يَرىٰ نَفْسه مَصْدَر الْحَقّ والصَّواب ... ولاَحَظتُ مِن تَتَبُّعي لأَقوَال الْعُلَمَاء وآرَائِهم أنَّ العَالِم بِحَقٍّ يَعرض رَأيه بِحَذَر ، أمَّا الضَّعِيف فِي مَعْرِفته فَيُؤكد أَقْوَاله جَازِماً بِأَنَّهَا الْحَقّ الَّذي لاَ رَيب فيِهِ ، وأنَّ غَيْرها هُرَاء وهَبَاء . والسِّر أنَّ القَوِّي بِعلمه يَعتَمد عَلىٰ الْعَقْل ، والضَّعِيف يَثق بِعَاطِفَته ، ويَقول بِوَحي مِنْهَا ، ويَظنّ أنَّه يَقول بِإمْلاَء الْعَقْل والوجدَان . وهَذا هو الجَهْل المُركَب .

٦ ـ وَ قَالَ ﷺ : «وَ الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ ، وَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ ، نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ فِي آجَالِهِمْ» .

● الْمُرَاد بِالصَّدَقَةِ هُنا كُلّ مَعُونَة تَسدّ حَاجَة مِن حَاجَات الْحَيَاة خَاصَّة كَانَتْ كَـإِغَاثَة الْمَـلْهُوف، أَمْ عَـامَّة كَـبِنَاء مِـيْتَم يَأوي الْمُـشَرِدِين، أَمْ مَـصْنَعاً يُـنْتج الغِذَاء،والكِسَاء، والدَّوَاء لِلمُحْتَاجِين. وأي دَوَاء أَكْثَر نَفْعَاً مِن خِـدمَة الْإِنْسَـان وَسَدّ حَاجَاته ؟

ولَيْسَت هَذِه الصَّدَقَة، أو الْمَعُونَة تُجِيب دَعْوَة الْمُضْطَر وَكَفَىٰ، بَل هِي أيضَاً دَوَاء وَخَلاَص مِن عَذَاب لِمَن ضَحىٰ وأَعَان يَوْم الحِسَاب، وَالْجَزَاء.

ويَأتي قَرِيباً قَول الْإِمَام عليه السلام: «مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُـوبِ الْـعِظَامِ إِغَـاثَةُ الْمَـلْهُوفِ، وَالتَّنْفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ»[1]. هَذا إِذا كَان الْمَلْهُوف، والْمَكْـرُوب وَاحِـداً، فَكَـيف بإِغَاثَة الْأَجْيَال، والْأُلُوف؟

(وَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ فِي آجَالِهِمْ). مِن عَمِلَ فِي دُنيَا لِمَنْفَعَة الْآخِرين ـ يَجد ثوَاب عَمَله مُجَسَماً نُصب عِينِيه فِي آخرَته.

٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «اَعْجَبُوا لِهَذَا الْإِنْسَانِ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ، وَ يَتَكَلَّمُ بِـلَحْمٍ، وَ يَسْـمَعُ بِعَظْمٍ، وَ يَتَنَفَّسُ مِنْ خَرْمٍ».

● الْمُرَاد بِالشَّحْمِ هُنا غَيْر اللَّحْم كَالجِلد الشَّفَاف الَّـذي يُـغطي شَـبَكَة الْـعَيْن ونَحوه، أمَّا العَظْم فَالْمُرَاد بِه الغُضرُوف، وهُو عَظم طَري. أَشَار الْإِمَام إِلىٰ أَرْبَـعَة أَعْضَاء: الْبَصَر، واللِّسَان، والسَّمْع، والْأَنْف. ولِلْعَيْن مُهِمَّتَان:

الْأُولَىٰ: أَنَّهَا نَافِذَة إِلىٰ القَلْب تَتسَرَب إِلَيْهِ مِنْهَا مَا تَرَاه فِي الخَارج.

---

(١) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٢٣).

المُهِمَّة الثَّانِيَة : أَنَّهَا مِرآة تَعْكس فِي كَثِير مِن الأَحْيَان مَا هُو مُودع فِي القَلْب مِن حُبٍّ وبُغضٍ ، وفِطْنَةٍ ، وبَلاَدَةٍ ، وخَيرٍ وشرٍّ ، مَعْنَىٰ هَـذا أنَّ الـعَيْن تُـعْطي القَـلْب ، وتَأخذ مِنْهُ ، تُؤثر فيهِ ، ويُؤثِر فِيهَا[١] . وأيضاً مَعْنَىٰ هَذا أنَّ كُلّ مَا فِي العَيْن لاَ بُدَّ أنْ يَكُون رَقِيقاً شَفَافاً يَحْكي عمَّا وَرَاء ، ونَقِياً صَافِياً يَنْعَكس فيهِ مَا تَقع عَلَيْهِ الـعَيْن ، ومِن البَدَاهَة أنَّ فِي اللَّحْم غِلظَة وكَثَافة ، وإنْ كَان اللَّحْم أَقل كَـثَافة مِـن العَـظْم ، والشَّحْم أَخَف ، وأَرَق مِن اللَّحْمِ ، وهُو أَشْبَه بـ«النِّيلُون» .

أَمَّا اللِّسَان فَهُو أَكْثَر الأَعْضَاء حَرَكَة وَقَبْضَاً وَبَسْطَاً . . . تَجْرِي حَرْكَته بِسُرعَة بِلا تَعب وكِلاَل عِند الكَلاَم ، والشَّرَاب ، والطَّعَام ، وعِند ٱبْتلاَع الرِّيق ، أو قَذفَه ، بل يَتْحَرك عِند السّكُوت ، وتَرك الطَّعَام والشَّرَاب . . . فٱستَدعىٰ ذَلِكَ أنْ يَكُون لَحْمَاً رَطِبَاً بِلا عَظْم وعَصَب ، وأنْ يَكُون فِي الفَم بِمَنزِلة الصَّـدر لِـلقَلْب صَـوناً لهُ مِـن العوَارض الخَارِجيَّة[٢] .

---

(١) لَقَد أَنْعَم الله بِهَا عَلَينا لِنَهتَدي بِهَا إلىٰ مصَالحِنَا ، ونَسْتَعِين بِهَا فِي حوَائِجنَا ، ونَنْظُر بِهَا مَلكُوت السَّموَات ، والأَرْض ومَا بَيْنَهُما ، ونَعْتَبر بِمَا فِيها مِن الآيَات ، فَلاَ بُدَّ أنْ لا نَنْظُر بِهَا إلىٰ مُحرَّم ، وإلىٰ صُورَة حَسِنَة بِشَهوَة نَفس ، أو نَنْظُر بِهَا إلىٰ مُسْلِم بِعَين الإِحْتقَار ، أو نَطلَع بِها إلىٰ عَيبِ مُسْلِم .

(٢) لَقَد أَنْعَم الله بِهِ ـ اللِّسَان ـ عَلينَا لِنُكثِّر بِهِ ذِكْر الله ، وتِلاَوت كتَابه ، ونُرشِد بِهِ خَلق الله إلىٰ طَرِيقه . فَـإذَا إسْتعملنَاه فِي غَيْرِ مَا خُلقَ لهُ فَقَد كَفَرنَا نِعْمَة الله فيهِ . وهُو أَعْظَم أَعْضَائنا عَلينَا ؛ فإنَّه صَغير جُرْمَه ، كَبِير إثْمَه . وجُرْمه إذْ مَا مِن مَوجُود ، أو مَعْدُوم ، خَالق ، أو مَخْلُوق إلاّ ويَتنَاولَه اللّسَان . والكُفْر ، والإيْمَان إنَّمَا يَعلمَان بِاللِّسَان . ورُبَّ كَلِمَة سَقَط فِيها أَبْعَد مَا بَيْنَ السَّماء ، والأَرْض . وروي أنّه «يُشرف كُلّ يَـوْم عَـلىٰ الأَعْضَاء ، فَيقول : كَيف أَنْتُم ؟ فَيقولُون : بِخَير إنْ سَلمنَا مِنْكَ ، ثُمّ يَقولُون : الله ، الله فِينا ! فإنَّا إنَّمَا نُـثَاب ، ونُعَاقَب بِكَ» . أورَدهُ الصَّدُوق فِي الخِصَال : ٦/١ بَاب الوَاحد ح ١٥ بِبَعْض الإِخْتِلاَف اليَسِير فِي الأَلْفَاظ . عَنْهُ بِحَار الأَنْوَار : ٢٧٨/٦٨ ح ١٤ .

وأمّا الأُذُن فَهِي الأَدَاة لِلصَّوت، والصَّوت يَحْمِله الهَـوَاء، ولاَ يَدْخُل إِلىٰ الأُذْن إلّا بَعد إنْكسَار حِدَّته، فَجَعَلها سُبْحَانَه عُضْواً لَيْناً لاَ لَحْماً مُسْتَرخِياً، ولاَ عَـظْماً صُلباً، بَل عَظْماً طَرِياً مُتَمَاسِكاً (١).

أمّا التَّنفس فِي الإِنْسَان فيقول أَهْل الإِخْتِصَاص أنَّ لهُ عَضلاَت كَثِيرة، وأَهَمّها الأَنْف، وَبِهِ يُسْتَغنىٰ عَن الفَم لاِسْتِنشَاق الهَوَاء، وقَد جَعَل سُبْحَانه تَجـوِيفه بِـقَدْر الحَاجَة، ولَوكَان أَوْسَع مِمَّا عَلَيْهِ لدَخَل إِلىٰ الجَوف مِن الهَوَاء أَكْثَر مِن المَطْلُوب، أو أَضيَق لدَخَل دُونَ الْقَدَر اللاَزم، وأيضاً جَعَل التَّجوِيف مُسْـتَطِيلاً لِـيَنحَصر فـيهِ الهَوَاء وتَنْكَسر حِدَّته قَبل أنْ يَصل إِلىٰ الدِّمَاغ، وإلّا بِقوّته وأَوْقَفه عَن الحَرَكَة.

⇐ وروي «هَل يُكبّ النّاس عَلىٰ مناخِرهم إلّا حَصَائِد أَلسِنَتهم». هَذا مَقْطَع مِن وَصِيَّة الإِمـام مُـوسىٰ بـن جَعْفرعليه‌السلام، لِهشَام بن الحَكَم. أُنظر، تُحف الْعُقُول: ٢٩٤، عَنهُ بحَار الأَنْوَار: ١/١٥٠.

(١) لَقد مَنَّ الله بِها عَلينا ـ أي الأُذُن ـ فَلاَ بُدَّ أنْ نَحفظهَا مِن الإِصغَاء إِلىٰ البِدْعَة، والْغِيْبَة، والفُحْش، والخَوض فِي البَاطِل، وذِكْر مَساوِيء النّاس؛ فإنَّها خُلقَت لنَا لِنَسمَع بِهـا كَلاَم الله، وسُنَّة نَـبِيّه، وحُكْـم أَولِـيَائه، وَنتَوصّل بِإستِفادة الْعِلْم بِهَا إِلىٰ رِضىٰ الرَّبّ، والنَّعِيم الدَّائِم. فإذَا أَصْغينَا بِها إِلىٰ البَاطِل هَلَكنَا، وخَسرنَا. أُورَد الْمجْلسي فِي البحار: ٧٢/٢٥٩ كتَاب العِشرَة بَاب الْغِيْبَة ح ٥٣. عَن كتَاب جَامِع الأَخْبَار قَالَ: قَالَ النَّبيّصلى‌الله‌عليه‌وآله: «نَزِّهُوا أَسمَاعكُم مِن إِسْتِمَاع الْغِيْبَة؛ فَإِنَّ القَائِل، والمُسْتَمع لَهَا شَرِيكَان فِي الأَثم». وأُنظر، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٣/٦١٢، وَرُوي: «أنّ الْمُستَمع شَرِيك القَائِل، وأَنَّ الْمُستَمع أَحد الْمُغتَابِين». أُورَده الْمجْلسي فِي بحَار الأَنْوَار: ٧٢/٢٢٦ كتَاب العِشرَة بَاب الْغِيْبَة فِي بيَان ح ١ عَن الرَّسُول الأَكْرَمصلى‌الله‌عليه‌وآله أَنّه قَالَ: «الْمُستَمِعُ أَحد الْمُغتَابِين»، أُنظر، مَجمَع الزَّوائد: ٨/٩١، إِحْيَاء عُلُوم الدِّيـن: ٣/١٢٨، حَـاشِية رَدّ المحتار: ٦/٧٣١، سُبل السَّلاَم: ٤/٢٠٨.

وَقَالَ الإِمَام عَليّعليه‌السلام: «السَّامِع لِلغِيبَة أَحَد الْمُغتَابِين». أُنظر، عُيُون الحِكَم والمَوَاعِظ: ٢٧، غُرر الحِكَم: ٥٥٨٣، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة لاِبن أَبِي ٱلحَدِيد: ٩/٦٥ و: ١٠/٤٥، جوَاهر المطَالب فِي مَنَاقب الإِمَام عَليّ لاِبن الدِّمَشْقِي: ٢/١٥٢ ح ٧١، المَنَاقب للخوَارزمي: ٣٧٥، كَشف الرِّيـبة: ٦٤، مُسْتَدرك الوَسَـائِل: ٩/١٣٣، شَرح مِئَة كَلِمة لِلبَحراني: ١٥٦، شَرح كَلِمَات أَمِير الْمُؤمِنِين لعَبدالوهّاب: ٣٧ تَحت رَقم «٤٦».

فَسُبْحَانَ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[(١)].

٨ ـ وَ قَالَ ﷺ : «إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَىٰ أَحَدٍ أَعَارَتْهُ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ، وَ إِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ».

● المُرَاد بِإِقْبَال الدُّنْيَا عَلَىٰ الإِنْسَان أَنْ يَنَال مِنْهَا مَا يُغْبَط عَلَيْهِ، أو يُحْسَد، والمُرَاد بإِعَارَتْه مَحَاسِنَ غَيْرِهِ أَنْ يُرْفَع فَوق مَنْزِلَته، كَمَّن سَادَ، ومَا هُو بِأَهل لِلسِّيَادَة.

ولَيْسَ مِن الضَّرُوري أَنْ تُنْسَب إِلَيْهِ فَضَائِل الآخرِين، كَمَا تَوهَم الشَّارِحُون، بَل قَد يَكُون ذَلِكَ، وقَد لاَ يَكُون، والمِعْيَار أَنْ يُقَدر بِأَكْثَر مِن ثَمَنه. وَالمُرَاد بِسَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ أَنْ تُبْخَس أَشيَاؤه، ويُبْهَظ حَقَّه ومَقَامه. والأَمثِلة عَلَىٰ ذَلِكَ لاَ تُحْصَىٰ كَثْرَة، مِنْهَا: أَنْ يُؤَلِّف شَهِير كِتَاباً، فَيَقْبل عَلَيْهِ النَّاس ويَشْتَروه بِأغْلَىٰ الأَثمَان، ويَكِيلُوا لهُ المَدِيح بِلا حِسَاب، ويَسْتَشهدُوا بِكَلِمَاته كَدَلِيل عَلَىٰ الحَقّ!. وَلَو نُسبَ هَذَا الكِتَاب بِالذَّات إِلىٰ مَغْمُور مَجْهُول لأَعَرضُوا عَنْهُ... ورُبَّمَا سَخرُوا مِنْهُ.

وَأَوْضَح الإِمَام السَّبب المُوجِب بَيَّنَه بِقَوْلَه: «أَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، وَوَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ، فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا ـ أي الدُّنْيَا ـ وَلِمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا، وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا»[(٢)]. أَنَّه يُقْبل ويُدْبر بَوحي مِن دُنْيَاه ومَصْلَحته، وهُو يَظنّ أَنَّه مَا فَعَل، ومَا تَرَك إِلّا بِإِملاَء الحَقّ، والعَدْل.

---

(١) الأَعْلَىٰ: ٢ ـ ٣.

(٢) أُنظر، نَهْج البَلاَغَة: الخُطْبَة (١٠٩). (مِنْهُ).

٩ ـ وَ قَالَ ﷺ : «خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مِتُّمْ مَعَهَا بَكَوْا عَلَيْكُمْ، وَ إِنْ عِشْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ».

● فَرْقٌ بَعِيد بَيْنَ النِّفَاق وحُسْن المُعَاشرَة، فَالنِّفَاق أَنْ تَضمر البُغض وتُظهر الحبّ، أمَّا حُسن المُعَاشرَة فَهي أنْ تُحْسِن ولاَ تُسِيء، وتُحبّ ولاَ تَكْرَه، وتُعِين ولاَ تخذُل[1]... وبِهَذا تَكُون مَحْبُوباً عِند النَّاس يَبْكُون عَلَيْكَ إِنْ مُتَّ، ويَحْنُون عَلَيْكَ إنْ

---

(١) بِإختصَار: مَن يُظْهِر خِلاَف مَا يُبْطِن، لِيَخدع النَّاس. فَفِي هَذِه الحَالة يَتَّخذ الرِّيَاء اسماً آخر أَكْثَر إجرَاماً هُو (النِّفَاق)، والنيَّة السَّيئَة الَّتِي تُحركة أَكْثَر عُمْقاً، هِي تلون المُنَافِقِين.

فَرَذِيلة «النِّفَاق» مُرَكَّبَة؛ أمَّا رَذِيلَة «الرِّيَاء» فَبَسِيطَة. فَالمُرَائِي يَبْسط لِلنَّاس مفَاخره، دُونَ تَلْبِيس لِفكرِه، أو إخفَاء لمَشَاعِره الخَاصَّة تَحت ظَوَاهر خَادِعة، إنَّه يَبْسطهَا حتَّىٰ يَرَاها النَّاس، ويَعْجَبوا بِهَا؛ فَهُوَ يُشْعِر بِالحَاجَة إلىٰ تَشْجِيع خَارِجي يَسْتَثِير جُهُودَه، وهُو لاَ يَجد لَدَيه مِن القُوَّة الخَاصَّة المُحركة مَا يَكْفِي لِحَفزه إلىٰ أدَاء واجِبَاته. ولاَ يَجد هَذا الحَافز إلاّ حَيْث يُوجد الإِسْتِحسَان، والإِعجَاب، والمَدح، والتَّصفِيق، وسَائِر رُدُود الفِعْل المُمَاثِلة، الَّتِي يَتَنفس بَعدها الصُّعَدَاء.

هَذا النَّوع مِن التَّطفُل الأَخْلاَقِي، لاَ يَنْبَغِي أَنْ نَتَوقع لهُ شَيْئاً مِن الإِغْضَاء، عَلىٰ الرَّغم مِن مَظهرِه الوَادع؛ ولَقد حَكَم القُرْآن عَلىٰ الأَنْفس الَّتِي تَنشد ثَمَن الفَضِيلة فِي تَقدِير النَّاس ـ حُكماً قَاسِياً، غَاية فِي القَسوَة، فَأَعْلَن أَنَّ أَعْمَالهم هَبَاء، وبَاطِل. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾. ٱلْبَقَرَة: ٢٦٤، فَهُم: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ﴾. ٱلْبَقَرَة: ٢٦٤ وأَعْلَن أَنَّ أَشْخَاصهُم مُسْتَحقُون لِلوَيل: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾. ٱلْمَاعُون: ٤ ـ ٦.

ويُعد الحَدِيث بَيْنَ أَوَائل مَن تسعر بِهِمْ النَّار يَوْم القِيَامة ثَلاَثة:

أَوَّلهُم: «رَجُل أُسْتُشهد، فَأُتِي بِهِ، فَعَرَّفَه نِعَمه، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلت فِيها؟ قَالَ: قَاتَلتُ فِيكَ حَتَّىٰ أُسْتُشهِدتُ، قَالَ: كَذِبتَ، ولكنَّكَ قَاتَلت لأَنْ يُقَال: جَرِيء، فَقَد قِيل، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلىٰ وَجْهه حَتَّىٰ أُلقِي فِي النَّار». أُنظر، تَفْسِير القُرطُبي: ١/١٨، صَحِيح مُسْلِم: ٣/١٥١٣ ح ١٩٠٥، المُسْتَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحِين: ٢/١٢٠ ح ٢٥٢٤، السُّنَن الكُبرىٰ: ٣/١٧ ح ٤٣٤٥، مُسْنَد أحمد: ٢/٣٢١ ح ٨٢٦٠، جَامع العُلُوم والحِكَم: ١/١٥، التَّرغِيب والتَّرهِيب: ١/٢٨ ح ٢٨، نَيل الأَوطَار: ٨/٣٤.

غِبْتَّ. قَالَ سُبْحَانَه: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (١). وَقَالَ الإِمَام عَلِيّ ﷺ، لاِبْنِهِ الحَسَن ﷺ: «يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ، وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلاَ تَظْلِمْ كَمَا لاَ تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ» (٢)... «ولاَ خَير

↔ وثَانِيهُم: «رَجُل تَعلَم العِلم، وعَلَمَهُ، وقَرَأَ القُرآن، فَأُتي بِهِ، فَعَرَّفَه نِعمه، فَعَرَفَها، قَالَ: فَمَا فَعَلت فِيها؟. قَالَ: تَعلمتَ العِلم، وعَلمتَه، وقَرأتُ فِيك القُرآن قَال: كَذِبت، ولَكنَّك تَعلمتَ العِلم لِيُقَال: عَالِم، وقَرَأت القُرآن لِيُقَال: هُو قَارئ، فَقَد قِيل، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِب عَلىٰ وَجهه حَتَّىٰ أُلقِي فِي النَّار». أنظر، تَفسِير القُرطُبي: ١/١٨، سُنَن النَّسائي (المُجتبىٰ): ٦/٢٣ ح٣١٣٧، صَحِيح مُسْلِم: ٣/١٥١٣ ح ١٩٠٥، السُّنن الكُبرىٰ: ٣/١٧ ح ٤٣٤٥، جَامع العُلوم والحِكَم: ١/١٥، التَّرغِيب والتَّرهِيب: ١/٢٨ ح ٢٨ و١٧٧، نَيل الأَوطَار: ٨/٣٤.
وثَالِثهُم: «رَجُل وَسع الله عَلَيْهِ، وأَعطَاه مِن أَصنَاف المَال كُلَّه، فأُتِي بِهِ، فَعَرَّفَه نِعمَه فَعَرَفَها، قَالَ فَمَا عَمِلت فِيها؟. قَالَ مَا تَركتُ مِن سَبِيل تُحبّ أَنْ يُنفَق فِيهَا، إِلاّ أَنفَقت فِيها لَكَ، قَال: كَذِبت، ولكنَّك فَعلتَ لِيُقَال: هُو جَوَاد، فَقَد قِيل، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلىٰ وَجهه، ثُمَّ أُلقِي فِي النَّار»، «أُولَئِكَ أَوّل خَلق الله تُسعَر بِهِمْ نَار جَهَنم». أُنظر، المَصَادر السَّابقة، وصَحِيح أَبن حبَّان: ٢/١٣٧، المُستَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحِين: ١/٥٧٩ ح ١٥٢٧، موَارد الظَّمآن: ١/٦١٩، التَّخويف من النَّار: ١/٢٠٥، سُنن النَّسائي (المُجتبىٰ): ٤/٥٩١، بحَار الأَنوَار: ٦٩/٣٠٥.

ومِن الوَاضح أَنَّ النَّاس، فِي هَذِه النِّيَّات الخَربة، قَد أَصبَحوا مَوضُوع عِبادَة مُشترَك مَع الله سُبْحَانه. وقَد شَبه الرَّسُول ﷺ هَذِه الرَّذِيلة بِعبَادَة الأَوثَان، وأَسمَاهَا: «الشِّرك الأَصغَر». أُنظر، مُسْنَد أَحمَد: ٥/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩ مِن حَدِيث مَحمُود بن لَبِيد بن عقْبَة بن رَافع الأَوسي الأَشهلي، زُبدة البَيَان: ١٣٦، الثَّمر الدَّاني: ٦٧٨، مُستَدرَك الوَسَائِل: ١/١٠٧، حَاشِية رَدّ المحتار: ٦/٧٤٧، عوَالي اللّئالي: ٢/٧٤، سُبل السَّلاَم: ٤/١٨٥، بحَار الأَنوَار: ٦٩/٢٦٦، عِدة الدَّاعي: ٢١٤، مُنيَة المُرِيد: ٣١٧.

وقَد خَصَصَّ الأَخلاَقِيُون المُسْلِمُون، وبخَاصَّة المُحَاسِبي. والغَزَّالي فصُولاً مُمتَازة لِبَحث منَابع هَذا الفَسَاد القَلبِي، وأَشكَاله، وأَدوِيته. ولمَّا كَان هَدفنا الجَوهَري أَنْ نَستَنبط المَبادىء العَامّة المَوجُودة فِي القُرآن فإنّنا نُحِيل القَارىء إِلىٰ هَذين المُؤلفِين بِالنِّسبة إِلىٰ كُلّ المسَائِل التَفصِيلية. أُنظر، دُستُور الأَخلاَق فِي القُرآن لِلدُّكتُور مُحَمَّد عَبدالله دَرَاز، بتِبتَحقِيقنَا. (بِتصَرف).

(١) البَقَرَة: ٨٣.

(٢) أُنظر، نَهج البَلاَغَة: مِن وَصيةٍ لهُ ﷺ تحت رَقم (٣١). وَوَرد فِي بَعض الوَصَايا فِي حَقّ المُؤمن عَلىٰ أَخِيه ↔

فِيمَن لاَ يَألف ولاَ يُؤلف»[١]. ومِن أَقْوَال الإِمَامِ عليه السلام: «أَسْوَأ النَّاس حَالاً مَنْ لَمْ يَثق بِأَحدٍ لسُوء ظَنّه، ولَمْ يَثق بِهِ أَحد لسُوء فِعْله»[٢]. وَقَالَ عليه السلام: «وَرُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ، وَقَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ، وَالْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ مَنْ تَعَدَّىٰ الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ، وَمَنِ ٱقْتَصَرَ عَلَىٰ قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَىٰ لَهُ، وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ سُبْحَانَهُ»[٣].

١٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «إِذَا قَدَرْتَ عَلَىٰ عَدُوِّكَ فَٱجْعَلِ الْعَفْوَ عَنْهُ شُكْراً لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ».

● عَلَمَتنِي التَّجربَة وتِكرَارهَا أَشْيَاء:

مِنْهَا: أَنَّ مَن فَرَّ إِلَىٰ الله وقَرَع بَابَه مُخْلِصاً أَغَاثَهُ، وَشَمَلهُ بِعنَايتَه.

⇐ المُؤمِن: «أَيسَر حَقٍّ مِنهَا أَنْ تُحِبّ لهُ مَا تُحِبّ لِنَفسك». أُنظر، الكَافِي: ٢/١٦٩ و ١٧٤، الخِصَال: ٢/٣٥٠ ح ٢٦، أَمَالي الشَّيخ الطّوسي: ١/٩٥، مُستدرك الشِّيعة: ١٠/١٣٣، شَرح الأَزهَار: ١/٦.

(١) أُنظر، مُسْنَد أحمَد: ٢/٤٠٠ و: ٥/٣٢٥، السُّنن الكُبرىٰ: ١٠/٢٣٧، مَجْمَع الزَّوائِد: ١/٥٨ و: ٨/٢١ و: ١٠/٢٧٣، المُصَنّف: ٨/١٦١ ح ٢٩، المُعْجَم الصَّغير: ١/٢١٨، المُعْجَم الأوسَط: ٤/٣٥٧ و: ٦/٥٨ و ١٢١، المُعْجَم الكَبير: ٩/٢٠٠، نُزهة النَّاظر وتَنبِيه الخَاطر: ٣٠، الجَامِع الصَّغير: ٢/٦٦١ ح ٩١٤٦، كَنز العُمَّال: ١/١٥٥ ح ٧٧٢ و: ٣/١٠ ح ٥١٧٩، كَشف الخَفاء: ١/١٧٥ ح ٥٢٢ و: ٢/٢٩٥ ح ٢٦٩٨، أَمَالي الشَّيخ الطُّوسي: ٤٦٢، وَسَائِل الشِّيعة: ١٢/١٨ ح ٨، الكَافِي: ٢/١٠٢ ح ١٦، فِقه السُّنَّة لِلشَّيخ سَيِّد سَابق: ٥٩٩.

(٢) أُنظر، كَنز الفوَائِد: ٢٨٣، بِحَار الأَنْوَار: ٧٥/٩٣ ح ١٠٤. وفِي شَرح نَهْج البَلاَغَة لِابن أَبي الحَدِيد: ٢٠/٣١١، وردَت الحِكمَة (٥٦٨) هَكَذا: «مَنْ لَمْ يَثق لَمْ يُوثَق بِهِ».

(٣) أُنظر، نَهْج البَلاَغَة: مِن وصيةٍ لهُ عليه السلام إِلَىٰ ابْنِهِ الإِمَام الحَسَن عليه السلام رَقم الرِّسَالَة (٣١). (مِنْهُ).

وأُنظر، قَريب مِن هَذا بِلَفظ: «القَرِيب مَن قَرَّبته الأَخلاَق» فِي الكَافِي: ٢/٦٤٣ ح ٧، وتُحف العُقُول: ٢٣٤، وَسَائِل الشِّيعة: ١٢/٥٢ ح ٤، كَنز العُمَّال: ١٦/١٢٢و ١٨١ ح ٤٤١٤٣ و ٤٤٣٩٢، تَاريخ بغدَاد: ٣/٣٠٨، عُيُون الحِكَم والمَوَاعِظ: ٢٦٦.

وَمِنْهَا: أنَّ مَن شَكَرَ القَلِيل مِن فَضلهِ تَعَالىٰ زَادَه أَضْعَافاً، ومَن رَفْضَه، وتَبَرَّم بِهِ طَلباً لِلكَثِير عَاقبةُ بِالحِرمَان، وإنَّ مَن أَبىٰ إلّا القِصَاص بِيدَه مِمَّن أسَاء إِلَيْهِ تَرَكَه سُبْحَانَه وشَأنه يُشفِي غَيظَه مِن عَدوّه إنْ آستطَاع، وإنَّ مَن عفَا عَن حَقّه الخَاصّ لوَجه الله كَان لهُ نَاصِراً، وعَوّض عَلَيْهِ أَضْعَافاً مُضَاعَفة. ويَأتِي قَول الإمَام عليه السلام: «أَوْلَىٰ النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَىٰ الْعُقُوبَةِ»[١]. وقَوْله عليه السلام: «أَوَّلُ عِوَضِ الْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَىٰ الْجَاهِلِ»[٢].

١١ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ آكْتِسَابِ الإِخْوَانِ، وَ أَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ».

● قَالُوا فِي تَعرِيف الصَّدِيق وصِفَاته وأَكثَرُوا. والوَصف الدَّاخِل فِي مَاهِيتَه، أو اللاَّزم هَا هُو أنَّ الصَّدِيق حَقّاً ووَاقِعاً يَرفُض الشَّائِعَات عَن صَدِيقَة حَتَّىٰ ولَو كَان عَلىٰ جَهلٍ بِمَصدرهَا. وهَذا الصَّدِيق ثَروَة وعِدَّة فِي الدِّين والدُّنْيَا[٣]، قَالَ تَعَالىٰ

---

(١) أنظر، نَهج البَلاغَة: الحِكْمَة (٥١).

(٢) أُنظر، نَهج البَلاغَة: الحِكْمَة (٢٠٥).

(٣) بِغَض النَّظر عمَّا وَرَد عَن النَّبيّ صلى الله عليه وآله، وأَهْل البَيت عليهم السلام، مِن أَحَادِيث فِي حَقّ الصَّدِيق والصَّدَاقة، لِأَنَّهَا لاَ تُحصىٰ، بَل نَنقُل نُتف مَا قَاله الحُكَمَاء، والعُلمَاء، والكُبرَاء.

قَالُوا: ومِمَّا يَجب لِلصَّدِيق عَلىٰ الصَّدِيق النَّصِيحة جُهده، لأنَّ صَدِيق الرَّجُل مِرآته، يُريه حَسَنَاته، وسَيئَاته.

وقَالُوا: الصَّدِيق مَن صَدَقَكَ وِدَّه، وبَذَل لَكَ رِفدَه.

وقَالت الحُكَمَاء: ومِمَّا يَجب لِلصَّدِيق عَلىٰ الصَّدِيق، الإِغْضَاء عَن زَلاّته، والتَّجاوز عَن سيئَاته، فإنْ كَان رَجع وأَعْتب، وإلاَّ عَاتبه بِلا إكثَار، فَإنَّ كَثرَة العِتَاب مَدرجة لِلقَطِيعَة.

حِكَايَّة عَن أَهْل النَّار: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[1].

وقِيل لِحَكِيم قَدِيم: مَا أَفْضَل مَا يقْتَنِيه الإِنْسَان؟ فقَال: «الصَّـدِيق المُخْـلِص». وإذَا كَان الإِخْوَان أَفْضَل قوَّة وثَروَة يَقْتَنِيهَا الإِنْسَان فَمِن الْـعَجْز أنْ تَـعِيش بِـلا أَصْدِقَاء، وإنْ ضَيَّعتَ وَاحداً مَنْهُم بَعد الظَّفر بِهِ فَأنتَ أَخْسر الفَاشِلِين، كـما قَـالَ الإِمَام[2].

⇐ وَقَالَ الأَحْنف: مِن حَقِّ الصَّدِيق أنْ يَتَحمل ثَلاَثاً: ظُلم الغَضَب، وظُلم الدَّالة، وظُلم الهَفوَة.

وقِيل لِبُزُرْجُمهر: مَن أَحبّ إِلَيْكَ، أَخُوك أو صَدِيقك؟ قَالَ: مَا أُحبّ أَخِي إلاَّ إذَا كَان صَدِيقاً.

وَقَالَ أكثم بن صَيفي: القَرَابَة تَحتَاج إِلىٰ مَوَدَّة، والمَوَدَّة لاَ تَحتَاج إِلىٰ قَرَابَة.

وَقَالَ حَبِيب الطَّائي:

وَلَـقَد سَبَرتُ النَّاس ثُمَّ خَـبرتهُم ... ووَصَـفت مَـاوَصفُوا مِـن الأَسْبَاب

فَـإذَا الْـقرَابَـة لاَ تُـقرب قَـاطِعاً ... وإذَا المَـوَدَّة أَقـرَب الأَنْسَـاب

وقَالت الحُكَمَاء أيضاً: القَرِيب مَن قَرُب نَفْعه، وأَنْتىٰ ضَرّه.

وَقَالَ المُبَرِّد، ونِعْمَ مَا قِيل:

إذَا ذَهَب العِـتَاب فَـلَيْس وِدّ ... ويَـبقىٰ الوِدّ مَـا بَـقي العِـتَابِ

مَـا القُـرب إلاَّ لِمَـن صَحت مُـودَته ... ولَمْ يُخُـنكَ ولَـيْس القُـرب لِلنَّسَبِ

كِمْ مِن قَـرِيبٍ دَوِي الصَّـدر مُـضْطَغِنٍ ... ومِـن بَـعِيدٍ سَـلِيمٍ غَـيْر مُـقتَرِبِ

أُنظر، نَهج السَّعَادة لِلشّيخ المَحمُودي: ٧/٤١٩، ومَا بَعدَهَا، تَجِد فَصْلاً كَامِلاً حَول الصَّدِيق والصَّدَاقة، مَعْدن الجَوَاهر: ٣٧، تَأريخ دِمشق: ٢٤/٣٤٢، سِير أَعْلاَم النُّبلاء: ٤/٩٤، تَاج العَروس: ١/٣٦٥، شَرح نَهج ٱلبَلاَغة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ٣/٣٢١ و: ١٩/٢١٤، الصّحاح: ١/١٧٦، لِسَان العَرب: ١/٥٥٧، تَفْسِير القُرطُبي: ١٨/٥٤، كتَاب العَيْن للفرَاهِيدي: ٢/٧٦.

(١) ٱلشُّعَرَاء: ١٠١.

(٢) وفِي الحَدِيث المَرفُوع أَنَّ النَّبيّ ﷺ، بَكىٰ لَمَّا قُتل جَعْفر بن أَبِي طَالب ﷺ فِي مُـوْته، قَـالَ: «المَرْء كَـثِير بِأخِيه». أُنظر، مُسْنَد الشِّهاب: ١/١٤١ ح ١٨٦، الفِرْدَوْس بمأثور الخِطَاب: ٤/٢٠٥ح ٦٦٢٥، فَـيض ⇐

وَقَالَ بَعْض الشَّارِحِين: لِلصَّدَاقَة طُرق وأَسْبَاب، وَعَدّ مِنْهَا: «المُلاَقَاة بالبِشْرِ والطَّلاَقَة». والحَقّ أنّ السَّبب الوَحِيد لِلصَّدَاقة هُو التَّوَافق فِي الطِّبَاع حَتَّىٰ «إنَّ الطُّيُور عَلىٰ أشْكَالِهَا تَقع»(١). واشْتَهر عَن نَبي الرَّحْمَة ﷺ: «الأَرْوَاح جُنُود مُجَنَدة مَا تَعارف مِنْهَا إئتلف، ومَا تَنَاكر مِنْهَا اخْتَلف»(٢). وَتَقَدَّم

⇐ القَدِير: ٣٩٩/٢، تَهذِيب الكَمَال: ٣٦٩/١٤، كَشف الخَفَاء: ٢٦٤/٢ ح ٢٢٨٢ و ٢٧٩١.

وَقَالَ جَعْفَر بن مُحَمَّد ﷺ: «لِكُلِّ شَيء حِلْيَة، وحِلْيَة الرِّجَال أَودَاؤه». أنظر، نَهْج السَّعَادة: ٤٢٤/٧ و ٤٢٧ و ٤٢٩.

وأنشَد ابن الأَعرَابي:

لِعَمرُك مَا مَال الفَتَىٰ بِذَخِيرةٍ ... ولكنَّ إخْوَان الصَّفاء الذَّخَائِر

وكَان أبُو السِّخْتِيَاني يَقول: «إذَا بَلَغَني مَوْت أخ كَان لِي، فَكَأنَّمَا سَقَط عُضوٌ مِني.

وكَان يَقول: الإخْوَان ثَلاث طَبقَات: طَبَقة كَالغِذَاء لاَ يُستَغنىٰ عَنْه. وطَبَقة كَالدَّواء يَحتَاج إلَيه عِند المَرض. وطَبَقة كَالدَّاء لاَ يَحتَاج إلَيهِ أَبداً.

وكَان يَقول: صَاحِبُك كَرُقْعَة فِي قَمِيصُك، فأنْظر بِمَا تَرقع قَمِيصُك! أنظر، كَشف الخَفَاء: ١٨٩/٢ ح ٢٢٠٥، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٤٦٣/٥ ح ٧٥٩٣، لِسَان العَرب: ٣٠٢/٤، تَاج العَروس: ٢٢٣/٣.

وَقَالَ الشَّاعِر:

أَخَاكَ أَخَاك إنَّ مَن لاَ أخاً لهُ ... كَسَاعٍ إلىٰ الهَيجَا بِغَير سِلاَحِ

وإنَّ ابن عَمّ المَرْء فاعلَم جَنَاحه ... وهَل يَنْهَض البَازي بِغَير جنَاحِ؟

أنظر، شَرح نَهْج البَلاَغَة لابن أبِي الحَدِيد: ١١١/١٨، ومَا بَعْدَها، وتُنسب هٰذِه الأَبْيَات إلىٰ مسكِين الدَّارمي، واسمه رَبِيعة بن عَامر، قِيل: إنَّه طَلب مِن مُعَاوِية أنْ يَقرض لهُ، فَلم يَفعَل فقَال فِي ذَلِكَ شِعراً. أنظر، دِيوَانه، الَّذي جَمَعهُ خَلِيل العَطِيه، وعَبدالله الجبُوري، طَبعتة جَامِعَة بَغدَاد الطَّبعة الثَّانِيَة، الإيضَاح لابْن شَاذَان: ٣٦٣، تَأريخ دِمَشق: ٥٣/١٨، شَرح الرَّضِيّ عَلىٰ الكَافِية: ٤٨٥/١، كَشف الخَفَاء: ٣٧٨/١ ح ١٢١٣.

(١) أنظر، السَّيْف الصَّقِيل رَدّ ابن زَفِيل للسُّبكي: ٩٣.

(٢) أنظر، صَحِيح مُسْلِم: ٢٠٣١/٤ ح ٢٦٣٨، صَحِيح البُخَاريّ: ١٢١٣/٣ ح ٣١٥٨، صَحِيح ابن حبّان: ٤٢/١٤ ح ٦١٦٨، المُستَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحين: ٤٦٦/٤ ح ٨٢٩٦، سُنن أبِي دَاود: ٢٦٠/٤ ح ٤٨٣٤، ⇐

الكَلاَم عَن الصَّدِيق الصَّدَاقه، وفِيهَا يقول الإِمَام: «وَلَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ ٱتِّكَالًا عَلَىٰ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ»(١).

وَبَعد، فَلا مُتْعَة أَعْذَب مِن حَدِيث تَنْفُض بِهِ عَن قَلْبك غُبَار الآلاَم، والأَشجَان أَمَام صَدِيق يُصغِي إِلَيْكَ بِروح زَاكِية تَطمَئِن إِلَيْهَا، وعَاطِفَة دَافِئة تَلجأ إِلَيْهَا... ومَن فَقَد مُتْعَة الإِحْسَاس بِالصَّدَاقة فَقَد حَرمَهُ الله أَجْمل مَا فِي الحَيَاة، وإِنْ كَان بَيْته مُترَفاً ومُزَخْرَفاً.

١٢ ـ وَ قَالَ ﷺ: «إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النِّعَمِ فَلَا تُنَفِّرُوا أَقْصَاهَا بِقِلَّةِ الشُّكْرِ».

● المُرَاد أَطْرَافُ النِّعَم أَوَائِلها، أو القَلِيل مِنْهَا، وبِأَقْصَاهَا نمُوّها وزِيَادتها، والمَعْنَىٰ أَنَّ الله سُبْحَانَه إِذَا أَحدَث لَكَ نِعْمَة فَأَحفِظهَا وعِظّمها بِالشُّكر والتَّدبِير، مِن أي نَوع كَانَتْ وتَكُون، وإِنْ حَقَّرتهَا وقَصَّرْتَ فِي حِفظها وشُكرهَا سَلْبَها الله مِنْك، وحَرَمك مِن غَيْرها. وتَقَدَّم قَول الإِمَام ﷺ: «وَٱسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللهُ عَلَيْكَ، وَلَا تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللهِ عِنْدَكَ، وَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْكَ»(٢).

وَقَد مَنَّ سُبْحَانَه عَلَىٰ المُسْلِمِين بِدَولة كَرِيمَة فَلَم يَشكرُوها بِالجِهَاد والإِخْلاص وأَضَاعُوها بِالخِلاَفَات وٱتْبَاع الشَّهوَات، فَسِيمُوا الخَسْف جَزَاءً وِفَاقاً.

⇐ المُعْجَم الأوسط: ١٦١/٢ ح ١٥٧٧، مَجْمَع الزَّوائد: ٣١٤/٢ و: ٨٧/٨، مُسْنَد أحمَد: ٢٩٥/٢ ح ٧٩٢٢، مُسْنَد أَبي يَعلىٰ: ١٣٠/١، الفِرْدَوْس بمأثور الخِطَاب: ١٢٣/١ ح ٤٢٣، تَفْسِير ٱبن كَثِير: ٧٥/٣.

(١) أنظر، نَهج ٱلْبَلاَغة: ٱلرِّسالَة (٣١). (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أنظر، نَهج ٱلْبَلاَغة: ٱلرِّسالة (٦٩). (مِنْهُ ﷺ).

١٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «مَنْ ضَيَّعَهُ الْأَقْرَبُ أُتِيحَ لَهُ الْأَبْعَدُ».

● لاَ تَيأس إذَا أَصَابَك شَرّ مِن الْأَقَارِب، والْأَرْحَام فَأبوَاب الْخَيْر، والنَّجَاح عِند الله لاَ يَبلغها الإِحْصَاء، فإنْ أَغْلَق دُونك بَاب مِنْهَا فَتَح عَلَيْكَ مَا هُو خَيْر وأَجدىٰ... ومَن تَوكلَّ عَلَيْهِ كفَاه حَتَّىٰ ولَو كَاد لهُ أَهْل السَّمٰوات والْأَرْض ومِن بَيْنَهُنَّ[1].

١٤ ـ وَقَالَ عليه السلام : «مَا كُلُّ مَفْتُونٍ يُعَاتَبُ».

● الْمُرَاد بِالمَفْتُون هُنا مَن فَعْل مَا لاَ يَنْبَغي فِعْله، والْمَعْنَىٰ إذَا رَأيتَ شِذُوذاً مِن إِنْسَان فَلا تُبَادر إلىٰ لَوْمِهِ وعتَابِهِ قَبل أَنْ تَعرف السَّبب المُوجب، فَآبْحَث وأُنظر، فإنْ كَان السَّبب مَشرُوعاً كَمن أَكل مِن ٱلْمَيْتَة أو سَرَق رَغِيفاً لِسَدّ الجوعَة فَهُو مَعْذُور إذَا ٱنْحَصَر سَبب الحيَاة بذَلِكَ، أوكَان جَاهِلاً بِلا تَقصِير، وإنْ كَان لِمُجَرد الْهَوَىٰ وَاللاَمُبَالاة بِالدِّين والقِيم فهُو مَأزُور، وعَلَيْكَ أَنْ تُرشدَه بِالحُسْنىٰ... أَللَّهُمَّ إلَّا مَع الْيَأْس مِن صَلاَحه وإِصْلاَحه كَابن عُمر، وآبن وقَاص، وآبن مُسِيلمَة حَيْث

(١) قَالَ آبن أَبِي ٱلْحَدِيد فِي شَرح ٱلْنَهج: ١١٨/١٨: إنَّ الإِنْسَان قَد يَنْصُره مَن لاَ يَرجو نَصْرَه، وإنْ أَهْمَله أَقرَبُوه وخَذَلوه، فَقَد تَقوم بِهِ الْأَجَانب مِن النَّاس، وَقَد وَجدنَا ذَلِكَ فِي حَقّ رَسُول الله صلى الله عليه وآله، ضَيعَه أَهْله ورهْطه ـ مَا عَدَا أَهْل بَيْته عليهم السلام ـ مِن قُرَيْش وخَذلُوه، وتَمَالَئوا عَلَيْهِ، فقَام بِنَصرَه الأَوس والخَزرَج، وهُم أَبْعد النَّاس نَسَباً مِنْه، لأنَّه مِن عَدنَان وهُم مِن قَحْطَان، وكُل وَاحد مِن الفَرِيقِين لاَ يُحبّ الآخَر حَتَّىٰ تُحبّ الأَرض الدَّم. وقَامت رَبِيعَة بِنَصر عَليّ عليه السلام فِي صِفِّين، وهُم أَعْدَاء مُضر الَّذِين هُم أَهْله ورِهْطه. وقَامت اليَمن بِنصر مُعَاوِيَة فِي صِفِّين، وهُم أَعْدَاء مُضر، وقَامت الخُرَاسَانِية، وهُم عَجَم بِنَصر الدَّولة العبَّاسِيَّة، وَهِي دَولة العَرب. وإذَا تَأملت السِّير وجَدت هَذا كَثِيراً شَائِعاً.

أَحْجَمُوا عَن بَيْعَة الإِمَام، ولَمْ يَنصرُوا حَقّاً، وَيَخذُلُوا بَاطِلاً[(١)].

١٥ ـ وَ قَالَ: «تَذِلُّ الْأُمُورُ لِلْمَقَادِيرِ، حَتَّىٰ يَكُونَ الْحَتْفُ فِي التَّدْبِيرِ».

(١) قَالَ آبن أَبِي ٱلحَدِيد فِي شَرح ٱلنَّهج: ٩/٤: «بَايعهُ المُسْلِمُون بِالمَدِينَة إِلاَّ مُحَمَّد بن مَسْلَمة، وعَبدالله بن عُمر، وأُسامة بن زِيد، وسَعد بن أَبِي وَقَّاص، وكَعب بن مَالك، وحَسَّان بن ثَابت، وعَبدالله بن سلاَّم.
فَأمرَ بِإحضَار عبدالله بن عُمر: فقَال لهُ: بَايع، قَالَ: لاَ أُبَايع حتَّىٰ يُبَايع جَمِيع النَّاس، فـقَال لهُ: فَأعطنِي حَمِيلاً ألاَّ تبرح، قَالَ: ولاَ أُعطيك حَمِيلا، فقَال الأَشْتَر: يَا أَمِير المُؤْمِنِين؟ إنَّ هَذا قَد أَمِن سَوطك وسَيفك، فَدعنِي أَضْرب عُنُقه، فقَال: لَستُ أُرِيد ذَٰلِكَ مِنْهُ عَلىٰ كُره، خَلّوا سَبِيله، فَلمَّا ٱنْصَرف، قَالَ أَمِير المُؤْمِنِين:
لَقَد كَان صَغِيراً وهُو سَيىء الخُلق، وهُو فِي كِبره أَسوأ خُلقاً.
ثُمَّ أَتىٰ بِسَعد بن أَبِي وَقَّاص، فقَال لهُ بَايع، فقَال: يَا أَبَا الحَسَن خَلّنِي، فإذَا لَمْ يَبق غَيْرِي بَايعتك، فوالله لاَ يَأتِيك مِن قِبَلي أَمراً تَكرَهه أبداً، قَالَ: صَدَق، خَلّوا سَبِيله.
ثُمَّ بَعث إِلىٰ مُحَمَّد بن مَسْلَمة، فلمَّا أَتَاه قَالَ لهُ: بَايع، قَالَ: إِنّ رَسُول الله أَمَرنِي إِذَا ٱختَلف النَّاس وصَاروا هَكذا ـ وشَبك بَيْن أَصَابعه ـ أَنْ أخرُج بِسَيفِي فَأَضرب بِهِ عَرض أحد فإذَا ٱنْقَطع أَتيتُ مَنزلِي، فَكُنت فِيهِ لاَ أَبرَحه حتَّىٰ تَأتِينِي يَد خَاطِية، أو مَنِيَّة قَاضِية. فقَال لهُ: فَأنطلق إذاً، فَكُن كمَا أُمرت بِهِ.
ثُمَّ بَعث إِلىٰ أُسَامة بن زَيد، فلمَّا جَاء قَالَ لهُ: بَايع، فقَال: إِنِّي مَولاَك ولاَ خِلاَف مِني عَلِيك، وسَتَأتِيك بَيْعَتِي إِذَا سَكن النَّاس، فَأمره بِالإِنْصِرَاف، ولَم يَبْعث إِلىٰ أَحد غَيْرِه.
وقِيل لهُ: أَلا تَبعث إِلىٰ حَسَّان بن ثَابت، وكَعب بن مَالك، وعَبدالله بن سلاَّم.
فقَال: لاَ حَاجَة لنَا فِيمن لاَ حَاجَة لهُ فِينا. أُنظر، الْفُتُوح لِابن أَعْثَم: ١٦٣، الطَّبعة القَدِيمَة. وهَذَا هُو الَّذي نُرجحَه، وَقَد عَالجنَا المَوْضُوع سَابقاً، وَلَيْس كمَا يَأتِي.
هَذِه الكَلِمَة «مَا كُلُّ مَفْتُونٍ يُعَاتَبُ» قَالها عَلِيّ لِسَعد بن أَبِي وَقَّاص، ومُحَمَّد بن مَسْلَمة، وعَبدالله بن عُمر لمَّا ٱمتَنعُوا مِن الخرُوج مَعهُ لِحَرب الجَمَل، ونَظِيرها، أو قَرِيب مِنْهَا قَول أَبِي الطَّيِّب:

فَمَا كُـلّ فَـعَّال يُجـازىٰ بِـفعْلِه ... ولاَ كُـلّ قَـوَّال لَـدَىٰ يُجَـاب
وَرُبَّ كَلاَم مَرَّ فَوق مَسَـامعِي ... كمَا طَنَّ فِي لَفح الهَجِير ذُبَـاب

أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة: ١١٩/١٨.

● يُحَذِّر الإِمَام بِهَذا مِن المُخبآت والمُفاجآت الَّتي لاَ تَرَاها العُيُون، ولاَ تُومىء إِلَيْهَا القَرائِن مِن قَرِيبٍ، أو بَعيدٍ، يُحَذِّر كلّ إِنْسَان مِن ذَلِكَ كِي يَحتَاط ويَحتَرس... عَلىٰ أنَّ الوقَايَة مِن الهَلاَك قَد تكُون هِي السَّبب المُوجب لهُ، كَالطَّبِيب يَصفُ نَوعَاً مِن الدَّواء لِمَرِيضه بِقَصد الشِّفاء، فَيَقضي عَلَيْهِ، أو يَتَحصن الجَيش مِن عَدوّهِ فِي مكَانٍ مَلغُومٍ، أو يَفرّ مِن الجِهَاد طَلَباً لِلسَلاَمة فَيَقع فِيما هُو أدهىٰ وأَمرّ[1].

١٦ ـ وَسُـئِلَ عليه السلام عَـنْ قَـوْلِ الرَّسُـولِ صلى الله عليه وآله: «غَـيِّرُوا الشَّـيْبَ، وَ لَا تَشَـبَّهُوا بِالْيَهُودِ»[2]. فَقَالَ عليه السلام: إِنَّمَا قَالَ صلى الله عليه وآله ذَلِكَ وَ الدِّينُ قُلٌّ، فَأَمَّا الآنَ وَ قَدِ اتَّسَعَ نِطَاقُهُ،

---

(١) قَالَ ابن أبي الحَدِيد فِي شَرحهِ النَّهج: ١٢٠/١٨ ومَا بَعدها: «إِذَا تَأملت أحوَال العَالَم وَجَدت صِدق هَذِهِ الكَلِمَات ظَاهِراً، ولَو شِئنا أنْ نَذكر الكَثِير مِن ذَلِكَ لِذَكرنَا مَا يَحتَاج فِي تَقيده بالكِتَابة إِلىٰ مِثل حَجم كتَابنا هَذَا ـ أي شَرح نَهج البَلاَغة ـ ولكنَّا نَذكر لمحاً، ونُكتاً، وأطرَافاً، ودُرراً مِن القَول:

فَرَش مَروان بن مُحَمَّد ـ ولَقد لقيٰ عبدالله بن عَليّ ـ أنطَاعاً وبَسط عليها المَال، وَقَالَ: مَن جَاءني بِرأسٍ فَله مِئة دِرهم، فَعَجزت الحَفظة والحُرَاس عَن حمَايته، واشتَغلت طَائِفَة مِن الجُند بِنَهبه، وتَهافَتَ الجَيش عَلَيْهِ لِينتَهبوه، فَغَشيهُم عَبدالله بن عَليّ بعسَاكره، فَقَتل منهُم مَا لا يُحصىٰ، وهَزَم البَاقون.

وقَد دَبرت مِن قِبل قُرَيْش فِي جَمَاعَة العِير بِأنْ تَفرّت عَلىٰ الصَّعبِ، والذّلول لِتَدفع رَسُول الله صلى الله عليه وآله عَن اللَّطِيمة ـ قَافلة تَحمل العطُور ـ فكَان هَلاكها فِي تَدبِيرها.

وكُسرت الأَنصار يَوْم أُحد بِأنْ أخرجَت النَّبيّ صلى الله عليه وآله عَن المَدِينة ظَناً مِنْهَا أنّ الظَّفر والنُّصرة كَانَتْ بِذَلك، وكَان سَبب عَطَبها وظَفر قُرَيْش بِها، ولَو أقَامت بَيْن جُدران المَدِينة لَمْ تَظفر قُرَيْش مِنْهَا بِشَيء.

ودَبر أبُو مُسْلِم الدَّولة الهَاشِمية وقَام بِها حتّىٰ كَان حَتفه فِي تَدبِيره، والأَمثال كَثِير، بِغَير الشَّرّ فَدَفع الشَّرّ بِمَا هُو شَرّ مِنْهُ.

(٢) أنظر، سُنَن النّسائي: ١٣٨/٨، مُسْنَد أحمَد: ١٦٥/١ و: ٢٦١/٢ و: ٢٤٧/٣، نَيل الأَوطَار: ١٤٥/١، فَتح البَاري: ٣٠٠/١٠، سُنَن التّرمِذي: ١٤٤/٣ ح ١٨٠٥، مَجمَع الزَّوائد: ١٦٠/٥، تُحفَة الأَحوَذي: ٣٥٣/٥، السُّنَن الكُبرىٰ: ٤١٥/٥ ح ٩٣٤٤ و ٩٣٤٥، مُسْنَد أبي يَعلىٰ: ٤٢/٢، تَأرِيخ ابن عسَاكر: ↩

وَ ضَرَبَ بِجِرَانِهِ، فَٱمْرُؤٌ وَ مَا ٱخْتَارَ.

● الدِّينُ قُلٌّ أي لَمْ يَنْتَشر بَيْنَ النَّاس ويَكثر أَتْبَاعه. والنِّطَاقُ: الْحِزَام. والجِرَانِ مقَدم البَعِير يَضرب بِهِ الأَرْض إذَا ٱستَرَاح، وكَان النَّبيّ ﷺ قَد أَمر الشّيوخ مِن أَصْحَابه أنْ يَستِروا الشَّيْب عَن العَدوّ بِالخِضَاب لِيَظهرُوا أَمَامه فِي هَيئَة الْأَقْوِيَاء. فَقَال الإمَام: ذَاكَ حَيْث كَان الْإِسْلاَم ضَعِيفاً بِقلَّة أَتْبَاعه، أَمَّا اليَوْم وَقَد ظَهر عَلىٰ الدِّين كُلّه فَلَم يَبق لِهَذا الحُكم مِن مَوْضُوع، فَمن شَاء فَليَترُك الخِضَاب، ومَن شَاء فَليَخضب، وبهذا القَصد أَلغىٰ عُمر سَهم المُؤلفَة قُلوبهم.

وَتَسْأَل: أَلّا يَتَنافىٰ هَذا مَع الحَدِيث المَشهُور عَن الرَّسُول الله ﷺ: «حَلاَل مُحَمَّد حَلاَل أَبَداً إِلىٰ يَوْم الْقِيَامَة، وَحَرَامه حَرَام أَبَداً إِلىٰ يَوْم الْقِيَامَة؟»[1].

الجَوَاب:

إِنَّ الأَحْكَام الشَّرْعِيَّة الإِسْلاَمِيَّة عَلىٰ نَوعِين:

الأَوَّل مِنْهُما: يَرتَبط بِطَبِيعَة الإِنْسَان وفِطرَته مِن حَيْث هُو إِنْسَان، وهَذَا النَّوع مِن الأَحْكَام لاَ يَتغَير، ولاَ يَتبَدل تَمَاماً كَنِظَام الكُون الأَفلاَك فِي حَرْكَاتها الدَّائبَة، ولَو ٱخْتَل شَيء مِنْهُ لانْهَار الكَون بِما فِيهِ. وهَـذا النَّـوع هُـو المَـقصُود بِـالحَدِيث المَشهُور. النَّوع الثَّانِي: يَرتَبط بِالحَـيَاة الاجْتَماعِيَّة، وهَذا تَتغَير أَحْكَامه تَبعاً لِتَغير

⇐ ٦٨/١١ ح ٢، صَحِيح ٱبن حبَّان: ٢٧٨/١٢ ح ٥٤٧١، كَنز العُمَّال: ٦٦٨/٦ ح ١٧٣١٧، المُغني لِابْـن قُدامة: ٧٥/١، حلية الأَوْلِيَاء: ١٨٠/٢.

(١) أُنظر، الكَافِي: ٥٨/١ ح ١٩، بصَائِر الدَّرجَات: ١٦٨، مُسْتَدرَك الوَسَائِل: ١١/١٨ ح ٨.

المُجْتَمع مِن حَالٍ إِلىٰ حَال حَيْث يَتغير مَوْضُوع الحُكْم وسَبَبه المُوجب، وخِضَاب الشَّيْب، أو عَدم خِضَابه مِن هَذا النَّوع، وتَقَدَّم الكَلاَم عن ذَلِكَ(١).

١٧ ـ وَ قَالَ ﷺ: « خَذَلُوا الْحَقّ، وَ لَمْ يَنْصُرُوا الْبَاطِلَ ».

● ضَمِير الجَمَاعَة فِي خَذَلُوا، وَلَمْ يَنْصُرُوا يَعُود إِلىٰ الَّذِين لَمْ يُبَايعوا الإِمَام، وَلَم يُحَارِبُوا ضِدَّه، ولاَ مَعْهُ كَابن وَقَّاص، وابن عُمر. قَالَ ابن أَبِي الحَدِيد: «يَدل هَذا القَول مِن الإِمَام أَنَّه رَاضٍ عَنْهُم»(٢). أمَّا مِيْثَم فقَال: «يَجرِي هَذا الكَلاَم مَجرىٰ العُذر عَنْهُم»(٣).

أَمَّا نَحنُ فَلا نَرىٰ ذَمّاً أَوْجَع، وأَقْذَع مِن هَذا... كَيف وقَد تَهيأت لَهُم الأَسْبَاب الكَافِية الوَافِيَة لِمُنَاصرة الحَقّ وخُذلاَن البَاطِل؟ ومَع هَذا تَجَاهلُوا وأَحْجَمُوا... وفِي خُطْبَةٍ لهُ ﷺ، وَبَخَّ المُتَقَاعِسِين عَن القِتَال مَعْه، وقَرَّعهُم بقَوْله:

---

(١) اُنظر، شَرح النَهج: الخُطْبَة (١٧٦)، فِقْرَة «التَّحْلِيل والتَّحْرِيم بَيْنَ الإِسْلاَم والمَسِيحِيَة». (مِنهُ ﷺ).

(٢) قَالَ ابن أَبِي الحَدِيد فِي شَرح النَهج: ١١٥/١٨: «قَد سَبق ذِكر هَؤُلاَء فِيمَا تَقَدَّم، وهُو عَبدالله ابن عُمر بن الخَطَّاب، وسَعد بن أَبِي وَقَّاص، وسَعِيد بن زَيد بن عَمرو بن نُفيل، وأُسامة بن زَيد، ومُحَمَّد بن مَسْلَمة، وأنس بن مَالك، وجَمَاعَة غَيْرهم.

وقَد ذَكر شَيخنا أَبو الحُسين فِي «الغُرر» أَنَّ أَمِير المُؤْمِنين ﷺ لَمَّا دَعاهُم إِلىٰ القِتَال مَعَهُ، فَاعتَذروا بِمَا اعتَذروا بِه، فقَال لَهُم: أَتُنكرُون هَذِه البَيْعَة؟ قَالُوا: لاَ، لكنَّا لاَ نُقاتل. فقَال: إذَا بَايعتُم فَقَد قَاتلتُم، قَالَ: فَسلموا بِذَلك مِن الذَّم، لأَنَّ إِمَامهُم رَضِيَ عَنْهُم. ثُمَّ قَالَ لكن بَعْض أَصْحَابنا مِن البَغدَادِيِين يَتوقف فِي هَؤُلاَء وإِلىٰ هَذا يَمِيل شَيخنا أَبُو جَعْفَر الإِسكَافِي. وَقَالَ ابن أَبِي الحَدِيد: ١٤٧/١٩، أَنَّهم خَذلوا عَلِيَّاً ولَم يَنصرُوا مُعَاوِيَة ولاَ أَصْحَاب الجَمَل. وأُنظر، تَهذِيب الكَمَال: ٣١٣/١٠، وزَاد روي أَنَّ عَلِيَّاً ـ رضي الله عَنْه ـ سُئل عَن الَّذِين قَعدُوا عَن بَيْعَته والقِيَام مَعَهُ فقَال: «خَذَلُوا الحَقّ، وَلَمْ يَنْصُرُوا البَاطِلَ».

(٣) اُنظر، شَرح نَهج البَلاَغَة: ٣٨٤/٤.

«لاَ يَمْنَعُ الضَّيْمَ الذَّلِيلُ! وَ لاَ يُدْرَكُ الْحَقُّ إِلاَّ بِالْجِدِّ! أَيَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ، وَ مَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ؟ الْمَغْرُورُ وَ اللهِ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ، وَ مَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ ـ وَ اللهِ ـ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ، وَ مَنْ رَمَىٰ بِكُمْ فَقَدْ رَمَىٰ بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ؟»[1]. وَقَالَ سُبْحَانَه: ﴿فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّـهِ﴾[2]. وَقَالَ الرَّسُول الأَعْظمﷺ: «مَن سَكتَ عَن الحَقّ فهُو شيطَان أَخرَس»[3]... إِلىٰ كثِير مِن الآيَاتِ، والرِّوَايَات.

١٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَنْ جَرَىٰ فِي عِنَانِ أَمَلِهِ عَثَرَ بِأَجَلِهِ».

● كُلّ الأَعمَال بِالآمَال، ولَولاَ الأَمَل لبَطل العَمل. والمَذمُوم هُو أنْ تُطلِق العِنَان لأَملك فِي الدُّنيَا وحُطَامها، وتُزَاحم الآخرين، وتُعلن الحَرْب مِن أَجْلهَا غَير مُكتَرث بوَاجب أو حَرَام، ولاَ بِدِين وَشَرِيعة. ومَن كَان هَذا شَأنه نَسيَ المَوْت ومَا بَعْده، وٱختَطفه عَلىٰ حِين غرّة، وذَهَب بِهِ إِلىٰ خَالِقه بِلا زَادٍ وٱستعدَاد[4].

---

(١) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلخُطبَة (٢٩). (مِنهُ عليه السلام).

(٢) ٱلحُجُرات: ٩.

(٣) أُنظر، شَرح النَووي عَلىٰ صَحِيح مُسْلِم: ٢/٢٠، الأَذْكَار النَّووية لِيحيىٰ بن شَرف النَّووي: ٣٣٥.

(٤) قَالَ ٱبن مِيثَم فِي شَرح مِئة كَلِمَة: ١٩٤، الكَلِمَة السَّادِسة والثَّلاثون: أَرَاد بِالجَرَىٰ فِي عِنَان الآمَال المُسْتَلزِمة لِقلة الإلتِفات إِلىٰ القِبلة الحَقِيقِية والمطَالب العَلِية. والعَثُور بِالأَجلِ الوقُوع فِي الوَقت الَّذي عَلِم فيهِ مُفارقة النَّفس لِلبَدن، وَهِي الضَّرورة المُسمَاة بِالمَوت. فَأَسندعليه السلام العِنَان إِلىٰ الأَمَل تَشبِيهاً لهُ بِالفَارس المُطلِق عِنَان فَرسه. والعَثُور إِلىٰ الأَجل تَشبِيهاً لهُ بِمَا يَعثر بِهِ الإِنسان مِن حَجرٍ أو خَشبٍ. وكُلّ هَذِه تَجوزات حَسَنة فِي الإِسْناد لَطِيفة المُشابَهة. فإِنَّ حَركة القُوَّة الشَّهوية إِلىٰ المُشتَهيَات لإعتِقَاد حصُولها تَشبه جَري الفَرس، وكَون النَّفس هِي المُستَعملة لِتلك القُوّة وَالمصرُوفة لهَا يَشبه الرّكوب لِلفَرس.

وذَكر ٱبن أَبِي ٱلحَدِيد فِي شَرحه لِلنَهج: ١٨/١٢٧، وكَنز العُمّال: ٣/٤٩١ ح ٧٥٦٢، الجَامِع الصَّغِير:

⟺

١٩ ـ وَ قَالَ ﷺ: «أَقِيلُوا ذَوِي الْمُرُوءَاتِ عَثَرَاتِهِمْ، فَمَا يَعْثُرُ مِنْهُمْ عَاثِرٌ إِلَّا وَ يَدُ اللهِ بِيَدِهِ يَرْفَعُهُ».

● المُرَاد بِذَوِي المُرُوءَاتِ كُلّ مَن يَأنف مِن القَبِيح، ويُنَزّه نَفْسه عَمَّا يُشِين، وَيتغَافل عَن زَلَلِ الإِخْوَان(١)، وَقَالَ بَعْض السَّلف: «رَأيتُ بَعْض المَعَاصِي مَذَلّة،

⇜ ٤٣٣/٢ ح ٧٤٥١، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٤٠٨/٥ ح ٧٤٥١. عَن الحَسَن بن عَليّ ﷺ أَنَّه قَالَ: «لَو رَأيت الأَجل ومَسِيره، لَنسِيت الأَمَل وغُرُوره، ويُقدر المُقدرُون، والقَضَاء مُضحك».

وروىٰ أَبُو سَعيد الخُدري أَنَّ أُسامة بن زَيد آشترىٰ وَلِيدة بِمئة دِينار إِلىٰ شَهر، فقَال رَسُول الله ﷺ: أَلاَ تَعْجَبُون مِن أُسامة يَشتري إِلىٰ شَهر! إِنَّ أُسَامة لطَوِيل الأَمَل. أُنظر، العُهُود المُحَمَّدِية: ٥٥٧، كَنز العُمَّال: ٤٩٣/٣ ح ٧٥٧١ و ٨٨٦٠، الدُر المَنثور: ٤٧/٣، تَأرِيخ دِمَشق: ٧٥/٨، سُبل الهُدَىٰ والرَّشاد: ٦٦/٧.

وَقَالَ أَبُو عُثْمَان النَّهدي: قَد بَلَغتُ نَحواً مِن ثَلاثِين ومِئة سَنَة فَمَا مِن شَيء قَد عَرفت فِيهِ النَّقص إِلاَّ أَملي، فإِنَّه كَمَا كَان. أُنظر، الثِقات لِابْن حبَّان: ٧٥/٥، نَهج السَّعادة: ٣٣٨/٧، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبِي الحَدِيد: ٩٥/١٦، كَنز الفوَائِد: ٢٨٩، وقَد نَسَب الشِّعر إِلىٰ مَحْمُود الورَاق، قَالَ الشَّاعر:

أَرَاك تُـزِيدك الأَيَّـام حِـرصاً ... عَلىٰ الدُّنْيا كَأَنَّك لاَ تَمُوت

فَهَل لكَ غَـاية إِنْ صِرت يَـوماً ... إِلَيْهَا قُلت: حَسْبِي قَد رَضِيت!

وَقَالَ شَاعر آخر:

مَـن تَمَنىٰ المُنىٰ فَأغـرَق فِـيها ... مَـات مِـن قَـبل أَنْ يَـنال مُـنَاه

(١) جَاء فِي كتَاب شَرح النَّهج لِابْن أَبِي الحَدِيد: ١٢٨/١٨، تَحت عنوَان «نُبَذ مِمَّا قِيل فِي المُرُوءَة»:

قَد رُويت هَذِه الكَلِمَة مَرفُوعة، وذَكر ذَلِكَ ابن قُتَيْبَة فِي عُيُون الأَخبَار.

وأَحسَن مَا قِيل فِي المُرُوءَة قَولهم: «اللَّذَّة تَرك المُرُوءَة، والمُرُوءة تَرك اللَّذَّة.

وفِي الحَدِيث أَنَّ رَجُلاً قَام إِلىٰ رَسُول الله ﷺ، فقَال: يَارسول الله، أَلست أَفضل قَومي! فقَال: إِنْ كَان لكَ عَقل فَلك فَضل، وإِنْ كَان لكَ خُلق فَلك مُرُوءَة، وإِنْ كَان لكَ مَال فَلك حَسب، وإِنْ كَان لكَ تُقىً فَلك دِين. أُنظر، أُسد الغَابَة: ٢٧٤/٤، الإِصَابَة: ٥٤٦/٥.

وسُئل الحَسَن ﷺ عَن المُرُوءَة فقَال: جَاء فِي الحَدِيث المَرفُوع: إِنَّ الله تَعَالىٰ يُحبّ مَعَالي الأُمُور، ويَكرَه ⇜

فَتركتهَا مُرُوءَةً، فصَارَت دِيَانةً، وَقَد يَتولَد الحَيَاء مِن الله سُبْحَانه تَعَالىٰ مِن التَّقلُب فِي نِعمِهِ فَيَستَحي الْعَاقِل أنْ يَسْتَعِين بِها عَلىٰ مَعْصِيَته»[1]. أمَّا العَثرَات فَالْمُرَاد بِها بَعْض الهَفوَات والسَّقطَات الَّتِي لاَ يَخلو مِنْهَا إلاّ مَن عَصم ربُّك والمَعْنَىٰ تَجاهلُوا هَفوَة مِن كَرِيم... وأي الرِّجَال المُهَذب؟[2]. «وَيَنْبَغِي أنْ لاَ يُقِيم الحَدّ مَن لله فِي جَنبِهِ

↔ سَفسَافها. أنظر، المُغني: ٨/١١٩، كَشف القِناع: ٥/٢٠٦، مَجْمَع الزَّوائد: ٨/١٨٨، تَأويل مُختلف الحَدِيث: ٢٥٠، الذُّرِّية الطَّاهرة: ٩١، المُعْجَم الأوسط: ٣/٢٤٠، مُسْنَد الشِّهاب: ٢/١٥٠ ح ١٠٧٥، الجَامِع الصَّغير: ١/٢٨٧ ح ١٨٨٩، كَنز العُمَّال: ٣/١٠ ح ٥١٨٠ و: ٦/٣٥٢ ح ١٦٠١٨، فَيض القَدِير: ٢/٣٧٤، كَشف الخفاء: ١/٢٤٥ ح ٧٤٣.

وَقَالَ الْإِمَام الحَسَن عليه السلام: لاَ دِين إلاّ بمُرُوءَة. أنظر، البدَاية والنِّهاية لِابْن كَثِير: ٩/٢٩٨.

وجَاء فِي الحَدِيث المَرفوع: «حَسب الرَّجل مَاله، وكَرَمه دِينه، ومُرُوءَته خُلقه». أُنظر، الفَائِق فِي غَرِيب الحَدِيث: ١/٢٤٥، كَنز العُمَّال: ٣/٧٨٩ ح ٨٧٦٥ و: ١٦/٢٦٥ ح ٤٤٣٧٩، النِّهاية فِي غَرِيب الحَدِيث: ١/٣٦٧.

(١) أُنظر، فَتح البَاري لِابْن حَجَر: ١/٧٠.

(٢) روي ذَلِكَ عَن أَبِي عبدالله عليه السلام، قَالَ: (كَان قَوم عِنده يَتحَدثهُم إذْ ذَكر رَجُل مِنْهُم رَجُلاً، فَوقع فِيهِ وشَكَاه فقَال له عليه السلام: أَنَّىٰ لَكَ بِأَخِيك كُلّه، وأيّ الرِّجَال المُهَذب). وفِيهِ إشَارة إِلىٰ الكَمَال، كمَا أَخذَ هَذا المَعْنَىٰ الشَّاعر المَعْرُوف النَّابغة الذّبيَاني، فقَال:

حَلَفتُ وَلَمْ أَترك لِنَفْسِي رِيبَة — وَلَيْسَ وَرَاء الله لِلمَرء مَذهَب
لَئِن كُنْت قَد بَلغتَ عَنّي خِيَانة — لَمُبلغك الوَاشي أَغَش وأَكذَب
وَلَسْت بِمُسْتَبقٍ أَخاً لاَ تَلمّهُ — عَلىٰ شَعْثٍ أيّ الرِّجَال المُهَذب؟

أنظر، ديوانه صنعه ابن السِّكِّيت: ٧٨ طَبعة دَار الفِكر، الكَافِي: ٢/٦٥١ ح ١، مرآة العُقول: ١٢/٥٥٠، البَحر الرَّائق: ٧/١٠٧، الخِصَال: ٢١٢، مُصادقة الإِخوَان: ٨٠، أَمَالي الصَّدوق: ٧٦٧، وسَائِل الشِّيعة: ١٢/٨٦ ح ١٥٧٠٦، شَرح الأَخْبَار: ٣/٢٩٥، أَمَالي السَّيِّد المُرتضىٰ: ٣/١٠٢، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلْحَدِيد: ١١/٦٨ و: ٢٠/١٥٩، كَنز العُمَّال: ٣/٨٥١ ح ٨٩٣٦، كَشف الخفَاء: ١/٢٧٨ ح ٨٧٣، تَفْسِير القُرطُبي: ٢٠/٥٣، فَتح القَدِير: ٥/٤٣٩، تَارِيخ دِمَشق: ١٩/٢٢٤ و: ٢٥/٣٨٩ و: ↔

حَدّ»[١]، كما قَالَ الإمَام أَمِير المُؤْمِنِين، وَقَالَ السَّيِّد المَسِيح: «مَن كَان مِنْكُم بَرِيئاً فَليَرمِها بِحَجَر». يُرِيد الزَّانِيَة.

(وَ يَدُ اللهِ بِيَدِهِ يَرْفَعُهُ) أي أنَّه تَعَالىٰ يَتدَاركه بِرحْمَته، وذَلِكَ بِأنْ يُهيىء لهُ أسْبَاب التَّكفِير عَن هَفْوَتِه، وعَثْرَتِه، وبِالتَّوْبَةِ، أو بأية فَضِيلة مِن الفَضَائل: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[٢].

٢٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «قُرِنَتِ الْهَيْبَةُ بِالْخَيْبَةِ، وَ الْحَيَاءُ بِالْحِرْمَانِ، وَ الْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، فَانْتَهِزُوا فُرَصَ الْخَيْرِ».

● الْخَوْف مِن الله حَتْم، وهُو مَقَام الرَّبَانِيين، والخَوْف مِن القَول والفِعْل بِلا عِلم حَسَن وجَمِيل، وهُو مِن صِفَات الْعُلَمَاء، والمُتَّقِين، وكُلّ خَوْف مَا عَدا هَذِين فهُو جُبن وخَور. فَأقدِم عَلىٰ مَا يَطْمئن إِلَيْهِ قَلبُك، وإنَّ قَالَ النَّاس وقَالُوا[٣]... وإنْ أَحجَمت خَوْفاً مِن قِيلهم وقَالهم عِشت حَيَاتك سَلبِياً فَاشلاً... عَلىٰ أَنَّك لاَ تَسلَم مِن أَلسُنة النَّاس، وإنْ حذِرت مِنْهَا ومِنْهُم... وأَحمد الله سُبْحَانَه الَّذي عَافَاني مِن هَذا الدَّاء، ولَو شَاء لفَعل. وتَقدَّم الكَلاَم عَن ذَلِكَ: «الْجُبْنُ مَنْقَصَةٌ»[٤].

← ١٠٤/٤٦ و: ١١١/٤٨ و: ١٣٨/٥٤، الأغَاني: ٥/١١، الشّعر والشُّعَراء: ٧١، غَرِيب الحَدِيث: ٣٢٣/١ و: ٥٨٩/٢.

(١) أنظر، الكَافي: ١٨٧/٧ ح ١، مَن لاَ يَحضرَه الفَقِيه: ٢٤/٤ ح ٥٢، التَّهذِيب: ١١/١٠ ح ٢٣، وَسَائِل الشِّيعة: ٣٤١/١٨ ح ١، المَحَاسِن للبَرقي: ٢١٠/٢، مَعَاني الأَخْبَار: ١٣١.

(٢) هُوْدٍ: ١١٤.

(٣) أنظر، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابن أبي الحَدِيد: ١٣١/١٨، حَيث قَال، فِي المَثَل: مَن أقدَمَ لَم يَنْدَم.

(٤) أنظر، شَرح نَهج البَلاَغَة: الحِكْمَة (٣). (مِنْهُ رحمه الله).

(وَ الْحَيَاءُ بِالْحِرْمَانِ). الْحيَاء مِن فِعل مَا لاَ يَقره عَقل ولاَ دِين، وتَأبَاه الكَرَامة والْمُرُوءَة هُو مِن الدِّين فِي الصَّمِيم، وسُنَّة مِن سُنَن الأَنْبِيَاء والمُرسَلِين، وخُلق مِن خُلق الأُبَاة والسُّرَاة. أمَّا الْحيَاء مِن الحَلاَل، وبخَاصَّة مَا يَنفَع النَّاس فَهُوَ عَجز وخَوْف، وخُنُوع واَستكَانة، وخُلق مِن خُلق الضُّعفَاء والجُبنَاء.

وهَذا النَّوع مِن الْخَوْف هُو مُرَاد الإِمَام، ومِن أَقْوَاله ﷺ: «تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا فَإِنَّ الْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ»[1]. ومِن الْأَمثَال العَامَّة: «لاَ يَنجب أَوْلاَداً مَن يَسْتَحي مِن زَوْجَته»[2].

وَبِهَذِهِ المُنَاسبَة نُشِير إِلىٰ مَا قِيل فِي تَفْسِير هَذا الحَدِيث: «مِمَّا أَدرَك النَّاس مِن كَلاَم النُّبوَّة: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاَصنَع مَا شِئت»[3]. قِيل فِي تَفْسِيره: إِذَا لَم تَسْتَحِ مِن اللهِ،

---

(١) أنظر، نَهْج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (١٤٧و ٣٩٠).

(٢) أنظر، مَجْمَع الأَمْثَال: ٢٥٧/٢/١.

(٣) أنظر، المجمُوع: ٢٣٩/٢٠، حَيْث قَالَ فِي مَعْنَاه: «إِنَّمَا يَمنع مِن فِعل السُّوء والقَبِيح ٱلحَيَاء، فإذَا عُدم ٱلحَيَاء لَم يَمنعهُ مِنهُ مَانِع.

وَقِيل فِي مَعْنَاه: إذَا لَم تَستحِ صَنَعت مَا شِئت، وقِيل: أصنع ما شِئت فَأنت مُجازىٰ.

وَقِيل فِي مَعْنَاه كَمَا جَاء فِي الإِقْنَاع: ٢٨٠/٢ وإِعَانة الطَّالِبِين: ٣١٨/٤، وتَنوِير الحوَالك: ١٧٦ ح ٣٧٥، قَالَ اَبن عبدالبر لَفظه أَمر، ومَعنَاه الخَبَر، بِأنْ مَن لَم يَكُن لهُ حَيَاء يَحجزه عَن مَحَارم الله فسَواء عَلَيْهِ فَعل الصَّغائر، واَرتكَاب الكبَائر، وفيهِ يَعني التَّحْذِير، والوَعيد علىٰ قِلّة ٱلحَيَاء.

ومِن هَذا الحَدِيث أَخذ القَائل:

إِذَا لَمْ تَخْشَىٰ عَاقِبة اللَّيالي ... ولَمْ تَسْتحي فاَصْنَع مَا تَشَاء

فَلاَ واللهِ مَا فِي العَيش خَيْر ... ولاَ ٱلدُّنْيا إِذَا ذَهَب ٱلحَيَاء

وقِيل فِي مَعناه: إِذَا فَارقت ٱلحَيَاء فكُلّ مَا عَملت مِن خَيْر وشَرّ فَأنت بهِ مُعَاقب وقوّة ٱلحَيَاء مِن الحُزن والخَوْف وٱلحَيَاء مَسكن الخَشيَة وٱلحَيَاء أَوَّله الهَيْبَة وآخره الرُّؤية وصَاحب ٱلحَيَاء مُشتَغل بِشأنه مُعتزل

والنَّاس فَٱفعَل مَا بَدَا لكَ مِن حَلاَلٍ، وحَرَامٍ، وحَسَن وقَبِيح. وهَذا الْمَعْنَىٰ مَعْرُوف بَيْنَ النَّاس. وقِيل: مَعْنَاه إِذَا لَمْ يَكُن فِي الفِعْل مَا تَسْتَحي مِنْهُ فَٱفعَله، ولاَ بَأس عَلَيْكَ. وكُلّ مِن الْمَعْنَيين صَحِيح يَتْحَمله لَفظ الحَدِيث.

أَمَّا فُرَصَ الْخَيْرِ فأَنَّهَا تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، كمَا قَالَ الإِمَام، واَغْتنَامها سَعَادة وكَرَامة، وفوَاتها حَسرَة ونَدَامة. ولاَ أرىٰ مَثِيلاً لِمَن أضَاع الْفُرْصَة إلّا مُنْكر الجَمِيل. وهَذَا أَخَذ ولَمْ يَشكُر، وذَاكَ رَفَض مَا يَسْتُوجب الشُّكْر، وكُلٌ مُقصر.

وتَقَدَّم الكَلاَم عَن ذَلِكَ فِي قَوله ﷺ: «بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً»(١).

٢١ ـ وَ قَالَ ﷺ: «لَنَا حَقٌّ، فَإِنْ أُعْطِينَاهُ، وَ إِلَّا رَكِبْنَا أَعْجَازَ الْإِبِلِ، وَ إِنْ طَالَ السُّرَىٰ».

● الرَّاكِب أَعْجَازَ الْإِبِلِ هُو الرَّدِيف أي الرَّاكِب خَلف الرَّاكِب. والسُّرَىٰ: سِير اللَّيْل، والْمُرَاد بِهِ هُنا طُول الْأَمد. ولاَ خِلاف فِي أنَّ الْإِمَام كَان يَرىٰ أَنَّه أَحَقّ بِالخِلاَفَة مِن جَمِيع الْصَّحَابَة دُونَ ٱستثنَاء، وأَنَّه ٱحتَج لِحَقه هَذَا بِالْحُسنىٰ، وأَقْوَاله

⇐ مِن النَّاس مُزدجر عمَّا هُم فيهِ، ولَو تَركوا صَاحب ٱلحَيَاء مَا جَالس أَحداً. كمَا جَاء فِي مصبَاح الشَّرِيعة المنسوب للإمَام الصَّادقﷺ: ١٨٩.

أمَّا مصَادر الحَدِيث فَهي عَلىٰ سَبِيل المِثال لا الحَصر، صَحِيح البُخَاريّ: ٤/١٥٢ و: ٧/١٠٠، مُسْنَد أحمد: ٤/١٢١ و: ٥/٢٧٣، تَكملة حَاشية رَدّ المحتار: ١/٥٧٩، سُبل السَّلام: ٤/٢٠٦، فَتح البَاري: ١٠/٤٣٤، مُسْنَد أبن الجَعد: ١٣٠، المُصَنَّف لِابن أبِي شَيبة: ٦/٩٢ ح ١٠، المُعْجَم الكَبِير: ١٧/٢٣٠، مُسْنَد الشّهاب: ٢/١٨٦ ح ١١٥٢ و ١١٥٣، كَنز العُمّال: ٣/١٢٢ ح ٥٧٧٨ و ٥٧٩٢، كَشف الخفَاء: ١/١٤ ح ٤، مَجْمَع الزَّوائد: ٨/٢٧.

(١) أُنظر، شَرح ٱلرِّسالة (٣١). (مِنهُ ﷺ).

فِي النَّهْجِ، وغَيْرُ النَّهْجِ صَرِيحَة فِي ذَلِكَ. وَقَالَ هُنا: إنْ أُعطي هَذا الحَقّ عَن رِضا وطِيب نَفْس فَذَاك، وإنْ زَاحَمَه عَلَيْهِ مُزَاحِم صَبر، ولاَ يُثِير حَرْباً حَتَّىٰ ولَو جَاء رَدِيفاً، ورَابِعاً، وطَال الأَمر سَنوَات وسَنوَات... لاَ لِشَيء إلّا حِرصاً عَلىٰ مَصْلَحَة الإِسْلاَم، والْمُسْلِمِين، وخَوْفاً مِن الْفِتْنَةِ، وانشقَاق الكَلِمَة. وهَذا مَا حَدث بِالفِعل.

وقِيل: يَجُوز أنْ يَكُون مُرَاد الإِمَام أنَّه إذَا لَمْ يَحصَل عَلىٰ حَقّه فِي الْخِلاَفَة رَكِب الصِّعاب مِن أَجْلِهِ. وهَذا الْمَعْنَىٰ قَرِيب مِن دِلاَلَة اللَّفظ، وبَعِيد عَن الوَاقِع، لأنَّ الإِمَام مَا زَاد شَيْئَاً عَن النِّقاش، والجِدَال بِالَّتِي هِي أَحْسَن. أمَّا تَفْسِير الشَّرِيف الرَّضِيّ فَأَبْعَد مِن بَعِيد، لأنَّ الله، وَرَسُوله يَأبىٰ الذِّلة لأَهل الْبَيْت[1].

٢٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».

---

(١) قَالَ الشَّرِيف الرَّضِيّ: وهَذَا مِن لَطِيف الكَلاَم وفَصِيحه، ومَعْنَاه: أنَّا إنْ لَمْ نُعط حَقنا كُنَّا أَذْلاء. وذَلِكَ أنَّ الرَّدِيف يَركَب عُجزَ البَعِير، كَالعَبدِ، والأَسِير، ومَن يَجرِي مَجرَاهُما.

وَفسر الشَّيخ مُحَمَّد عَبْدَه هَذا فِي شَرح النَّهج: ٦/٤: «إنْ لَمْ نُعط حَقنا تَحملنَا المَشَقَّة فِي طَلَبه وإنْ طَالت الشُّقة».

وَقَالَ ابن أَبِي الحَدِيد فِي شَرحه لِلنَّهج: «وَقَد فَسَّرُوه عَلىٰ وَجْهين: أَحدهُما أنَّ رَاكب عُجزَ البَعِير يَلحقه مَشقة وضَرر، فَأَرَاد: أنَّا إذَا مُنعنا حَقنا صَبرنا عَلىٰ المَشَقَّة والمَضَرة، كَمَا يَصبر رَاكب عُجزَ البَعير، وهَذا التَّفسِير قَرِيب مِن تَفسِير الشَّرِيف الرَّضِيّ.

والوَجْه الثَّانِي: أنَّ رَاكب عُجزَ البَعير إنَّمَا يَكُون إذَا كَان غَيْره قَد رَكِب عَلىٰ ظَهر البَعير، ورَاكِب ظَهر البَعير مُتَقدم عَلىٰ رَاكِب عُجزَ البَعير، فَأَرَاد أنَّا إذَا مُنعنا حَقنا تَأخرنا وتَقدَّم غَيْرنا عَلينا فكُنا كَالرَّاكِب رَدِيفاً لِغَيره، وأكد المَعْنَىٰ عَلىٰ كِلا التَّفسِيرين بِقوله: «وَإنْ طَالَ السُّرَىٰ» لأنَّه إذَا كَان السُّرَىٰ كَانَتْ المَشَقَّة عَلىٰ رَاكِب عُجزَ البَعِير أَعْظَم، وكَان الصَّبْر عَلىٰ تَأخر رَاكِب عُجزَ البَعِير عَن الرَّاكِب عَلىٰ ظَهره أَشَدّ وأَصْعَب. ولقَد قَالَ ذَلِكَ لِعبد الرَّحمن بن عُوف يَوْم الشُّورَىٰ كَمَا جَاء فِي المَنَاقب لاِبْن شَهر آشوب: ٢٣٥/١، ولكِنَّ الصَّحِيح قَالَ ذَلِكَ يَوْم السَّقِيفَة.

● لَيسَت الفَضِيلة بِالمَالِ والأَنْسَاب، بَل بِالْعِلْمِ، والعَمَل. ولاَ فَرق بَيْنَ أَعْمىٰ بَصَرٍ يَعْتَمد عَلىٰ عَصَا، وأَعْمىٰ بَصِيرة عَلىٰ عِظَام المَقَابر، وصَدَق الله العَظِيم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1].

٢٣ ـ وَ قَالَ ﷺ: «مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ، وَ التَّنْفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ».

● التَّنْفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ عَطف تَفْسِير عَلىٰ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ. والصَّدَقَة عَامَّة وَخَاصَّة كَمَا أَشرنَا فِي شَرح الْحِكْمَة (٦) وكَلاَم الإِمَام هُنا الخَاصَّة، ومِن أَمثِلَة الْمَلْهُوف مَرِيض لاَ يَملك أُجرَة الطَّبِيب، وثَمَن الدَّواء، وذُو عِيال وَأَطفَال يَعجز عَن قُوتهم ونَفْقتهم، ومَدِين لاَ سَبِيل لهُ إِلىٰ الوَفَاء، وَمَظلوم لاَ يَجد المُعِين عَلىٰ ظَالمه إِلّا الله[2].

(١) الْحُجُرَات: ١٣. وَقَالَ الشَّرِيف الرَّضِيّ فِي المَجَازَات النَّبَوِيَّة: ٤٠٢. (والمُرَاد أَنّ مَن تَأخر بِسُوء عَمله عَن غَايَات الْفَضْل، ومَوَاقف الفَخر، لَمْ يَتَقدم إِلَيْهَا بِشَرف نَسَبه وكَرِيم حَسبه، فَجَعل ﷺ الإِبطاء، والإِسرَاع مكَان التَّقدم والتَّأخر؛ لأنَّ المُبطىء مُتأخر والمُسرع مُتقدم وأَضافَهُمَا إِلىٰ العَمل والنَّسب وهُمَا فِي الحَقِيقة لصَاحبهُمَا لاَ لهُمَا، ولكنَّ العَمل والنَّسب لمَّا كَانَا سَبب الإِبْطَاء والإِسرَاع، حَسن أَنْ يُضاف ذَلِكَ إِلِيهمَا عَلىٰ طَرِيق الْمَجاز والإِتسَاع. وهَذا القَول مَأخوذ مِن قَول النَّبِيّ ﷺ: «مَنْ أَبطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ». صَحِيح مُسْلِم: ٧١/٨، المجموع: ١٦٢/١٣، سُنَن الدَّارمي: ٩٩/١، سُنَن ابن مَاجه: ٨٢/١، سُنَن أَبِي دَاود: ١٧٥/٢، سُنَن التِّرمِذي: ٢٦٥/٤، الدِّيباج عَلىٰ مُسْلِم: ٥٦/٦، المَبسوط للسَّرخسي: ٢٣/٥.
وَقَالَ ابن أَبِي الْحَدِيد فِي شَرحه لِلنَّهج: ٣٣١/١٩، تَقدَّم هَذا سَابقاً، ولِذَا قَال الشَّاعر:

لَــئِن فَـخَرتَ بِآبَـاءٍ ذَوي حَسبٍ لَقَد صَدَقت، ولكنْ بِئس مَا وِلدُوا

وكَان يُقَال: أَجْهل النَّاس مَن افْتَخر بِالعظَام البَالِية، وتَبَجح بِالقُرون المَاضِية، واتَكل عَلىٰ الأَيَّام الخَالِية.
(٢) قَالَ ابن أَبِي الْحَدِيد فِي شَرح النَّهج: ١٣٥/١٨: «قَد جَاء فِي هَذا المَعْنىٰ آثَار كَثِيرة، وأَخْبَار جَمِيلة».

ولكلٍّ وَاحد مِن هَؤُلاَء ومَن إلَيْهِ ـ كَبْد حَرىٰ لاَهِفة تَائِهة لاَ تَدري مَا الحِيلَة والوَسِيلة؟ فَمن رَدَّ لَهفتها، ورَحِم حِيرتَها صَفح الله تَعَالىٰ العَظِيمات مِن سِيئَاتهِ، وكَان فِي عَونه دُنياً وآخرة. وفِي الحَدِيث: «مَن لاَ يَرحَم لاَ يُرحَم»(١). وَقَالَ الإمَام: «وَضَعْ فَخْرَكَ، وَٱحطُطْ كِبْرَكَ، وَٱذْكُرْ قَبْرَكَ، فَإنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ»(٢)،

---

(١) أُنظر، مَنَاقب آل أبِي طَالب: ٣/١٨٩، ذَخَائِر الْعُقْبَىٰ: ١٢٥، صَحِيح البُخَارِيّ: ٤/٦١، الاِسْتِيعَاب المَطبوع بِهَامش الإصَابَة: ١/٩٦، صَحِيح مُسْلِم: ٣/١٠٩، سُنن أبِي دَاود: ٢/٥٢٢، مَجْمَع الزَّوائد: ٨/١٥٦.

(٢) روي هَذا القَول تَارة عَن النَّبي ﷺ، وتَارةً عَن الإمَام عَليّ عليه السلام، وتَارةً عَن الإمَام البَاقر عليه السلام، وتَارةً عَلىٰ لِسَان قَالَ الشَّاعر، وتَارةً عَلىٰ لِسَان كَما جَاء فِي الأَمثَال، ولكنْ كُلّها تُؤدّي نَفس المَعنىٰ: فَمثلاً رُوي عَن الإمَام البَاقر عليه السلام قَالَ: «كَان فِيما أوحىٰ الله تَعَالىٰ إلىٰ مُوسىٰ بن عمرَان:

يَامُوسىٰ مَن زَنا زنىٰ بهِ، ولَو فِي العَقب مِن بَعدهِ، يَا ٱبن عِمْرَانَ: إنْ تَعَفّ تَعِفّ أهلك، يا مُوسىٰ بن عِمْرَانَ إنْ أرَدت أنْ يَكثر خَيْر أهْل بيتك فإيَّاك والزِّنا، ياٱبن عِمْرَانَ كَما تَدِينُ تُدَانُ».

أنظر، مَن لاَ يَحضره الْفَقِيه: ٤/١٣ ح ٤، دعَائِم الإسْلام: ٢/٤٤٩ ح ١٥٧١، وقَرِيب مِنْهُ فِي الكَافِي: ٥/٥٥٣ ح ١، المَحَاسِن: ١/١٠٧ ح ٩٤. وذَكَره الشَّيخ الصَّدوق فِي كتَاب التَّوحيد: ٢١٦، بِقوله كَما قَالَ الشَّاعر:

كَمَا يَدِين الفَتىٰ يَوماً يُدَان بِهِ ... مَن يَزرع الثَّوم لاَ يَقْلَعه رَيحَانا

ورُوي هَكَذا:

وٱعْلَم، وأيقن أنَّ مُلكك زَائِل ... وٱعْلم بِأنَّك كَما تَدِينُ تُدَانُ زَائِل

ورُوي هَكَذا:

يَا حَار، إنَّك مَيتٌ ومُحَاسب ... وٱعْلم بِأنْ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ

وقَد نَسبهُ صَاحب جَمهَرة الأَمثَال لِلعَسكري: ١٦٩ إلىٰ خُوَيلد بن خُوَيلد الكِلاَبِي. وقِيل هَذا المَثل مَكتُوب فِي التّوراة كَما جَاء فِي ٱقْتِضَاء العِلْم العَمل لِلخَطيب البَغدادِي: ٨٩، ونُزهة النَّاظر وتَنبِيه الخَاطر: ١٦ ح ٣١، وقِيل مَكتُوب فِي الإنْجِيل، كَما جَاء فِي كَنز العُمال: ١٥/٧٧٢ ح ٤٣٠٣١ و ٤٣٠٣٢، شَرح مُسْنَد أبِي حَنِيفة: ١٩٤.

وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، وَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَداً. فَامْهَدْ لِقَدَمِكَ، وَقَدِّمْ لِيَوْمِكَ. فَالحَذَرَ الحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ! وَالجِدَّ الجِدَّ أَيُّهَا الْغَافِلُ! ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[1].

٢٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «يَا ٱبْنَ آدَمَ، إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعَمَهُ وَ أَنْتَ تَعْصِيهِ فَٱحْذَرْهُ».

● تَكَرَّر هَذا الْمَعْنَىٰ فِي كَلَامِ الْإِمَام بِأَسَالِيب شَتىٰ، وأيضاً يَأْتِي قَوْله: «كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَمَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ، وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ، وَمَا ٱبْتَلَىٰ اللهُ أَحَداً بِمِثْلِ الْإِمْلَاءِ لَهُ»[2]. والقَصد الأَوَّل والأَخِير التَّحْذِير مِن مَعْصِيَة الله والرّكُون إِلىٰ الدُّنْيَا وزِينَتها.

وَتَسْأَل: لَقَد رَأَينَا الكَثِير يَزدَادُون طُغيَاناً كُلَّما ٱزْدَادُوا مَالاً وجَاهاً، ومَع هَذَا يَمْضُون بِلا مُؤاخَذَة... ولاَ يَتفق هَذَا مَع التَّخوِيف مِن الْعُقُوبَةِ؟.

الجَوَاب:

الْمُرَاد هُنَا التَّحْذِير مِن عَذَاب ٱلْآخِرة، وَهِي أَشَد وأَخزىٰ مِن آلَامِ ٱلدُّنْيَا

⇐ أُنظر، صَحِيح البُخَارِيّ: ٥/١٤٦، مُقدمة فَتح البَارِي: ١/١١٥ و: ٨/١١٩، المُصَنَّف لعبدالرَّزاق: ١١/١٧٩ ح ٢٠٢٦٢، الأَسماء والصِّفات لِلبَيهقي: ٦٠، بُغية البَاحث: ٣١٣ ح ١٠٥٠، كتَاب السُّنَّة لِابْن أَبِي عَاصم: ٣٠٥، الجَامِع الصَّغير: ١/٤٩٣ ح ٣١٩٩ و: ٢/٢٩٥ ح ٦٤١١، كَشف الخَفَاء: ١/٢٨٤ ح ٩٠٢، جَامع البَيَان لِابْن جَرير الطَّبَرِي: ١/١٠١، تَفْسِير القُرطُبي: ١/١٤٤، تَفْسِير الثَّعالبي: ١/١٦٥، تَأرِيخ دِمَشْق: ١٧/٦٢، لِسَان العَرب: ١/٩٢ و: ١٣/١٦٩، المَحَاسِن لِلبَرقي: ١/١٠٧ ح ٩٤، وَسَائِل الشِّيعة: ٢٠/٣٥٥ ح ٢، عوَالِي اللّئالي: ٣/٥٤٦ ح ٥.

(١) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلخُطبَة (١٥٣). والآيَة: ١٤ مِن سُورَة فَاطِر: ١٤.

(٢) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكمَة (١١٥).

وضَربَاتها. قَالَ سُبْحَانه: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾(١). وبِكَلِمَة: إنَّ اللهَ يُمْهِلُ ولا يُهْمِل(٢).

٢٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ، وَ صَفَحَاتِ وَجْهِهِ».

● لِلتَّعبِير عمَّا فِي النَّفْس العَدِيد مِن الوَسَائِل:
مِنْهَا: اللَّفظ، والكتَابَة، والإِشَارَة.
ومِنْهَا: الرَّقْصُ، والرَّسْمُ، والأَلْحَانُ.
ومِنْهَا: نَظَرَات الْعَيْن، وٱبْتسَام الفَم، وَصَفحَات الوَجه، والعَبُوس، والدُّمُوع، حَتَّىٰ المِيني جُوب، وشَعر الخَنَافس، بَل والصَّمت أيضاً بَعْض الأَحْيَان مِن وَسَائِل

(١) إبْرَاهِيم: ٤٢.
(٢) قَالَ ٱبن أَبِي ٱلحَدِيد فِي شَرح ٱلنَّهج: ١٨/١٣٧: «هَذَا تخويف وتحذير من الإِستدراج. وَقَالَ سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٱلأَعْرَاف: ١٨٢. وذَلِكَ لأنَّ العَبد بِغُروره يَعْتَقد أنَّ مَوَالاة النِّعم عَلَيْهِ، وهُو عَاص مِن بَاب الرِّضا عَنْهُ، ولاَ يَعلم أنَّه ٱستدرَاج لهُ ونِقْمَة عَلَيْهِ.
فَإِنْ قُلتَ: كَيف يَصح القَول بِالإِستدرَاج عَلَىٰ أُصولكُم فِي العَدْل؟ أَلِيس مَعْنَىٰ الإِسْتدرَاج إِيهَام العَبد أنَّه سُبْحَانه غَيْر سَاخط فِعْله ومَعْصِيته! فَهل هَذَا الإِستدرَاج إلاَّ مَفْسَدة وسَبب إِلَىٰ الإِصْرَار عَلَىٰ القَبِيح!
قُلتُ: إذَا كَان المُكلف عَالماً بِقُبح القَبِيح، أو مُتمكناً مِن العِلْم بِقُبحه، ثُمَّ رَأىٰ النِّعم تَتوَالىٰ عَلَيْهِ، وهُو مُصر عَلىٰ المَعْصِيَة، كَان تَرَادف تِلك النِّعم كَالمُنبه لهُ عَلىٰ وجُوب الحَذر. وَمِثال ذَلِكَ: مَن هُو فِي خِدمة مَلك، وهُو عَون ذَلِكَ المَلك فِي دَولته، ويَعلم أنَّ المَلك قَد عَرف حَاله، ثُمَّ يَرىٰ نِعَم المَلك مُترَادفة إِليهِ، فإِنَّه يَجب بِمقتضَىٰ الإِحتيَاط أنْ يَشتَد حذَره، لأنَّه يَقول: لَيْسَت حَالي مَع المَلك حَال مَن يَسْتَحق هَذِه النِّعم، ومَا هَذِه إلا مَكِيدة وتَحتها غَائِلة، فَيَجب إِذْن عَلَيْهِ أنْ يَحْذَر.
وَقَالَ فِي الدُّر المَنثُور: ٣/١٢، كُلّ نِعْمَة لاَ تَقرب مِن الله فَهي بَلِية. وَكَذَلِك فِي سِير أَعلاَم النُّبلاء: ٦/١٠١، وتَأرِيخ ٱبن عَسَاكر: ٢٢/٦٤، حلية الأَوْلِيَاء لابي نَعِيم: ٣/٢٤٤.

التَّعبِير... وَبِالأَوْلَىٰ فَلَتَاتِ اللِّسَان(١).

(١) قَالَ ٱبن مِيثَم فِي شَرح مِئَة كَلِمَة: ٢١١، «الإِضْمَار: كِتْمَان السِّر وغَيْره فِي الضَّمِير وهُـو الذِّهـن والعَـقل، والفَلَتَات جَمع فَلْتَه: وَهِي وقُوع الأَمر بَغتَة مِن غَيْر ٱخْتيَار ولاَ تَروٍ وتَدبر، وصَفحَات الوَجه جـوَانبـه، والمَقصُود هَهنا بَيان أَنَّ الاعْتِقَادَات الَّتِي يَضمرهَا الإِنْسَان ويُحَافظ عَليهَا ويُرَاعي سِترها عَن أَطلاَع الغَير عَليها لِمَصَالح مُتصورة، ومقَاصد ٱخْتِيارية سَواء كَانَتْ نَافعة، أَو ضَارة فإنَّها وإِنْ بولِغ فِي مرَاعَاة حِفظها، وإجْتَهد فِي عَدم أَطلاَع الغَير عَليها لاَ بُدَّ وإِنْ تَظهر، ثُمَّ أَنَّه نَبَّه عَلَىٰ سَبَبين مِن أَسبَاب الظّهور وحَكَم بِأَنَّه لاَ بُدَّ وإِنْ تَظهر بِأَحدِهما مَع تِلك المُحَافظة:

أَحدهُما: فَلَتَات اللِّسَان وذَلِكَ أَنَّ النَّفس وإِنْ كَان لهَا عِنَاية بِحفظ ذَلِكَ لكنَّها قَد تَتَصرف إِلَىٰ مُهم آخر فَتنفعل حِينئذ عَن مُلاَحظة وَجه المَصلَحة فِي كِتْمَانهِ، وسَبب وجُوب سِتره فَتنفَلت المُتَخيلة مِن أَسر العَقل العَملي، فلتوجه وتبعث الشَّهْوَة إِلَىٰ التَّكلم بِهِ مِن غَيْر أَنْ يَكُون للنَّفس شعُور بِشعُورها بِهِ. وقَد يُعبر عَن الكَلاَم فَلتة عَلَىٰ وَجه آخر، وذَلِكَ أَنْ يَتلفظ المُضمر بِكَلاَم مُستلزماً للإِيمَاءِ، أَو التَّنبيه عَـلَىٰ ذَلِكَ المَـعنَىٰ المُضمر والمُتكلم غَافل عَن ذَلِكَ الإِيمَـاء وغَيْر عَالم بِكَيفية التَّنبيه مِن ذَلِكَ الكَلاَم عَلَىٰ مُضمرٍ والسَّامع ذُو حَدس قَوّي فَيقع لهُ الإِطِّلاَع عَلَىٰ ذَلِكَ المُضْمَر مَع شِدَّة الإِعْتِنَاء بِسترِه.

الثَّاني: صَفحَات الوَجه وذَلِكَ إِشَارة إِلَىٰ القَرَائِن، والإِمَارات المُستَلزِمة لإِظهار المكتُوم كمَا يَدل عَـلَىٰ ذَلِكَ تَقطِيب الوَجه...إلخ.

وقَد روىٰ ٱبن الأَثِير: ١٥٩/٢، وكَذَلِك الطَّبَري فِي تَأريخه: ١٣٧/٤، والإِصَابَة: ١٧٢/٢ تَحت الرَّقم (٤٠٤٦)، وتَهذِيب ٱبن عسَاكر: ٣٥٦/٥ و: ٤٠٦/٦. وَقَالَ: رَوىٰ جَمع مِن المُؤرخِين عَن ٱبن الزُّبَيْر أَنَّه قَالَ: كُنتُ مَع أَبِي بِاليَرمُوك، وأَنَا صَبي لاَ أُقاتل، فلمَّا ٱقتَتل النَّاس نَظَرتُ إِلَىٰ أُنَاس عَلَىٰ تَلٍّ لاَ يُقاتلون، فَرَكبتُ وذَهبتُ إِليهم وإِذَا أَبُو سُفْيَان بن حَرب ومَشيخَة قُرَيْش مِن مُهَاجرَة الفَتح، فَرأَوني حَدثاً، فَـلم يَتقُوني، قَالَ: فَجَعلوا واللهِ إِذَا مَالت المُسْلِمُون قَالُوا: «وَيحَ بَني الأَصْفَر» فَلمَا هَزم الله ٱلرُّوم أَخْبَرتُ أَبِي، فَضَحِك، فقَال: قَاتلهُم الله أَبُوا إِلاَّ ضِغْنًا، لِنَحنُ خَيْر لَهُم مِن ٱلرُّوم.

وذَكر ٱبن أَبِي ٱلحَدِيد فِي شَرح ٱلنَّهج: ١٣٧/١٨، قَول زُهير بن أَبِي سُلمىٰ:

وَمَهمَا يَكُن عِـند أمرىء مِـن خَـلِيقة ... وإِنْ خَـالهَا تَخفَىٰ عَـلَىٰ النَّـاس تُعْلَـم

وَقَالَ آخر كمَا قَالَ ٱبن أَبِي ٱلحَدِيد فِي شَرح ٱلنَّهج: ٤٦/٢٠، والشَّرِيف الرَّضِيّ فِي حقَائِق التَّأوِيـل: ٣٢٤.

وَقَالَ أَدِيب شَهِير: يَسْتَحِيل إِخْفَاء الْحَقِيقَة، لأَنَّ قَانون الفِعْل يُقابِلهُ قَانُون رَدّ الفِعْل، وإِنَّ هَذا القَانُون يُطَبق فِي المَجَال النَّفسي كَمَا يُطَبق فِي المَجَال المِيكَانِيكي، وعَلَيْهِ فإِنَّ فِعْل الإِخْفَاء يَصطَدم بِرَدّ فِعْله، وهُو الإِظْهَار بأُسلوب أو بِآخر، وبِالتَّالي مَن وَضع سِتاراً عَلىٰ الوَاقع هَتَكَهُ رَدّ فِعْله لاَ مَحَالَة.

٢٦ ـ قَالَ عليه السلام: «اَمْشِ بِدَائِكَ مَا مَشَىٰ بِكَ».

● إِذَا أَحْسَست بِفتُورٍ، أو أَلَم فَلا تُسرع إِلىٰ الطَّبيب، أَو تَخلد إِلىٰ الفِرَاش، بل ٱصْبِر وتَجلد مَا ٱستَطعت، وٱمضِ فِي عَمَلك، فَرُبَّما كَان الحَادث طَارِئاً لاَ يَلبث أَنْ يَزُول، وَمتىٰ عَجَزت عَن الحَرَكة فَٱخلد إِلىٰ الرَّاحَة وخَفف الطَّعام، ولاَ تَلجأ إِلىٰ الطَّبيب إلّا عِند الضَّرُورَة... ومَعْنَىٰ هَذا أَنَّ الإِمَام لاَيُشِير بِٱستِعمَال الدَّوَاء إلّا لِلمُضطَر الَّذي لاَ يَجد وَسِيلة الشِّفاء إلّا بِهِ، لأَنَّ الدَّوَاء إِنْ أَفَاد مِن جِهة أَضرّ مِن جِهَة ثَانِيَة. وَتَقَدَّم قَوْلَه عليه السلام: «رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً، وَالدَّاءُ دَوَاءً»[1]. وفِي مُسْتَدرَك النَّهج، عَن الإِمَام أَنَّه قَالَ: «لاَ يَتَدَاوىٰ المُسْلِم حَتَّىٰ يَغْلِب مَرَضه صِحَّتِهِ»[2].

⇐ تُخبرني (تُحدثني) العَيْنَان (عِينَاك) مَا القَلْب كَاتم ... ومَا جَنَّ بِالبَغضَاء والنَّظر الشَّزَر

أُنظر، بِخصُوص هَذِه الحِكْمَة الطِّبية المصَادر التَّالية عَلىٰ سَبِيل المِثَال لاَ الحَصر.

تَأريخ بَغداد: ١٠/ ٢٠٨، تَأريخ دِمَشق: ٤٢٦/٣٥، سِير أَعْلاَم النُّبلاء: ٦٧/٢١، لِسَان المِيزَان: ١٨٤/٣، البِدَاية والنِّهاية: ٧٦/١٠، المحصول للرَّازي: ٢١٦/٤، لِسَان العَرب: ٩٣/١٣، المُنتَظم لِابن الجوزي: ٢٧٦/١٠.

(١) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلرِّسَالة (٣١). (مِنهُ عليه السلام).

(٢) أُنظر، الخِصَال: ١٦٠/٢ ح ١٤٠ و: ٦٢٠ طَبعَة قَدِيمة. تُحف العُقُول: ١١٠، وَسَائِل الشِّيعة: ٢٩/٢٥ ح ٤٣، بِحَار الأَنْوَار: ٢٠٣/٨١ ح ٥.

وقَرَأْتُ عَن المُعْمرِين أنَّ أَكْثَرهُم لاَ يَعْرِف طَبِيباً ولاَ دَوَاءً.

وَقَالَ بَعْض الشَّارِحِين: أَوصىٰ الإِمَام فِي حِكْمَتِهِ هَذِه بِالصَّبْرِ عَلىٰ كُلّ مَكْرُوه مَا دَام الصَّبْرُ مُمْكِناً! والرِّضا بِمَنطق الوَاقِع حَسن، ولكنْ بَعد الجِهَاد، وإفرَاغ الوِسع [١].

٢٧ ـ وَ قَالَ ﷺ: «أَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفَاءُ الزُّهْدِ».

● فِي اَلْخُطْبَة الَّتِي حَدَد الإِمَام فِيهَا الزُّهْد بقَوْلَه: «الزَّهَادَةُ قِصَرُ الأَمَلِ، وَ الشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ، وَ التَّوَرُّعُ عِنْدَ المَحَارِمِ» [٢]. وفِي اَلْخُطْبَة الَّتِي قَسَم اَلنَّاسُ عَلَىٰ أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ: مِنْهُمْ مَنْ لاَ يَمْنَعُهُ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إلاَّ مَهَانَةُ نَفْسِهِ... وَمِنْهُمْ الْمُصْلِتُ

---

(١) أنظر، شَرح نَهج اَلبَلاَغَة لابن أبِي اَلحَدِيد: ١٨/١٣٨، (مَهمَا وَجَدت سَبِيلاً إِلىٰ الصَّبْرِ عَلىٰ أمرٍ مِن الأمُور الَّتِي قَد دُفعَت إِلَيْهَا، وضَرر لاَحق بِك، فَاصبر ولاَ تلتَمس طَرِيقاً إِلىٰ تَغيير مَا دَفعت إِلَيهِ أنْ تَسْلكها بِالعُنْف، ومُرَاغمة الوَقت ومُعَاناة الأَقضِية والأَقدَار، ومِثَال ذَلِكَ: مَن يَعرض لهُ مَرض مَا يُمكنهُ أنْ يَتحمَله ويُدَافع الوَقت، فإنَّه يَجب عَلَيْهِ ألاَّ يَطرح جَانبه إِلىٰ الأَرْض، ويَخلد إِلىٰ النَوم عَلىٰ الفِراش، لِيُعالج ذَلِكَ المَرض قوّةً وقَهراً، فرُبَّمَا أَمضىٰ بِهِ مُقَاهرة ذَلِكَ المَرض الصَّغير بِالأَدوِيَة إِلىٰ أنْ يَصِير كَبِيراً مُعضلاً.

وَقَالَ صَاحب مَجمَع البَحرين: ٤/٢٠٧، (مَا دَام المَرض لاَ يبهضك فلاَ تَنفعل عَنهُ، لأن فِي التَّجلد مُعَاونة للطَّبِيعة عَلىٰ دَفعهِ، ومِن الأَمرَاض مَا يَتحلل بِالحركَات البَدنِية. وفِيهِ: «خَيْر مَا تَدَاويتُم المَشِيّ» و: «ودَوَاء المُرّة المَشِيّ». أي الأَخلاَط الأَربعَة. والمُرَاد بِالمُرّة هُنا السَّودَاء، وإنْ كَان غَالب اَطلاَقه عَلىٰ الصَّفرَاء لأنَّ هَيجَان السَّودَاء أضر، وأحوَج إِلىٰ المَشِيّ.

قَالَ فِي بَحر الجوَاهر: «قَالَ الآمُلي»: المُرّة فِي اللُّغة القُوّة وَالشِّدَّة أُطلقت عَلىٰ الصَّفراء لِأَنَّهَا أقوىٰ الأَخلاَط، وعَلىٰ السَّودَاء أيضاً لِأَنَّهَا أَشدّها لاِقتِضَائها الأَستمسَاك، وأنبعَاث الصَّلابَة. أنظر، مَن لاَ يَحضره الفَقِيه: ١/١٢٦ هَامش رَقم «١»، مكَارم الأَخلاَق للطَّبرسي: ٥٤ و ٧٦، سِير أَعْلاَم النُّبلاء: ٥/٤٥٣، وَسَائِل الشِّيعة: ١/٣٦١ ح ٣.

(٢) أنظر، نَهج اَلبَلاَغَة: اَلخُطبَة (٨١). (مِنهُ ﷺ).

وَقَالَ أَدِيب شَهِير : يَسْتَحِيل إِخْفَاء الحَقِيقَة ، لأَنَّ قَانون الفِعْل يُقابِلهُ قَانُون رَدّ الفِعْل ، وإِنَّ هَذا القَانُون يُطَبق فِي المَجَال النَّفسي كَمَا يُطَبق فِي المَجَال المِيكَانِيكي ، وعَلَيْهِ فإِنَّ فِعْل الإِخْفَاء يَصطَدم بِرَدّ فِعْله ، وهُو الإِظْهَار بأُسلوب أو بِآخر ، وبِالتَّالي مَن وَضع سِتاراً عَلىٰ الوَاقع هَتَكَهُ رَدّ فِعْله لاَ مَحَالَة .

٢٦ ـ قَالَ عليه السلام : «اَمْشِ بِدَائِكَ مَا مَشَىٰ بِكَ » .

● إِذَا أَحْسَست بِفتُورٍ ، أو أَلَم فَلا تُسرع إِلىٰ الطَّبِيب ، أَو تَخلد إِلىٰ الفِرَاش ، بل اَصْبر وتَجلد مَا اَستَطعت ، واَمضِ فِي عَمَلك ، فَرُبّما كَان الحَادث طَارِئاً لاَ يَلبث أَنْ يَزُول ، وَمتىٰ عَجَزت عَن الحَرَكة فَاَخلد إِلىٰ الرَّاحَة وخَفف الطَّعام ، ولاَ تَلجأ إِلىٰ الطَّبيب إِلّا عِند الضَّرُورَة ... ومَعْنَىٰ هَذا أَنَّ الإِمَام لاَيُشِير بِاَستِعمَال الدَّوَاء إِلّا لِلمُضطَر الَّذي لاَ يَجد وَسِيلة الشِّفاء إِلّا بِهِ ، لأَنَّ الدَّوَاء إِنْ أَفَاد مِن جِهة أَضرّ مِن جِهَة ثَانِيَة . وَتَقَدَّم قَوْلَه عليه السلام : «رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً ، وَالدَّاءُ دَوَاءً »[١] . وفِي مُسْتَدرَك النَّهج ، عَن الإِمَام أَنَّه قَالَ : «لاَ يَتَدَاوىٰ المُسْلِم حَتَّىٰ يَغْلِب مَرَضه صِحَّتِهِ »[٢] .

⇐ تُخْبرِني (تُحَدثني) العَيْنَان (عِينَاك) مَا القَلْب كَاتم   ومَا جَنَّ بِالبَغضَاء والنَّظر الشَّزَر

أُنظر ، بِخصُوص هَذِهِ الحِكْمَة الطَّيبة المصَادر التَّالية عَلىٰ سَبِيل المِثال لاَ الحَصر .

تَأرِيخ بَغداد : ١٠ / ٢٠٨ ، تَأرِيخ دِمَشق : ٤٢٦/٣٥ ، سِير أَعْلاَم النُّبلاء : ٦٧/٢١ ، لِسَان المِيزَان : ١٨٤/٣ ، البِدَاية والنِّهاية : ٧٦/١٠ ، المحصول للرَّازي : ٢١٦/٤ ، لِسَان العَرب : ٩٣/١٣ ، المُنْتَظم لِابن الجوزي : ٢٧٦/١٠ .

(١) أُنظر ، نَهج ٱلبَلاَغَة : ٱلرِّسَالة (٣١) . (مِنْهُ رحمه الله) .

(٢) أُنظر ، الخِصَال : ١٦٠/٢ ح ١٤٠ و : ٦٢٠ طَبعَة قَدِيمَة ، تُحف العُقُول : ١١٠ ، وَسَائِل الشِّيعة : ٢٩/٢٥ ح ٤٣ ، بِحَار الأَنْوَار : ٢٠٣/٨١ ح ٥ .

وقَرَأتُ عَن المُعَمرِين أنَّ أكْثَرهُم لاَ يَعْرِف طَبِيباً ولاَ دَوَاءً.

وَقَالَ بَعْض الشَّارِحِين: أَوصىٰ الإِمَام فِي حِكْمَتِهِ هَذِه بِالصَّبْرِ علىٰ كُلّ مَكرُوه مَا دَام الصَّبْرُ مُمْكِناً! والرِّضا بِمَنطق الوَاقِع حَسَن، ولكِنْ بَعد الجِهَاد، وإفرَاغ الوِسع (١).

٢٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «أَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفَاءُ الزُّهْدِ».

● فِي ٱلخُطْبَة الَّتي حَدَد الإِمَام فِيهَا الزُّهْد بقَوْله: «الزَّهَادَةُ قِصَرُ الأَمَلِ، وَ الشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ، وَ التَّوَرُّعُ عِنْدَ المَحَارِمِ» (٢). وفِي ٱلخُطْبَة الَّتي قَسم ٱلنَّاسُ عَلىٰ أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ: مِنْهُمْ مَنْ لاَ يَمْنَعُهُ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَهَانَةُ نَفْسِهِ... وَمِنْهُمْ المُصْلِتُ

---

(١) أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلحَدِيد: ١٣٨/١٨، (مَهمَا وَجَدت سَبِيلاً إِلىٰ الصَّبْرِ عَلىٰ أَمرٍ مِن الأُمُور الَّتِي قَد دُفعَت إِلَيهَا، وضَرر لاَحق بِك، فَٱصبر ولاَ تلتمس طَرِيقاً إِلىٰ تَغيِير مَا دَفعْت إِليهِ أنْ تَسلكها بِالْعُنف، ومُرَاغمة الوَقت ومُعَاناة الأَقضِية والأَقدَار، ومِثَال ذَلِكَ: مَن يَعرض لهُ مَرض مَا يُمكنهُ أَنْ يَتحمّله ويُدَافع الوَقت، فإِنَّه يَجب عَلَيْهِ ألاَّ يَطرح جَانبه إِلىٰ الأَرض، ويَخلد إِلىٰ النَّوم عَلىٰ الفِرَاش، لِيُعالج ذَلِكَ المَرض قوّةً وقَهراً، فرُبّمَا أَمضىٰ بِهِ مُقَاهرة ذَلِكَ المَرض الصَّغير بِالأَدوِيَة إِلىٰ أَنْ يَصِير كَبِيراً مُعضلاً.

وَقَالَ صَاحب مَجْمَع البَحرين: ٢٠٧/٤، (مَا دَام المَرض لاَ يبهضك فلاَ تنفصل عَنهُ، لأن فِي التَّجلد مُعَاونة للطَّبِيعة عَلىٰ دَفعِهِ، ومِن الأَمرَاض مَا يَتحلل بِالحركَات البَدنِية. وفِيهِ: «خَيْر مَا تَدَاويتُم المَشِيّ» و: «ودَوَاء المِرَّة المَشِيّ». أي الأَخلاَط الأَربعَة. والمُرَاد بِالمِرَّة هُنا السَّودَاء، وإِنْ كَان غَالب أطلاَقه عَلىٰ الصَّفرَاء لأنَّ هَيجَان السَّودَاء أضر، وأحوج إِلىٰ المَشِيّ.

قَالَ فِي بَحر الجوَاهر: «قَالَ الآمُلي»: المِرَة فِي اللُّغة القُوّة وَالشِّدَّة أطلقت عَلىٰ الصَّفراء لِأَنَّهَا أَقوىٰ الأَخلاَط، وعَلىٰ السَّودَاء أيضاً لِأَنَّهَا أَشدّها لِاَقتِضَائها الأَستِمسَاك، وأنبعَاث الصَّلابة. أُنظر، مَن لاَ يَحضره الفَقِيه: ١٢٦/١ هَامش رَقم «١»، مكَارم الأَخلاَق للطَّبرسي: ٥٤ و ٧٦، سِير أَعلاَم النُّبلاء: ٤٥٣/٥، وَسَائِل الشِّيعة: ٣٦١/١ ح ٣.

(٢) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلخُطبَة (٨١). (مِنهُ رحمه الله).

لِسَيْفِهِ، وَ الْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ، وَ الْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ، وَ رَجِلِهِ... وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، وَ لاَ يَطْلُبُ ٱلْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا... وَمِنْهُمْ مَنْ أَبْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُئُولَةُ نَفْسِهِ، وَ ٱنْقِطَاعُ سَبَبِهِ، فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَلَىٰ حَالِهِ، فَتَحَلَّىٰ بِٱسْمِ الْقَنَاعَةِ، وَ تَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ»[1]. وإذَا عَطَفْنَا قَوْلَه هُنا: «أَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفَاءُ الزُّهْدِ»، عَطَفْنَاه عَلَىٰ مَا تَقَدَّمَ ـ نَتج مَعْنَا أَنَّ الزَّاهد حَقَّاً وَصِدقَاً هُو الَّذي أَرادته الدُّنيَا فَأَعرَض عَنْهَا، وإذَا أَخْفَىٰ ذَلِكَ عَن النَّاس فَقَد أَضَاف فَضلاً إِلىٰ فَضل، وزَاده الله أَجرَاً عَلىٰ أَجْر.

أَمَّا طَرِيق الإِخْفَاء فهُو أَنْ يَلْبَس لِلنَّاس المَأْلُوف لأَمثَاله، ولاَ يَتحدث عَن زُهْده، وإِنْ حَضَر مَائِدة فِيهَا مَا لَذَّ وطَاب، أَكَل كَأَحد الحَاضِرِين دُونَ أَنْ يَشعرُوا أَنَّه مِن الزَّاهِدِين.

٢٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «إِذَا كُنْتَ فِي إِدْبَارٍ، وَ الْمَوْتُ فِي إِقْبَالٍ، فَمَا أَسْرَعَ الْمُلْتَقَىٰ!».

● الْمُرَاد بِالْإِدْبَار هُنا مَضِي الْأَيَّام مِن الْعُمُر، وبِإِقْبَالِ الْمَوْت أَنَّه آتٍ فِي أَجْلَه لاَ يَتَقَدَّم عَلَيْه، ولاَ يَتَأَخر عَنْهُ، والْمَعْنَىٰ أَنْت مُسْرِع إِلىٰ الْمَوْت فَٱستَعد لهُ[2]. وفِي

(١) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلخُطبَة (٣٢). (مِنهُ رحمه الله).

(٢) رُوي أَنَّ أَمِير الْمُؤْمِنِين عليه السلام: تَبع جَنَازة فَسَمع رَجُلاً يَضْحَك فقَال: كَأَنَّ الْمَوْت فِيها عَلىٰ غَيْرنا كُتب، وكَأَنَّ الحَق فِيها عَلىٰ غَيْرنا وَجب، وكَأَنَّ الَّذي نَرَاه مِن الأَموَات سَفر عمَّا قَلِيل إِلينَا رَاجعُون نُبوؤهُم ٱجدَاثهُم، ونَأْكل تَرَاثهُم قَد نَسينَا كُلّ وَاعظ ووَاعظة ورَمِينا بِكُلّ حَاجَة، وَعَجِيب لِمَن نَسيَّ الْمَوْت وهُو يَرَىٰ الْمَوْت، ومَن أَكْثَر ذِكر الْمَوْت رَضيَّ مِن ٱلدُّنيَا بِيَسِير. أُنظر، رَوضَة الوَاعظِين: ٤٩٠.

وَقَالَ ٱبن أَبِي ٱلْحَدِيد فِي شَرحِهِ للنَّهج: ١٨/١٤٠، (هَذا ظَاهر، لأنَّه إِذَا كَان كُلَّما جَاء فَي إِدْبَار،

ٱلرِّسَالة الَّتي قَالَ فِيهَا الإِمَام عليه السلام: «مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفاً، وَ يَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً»(١).

٢٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «ٱلْحَذَرَ ٱلْحَذَرَ! فَوَاللهِ لَقَدْ سَتَرَ، حَتَّىٰ كَأَنَّهُ قَدْ غَفَرَ».

● إِلىٰ مَتىٰ تَتَمادىٰ فِي غَيِّك ـ أَيُّها العَاصي ـ أَتَظن أَنَّك مُهمَل وَمَغْفُول عَنْك، أو مُغْفُور لَكَ؟ كَلا، إنَّ اللهَ يُمْهِلُ ولا يُهْمِل، ومَا سَكَت عَنْكَ إلّا ٱمْتحَاناً لَك، وَرَحمة بَك عَسىٰ أنْ تَتُوب إلىٰ رُشدك وعَقلك. وتَقَدَّم مِثله مِرَاراً، وآخرها فِي الحِكْمَة الَّتي ذَكَر فِيهَا عليه السلام: «يَا ٱبْنَ آدمَ، إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعَمَهُ وَأَنْتَ تَعْصِيهِ فَٱحْذَرْهُ»(٢).

الإِيمَان:

٣٠ ـ وَسُئِلَ عليه السلام عَنِ الإِيمَانِ، فَقَالَ: «الإِيمَانُ عَلَىٰ أَرْبَعِ دَعَائِمَ: عَلَىٰ الصَّبْرِ، وَالْيَقِينِ، وَ الْعَدْلِ، وَ الْجِهَادِ.

وَ الصَّبْرُ مِنْهَا عَلَىٰ أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَىٰ الشَّوْقِ، وَ الشَّفَقِ، وَ الزُّهْدِ، وَ التَّرَقُّبِ: فَمَنِ ٱشْتَاقَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ سَلاَ عَنِ الشَّهَوَاتِ؛ وَ مَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ ٱجْتَنَبَ الْمُحَرَّمَاتِ؛

⇐ والمَوْت كُلَّمَا جَاء فَفِي إِقبال، فَيا سرعَان مَا يَلتقيان! وذَلِكَ لأَنَّ إِدْبَاره هُو تَوجهه إلىٰ المَوْت، وإقبَال المَوْت هُو توجه المَوْت إلىٰ نَحوه، فَقَد حَقّ إِذن الإِلتقاء سَريعاً. ومِثَال ذَلِكَ سَفِينتَان بِدجلَة أو غَيرِها، تَصْعد إحدَاهما، والأُخرىٰ تَنحَدر نَحوها، فلاَ رَيب أنَّ الإِلتقاء يَكُون وَشيكاً.

(١) أُنظر، نَهج ٱلبَلاغَة: ٱلرِّسَالَة (٣١). (مِنهُ رحمه الله).

(٢) أُنظر، نَهج ٱلبَلاغَة: ٱلحِكْمَة (٢٤). (مِنهُ رحمه الله).

وَ مَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا اَسْتَهَانَ بِالْمُصِيبَاتِ ؛ وَ مَنِ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ إِلَىٰ الْخَيْرَاتِ .

وَ الْيَقِينُ مِنْهَا عَلَىٰ أَرْبَعِ شُعَبٍ : عَلَىٰ تَبْصِرَةِ الْفِطْنَةِ ، وَ تَأَوُّلِ الْحِكْمَةِ ، وَ مَوْعِظَةِ الْعِبْرَةِ ، وَ سُنَّةِ الْأَوَّلِينَ : فَمَنْ تَبَصَّرَ فِي الْفِطْنَةِ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ ؛ وَ مَنْ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ عَرَفَ الْعِبْرَةَ ؛ وَ مَنْ عَرَفَ الْعِبْرَةَ فَكَأَنَّمَا كَانَ فِي الْأَوَّلِينَ .

وَ الْعَدْلُ مِنْهَا عَلَىٰ أَرْبَعِ شُعَبٍ : عَلَىٰ غَائِصِ الْفَهْمِ ، وَ غَوْرِ الْعِلْمِ ، وَ زُهْرَةِ الْحُكْمِ ، وَ رَسَاخَةِ الْحِلْمِ . فَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ ! وَ مَنْ عَلِمَ غَوْرَ الْعِلْمِ صَدَرَ عَنْ شَرَائِعِ الْحُكْمِ ؛ وَ مَنْ حَلُمَ لَمْ يُفَرِّطْ فِي أَمْرِهِ وَ عَاشَ فِي النَّاسِ حَمِيداً .

وَ الْجِهَادُ مِنْهَا عَلَىٰ أَرْبَعِ شُعَبٍ : عَلَىٰ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَ الصِّدْقِ فِي الْمَوَاطِنِ ، وَ شَنَآنِ الْفَاسِقِينَ : فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَ مَنْ نَهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أُنُوفَ الْكَافِرِينَ ؛ وَ مَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَضَىٰ مَا عَلَيْهِ ؛ وَ مَنْ شَنِئَ الْفَاسِقِينَ وَ غَضِبَ للهِ ، غَضِبَ اللهُ لَهُ وَ أَرْضَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

● كُلّ مَن قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ يُسمّىٰ مُسلِماً ، وتَجري عَلَيْهِ أَحْكَام الإِسْلاَم ، كَالإِرث ، والزّواج ، والدِّيَة سَواء أَنطَق بِهٰذِه الشَّهَادة عَن عِلمٍ أَمْ جَهْلٍ ، وعَن صِدقٍ أَمْ نِفَاقٍ ... وفِي صَدر الإِسْلاَم كَانَتْ كَلِمَتا : المُؤمِن والمُسْلِم مُترَادِفَين ، أو مُتقارِبَتين فِي المَعْنَىٰ ، وَقَد أَطْلَق القُرْآن المُؤْمِنِين عَلىٰ المُسْلِمِين ، وخَاطَب الجَميع بِـ﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[١] ، فِي العَدِيد مِن آيَاته .

وَهُنَاك آيَة تَشترط فِي المُؤمِن الحَقّ مَعْرِفَة القَلْب ، وَخُشُوعه لذِكر الله ، وخَوفَه

(١) أُنظر ، عَلىٰ سَبِيل المِثَال ، التَّغَابُن : ١٤ ، البَقَرَة : ٢٦٤ ، النِّسَاء : ٥٩ .

مِنْهُ، وتَوكله عَلَيْهِ مَع إقَامة الصَّلاة وإيْتَاء الزَّكَاة، وَهِي قَوْلَه تَعَالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[1]. وفِي مَعْنَىٰ هَذِه الآيَة أو قَرِيب مِنْهُ قَول الإِمَام عليه السلام: «الإِيمَانُ مَعْرِفَة بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالأَرْكَانِ»[2].

وَوَجْه الجَمع بَيْنَ هَذِه الآيَة وغَيْرِها مِن الآيَات الَّتي أَطْلَقت كَلِمَة الْمُؤْمِن عَلىٰ كُلّ مَن نَطَق بِالشَّهَادَتِين هُو أنَّ هَذا النَّاطق يُعَامل فِي الدُّنْيَا مُعَاملة الْمُسْلِم لِمُجَرد النُّطق وكَفىٰ، وفِي الآخِرَة يُعَامل عَلىٰ أَسَاس القَول والعَمل مَعاً، ولاَ يُكتَفىٰ مِنْهُ بِمُجَرد النُّطق. ومَهمَا يَكُن فإنَّ الإِمَام هُنا لاَ يَتكَلم عِن الإِيمَان مِن حَيْث هُو وَعلىٰ وَجْه العمُوم والشّمُول، بَل عَن إِيمَان خَاص يَأتي بَعد العِصْمَة مِن غَيْر فَاصل بِدَلِيل أنّه جَعَل الْعَدْل مِن دَعائِمه، ولَيْسَ مِن شَكٍّ أنَّ الإِيمَان أَعَمْ، والْعَدْل أَخَص. وهَذَا الإِيمَان الَّذي يَتكَلم عَنْهُ الإِمَام يَقوم عَلىٰ أَرْبَعِ دَعَائِمَ، وَهِي:

١ ـ الصَّبْرُ، وَلَهُ أَرْبَع عَلاَمَات:

الأُولَىٰ: الشَّوْقِ إِلىٰ رَحْمَة الله وَجَنَّته. ومَن تَطَلَّعت نَفْسَه إِلىٰ نَعِيم الآخِرَة ٱنْصَرَف بِجَمِيع كِيَانه عَن الدُّنْيَا وزِينَتها.

الثَّانِيَة: الشَّفَق أي الخَوْف مِن عَذَاب النَّار، ومَن خَاف مِن شَيء ٱبْتَعد عمَّا يُؤدي إِلَيْهِ.

العَلاَمَة الثَّالِثَة: اللاَّمُبَالاَة بِالدُّنْيَا وأَشْيَائها، أَقْبَلت أَمْ أَدْبَرت، سَالَمت أَمْ

(١) ٱلأنفال: ١ ـ ٤.

(٢) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكمَة (٢٢٦).

حَارَبَت. الرَّابِعَة: العِدَّة، والتَّأَهُب لِلمَوْت بِالتَّقْوَىٰ، والعَمَل الصَّالِح.

٢ ـ الْيَقِينُ الصَّادِق الثَّابِت، وأيضاً لَهُ أَرْبَع عَلاَمَات:

الْأُولَىٰ: الثِّقَة بِكُلِّ مَا يَصْدُر عَنْهُ، كَمَا قَالَ الإِمَام فِي ٱلرِّسَالَة الَّتِي يَقول فِيهَا: «وَالْهُدَىٰ الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ لَعَلَىٰ بَصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي وَيَقِينٍ مِنْ رَبِّي»[١]. وفِي ٱلْخُطْبَة الَّتي قَالَ فِيها: «مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ»[٢].

الثَّانِيَة: مَعْرِفَة الْحَقَائِق عَلىٰ وَجْهِها، كَتَنْزِيه البَاري عَن المَادةِ، والزَّمَانِ، والمَكَانِ، والتَّشبِيهِ، والتَّعطِيلِ، والجَهْلِ، والظُّلمِ، وكَالْعِلْم بِالشَّرِيعَة وَأَسرَارها وبِالبِدَع وآثَارها.

وَالعَلاَمَة الثَّالِثَة: الْإتعَاظ بِالعِبَرِ، والْإِنْتِفَاع بِالنُّذُرِ.

وَالرَّابِعَة: العَمَل بِسُنَّة السَّلَف الصَّالِح.

٣ ـ الْعَدْلُ، وَعَلاَمَاته أَرْبَع:

الْأُولَىٰ: (غَوْرِ الْعِلْمِ) أي أَسْرَاره ودَقَائِقه.

الثَّانِيَة: (غَائِصِ الْفَهْمِ) أي تَطْبِيق عَلىٰ مَوَارِده، ولاَ يَكفِي مُجَرد الحِفظ والْإِطِّلَاع، وَالْقُدْرَة عَلىٰ الجَدَل وٱستخدَام البَرَاهِين.

العَلاَمَة الثَّالِثَة: (زُهْرَةِ الحُكْمِ) وَهِي وضُوحَه لِكُلِّ النَّاس فِي الفَصل بَيْنَ الْحَق والبَاطِل.

والرَّابِعَة: (رَسَاخَةِ الحِلْمِ) بِحَيث إذَا غَضِب العَادل فَلا يُخرجَه الغَضَب مِن الْحَقّ ولاَ يُدْخِله فِي البَاطِل.

---

(١) أُنظر، نَهْج ٱلْبَلاَغَة: ٱلرِّسَالَة (٦٢). (مِنْهُ).

(٢) أُنظر، نَهْج ٱلْبَلاَغَة: ٱلْخُطْبَة (٤). (مِنْهُ).

٤ ـ الْجِهَادُ، ولَهُ أَرْبَع عَلاَمَات:
الأُولىٰ: الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ.
الثَّانِيَة: النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.
الثَّالِثَة: الصَّبْر والثَّبَات فِي مَيدَان القِتَال.
الرَّابِعَة: كرَاهِية الظُّلم والْفَسَاد.

وَكُلّ هَذِهِ الدَّعَائِمِ الَّتِي ذَكَرهَا الإِمَام، والعَلاَمَات لِكُلِّ دَعَامَة ـ تَدل دِلاَلَة قَاطِعَة أَنَّه يَتَحدَث عَن الإِيمَان الكَامِل المُتَاخم لِلعِصْمَة، كَمَا أَشرنَا.

الْكُفْرُ وَالشَّكُّ:

٣١ ـ الْكُفْرُ عَلَىٰ أَرْبَعِ دَعَائِمَ: عَلَىٰ التَّعَمُّقِ، وَالتَّنَازُعِ، وَالزَّيْغِ، وَالشِّقَاقِ: فَمَنْ تَعَمَّقَ لَمْ يُنِبْ إِلَىٰ الْحَقِّ؛ وَمَنْ كَثُرَ نِزَاعُهُ بِالْجَهْلِ دَامَ عَمَاهُ عَنِ الْحَقِّ؛ وَمَنْ زَاغَ سَاءَتْ عِنْدَهُ الْحَسَنَةُ، وَحَسُنَتْ عِنْدَهُ السَّيِّئَةُ. وَسَكِرَ سُكْرَ الضَّلاَلَةِ؛ وَمَنْ شَاقَّ وَعُرَتْ عَلَيْهِ طُرُقُهُ، وَأَعْضَلَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ، وَضَاقَ عَلَيْهِ مَخْرَجُهُ.

وَالشَّكُّ عَلَىٰ أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَىٰ التَّمَارِي، وَالْهَوْلِ، وَالتَّرَدُّدِ، وَالِاسْتِسْلَامِ: فَمَنْ جَعَلَ الْمِرَاءَ دَيْدَناً لَمْ يُصْبِحْ لَيْلُهُ؛ وَمَنْ هَالَهُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ؛ وَمَنْ تَرَدَّدَ فِي الرَّيْبِ وَطِئَتْهُ سَنَابِكُ الشَّيَاطِينِ؛ وَمَنِ اسْتَسْلَمَ لِهَلَكَةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ هَلَكَ فِيهِمَا.

● لِلكَافِر عِند الْمُسْلِمِين أَصْنَاف:
مِنْهَا: أَنْ يَجْحَد الخَالِق مِن الأَسَاس، أو يُؤْمِن بِهِ ويُنْكر اليَوْم الآخِر، أو يُؤْمِن

بِهما مَعاً ويُنكر نُبوَّة مُحمَّد صلى الله عليه وآله.

وَمِنْهَا: أنْ يَجْعَل مَع الله إلٰهاً آخر، أو يَنْسب إِلَيْهِ صَاحِبةً وَولداً.

وَمِنْهَا: أنْ يُغَالي فِي مَخْلُوق وَيَنْعَته بِصِفَة مِن صفَات الخَالِق، أو يَنْصب العَدَاء لأَهْل بَيْت الرَّسُول صلى الله عليه وآله.

وَمِنْهَا: أنْ يُنْكر ضَرُورَة دِينِيَّة ثَبَتت بِإِجْمَاع الْمُسْلِمِين، كوجُوب الصَّوم، والصَّلاة، وَتَحريم القَتل، والسَّلب، والنَّهب. وأشَار الإِمَام إِلىٰ أَصْنَاف الْكَافِر بقَوْلَه: (وَالْكُفْرُ عَلَىٰ أَرْبَعِ دَعَائِمَ) وَهِي.

١ ـ التَّعَمُّق، والْمُرَاد بِهِ ٱقْتِحَام السّدُود المَضرُوبة دُونَ الْغَيْب كِالْبَحْثِ عَن ذَات الله سُبْحَانَه وكُنْهه، وَتَقَدَّم ذَلِكَ فِي شَرح ٱلْخُطْبَة، وَالَّتي جَاء فِيهَا: «وَٱعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ ٱقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ الْإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ، فَمَدَحَ اللهُ تَعَالَىٰ ٱعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً. وَسَمَّىٰ تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثُ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً»[1].

٢ ـ التَّنَازُع، أي الجِدَال فِي الله بِغَير عِلمٍ، ولاَ هُدىً، ولاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ، كَما فِي الآيَة ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ﴾[2].

٣ ـ الزَّيْغ، وهُو الاْنحِرَاف عَن الْحَقِّ الَّذي يَشمل الجحُود بِالله، والنُّصب، والمُغَالاَة.

٤ ـ الشِّقَاق، أي إِنْكَار الْحَقّ عِنَاداً ومُكَابَرة، وَيَصدُق هَذَا فِيما يَصدُق عَلىٰ مُنْكر

---

(١) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلخُطْبَة (٩١). (مِنْهُ).

(٢) ٱلحَجّ: ٨.

الضَّرُورَة.

(فَمَنْ تَعَمَّقَ لَمْ يُنِبْ إِلَىٰ الْحَقِّ) الْمُرَاد بِلَمْ يُنِبْ لَمْ يَرْجَع، وَالْمَعْنَىٰ مَن بَحَث عَن ذَاتِ الله وَكُنْهِه يَبْقىٰ حَائِراً مَدىٰ عُمْرِه، ولاَ يَرْجَع إِلىٰ رُشدِه إِطْلاَقاً، لأنَّ المَحدُود لاَ يُدرِك غَيْر المَحْدُود (وَ مَنْ كَثُرَ نِزَاعُهُ بِالْجَهْلِ دَامَ عَمَاهُ عَنِ الْحَقِّ) لاَ شَيء وَرَاء الجِدَال، والنِّقَاش بِالجَهْل إلاّ الحَيْرَة والضَّلال، أمَّا الجِدَال مَع العِلْم بِالحَقّ وإِخْفَائه فهُو نِفَاق وَكَذِب مُتَعمد (وَ مَنْ زَاغَ سَاءَتْ عِنْدَهُ الْحَسَنَةُ، وَ حَسُنَتْ عِنْدَهُ السَّيِّئَةُ). عَن طَرِيق الْهُدَىٰ رَأىٰ الْخَيْر شَرّاً والشَّرّ خَيرّاً (وَ مَنْ شَاقَّ وَعُرَتْ عَلَيْهِ طُرُقُهُ، وَ أَعْضَلَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ، وَ ضَاقَ عَلَيْهِ مَخْرَجُهُ). أي تَمَرَّد عَلىٰ الحَقّ فَقَد رَكب الصَّعب، وسَلَك مَسَالِك التَّهلُكة، ولَنْ يَجد فَرَجاً ولاَ مَخرَجاً.

(وَ الشَّكُّ عَلَىٰ أَرْبَعِ شُعَبٍ):

الأُولَىٰ: التَّمَارِي، وَمَعْنَاه الجِدَال بِلا التَّعمُّق، والمُرَاد بِهِ هُنَا السَّفْسَطة، واللَّعب بِالأَلْفَاظ البَرَّاقة الَّتِي تُرِيك المُستَحيل مُمْكِناً، والمُمكِنْ مُسْتَحِيلاً.

وَالثَّانِيَة: الْهَوْل، أي الخَوْف مِن الوقُوع فِي الخَطأ، والخَائِف يَنفر مِن خَيَاله ويَحْسِبَه عَدوّاً جَاء لإِغتيَاله.

الثَّالِثَة: التَّرَدُّدِ فِي العَزم والنِّيَّة، ومَن كَان هَذا حَالَه لاَ يَأْتِي بِخَيْر.

الرَّابِعَة: الِاسْتِسْلَامِ لِكُلِّ رَاكِب وقَائِد إِلىٰ الهَلاَك والدَّمَار[1].

(١) قَالَ ابن أبِي الحَدِيد فِي شَرحِهِ لِنَهج البَلاَغَة: ١٤٣/١٨، ومَا بَعدها، مِن هَذا الكَلاَم أَخَذت الصُّوفِية، وأَصْحَاب الطَّرِيقة، والحَقِيقة مِن فنُونهم فِي علُومهم، ومَن يتأمل؟ كَلاَم سَهْلُ بن عَبدالله التُّستري، وكَلاَم الجُنَيد، والسَّري وغَيْرهم رَأىٰ هَذِه الكَلِمَات فِي فُرش كَلامهم تَلوح كَالكَوَاكب الزَّاهِرة، وكُلّ المقَامَات
↔

٣٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «فَاعِلُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْهُ، وَ فَاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ».

● كُلّ مَا فِيهِ جِهَة صَلاَح لِلنَّاس بِلا ضَرَر عَلىٰ أَحدٍ فهُو خَيْر، وكُلّ مَا فِيهِ جِهَة فَسَاد بِلا نَفْع، أو كَان ضَرّه أَكْثَر مِن نَفْعه فهُو شَرّ. ولَيْسَ مِن شَكٍّ أَنَّ الفَاعل عِلَّة لِلفِعل، والعِلَّة أَقوىٰ وأَكْمَل مِن المَعلُول، لأنَّ لَهَا مِن الصِّفَات الذَّاتية مَا لاَ يَظهر ولاَ يُمكن أنْ يَظهر فِي المَعلُول أي أنَّ فِي العِلَّة مَا فِي المَعلُول وزِيَادة. وغَيْر بَعِيد أنْ يَكُون مُرَاد الإِمَام مُجرد الحَث عَلىٰ فِعل الخَيْر وتَرك الشَّرّ، ولَيْسَ مِن قَصدِه التَّفاضُل بَيْنَ الفِعْل وفَاعِله[1].

↩ وَالأَحْوَال المَذكورة. وقَد ذَكر نُبذ من حكَايات مِمَّا وَقع بَيْن يَدي المُلوك مِن الصِّدقِ، ومَن يَغضب لله ويَنهىٰ عَن المُنكَر، ويَقوم بِالحقِّ، ولاَ يُبالي بِالسُّلْطَان ولاَ يُرَاقبه... إلخ. أنظر، الكَافِي: ٢/٣٩٣، الخِصَال: ٢٣١، تُحف العُقُول: ١٦٤، شَرح أُصول الكَافِي: ٨/١٦٠ و: ١٠/٧٣ و ٨١، كتَاب سُليم بن قَيس: ٤٧١، بِحَار الأَنْوَار: ٤/١٧٠، كتَاب الإِيمَان لِمُحمد بن يَحيىٰ العَدني: ١١٨، كَنز العُمَّال: ١٦/١٩٣ ح ٤٤٢١٦، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغير: ٦/١٢٢، الدُّر المَنثور: ١/٦٦، تَأريخ دِمَشق: ٤٢/٥١٥، مِيزان الإِعتدَال: ٢/١٩٩، المنَاقب للخوارزمي: ٣٧٢، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لعَبدة: ٤/١٠، نَهج السَّعادة: ١/٣٧٠ و: ٢/٢٠ و: ٣/٣٩١.

(١) قَالَ ٱبن أَبِي ٱلحَدِيد فِي شَرح ٱلنَّهج: ١٨/١٤٩، وقَد نَظمتُ أَنَا هَذا اللَّفظ والمَعْنىٰ فَقلتُ فِي جُملة أَبْيَات مِن الشِّعر:

خَيْر البَضَائِع للإِنْسَان مَكرُمة ... تَنمىٰ وتَزكو إذَا بَارت بضَائِعه

فَالخَيْر خَيْر وخَيْر مِنه فَاعِله ... والشَّرّ شَرّ وَشَرّ مِنْهُ صَانِعه

فإنْ قُلتَ: كَيف يَكُون فَاعِل الخَيْر خَيْراً مِن الخَيْر، وفَاعِل الشَّرّ شَرّاً مِن الشَّرّ، مَع أنَّ فَاعِل الخَيْر إنَّما كَان مَمدُوحاً لأجل الخَيْر، وفَاعِل الشَّرّ إنَّما يكُون مَذمُوماً لأجل الشَّرّ. فإذَا كَان الخَيْر والشَّرّ هُما سَبباً لِلمَدح والذَّم ـ وهُما الأَصل فِي ذَلِكَ فَكَيف يَكُون فَاعِلاهما خَيْراً وشَرّاً مِنهُما؟

قُلت: لأنَّ الخَيْر والشَّرّ لِيسا عِبَارة عَن ذَات حيَّة قَادرة، وإنَّما هُما فِعلان، أو فِعل وعَدم فِعل، أو ↩

٣٣ ـ وَ قَالَ ﷺ : «كُنْ سَمْحاً وَ لَا تَكُنْ مُبَذِّراً ، وَكُنْ مُقَدِّراً وَ لَا تَكُنْ مُقَتِّراً » .

● المُبَذِّر : يُنْفِق المَال فِيما لاَ يَنْبَغي ، المُقَدِّر : يُقَدِّر العوَاقِب ، فَيُنفِق دُونَ مَا يَكْسِب ، ويَدَخِر الفَاضِل لوَقت الحَاجَة ، وعَلىٰ الأَقل قَدَّراً بِقَدَّر . والمُقَتِّر : يُضيِّق فِي النَّفقَة عَلىٰ نَفْسهِ ، وعِيَالهِ بِلا ضَرُورة ، والسَّمح هُو السَّهل اللَّين لاَ يُقَتِّر ولاَ يُبَذِّر ، ويَضَع كُلّ شَيء فِي مَحَله ، والمَعْنَىٰ : كُنْ بَيْنَ بَيْنَ ، كَما نَطَقت الآيَة : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[1] .

٣٤ ـ وَ قَالَ ﷺ : «أَشْرَفُ الْغِنَىٰ تَرْكُ الْمُنَىٰ » .

● كُلّ إِنْسَان يَتَمنىٰ أَنْ تَكُون لهُ زَوْجَة صَالِحة ووَلَد بَار ، وأَنْ يَكُون عَالِماً عَاقِلاً ، وسَلِيماً مُعافىٰ ، وغَنِياً عَن النَّاس . وهَذَا النّوع مِن التَّمني لاَ يُوصف بِخَيْرٍ ولاَ بِشَرٍّ ، لأَنَّه لاَزم قَهري لِطَبِيعَة الإِنْسَان وفِطْرَته . أَمَّا الَّذي يَتمنىٰ العَفْو والرَّحْمَة مِن الله ، والخَيْر لِكُلّ النَّاس ، وأَنْ يَمْحَق الله الظُّلم وأَهْله فهُو مِن الطَّيبين الأَخيَار . ولَيْسَ مِن شَكٍّ أَنَّ النَّبيّ وعَلِيّاً وصَالح المُؤْمِنِين تَمنُوا الهدَايَة لِلنَّاس أَجْمعِين .
وعَلَيْهِ فَالإِمَام يَتَكَلم عَن التَّمني الَّذي هُو بِالحُمْق أَشْبَه ، كَالطَّمع فِي غَيْر مُقبل . وعَلىٰ أَيَّة حَال فإِنَّ التَّمني لاَ يَجْلِب نَفْعاً ، ولاَ يَدْفَع ضَرّاً . وقَد يَخدع الشَّهوَات

← عَدمان ، فَلو قَطع النَّظر عَن الذَّات الحيَّة القَادرة الَّتي يَصدران عَنهَا ، لمَا انْتَفع أحد بِهما ولاَ استَضر . فالنَّفع والضَّرر إِنَّما حَصلا بِهما مِن الحَي المَوصُوف بِهما لاَ مِنهما عَلىٰ انفرادهُما فَلِذَلك كَان فَاعِل الخَيْر خَيْراً مِن الخَيْر ، وفَاعِل الشَّرّ شَرّاً مِن الشَّرّ .

(١) الإِسْرَاء : ٢٩ .

ويُخدرَها إِلىٰ حِين، كَمَا قَالَ المُتَنَبِّي[١]:

مُنىٰ إِنْ تَكُن حَقّاً أَحْسَن المُنىٰ … وإِلَّا فَقَد عِشْنَا بِهَا زَمَناً رَغَدا

٣٥ ـ وَ قَالَ ﷺ: «مَنْ أَسْرَعَ إِلَىٰ النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ، قَالُوا فِيهِ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ».

● مَنْ أَسَاء إِلىٰ الآخَرِين ذَمُّوه بِالحَقّ وبِالبَاطِل، وٱتخذ مِنْهُم أَعْدَاءً لِنَفْسه[٢].

---

(١) أنظر، دِيوَان المُتَنَبِّي بِشَرح عَبد ٱلرَّحْمَان البَرقُوقي: ١٩٨/٤، مَطْبعة الاسْتِقَامَة، مِصْر، ١٣٥٧ هـ.

(٢) قَالَ ٱبن أَبِي ٱلحَدِيد فِي شَرح ٱلنَّهج: ٣٥٩/٦، قَد أَخَذ هَذا القَول شَاعر فقَال:

وَمَن دَعَا النَّاس إِلىٰ ذَمه … ذَموه بِالحَقّ والبَاطِلِ

وَقَالَ ٱبن أَبِي ٱلحَدِيد فِي شَرح ٱلنَّهج أيضاً: ١٥٢/١٨، لمَا ٱفتتح قُتَيْبَة بن مُسْلِم سَمرقَند أفضىٰ إِلىٰ آثاث لَم يَر مِثله، وإِلىٰ آلاَت لَمْ يَر مِثلها، فأَرَاد أَنْ يَرىٰ النَّاس عَظِيم مَا أَنْعَم الله بِهِ عَلَيْهِ، ويُعرفهُم أقدَار القَوم الَّذِين ظَهر عَلَيْهِم، فَأمر بدَار فَفُرشت، وفِي صَحنها قدُور يَرتقىٰ إِلَيْهَا بِالسَّلالم. فإذَا الحُضَين بن المُنْذِر بن الحَارث بن وَعلَة الرَّقاشي قَد أقبَل والنَّاس جلُوس عَلىٰ مَرَاتبهُم. والحُضَين شَيخ كَبِير فلَمَّا رَآه عَبدالله بن مُسْلِم، قَالَ لأخِيهِ قُتَيبَة: أئذن لِي فِي مُعَاتبته، قَالَ: لاَ تَردَّه لأنّه خَبِيث الجوَاب. فَأبىٰ عَبدالله إلاَّ أنْ يَأذن لهُ ـ وكَان عَبدالله يَضعف، وَقَد كَان تَسور حَائِطاً إِلىٰ ٱمْرَأَةٍ قَبل ذَلِكَ ـ فَأقبل عَلىٰ الحُضِين، فقَال: أَمنَ البَاب دَخلْت يَاأَبا سَاسَان؟

قَالَ: أَجْل، أَسن عَمّك عَن تَسور الحِيطَان. قَالَ: رَأيتَ هَذِه القُدُور، وَقَالَ: هِي أَعْظَم مِن ألاَّ تَرىٰ، قَالَ: مَا أَحْسب بَكر بن وَائل رَأىٰ مِثلها، قَالَ: أَجْل، ولاَ غِيلاَن، ولَو كَان رَآها سَمّىٰ شَبعَان، ولَم يُسم غِيلان. قَالَ لهُ عبدالله: يَا أَبَا سَاسَان أَتعرف الَّذي يَقول:

عَزَلنَا وأَمرنا وبَكر بن وَائل … تَجر خصَاها تَبْتَغي مَن تُحَالف

قَالَ: أَجل أَعرفه، وأَعرف الَّذي يَقول:

بِأَدنىٰ العَزم قَادَ بَني قُشَير … ومَن كَانَتْ لهُ أَسرىٰ كِلاَب

وخَيبَة مَن يَخيب عَلىٰ غِنىٰ … وبَاهلة بن يَعصر والرِّبَاب

قَالَ: أَفتعرف الَّذي يَقول:

والبَادِي أَظلَم[1]، بَل مَن ادعىٰ مَا لَيسَ فيهِ مَقتَه النَّاس، بِأكْثَر مِمَّا يَسْتَحق.

٣٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَنْ أَطَالَ الأَمَلَ أَسَاءَ الْعَمَلَ».

● الأَمَلَ هُو الطَّاقة المُحركة لِحَيَاة الإِنْسَان، والقُوَّة الدَّافِعة لهُ عَلىٰ العَمَل. فالتَّاجر يَفْتح حَانُوته أَمَلاً بِالرِّبح، والفَلاح يَزرَع أَمَلاً بِالحَصَاد، والطَّالب يَجُد ويَجْتَهد أَمَلاً بِالنَّجاح ... وهَكذا، ومِن هُنا قَالَ الإِمَام: طُول الأَمَل، ولَمْ يَقل الأَمَل.

ولَيْسَ مِن شَكٍّ أنَّ طُوله يُنسي المَوْت، وأنَّ الإِنْسَان فِي طَرِيقهِ إِلىٰ الرَّحِيل،

↩ كَأنَّ فُقاح الأَزد حَول ابن مَسمع ... وَقَد عَرقت أفوَاه بَكر بن وَائل

قَالَ نَعم: أَعرفه وأَعرف الَّذي يَقول:

قَوم قُتَيْبَة أُمّهم وأَبُوهم ... ولوَلا قُتَيْبَة أَصْبَحوا فِي مَجهلِ

قَالَ: أَمَّا الشِّعر فَأرَاك ترويه، فَهل تَقرأ مِن القُرْآن شَيْئاً؟ قَالَ أَقرأ مِن الأَكثر الأَطيب: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ الإِنسَان: ١.

فَأغضَبه، فقَال: والله لقَد بَلغني أنَّ امرَأةَ الحُضِين حُملت إليهِ وَهِي حُبلىٰ مِن غَيْره.

قَال: فلمَّا تَحرك الشَّيخ عَن هِيئتهِ الأُولىٰ، ثُمَّ قَالَ عَلىٰ رَسله، ومَا يَكُون؟ تَلد غُلاَماً عَلىٰ فِرَاشي، فَيُقَال ابن الحُضين، كمَا يُقَال عَبدالله بن مُسْلِم. فَأقبل قُتيبَه عَلىٰ عَبدالله، وَقَالَ: لاَ يبعد الله غَيْرك.

والحُضين هُو الَّذي كَان بِيده لوَاء عَليّ بن أَبِي طَالب عَلىٰ رَبِيعة، ولهُ يَقول القَائل:

لِمَن رَايَة سَوداء يَخْفق ظِلها ... إذَا قِيل قَدمها حُضين تَقدما

أُنظر، الكَامِل لِابن الأَثِير: ٢/ ٩٠٠ و: ٣/ ٩٠١، ابن العَدِيم: ٦/ ٢٨٢٩، تَهذِيب الكَمَال: ٦/ ٥٥٩، الإِصَابَة: ١/ ٢٥٧، أَمَالي السَّيِّد المُرتضىٰ: ١/ ٢٠٨، تَأرِيخ دِمَشق: ١٤/ ٤٠٠، ابن أَبِي الحَدِيد فِي شَرح النَهج: ٥/ ٣٤.

(١) جَاء فِي تُحف العُقُول: ٤١٢، لَمَّا رَأىٰ الإِمَام عَلي بن الحُسين عليه السلام، رَجُلين يَتسَابَان، فقَال عليه السلام: «البَادي أَظلم ووِزرَه ووِزر صَاحبهُ عَلَيهِ مَالَم يَعتدِ المَظلوم».

ومَن نَسي هَذا المَصِير تَحدىٰ جَمِيع القِيم، وتَعالىٰ عَلىٰ الحَق والعَدْل عِناداً وٱستكبَاراً[1].

٣٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام: وَ قَدْ لَقِيَهُ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَىٰ الشَّامِ دَهَاقِينُ الْأَنْبَارِ. فَتَرَجَّلُوا لَهُ، وَٱشْتَدُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ:

مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمُوهُ؟ فَقَالُوا: خُلُقٌ مِنَّا نُعَظِّمُ بِهِ أُمَرَاءَنَا، فَقَالَ: «وَ اللهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهَذَا أُمَرَاؤُكُمْ! وَ إِنَّكُمْ لَتَشُقُّونَ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ، وَ تَشْقَوْنَ بِهِ فِي آخِرَتِكُمْ. وَ مَا أَخْسَرَ الْمَشَقَّةَ وَرَاءَهَا الْعِقَابُ، وَ أَرْبَحَ الدَّعَةَ مَعَهَا الْأَمَانُ مِنَ النَّارِ!».

● قَالَ الشَّرِيف الرَّضِيّ: مَرَّ الإِمَام فِي طَرِيقهِ إِلىٰ حَرْب مُعَاوِيَة بِمكَان مِن بِلاَد الْعِرَاق يُسمّىٰ الأَنْبَار، ولمَّا رَآه زُعمَاء الفَلاَحِين نَزَلوا عَن خيُولِهم وأَسرعُوا بَيْنَ يَدِيه، فَٱسْتَنكَرَ ذَلِكَ، وَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمُوهُ؟ فَقَالُوا: خُلُقٌ مِنَّا نُعَظِّمُ بِهِ أُمَرَاءَنَا. فَقَالَ: وأَيَّة جَدوىٰ لَكُم وَلأُمَرائكُم بِهَذا التَّقليد البَغِيض؟ أَنَّه تَعب ونَصب عَلَيْكُم فِي الدُّنْيَا، وشَقَاء وإِرزَاء فِي الآخِرَة.

(وَ مَا أَخْسَرَ الْمَشَقَّةَ وَرَاءَهَا الْعِقَابُ). أَخْسَر النَّاس صَفْقَة مَن أَتْعَب نَفْسه فِي دُنيَاه، وَشَقي فِي آخِرَته (وَ أَرْبَحَ الدَّعَةَ مَعَهَا الْأَمَانُ مِنَ النَّارِ!). النِّعْمَة الكُبْرىٰ أَنْ تَعِيش دُنْيَاك فِي هُدُوء وطُمَأْنِينَة، وأَنْ تَأمن فِي آخِرَتك مِن عَذَاب النَّار وغَضَب

(١) أُنظر، شَرح نَهْج ٱلبَلاَغَة لِمُحَمَّد عَبْدَه: ٤/١٠، قَالَ: تَعني هَذِه ٱلحِكْمَة، الثِّقة بِحصُول الأَمَاني بِدُون عَمِلَ لهَا، أَو ٱستطَالة العُمُر والتَّسويف بِأعمَال الخَيْر». شَرح نَهْج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ١٨/١٥٥، قَالَ: قِيل لِبَعض الصَّالِحِين: أَلَكَ حَاجة إِلىٰ بَغدَاد؟ قَالَ: مَا أُحب أَنْ أَبسط أَمَلي حتَّىٰ تَذهب إِلىٰ بَغدَاد وَتَعُود».

الجبَار [١]... أَللَّهُمَّ إنَّا فِي هَذِه النِّعْمَة لرَاغِبُون، وأَنْتَ الوَسِيلة إلَيْهَا وَحْدَك لاَ شَرِيك لَكَ.

٣٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام، لِابْنِهِ الْحَسَنِ عليه السلام:

«يَا بُنَيَّ، اْحْفَظْ عَنِّي أَرْبَعاً، وَ أَرْبَعاً، لَا يَضُرُّكَ مَا عَمِلْتَ مَعَهُنَّ: إِنَّ أَغْنَىٰ الْغِنَىٰ الْعَقْلُ، وَ أَكْبَرَ الْفَقْرِ الْحُمْقُ، وَ أَوْحَشَ الْوَحْشَةِ الْعُجْبُ، وَ أَكْرَمَ الْحَسَبِ حُسْنُ الْخُلُقِ.

يَا بُنَيَّ، إِيَّاكَ وَ مُصَادَقَةَ الْأَحْمَقِ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرَّكَ؛ وَ إِيَّاكَ وَ مُصَادَقَةَ الْبَخِيلِ، فَإِنَّهُ يَقْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ؛ وَ إِيَّاكَ وَ مُصَادَقَةَ الْفَاجِرِ، فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ، وَ إِيَّاكَ وَ مُصَادَقَةَ الْكَذَّابِ، فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ: يُقَرِّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ، وَ يُبَعِّدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ».

● **وَتَسْأَل:** لِمَاذا قَالَ: أَرْبَعاً، وَأَرْبَعاً، ولَمْ يَقُل: ثَمَانِي وَصَايَا؟.

وَأَجَاب بَعْض الشَّارِحِين: بِأَنَّ الْأَرْبَع الأُولَىٰ تَعُود إِلىٰ ذَات الإِنْسَان مِن حَيْث هُو، وَالثَّانِيَة مِن حَيْث سلُوكه مَع النَّاس!... وهَذَا مُجَرد حَدس وتَكَهُن، والأَقْرَب حَمل الكَلاَم عَلىٰ التَوكِيد والتَّحقِيق، ومَهمَا يَكُن فَالْمَعْنَىٰ وَاحد، والوَصَايا الثَّمانِيَة هِي:

١ ـ الْعَقْلُ، ولَيْسَ الْمُرَاد بِهِ هُنا عَقْل إِينْشتَاين، وأَدِيسُون وغَيْرهُما مِن الْعُقُول

(١) قَالَ ابن أَبِي الْحَدِيد فِي شَرح النَّهج: ١٥٦/١٨، يقصد بِهَذِه الْحِكْمَة عليه السلام: كُلّ خُضوع وتَذَلل لِغَير الله فَهُو مَعْصِيَة. أُنظر، القِصَّة كَاملة فِي بحَار الأَنْوَار: ٣٥٦/٧٥، نَقلها عَن كِتَاب وَقعَة صِفِّين لِنَصر بن مُزَاحِم.

الرِّيَاضِية، بَل المُرَاد الْعَقْل الَّذي يُقَدِّر العوَاقب، ويَدفع بصَاحِبه إِلىٰ التَّواضع وفِعل الْخَيْرَات، ويَبْتَعد بِهِ عَن الرَّذائِل، والمُهلكَاتِ كَالْكَذِب، والظُّلمِ والعُجْب، وَمَا إِلىٰ ذَلِكَ.

٢ ـ الْحُمْقُ، وهُو ضِدّ الْعَقْل الَّذي أشرنَا إِلَيْهِ، والأَحْمَق أَفْقَر الْفُقَرَاء، لاَ يَنْتَفِع بعِظَة ولاَ يَسْتَفِيد مِن تَجْربة، وَيَتَعجل الأُمُور بِلا رَوِيَّة ولاَ يُدرك عوَاقبها إلاّ بَعد الفوَات.

٣ ـ الْعُجْبُ، وهُو جَهل وصَلاَفة، والمُعْجَب بِنَفْسه ثَقِيل عَلىٰ كُلّ قَلْب، ولذَا يَعِيش غَرِيباً بَيْنَ قَومه. قَالَ الإِمَام فِي ٱلرِّسَالة الَّتي ذكَر فِيهَا: «الْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ مَنْ تَعَدَّىٰ الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ، وَمَنِ ٱقْتَصَرَ عَلَىٰ قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَىٰ لَهُ، وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ سُبْحَانَهُ»[1].

٤ ـ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَأَسَاسهُ الصَّبْر والرِّفق وَسِعة الصَّدر، والبُعد عمَّا يُشِين الكِرَام وَأَهْل المُرُوءَات.

٥ ـ مُصَادَقَةَ الأَحْمَقِ، لِأَنَّهَا تَضر ولاَ تَنْفع... إِنَّه يَنْصَحك بِصدق وإِخْلاَص وَلكنْ بِلا عَقل ولاَ عِلم.

٦ ـ مُصَادَقَةَ الْبَخِيلِ، لأنَّه ضَنِين بِالْحَقِّ والوَفَاء... يَأخذ مِنْكَ ولاَ يُعْطِيك إلاّ التَّجاهُل والخُذْلاَن.

٧ ـ مُصَادَقَةَ الْفَاجِرِ، لأنَّه لاَ يَعْرِف ولاَ يَعْتَرف إلاّ عَلىٰ صكُوك البَيع والشِّراء، ويَعقد الصَّفقَات مَع الشَّيْطَان عَلىٰ دِينه وَوَطَنه، فَلا بُدَّ إذا بَاع صَدِيقه بِأَبْخَس

---

(١) أُنظر، نَهج ٱلْبَلاَغَة: مِن وصيةٍ لهُ عليه السلام إِلىٰ ٱبْنِهِ الإِمَام الْحَسَن عليه السلام رَقم ٱلرِّسَالَة (٣١). (مِنْهُ قدس سره).

الأَثْمَان.

٨ ـ مُصَادَقَةَ الكَذَّابِ، لِأَنَّهَا نِفَاق وَرِيَاء، وتَلْبِيس وتَضْلِيل تُرِيك المُمكِن مُسْتَحِيلاً، والمُسْتَحِيل مُمكِناً.

٣٩ ـ وَ قَالَ ﷺ: «لَا قُرْبَةَ بِالنَّوَافِلِ إِذَا أَضَرَّتْ بِالْفَرَائِضِ».

● النَّافِلَة يُرَجَح فِعْلهَا وَيَجُوز تَركهَا، والفَرِيضَة يَجبُ فِعْلهَا ويَحرُم تَركهَا، فإنْ أَمْكَن الجَمع بَيْنَ الاثْنَيْن فَذَاك. وكَلاَمُ الإِمَام مُنْصَرِف عَن هَذِه الحَال، لِأَنَّهَا مِن الوضُوح بِمكَان، وإنْ تَعَذر الجَمع ولَمْ تَسْنَح الْفُرْصَة إلّا لوَاحد دُونَ الآخَر ـ كَما هُو الفَرض ـ فَالوَاجب أَوْلَىٰ وَأَهَم، ومِثَال ذَلِكَ فِي الْعِبَادَة أنْ يَتَسع الوَقت لِلفَرِيضَة فَقط فَتُقَدم عَلىٰ النَّافِلَة بِلا رَيبٍ، ومِثَاله فِي غَيْر الْعِبَادَة أنْ لاَ يَتَسع المَال إلّا لوَفَاء الدَّين عَلىٰ الصَّدَقَة. هَذِه هِي القَاعِدَة كَمبدَأ وَمَنْهج، وعَلىٰ المُجْتَهِد أنْ يُفرِع ويُطَبق. والتَّفصِيل فِي كُتب الفِقْه(١).

---

(١) قَالَ ابن أَبِي الحَدِيد فِي شَرح النَهج: ١٥٨/١٨، هَذا الكَلاَم يُمكن أنْ يُحمل عَلىٰ حَقِيقَته، ويُمكن أنْ يُحمل عَلىٰ مَجَازه، فإنْ حُمل عَلىٰ حَقِيقَته فَقَد ذَهب إلىٰ هَذا المَذْهَب كَثِير مِن الفُقَهاء، وهُو مَذْهَب الإمَامِيَّة، وهُو أنَّه لاَ يَصح التَّنفل بِمَّن عَلَيْهِ قضَاء فَرِيضة فَاتَته لاَ فِي الصَّلاَة ولاَ فِي غَيْرها. فأمَّا الحَجّ فَتَفق عَلَيْهِ بَينَ المُسْلِمِين أنَّه لاَ يَصح الابْتِدَاء بِنَفله، وإذَا نَوىٰ نِيَّة النَّفل، ولَمْ يَكُن قَد حَجَّ حِجَّة الإسْلاَم وقَع حَجُّه فَرضاً. فأمَّا نوَافِل الزَّكَاة فَمَا عَرَفت أحداً قَالَ: إنَّه لاَ يُثاب المُتَصدق بِها، وإنْ كَان لَمْ يُؤد الزَّكَاة الوَاجِبة. وأمَّا إذَا حُمل عَلىٰ مَجَازه، فإنَّ مَعنَاه يَجِب الابْتِدَاء بِالأَهَم وتَقدِيمه عَلىٰ مَا لَيْس بِأَهم. فَتدخل هَذِه الكَلِمَة فِي الآدَاب السُّلطَانِيَة والإخوَانِية، نَحو أنْ تَقول لِمَن تُوصيه: لاَ تَبدأ بِخدمَة حَاجب المَلك قَبل أنْ تَبدأ بِخدمَة وَلَد المَلك، فإنَّك إنَّما تَروم القُرْبَة لِلمَلك بِالخِدمَة، ولاَ قُربَة إليهِ فِي تَأخِير خِدمَة وَلَده وتَقدِيم خِدمة غُلاَمه.

٤٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ، وَ قَلْبُ الْأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ».

● اللِّسَانُ تَرْجُمَان القَلْب وٱنْعكَاس عَنْهُ، وَوَظِيفَة المُـتَرجِم أَنْ يُصغي ويَـعقل عَن المُتَرجَم عَنْهُ، ثُمَّ يحكي ويَروي مَا سَمع وَوعىٰ بِالحَرف الوَاحد، فإِنْ غَيّر وبَدّل فَقَد خَان، وإِنْ سَبق ونَطَق قَبل أَنْ يَسمَع ويَتَدبَّر فهُو مَجْنُون، لأَنَّ الْغَيْب لله وَحدَه وهَكذا يُسرِع الأَحْمَق ويَتَعَجل القَول قَبل أَنْ يَتَدبَّره فِي عَـقْله وقَـلْبه، وقَـبل أَنْ يَعْرِف العوَاقب. أَمَّا الْعَاقِل فَيَخزن لِسَانه، ولاَ يَقول إِلّا بَعد الرَّوِيَّة والتَّفكِير والْعِلْم بِالعَاقِبة وأَنَّها لَهُ لا عَلَيْهِ. وتَقَدَّم مِثله فِي ٱلْخُطْبَة الَّتي ذَكَر الْإِمَام هُناك الْمُؤمِن مَكَان الْعَاقِل هُنا، والْمُنَافِق مَكَان الْأَحْمَق. حَيْث قَالَ عليه السلام: «وَإِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِـنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ، وَإِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ: لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَام تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ، فَإِنْ كَانَ خَيْراً أَبْدَاهُ، وَإِنْ كَانَ شَرّاً وَارَاهُ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَىٰ عَلَىٰ لِسَانِهِ لاَ يَدْرِي مَا ذَا لَهُ، وَمَا ذَا عَلَيْهِ»[١]. ويُومىء هَذا إِلىٰ أَنّ الْإِيمَان لاَ يَسْتَقِيم إِلّا مَع الْعَقْل. وفِي الْحَدِيث الشَّرِيف: «المَعْرِفَة رَأْس مَالِي، وَالعَقْل أَصْل دِينِي، والحُبّ أَسَاسِي، والشَّوْق مَرْكَبِي، والْخَوْف رَفِيقِي، والْعِلْم سِـلاَحِي، والْحِـلْم صَـاحِبِي، والتَّوكل زَادِي «رِدَائِي»، والقَنَاعَة كَنْزِي، والصِّدْق مَنْزِلي، والْيَقِين مَأْوَاي، وَالْفَقْر فَخْري وبِهِ أَفْتَخر عَلَىٰ سَائِر الْأَنْبِيَاء والْمُرْسَلِين»[٢].

⇐ وحَمل الكَلِمَة عَلىٰ حَقِيقتها أَوْلىٰ لأَنَّ ٱهتمَام أَمِير الْمُؤْمِنِين عليه السلام بِالأُمُور الدِّينية والشَّرعِيية فِي وصَايَاه ومَنثُور كَلاَمه أَعْظَم.

(١) أُنظر، نَهْج ٱلْبَلاَغَة: ٱلْخُطْبَة (١٧٦) (مِنْهُ رحمه الله).

(٢) أُنظر، الشِّفا بِتَعرِيف حقُوق المُصْطَفىٰ: ١/١٤٦، المَحجة البَيْضَاء: ٨/١٠١، عوَالي اللَّيالي: ٤/١٢٥ ح ١، مُستَدرك الوَسَائِل: ١١/١٧٣ ح ١٢٦٧٢.

وَقَالَ الرَّضِيّ: وَهَذا مِن الْمَعانِي الْعَجِيبَة الشَّرِيفَة، والْمُرَاد بِهِ أنَّ الْعَاقِل لاَ يُطْلِق لِسَانه، إلاَّ بَعْد مُشَاوَرة الرَّوِيَّة، ومُؤَامَرة الفِكْرَة، والأَحْمَق تَسْبق حَذَفَاتُ لِسَانه وفَلتَاتُ كَلاَمه مُرَاجَعَة فِكْرَه، ومُمَاخَضَة رَأيه، فَكَأَنَّ لِسَان الْعَاقِل تَابِعٌ لِقَلْبَه، وَكَأَنَّ قَلْبُ الأَحْمَق تَابِعٌ لِلسَانه.

وَقَد رُوِيَ عَنْهُ ﷺ هَذَا الْمَعْنَىٰ بِلَفظٍ آخر، وَهُو قَوْلَه:

«قَلْبُ الأَحْمَقِ فِي فِيهِ، وَ لِسَانُ الْعَاقِلِ فِي قَلْبِهِ».

وَمَعْنَاهُمَا وَاحِد

٤١ ـ وَ قَالَ ﷺ، لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ فِي عِلَّةٍ اعْتَلَّهَا: «جَعَلَ اللهُ مَا كَانَ مِنْ شَكْوَاكَ حَطّاً لِسَيِّئَاتِكَ، فَإِنَّ الْمَرَضَ لاَ أَجْرَ فِيهِ، وَ لَكِنَّهُ يَحُطُّ السَّيِّئَاتِ، وَ يَحُتُّهَا حَتَّ الْأَوْرَاقِ. وَ إِنَّمَا الْأَجْرُ فِي الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ. وَ الْعَمَلِ بِالْأَيْدِي وَ الْأَقْدَامِ، وَ إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يُدْخِلُ بِصِدْقِ النِّيَّةِ، وَ السَّرِيرَةِ الصَّالِحَةِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْجَنَّةَ».

● الْمُرَاد بِالشَّكوىٰ هُنا الْمَرَض. وكَان بَعْض أَصْحَاب الإِمَام مَرِيضاً، فَقَالَ لهُ: (جَعَلَ اللهُ مَا كَانَ مِنْ شَكْوَاكَ حَطّاً لِسَيِّئَاتِكَ... إلخ). يَسْتَحق الإِنْسَان الأَجـر والثَّوَاب عَلىٰ خَيْرٍ يُؤدِيهِ وَيَفْعَله مُخْتَاراً، لاَ عَلىٰ مَا يَحْدث لهُ قَهْراً كَالمَرض، فَإنَّه تَمَاماً كَالطُّول والقِصَر... أَجَل، قَد يَكُون المَرَض مَع الرِّضَا بِقَضاء الله سَبَباً لِلتَّخفِيف مِن وَطأَة الذّنُوب، أو زَوَال أثرَها، والعَذَاب عَلَيْهَا، لأَنَّ المَرَض ضَرب مِن العَذَاب.

هَذَا عَن الثَّوَاب الَّذي كَتَبه الله تَعَالىٰ عَلىٰ نَفْسه، وَجَعَله حَقّاً لِفَاعِل الْخَيْرَات، أَمَّا الثَّوَاب تَفَضُّلاً وجُوداً وكَرَماً فَيجُوز لِلمَرِيض ولِمَن كَفَّ أذَاه عَن النَّاس، وَلِكُلّ

ذِي نِيَّة صَادِقة، وغَايَة صَالِحَة، ولِذَا ٱسْتَدرَك الإِمَام، وَقَالَ: (وَ إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يُدْخِلُ بِصِدْقِ النِّيَّةِ، وَ السَّرِيرَةِ الصَّالِحَةِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْجَنَّةَ) تَفَضُّلاً مِنْهُ وَكَرَماً، لأَنَّه أَهْلُ الْعَفْو والْمَغْفِرَة والْجُود والرَّحْمَة.

وَقَالَ الرَّضِيّ: وأَقول صَدَقَ عليه السلام، إِنَّ المَرَض لاَ أَجْرَ فيهِ، لأَنَّه لَيْسَ مِن قَبِيل مَا يَسْتَحق عَلَيْهِ العِوَض، لأَنَّ العِوَض يَسْتَحق عَلىٰ مَا كَان فِي مُقَابلة فِعل الله تَعَالىٰ بِالعَبد، مِن الآلاَمِ وَالأَمرَاض، وَمَا يَجري مَجرىٰ ذَلِكَ. والأَجر والثَّوَاب يَسْتَحقان عَلىٰ مَا كَان فِي مُقَابلة فِعل العَبد، فَبَيْنَهُما فَرق قَد بَيَّنَه عليه السلام كَمَا يَقتَضِيه عِلمه الثَّاقب، ورَأيه الصَّائب[1].

٤٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام فِي ذِكْرِ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ: «يَرْحَمُ اللهُ خَبَّابَ بْنَ الأَرَتِّ، فَلَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِباً، وَ هَاجَرَ طَائِعاً، وَ قَنِعَ بِالْكَفَافِ وَ رَضِيَ عَنِ اللهِ، وَ عَاشَ مُجَاهِداً».

● قَالَ ٱبن عَبد البر فِي الاِسْتِيعَاب: ٱختَلفوا فِي نَسَب خَبَّاب، والصَّحِيح أَنَّه تَمِيمي النَّسب، خُزَاعي الوَلاَء، لَحقَه سِبَاء فِي الجَاهِلِيَّة، فَٱشْتَرَته ٱمْرَأَة مِن خُزَاعَة

---

(١) قَالَ ٱبن أَبِي ٱلحَدِيد فِي شَرح ٱلنَّهج: ١٨/١٦٨، يَنْبَغي أَنْ يُحمل كَلاَم أَمِير الْمُؤْمِنِين عليه السلام فِي هَذا الفَصل عَلىٰ تَأوِيل يُطَابق مَا تَدل عليهِ العُقُول وأَلاَّ يُحمل عَلىٰ ظَاهره، وذَلِكَ لأَنَّ المَرَض إِذَا ٱستَحق عَلَيْهِ الإِنْسَان العِوَض لَمْ يَجز أَنْ يُقَال: إِنَّ العِوَض يُحط السَّيِّئَات بِنَفْسه. لاَ عَلىٰ قَول أَصْحَابنا، ولاَ عَلىٰ قَول الإِمَامِيَّة... إلخ. ثُمَّ قَالَ: وإِذَا ثَبت ذَلِكَ وَجب أَنْ يجعل كَلاَم أَمِير الْمُؤْمِنِين عليه السلام عَلىٰ تَأوِيل صَحِيح، وهُو الَّذي أَرَاده عليه السلام لأَنَّه أَعرَف النَّاس بِهَذِه المَعَاني، ومِنْهُ تَعَلم المُتكلمُون عِلم الكَلاَم، وهُو أَنَّ المَرَض والأَلَم يَحط الله تَعَالىٰ عَن الإِنْسَان المُبتلىٰ بِهِ مَا يَستَحقه مِن العِقَاب عَلىٰ مَعَاصِيه السَّالفة تَفَضُّلاً مِنْهُ سُبْحَانه، فَلَمَّا كَان إِسقَاط العِقَاب مُتَعقِباً لِلمَرَض، وَوَاقِعاً بَعْدَه بِلا فَصل، جَاز أَنْ يُطلق اللَّفظ بِأَنَّ المَرَض يَحط السَّيِّئَات ويَحُتُّها حَتَّ الأَوْرَاقِ... إلخ.

وَأَعْتَقَتهُ، وكَان حَدَاداً يَعْمل السُّيُوف، وَفَاضِلاً قَدِيم الإِسْلاَم، ومِمَّن عُذِّب فِي الله، وصَبَرَ عَلىٰ دِينهِ، ومِن المُهَاجِرِين الأَوَّلِين، شَهِد بَدرَاً ومَا بَعدها مِن المشَاهد مَع رَسُول الله ﷺ(١). وَقَالَ ٱبن حَجَر فِي الإِصَابَة: «رُوي أَنَّه أَسْلَم سَادس سِتَة، وَنَزَل الكُوفَة وَمَات بِهَا سَنَة سَبع وثَلاثِين»(٢). وَقَالَ ٱبن أَبِي ٱلحَدِيد: صَلّىٰ عَلَيْهِ أَمِير المُؤْمِنِين (عَليّ) ودُفن فِي ظَهْر الكُوفَة، وشَهِد مَع الإِمَام صِفِّين، ونَهْـرَوان. وٱبـنَه عَبد الله قَتَله الخَوَارِج، فَٱحتَج الإِمَام عَلَيْهم بِهِ وطَالبهم بِدَمه(٣).

---

(١) تَقَدَّمَت تَرجَمَته، وَٱنظر حَيَاة عبدالله بن خَبَّاب بن الأَرَتِّ بن جَنْدَلة بن سَعد التَّيمِي، وهُو سَادِس سِتَة فِي الإِسْلام، وكَان حَلِيف بَنِي زُهرة، ٱستُشهد سَنَة (٣٧ أو ٣٩ هـ) بِالكُوفَة بَعد أَنْ شَهِد صِفِّين، والصَّحِيح أَنَّه لَمْ يَشهدهَا، والنَّهْرَوَان مَع أَمِير المُؤْمِنِين ﷺ، وكَان عُمرَه (٧٣ سَنَة). فِي الإِسْتِيعَاب: ٤٣٨/١، الطَّبقات الكُبرىٰ: ١٦٤/٣ و: ١٨١/٥، سِير أَعلاَم النُّبلاء: ٣٢٣/٢ رَقم «٦٢»، حلية الأَولِيَاء: ٣٥٩/١، مروج الذَّهب: ١٩١/٣، المَعَارف لِابْن قُتَيبَة: ٣١٧، وٱنظر قِصَّة قَتله ﷺ فِي أُسـد الغَـابَة: ٩٨/٢ و: ١٥٠/٣، والإِصَابَة: ١٠١/٢ رقم «٢٢٠٦» وص: ٢٩٤، وشَرح ٱلنَهج لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ٢/ ٢٦٩ و٢٨١ و٢٨٢، تَحقِيق مُحَمّد أَبو الفَضْل نَقلاً عن ٱبن دِيزِيل (إِبْرَاهِيم بن الحُسَيْن بن عليّ بـن مِـهْرَان بـن دِيـزِيل الكَـانِي الهَمَذَانِيّ) أَحد كبَار الحفّاظ ومتكلّميهم، ذَكره ٱبن حَجر فِي لِسَان المِيزَان: ١/ ٤٩ وَقَال: مَات سَنَة (٢٨١ هـ)، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ١٧٣/٣ و ٢١٢، والفُتُوح لِابْن أَعْثَم: ٢/ ١٩٨ و ٢٥٣ و ٢٦٠، تَأرِيخ الطَّبَرِي: ٦ / ٤٦ طَبْعَة أُخرىٰ، شَرح ٱلنَهج لِابْن أَبِي ٱلحَـدِيد: ٢/ ٢٨٢، الكَامِل للمبرّد: ٥٦٠، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١٦٧/١، شَرح ٱلنَهج لِلعلاّمة الخُوئِي: ٤/ ١٢٨، الكَامِل لِابْن الأَثِير: ٣٤١/٣، الآحَاد والمثَانِي: ٢١٢/١، مَجمَع الزَّوائد: ٢٩٨/٩، المُسْتَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحين: ٣٨٢/٣، تَهذِيب التَّهذِيب: ١١٥/٣ رقم «٢٥٤».

(٢) ٱنظر، المَصَادر السَّابقة، والإِصَابَة: ١٠١/٢، رَقم «٢٢٠٦». وَقَد وَقَف عَلَيْهم الإِمَام ﷺ، بعد أَنْ رَجَـع مِن صِفِّين، وَقَالَ: « يَا أَهْلَ الدِّيَارِ المُوحِشَةِ، وَالمَحَالِّ المُقْفِرَةِ، وَالقُبُورِ المُظْلِمَةِ؛ يَا أَهْلَ التُّرْبَةِ، يَا أَهْلَ الغُرْبَةِ، يَا أَهْلَ الوَحْدَةِ، يَا أَهْلَ الوَحْشَةِ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ سَابِقٌ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ لاَحِقٌ. أَمَّا الدُّورُ فَقَدْ سُكِنَتْ، وَأَمَّا الأَزْوَاجُ فَقَدْ نُكِحَتْ، وَأَمَّا الأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِمَتْ...». نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (١٢٩).

(٣) ٱنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة: ١٧١/١٨، مَجمَع الزَّوائد: ٢٣٠/٦، رِجـال ٱبـن دَاود: ١١٩ رَقـم «٨٥٩»،

وأَثْنىٰ عَلَيْهِ الإمَام بِهَذِه الصِّفَات :

١ ـ (أَسْلَمَ رَاغِباً) عَن بَصِيرَةٍ وَيَقِين ، وصِدقٍ وإِخلاَص ، وأُوذي بِالكَثِير مِـن عُتَّاة قُرَيْش فِي سَبِيل الإسْلاَم ، مِن ذَلِكَ أَنَّهم أَوقَدُوا النَّار عَلىٰ ظَهْرَه كِي يَرتَد عَن دِينه ، فَثَبَت وصَبَر[1] ... ولاَ جِهَاد أَعْظَم مِن الصَّبْر عَلىٰ التَّنكِيل ، والأَذَىٰ مِن أَجْل الحَقّ ونُصرته . وَجَاء يَوْمَاً إِلىٰ رَسُول الله ﷺ ، وهُو يَوْمَئِذٍ مُتوسد بُـردَة فِي ظِـل الكَعْبَة ، وَقَالَ لهُ : «أَلَّا تَسْتَنصر لنَا الله تَبَارَك وَتَعَالىٰ ؟ أَلَّا تَدعُو لنَا ؟ فقَالَ لهُ : قَد كَان الرَّجُل فِيمَن كَان قَبْلِكُم يُؤخذ فَيُحفر لهُ فِي الأَرْض ، ثُمَّ يُؤتىٰ بِالمنشَار فَيُوضع عَلىٰ رَأْسه ، فَيُجعل نِصفَّين ، ويُمَشط بِأَمشَاط الحَدِيد مَا دُونَ لَحْمه وَعَظمه فَمَا يَصده ذَلِكَ عَن دِينه . والله لِيُتمَنَّ الله هَـذا الأَمـر حَـتَّىٰ يَسِـير الرَّاكِب مِـن المَـدِينَة إِلىٰ حَـضرمُوت فَـلا يَخَـاف إِلّا الله تـعالىٰ ، والذِّئب عَـلىٰ غَـنَمه ... وَلكـنَّكُم تَسْتَعجلُون »[2] .

٢ ـ (وَ هَاجَرَ طَائِعاً) . نَشَأ الإسْلاَم فِي مَكَّة فَـتَأَلَب عَـلَيْهِ الشِّرك والطُّـغيَان ،

⇐ الطَّبقَات الكُبرىٰ : ٣٢/٣ ، تَهذِيب الكَمَال : ٢٢٠/٨ و : ٤٤٧/١٤ و : ٢٤٤/١٦ ، تَهذِيب التَّهذِيب : ١١٥/٣ و : ١٧٢/٥ ، تَأرِيخ خَلِيفَة : ١٩٧ .

(١) أُنظر ، الغَارَات : ٨٣٩/٢ ، شَرح الأَخْبَار : ٢١٤/٢ ، مناقب آل أَبِي طالب : ٤٩/١ ، مَجْمَع البَيَان : ٥٢٨/٦ ، الإسْتِيعَاب بِهامش الإِصَابَة : ٤٢٣/١ ، مرُوج الذَّهب : ١٩١/٣ ، سُنن التِّرمِذي : ٣٧٩/٤ ، مُسْتَدرَك الحَاكِم : ٣٨١/٣ ، مَجْمَع الزَّوائد : ٢٩٨/٩ .

(٢) أُنظر ، صَحِيح البُخَاريّ : ١٨٠/٤ و : ٥٦/٨ ، مُسْنَد أَحمد : ١١/٥ و : ٣٩٥/٦ ح ٢٧٢٦٠ ، فَتح البَاري : ٢٨٢/١٢ ، صَحِيح اَبن حبَّان : ٩١/١٥ ، البدَاية والنِّهاية : ٧٧/٣ ، كَنز العُمَّال : ٢٦٣/١ ح ١٣٢٠ ، السِّيرَة النَّبوِيَّة : ٤٩٨/١ ، سُنن البَيْهَقِيّ الكُبرىٰ : ٥/٩ ، مُسْنَد أَبِي يَعلىٰ : ١٧٤/١٣ ح ٧٢١٣ ، المُعجَم الكَبِير : ٦٣/٤ ح ٣٦٣٩ ، تَفْسِير اَبن كَثِير : ٢٥٢/١ ، حلية الأَوْلِيَاء : ١٤٤/١ ، سُنن أَبِي دَاود : ٤٧/٣ ح ٢٦٤٩ ، عَون المَعبود : ٢٢٢/٧ .

وسَاموا أَهْله سُوء العَذَاب، وهُم لاَ يَملكُون أيَّة قوّة سِوىٰ الصَّبْر والثَّبات، وبَعْد (١٣) سَنَة مِن صَبْر الأَحرَار عَلىٰ البَلاَء ـ هَاجر النَّبيّ ﷺ بـالإِسْلاَم لِيكُون قـوّة رَادِعة لأَهل الضَّلال، وحَلَقَة جَدِيدة مِن النِّضال، والتَّضحِية، والفدَاء، فَهَاجر مَعَهُ هَذِه الغَايَة جَمَاعَة مِن الصَّحَابَة، مِنْهُم خبَّاب، وأَنشأوا مُعْسكراً لِلدِّفَاع عَن الدِّين وحِمَاية المُسْتَضْعَفِين، وتَأدِيب المُعْتَدين. فَصَدق عَلَيْهم قَوْلَه تـعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾[1].

٣ ـ (وَ قَنِعَ بِالْكَفَافِ) رَضِي مِن الرِّزْق بِمَا يَكفِيهِ ويُغنِيه عَن النَّاس بِلا زِيَادة، وَهَذِه فَضِيلة مِن أَعْظَم الفَضَائِل، لأنَّه بِهَـذا الرِّضـا قَـدّم خَـبَّاب خِـدمَة كُـبرىٰ لِلإِنْسَانِية بعَامَّة، ولِلمُعوزِين بِخَاصَّة حَيْث سَاوَاهُمْ بِنَفْسه، وَلو أَخَذ الزَّائِد عَن سَدّ حَاجتَه، وَتَمتَع بِهِ لكَان قَد حَرم المُحْتَاجِين قُوتَهُم الضَّروري، وصَدَق عَـلَيْهِ قَـول الإمَام فِي الحِكْمَة الآتِيَة: «فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ، وَاللهُ تَعَالَىٰ سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ»[2].

٤ ـ (وَ رَضِيَ عَنِ اللهِ) أَي فَرِح بِجَزَائِه وثَوَابه.

٥ ـ (وَ عَاشَ مُجَاهِداً) يُقَاتل دِفَاعاً عَن الدِّين، وَصِيَانةً لأَروَاح المُسْتَضْعَفِين، وضَمَاناً لِحُرِّيَّتهُم وكَرَامتهُم[3].

٤٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «طُوبَىٰ لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ، وَ عَمِلَ لِلْحِسَابِ، وَ قَنِعَ بِالْكَفَافِ، وَ

---

(١) ٱلْبَقَرَة: ٢١٨.

(٢) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٣٢٨).

(٣) أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ١٧١/١٨، وَقعَة صِفِّين: ٥٣٠.

رَضِيَ عَنِ اللهِ».

● الْمُرَاد بِذِكْر الْمَعَاد هُنا الإِيمَان بِالبَعْث. ومَن لَمْ يُؤْمِن بِهِ فلاَ يُجدِيه الإِيمَان باللهِ شَيْئاً، لأنَّ الإِيمَان باللهِ حَقّاً يُدْخل فِي مَفْهُومه الإِيمَان بِكُلِّ مَا يُلِيق بِهِ مِن صِفَات الكَمَال، والجَلاَل كالْعِلْم، والْقُدْرَة عَلَىٰ إِحْيَاء الْعِظَام وَهِي رَمِيم، ومَن كَفَر بِهَذِهِ الْقُدْرَة فَقَد كَفَر باللهِ مِن حَيْث يُرِيد... أَمَّا دَعوَاه بِأَنَّه يُؤْمِن بـاللهِ فَهي خَيَال وسرَاب، لأَنَّه يُؤْمِن بِكَائِن عَاجز، والعَاجِز لاَ يَكُون إِلٰهاً، بِحُكم البَدِيهَة. قَالَ الإِمَام الصَّادِق عليه السلام: «رُبَّمَا تَوَهَمت تَدعُوا الله وأَنْت تَدعو سوَاه»[1].

(وَ عَمِلَ لِلْحِسَابِ). وأَيضاً مُجَرد الإِيمَان باللهِ والبَعَث مَعاً لاَ يُجدِي نَفْعاً إِلَّا مَع العَمَل الَّذي يُنَال عَلَيْهِ أَجْراً ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾[2]. وبِكَلِمَة الإِمَام جَعْفَر بن مُحَمَّد الصَّادِق عليه السلام: «الإِيمَان عَمَل كُلّه، والقَوْل بَعْض ذَلِكَ العَمَل»[3]. (وَ قَنِعَ بِالْكَفَافِ، وَ رَضِيَ عَنِ اللهِ) تَمَاماً كخَبَّاب الَّذي تَحدَّثنَا عَنْه قَبل قَلِيل[4].

٤٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا عَلَىٰ أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي؛ وَ لَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَّاتِهَا عَلَىٰ الْمُنَافِقِ عَلَىٰ أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي. وَ ذَلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَانْقَضَىٰ عَلَىٰ لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صلى الله عليه وآله؛ أَنَّهُ قَالَ: يَا عَلِيُّ، لا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ،

---

(١) أُنظر، مصبَاح الشَّرِيعة المَنسُوب لِلإِمَام الصَّادِق عليه السلام: ١٤٣، بحَار الأَنْوار: ٣١٩/٦٩.

(٢) آلِ عِمْرَان: ٣٠.

(٣) أُنظر، الكَافِي: ٣٤/٢ ح ١ و ٧، دَعَائِم الإِسْلاَم: ٤/١، وَسَائِل الشِّيعة: ١٢٤/١١ ح ١.

(٤) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكمَة (٤٣). (مِنهُ رحمه الله).

وَ لَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ».

● قَالَ ٱبن أَبِي ٱلْحَدِيد: «الخَيْشُوم أَقْصىٰ الأَنْف، والجُمَّات جَمع جَمَّة مَكَان يَجتَمع فِيهِ المَاء، وَهِي ٱستِعَارة[1]، وَمُرَاد الإِمَام فِي هَذا الفَصْل إِذْكَار النَّاس بِحَدِيث: «يَا عَلِيُّ، لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ... وَهِي كَلِمَة حَقّ، وذَلِكَ لأَنَّ الإِيمَان وَبُغْضَهعليه السلام لاَ يَجْتَمعان، لأَنَّ بُغْضَه كَبِيرَة، وصَاحِب الكَبِيرة عِندنا لاَ يُسمّىٰ مُؤْمِناً، وأَمَّا المُنَافِق فهُو الَّذي يُظْهر الإِسْلام ويُبْطِن الكُفر، والْكَافِر بِعَقِيدَته لاَ يُحبّ عَلِيّاًعليه السلام لأَنَّ المُرَاد مِن الخَبَر المَحَبَّة الدِّينِيَّة»[2].

وَبَلَغ هَذا الحَدِيث عَن رَسُول اللهصلى الله عليه وآله حَد التَّوَاتر المُفِيد لِلقَطع، فَلَقد نُقل بعشرَات الطُّرق والأَسَانِيد فِي العَدِيد مِن الكُتب، وذَكَر مِنْهَا صَاحب كِتَاب: الفضَائِل الخَمْسَة مِن الصِّحَاح السِّتة: ٢٠٧/٢، ومَا بَعدها، ذَكَر مِن كُتب السُّنَّة حوَالي (١٦) كِتَاباً، مِنْهَا صَحِيح مُسْلِم طَبْعَة بُولاق سَنَة ١٢٩٠ هـ، وَصَحِيح التِّرمِذي: ٢/ ٣٠١ طَبْعة بُولاق سَنَة ١٢٩٢هـ، وصَحِيح النّسائي: ٢/ ٢٧١ طَبْعَة مِصر سَنَة ١٣١٢ هـ، ومُسْنَد أَحمد: ١/ ٨٤ طَبْعَة سَنَة ١٣١٣ هـ، ومُستَدرك الصَّحِيحِين: ٣/ ١٢٩ طَبْعة حَيدر آبَاد سَنَة ١٣٢٤ هـ، والاِسْتِيعَاب: ٢/ ٤٦٤ طَبْعَة حَيدر آبَاد سَنَة ١٣٣٦هـ[3].

---

(١) أُنظر، لِسَان العَرب: ١٢/ ١٧٨، المَجمُوع: ٣٥٣/١، الدِّيبَاج علىٰ صَحِيح مُسْلِم: ٢٥/٢.

(٢) أُنظر، شَرح نَهج ٱلْبَلاَغَة: ١٧٣/١٨.

(٣) بِالإِضَافَة إِلىٰ مَا تَقدَّم مِن المصَادر، أُنظر، المُسند المُستخرج علىٰ صَحِيح الإِمَام مُسْلِم: ١٥٧/١ ح ٢٣٧، مُسْنَد أحمد: ٩٥/١ ح ٧٣١ و ١٠٦٢، مُسْنَد الحُميدي: ٣١/١ ح ٥٨، لَقد الأَرشد فِي ذِكر أَصْحَاب الإِمَام أَحمد: ٤٩٣/٢، الإِصَابَة: ٥٦٩/٤، مَوضع أوهَام الجَمع والتَّفريق: ٥٤٦/٢، سُنَن التِّرمِذي: ٦٤٣/٥ ح

٤٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «سَيِّئَةٌ تَسُوءُكَ خَيْرٌ عِنْدَ اللهِ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ» .

● كُلّ مِنَّا يُخطِىء ويُسيء، والعِصْمَة لأَهْلِها... والفَرق أنَّ بَعْض الأَفْرَاد يَصرُّ عَلىٰ الخَطأ بَعْد بَيَانه، ويَرفض النَّقد، بَل يَزدَاد إِصْرَاراً إِذَا نُبِّه إِلىٰ خَطَئِه وإِسَاءَتِه... ولَيْسَ مِن شَكٍّ فِي أَنَّه مَجْنُون، قَالَ الإِمَام عليه السلام : «ٱلْحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ، لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ، فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكِمٌ»[١]. وَقَالَ أيضاً: «أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا ٱسْتَهَانَ بِهِ صَاحِبُهُ»[٢].

وَالْمُنْصِف الْعَاقِل يُجَابه الوَاقع بِصمُود وشَجَاعَة، ويَعْتَرف بِالخَطأ، وَيَصدُق مَع نَفْسه ومَع الآخَرين. وبِهَذا تَصِير سَيِّئَتهُ مِن الْحَسَنَات، قَالَ سُبْحَانَه عَن التَّوَابِيْن: ﴿فَأُولَـٰئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ﴾[٣]، وَقَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وآله : «مَنْ رَأىٰ أنَّه مُسِيء فَهُو مُحْسِن، والعَكْس صَحِيح أي: مَنْ رَأىٰ أنَّه مُحْسِن فَهُو مُسِيء»[٤]، لأنَّه

⇐ ٣٧٣٦، السُّنن الكُبرىٰ: ١٣٧/٥ ح ٨٤٨٧ و: ٥٣٤/٦ ح ١١٧٤٩، سُنن النَّسائي: ١١٥/٨ ح ٥٠١٨، فَتح البَاري: ٦٣/١ و: ٧٢/٧، المُعْجَم الأَوسط: ٣٣٧/٢ ح ٢١٥٦ و: ٨٧/٥ ح ٤٧٥١، مُسْنَد أبي يَعلىٰ: ٢٥٠/١ ح ٢٩١ و: ٣٣١/١٢ ح ٦٩٠٤، الإِيمَان لِابْن مَندة: ٦٠٧/٢ ح ٥٣٢، الإِيمَان للعَدني: ٨٠/١ ح ١٤، تُحْفَة الأَحْوَذي: ٢٧٤/١٠، حلية الأَوْلِيَاء: ١٨٥/٤، تذكرة الحفَاظ: ١٠/١، سِير أَعْلاَم النُّبلاء: ١٨٩/٥ و: ٢٤٤/٦ و: ١٦٩/١٧، مِيزَان الإِعتدَال فِي نَقد الرِّجال: ٦٤/٣ ح ٢٧٤٣ و: ٤٧/٧، لِسَان الميزان: ٤٤٦/٢ ح ١٨٢٧، التَّدوِين فِي أَخْبَار قَزوين: ٢٨١/٢ و: ١٨/٣، تَأرِيخ بَغداد: ٤١٧/٨ رَقم «٤٥٢٣» و: ٤٢٦/١٤ رَقم «٧٧٨٥»، الاِسْتِيعَاب: ١١٠٠/٣، كشَف الخَفاء: ٥١٧/٢ ح ٣١٨١، فَضَائِل الصَّحَابَة لِابْن حَنْبل: ٥٦٣/٢ ح ٩٤٨ و ١١٠٢ و ١١٠٧.

(١) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٢٥٤).

(٢) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٣٤٧).

(٣) ٱلفُرقَان: ٧٠.

(٤) أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ٣١٧/٢٠، ٱلحِكْمَة (٦٤١).

أَفْسَد إِحْسَانه بِالعُجْب والتِّيه. وَرُبَّ كَلِمَة أَفْسَدت الإِيمَان، وقَوضَتهُ مِن الأَسَاس.

٤٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «قَدْرُ الرَّجُلِ عَلَىٰ قَدْرِ هِمَّتِهِ، وَ صِدْقُهُ عَلَىٰ قَدْرِ مُرُوءَتِهِ، وَ شَجَاعَتُهُ عَلَىٰ قَدْرِ أَنَفَتِهِ، وَ عِفَّتُهُ عَلَىٰ قَدْرِ غَيْرَتِهِ».

● كَثِيراً مَا تُطلَق الْكَلِمَات مِن غَيْر قِيَاس وتَحدِيد، وبِالخصُوص فِي عَالَم الأَخْلَاق والقِيَم، فَيُؤدي ذَلِكَ إِلىٰ الخَلطِ، وسُوء الفَهْم، والتَّفَاهُم بَيْنَ النَّاس... وأشَار الإِمَام هُنا إِلىٰ المقيَاس الصَّحِيح الَّذي يَجب أَنْ يُقَاس بِهِ قَدْرِ الرَّجُل وصِدْقُهُ، وشَجَاعَتُهُ وعِفَّتُهُ:

١ ـ (قَدْرُ الرَّجُلِ عَلَىٰ قَدْرِ هِمَّتِهِ) وثِقَته بِأَنَّه يَمْلك مِن الطَّاقَاتِ مَا يُغير بِهَا مَجْرىٰ الطَّبِيعَة والحيَاة، وَإِنَّه بِالْعِلْمِ والْعَمَل يَصل إِلىٰ مَا هُو أَفْضَل وَأَرْوَع... وَكُلّ مَن يُؤْمِن بِهذِه الْحَقِّيقَة، ويَعْمَل بِمُوجِبها يَجب أَنْ يُقَاس بِها تَقدِيره وتَكرِيمه أي يُحْتَرَم ويُعَظم لِعِلْمِهِ وعَمَله مَا هُو أَتَم وأَكْمَل. وكَأَنَّ الإِمَام يُومىء بِهذا إِلىٰ نَفْسه، لأَنَّـه المَثَل الأعلىٰ لِبُعد الهِمَّة وعِلوها. فَلَقد كَان فِي سِن العَاشِرة حِين قَال لِرَّسُول الله صلى الله عليه وآله: «أَنَا يَا رَسُول الله، يَوْم دَعا الرَّسُول إِلىٰ مَائِدتهِ صنَادِيد قُرَيْش، وَقَالَ لَهُم فِيمَا قَالَ: أَيُّكُم يُوَازرنِي عَلَىٰ هَذا الأَمر عَلَىٰ أَنْ يَكُون أَخِي ووَصِيِّي وخَلِيفَتِي فِيكُم. قَالَ عَليّ: أَنَا، ومَا هَاب وآرْتَاع مِن الرُّؤوس الكُبَار الَّذِين يَمْلكُون الجَاه والمَال، وآستَخف بِهِمْ، وبِهزئِهم وسُخريَتِهِم، وهُو لاَ يَملك إِلّا هِمَّته ومواهبه. وفِي كتَاب «عَبْقَرِيَّة الإِمَام» عَلَّق العَقَّاد عَلىٰ ذَلِكَ بقَوْلَه: «كَان الإِمَام وهُو فِي طفُولته، وقَبل أَنْ يَبلغ مَبلغ الرِّجَال ـ يَعلم أَنَّه شَيء فِي هَذِه الدُّنْيَا، وإِنَّه قوَّة لَهَا جوَار يَركن إِلَيْهَا المُستَجِير... والدَّلِيل عَلىٰ ذَلِكَ أَنّ صنَادِيد قُرَيْش أَحَاطوا بِالنَّبيّ صلى الله عليه وآله يَنذرُونَه

ويُنْكِرُونه، والنَّبِيّ يُقلب طَرفه فِي الوجُوه ويَسأل عَن النَّصِير ولاَ نَصِير إلاّ عَلِيّ بن أَبِي طالب، وهُو فِي العَاشرة، أو نَحوها دُونَ أنْ يَهاب الرُؤُوس الكُبار، والشُّيوخ الَّذِين رَفعتهُم الوَجَاهة... وعَلِيّ فِي الخَمسِين أو السِّتِّين هُو علِيّ يَوْم كَان فِي تِلك السِّنّ»[1].

فَعَن أَبِي هُرِيرَة، قَالَ: (لمَّا نَزلت هَذِه الآيَة: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[2]، دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قُرَيْشَاً فَٱجتمعُوا فَعمَّ، وخَصَّ، فقَالَ: (يَا بَنِي كَعْبِ بن لُؤَيّ أَنْقذُوا أَنْفُسكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبد مُناف أَنْقذُوا أَنْفُسكُمْ مِنَ النَّار، يَا بَنِي هَاشم أَنْقذُوا أَنْفُسكُمْ مِنَ النَّار، يَا بَنِي عَبد المطّلب أَنقذُوا أَنْفُسكُمْ مِنَ النَّار، يَا فَاطِمَة أَنْقِذِي نَفْسكِ مِنَ النَّار، فإنِّي لا أمْلكُ لكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئَاً غَيرَ أنَّ لكُم رحِماً سأبلُّها بِبلاَلِها)[3].

٢ ـ (وَ صِدْقُهُ عَلَىٰ قَدْرِ مُرُوءَتِهِ) ومَعْنَىٰ الْمُرُوءَة يَجْمَع بَيْنَ الْإِيجَاب بِفعْلِ مَا يَسْتَوجب المَدح والثَّناء، وبَيْنَ السَّلب بِتَرك مَا يَسْتَدعِي اللَّوم والذَّم، أَمَّا الصِّدْق

(١) أُنظر، عَبْقَرِية الإِمَام: ٨٥ (مِنْهُ ﷺ).

(٢) ٱلشُّعَرَاء: ٢١٤. أُنظر، المجموع فِي شَرح المُهذب: ١٥ / ٣٥٦، مُغني المُحتاج لِمُحَمَّد الشَّربِيني: ٣ / ٦٣، الرِّسالة لِلإِمَام الشَّافعي: ١٥، مُنْتَهىٰ المَطلب للعلاَّمَة الحلي: ٢ / ٨٩٧، مُستند الشِّيعة للنَّراقي: ١٠ / ٩٣، المَبسوط للسَّرخسي: ٢٧ / ١٥٦، بدَائع الصَّنائع لأبي بَكْر الكَاساني: ٧ / ٣٤٩، الجَوهر النَّقي للمَارديني: ٦ / ٢٨٠، البَحر الرَّائق لاِبْن نُجيم المَصري: ٩ / ٢٨٤، نَيل الأَوطار للشوكاني: ٦ / ١٣٨، الكَافِي للشَّريخ الكُليني: ٣ / ٤٨٠.

(٣) أُنظر، ذَخَائِر الْعُقبَىٰ: ٨، صَحِيح البُخَارِيّ: ٨ / ٧، صَحِيح مُسْلِم: ١ / ١٣٣، مُسْنَد أحمَد: ٢ / ٣٣٣ و: ٣٦٠ و: ٥١٩، الدُّر المَنثور: ٥ / ٩٦، بِحَار الأَنْوَار: ٣٠ / ٢١٣، كَنز العُمَّال: ٦ / ٢٢٩، أسنىٰ المطَالب: ٢٦، مِن تَأريخ ٱبن عساكر بِرِوَاية عَمرو بن العَاص.

هُنا فَلَيْسَ الْمُرَاد بِهِ مُطَابقة الكَلاَمِ لِلوَاقع بِحَسب اَعتقَاد المُتكَلم وَكَفىٰ، بل الْمُرَاد بِهِ حُسن السُّلوك الَّذي لا يُشاب بِعَيب ونَقص، وهُو بِهَذا الْمَعْنَىٰ مُرَادف لِلْمُرُوءَة أو لاَزم لهَا، ولذَا يُستَدل عَلىٰ الصِّدْق بِالْمُرُوءَةِ، بِهَا عَلَيْهِ.

٣ ـ (وَ شَجَاعَتُهُ عَلَىٰ قَدْرِ أَنَفَتِهِ) والشَّجَاعَة تَشْمل الصّمُود فِي القِتَال، وتَحَمُل الْمَسؤولِيَات، ومُوَاجَهَة الصِّعاب بِقَلْب ثَابت، وأيضاً تَشْمل الإِعـتِرَاف بِـالخَطَأ. والأَنَفَة اَستِنْكَاف عَن الْجُبْن والعَار، وإِذْن الشَّجَاعَة مِن لَوَازم الأَنَفَة، وكُلّ وَاحد مِنْهُما تَدل عَلىٰ أُخْتَها.

٤ ـ (وَ عِفَّتُهُ عَلَىٰ قَدْرِ غَيْرَتِهِ) وَالْعِفَّة تَشْمل نزَاهَة اليَد والِلّسَان، والْبَطْن، والفَرج، ولكنَّ الْمُرَاد بِها عِفَّة الفَرج فَقط لِمَكَان كَلِمَة الغَيْرَة. ويُقَال: غَارَ الرَّجُـل عَلىٰ اَمْرَأَته أي أَنِفَ أنْ يُشَاركه الغَير فِيها، ومَن كَان كذَلِكَ يَنْبَغي لهُ أنْ لاَ يَعْتَدي عَلىٰ أَعرَاض الآخَرين، ومِن هُنا قِيل: «مَا زَنَىٰ غَيُورٌ قَـطٌّ»[1]، ومَـعْنَىٰ هَـذا أنَّ الزَّانِي لاَ يَكُون عَفِيفاً ولاَ غَيُوراً، وأنَّه بِحُكم الدَّيُوث الَّذي يُدخل الرِّجَـال عَـلىٰ زَوْجَته. ويُروىٰ أنَّ جَمَاعَة مِن أَهْل الْجَاهِلِيّة تَركُوا الزّنا لِهَذِه الغَايَة.

٤٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «الظَّفَرُ بِالْحَزْمِ، وَ الْـحَزْمُ بِـإِجَالَةِ الرَّأْيِ، وَ الرَّأْيُ بِـتَحْصِينِ الْأَسْرَارِ».

● يُشِير الإِمَام بِهَذا إِلىٰ أنَّ التَّخطِيط شَرط أَسَاسي لِلظَفَر والنَّـجَاح، وإنَّ أي عَمَل مِن غَيْر تَصمِيم وتَخْطِيط يَذْهَب سُدىٰ، ورُبَّمـا كَـان ضَرراً مَحْـضاً. وهَـذِه

(١) أُنظر، نَهْج الْبَلاَغَة: اَلْحِكْمَة (٣٠٥)، وغُرر الحِكَم: ٧٣٧/٢ اَلْحِكْمَة (٢٥).

الحَقِيقَة سِمَة العَصر الحَدِيث فِي المُجتمعَات الإِشْتِرَاكِيَة عَلىٰ السَّواء، إنَّهم يُخَطِطُون لِكُلِّ شَيء، للإِنْتَاج والخَدمَات والمُواصلات... حتَّىٰ الحَمْل فِي بَطْن أُمّه يُخَطِطُون لهُ، بَل الكَذِب فِي صورَة دعَايَة، أيضاً لهُ عِنْدهُم تَخطِيط ودِرَاسة.

والشَّرط الأَسَاسِي فِي التَّخطِيط الحَزْم، وَفَسَّره الإِمَام بِإِجَالَةِ الرَّأيِ أي بِالدِّرَاسة العِلْميَّة عَلىٰ أنْ تَبْقىٰ هَذِه الدِّرَاسة طَي الكِتْمَان، لاَ يُعلَن عَنْهَا إلاَّ بَعْد التَّجربَة والنَّجاح التَّام، لأنَّ الإِعْلاَن قَبل العِلْم بِالنَّتِيجَة حَمَاقة، وتَنَبؤ قَبل الأَوَان، ومتىٰ تَمَّت الدِّرَاسَة، ونَجحَت التَّجربَة أُعْلِنت عَلىٰ الجَمِيع لِيَستَفِيد مِنْهَا القَاصي والدَّاني، ولاَ يَجوز إِخْفَاؤها بِقَصد الرِّبح والإِحْتكَار، كَمَا هُو شَأن المُسْتَغِلِين والمُسْتَعمِرين فِي هَذا العَصر وكُلّ عَصر[1].

---

(١) قَالَ الحُكَمَاء: السِّر ضَربَان: أحدهُمَا مَا يُلقىٰ إلىٰ الإِنسَان مِن حَدِيثٍ لِيَستَكتِم، وذَلِكَ إمَّا لفظاً كَقَول القَائِل: أكتم مَا أقوله لَكَ، وإمَّا حَالاً وهُو يَجهَر بِالقَول حَال أنفرَاد صَاحبه، أو يَخفض صَوته حَيْث يُخَاطبه، أو يُخفِيه عَن مُجَالِسِيه، وكَذَا قِيل:

إذَا حَدَثك إِنْسَان والتَفت إليهِ فهُو إمَانة.

والضَّرب الثَّانِي، نَوعان: أَحدهُمَا أنْ يَكُون حَدِيثاً فِي نَفْسك تَسْتَقبح إِشَاعته، والثَّانِي أنْ يَكُون أمراً تُرِيد أنْ تَفعله.

وإلىٰ الأَوَّل أشَار النَّبيّ ﷺ بِقَوله: «مَن أتىٰ مِنكُم شَيئاً مِن هَذِه القَاذُورَات شَيْئاً، فَلْيَستَتر بِستر الله عزَّ وجلَّ. أنظر، موطأ مَالِك: ٢/٨٢٥ ح ١٢، كِتَاب الأمّ: ٤/١٢٠ و: ٦/١٤٩ و: ٧/٨٦، سُنن البَيْهَقِيّ: ٨/٣٢٩، تَلخِيص الحَبير: ٤/٧٥ ح ١٧٥٦، شَرح الأَزهَار: ٤/١٥٧، المجموع: ٢٠/٢٣٦، رَوضَة الطَّالبين: ٧/٣٥٧، الإِقنَاع: ٢/١٨١، مُغني المُحتَاج: ٤/١٥٠، مَواهب الجَلِيل: ٨/١٨١، المَبسوط للسَّرخسي: ٤/١٠٢ و: ٥/٧، إعَانة الطَّالبين: ٤/١٦٦.

وإلىٰ الثَّانِي أشَار مَن قَالَ: «مِن الوَهن والضَّعف إعْلاَن الأَمر قَبل إحْكَامه، وكِتمَان الضَّرب الأَوَّل مِن الوَفَاء، وهُو مَخصُوص بعوَام النَّاس، وكِتمَان الضَّرب الثَّانِي مِن المُروءَة والحَزم، والنَّوع الثَّانِي مِن نَوعيه ←

٤٨ ــ وَ قَالَ عليه السلام : «اَحْذَرُوا صَوْلَةَ الْكَرِيمِ إِذَا جَاعَ، وَ اللَّئِيمِ إِذَا شَبِعَ».

● تَتَمشل كَرَامة الكَرِيم فِي تَواضعه لِلفُقْرَاء إذَا آستَغنىٰ، وتَيْهَه عَلىٰ الأَغْنِيَاء إذَا اَفْتَقَر، وفِي تَحْمله الكَلِمَة المُوجِعَة مِن أَهْل الضَّعف والقِلَّة وصَفْحِه عِند المَقدَرة، وفِي ثَورته وغَضبه حِين تَمس كرَامته مِن قَرِيبٍ أو بَعِيدٍ، لِأَنَّهَا لقَلْبه أَشد الجُرُوح إِيلاَماً. أَمَّا اللَّئِيم فَعَلىٰ العَكس... إذَا آستَغنىٰ بَطَرَ وَطَغىٰ، وَرُبَّمَا تَرفّع عَن رَدّ السَّلاَم الوَاجب عَلىٰ الْفُقَرَاء، وإِذَا اَفْتَقر ذلَّ ووَهَن... ولاَ يُبالي بمَا يُقَال لهُ ولاَ بمَا يُفْعَل بِهِ[1]، كمَا قَالَ الشَّاعر:

مَن يَهُنْ يَسْهَل عَلَيْهِ الهَوَان ... مَا لِجُرحٍ بِمَيتٍ إِيلاَم.

٤٩ ــ وَ قَالَ عليه السلام : «قُلُوبُ الرِّجَالِ وَحْشِيَّةٌ، فَمَنْ تَأَلَّفَهَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ».

● وَمِثلَه اَلْحِكْمَة الآتِيَة: «التَّوَدُّدُ نِصْفُ الْعَقْلِ»[2]. وَقَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وآله: «تَحَبب

↩ أخَص بِالمُلُوك وأصْحَاب السِّيَاسَات.

قَالُوا: وإِذَاعَة السِّر مِن قِلة الصَّبر، وضِيق الصَّدر، ويُوصف بِهِ ضَعَفة الرِّجَال، والنِّسَاء، والصِّبيَان.

أنظر، شَرح نَهْج اَلْبَلاَغَة لاِبن أبِي اَلْحَدِيد: ١٨/ ١٧٨.

(١) قَالَ اَبن أبِي اَلْحَدِيد فِي شَرحه لِلنَّهج: ١٨/ ١٧٩، لَيْسَ يَعنِي بِالجُوع والشِّبع مَا يَتَعارَفه النَّاس، وإنَّمَا المُرَاد: اَحْذَروا صَوْلَة الكَرِيم إذَا ضِيم، واَمتُهن، واَحْذَروا صَوْلَة الكَرِيم إذَا أُكرم. ومَثل المَعْنىٰ الأَوَّل قَول الشَّاعر:

لاَ يَصْبر الحُرّ تَحت ضَيم ... وإِنَّمَا يَصْبر الحِمَار

ومَثَل المَعْنىٰ الثَّاني قَول أبُو الطَّيِّب المُتَنَبِّي:

إِذَا أَنت أكْرمت الْكَرِيم مَلَكْتَه ... وإِنْ أَنْت أكْرمت اللَّئِيم تَمرِدَا

أنظر، الدِّيوان: ١/ ٢٨٨، فَيض القَدِير: ١/ ٨٦.

(٢) أنظر، نَهْج اَلْبَلاَغَة: اَلحِكْمَة (١٤١).

إِلىٰ النَّاس يُحبُّوك[1]... ثَلاَث يُصْفِين وِدّ الْمَرْء لأَخِيه: يَلقَاهُ بِالبِشر، ويُوسع لهُ فِي المَجْلِس، وَيَدعُوه بِأَحبِّ الأَسماءِ إِلَيْهِ»[2]. شَرِيطَة أَنْ لاَ يَكُون ذٰلِكَ نِفَاقاً.

٥٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «عَيْبُكَ مَسْتُورٌ مَا أَسْعَدَكَ جَدُّكَ».

● الْمُرَاد بِالجَدّ هُنا الْغِنَىٰ وإِقْبَال الدُّنْيَا، وَهِي تَسْتُرُ الْعُيُوب، وَتَغْفِرُ الذُّنُوب عِند أَبْنَائِها حَيْث يَنْظُرُون إِلىٰ الأَشْيَاء مِن خِلاَلها لاَ مِن خِلاَل الْعَقْل، فَمَن كَان فِي يَده شَيء مِنْهَا سَتَرَ عَن أَعْيُنِهِمْ هَذره وجَهله، وجُبنَه وبُخله، ورُبَّما رَأَوا الْجَهْل مِنْهُ عَقْلاً، والضَّعف حِلمَاً، والهَذر بَلاَغة. وتَقَدَّم مَع الشَّرح قَول الإِمَام عليه السلام: «إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَىٰ أَحَدٍ أَعَارَتْهُ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ»[3].

٥١ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «أَوْلَىٰ النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَىٰ الْعُقُوبَةِ».

● تَقَدَّم مِثله مِرَاراً، آخرهَا فِي الحِكْمَة: «إِذَا قَدَرْتَ عَلَىٰ عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ الْعَفْوَ

---

(١) أنظر، مُصباح الزّجَاجة: ٤/٢١٠، سُنن ابن مَاجه: ٢/١٣٧٣ ح ٤١٠٢، كَشف الخفَاء: ١/١٢٧ ح ٣٢٢.

(٢) أنظر، مَجمَع الزّوائد: ٨/٨٢، المُعْجَم الأَوسط: ٤/١٦ ح ٣٤٩٦، شُعب الإِيمَان: ٥/٣٠٨ ح ٦٧٤٩ و: ٦/٤٣١ ح ٨٧٧٦، مُعجم الشيوخ: ١/٢٤٧، المُستَدرَك عَلىٰ الصَّحيحين: ٣/٤٨٥ ح ٥٨١٥، فَيض القَدير: ٣/٣١٤، التَّاريخ الكَبير: ٧/٣٥٢ ح ١٥٢٠، سِير أَعْلاَم النُّبلاء: ١٢/٦٠٤، مِيزان الإِعْتدَال فِي نَقد الرِّجَال: ٦/٥٥٠ رَقم «٨٩٠١»، لِسَان المِيزان: ٦/١٢٤ رَقم «٤٣١»، الإِصَابَة: ٣/٤٠٠ رَقم «٤٠٢٥»، كَشف الخَفَاء: ٢/٥٠٢ ح ٣١١٩، عِلَل الدَّار قُطني: ٧/٣٨ ح ١١٩٤.

(٣) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكمَة (٨).

عَنْهُ شُكْراً لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ»[١]. ولاَ جَدِيد عِندنا نُضِيفه، ونَعْطفه عَلىٰ مَا قُلنَاه هُناكَ[٢].

٥٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «السَّخَاءُ مَاكَانَ ٱبْتِدَاءً؛ فَأَمَّا مَاكَانَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَحَيَاءٌ وَ تَذَمُّمٌ».

● التَّذَمُّمُ مِن الذَّم، والتَّأَثُّم: الفِرَار مِن الإِثم، والتَّحَرج: الفِرار مِن الحَرَج أي الشِّدَّة والضِّيق، والْمَعْنَىٰ أنَّ العَطَاء مِن غَيْر سؤال كَرَم وسَخَاء بِالطَّبع، وهُو عَن مُسألةٍ تَكَلفٌ وتَطبُّع لِسَبب أو لآخَر. وفِي رَأيِنا أنَّ كُلّ عَطَاء يَسدّ الحَاجَة والإِعْسَار فهُو خَيْر عِند الله طَبعاً كَان أَمْ تَطَبُّعاً[٣].

---

(١) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكمَة (١٠). (مِنْهُ ﷺ).

(٢) قَالت ٱلحُكمَاء: «يَنبَغي لِلإِنسَان إِذَا عَاقب مَن يَستَحق العُقُوبَة، ألاَّ يَكُون سَبُعاً فِي ٱنتقامه، وألاَّ يُعَاقب حتَّىٰ يَزول سُلطان غَضَبه، لِئَلاَّ يَقدِم عَلىٰ مَا لاَ يَجُوز، ولذَلِكَ جَرَت سُنَّة السُّلطَان بِحَبس المُجرم حَتَّىٰ يَنظر فِي جُرمه ويُعِيد النَّظر فيهِ.

وأُتِيَ الإِسْكَنْدَر بِمُذنبٍ فَصَفح عَنهُ: فَقَال لهُ بَعْض جُلسَائِهِ: لَوْ كُنْت إيَّاك أيُّها المَلك لِقَتلتَه، قَالَ: فإذَا لَمْ تَكُن أيَّاي ولاَ كُنت ويَّاك لَمْ يُقتَل.

وقَالت ٱلحُكمَاء أيضاً: لَذَّة العَفو أطيَب مِن لَذَّة التَّشفي والإِنتقَام، لأنَّ لَذَّة العَفو يَشفَعها حَمِيد العَاقِبَة، وَلَذَّة الإِنتقَام يَلحقها أَلَم النَّدم، وقَالُوا: العُقُوبَة آلاَم حَالات ذِي القُدرة وأَدنَاها، وَهِي طَرَف مِن الجَزَع، ومَن رَضِي ألاَّ يَكُون بَينَه وبَيْن الظَّالم إلاَّ سِتر رَقِيق فَليَنتَصف.

أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أبِي ٱلحَدِيد: ١٨/١٨٣.

(٣) قَالَ صَاحب شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة ٱبْن أبِي ٱلحَدِيد: ١٨/١٨٤: يُعجبني فِي هَذا المَعنَىٰ قَول الشَّاعر ٱبن حَيُوس، وهُو مُحَمَّد بن سُلطان بن مُحَمَّد بن المُرتضىٰ الشَّاعر الغَنوي المُلقب بِصَفي الدَّولة (٣٩٤ هـ ـ ٤٧٣ هـ)، كَما جَاء فِي شَذرَات الذَّهب: ٣/٣٤٣، الوفيَّات: ٤/٦٤، رَيحَانة الأَدب: ٥/٣١٨، ديوَان الشَّاعر: ١/٤٦.

٥٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «لَا غِنَىٰ كَالْعَقْلِ ؛ وَ لَا فَقْرَ كَالْجَهْلِ ؛ وَ لَا مِيرَاثَ كَالْأَدَبِ ؛ وَ لَا ظَهِيرَ كَالْمُشَاوَرَةِ» .

● لاَ جَدوىٰ مِن مَالٍ ، ولاَ سُلطان بِلا عَقْل . . . إنَّ الْعَقْل مَصدَر الْعِلْم ، والْمَال ، والجَاه ، وكُلّ خَيْرَات الدُّنْيَا والْآخِرَة . وَقَالَ الْإِمَام جَعْفَر بن مُحَمَّد الصَّادِق عليه السلام : «الْعَقْل ما عبُد به الرَّحْمن ، واكتَسب بِهِ الجِنَان . فَقِيلَ لَهُ : وَالَّذي عِند مُعَاوِيَة ؟ قَالَ : تِلك النَّكرَاء ـ أي الدّهَاء ـ تِلكَ الشَّيطَنَة ، وَهِي شَبِيهَة بِالعَقْل وَلَيْسَت بِعَقلٍ»[1] . ولاَ يَعْرِف التَّأرِيخ دِيناً كالإِسْلاَم أَشَاد بِالْعَقْل ، واعتَمد عَلَيْهِ فِي مَبَادئه ، وتَعَالِيمه ، وَقَد جَاء ذِكر الْعَقْل ، والْعِلْم ومُشتَقَاتها فِي الْقُرآن الكَرِيم (٨٨٠) مَرَّة لِلدّلاَلة عَلىٰ إِحْقَاق وإِبْطَال البَاطِل[2] . . . هَذا مَا عَدا الآيَات المُشتَمِلة عَلىٰ ذِكر الْهُدَىٰ[3] ، والنُّورِ[4] . وهُنا يَكْمُن السِّر فِي تَقَدُم الْمُسْلِمِين وحضَارتهم التَّأرِيخية ، وإِذَا انحطُوا

← إنِّي دَعوت نَدىٰ الكِرَام فَلم يَجب فَلاشكُرن نَدىٰ أجَاب مَا دَعىٰ
ومِن العَجَائب إِلىٰ السُّؤال قَرنْته رَجحَ السُّؤال وخَفَّ كُلّ نَوال
مَا اعتَاض فِي بَاذلٍ وَجهه بِسؤاله عِوضاً ولَو نَال الْغِنَىٰ بِالسُّؤال

(١) أنظر ، الكَافِي : ١/١١ ح ٣ ، وَسَائِل الشِّيعة : ١٥/٢٠٥ ح ٣ ، مَعَاني الأَخْبَار : ٢٤٠ ح ١ ، المَحَاسِن : ١/١٩٥ ح ١٥ .

(٢) أُنظر ، عَلىٰ سَبِيل المِثَال : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٱلنَّحْلِ : ١٢ ، وَقَوْله تَعَالَىٰ : ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٱلْبَقَرَة : ١٦٤ ، ٱلْأَنفَالِ : ٢٢ ، يُونُس : ٤٢ و ١٠٠ ، ٱلرَّعْدِ : ٤ ، ٱلْحَجّ : ٤٦ ، ٱلْفُرْقَانِ : ٤٤ ، ٱلْعَنكَبُوت : ٣٥ و ٤٣ و ٦٣ ، ٱلرُّوم : ٢٤ و ٢٨ ، ٱلْحَشْر : ١٤ ، ٱلزُّمَر : ٤٣ ، ٱلْجَاثِيَة : ٥ .

(٣) أُنظر ، علىٰ سَبِيل المثال : ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ ٱلبَقَرَة : ١٢٠ .

(٤) أُنظر ، عَلىٰ سَبِيل المِثَال : ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ ، ٱلْبَقَرَة : ٢٥٧ ، وَٱلْمَائِدَة : ١٦ ، وَٱلْأَنْعَامِ : ١ ، وَٱلْأَعْرَافِ : ١٥٧ .

وتخَلفوا، اليَوْم فَلأنَّهم تَركُوا الجِهَاد المُقدس الَّذي أَمرهُم بِهِ الإِسْلاَم، وأنقَسمُوا عَلىٰ أَنْفسهِم، فَالذَّنب ذَنْبهُم لاَ ذَنب الإِسْلاَم.

(وَ لاَ فَقْرَ كَالْجَهْلِ) لأنَّه أَصْل كُلّ رَذِيلة، وأنَّه يُلحِق الإِنْسَان بِالحيَوَانِ. وَفِي أُصول الكَافِي، قَالَ الرَّسُول الله ﷺ: «يَا عَليّ لاَ فَقر أَشَد مِن الجَهْلِ، ولَا مَالَ أَعْوَدُ مِنَ العَقْلِ، وَلَا وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ العُجْبِ، وَلَا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ، وَلَا كَرَمَ كَالتَّقْوَىٰ، وَلَا قَرِينَ كَحُسْنِ الخُلُقِ، ولاَ عَقْل كَالتَّدبِير، ولاَ وَرعَ كَالكَفّ، ولاَ حَسَب كَحُسن الخُلق، ولاَ عِبَادَة مِثل التَّفكُّر»[1]... «إِذَا رَأَيتُم الرَّجُل كَثِير الصَّلاَة، كَثِير الصِّيام فلاَ تُبَاهوا بِهِ حَتَّىٰ تَنْظرُوا كَيف عَقْله؟»[2].

(وَ لاَ مِيرَاثَ كَالأَدَبِ) المُرَاد بِالمِيرَاث مَا يَترُكه المَرْء مِن الأُحْدُوثَةِ، وبِالأَدَبِ حُسْن السِّيرَة (وَ لاَ ظَهِيرَ كَالمُشَاوَرَةِ) الظَّهِيرَ: المُعِين، والمُرَاد بِالمُشَاوَرَةِ مُشَاوَرَة العَاقِلِ النَّاصح. قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَا يَمْنَع أَحَدكُم إِذَا وَرَد عَلَيْهِ مَا لاَ قِبَل لهُ بِهِ أَنْ يَسْتَشِير رَجُلاً عَاقِلاً لهُ دِين وَوَرع؟»[3]. وَقَالَ الإِمَام جَعْفَر بن مُحَمَّد الصَّادِق عليه السلام: إِنَّ المُشَاوَرَةِ لاَ تَكُون إلاَّ بِحدُودهَا، فَمن عَرَفها بِحدُودها، كَانَتْ مَضرتهَا عَلىٰ المُسْتَشِير أَكْثَر مِن مَنْفعتهَا لهُ:

فَأَوَّلهَا: أَنْ يَكُون الَّذي تُشَاورهُ عَاقِلاً.

---

(١) أُنظر، الكَافِي: ١/٢٦ ح ٢٥ و: ٨/٢٠، السَّرائِر: ٣/٦٢٢، المَحَاسِن: ١/١٧ ح ٤٧، مَن لاَ يَحضرهُ الفَقِيه: ٤/٣٧٢، مكَارم الأَخلاَق: ٤٤٤، توحِيد الصَّدوق: ٣٧٦، وَسَائِل الشِّيعة: ١٥/٢٠٨ ح ٩، تُحف العُقُول: ٦، الأَمَالِي للطُّوسي: ١٤٦.

(٢) أُنظر، الكَافِي: ١/٢٦ ح ٢٨، شَرح أُصول الكَافِي: ١/٣١٩، كَنز الفوائِد: ٨٧.

(٣) أُنظر، المَحَاسِن: ٢/٦٠٢ ح ٢٦، وَسَائِل الشِّيعة: ١٢/٤٢ ح ٧، بِحَار الأَنْوَار: ٧٢/١٠٢ ح ٢٨.

وَالثَّانِيَة : أَنْ يَكُون حُرّاً مُتَدَيناً .

وَالثَّالِثَة : أَنْ يَكُون صَدِيقاً مُؤاخِياً .

وَالرَّابِعَة : أَنْ تَطْلَعه عَلىٰ سِرِّك فَيَكُون عِلمه بِهِ كَعِلمك بِنَفْسك ، ثُمَّ يَسـرّ ذَلِكَ وَيَكتمَهُ . فإِنَّه إِذَا كَان عَاقِلاً ٱنْتَفَعت بِمشُورَته ، وإِنْ كَان حُرّاً مُتَديناً أَجْهَد نَفْسه فِي النَّصِيحة لَك ، وإِذَا كَان صَدِيقاً مُؤاخِياً كَتَم سِرّك ، وإِذَا أَطْلَعته عَلىٰ سِرِّك ، فَكَان عِلْمَه بِهِ كَعِلمَك ، وتَمَّت المَشُورَة ، وَكَمُلت النَّصِيحة »[1] . وتَقَدَّم الكَلاَم عَن ذَلِكَ .

٥٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «الصَّبْرُ صَبْرَانِ : صَبْرٌ عَلَىٰ مَا تَكْرَهُ ، وَ صَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ » .

● ومِن أَمثِلَة الصَّبْر الأَوَّل : جَائِع لاَ يَجد إِلىٰ القُوت سَبِيلاً ، ومَرِيض لاَ يَملُك ثَمَن الدَّوَاء ، وسَجِين لاَ عَمَّ لهُ ولاَ خَال . ومِن أَمثِلَة الصَّبْر الثَّانِي فَلاَّح زَرَع وٱجْـتَهَد أَمَلاً بِالحَصَاد ، ولمَّا ٱسْتَوَىٰ الزَّرع عَلَىٰ سُوقِهِ أَتَت عَلَيْهِ آفَة ، فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ ٱلرِّيَاحُ . والصَّبْر مَمْدُوح وَحَسن إِذَا كَان وَسِـيلة لِـغَاية نَـبِيلَة كَـالصَّبْر فِي الجِـهَاد المُقَدس ، وفِي طَلَب العِلْم وقُوت العِيَال ، أَمَّا الصَّبْر عَلىٰ الفَقْر مَع القُدْرَة عَلىٰ العَمَل ، والصَّبْر عَلىٰ الاِضْطِهَاد بِلا مُقَاومة ـ فهُو مَذمُوم وقَبِيح شَرعَاً وَعَقلاً .

ورُوي أَنَّه كَان فِي العصُور الخَالِية ، سَمِع ٱمبرَاطُـور الصِّـين القَـدِيم عَـن أُسرَة صِينِية فَقِيرَة ، ولكنّها أَسعَد أَهْل الصِّين إِطلاَقاً ... عَاشت عَشرَات السِّـنِين تَحت سَقف وَاحد بِلا إِزعَاج ، ومَا يكْدَر صَفْو ٱلْحَيَاة . فَبَعث الأَمبرَاطور رَسُوله يَسأَل رَبّ الأُسرَة العَجُوز عَن سِرّ هَذِه السَّعادَة . فَبَعث إِلَيْهِ العَجُوز بِرِسَالة طُولها مترَان ،

(١) أنظر ، المَحاسِن: ٦٠٣/٢ ح ٢٨ ، وَسَائِل الشّيعَة : ٤٣/١٢ ح ٨ .

وَحِين فَتحهَا الأمبرَاطُور وَجدهَا مَنقُوشة بِكَلِمة وَاحدة مِن أَوَّلها إِلىٰ آخرِها، وَهِي كَلِمَة الصَّبْر (١).

٥٥ ـ وَ قَالَ ﷺ : «الْغِنَىٰ فِي الْغُرْبَةِ وَطَنٌ، وَ الْفَقْرُ فِي الْوَطَنِ غُرْبَةٌ».

● كَلِمَة الْوَطَن تُوحي بِالقُوَّة والأَهْل وجَمع الشَّمل، وبِالمُتْعَة والرَّاحَة والطُّمأنِينَة.

والْغَنِيّ الوَاجِد تَتَوَافر لهُ هَذِه الأَوصَاف، لأنَّ المَال قوَّة ومُتْعَة وبِهِ تَطْمَئن النَّفس وَتَرتَاح، وإِلىٰ صَاحبِهِ تَتَودد الرِّجَال وإِخْوَان الزَّمان... أمَّا كَلِمَة الغُربَة فَإنَّهَا تُوحِي بِالضَّعف والوَحدَة والوَحْشَة، وبِالأَلَم والخَوْف والضَّياع، ومَعْنَىٰ هَذَا أنَّ الْغِنَىٰ وَطَن بِذَاته سَواء أَكَان فِي مكَان الوِلاَدة أَمْ فِي غَيْره، وَأنَّ الْفَقْر غُرْبَة وسِجن وتَشرِيد أَينَّما كَان حَتَّىٰ فِي مَسقط الرَّأس، بل هُو كُفر أيضاً كما قَالَ الرَّسُول ﷺ،

(١) الصَّبر صبرَان: صَبْر عَلىٰ مَا تكرَه، وصَبْر عمَّا تُحب.

النَّوع الأَوَّل أَشَق مِن النَّوع الثَّانِي، لأنَّ الأَوَّل صَبْر عَلىٰ مَضَرَّة نَازِلة، والثَّانِي صَبْر عَلىٰ مَحْبُوب مُتوَقع لَمْ يَحْصل.

وسُئل بُزُرْجمهر فِي بَليته عَن حَاله، فقَالَ هَوَّن عَلىٰ مَا أنَا فيهِ فِكري أَرْبَعَة أشيَاء:

أَوَّلها أَنِّ قُلت: القَضَاء والقَدر لاَ بُدَّ مِن جَريَانهما.

وَالثَّاني: إنْ لَم أَصْبر فَمَا أَصْنَع!

وَالثَّالث أَنِّ قُلت: قَد كَان يَجوز أنْ تَكُون المِحْنَة أَشد مِن هَذِه!

وَالرَّابع أَنِّ قُلت: لِعَل الفَرَج قَرِيب!

وَقَالَ أنُو شروان: جَمِيع أَمر الدُّنيا تَنْقَسم إِلىٰ ضَربِين لاَ ثَالث لَهما، أمَّا مَا فِي دَفعه حِيلة فَالإضْطِراب دَوَاؤه، وأمَّا مَا لاَ حِيلة فيهِ، فَالصَّبر شفَاؤه.

أنظر، شَرح نَهج البَلاَغة لِابن أَبِي الحَدِيد: ١٨/ ١٩٠.

«كَادَ الْفقر أنْ يَكُون كُفرَاً»(١). وَ«الْفَقْرُ الْمَوْتُ الأَكْبَرُ»(٢) كما قَالَ الإمَام، والوَصف بالأَكْبَر يُومىء إلى أنَّ أقْسىٰ، وأشَدّ مِن المَوْت المُعْتَاد. وتَقَدَّم الكَلاَم عَن ذَلِكَ.

ولاَ بُدَّ مِن الإشَارَة إلىٰ أنَّ مُرَاد الإمَام بِالْغِنَىٰ أنْ يَملك المَرْء مِن أسْبَاب العَيش مَا فِي الكفَايَة لهُ، ولِعيَاله مَع الكَرَامة أيضاً، ولَيْسَ بِهِ الذّهب، والفِضَة، والدِّيباج والرِّيَاش(٣).

٥٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ».

● الْقَنَاعَة أنْ تَرضىٰ بِمَا تَيسّر مِن الحَلاَل، وتيأس عمّا فِي أَيْدِي النَّاس. ومِن البدَاهَة أنَّ مَن رَأىٰ الثَّروَة فِيمَا تَيسَّر لهُ مِن حَلاَل ـ يَسْتَحِيل أنْ تَنفَد ثَروَته، لأنَّ المَفرُوض أنَّ المَيسُور هُو الثَّروة بِالذَّات، وأنَّ غَير المَيْسُور لَمْ يَنظر إلَيْهِ عَلىٰ الإطلاَق. وَكَان النّبيّ صلى الله عليه وآله في طعَامه لاَ يَردّ مَوجُوداً، ولاَ يَتكَلف مَفْقُوداً. وفِي

(١) أنظر، مُسْنَد الشّهاب: ٣٤٢/١ ح ٥٨١، فَيض القَدِير: ٥٤٢/٤ و: ٤٥٨/٥، مِيزان الإعْتِدَال: ٢٠٤/٢ ح ٢٠٤ ح ١٧٤٦ و: ٢٣١/٧ ح ٩٦٦٩، العِلَل المُتناهِية: ٨٠٥/٢ ح ١٣٤٦، تُحفَة الأحْوَذي: ١٧/٧ و: ٤٥/١٠، كَشف الخَفاء: ١٤١/٢ ح ١٩١٩، الكَافي: ٣٠٧/٢ ح ٤، الخِصَال: ١٢ ح ٤٠، الجَامِع الصَّغِير: ٢٦٦/٢ ح ٦١٩٩، كنز العُمّال: ٤٩٢/٦ ح ١٦٦٨٢.

(٢) أنظر، نَهج البَلاَغَة: الحِكمَة (١٦٢).

(٣) قَالَ رَجُل لبقرَاط: مَا أشَدّ فَقرك أيُّها الحكِيم؟ قَالَ: لَو عَرَفت رَاحَة الفَقر لِشَغَلك التَّوجع لِنَفسك عَن التَّوجع لِي. الفَقر مَلكٌ لَيسَ عَلَيهِ مُحَاسَبة، وَقَالَ الشَّاعر:

يَا عَاتب الفَقر ألاَّ تَزدَجر ... عَيب الفَتىٰ أكبَر لَو تَعتَبر
إنَّك تَعصي الله تَبتَغي الغِنَىٰ ... وَلَيسَ تَعصي الله كَي تَفتَقر

وكَان يُقَال: الحَلاَل يَقطُر، والحَرَام يَسِيل.

أنظر، شَرح نَهج البَلاَغَة لابْن أبي الحَدِيد: ١٨٩/١٨.

شَرح ٱبن أَبِي ٱلْحَدِيد: إنَّ رَجُلاً قَالَ لِسُقرَاط، وَرَآه يَأْكُل العِشْب: لَـو خَـدَمت المَلِك لَمْ تَحْتَج إِلىٰ أَنْ تَأكل الحَشِيش. فقَال لهُ سُقرَاط: وأَنْتَ إِنْ أَكَلت الحَشِيش لَمْ تَحْتَج أَنْ تَخْدِم المَلك[1]!

٥٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «الْمَالُ مَادَّةُ الشَّهَوَاتِ».

● وَكَلِمَة الشَّهَوَات هُنا تَشْمل شَهوَة الْبَطْن والفَرْج، وحُبّ التَّعالي والتَّباهِي، والرَّغْبَة فِي الإنْتقَام والسَّيطَرَة، وَغَيْر ذَلِكَ. ولَيْسَ مِن شَكٍّ أَنَّ المَال مُطِيَة، وَوَسِيلة لإشْبَاع هَذِه الرَّذَائِل والقَبَائِح، وَمَتىٰ شَبْعَتْ وَطَغَت عَلىٰ الْعَقْلِ، والقِيم الإِنْسَانِيَّة، وَأَصْبَح الإِنْسَان مُسيَّراً لهَا لاَ يَمْلك مِن أَمرِهِ شَيْئَاً، وَقَد ثَبَت بِالحِس والمُشَاهَدة أَنَّ الإِنْسَان كُلَّما أَسْرَف فِي المَادِيَاتِ، والشَّهَوَات ٱزدَاد عَن الرّوحِيَات.

وَعَن ٱبْن عَبَّاس أَنّه قَالَ: «إِنَّ أَوَّل دِرهَم وَدِينار ضُربَا فِي الأَرْض، نَظَر إِليهِمَا إِبْلَيْسَ، فَلَّما عَايَنَهُما أَخَذهُما فَوضَعهُما عَلىٰ عَينِيه، ثُمَّ ضَمْهُمَا إِلىٰ صَدرَه، ثُمَّ صَرَخ صَرخَة، ثُمَّ ضَمَهُما إِلىٰ صَدرَه، ثُمَّ قَالَ: أَنْتُما قُرَّة عَينِي، وَثَمَرَة فُؤادِي، مَا أُبَالي مِن بَني آدَمَ إِذَا أَحْبُوكما أَنْ لاَ يَعبدُوا وَثَناً. وَحَسْبِي مِن بَنِي آدَم أَنْ يَحْبُوكُما»[2].

وَكَتَب مُصْطَفىٰ صَادِق الرَّافعي مقَالاً بِعنوَان «الدِّينَار والدِّرهَم» جَاء فِيه: «الْفَقِيه الَّذي يَتَعَلق بِالمَال هُو فَقِيه فَاسد، يُفْسد الحَقِّيقَة الَّتي يَتَكَلم بِهـا... فَـلَقد رَأَيْت فُقَهَاء يَعْظُون النَّاس فِي الحَلاَل ونُصُوص الكتَاب والسُّنَّة... وَتَسخر مِـنْهُم

(١) أنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلْحَدِيد: ١٩٢/١٨.

(٢) أنظر، الأَمَالي للشَّيخ الصَّدوق: ٢٦٩ ح ١٧، رَوضَة الوَاعظِين: ٤٢٨، بِحَار الأَنْوَار: ١٣٧/٧٠، مُسْتَدرك الوَسَائِل: ٦٣/١٢ ح ١٣٥١٥.

الحقِّيقَة بِذَات الأُسلُوب الَّذي يَسْخَر بِهِ لُصّ يَعْظ لُصّاً آخر، يَـقول لهُ: إيَّـاك أنْ تَسرُق».

وَبالمُـنَاسبة قَالَ الإشتراكِيُون فِي رَدِهم عَـلىٰ النّـظام الرَّأسمالي يَـفْتَح الطَّـريق لِلأغْنِيَاء أنْ يُسيطرُوا عَلىٰ رِجَال الدَّولة والحُكم ويُخْضَعوا السِّيَّاسة لِمصَالِحهم الخَاصَّة وإلّا حَاربُوهم بِالأموَال. والضَّحِية الشَّعب، والمُسْتَضعفُون(١). ومَن أحَبَّ التَّفصِيل فَليَرجع إلىٰ كتَابنا «فَلْسَفَة التَّوحِيد والْوِلاَيَة»، فَـصْل «بَـيْنَ الشِّـيُوعِيَة والرَّأسمالِيَّة».

٥٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَنْ حَذَّرَكَ كَمَنْ بَشَّرَكَ».

---

(١) قَالَ أعرَابي لِبَنِيه: أجمَعوا الدَّرَاهم فَإنَّها تُلبِس اليَلْمَق ـ أي القَبَاء المَحشُو ـ وتُطعِم الجَرْدَق ـ أي الرَّغِيف ـ.

وَقَالَ أعرَابي وَقَد نَظَر إلىٰ دِينَار: قَاتَلَك الله! مَا أصغَر قمّتَك، وأكبَر هِمَّتك!

وَسُئل أفلاَطُون عَن المَال، فَقَال: مَا أقولُ فِي شَيء يُعطِيه الحَظّ، ويَحفَظه اللُّؤمُ، ويبلُغه الكَرَمُ!

وَكَان يُقَال: ثَلاَثة يُؤثِرُون المَالَ عَلىٰ أنفسِهم: تَاجِرُ البَحْر، والمُقَاتِل بِالأُجرَة، والمُرتَشي فِي الحُكم وهُو شَرّهم، لأنَّ الأوَّلَين رُبَّما سَلِما، ولاَ سَلاَمة لِلثَّالِث مِن الإثم.

وَقَد سَمَّىٰ الله تَبَارك وَتَعَالىٰ المَال خَيْراً كَمَا فِي قَوله: ﴿إن تَرَكَ خَيْرًا﴾ ٱلْبَقَرَة: ١٨٠، وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ ٱلْعَادِيَات: ٨.

وَقَالُوا فِي ذَمّ المَال: المَال مِثلُ المَاء غَادٍ ورَائِح، طَبْعُه كَطَبْع الصَّبي لاَ يُوقف عَلىٰ سَببِ رِضَاه، ولاَ سُخْطَه. المَالُ لاَ يَنفعك مَا لَم تُفَارِقه.

وَقَد أخذ الشَّاعر هَذا المَعنَىٰ وَقَالَ فيِه:

وَصَاحِب صِدقٍ لَيس يَنفَع قُربُه ... ولاَ وُدُّه حَتَّىٰ تُفَارِقَه عَمْداً

وَقَالَ آخر:

ألَم تَر أنَّ المَال يُهلِك رَبَّه ... إذَا جَمَّ آتِيهِ وَسُدَّ طَرِيقُهُ

وَمَن جَاوز البَحر الغَزِيرَ بِقَحْمَةٍ ... وَسُدَّ طَرِيق المَاءِ فَهُو غَرِيقُهُ

أنظر، شَرح نَهج ٱلْبَلاَغَة لإبْن أَبِي ٱلْحَدِيد: ١٨/١٩٥.

● المُرَاد بِالتَّحْذِير النُّصح بِعلمٍ وإِخْلَاص، والتَّخْوِيف مِن سُوء العَاقِبَة بِٱتبَاع الشَّهَوَات، وَالمُرَاد بِالبَشَّارَة الإِخْبَار بِالخَيْرِ والهَنَاء، والمَعْنَىٰ: مَنْ حَذَّرَكَ مِن الشَّرِّ فَقَد بَشَّرَك بِالخَيْرِ لَوْ سَمِعتَ وَأَطَعْتَ. ومِثله رَحِمَ الله ٱمرَأً أَهدىٰ إِلَيَّ عِيُوبِي[1].

٥٩ ـ وَ قَالَ ﷺ: «اللِّسَانُ سَبُعٌ، إِنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقَرَ».

اللِّسَانُ كَثِير الحَرَكَات والعَثَرَات، ولاَ بُدَّ مِن مُرَاقَبتِهِ، وَسَجْنِهِ، وإلاّ أَهْلَك ودَمَّر.

وَقَد تَقَدَّم الكَلاَم عَنْهُ فِي ٱلخُطْبَة (١٧٦ و ٢٣٣) والحِكْمَة (٤١)[2].

---

(١) لَقَد جَاء فِي الخَبَر: «الدِّين النَّصِيحَة»، كَمَا ذُكِر ذَلِكَ فِي صَحِيح البُخَارِيّ: ١/٣٠ ح ٥٦، صَحِيح مُسْلِم: ١/٧٤ ح ٥٥، صَحِيح ٱبن حَبَّان: ١٠/٤٣٥ ح ٤٥٧٤، سُنن التِّرمِذي: ٤/٣٢٤ ح ١٩٢٦، فَقِيل: يَارَسُول الله، لِمَن؟ فَقَال: «لِعَامَّة المُسْلِمِين»، وأَوَّل مَا يَجب عَلىٰ الإِنْسَان أَنْ يُحَذِّر نَفْسه ويَنصحها، فَمن غَشَّ نَفْسه فَقَلَّما يُحَذِّر غَيرَه ويَنْصَحُه، وحَقّ مَن ٱستُنصح أَنْ يَبذُل غَايَةَ النُّصح ولَو كَان فِي أَمرٍ يَضرّه، وإِلىٰ ذَلِكَ وَقَعتِ الإِشَارَة فِي الكِتَاب العَزِيز بِقَوله سُبْحَانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ ٱلنِّسَاء: ١٣٥، وَقَوله سُبْحَانه: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ ٱلأَنْعَام: ١٥٢.

أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلحَدِيد: ١٨/١٩٥.

(٢) وَكَان يُقَال: إِنَّ كَانَ فِي الكَلاَم دَرَك فَفِي الصَّمت عَافِية.

وَقَالت الحُكَمَاء: النُّطق أَشرَف مَا خُصَّ بِه الإِنْسَان، لأَنَّـه صورَتُه المَعْقُولة الَّتي بَايَنَ بِهَا سَائِر المَخْلُوقَات، ولِذَا قَالَ سُبْحَانه وَتَعَالىٰ: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ ٱلرَّحْمَـٰن: ٣ ـ ٤، وَلَمْ يَقُل «وَعَلَّمَهُ» بِالوَاو لأَنَّه سُبْحَانه وتَعَالىٰ جَعَل قَوله: ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾، تَفْسِيراً لِقَوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾؛ لاَ عَطْفاً عَلَيْهِ؛ تَنْبِيهاً عَلىٰ أَنَّ خَلْقه وتَخْصِيصَه بِالبَيَان الَّذي لَو تُوهِّم مُرتَفعاً لِٱرتَفَعَتْ إِنْسَانِيَّته؛ ولِذَلك قِيل: مَا الإِنْسَانُ لَولا اللِّسَانُ إِلاَّ بَهِيمَةٌ مُهْمَلة، أَو صورَة مُمَثَّلة. وَقَالَ الشَّاعِر زُهَير بن أَبِي سُلمىٰ كَمَا جَاء فِي شَرح مُعلقته

٦٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «ٱلْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةُ اللَّسْبَةِ».

● قَالَ بَعْض الشَّارِحِين: الْمُرَاد بِاللَّسْبَةِ اللَّسعَة. وَقَالَ الشَّيخ مُحَمَّد عَبْدَه: اللُّبْسَة هُنا حَالَة مِن حَالاَت اللُّبس، يُقَال لَبِست فُلاَنه أي عَاشرتُها زَمَناً طَوِيلا. وَالْعقْرَب لاَ تَحلُو لَسْعَتها[1]. وهَذا القَول أَقْرَب إِلىٰ الآيَة: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[2].

وٱلْمَرْأَة وَالرَّجُل مِن طَبِيعَة وَاحِدَة وَطِينَة وَاحدة، والفَرق أَنَّ لِكُلٍّ مِنْهُما وَظِيفَة تَخُصّه... وشَبّهها الْإِمَام بِالْعَقْرَبِ لِأَنَّهَا تُسرع الغَضَب عَلىٰ الرَّجُل، وتَجْحَد مَعْرُوفه لأَمرٍ تَافه، وَقَد تُؤذِيه بِكَلِمَة مُوجِعَة وحَرَكَة نَابِية بِلاَ سَبب مُوجِب ومَعْقُول، فَأَوصَاه الإِمَام بِأَنْ يَصْبر عَلَيْهَا، وَيَتَحملها عَلىٰ عِلاَتِها، لِأَنَّهَا مَهما تَكُن فَهِي أَخَف وخَيرٌ مِن الْعَقْرَب الَّتِي لاَ يُمْكن مَعَهَا العَيش بِحَال... أَقول هَذا تَعبِيراً عَن فَهْمِي لاَ تَفْسِيراً لقَول الْإِمَام عليه السلام.

↔ للزَّوزَني: ١٥٤.

لِسَانُ الفَتىٰ نِصفٌ وَنِصفٌ فُؤادُهُ … فَلَمْ يَبقَ إِلاَّ صورَة اللَّحمِ والدَّمِ

أنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلحَدِيد: ١٨/١٩٦.

(١) أنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة: ٤/١٥. وَشَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلحَدِيد: ٢٠١.

وَقِيل لِسُقرَاط: أي السِّبَاع أَجْسَر؟ قَالَ ٱلمَرأَة.

وَكَتَب فِيلسُوفٌ عَلىٰ بَابِهِ: «مَا دَخَل هَذَا المَنْزِل شَرٌّ قَطّ. فَقَال لَهُ بَعْضُهم: أكتُب، إلاَّ ٱلمَرأَة.

وَمِن الكِنَايَات المَشْهُورَة عَنْهُن: «سِلاَحُ إِبْلِيس».

وَقَالَ الشَّاعِر المَعْرُوف طُفَيل الغَنوِيّ:

إِنَّ ٱلنِّسَاء كَأَشجَار نَبَتْنَ مَعاً … هُنَّ المُرَارُ وبَعْضُ المُرّ مَأكُولُ

إِنَّ ٱلنِّسَاء مَتىٰ يُنْهَيْنَ عَن خُلُقٍ … فَإِنَّه وَاجِبٌ لاَ بُدَّ مَفْعُول.

(٢) ٱلبَقَرَة: ١٨٧.

٦١ ـ وَ قَالَ ﷺ : «الشَّفِيعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ».

● الْمَعْنَىٰ وَاضح، وهُو أنَّ الشَّفِيع يُوصل الطَّالِب إلىٰ مَطْلَبه، تَمَاماً كَالجَنَاح بِالنِّسبَة إلىٰ الطَّائِر... وَأَعْظَم عِند الله اَلتَّوْبَة، والتَّوسل بهِ إِلَيْهِ تَعَالىٰ، ولاَ وَاسِطَة ـ فِي دِين الْإِسْلاَم ـ بَيْنَ العَبد وَرَبِّه. وقَرَأتُ مِن جُمْلَة مَا قَرَأت أنَّ رَجُلاً، قَالَ لِكَرِيم، «أَنْتَ الَّذي أَحْسَنْتَ إليَّ فِيمَا مَضىٰ، فقَال: مَرحَباً بِمَن توسَل إلينا بِنَا»... وَهَكَذَا كُلّ جَوَاد كَرِيم... أمَّا الشَّفِيعُ عِنْدَ نَاس هَذَا الزَّمَان فَهُو النِّفَاق، والرِّشوة، والخِيَانَة[1].

٦٢ ـ وَ قَالَ ﷺ : «أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ يُسَارُ بِهِمْ وَ هُمْ نِيَامٌ».

● وَمِثله مَا جَاء فِي اَلرِّسَالة: «مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَ إِنْ كَانَ وَاقِفاً، وَ يَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً»[2]. وَتَقَدَّم الْبَيَان، والشَّرح.

٦٣ ـ وَ قَالَ ﷺ : «فَقْدُ الْأَحِبَّةِ غُرْبَةٌ».

● الْحُبّ بَيْنَ اَثْنَيْن صُورَة مِن صوَر التَّعامُل والتَّعاقد بَيْنَ الْأَرْوَاح عَلىٰ تَبَادُل الصَّفَاء والْإِخْلاَص، والعَطف والْحَنَان، والْإِنْس والسُّرور، والرِّضَا والْإِطْمِئنَان. وَمَن فَقَد هَذِه الثَّروة عَاش غَرِيباً، وَأعْزَل مِن كُلّ سِلاَح. وتَقَدَّم مَع الشَّرح فِي

(١) لَقَد جَاء فِي اَلْحَدِيث الشَّرِيف عَن النَّبيّ ﷺ: «اَشْفَعُوا إِليَّ تُؤجَرُوا، وَيَقضي الله عَلىٰ لِسَان نَبيّه مَا شَاء». أُنظر، صَحِيح البُخَاريّ: ٢/٥٢٠ ح ١٣٦٥، مُسْنَد أحمد: ٤/٤٠٠، مُسْنَد الشِّهَاب: ١/٣٦٣ ح ٦١٩، الْبَيَان والتَّعريف: ١/٩٩، حلية الأَوْلِيَاء: ٧/١٢٠، كَشف الخفاء: ١/١٤٣ ح ٣٦٨.

(٢) أُنظر، نَهج اَلْبَلاَغَة: اَلرِّسَالَة (٣١). (مِنهُ ﷺ).

ٱلرِّسَالة السَّابقَة: «وَالْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ مَنْ تَعَدَّىٰ الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ، وَمَنِ ٱقْتَصَرَ عَلَىٰ قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَىٰ لَهُ، وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ سُبْحَانَهُ»(١).

٦٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «فَوْتُ الْحَاجَةِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِهَا إِلَىٰ غَيْرِ أَهْلِهَا».

● مَهمَا كَان الصَّبْرُ مُرّاً وَثَقِيلاً فَإِنَّه أَخَف وَأَحْلىٰ مِن اللّجوء إِلىٰ لَئِيم... والنّفوس الطَّيبَة الأَبِيَة تُؤثر أَلَم العَوز عَلىٰ مِنَّة اللَّئِيم وتَعْنِيفه... إِنَّه بِطَبعِهِ لاَ يُعطي إِلاّ الأَذَىٰ وَالإِسَاءة، وإِنْ أَعْطىٰ قَلِيلاً عَن رَغْبَةٍ، أَو رَهْبَة عُنف وتَعالي، ولاَ

(١) أُنظر، نَهْج ٱلْبَلاَغَة: مِن وصيةٍ لهُ عليه السلام إِلىٰ ٱبنِهِ الإِمَام الْحَسَن عليه السلام رَقم ٱلرِّسَالَة (٣١). (مِنْهُ رحمه الله).

وَنَقل ٱبن أَبِي ٱلْحَدِيد فِي شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة: ٢١٠/١٨، قول الشَّاعر:

فَلاَ تَحْسَبِي أَنَّ الغَرِيبَ الَّذي نَأَىٰ ... وَلكِنَّ مَن تَنأَيْنَ عَنْهُ غَرِيبُ

أُنظر، مُعجَم البُلدان: ٣٦٢/٥.

وَقَالَ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله: «الغَرِيب مَن لَيسَ لَهُ حَبِيب».

أُنظر، حلية الأَوْلياء: ٤٧/٣، وَلَكن يَنسب القَول إِلىٰ فَرقد السَّبخي، وأُنظر غُرر الحِكَم: ٤٦، دُستُور مَعَالم الحكَم والموَاعظ: ١٦، جوَاهر المطالب لاِبْن الدِّمَشْقِي: ١٥٨/٢، المُستَطرف لاِبن إِدرِيس فِي السَّرائر، وكَذَلك فِي نُزهَة النَّاظر.

أُسْرَة الْمَرءِ وَالِداهُ وَفِيا ... بَيْنَ حِضْنَيْهِا الْحَياة تَطِيبُ
وإِذَا وَلَّيا عَن الْمَرْءِ يَوماً ... فَهُوَ فِي النَّاس أَجْنَبِيٌّ غَرِيبُ

وَقَالَ آخر:

إِذَا مَا مَضَىٰ القَرْن الَّذي كُنْتَ فِيهِمُ ... وَخُلِّفتَ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبُ

أُنظر، تَأْرِيخ دِمشق: ١١٩/٣٤ و: ٢٠٤/٤٦، تَفسِير القُرطُبي، ٣٩١/٦، المَجمُوع: ٢٢٥/٢٠، الإِصَابَة: ١١٤/٥، أَمَالي الشَّيخ المُفِيد: ٣١٦، عَون المَعبُود: ٩٣/٦، كَشف الخَفَاء: ٢٨٢/١، لِسَان العَرب: ٣٣٤/١٣.

يَحتَمل هَذَا مِنْهُ إلاّ خَسِيس وَضِيع[١].

٦٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «لَا تَسْتَحِ مِنْ إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ، فَإِنَّ الْحِرْمَانَ أَقَلُّ مِنْهُ».

● الْوُجُود، وإنْ قَلَّ، خَيْرٌ مِن العَدَم مَا فِي ذَلِكَ رَيب... هَذا، إِلىٰ أَنَّ الأَشْيَاء تُقَاس بِعوَاقِبِها، وَرُبَّ جُرْعَة مَاء، أو لُقْمَة عَيش أَحْيَت نَفْساً زَكِية. وَيَأتِي قَول الْإِمَام: «اَفْعَلُوا الْخَيْرَ وَلَا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئاً، فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ وَقَلِيلَهُ كَثِيرٌ»[٢].

٦٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «الْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ، وَ الشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنَىٰ».

● الْعَفَافُ زِينَةٌ وَفَضِيلَةٌ لِلفَقِيرِ، والْغَنِيّ، وأيضاً لِلملُوك... وَخَصَّ الإِمَام الْفَقْر بِالذِّكر لأَنَّه مَنْقَصة عِند النَّاس، والْعَفَاف يُكفِّر عَنْهُ. وأيضاً الشُّكْرُ زِينَةٌ وَفَضِيلَةٌ مِن كُل النَّاس، بَل هُو وَاجب عَام، مِن كُلٍّ حَسَب طَاقته. وذَكَر الإِمَام الْغِنَىٰ بِالخصُوص لأنَّه فِي الغَالِب يَبْعَث عَلىٰ الْكِبْرِيَاء، والطُّغيَان، فَإِذَا شَكَر الْغَنِيّ، وَتَوَاضع فَمَعْنىٰ هَذَا أنَّه مِن الطَّيبِين الأَخْيَار. ويَأتِي قَول الإِمَام: «مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعَ الْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَباً لِمَا عِنْدَ اللهِ، وَأَحْسَنُ مِنْهُ تِيهُ الْفُقَرَاءِ عَلَىٰ الْأَغْنِيَاءِ اتِّكَالاً عَلَىٰ

(١) كَان يُقَال: لاَ تَطْلبُوا الحَوَائج إلىٰ ثَلاَثَة: إلىٰ عَبدٍ يَقول: الأَمر إلىٰ غَيْرِي، وإلىٰ رَجُلٍ حَدِيث الغِنَىٰ، وإلىٰ تَاجرٍ هِمَّته يَسْتَرْبحَ فِي كُلِّ عشرين ديناراً حَبَّة وَاحِدة. اُنظر، اَبْن أَبِي الْحَدِيد فِي شَرح نَهج الْبَلاَغَة: ٢١١/١٨.

(٢) اُنظر، نَهج الْبَلاَغَة: الْحِكْمَة (٤١٦).

وَسُئل أرِسْطو: هَل مِن جُودٍ يُسْتَطاع أنْ يَتنَاول بِهِ كُلُّ أحد؟ قَالَ: نَعَم، أنْ تَنْوِيَ الخَيرَ لِكُلِّ أحد. اُنظر، اَبْن أَبِي الْحَدِيد فِي شَرح نَهج الْبَلاَغَة: ٢١٢/١٨.

اللهِ »[١].

٦٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَلاَ تُبَلْ مَا كُنْتَ » .

● فَلاَ تُبَلْ أي لاَ تُبَالِ مِن المُبَالاَة بِمَعْنَىٰ الإِكْتِرَاث ، وَحُذفت الأَلْف لِلتَّخفِيف ، والْمَعْنَىٰ لاَ تَأسف عَلىٰ مَا فَات مَهمَا كَانَتْ ظرُوفك ، وأَحوَالك لأنَّ الْحُزْن لاَ يُرجع مَا فَات ، والفَرَح لاَ يُبقِي مَا هُو آت . وَقَالَ وَاحد مِن الزَّاهِدِين : «مَا أَصْنَع بِدُنيَا مَا أنْ بَقِيتُ لهَا لَمْ تَبق لي ، وإنْ بَقيتْ لِي لَم أَبق لهَا ؟» . وإذْن فَعَلاَم التَّأسُف والتَّلَهُف ؟ .

---

(١) أُنظر ، نَهج ٱلبَلاَغَة : ٱلْحِكْمَة (٤٠٠).

من الأَبيات المشهورة:

فَـإذَا ٱفـتقرتَ فَـلاَ تكُـن   مُـتَخَشّعاً وَتَجَـمَّلِ

وَمِن أَمْثَالهُم المَشهُورة أيضاً: «تَجُوعُ الحُرَّة وَلاَ تَأكلُ بِثَديَيْها».

أُنظر ، مَجْمَع الأَمثَال لِلمَيدَاني: ٢١٥/١ بِرَقم «٦١٩».

وَأَنشَد الأَصمعيّ لِبَعضهم:

أُقْسِم بِـاللهِ لَمَـصُّ النَّوَىٰ   وَشربُ مَـاءِ القُـلُبِ المَـالِحَهْ

أَحْسَـنُ بِـالإِنسَان مِـن ذُلِّـهِ   ومِن سؤالِ الأَوْجُـهِ الكَـالِحَهْ

فَٱسْتَغنِ بِـاللهِ تَكُـنْ ذَا غِـنىً   مُـغْتَبِطاً بِـالصَّفْقَةِ الرَّابِحَـهْ

طُـوبَىٰ لِمَـن تُـصبِح مِـيزَانُهُ   يَـوْمَ يُـلاَقِي رَبَّـه رَاجِـحَهْ

وَقَالَ بَعضهُم: وَقَفتُ عَلىٰ كَنِيفٍ، وفِي أَسفلهِ كنَّاف: وهُو يُنْشِد:

وَأُكْـرِمُ نَـفْسِي عَـن أُمُـورٍ كَـثِيرَة   ألا إنَّ إكْـرَامَ النَّـفُوس مِـن الْـعَقْلِ

وَأَبْخَـلُ بِـالفَضْل المُـبِين عَـلىٰ الأُلىٰ   رَأَيْـتُهُمْ لاَ يُكْـرِمُون ذَوي الفَـضْلِ

وَمَـا شَـانَنِي كَـنْسُ الكَـنِيف وإنَّمَـا   يَشِـينُ الْـفَتَىٰ أنْ يَجْـتَدِي نَـائلَ النَّـذْلِ

وَأَقْـبَحُ مِمَّـا بِي وقُـوفِي مُـؤَمِّلاً   نَـوالَ فَـتىً مِـثْلي، وأي فَـتىً مِـثْلي!

أُنظر ، ٱبْن أَبِي ٱلْحَدِيد فِي شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة : ٢١٣/١٨ .

٦٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «لَا تَرَىٰ الْجَاهِلَ إِلَّا مُفْرِطاً أَوْ مُفَرِّطاً».

● مُفْرِط : مُقَصِر مُهْمِل ، ومُفَرِّط . مُتجَاوز لِلحدُود فِي جَمِيع أُمورَه لاَ يَعْرِف مَعْنَىٰ القَصد ، ولاَ يَهْتَدِي إِلىٰ رُشد . ومَثل الجَهْل ، أو أَسوَأ عِلم بِلا دِين وعَمَل . وتَقَدَّم الكَلاَم عَن ذَلِكَ مَرَّات ، آخرهَا فِي ٱلحِكْمَة الَّتي قَالهَا عليه السلام : «لَا غِنَىٰ كَالْعَقْلِ ؛ وَلَا فَقْرَ كَالجَهْلِ ؛ وَلَا مِيرَاثَ كَالأَدَبِ ؛ وَلَا ظَهِيرَ كَالمُشَاوَرَةِ»[١] .

٦٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ».

● وَوَجه المُلاَزمَة بَيْنَ تَمَام الْعَقْل وَقِلَة الكَلاَم ـ أَنَّ الْعَقْل مِن العِقَال ، فإذَا قَوِّي وَتَمَّ تَغلَّب عَلىٰ اللِّسَان وَأَمْسَكه عَن اللَّغو والعَبَث ، ولاَ يُطلقهُ إِلّا فِيما يَنْفَع ، فإذَا نَقَص الْعَقْل وَضعَف إِنْطَلق اللِّسَان مِن عِقَاله ، وَجَرىٰ عَلىٰ غَيْر هُدىً هَابطاً وَصَاعِداً . . وَقَد رَأينا الجَاهِل يُثَرثر بِغَير حِسَاب ، وَيُخبر بِما لاَ يُسأل عَنْهُ ، وَيُحدّث مَن لاَ يُصدقه ، وَيَضيق بِهِ وَبِحَدِيثه . وَتَكلم رَجُلٌ أَمَام الأَحْنَف فَأَكْثَرَ ، ولَمَّا سَكَتَ ، قَالَ لهُ : يَا هَذَا مَا سَتَرَ الله مِنْكَ أَعْظَم . وَتَقَدَّم مِثلهُ وَيَأتِي أيضاً[٢] .

٧٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «الدَّهْرُ يُخْلِقُ الأَبْدَانَ ، وَ يُجَدِّدُ الآمَالَ ، وَ يُقَرِّبُ الـمَنِيَّةَ ، وَ يُبَاعِدُ الأُمْنِيَّةَ ، مَنْ ظَفِرَ بِهِ نَصِبَ ، وَ مَنْ فَاتَهُ تَعِبَ».

---

(١) أنظر ، نَهج ٱلبَلاَغَة : ٱلحِكْمَة (٥٣) . (مِنهُ).

(٢) أنظر ، شَرح أُصول الكَافِي : ٣٢٦/٨ ، وشَرح مِئَة كَلِمة لِابن مِيثَم البَحرَاني : ٦٩ ، وشَرح كَلمَات أَمِير المُؤمِنِين لعَبدالوهَاب : ٣٢ ، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلحَدِيد : ٩٢/٧ .

● (الدَّهْرُ يُخْلِقُ الأَبْدَانَ) . كُلَّما تَقَدَّمت بِنَا الْحَيَاة وَهَنَ ٱلْعَظْمُ ، وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً (وَيُجَدِّدُ الآمَالَ) . إذَا ٱمْتَدت الْحَيَاة بِالإِنْسَان فِي هَذِه الدُّنْيَا قَويت العِلاَقَة والإِلفَة بَيْنَه وَبَيْنَها ، وٱزدَاد بِالدُّنْيَا أَمَلاً وَتعلُقاً ، وَقَد شَاع وذَاع علىٰ لِسَان رسول الله ﷺ : «يَهْرَم (يُشِيب) الْمَرْء (بَنِي آدم) ، وَيَبْقىٰ (وَيَشب) مَعَه (مِنْهُ) ٱثْنَتَان (خِصْلتَان) : الْحِرْص ، وطُول الأَمَل»[١] . (وَيُقَرِّبُ الْمَنِيَّةَ) لأَنَّ الْعُمُر فِي إِدْبَار ، والْمَوْت فِي إِقْبَال ، كَما فِي الحِكْمَة : «إِذَا كُنْتَ فِي إِدْبَارٍ ، وَالْمَوْتُ فِي إِقْبَالٍ ، فَمَا أَسْرَعَ الْمُلْتَقىٰ!»[٢] . (وَيُبَاعِدُ الأُمْنِيَّةَ) لِقُرب الْمَنِيَّة (مَنْ ظَفِرَ بِهِ نَصِبَ ، وَمَنْ فَاتَهُ تَعِبَ) . الْهَاء فِي «بِهِ وفَاتَهُ» تَعُود إِلىٰ مَال الدَّهْرُ وَمَتَاعه ، والْمَعْنىٰ مَن نَال شَيْئَاً مِن مَال الدَّهْر غَرَق فِي الغَرس ، والتَّعمِير ، والتِّجَارة ، والتَّثمِير ، وإِنْ حَرَمه الدَّهْر كَدَح وإجْتَهَد سَعياً ورَاء الْمَال... وإِذْن هُو فِي تَعب دَائِم مُعدَماً ومُثرِياً .

والخُلاَصة : أَنَّ الإِمَام يَقول : لِلشَّيخ العَجُوز : بِالأَمس عَمِلتَ لدُنيَاك ، فَتَقَاعد عَنْهَا وَالآنْ ٱعْمَل لآخِرَتك فَقَد أَزِفَ الرَّحِيل[٣] .

---

(١) أنظر ، سُنن البَيْهَقِيّ الكُبْرىٰ : ٣/٣٦٨ ح ٦٢٩٨ ، لِسَان الميزَان : ٦/٦٨ ح ٢٦٥ ، كَشف الخفَاء : ٢/٥٣٧ ح ٣٢٥٤ ، التَّعاريف : ١/٢١٥ ، التَّعريفات : ١/٩٧ ح ٤٤٩ ، مِيزَان الإِعْتدَال : ٦/٤٨٣ ح ٨٦٩٧ ، الإِصَابَة : ٦/٣٦٨ ح ٨٦٠٦ .

(٢) أنظر ، نَهج ٱلْبَلاَغَة : ٱلْحِكْمَة (٢٨) . (مِنْهُ ﷺ) .

(٣) قَالَ بَعضُ الحُكَمَاء : الدُّنْيَا تَسُرّ لِتَغُرّ ، وتُفيد لتَكِيد ، كَمْ رَاقِدٍ فِي ظِلّها قَد أَيقَظْته ، ووَاثِقٍ بِهَا قَد خَذَلَته ، بِهَذا الخُلُق عُرِفَتْ ، وَعَلىٰ هَذَا الشَّرْط صُوحِبتْ .

وَكَتَب الإِسْكَندرُ إِلىٰ أَرِسطوطَاليس : عِظْني ، فَكَتَب إِلَيْهِ : إِذَا صَفَتْ لَكَ السَّلاَمَة فَجدِّد ذِكْرَ العَطَب ، وإِذَا ٱطمَأنّ بِكَ الأَمْن فَٱسْتَشعِر الخَوف ، وإِذَا بَلغتَ نِهايَةَ الأَمَل فَٱذكِر الْمَوْت ، وإِذَا أَحببتَ نَفْسَك فَلا تَجْعَل لَهَا نَصِيباً فِي الإِسَاءَة ، وَقَال شَاعر فَأَحْسَن ، أنظر ، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة لإبْن أَبِي ٱلْحَدِيد : ١٨/٢١٨ .

٧١ ـ وَ قَالَ ﷺ : «مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ ، وَ لْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ ؛ وَ مُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَ مُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَ مُؤَدِّبِهِمْ» .

● المُرَاد بِالْإِمَام هُنا المُرشد والمُعَلِم... ولمُرشد السُّوء عَلاَمَات :

مِنْهَا : أَنْ يَعظ ويَتَصَرف بِعَكس مَا يَقول .

وَمِنْهَا : أَنْ يَطلب الدُّنْيَا بِالدِّين ، وَيُخَالط السُّلْطَان ، وأَهْل اليَسَار طَلباً لِلعِزَّة والجَاه .

وَمِنْهَا : أَنْ يَكُون الكَلاَم أَحبّ إِلَيْهِ مِن الإِسْتِمتَاع إِلىٰ العِلْم ، وإِنْ نُبِّه إِلىٰ خَطَئه أَنِفَ وَثَار... إِلىٰ غَيْر ذَلِكَ مِمَّا رَأَينَاه ، وشَاهدنَاه مِن كَثِيرٍ مِن المُتَسمين بِسِمَة الدِّين وَأَهْله .

إِنَّ الإِرْشَاد يَسْتَهدف العَمَل قَبل كُلّ شَيء ، فَإِذَا كَان المُرشد مُنَاقِضاً لِنَفْسه

↔ كَأَنَّك لَمْ تَسْمَعْ بِأَخْبَارِ مَن مَضىٰ ... وَلَم تَر بِالبَاقِين مَا صَنَع الدَّهْرُ
فَإِنْ كُنتَ لاَ تَدري فَتِلْكَ دِيَارُهمْ ... عَفَاها مَحَال الرِّيح بَعدَكَ والقَطْرُ
وَهَل أَبْصَرَتْ عِينَاك حَيّاً بِمَنزِلٍ ... عَلىٰ الدَّهْر إلاَّ بِالعَرَاءِ لهُ قَبْرُ
فَلاَ تَحْسَبنَّ الوَفْر مَالاً جَمَعتَهُ ... ولكنَّ مَا قَدمْتَ مِن صَالحٍ وَفْرُ
مَضىٰ جَامِعُو الأَموَال لَمْ يَتَزَوَّدُوا ... سِوىٰ الفَقْر يَا بُؤْسَىٰ لِمَن زَادهُ الفَقْرُ!
فَحتَّامَ لاَ تَصحُو وَقَد قَرُبَ المَدَىٰ ... وَحَتَّام لاَ يَنجَابُ عَن قَلْبِك السُّكْرُ!
بَلىٰ سَوف تَصحُو حِينَ يَنْكَشِف الغِطَا ... وَتَذكرُ قَولي حِينَ لاَ يَنْفَع الذِّكرُ
وَمَا بَيْنَ مِيلاَد الفَتَىٰ وَوَفَاته ... إذَا انْتَصح الأَقْوَامُ أَنفُسهم عُمْرُ
لأَنَّ الَّذي يَأْتِيه شِبْهُ الَّذي مَضَىٰ ... وَمَا هُوَ إلاَّ وَقْتُك الضَّيِّق النَّزْرُ
فَصَبْراً عَلىٰ الأَيَّام حَتَّىٰ تَجُوزَها ... فَعَمَّا قَلِيل بَعْدَها يُحْمَد الصَّبْرُ

وَدِينه تَابعاً لأَهوَائه وَمِيُوله ذَهَب إِرْشَاده مَع الرِّيح ... وَرُبَّما أَحدَث رَدَّة فِعل عِند بَعْض السَّامِعِين ، وَقَالَ : لَوْ كَان الدِّين كَمَا يَصفه هَذَا الوَاعظ لِظَهر أَثرَه فِي سلُوكه . وغَيْر بَعِيد أنْ يَكُون الوَعظ مَكرُوهاً مِمَّن يَعلم بِأَنَّ المُسْتَمعِين إِلَيْهِ عَلىٰ عِلمٍ بِفُسقه وإِنَّه يَعظ ولاَ يَتعظ ... وَمَهمَا يَكُن فَإِنَّ العُقْلاَء يَستَقْبحُون دَعْوَة الصَّلاح مِن الفَاسد ، والإِخْلاَص مِن العَمِيل الخَائِن . وفِي الْحَدِيث : «إِنَّ الله سُبْحَانَه أَوحىٰ إِلىٰ عِيسَىٰ بن مَرْيَم عليه السلام : عِظ نَفْسك ، فإِنْ اتعظتَ فَعظ النَّاس وإِلَّا فاستحِ مِنيّ»[1] .

وَبَعْد ، فَيَنبَغي للوَاعِظ أَنْ يَكُون عَالِماً بِالدِّين بِعِلمَه ، ومُخْلِصاً فِي قَصدَه ، وَفَصِيحاً يوَاتِيه عَلىٰ بَيان مَا يُرِيد ، رُؤيَة نَافِذَة يَضع الكَلاَم فِي موَاضعه ، وَجَرِيئاً فِي الْحَقِّ لاَ يَخْشىٰ فِيهِ لَومَة لاَئِم[2] .

٧٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «نَفَسُ الْمَرْءِ خُطَاهُ إِلَىٰ أَجَلِهِ» .

● كُلّ نَفَسُ مِن أَنْفَاسك يَدفَع بِكَ إِلىٰ حُفْرَةٍ مُظْلِمَة ، وَيَعِظك قَائِلاً بِلسَان الحَال : «أَنْتَ الآنْ عَلىٰ ظَهر الأَرْض ضَيف مُؤقت ، وَغَداً فِي جُوفهَا ، وهُو مَقَرُك الأَخِير ، فأنْسَجم مَع نَفْسك ، وتَزَوَد مِن دَار الضِّيَافة لدَّار القَرَار» .

٧٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ» .

---

(١) أُنظر ، كَنز العُمَّال : ١٥/٧٩٥ ح ٤٣١٥٦ ، كِتَاب الزُّهْد لِابن أَبِي عَاصم : ١/٥٤ ، الفِردَوْس بمأثُور الخِطَاب : ١/١٤٤ ح ٥١٣ ، فَيض القَدِير : ١/٧٨ ، حلية الأَوْلِيَاء : ٢/٣٨٢ ، صَفوة الصَّفوة : ٤/٣٥٦ ، الدُّر المَنثور : ٢/٢٨ .

(٢) وَقَالَ صَاحب المَثَل : «وَهَل يَستَقِيمُ الظِّلّ والعُود أَعوَج» . أُنظر ، شَرح نَهْج ٱلبَلاَغَة لِابن أَبِي الْحَدِيد : ١٨/٢٢٠ .

● المُرَاد بِالمَعْدُودِ هُنا كُلّ كَائِن الحدُوث وهُو الَّذي لاَ يَحْدَث بِنَفْسه، بَل بِسَبب خَارج عَنْهَا، لأنَّ طَبِيعَته بِمَا هِي لاَ تَحمل السَّبب الكَافِي لوجُوده، والْمَعْنَىٰ إنْ كَان مَا عَدا الله سُبْحَانَه فَهُوَ فَانٍ لاَ مَحَالَةَ (وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ) الْمُرَاد بِالمُتَوَقَّع مَا لاَ مَفرَّ مِـن وقُوعَه وَحُدُوثه فِي المُسْتَقبل القَرِيب أو البَعِيد، كَالْمَوْت والبَعث والنَّشر، وعَـلَيْهِ تَكُون «آتٍ» لِمُجَرد التَّوضِيح. ومِثلهُ قَوله ﷺ: «وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ»[١].

٧٤ ـ وَ قَالَ ﷺ: «إِنَّ الأُمُورَ إِذَا اشْتَبَهَتْ اعْتُبِرَ آخِرُهَا بِأَوَّلِهَا».

● الأَشْيَاء تُقَاس بِنتَائِجها، فَالإِقْتصَاد، والتَّدبِير خَيْرٌ وَحَسَـنٌ؛ لأنَّ نَـتِيجَته صِيَانَة الْمَال، والرَّاحة فِي المُسْتَقبل عَن النَّاس، والتَّبذِير والإِسرَاف شَرٌّ وَقَبِيح؛ لأنَّ نَتِيجَته الْفَقْر، وَضَيَاع الثَّروة... وأيضاً البدَاية تَدل عَلىٰ النِّهايَة، والمُـقَدمَة تُـبشر بِالنَّتِيجَة، فَالتَّدبِير يَدلُ عَلىٰ حُسن العَاقِبَة، والتَّبذِير عَلىٰ سُوئِها. وَكَـلاَم الإِمَـام يُشِير إِلىٰ ذَلِكَ، وَيقول: كُلّ عَاقل يَسْتَطِيع التَّنبؤ بِمَا سَيحدث غَـداً مِـن الوَضـع الحَاضِر، فَكَسَل التّلمِيذ الآنْ عَلىٰ رُسُوبه فِي الإِمْتِحَانِ، وَنَشـاطه عَـلىٰ نَجـاحَه، وَتَخَاذل الْعَرَب، وَضَعف الثِّقة بِأنْفسهِمْ دَلاَلَة قَاطِعة عَلىٰ هَزِيمَتِهِمْ أَمَام كُـلّ غَـازٍ وَطَامع.

٧٥ ـ وَمِنْ خَبَرِ ضِرَارِ بْنِ حَمْزَةَ الضَّبَائِيِّ عِنْدَ دُخُولِهِ عَلَىٰ مُعَاوِيَةَ، وَمَسْأَلَتِهِ لَهُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ، وَ قَالَ: فَأَشْهَدُ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ وَ قَدْ أَرْخَىٰ اللَّيْلُ سُدُولَهُ، وَهُوَ قَائِمٌ فِي مِحْرَابِهِ، قَابِضٌ عَلَىٰ لِحْيَتِهِ يَتَمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ السَّلِيمِ، وَ يَبْكِي

---

(١) أُنظر، نَهج البَلاَغَة: الخُطبَة (١٠٣).

بُكَاءَ الْحَزِينِ، وَيَقُولُ:

«يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا، إِلَيْكِ عَنِّي، أَبِي تَعَرَّضْتِ؟ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتِ؟ لَا حَانَ حِينُكِ! هَيْهَاتَ! غُرِّي غَيْرِي، لَا حَاجَةَ لِي فِيكِ، قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلَاثاً لَا رَجْعَةَ فِيهَا! فَعَيْشُكِ قَصِيرٌ، وَ خَطَرُكِ يَسِيرٌ، وَ أَمَلُكِ حَقِيرٌ. آهِ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ، وَ طُولِ الطَّرِيقِ، وَ بُعْدِ السَّفَرِ، وَ عَظِيمِ الْمَوْرِدِ!».

● قَالَ الشَّرِيف الرَّضِيّ وَالَّذِين شَرحُوا الْنَهْج مِن بَعْده: إنَّ ضِرَار بْن ضَمْرَة كَان مِن أَصْحَاب الْإِمَام أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ‌عليه‌السلام، وَخَاصَّته، وَبَعْدهُ دَخَل عَلىٰ مُعَاوِيَة، فَقَالَ لهُ: يَا ضِرَار صِفْ لِي عَلِيّاً، قَالَ: أَعْفِني. قَالَ مُعَاوِيَة: لاَ أعْفِيك. قَالَ ضِرَار: مَا أَصف مِنْهُ، فإِنَّه والله كَان بَعِيد الْمَدَىٰ، شَدِيدَ القُوىٰ، يَقول فَصْلاً، وَيحكُم عَدْلاً، يَتَفجَّر الْعِلْم مِن جوَانِبه، وَتَنْطق ٱلْحِكْمَة مِن نَواحِيه، يَسْتَوحِش مِن ٱلدُّنيَا وَزَهرتهَا، وَيَأْنس بِاللَّيْل، وَوَحْشَتِه، وَكَان غَزِيرَ العَبْرَة، طَوِيل الفِكْرَة، يُقلِّب كَفّه، وَيُخَاطب نَفْسه، وَيُنَاجي رَبَّه، يُعْجِبه مِن اللِّبَاس مَا خَشُن، وَمِن الطَّعَام مَا جَشُب، وَكَان فِينا كَأحدِنا، يُجِيبُنا إذَا سَألنَاه، وَيأْتِينا إذَا دَعونَاه، وَنَحنُ، والله مَع تَقرِيبه لنَا، وَقُربه مِنَّا لاَ نَكَاد نُكلّمه هَيبَةً لهُ، وَيُعظِّم أَهْل الدِّين، وَيُقرِّب الْمَسَاكِين، ولاَ يَطْمع القَوِيّ فِي بَاطِله، وَلاَ ييأَس الضَّعِيفُ مِن عَدْله.

وَأَشْهَدُ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ وَ قَدْ أَرْخَىٰ اللَّيْلُ سُدُولَهُ، وَهُوَ قَائِمٌ فِي مِحْرَابِهِ، قَابِضٌ عَلَىٰ لِحْيَتِهِ يَتَمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ السَّلِيمِ، وَ يَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ[1]، وَيَقُولُ:

(١) لَقد اسْتَعْمَل مُعَاوِيَة أَخْبَث الْمَكَائِد بَعْد تَسلّطه عَلىٰ الْكُوفَة وَسَيطَرته عَلىٰ أَصْحَاب عَليّ‌عليه‌السلام فَسَعىٰ أنْ ⟺

(يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا، إِلَيْكِ عَنِّي، أَبِي تَعَرَّضْتِ؟... إلخ). هَذا هُو نَهج عَليّ... وَضَعَهُ هُو لِنَفْسه، وَعَاشَه بِعَمَله، وآسْتَهَان بِالْمَوْت مِن أَجْله... أَبَداً لاَ دُنْيَا تَـذُوق مِـنْهُ وَيَذُوق مِنْهَا. أَنَّهَا مُحرمَة عَلَيْهِ تَحْرِيماً أَبدِياً، لاَ حِلَّ لَهَا ولاَ مُحَلِل... ومَعْنَىٰ لاَ دُنْيَا،

⇐ يَجْلبَهُم إِلىٰ الشَّام بِشَتَّىٰ الوَسَائِل مِن دَعوَات ودِّية تَارةً، وهُرُوب مِن ظُلم عُمَّاله تَارةً أُخرىٰ، وبِتَهدِيد تَارةً ثَالِثة... ثُمَّ يَحضرهُم فِي مَجَالسه الغَاصَّة بِالرِّجَالِ، واللَّهو، والطَّرب تَارةً رَابِعَة حتَّىٰ يَنَالوا مِـن عَـليّ عليه السلام، بِكَلِمةٍ، أو تُهمَة فَيَستَفِيد مِن هَذا التَّأْيِيد سِيَاسته، وَمِمَّن وَقَع فِي حِبَاله ضِرَار بن ضَمْرَة، ولكنَّ قُوَّة الإِيمَان دَفَعَته أنْ يَصِف إِمَامه بِتلِكَ الْكَلِمَات البَالِغة فِي الخطُورَة مِن نَواحٍ شَتَّىٰ، وَقَالَ ذَلِكَ عَـلىٰ مَـا روىٰ الـسَّيِّد الرَّضِيّ رحمه الله فِي النَّهج وبَاقي شرُوحه وتَحقِيقه مِن أَمْثَال الفَيض: ١١٠٨، وأبن أَبِي الحَدِيد فِي شَرحه لِلنَّهج: ١٨ / ٢٢٤، وصُبحي الصَّالح: ٤٨٠، وأَمَالي الشَّيخ الصَّدوق: ٣٧١، وأَمَالي القَـالي: ٢ / ١٤٣، ومـرُوج الذَّهب: ٣ / ٤٣٣، وحلية الأَوْلِيَاء: ١ / ٨٤، وَكَنز الفوَائِد: ٢٧٠، والإِسْتِيعَاب: ٣ / ٤٢ و: ١١٠٨/٢، وزَهر الآدَاب لِلقِيروَاني: ١ / ٤٠، وتَذكرة الخوَاص: ١١٨ و ٢٧٠، وكَشف الغمَّة: ١ / ٧٦، وتَنْبِيه الخَاطر: ٧٠، والمُستطرف للأَبشيهي: ١٣٧/١، وشَرح النَّهج لِلعلاَّمة الخوئي: ٧٣، وَشَرح النَّـهج لمُحَـمَّد عَـبْدَه: ١٦/٤، وشَرح النَّهج لِملّا فَتح الله: ٧٢، وشَرح النَّهج لِملّا صَالح: ٧٤، وشَرح النَّهج لابْن مِيثَم: ٦٩ مَـع بَعْض الإِخْتِلاَف البَسِيط، إِرْشَاد الدَّيلمي: ٢ / ٢١٨.

وآخْتَلفوا أيضاً فِي ضِرَار بن حَمْزَة أو حُمْرَة، وآخْتَلفوا أيضاً فِي الضُّبابي، أو الضُّبَانِي، أو الصَّدَاني، أو الصَّدي كَمَا فِي يَنابيع المَوَدَّة: ٢ / ١٨٨ طَبعَة أُسوة فرَاجِع المصَادر السَّابقة، والصَّحِيح هُو الضُّبَابي. أُنظر، حلية الأَوْلِيَاء: ١ / ٨٤، الرِّيَاض النَّضرة: ٢ / ١٢، صَفوة الصَّـفوة: ١ / ٣١٦، الإِسْـتِيعَاب: ٢ / ١١٠٨، الإِصَابَة: ٣ / ٤٤٠، المناقب لابْن شهرآشوب: ٢ / ١٠٣، وسفينة البحار: ٢ / ١٧٠، ذَخَائِر العُقْبَىٰ: ١٠٠، المَحَاسِن والمَساوئ لِلبَيهقي: ٢ / ٧٢، مصَادر نَهج البَلاَغَة: ٢٦٤، قِصَّة ضِرَار بن حَمْزَة فِي كَنز الفـوَائـد: ٢ / ١٦٠، دَار الأَضواء بَيروت، وذَكر «الكندي» خِلافاً للمصَادر السَّابقة الذِّكر مَع إِخْتِلاَف يَسِير فِي بَعْض الأَلْفَاظ، وَكَذَلك فِي الفضَائِل الخمْسَة: ٣ / ٢٧ لكنَّه ذَكر «الكِنَاني» نَقلاً عَـن حـلية الأَولـيَاء: ١ / ٨٤، الرِّيَاض النَّضرة: ٢ / ١٢، مطَالب السّؤول: ٣٣، الإِتْحَاف بِحُبّ الأَشْرَاف: ٧٧، بِتحقِيقنا، تَهـذِيب أبـن عسَاكر: ٣٥/٧، نُور الأَبْصَار: ١٠٩، منَاقب أَهْل البَيْت لِحيدَر للشّيرواني: ٢٢١، نُظم دُرر السِّـمطين: ١٣٥، تَارِيخ دِمشق: ٤٠١/٢٤ و: ٣٥٦/٦٣، منَاقب أَمِير المُؤمِنِين للكُوفي: ٥١/٢، الفصُول المُهِمَّة فِي مَعرِفَة الأَئِمَّة لابْن الصَّباغ المَالِكي: ٦٠٣/١، بتحقيقنا.

لاَ شَهوَة وَهَوىٰ، ولاَ مُتعَة وَلَذَّة، ولاَ فَردِيَة وَأَنَانِيَّة، وَلاَ سعَادَة لَحظَة وَاحدة، بَل عَنَاء قَائِم، وَبَلاء دَائِم... وَهكذَا كَانَتْ حيَاة عَليّ عليه السلام، لاَ لِشَيء إلّا لأنَّه طَلَّق الدُّنْيَا ثَلاَثَاً، ولكنَّه تَقبَل هَذِه الحَيَاة عَن رِضا وَطِيب نَفس... وإذَا طَلَّق الدُّنْيَا ثَلاَثَاً لاَ رَجْعَة فِيهَا، وَهَجَر حَلاوتها وَزِينتَها ـ فَكِيف يُمكن الجَمع والتَّوفِيق بَيْنَه وبَيْنَ أَهْلِهَا وَمُحِبِّيها؟ ومَن الَّذي يَجْمع بَيْنَ الضَّرَّة وشَرِيكَتها؟. وَهُنا يَكمُن السِّر فِي نِقْمَة النَّاقِمِين علىٰ ٱبن أَبِي طَالب عليه السلام، وثَورَة النَّاكِثِينَ، والْفَاسِقِين، وَالْمَارِقِين، وفِي عُزلَة الْمُعْتَزِلِين عَن بَيْعَته وَنُصرَته، وَفِي قَول مَن قَالَ: «عَليٌّ لاَ يَعْرِف السِّيَّاسَة...»[1]، وَمَن قَبْلَهُم قَالَ الْمُشْرِكُون لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[2].

٧٦ ـ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عليه السلام لِلسَّائِلِ الشَّامِيِّ لَمَّا سَأَلَهُ: أَكَانَ مَسِيرُنَا إِلَىٰ الشَّام بِقَضَاءٍ مِنَ اللهِ وَقَدَرٍ؟ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ هَذَا مُخْتَارُهُ:

وَيْحَكَ! لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءً لاَزِماً، وَ قَدَراً حَاتِماً! لَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَ الْعِقَابُ، وَ سَقَطَ الْوَعْدُ وَ الْوَعِيدُ. إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيراً، وَ نَهَاهُمْ تَحْذِيراً، وَ كَلَّفَ يَسِيراً، وَ لَمْ يُكَلِّفْ عَسِيراً، وَ أَعْطَىٰ عَلَىٰ الْقَلِيلِ كَثِيراً؛ وَ لَمْ يُعْصَ

---

(١) أَجل، أَنه لاَ يَعرِف سِيَّاسة الْبَغي، والنِّفَاق، أو يَعرِفها وَلاَ يَعمَل بِها، ولَكِنَّهُ يَعرِف سِيَّاسة الْعَدل، والْحَق، والرَّحْمَة، ويُدِين بِهَا وَيَعمَل، وَلاَ يَحِيد عَنْهَا، وإنْ كَانَ الثَّمن النَّفس، والأَهْل فَضْلاً عَن الْمُلْكِ، والجَاه.

وَلِذَا قَالَ جُورج جُردَاق: «إنَّ الَّذِين قَالُوا: عَليٌّ لاَ يَعرِف السِّيَّاسَة، يُرِيدُون مِن عَليٍّ أَنْ يَكُون مُعَاوِيَة بن أَبِي سُفْيَانَ، وَيَأْبىٰ عَليٌّ إلّا أنْ يَكُون ٱبن أَبِي طَالب».

أُنظر، عَليٌّ صَوْت العَدَالَة ٱلإِنْسَانية: ٤/٧٧٥.

(٢) ٱلحِجْر: ٦.

مَغْلُوباً، وَ لَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً، وَ لَمْ يُرْسِلِ الْأَنْبِيَاءَ لَعِباً، وَ لَمْ يُنْزِلِ الْكُتُبَ لِلْعِبَادِ عَبَثاً، وَ لاَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[1].

● رَوىٰ جَمَاعَة، مِنْهُم الكُلِينِي فِي «أُصُول الكَافِي»، وَأَبُو الحُسَين فِي كِتَاب «الغُرَر»، وَالشَّرِيف الرَّضِيّ: قَالَ: قَام شيخٌ إِلىٰ عَليّ عليه السلام، فَقَالَ: أَخبِرْنا عَن مَسيرنَا إِلىٰ الشَّام، أَكَان بِقضَاء الله وقَدرِه؟ فَقَال: فَوَ الَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وَ بَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا وَطِئْنَا مَوْطِئاً، وَلاَ هَبطنَا وَادِياً إلاَّ بِقَضَاء الله وَقَدَرَه. فَقَالَ الشَّيخ: فَعِندَ الله أَحْتَسِب عَنَائِي! مَا أَرَىٰ لِي مِن الأَجْر شَيْئاً! فَقَالَ: مَهْ أَيُّها الشَّيخ، لَقَد عَظَّمَ اللهُ أَجْرَكُم فِي مَسِيرِكُم وَأَنْتُم سَائِرُون، وَفِي مُنصَرَفكُم وَأَنْتُم مُنصَرِفُون، وَلَم تَكُونُوا فِي شَيء مِن حَالاَتِكم مُكْرَهين، وَلاَ إِلَيْهَا مضَطَرِّين. فَقَالَ الشَّيخ: وَكَيفَ القَضَاءُ والقَدَر سَاقَانا؟ فَقَالَ[2]: (وَيْحَكَ! لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءً لاَزِماً، وَ قَدَراً حَاتِماً!...) وَفِيمَا يَلي الْبَيَان:

---

(١) سُورَة ص: ٢٧.

(٢) أُنظر، الكَافِي: ١٥٥/١ ح١، التَّوحِيد لِلشَّيخ الصَّدوق: ٣٨٢، رَسَائِل السَّيِّد المُرتَضىٰ: ٢٤١/٢، الإِرْشَاد للشَّيخ المُفِيد: ٢٢٥/١، عوَالِي اللّئالي: ١٠٨/٤، بِحَار الأَنْوَار: ١٢٦/٥، خَصَائِص الأَئِمَّة: ٩٣، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابْن مِيثَم البَحرانِي: ٢٧٨/٥، رَوضَة الوَاعِظِين: ٤٠، الفصُول المُختَارة: ٧١، أَمَالِي السَّيِّد المُرتَضىٰ: ١٠٥/١، وَمِمَّا يَجدر ذِكره أَنَّ الشَّيخ فِي آخر الأَمر نَهَض مَسرُوراً وَهُو يَقول:

أَنْتَ الإِمَامُ الَّذِي نَرجُو بِطَاعَتِهِ ... يَوْمَ النُّشورِ مِن الرَّحمَن رِضْوَانا
أَوْضَحتَ مِن دِينِنا مَا كَانَ مُلْتَبِساً ... جَزَاكَ رَبُّكَ عَنَّا فِيهِ إِحْسَانا

أُنظر، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبِي الحَدِيد: ٢٢٧/١٨.

الْقَضَاءُ وَالإِخْتِيَار:

هُنَاكَ مواضِيع ثَلاَثَة مُتْشَابِهَة مُتْشَابِكَة:

الأَوَّل: الْقَضَاءُ والْقَدَر.

وَالثَّانِي: الْجَبر وَالإِخْتِيَار.

وَالثَّالِث: الْهُدَىٰ والضَّلاَل.

وَتَكلمنَا عَن كُلٍّ مِنْهَا مُفَصَلاً فِي كتَاب «فَلْسَفَة التَّوحِيد وَالْوِلاَيَة». وَنُشِير هُنَا بِإيجَاز إِلىٰ مَعْنَىٰ الْقَضَاء وَالْقَدَر، وَالإِخْتِيَار بِحُكم المَوْضُوع الَّذي نَحنُ بِصَدَده.

لِكُلٍّ مِن الْقَضَاء والْقَدَر مَعَانٍ. وَأَوضَح مَعَانِي الْقَضَاء أَنَّه البَت وَالإِمضَاء الَّذي لاَ مَرَدَّ لَهُ. وَأَوضَح مَعَانِي الْقَدَر أَنَّه التَّقدِير. قَالَ الإِمَام الكَاظِم نَجْل الإِمَام الصَّادِق عليه السلام: «لاَ يَكُون شَيء إلاَّ مَا شَاء الله وَأَرَاد وَقَدَر وَقَضىٰ. قُلتُ مَا مَعْنىٰ شَاء؟ قَالَ: ابْتِدَاء الفِعْل. قُلتُ مَا مَعْنىٰ أَرَاد؟ قَالَ: الثّبوت عَلَيْهِ. قُلتُ مَا مَعْنىٰ قَدَر؟ قَالَ: تَقدِير الشَّيء مِن طُوله وَعَرضَه. قُلتُ مَا مَعْنىٰ قَضىٰ؟ قَالَ: إِذَا قَضىٰ أَمْضَاه فَذَلِكَ الَّذي لاَ مَرَدَّ لَهُ»[1]. وَقَالَ الإِمَام الرِّضا حَفِيد الإِمَام الصَّادق عليه السلام: «الْقَدَر هَنْدَسَة، والْقَضَاء إِبرَام»[2].

أَمَّا مَسْأَلَة الجَبْر والتَّفوِيض فَالَّذي عَلَيْهِ الشِّيعَة الإِمَامِيَّة هُو: «لاَ جَبْر ولاَ تَفوِيض بَل أَمْر بَيْنَ الأَمرين»[3]. ومَعْنَىٰ الجَبْر أَنَّ الإِنْسَان لاَ أَثَر لهُ إِطلاَقاً فِي

---

(١) أنظر، الأُصول مِن الكَافِي: ١/١٥٠ ح ١، المَحَاسِن: ١/٢٤٤ ح ٢٣٧، مُسْنَد الإِمَام الرِّضا: ١/٢٠ ح ١٣، الوَافِي: ١/١١٤.

(٢) أُنظر، المصَادر السَّابِقَة.

(٣) أُنظر، الكَافِي: ١/١٦٠ ح ١٣، الإِعتِقَادَات: ٢٩، الإِحتِجَاج: ٢/١٩٨ و ٢٥٣، فِقه الرِّضا: ٣٤٨، الوَافِي: ↔

أَفْعَاله، وإِنَّمَا هِي بِالنِّسبَة إِلَيْهِ تَمَاماً كَجرَيَان الدَّم فِي عرُوقه، وخُرُوج النَّفَس مِن أَنْفِهِ.

وَمَعْنَىٰ التَّفوِيض أنَّ الله أَمَر العَبْد وَنَهَاه، وَأَعطَاه القُدْرَة عَلىٰ الطَّاعَة وَالمَعْصِيَة، ثُمَّ فَوض إِلَيْهِ أَمر هَذِه القُدْرَة يَفْعَل بِهَا مَا شَاء، وَقَطَع سُبْحَانَه كُلّ عِلاَقَة بَيْنَه وبَيْنَ هَذا القُدْرَة بِحَيث أَصْبَح الله بِالنِّسبَة إِلىٰ قُدْرَة العَبْد بَعِيداً عَنْهَا تَمَاماً كَالبَائِع الَّذي بَاع سِلعَته لِلمُشتري يَفْعَل بِهَا مَا يُرِيد بِلا مُزَاحِم وَمُعَارِض.

ومَعْنَىٰ «أَمْرٌ بَيْنَ الجَبْر والتَّفوِيض» إنَّ الله بَعْد أَنْ أَمَرَ العَبْد وَنَهَاه مَنحَهُ القُدْرَة وَلَم يَحْرِمه إِيَّاها كَمَا زَعَم الجَبْرِيُون، وَلكنَّه تَعَالىٰ لَمْ يَعرض كُلِّية عَن هَذِه القُدْرَة وَيَقطَع العِلاَقة بَيْنَهُ وَبَيْنَها كَمَا ٱدعىٰ المُفوضِيَة، بَل بَقِيت قُدْرَة العَبْد فِي قَبضَة خَالِقها وَتَحت سِلطَته يَنْزَعها مِن العَبد مَتىٰ شَاء، وَالعَبد لاَ يَسْتَطِيع أَنْ يَرفض هَذِه القُدْرَة، وَيَقول لله: لاَ أُرِيدهَا، وَأَيضاً لاَ يَستَطِيع إِبقَاءها إِذَا أَرَاد سُبْحَانَه أَنْ يَنْزَعها مِنْهُ، وَبِهَذا الإِعْتبَار يَكُون العَبد مُسَيَّراً لاَ مُخَيَّراً، وَأَيضاً بِالْقُدْرَة الَّتي مَنحَها الله لهُ يَستَطِيع أَنْ يَفْعَل وَيَترك وَيَكُون مِن هَذِه الجِهَة مُخَيَّراً لاَ مُسَيَّراً، ومَعْنَىٰ هَذا أَنَّ العَبد مُسَيَّرٌ مِن جِهَة، وَمُخَيَّرٌ مِن جِهَة، هَذا هُو مَعْنَىٰ بَيْنَ بَيْنَ، وَأَمْر بَيْنَ أَمْرَين.

وَلِلتَّوضِيح نُقَدم هَذا المِثَال: أَبٌ قَوِّي مُسَيطر عَلىٰ وَلَده أَعْطَاه مَالاً، وَقَالَ لهُ: ٱتجْر بِهِ، فَأَخذ الوَلد المَال لأَنَّه لاَ يَستَطِيع رَفْضَه بِحَال، وَأَيضاً لاَ يَستَطِيع

⟸ ١/٥٣٥، تُحف العُقُول: ٣٤٤ و٣٤٦، الهِدَاية لِلشَّيخ الصَّدوق: ١٩، رَسَائل المُرتضىٰ: ١/١٣٥، عُيُون أَخْبَار الرِّضا: ٢/١١٤ ح ١٧، رَوضَة الوَاعظِين: ٣٨، مُختَصر بصَائِر الدَّرجَات: ١٢٨، تَصحِيح ٱعْتِقَادَات الإِمَامِيَّة: ٤٦، كَنز العُمَّال: ١/٣٤٩ ح ١٥٦٧، تَأرِيخ آل زُرَارة: ١/١١٤، تَأرِيخ دِمشق: ٥١/١٨٢، كَشف الغُمَّة: ٣/١٠٢.

الْاِحْتِفَاظ بِهِ إِذَا أَرَاد نَزْعَه مِنْهُ، وَلكنَّه قَادر عَلىٰ الْاِتّجَار بِهِ وِفقاً لِإِرَادة أَبِيه، وَأيضاً هُو قَادر أنْ يُجمد الْمَال وَلاَ يُتَاجر بِهِ، ومَعْنَىٰ هَذا أَنَّه مُسَيّر فِي رَفْض الْمَال وإبقَائه، وَمُخَيَّر فِي التِّجَارة وَعَدمها. وَهَكذا الْقُدْرَة الَّتي مَنحهَا الله لِلْإِنْسَان، أَنَّهَا فِي الْإِنْسَان يَفْعل بِها وَيَترك، وَلكنَّها فِي الوَقت نَفْسه فِي قَبضَة الله أيضاً تَمَاماً كَالمَال الَّذي أَعْطَاه الوَالد لوَلَده، وَمَن أَرَاد المَزيد فَليَرجَع إِلىٰ كتَاب «فَلْسَفَة التَّوحِيد وَالْوِلاَيَة».

وَبَعْد هَذا التَّمهِيد المُفِيد إنْ شَاء الله نَشرَع بِإيجَاز بِتَفْسِير الْكَلِمَات (لَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ) أي لَوْ كَان الْإِنْسَان مُسَيَّراً كَمَا يَقول الجَبْرِيُون (لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَ الْعِقَابُ) حَيْث يَكُون الْإِنْسَان، وَالحَال هَذِه، تَمَاماً كَرِيشَة فِي مَهَب الرِّيح، وَفِعْلَه كَالثَّمَرَة عَلىٰ الشَّجَرَة (وَ سَقَطَ الْوَعْدُ) عَلىٰ الطَّاعَة (وَ الْوَعِيدُ) عَلىٰ المَعْصِيَة، لأنَّ الْوَعْد والْوَعِيد فَرع عَن وجُود الثَّوَاب وَالْعِقَاب.

(إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيراً) أي مَا أَمْرَهُم أنْ يَفْعَلوا إِلَّا لأنَّهُم قَادِرُون وَمُخَيَّرُون، وَلَو كَان مُسَيَّرِين مَا كَلْفَهُم بِشَيء. كَيف وَهُو القَائِل: ﴿لَايُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[1].

(وَ نَهَاهُمْ تَحْذِيراً) مِن غَضَبه وَعِقَابه، وَمِن البَدَاهة أَنَّه لاَ مَعْنَىٰ مِن التَّحْذِير إلَّا مَع الْقُدْرَة وَالْاِخْتِيَار (وَكَلَّفَ يَسِيراً) وَسَهلاً يَسْتَطِيع الْإِنْسَان أنْ يَسْمَع وَيُطِيع بِلا عُسْرٍ وَحَرج، قَالَ سُبْحَانَه: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾[2]. (وَ لَمْ يُكَلِّفْ عَسِيراً) عَطْف تَفْسِير عَلىٰ «كَلَّفَ يَسِيراً» تَمَاماً كقَوْله تَعَالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ

(١) ٱلْبَقَرَة: ٢٨٥.

(٢) ٱلْمَائِدَة: ٦.

ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[١] فإنَّ اليُسْر بِطَبعَه يَسْتَدْعي نَفِي العُسْر.

(وَ أَعْطَىٰ عَلَىٰ الْقَلِيلِ كَثِيراً) أَعْطَىٰ الثَّوَاب الْكَثِير عَلَىٰ العَمَل اليَسِير الَّذي فَعَله الْإِنْسَان بِمِلء إِرَادَته وَتَمَام قُدْرَته (وَ لَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً) إذَا عَصَىٰ الْإِنْسَـان فَـلَيْسَ مَعْنَىٰ هَذا أَنَّ الله عَاجز عَن رَدْعَه عَن المَعْصِيَة... كَلا، أَنَّه عَلىٰ كُـلِّ شَيء قَـدِير، وَلكنْ يَتْرُك لِلْإِنْسَان حُرِّيَّته لأَنَّه لاَ إِنْسَانِية بِلا حُرِّيَّة (وَ لَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً) وَأيضاً لَو أَرَاد أَنْ يَمْنَعه عَن الطَّاعَة لِفَعل، لأَنَّه عَادل وَحَكِيم، لاَ تَتَنَاقض أَقْوَاله مَع أَفْعَاله (وَ لَمْ يُرْسِلِ الْأَنْبِيَاءَ لَعِباً)، بَل لِيَرْشدُوا الخَلق إِلىٰ الْحَقِّ (وَ لَمْ يُنْزِلِ الْكُتُبَ لِلْعِبَادِ عَبَثاً) عَطْف تَفْسِير، لأَنَّ الحِكْمَة مِن إِرسَال الرُّسل، وَإِنزَال الكُتب وَاحدة: (وَ لَا خَـلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا)، بَل لِتَتَجلىٰ فِيهَا قُدْرَته، وَعِلمَه، وَجَلَاله، وَكَمَاله.

٧٧ ـ وَ قَالَ ﷺ: «خُذِ الْحِكْمَةَ أَنَّىٰ كَانَتْ، فَإِنَّ الْحِكْمَةَ تَكُونُ فِي صَدْرِ الْمُنَافِقِ فَتَلَجْلَجُ فِي صَدْرِهِ، حَتَّىٰ تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ إِلَىٰ صَوَاحِبِهَا فِي صَدْرِ الْمُؤْمِنِ».

● الحِكْمَة عُصَارَة أَفْكَار العُقَلاَء المُجَرِّبِيْنَ، وَمِن شَأنهَا أَنْ تَهْدِيهم لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ. وَفِيمَا مَضَىٰ كَان النِّفَاق نَعْتاً لِمَن يَضْمر الكُفْر وَيُظْهِر الإِيمَان، واليَوْم يُوصف بِهِ كُلّ مَن أَضْمَرَ شَرّاً، وَأَعْلَن خَيْراً، ومَعْنَىٰ قَول الإِمَـام هُـو أَنَّ الْمُـنَافِق يُمَـارس الحَـيَاة، وَيُجربهَا كَغيره مِن المُجْرِمِين والعَارِفِين، وَيَسْتَخرج الحِكْمَة والحَـقِّيقَة مِـن تجَـارِبه كَأي عَاقِل، ويَنْطُق بِهَا مِن حَيْث يُرِيد لأَنَّ الْحَقِّيقَة فِي حَرَكة دَائِـبة لاَ تَسْـتَقر فِي

(١) ٱلْبَقَرَة: ١٨٥.

مَكَان، والْمُرَاد بِالمُؤمن هُنا مَن يَبْحَث عَن الْحَقّ لِوَجه الْحَق، هَـذا الْمُـؤْمِن رَائِـدهُ الْحَقِّيقَة والحِكْمَة يَأخذها أَنَّىٰ كَانَتْ وَتَكُون، حَتَّىٰ مِن المُلحِد والْمُنَافِق، وَيَنْتَفِعُ بِهَا فِي سلُوكه، أمَّا الْمُنَافِق فإنَّه يَحسها وَينطُق بِها، وَلكنْ لاَ تَنْفَعه فِي كَثِيرٍ أو قَلِيل، لأنَّه يَقول ولاَ يَفْعل مَا لاَ يَقول، ولاَ يَتحرك إلّا فِي الإِتجَاه المُعَاكس لِلحَقِّ وَالوَاقع.

وَالمُنَافِقُون فِي عَصرنا لاَ يُحصُون كَثرَة، وَمِنْهُم الَّذِين حَوّلوا أَقوَات الخَلاَئِق إلىٰ أَسْلحَة الهَلاَك، والْمَوْت بالجُملَة، وَهُم يَـتَستَرُون بِكَـلمَات الدِّفَـاع عَـن الحُـرِّيَّة وَصِيَانَة السِّلم، والْمَدَنِيَة، وَيَـصْنعُون سُـفن الـفَضَاء لِـلتَّجَسُس عَـلىٰ الشّـعُوب وَيَقُولون: هِي لِمَنْفَعة الإِنْسَان وَسَعادَته، وَلقضَاء شهُور العَسَل فِي القَمَر والزُّهرَة، وَأيضاً يَقْتلُون الأَحرَار بِاسم القِصَاص مِن العنَاصر الَّـتي يُسـمُونها «هَـدَّامَـة»، وَيَعْتدُون عَلىٰ الشّعُوب دِفَاعاً عَن الحدُود الآمِنَة! ولكنَّ الحَـقِّيقَة تَخْـرِق بِـقوّتها الأَسوَار، وَتَدُور فِي الآفَاق مُعْلِنَةً عَن نَفْسها، وَيَسمعها وَيَرَاها القَرِيب والبَعِيد.

٧٨ ـ وَ قَالَ ﵇: «الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، فَخُذِ الْحِكْمَةَ وَ لَوْ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ».

● الحِكْمَة رَائِد كُلّ عَاقِل مُؤْمِناً كَان أَمْ مُلْحِداً، وإنَّما خَـصَّ الْمُـؤْمِن بِـالذِّكـر لِلإِشَارَة إلىٰ أنَّ مَن طَلَب الْحَقّ لِوَجه الْحَقّ يَنْبَغِي أنْ يَكُـون مُـؤْمِناً بِـاللهِ وَاليَـوْم الآخِر، لأنَّ هَذا الإِيمَان حَقّ، وَعَدْلٌ، والعِلْم يُؤدي إلىٰ الْحَقّ والحَـقِّيقَة، والَّـذي يُنَاقِض هَذا الإِيمَان هُو الفِسْق والإِنْحلاَل، والخِيَانَة والإِستغلاَل (وَ لَـوْ مِـنْ أَهْـلِ النِّفَاقِ) وَمِنْهُم المُسيطرُون عَلىٰ وَسَائِل الإِعْلاَم فِي هَذا العَصر. وَسَبق الكَلاَم عَن الحِكْمَة فِي الرَّقم السَّابق بِلا فَاصِل، وَبَعْض الشَّارِحِين جَمع بَـيْنَ الرَّقمين لِـوحدَة المَوْضُوع والهَدَف[1].

(١) أنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ٢٢٩/١٨.

٧٩ ـ وَ قَالَ ﷺ : «قِيمَةُ كُلِّ ٱمْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ».

● يُشِير الْإِمَام بِهَذا إِلىٰ مِعْيَار التَّقْوِيم لِلْأَشْخَاص، والْأَفـرَاد فِي الْمُجْـتَمع، وَإِنَّ الفَرد لاَ يَنْبَغي أَنْ يُقدَّر، وَيُعْتَبر لِنَسَبه وَلَقَبه، وَلاَ لِمَـاله وَمَـنصَبه، وَلاَ لِـفَصَاحته وٱنْتصَارَاته فِي مَيَادِين القِتَال والمُبَارِيَات الرِّيَاضيَة، وَلاَ لِـعِلمهِ وَمَـا يَحْـمل مِـن شهَادَات وَأَوسِمَة، بَل لِمَا يُحْسِنه أي وَيُسدِيه لأخِيه مِن نَفع وَإِحْسَان.

وَعَن النَّبِيّ الكَرِيم ﷺ: «إِنَّ الذُّنُوب ذُنُوباً لاَ يُكفِّرها صَوم، ولاَ الصَّـلاَة، ولاَ حَجّ، فقيل يَارَسُول الله فَمَا يُكَفِّرهَا؟ قَالَ: الهُمُوم فِي طَلَب المَعِيشَة»[1]، فَكَيف إِذَا سَعىٰ لِعِيَال الله سُبْحَانَه مِن المَحَاوِيج والبَائِسِين؟.

↩ قَالَ: خَطَب الحَجَّاج، فَقَال: إِنَّ الله أَمَرنا بِطَلَب الآخِرَة، وَكَفَانا مُؤونَة ٱلدُّنْيا، فَلِيتَنا كُفِينَا مُؤونَةَ الآخِرَة، وأُمِرنَا بِطَلَب ٱلدُّنْيا!.

فَسَمِعها الحَسَن، فَقَال: هَذِه ضَالَّة المُؤْمِن خَرَجت مِن قَلْب المُنَافِق.

وَكَان سُفْيَانُ الثَّورِيّ يُعجِبه كَلاَمُ أَبِي حَمْزَة الخَارِجيّ، وَيَقُول: ضَالَّة المُؤْمِن عَلىٰ لِسَان المُنَافِق، تَقوىٰ الله أَكْرَمُ سَرِيرة، وأَفْضَلُ ذَخِيرَة، مِنْهَا ثِقَةُ الوَاثِق، وَعَلَيها بِقَةُ الوَامِق (المُحِبّ).

لِيَعمَل كُلّ أمرىءٍ فِي مَكَان نَفسه، وهُو رَخِيّ اللَّبَب، طَوِيلُ السَّبب، لِيَعرفَ مَدّ يَدِه، وَمَوضعَ قَدَمِه، وَلِيحذَّر الزَّلَلَ، والعِلل المَانِعةَ مِن العَمَل. رَحِم الله عَبداً آثَرَ التَّقْوَىٰ، وَٱستشعَر شِعارهَا، وٱجْتَنىٰ ثِمَارهَا، بَاعَ دَارَ البَقَاء بِدَار الآبَاد، الدُّنْيا كَرَوْضَة يُونق مَرْعَاهَا، وَتُعجِب مَن رَآها. تَمُجّ عرُوقهَا الثَّرىٰ، وَتَنْطُف فرُوعُها بِالنَّدىٰ، حتَّىٰ إِذَا بَلَغ العُشْب إِنَاه، وٱنْتهىٰ الزِّبْرِج مُنْتهَاه، ضَعُف العَمُود، وَذَوِي العُود، وَتولَّىٰ مِن الزَّمَان مَا لاَ يَعُود؛ فَحَتَّت الرِّيَاحُ الوَرَق، وَفَرّقتْ مَا كَان ٱتسق، فَأَصْبَحَتْ هَشِيماً، وَأَمْست رَمِيماً.

(١) أنظر، المَبسُوط لِلسَّرخسي: ٢٥٨/٣٠، مَجْمَع الزَّوَائِد: ٢٩١/٢ و: ٦٣/٤، المُعْجَم الأَوسط: ٣٨/١، الجَامِع الصَّغير: ٣٧٦/١ ح ٢٤٦١، كَنز العُمَّال: ٤٧١/٦ ح ١٦٦٠٠ و ١٦٦٤٠، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٦٦٧/٢ ح ٢٤٦١، كَشف الخَفَاء: ٢٥٤/١ ح ٧٨٣ و ٧٨٤، تَارِيخ دِمشق: ٢٠٠/٥٤، الدَّعوَات لِلرَّاوندي: ٥٦ ح ١٤١.

وَفِي حَدِيث آخر: «إنَّ لله عِبَاداً فِي الأَرْض يَسْعُون فِي حوَائِج النَّاس هُم الآمنُون يَوْم القِيَامَة»[١]. وَيُومىء هَذَا الحَدِيث إِلىٰ الصِّلة الوَثِيقة بَيْنَ الآخِرَة وَالدُّنْيا، كَمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾[٢].

وَقَد يُنَادي مُخَادع مَاكِر بِأَمَاني النَّاس، وَيَتلاَعب بِأَحلاَمِهم، فَيُقَدمُون لهُ بَعْض التَّضحِيَات عَن سذَاجَة وَبَرَاءة حَتَّىٰ إِذَا بَلَغ مِنْهُم مَا يُرِيد قَلْب لَهُم ظَهْر المِجَن!. وَهَذا مِن المُنَافِقِين الَّذِين سَبَقت الإِشَارَة إِليهم قَبْلَ قَلِيل[٣].

٨٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «أُوصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاطَ الإِبِلِ لَكَانَتْ لِذَلِكَ أَهْلًا: لَا يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ، وَ لَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ، وَ لَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ: لَا أَعْلَمُ، وَ لَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمِ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ، وَ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ، فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَ لَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ مَعَهُ، وَ لَا فِي إِيمَانٍ لَا صَبْرَ مَعَهُ».

● أَوْصَىٰ الإِمَام فِي حِكْمَتِه هَذِه بِخَمْس وَصَايَا:

١ ـ (لَا يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ) المُرَاد بِالرَّجَاء هُنا السُّؤال وَطَلب الحَاجَة، وهُو بِطَبْعه يَسْتَدعِي الخُضُوع والمَذَلَّة. وَقَدِيماً قِيل: السُّؤال ذُلّ وَلَو أَيْنَ الطَّرِيق؟

---

(١) أُنظر، الكَافِي: ٢/١٩٧ ح٢، مُصَادقة الإِخوَان لِلشَّيخ الصَّدوق: ٧٠ ح١١، وَسَائِل الشِّيعة: ١٦/٣٦٦ ح٢، مُنْتَقىٰ الجُمَان: ٢/٤٦٢، بحَار الأَنْوَار: ٧٤/٣١٩ ح ٨٤، شَرح أُصول الكَافي: ٩/٨٢.

(٢) ٱلإِسْرَاء: ٧٢.

(٣) قَالَ الرَّضِيّ: وَهَذِهِ ٱلكَلِمَةُ ٱلَّتِي لاَ تُصَابُ لَهَا قِيمَةٌ، وَلاَ تُوزَنُ بِها حِكْمَةٌ، وَلاَ تُقْرَنُ إِلَيْهَا كَلِمَةٌ.

والتَّذَلُّل لله سُبْحَانَه عِزّ وإِبَاء، وَلِغَيره خِسَّة ودَنَاءة، لأنَّه خضُوع مُحتَاج إِلَىٰ مُحتَاج، وَتَحمُّل لِلمِنَّة مِن مُعدم عَلَىٰ مُعدم.. قَالَ الإِمَام زَين العَابدِين عليه السلام فِي بَعْض مُنَاجَاته: «أَللَّهُمَّ لاَ طَاقَةَ لِي بِالجَهْدِ، وَلاَ صَبْرَ لِي عَلَىٰ البَلاَءِ، وَلاَ قُوَّةَ لِي عَلَىٰ الْفَقْرِ، فَلاَ تَحْظُرْ عَلَيَّ رِزْقِي، وَلاَ تَكِلْنِيْ إِلَىٰ خَلْقِكَ بَلْ تَفَرَّدْ بِحَاجَتِي، وَتولَّ كِفَايَتِي، وَانْظُرْ إِلَيَّ، وَانْظُرْ لِي فِي جَمِيع أُمُورِي، فَإِنَّكَ إِنْ وَكَلْتَنِي إِلَىٰ نَفْسِي عَجَزْتُ عَنْهَا، وَلَمْ أُقِمْ مَا فِيهِ مَصْلَحَتُهَا، وَإِنْ وَكَلْتَنِي إِلَىٰ خَلْقِكَ تَجَهَّمُونِي، وَإِنْ أَلْجَأْتَنِيْ إِلَىٰ قَرَابَتِي حَرَمُونِي، وَإِنْ أَعْطَوْا أَعْطَوْا قَلِيْلاً نَكِداً، وَمَنُّوا عَلَيَّ طَوِيلاً، وَذَمُّوا كَثِيراً. فَبِفَضْلِكَ أَللَّهُمَّ فَأَغْنِنِي، وَبِعَظَمَتِكَ فَانْعَشْنِي، وَبِسَعَتِكَ فَابْسُطْ يَدِي، وَبِمَا عِنْدَكَ فَاكْفِنِي»[1].

والشَّرط الرَّئِيسي فِي الرَّجَاء طَاعَة الله فِي السَّعي، والعَمَل، والثِّقَة بِالنَّفس مَع الإِيمَان بِأَنَّ وَرَاءَها وَوَرَاء كُلّ شَيء قُوَّة عُليَا تُعِين وَتُمهد لِبلُوغ المَطلُوب.

٢ ـ (وَ لَا يَخافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ). كُلّ مَا يَجرِي عَلَيْهِ حِسَاب وَعِقَاب فَهُو إِثم وذَنْب وَمَا عَدَاه لاَ حِسَاب عَلَيْهِ وَلاَ عِقَاب، وإِذْن فَلا مَوْضُوع وَمُبَرر لِلخَوف كَالفَقْر، والمَرَض، وَفَقد حَبِيب أو قَرِيب فهُو طَبِيعَة وَغَرِيزَة، وَقَصْد الإِمَام بَعِيد عَن ذَلِكَ، وَمُرَاده الأَوَّل التَّحْذِير مِن مَعْصِيَة الله، والتَّخوِيف مِن عَذَابه وَغَضَبه.

وَتَقَدَّم مِثْله مِرَاراً.

٣ ـ (وَ لَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ: لَا أَعْلَمُ) وَمَنْ تَرَكَ قَوْلَ لاَ أَدْرِي أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ، كَمَا قَالَ الإِمَام فِي الحِكْمَة الآتِيَة[2]. وَقَال لِوَلَده الإِمَام

(١) أُنظر، الصَّحِيفَة السَّجَادِيَة: الدُّعَاء الثَّانِي وَالعِشْرُون.

(٢) أُنظر، نَهج البَلاَغَة: الحِكْمَة (٨٣).

الْحَسَن: وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الأَمْرِ[1]، وَقَالَ سُبْحَانَه لِنَبِيِّه الكَرِيم: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[2]، وَمَن آسْتَقَلَّ مَا لَدَيه مِن عِلمٍ سَعىٰ واجْتَهد فِي طَلب المَزِيد، وَمَن آدَّعىٰ كَثْرَة الْعِلْم تَحوَل عِلْمَه جَهْل، وَقَد عَرفتَ وَبَلوتَ أَشْخَاصاً يَحْسبُون كُلّ مَا يَخْطر فِي قلُوبِهِم مِن وَهْمٍ وَخَيالٍ وَحيّاً وَعِلماً حَتَّىٰ كَأنَّ عِلمَهُم عَينُ ذَاتِهم، ومَعْنَىٰ هَذا فِي وَاقِعِه أَنَّهم يَدْعُون الرُّبُوبِيَة مِن حَيْث لاَ يَشْعرُون.

٤ ـ (وَ لَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمِ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ) وَيَسْهَر اللَّيَالِي فِي الْعِلْم وَتَحصِيله، وَيَتَحمل المَشَقَّة فِي سَبِيله، وَمَن آسْتَخَف بِطَلب الْعِلْم فَقَد آسْتَخَف بِنَفسه وَحَقَّرهَا.

٥ ـ (وَ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ، فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَ لَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ مَعَهُ، وَ لَا فِي إِيمَانٍ لَا صَبْرَ مَعَهُ). وَمَن لَمْ يَحْمل نَفْسه عَلىٰ الصَّبْر فَلا يَتمّ لهُ دِين، ولاَ عَقل، ولاَ عَمل... إنَّ الصَّبْر هُو الأَسَاس والرُّكن الرَّكِين لِكُلّ خَيْر وَفَضِيلة لاَ لِلدِّين والإِيمَان فَقَط، وَمِن الصَّبْر تَرك الشَّكوىٰ وإِخْفَاء الضُّر والبَلوىٰ، وَأَيَّة جَدوىٰ مِن الجزَعِ، والقَلق إلّا مُضَاعَفة المُصَاب وتَرَاكمه؟. وَبِالصَّبْر خَرَج يُوسُف مِن البِئر وصَار عَزِيزَ مِصْر، وَبِتَرك الصَّبْر وَعَدَم العَزم خَرج آدَمَ مِن الْجَنَّة وَلاَقىٰ هُو وَذُرِّيَّته مِن العَذَاب والأَوصَاب فِي الْحيَاة الدُّنْيا مَا يَفُوق التَّصور.

٨١ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «لِرَجُلٍ أَفْرَطَ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَ كَانَ لَهُ مُتَّهِماً: أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ، وَ فَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ».

---

(١) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: مِن وَصِيَةٍ لَهُ عليه السلام إلىٰ آبنِهِ الإمَام الْحَسَن عليه السلام رَقم آلرِّسَالَة (٣١).

(٢) سُوْرَة طَه: ١١٤.

● أَفْرَطَ بَعْضُهُم فِي الثَّنَاءِ عَلىٰ الإِمَام، وَكَانَ لَـهُ مُـتَّهِماً، فَـقَالَ: (أَنَـا دُونَ مَـا تَقُولُ ... إلخ). كَانَ الإِمَام يَكْرَه الثَّنَاء وَيَأْبَاه بِطَبْعه، وَهَذا حَتمٌ وَضَرُورَةٌ لِمَن عَظُمَ الْخَالِقُ فِي نَفْسِهِ... وَعَاتَب الإِمَام بَعْض أَصْحَابه عَـلىٰ الإِطْـرَاء، وَقَـالَ: «وَقَـدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ الإِطْرَاء، وَٱسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ، وَلَسْتُ ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ كَذَلِكَ. وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ ٱنْحِطَاطاً للهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ، وَرُبَّمَا ٱسْتَحْلَىٰ النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ، فَلَا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ، لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ فِي حُـقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا، وَفَرَائِضَ لَا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا، فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ»[1].

وَفِي كِتَاب «ٱلْحِكْمَة الخَالِدَة» إِنَّ الإِمَام قَالَ: «ٱحْذَرْ مَنْ يُطْرِيك بِمَا لَيْسَ فِيك، فَيُوشِكُ أَنْ تَنْهَتك بِمَا لَيْسَ فِيك»[2]. وَلاَ أَدري مَاذَا قَالَ هَذا المُتَّهِم لِلإِمَام، لأَنَّ مَا لَدي مِن المصَادر لَمْ يُشر إِلىٰ ذَلِكَ مِن قَرِيب أو بَعِيد. وَرُبَّمَا أَطرَاه بِمَا هُو فِيهِ أو دُونَ ذَلِكَ، وَلكنَّ المُطْرِي كَانَ فِي قَلْبه مَرض، كَمَا يُشْعِر جوَاب الإِمَام.

٨٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «بَقِيَّةُ السَّيْفِ أَبْقَىٰ عَدَداً، وَ أَكْثَرُ وَلَداً».

● نَقَلَ ٱبن أَبِي ٱلْحَدِيد عَن شِيخه أَنَّهُ قَالَ: «لَيْتَهُ ـ أي الإِمَام ـ لمَّا ذكَر الحُكم ذكَرَ العِلَّة !»[3]. وَأَرْجَح مَا قَرَأت فِي التَّعلِيل قَول الشَّيخ مُحَمَّد عَبْدَه: «بَقِيَة السَّيْف هُمْ الَّذين يَبْقُون بَعد الَّذين قُتِلُوا فِي حِفظ شَرفهم، وَدَفْعِ الضَّيْم عَـنْهُم، وَفَـضَلوا

(١) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلخُطبَة (٢١٦).

(٢) أُنظر، تَنبِيه الخَوَاطِر: ١٧/٢.

(٣) أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ٢٣٥/١٨.

الْمَوْت عَلىٰ الذُّلّ: فَيَكُون البَاقُون شُرَفَاء نُجَدَاء، فَعَددهُم أَبْـقىٰ، وَوِلدهُـم يَكُـون أَكْثَر، بِخِلاَف الأَذِلاَء، فَإِنَّ مَصِيرهُم إِلىٰ المحو والفَناء»[١]. وَيَتفق هَذَا التَّفْسِير تَمَاماً مَعِ قَول الإِمَام فِي ٱلخُطْبَة السَّابِقَة: «فَالْمَوْتُ فِي حَـيَاتِكُمْ مَـقْهُورِينَ، وَالْحَـيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ. أَلاَ وَإِنَّ مُعَاوِيَة قَادَ لُمَةً مِنَ الْغُوَاةِ، وَعَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَـبَرَ، حَـتَّىٰ جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ»[٢]. وَقَول وَلَدهُ سَيِّد الشُّهدَاءِعليه السلام: «لاَ أَرىٰ الْمَوْت إلّا سَعَادة، وَالْحَيَاة مَع الظَّالِمِين إلّا بَرَماً»[٣].

٨٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَنْ تَرَكَ قَوْلَ لَا أَدْرِي أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ».

● تَقَدَّم الكَلاَم عَن ذَلِكَ قَبل قَلِيل[٤]. وَفِي كِتَاب «الحِكْمَة الخَالِدَة: «تَعلَّم قَوْلَ لاَ أَدْرِي». فَإِنَّك إنْ قُلتَ: لاَ أَدْرِي عَلّمُوك حَتَّىٰ تَـدْرِي. وإنْ قُـلتَ: إِنّي أَدْرِي سَأَلُوك حَتَّىٰ لاَ تَدْرِي. وَمَا أَحد مِن أَصْحَاب رَسُول الله صلى الله عليه وآله، قَالَ: «سَلُونِي قَبلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَلأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الأَرْضِ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِـتْنَةٌ

(١) أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِمُحَمَّد عَبْدَه: ١٩/٤.

(٢) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلخُطْبَة (٥١). (مِنهُ رحمه الله).

(٣) أُنظر، تَأريخ الطَّبَري: ٣٠٧/٣، العقد الفَريد: ٢١٨/٢، حليَة الأَوْلِيَاء: ٣٩/٢، مَقتل الحُسين للخوَارزمي: ٣/٢، مُنْتَخب تَأريخ ٱبن عسَاكر: ٣٣٣/٤، تَأريخ ٱبن عسَاكر: ٢١٨/١٤، تَرجَمة حيَاة الإِمَام الحُسين لِابْن عسَاكر: ٣١٥، جوَاهر المطَالب فِي مَناقب الإِمَام عَليّ لِابْن الدِّمَشْقِي: ٢٧٠/٢، يَنَابِيع المَوَدَّة: ٦٢/٣، كَشف الغُمَّة: ٢٤٢/٢، سِير أعلاَم النُّبلاء: ٣١٠/٣، نُظم دُرر السِّمطِين: ٢١٦، نُزهَة النَّاظر وَتَنبيه الخَاطر: ٨٨ ح ٢٦، مَجمَع الزَّوائِد: ١٩٢/٩، ذَخَائِر الْعُقْبَىٰ: ١٥٠، مناقب آل أَبِي طَالب: ٢٢٤/٣، شَرح الأَخْبَار: ١٤٩/٢، تُحف الْعُقُول: ٢٤٥، وَسِيلة المَآل لِلحَضرمِي: ١٩٨، دُرّ السّمط فِي خَبَر السِّبط: ١٠٣، تَأريخ الإِسْلاَم: ٣٤٥/٢، الإِتحَاف للزَّبِيدي: ٣٢٠/١٠.

(٤) أُنظر، «الحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤمِنِ، فَخُذِ الحِكْمَةَ وَلَوْ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ». ٱلحِكْمَة (٧٨).

تَطَأُ فِي خِطَامِهَا، وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا[١] ـ إِلَّا عَلِيّ بن أَبِي طَالب عليه السلام»[٢].

٨٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «رَأْيُ الشَّيْخِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جَلَدِ الْغُلَامِ. وَ رُوِيَ «مِنْ مَشْهَدِ الْغُلَامِ».

● الشَّيوخ المُجَرِّبُون لِلرَّأي وَالتَّخطِيط، والشَّبَاب لِلشَّجَاعة وَالعَمل، وَلَيْسَ مِن شَكٍّ أَنَّ العَمل وَالشَّجَاعَة بِلا تَخْطِيط فَوضىٰ وَمُجَازفة. وَتَقَدَّم الكَلَام عَن ذَلِكَ فِي شَرح الحِكْمَة، وَهِي قَول الإِمَام: «وَالْحَزْمُ بِإِجَالَةِ الرَّأْيِ»[٣].

٨٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ وَ مَعَهُ الِاسْتِغْفَارُ».

● الْمُرَاد بِالْقُنُوط هُنا الْيَأْس مِن عَفو الله وَرَحْمَته، وَبِالِاسْتِغْفَار ٱلتَّوْبَة. وَيُشِير الْإِمَام بِهَذا إِلىٰ قَوْلَه تَعَالىٰ: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٤].

---

(١) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلخُطبَة (١٨٩).

(٢) جَاءَت ٱمْرَأة إِلىٰ بُزُرْجُمهر، فَسَألتهُ عَن مَسألة فَقَال: لاَ أَدرِي، فَقَالت: أَيُعطِيك المَلِكُ كُلَّ سَنَةٍ كَذَا وَكَذَا، وَتَقول: لاَ أَدرِي، فَقَال: إِنَّمَا يُعطِيني عَلىٰ مَا أَدرِي.
وَلَو أَعطَاني عَلىٰ مَا لاَ أَدرِي لَمَا كَفَاني بَيْت مَاله.
وَكَانَ يَقول: قَوْل «لاَ أَعْلَمُ» نِصفُ العِلْم.
وَقَالَ بَعض الفُضَلاء: إِذَا قَالَ لَنا إِنسَانٌ: «لاَ أَدرِي» عَلَّمنَاه حَتَّىٰ يَدرِي، وإِنْ قَالَ: أَدرِي، أَمتَحَنَّاهُ حَتَّىٰ لاَ يَدرِي. أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ١٨/٢٣٦.

(٣) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٤٧). (مِنهُ).

(٤) ٱلزُّمَر: ٥٣. وَذَكر ٱبْن أَبِي ٱلحَدِيد فِي شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة: ١٨/٢٣٩.

٨٦ ـ وَحَكَىٰ عَنْهُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ الْبَاقِرُ عليه السلام، أَنَّهُ قَالَ:

«كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا، فَدُونَكُمُ الآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ: أَمَّا الْأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله، وَأَمَّا الْأَمَانُ الْبَاقِي فَالِاسْتِغْفَارُ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1]».

● قَالَ الرَّضِيّ: وَهَذَا مِنْ مَحَاسِنِ الِاسْتِخْرَاجِ، وَلَطَائِفِ الِاسْتِنْبَاطِ.

هَذِهِ الآيَة الكَرِيمَة، لِلمُفَسرِين فِيهَا تَأْوِيلاَت وَأَقْوَال تَتْرُك القَارِىء فِي ظُلمَات لَيْسَ بِخَارِج مِنْهَا[2]، والَّذي نَفْهَمه نَحنُ أَنَّ ضَمِير الغَائِبِين فِي لِيُعَذِّبَهُمْ إِلَىٰ أَهْل مَكَّة،

← قَالُوا: الِاسْتِغْفَار حَوَارِسُ الذّنُوب.

وَقَالَ بَعْضُهم: «العَبْدُ بَيْنَ ذَنْب وَنِعْمَة لاَ يُصْلِحها إلاَّ الشُّكْر وَالِاسْتِغْفَار».

وَقَالَ الرَّبِيع بن خُثَيم: «لاَ يَقُولَن أَحدكُم أَسْتَغفِر الله وَأَتُوبُ إِلَيهِ» فَيَكُون ذَنْباً وَكَذِباً إِنْ لَمْ يَفْعَل، وَلَكِنْ لِيَقل: أَللَّهُمَّ اغْفِر لِي وَتُب عَلَيَّ».

وَقَالَ الفُضَيل: الِاسْتِغْفَار بِلا إِقْلاَع تَوبةُ الكَذَّابِين. أُنظر، شَرح نَهْج البَلاَغَة لِابْن أَبِي الحَدِيد: ١٨٣/١١، الأَذْكَار النَّوَوِيَة لِلنَّووي: ٤٠٤، العُهُود المُحَمَّدِية: ٥٢٠، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٢٢٠/٣ و: ٥٣٩/٥، تَفسِير القُرطُبِي: ٣/٩، تَأرِيخ دِمشق: ١٣/٦، وَبَعْض المَصَادر نَسَب القَول إِلَىٰ الفُضَيل بن عَبَّاس، والبَعض قَالَ، قَالَهَا: ذُو النُّون المَصرِي.

وَقِيل: مَن قَدَّم الِاسْتِغْفَار عَلَىٰ النَّدم، كَانَ مُسْتَهزِئاً بِالله وهُو لاَ يَعْلَم.

(١) الأَنفَال: ٣٣.

(٢) أُنظر، الدُّر المَنْثُور: ١٨٠/٣، لُبَاب النُّقول: ٩٨، تَفسِير الثَّعالبي: ١٢٩/٣، فَتح القَدِير: ٣٠٤/٢، تَفسِير الجَلاَلين: ٤١٥، ترفسِير ابن كَثِير: ٣١٦/٢، تَفسِير البُرهان: ٢٠٢/١، أَسبَاب نزُول الآيَات لِلوَاحدي: ١٥٨، زَاد المَسِير لِابْن الجوزي: ٢٣٧/٣، تَفسِير القُرطُبِي: ٣٩٨/٧، أَحكَام القُرآن لِلجَصاص: ٦٤/٣، جَامع البَيَان لِلطَّبرسي: ٣٠٨/٩، تَفسِير القُرآن لِعبد الرَّزاق الصَّنعاني: ٢٥٩/٢، تَفسِير مَجمَع البَيَان: ←

وإنَّ المُرَاد بِالِاسْتِغْفَار هُنا الإِسْلاَم، لأنَّه نجَاة مِن عَذَاب الله، والمَعْنَىٰ أنَّ الله لاَ يُعَذِب أَهْل مَكَّة مَا دَامَ فِيهِمْ رَسُول الله ﷺ إكراماً وَتَعْظِيماً لِشَأنه وَمَقَامه. وَأيضاً هُو سُبْحَانَه لاَ يُعَذِّبُهُمْ مِن بَعْده شَرِيطة أنْ يُؤْمِنُوا بِرِسَالته. وَقَول الإِمَام: (فَدُونَكُمُ الآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ) مَعْنَاه تَمَسَّكُوا بِالإِسْلاَم قَولاً وَفِعلاً، وَدَافِعُوا عَنْهُ بِكُلِّ مَا تَسْتَطِيعُون، وَالَّذي يُؤيد إرَادَة هَذا المَعْنَىٰ قَوْلَه فِي ٱلْخُطْبَة: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَصَّكُمْ بِالإِسْلَامِ، وَٱسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ ٱسْمُ سَلَامَةٍ، وَجِمَاعُ كَرَامَةٍ. ٱصْطَفَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ مَنْهَجَهُ، وَبَيَّنَ حُجَجَهُ، مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ، وَبَاطِنِ حُكْمٍ. لَا تَفْنَىٰ غَرَائِبُهُ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ»[1]، وَالسَّلاَمَة وَالأَمَان كَلمتَان مُتَرَدفتَان.

٨٧ ـ وَ قَالَ ﷺ: «مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ اللهِ أَصْلَحَ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ النَّاسِ، وَ مَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ، وَ مَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ».

● (مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ اللهِ أَصْلَحَ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ النَّاسِ). إذَا أَرَدْتَ أَنْ تَكْسِب قُلوب النَّاس وَوِلاَءَهُم نحوك فَلاَبُدَّ ـ قَبل كُلّ شَيء ـ أنْ تَكُفَّ أَذاكَ عَنْهُم يداً وَلِسَاناً، وأنْ تَعْمل لصَالِحهم قَدَر جُهدَك، وَأنْ تَكُون مُسْتَعداً لِتَقبَل الصَّدمَات مِنْهُم، وَمِن غَيْرهم والصَّبْر عَلَيْهَا، وَمتىٰ توَافرَت فِيكَ هَذِه الصِّفَات كُنتَ مَرضِياً عِند الله لطَاعتك لهُ، وَعِند النَّاس لِجهَادك مِن أَجْلِهم.

← ٤٥٩/٤، رَفع المَنَارة لِمحمُود سَعيد مَمْدُوح: ١٢٥، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٦٩/٣، الكَافِي: ٥٧/٨ ح ١٨، تنوِير الحَوَالك: ٧١٤، مَعَاني القُرآن لِلنَّحاس: ١٤٩/٣.

(١) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلخُطبَة (١٥٢). (مِنهُ ﷺ).

(وَ مَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ). لَيْسَت الآخِرَة مُجَـرد نَـظرِية كَمُثُل أَفْلاَطُون، وَلاَ قِيمَة إنْسَانِيَّة تَهـدف إِلىٰ التَّرغِيب وَالتَّرهِيب وَكَـفىٰ، كَـما يُـظَّن... كَـلا، إنَّ الإِسْـلاَم لاَ يَـعْنِي أَبـداً بِـالنَّظرِيَات المُجـرَدة، وَلاَ بِـالقِيمَة فِي ذَاتها... إِنَّه دِين عِلْم وَعَمل، والآخِرَة عِـندَه وَفِي الوَاقـع عَـالم خَـارجـي يُحَس وَيُلمس، فِيهِ طَعَام وَشَرَاب، وَنَعِيم وَعَذَاب كَعَالمُنَا هَذا، والفَرق أنَّ الدُّنْيَا يُـعْمَل فِيْهَا، والآخِرَة يُعْمَل لهَا، وَالعَمَل الأَهَم فِي الدُّنْيَا مِن أَجْـل الآخِـرَة هُـو الصِّـدْق وَالأَمَانَة، وَالإِخْـلاَص فِي العَـمَل وَالنِّـضال لِخَـدمَة الإِنْسَـان وَحَـلّ مشَـاكِـله وَٱستصلاَح أَحوَاله... وَكَما أَنَّ العَمَل فِي هَذَا المِيدَان سَبب لِلفُوز بِسعَادة الآخِـرَة فَهُو أيضاً سَبب لِلنَّجَاح والرِّفعَة فِي الحَيَاة الدُّنْيَا. قَالَ سُـبْحَانَه: ﴿وَمَـن كَـانَ فِـى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾[1]. وَكُلّ بَاحِث مُنْصِف مُسْلِماً كَانَ أَمْ غَيْر مُسْلِم يَعْتَرف بِأَنَّ أَوَّل دِين رَبط بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَجَعَل تِلك مُطِيَة لِهَذِه هُو دِين الإِسْلاَم.

(وَ مَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ). إنَّ الوَظِيفَة الأُولىٰ لِلعَقْلِ السَّلِيم هِي وقَايَة صَاحبه مِن المُجَازَفة. وَمِن البَدَاهة أنَّ مَنْ كَانَ لهُ هَـذا الحِـصْن الحَصِين عَاش فِي أَمن وَأَمَان مِن المَهَالِك وَالمخَاوف. وَعَبَّر الإِمَام عَن هَـذَا الـعَقْل الوَاقِي بِالوَاعظ مِن النَّفس وَالدَّاخل. وَفيهِ إِيمَاء إِلىٰ أَنَّ المَوَاعظ الخَارجِيَة لاَ تُجدي نَفْعاً إلَّا إذَا تركَت أَثَراً طَيباً فِي النَّفس وَالْعَقْل. وَسَبق الكَلاَم عَن ذَلِكَ عِـند قَـول الإِمَام فِي الحِكْمَة الَّتي قَالهَا: «إِنَّ أَغْنَىٰ الْغِنَىٰ الْعَقْلُ»[2].

---

(١) ٱلإِسْرَاء: ٧٢.

(٢) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٣٨). (مِنْهُ).

٨٨ ـ وَ قَالَ ﷺ : «الْفَقِيهُ كُلُّ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، وَ لَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اللهِ ، وَ لَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللهِ » .

● المُرَاد بِكُلِّ الْفَقِيه ، الْفَقِيه الكَامِل الَّذي توَافرَت فيهِ صِفَات الهَادِي والمُرشد ، والْمَعْنَىٰ أنَّ لله سُبْحَانَه جَنَّة وَنَاراً ، والْمُؤْمِن الْعَاقِل يَصْدر بِأَقْوَاله وَأَفْعَاله عَن خَوفٍ مِن هَذِه وَطَمع فِي تِلك . والمُرشد العَارف بِحَقِّيقَة الإِسْلاَم يَسْلِك بِالنَّاس هَذِه السَّبِيل ، فإِذَا خَوَّفهُم مِن النَّار فَتَح بَاب الأَمَل والرَّجَاء فِي الْجَنَّة ، وإذَا رَغَّبَهُم فِي الْجَنَّة خَوَّفهُم مِن النَّار ، كمَا هُو شَأن الْقُرْآن الكَرِيم : ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١] . وَسَبق الكَلاَم عَن ذَلِكَ بِنَحو مِن التَّفصِيل فِي شَرح ٱلْخُطْبَة الَّتي قَالَ فِيهَا ﷺ : «فَلْسَفَة الْخَوْف والرَّجَاء »[٢] .

٨٩ ـ وَ قَالَ ﷺ : «إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ ، فَٱبْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكَمِ » .

● كُلّ مَا فِي طَبِيعَة مِن رَوعَةٍ وَجمَال هُو مِن حِكْمَة الله الخَالِدَة الَّتِي أَعْطَت الكُون وَالإِنْسَان مَا أَعْطَت ، وَلاَ تَنْحَصر الحِكْمَة بِخصُوص الأمْثَال والْكَلِمَات القِصَار فِي مَدح الزُّهْد وَالتَّقْوَىٰ كمَا فَهم ٱبن أَبِي ٱلْحَدِيد ، وَغَيْره مِن الشَّارِحِين[٣] ، لأنَّ الإِمَام

(١) ٱلْمَائِدَة : ٩٨.
(٢) أنظر ، نَهج ٱلبَلاَغَة : ٱلْخُطْبَة (١٦٠) . (مِنْهُ ﷺ).
(٣) قَد جَاء فِي إِجْمَام النَّفس كَثِير :
قَالَ بَعْضهُم : رَوِّحوا الْقُلُوب بِرَوَائِع الذِّكر .

أَرَاد بِالْحِكَم هُنا مَا يُذهِب عَن القَلْب المَلَل والسَّأم، وعَلَيْهِ فَمطلع الفَجر وَحدَائِق الزُّهر والصَّفصَاف عَلىٰ النَّهر، وَكُلّ مَا فِيهِ عَظمةِ الإعْجَاز الإلهي، وَيُرضي النَّفس وَيُوقظ فِيهَا الْحيَاة وَالْأَمَل ـ فَهُو مِن الحِكْمَة، وَعَلينا أنْ نُنشده وَنَتمتع بِهِ كُلَّما أَحْسَسنَا بِالتَّعب، والفتُور لِيعُود إلينا النَّشاط وَالْأَمل، وَنستَأنف الْجِهَاد والنِّضال.

٩٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «أَوْضَعُ الْعِلْمِ مَا وُقِفَ عَلَىٰ اللِّسَانِ، وَ أَرْفَعُهُ مَا ظَهَرَ فِي الْجَوَارِحِ وَ الْأَرْكَانِ».

● جَوَارِح الْإِنْسَان أَعْضَاؤه الَّتي يَسْتَعِين بِها عَلىٰ العَمَل، والعُضْو الرَّئِيسِي فِي جَسَد الْإِنْسَان يُطلق عَلَيْهِ الرُّكن. والعِلْم فَهمٌ وَدِرَايَة لاَ حِفْظ وَرِوَايَة، وَمَن وَثِق بِالكَلاَم وَاكتَفىٰ بِهِ عَن الوَعي وَالعَمَل فَهُو اسطوَانَة وَشَرِيط مُسجَل... وَالفَرق أَنَّ هَذَا الشَّرِيط يَتكَلم وَلاَ يَسْمَع، أمَّا الحَافظ فَإِنَّه يَتكَلم وَيَسمَع، وَأيضاً يُحِبّ الْإِسْتِمَاع إِلىٰ صَوته... وَالعَالم حَقّاً هُو الَّذي لاَ يَهتَم بِالحِفظ والتَّفوق بِالجِدَال عَلىٰ الْأَقرَان، بَل يَنْظُر إِلىٰ الْأَلْفَاظ كَوَسِيلة، وَالعَمل النَّافع هُو الغَايَة فِي نَظرِهِ.

قَالَ فِيلَسُوف صِيني: «إنَّ حُبّ الْإِنْسَان لِلكَلِمَات هِي الخُطوَة الْأُولىٰ فِي طَرِيق جَهْله وَعَدم وَعيِه»، ذَلِكَ بِأَنَّ الحَقِيقَة لاَ تَتخلىٰ عَن الْحَيَاة وَالعَمَل، وَالخُرَافَة

⇐ وَعَن سَلْمَان المُحَمدِي: أنَا أَحتَسِب نَومَتي كمَا أَحتَسِب قَومَتي.

وَقَالَ عُمرُ بن عَبدالعَزيز: إنَّ نَفسِي رَاحِلتِي، إنْ كَلَّفتُها فَوق طَاقتها انْقطَعت بِي.

وَقَالَ بَعضهُم: رَوِّحوا الأَذهَان، كمَا تُرَوِّحوا الأَبدَان.

وَقَالَ أَردشِيرُ بن بَابك: إنَّ للآذَان مَجَّة، وَلِلقُلُوب مَلَّة؛ فَفرِّقوا بَيْنَ الحِكْمَتين بِلَهْوٍ يَكُن ذَلِكَ اسْتِجْمَاماً.

أُنظر، ابْن أَبِي الْحَدِيد فِي شَرح نَهْج البَلاَغَة: ١٨/ ٢٤٠.

وَحْدَهَا هِيَ الَّتِي لاَ تَتَصل بِالحَيَاة مِن قَرِيبٍ أَو بَعِيدٍ. وَيَأتِي قَول الإِمَام: «الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ: فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ؛ وَ الْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَ إِلَّا ٱرْتَحَلَ عَنْهُ»[1]. وَبِٱخْتِصَار إِنَّ الْعِلْم الكَامِل هُو الَّذي يَجْعَل الحَيَاة أَكْثَر خِصْباً وَعَدْلاً وَأَمْناً.

٩١ ـ وَ قَالَ ﷺ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: «أَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ» لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَ هُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَىٰ فِتْنَةٍ، وَ لَكِنْ مَنِ ٱسْتَعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[2]، وَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُ يَخْتَبِرُهُمْ بِالْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ لِيَتَبَيَّنَ السَّاخِطَ لِرِزْقِهِ، وَ الرَّاضِيَ بِقِسْمِهِ، وَ إِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَ لَكِنْ لِتَظْهَرَ الْأَفْعَالُ الَّتِي بِهَا يُسْتَحَقُّ الثَّوَابُ وَ الْعِقَابُ؛ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يُحِبُّ الذُّكُورَ وَ يَكْرَهُ الْإِنَاثَ، وَ بَعْضَهُمْ يُحِبُّ تَثْمِيرَ الْمَالِ، وَ يَكْرَهُ ٱنْثِلَامَ الْحَالِ».

● المُرَاد بِالْفِتْنَة هُنا الاِمْتِحَان، وَالاِخْتِبَار بِالمَالِ، والجَاهِ، والبَنِين، والمُرَاد بِمُضِلاَّت الْفِتَن الطُّغيَان بِسَبب المَال والوَلد وَمَا أَشْبَه. والمَعْنَىٰ لاَ تَتَعوذ مِن الفِتْنَة بِوَجه العمُوم، فإِنَّ زِينَة الحَيَاة الدُّنْيَا والطَّيِّبات مِن الرِّزْق الَّتي أَحَلَّها سُبْحَانَه لِعبَاده، بَل تَعوذ مِن إِغرَاء الْفِتْنَة وَحبَائِلها، لأَنَّ الدُّنْيَا وَزِينتَها كَثِيراً مَا تَصرف الإِنْسَان عَن دِينه وَضَمِيره... وَقَد شَاهدنَا الإِنْسَان يَبْتَعد عَن الخَيْر كُلَّما أَمْعَن فِي المَادة والتَّرف.

(١) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٣٦٥).
(٢) ٱلأَنفَالِ: ٢٨.

(وَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُ يَخْتَبِرُهُمْ بِالْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ لِيَتَبَيَّنَ السَّاخِطَ لِرِزْقِهِ... إلخ). إنَّ اللهَ سُبْحَانَه يَعْلَم مِن عِبَاده مَا فَعَلوا وَمَا سَيَفْعَلُون مِن خَيْرٍ أو شَرٍّ، وَلكنْ سَبَق فِي عَدْلِهِ وَقَضَائِهِ أنْ لاَ يُحَاسب أَحَداً عَلىٰ مَا يَعْلَم، وَمَا يَنْطَوي عَلَيْهِ صَدرَه وَسرِّه، بَل يُحَاسبه وَيُجَازيه عَلىٰ مَا ظَهر مِنْهُ بِالفِعْل بَعْد أنْ وَهْبه الْقُدْرَة، والْـعَقْل، والإِرَادة، وَرِزقه مِن الْخَيْرَات، والطَّيِّبات، وَأَمْرَه وَنَهاه. فإنْ خَالِف وَعَـصىٰ قَـامَت عَـلَيْهِ الحُجَّة وٱسْتَحق المُؤاخَذة، والْعِقَاب.

٩٢ ـ وَسُئِلَ عليه السلام عَنِ الْخَيْرِ مَا هُوَ؟ فَقَالَ: «لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَ وَلَدُكَ، وَ لَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ، وَ أَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ، وَ أَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ؛ فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ اللهَ، وَ إِنْ أَسَأْتَ ٱسْتَغْفَرْتَ اللهَ. وَ لاَ خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لِرَجُلَيْنِ: رَجُلٍ أَذْنَبَ ذُنُوباً فَهُوَ يَتَدَارَكُهَا بِالتَّوْبَةِ، وَ رَجُلٍ يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ».

● المَال مِن حَيْث هُو لاَ يُحْمَد وَيُذَم، لأنَّه حَجْر أو وَرَق، وَإنَّما يُنْظَر إِلَـيْهِ مِـن حَيْث أَثَره وَمَفْعُوله، إنْ خَيْرَّاً فَخَير، وإنْ شَرَّاً فشرّ. قَالَ سُـبْحَانَه كَـمِثَال عَـلىٰ الشَّرّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾[1]. قَالَ كَمِثَال عَلىٰ الْخَيْر: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾[2]، وَقَالَ الرَّسُول الأَعْظَم صلى الله عليه وآله: «نِعْمَ المَال الصَّالِح لِلرَّجُل الصَّالِح»[3]،

(١) ٱلأنفال: ٣٦.

(٢) ٱلبَقَرة: ٢٦١.

(٣) أنظر، تَفْسِير القُرطُبِي: ٣/٤١٨ و: ١١/٣٢، صَحِيح ٱبْن حَبَّان: ٨/٦ ح ٣٢١٠، مَوَارد الظَّمآن: ١/٢٦٨

وَكذَلِكَ الوَلد وهُو خَيْرٌ إنْ كَانَ صَالِحاً، وَشَرٌّ إنْ كَان طَالِحاً، الْعِلْم خَيْرٌ كُلّه إنْ جَعَل الحَيَاة أَكْثَر خِصْبَاً، وَأَمْنَاً، وَعَدْلاً، وشَرٌّ إنْ قَتَل وَرَوَّع الآمنِين.

وَتَسْأَل: إذَا كَانَ كُلّ الْمَال، والوَلَد، والْعِلْم يُحْمَد مِن حَيْث هُو خَيْر، ويُذَم مِن حَيْث هُو شَرّ ـ فَلِمَاذَا نَفَىٰ الإِمَام الْخَيْر عَن الْمَال، وَالوَلد دُونَ الْعِلْم، مَع أَنَّ الجَمِيع مِن فَصِيلة وَاحِدة؟.

الْجَوَاب:

لاَ يُرِيد الإِمَام بِقَوْلَه هُنا يُوَازن بَيْنَ الْمَال، وَالوَلد مِن جِهة، وَالعَمَل مِن جِهَة ثَانِيَة، بَل هَدَفه الرَّد عَلىٰ مَن يَرىٰ الْخَيْر كُلّ الْخَيْر فِي الأَموَالِ، وَالأَوْلاَد، ولاَ يَرىٰ خَيْراً فِي غَيْرهُما إطلاَقاً عِلمَاً كَان أَمْ حُلمَاً. وَمِن قَبل قَالَ الْمُتْرَفُون: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[1].

(وَ أَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ). لَيْسَ الْمُرَاد بِالتَّبَاهِي هُنا التَّفَاخر، بَل الْمُرَاد أَنْ لاَ تَرىٰ نَفْسك شَيْئَاً مَذكُوراً بِالمَالِ، وَالوَلد، بَل بِالْعِلْمِ، والْحِلْم، وَطَاعَة الله، وَحُسن السّلُوك (فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ اللهَ) الَّذي هَدَاك إلىٰ عَمَل الْخَيْرَات (وَ إِنْ أَسَأْتَ ٱسْتَغْفَرْتَ اللهَ) مِن سَيئَاتك، وَتَدارَكتَها بِٱلتَّوْبَةِ، والْمُسَارعَة إلىٰ الصَّالِحَات (وَ لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لِرَجُلَيْنِ: رَجُلٍ أَذْنَبَ ذُنُوباً فَهُوَ يَتَدَارَكُهَا بِالتَّوْبَةِ، وَ رَجُلٍ

﴾ ح ١٠٨٩، مُسْنَد أَحْمَد: ١٩٧/٤، شُعَب الإِيمَان: ٩١/٢ ح ١٢٤٨، الأَدَب الْمُفرد: ١١٢/١ ح ٢٩٩، الفِرْدَوْس بمأثُور الخِطَاب: ٢٥٧/٤ ح ٦٧٥٧، فَتح البَاري: ٧٥/٨ ح ٤١٠٠ و: ٢٧٤/١١، فَيض القَدِير: ١٢٩/٢، مُعجَم الصَّحَابَة: ٢١٣/٢ ح ٧١٦، كَشف الخَفاء: ٤٢٤/٢ ح ٢٨٢٣.

(١) سَبأ: ٣٥.

يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ). الشَّيء الأَعْظم فِي كُلّ عَمَل فِي الدُّنْيَا هُو مَا ينفعك فِي الآخِرَة كالتَّوْبَة مِن الذَّنب، وَالعَمَل لِخدمَة الإِنْسَان(١).

٩٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «لَا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوىٰ، وَكَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَقَبَّلُ».

● التَّقْوىٰ أَنْ تَتقي غَضَب الله سُبْحَانَه، وَلاَ تَتعدىٰ حُدُودَه وَشَرِيعته... وَأَيضاً مِن التَّقْوىٰ اتقاء الشُّبهات، والتَّورّع عمَّا لاَ تدرِي أَحلاَل هُو أَمْ حَرَام، المُرَاد بِالعَمَلِ القَلِيل هُنا الاِقْتصَار عَلىٰ مَا وَجَب بِلا زِيَادة وَنُقصَان، وَمِن وُفّق لِذَلِكَ فَقد زُحْزِح عَن النَّار، وَمَن زُحزِح عَنْهَا فَقَد فَاز. وَكَفىٰ بِهَذا الفَوز فَضِيلة وَسَعادَة.

٩٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِالأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ بِمَا جَاءُوا بِهِ، ثُمَّ تَلاَ عليه السلام: ﴿إِنَّ أَوْلَىٰ ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾(٢).

● المُرَاد بِأَوْلَىٰ النَّاسِ بِالأَنْبِيَاءِ، الوِلاَيَة عَنْهُمْ، وَيُعبر عَنْهَا بِالخِلاَفَة، وَهِي عِلاَقَة إِلهِية طَبِيعِيَة بَيْنَ النَّبيّ وَخَلِيفته، وَلاَ تكُون هَذِه الخِلاَفَة، أو الوِلاَيَة، وَلَن تكُون إِلَّا لعَالم بِرِسَالَة النَّبيّ عَامِل بهَا وَمُنَاصِر لهُ فِي جَمِيع موَاقِفه. وَيُشِير الإِمَام بِهَذا إِلىٰ نَفْسِه وأَنَّه أَوْلَىٰ النَّاس بِرَسُول الله صلى الله عليه وآله لأَنَّه امتدَاد لهُ عِلماً وَأَخْلاَقاً. وَتجدُر الإِشَارَة إِلىٰ أَنَّ الإِسْلاَم يُورِّث العَبْد مِن سَيِّدِه إِذَا كَان قَد أَعْتَقه تبرُعاً،

---

(١) وَقَد قَالَ الشَّاعر لِهَذَا المَعْنَىٰ:

لَيْسَ السَّعِيدُ الَّذِي دُنْيَاه تُسعِدُهُ ... بَل السَّعِيد الَّذِي يَنْجُو مِن النَّارِ

أنظر، شَرح نَهج البَلاَغَة لابْن أَبِي الحَدِيد: ١٨/٢٥٠.

(٢) آلِ عِمْرَان: ٦٨.

وَلاَ وَارِث سوَاه، وَيُسَمّىٰ فِي أصطلاَح فُقهَاء الإِرث بِالوِلاَء[١]، فَكَيف إِذَا آجْتَمعَت القَرَابَة والْوِلاَيَة مَعاً، كَمَا هِي الحَال بَيْنَ مُحَمَّد بَيْنَ وَعَليّ؟.

٩٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ اللهَ وَ إِنْ بَعُدَتْ لُحْمَتُهُ. وَ إِنَّ عَدُوَّ مُحَمَّدٍ مَنْ عَصَىٰ اللهَ وَ إِنْ قَرُبَتْ قَرَابَتُهُ!».

● وَاللُّحمَةُ ـ بِضَم الحَاء ـ الْقَرَابَة، والإِمَام يَردّ بِهَذا عَلىٰ الَّذِين آحْتَجُوا مِن قُرَيْش عَلىٰ الأَنْصَار يَوْم السَّقِيفَة، وَزَعمُوا أَنَّهم أَوْلىٰ بِالخِلاَفَة لِقَرَابَتهم مِن رَسُول الله... فَقَال الإِمَام: إِنَّ الله سُبْحَانَه لاَ يَتَعامَل مَع أَحد مِن خَلقهِ بِمَنطق قَبلي، أو شَخْصِي، فَالكُلّ عِنده سَوَاء إِلَّا مَن آبْتَغىٰ إِلَيْهِ الوَسِيلة بِالطَّاعَةِ، والتَّقْوَىٰ. وَأيضاً لاَ وِلاَية وَلاَ قَرَابة بَيْنَ مُحَمَّد ﷺ وَغَيْره إِلَّا عَلىٰ هَذا الأَسَاس مِن غَيْر هَذا الأَسَاس مِن غَيْر فَرق بَيْنَ قُرشِي وَحَبْشِي، وَبِهَذا نَطَقت الأَيَات والرِّوَايَات، وَقَالَ سُبْحَانَه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٢]، وَقَالَ النَّبيّ ﷺ: (يَا بَنِي كَعْبِ بن لُؤَيّ أَنقذُوا أَنْفُسكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبد مُناف أَنقذُوا أَنفُسكُمْ مِنَ النَّار، يَا بَنِي هَاشم أَنْقذُوا أَنْفُسكُمْ مِنَ النّار، يَا بَنِي عَبد المُطّلب أَنْقذُوا أَنفُسكُمْ مِنَ النّار، يَا فَاطِمَة أَنقِذِي نَفْسكِ مِنَ النّار، فإِنِّي لا أَمْلكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً غَيرَ أَنَّ لكُمْ رَحِماً سَأَبُلُّها

---

(١) إِننَا نَعْلَم أَنَّ مُوجِبَات الإِرث ثَلاَثَة:

القَرَابَة، والنِّكَاح بِعَقد صَحِيح، وَالوَلاَء. وَلَنَا أَنْ نَرجع هَذِه المُوجِبَات إِلىٰ أَمرين فَقط، إِلىٰ سَببٍ وَنَسبٍ، فَالنَّسب هُو القَرَابَة، والسَّبب يَشمل النِّكَاح وَالوَلاَء، وَالوَلاَء رَابِطة بَيْنَ شَخصين تَجعَل بَيْنَهُما لُحْمَة كَلُحْمَة النَّسب، فَمَن أَعْتَق عَبده يَصبح مَولىٰ لهُ، وَيَرث إِنْ لَمْ يَكُن لِلعَبد المُعتَق وَارِث.

أَنظر، شَرائِع الإِسْلاَم: ٣/٩، المَسَالِك: ٤/٢٦٢، الرَّوضَة البَهية: ٨/٢٤، النِّهَاية: ٦٤٣ و ٦٦٢.

(٢) الحُجُرَاتِ: ١٣.

بِبَلاَلِها)[١]. وَهٰذَا مَعْرُوف وَمَشْهُور عَنْ دِين الإِسْلاَمِ عِنْدَ كُلِّ الأُمَمِ وَالطَّوَائِفِ[٢].

---

(١) أنظر، السُّنن الكُبرىٰ: ٤/١٠٧ و: ٦/ ٢٨٠ و ٤٢٣، سُنن النَّسائي: ٤/١٠٨ ح ٦٤٧٣ و ٦٤٧٤ و: ٦/٢٤٨، فتح الباري: ٢/٤٤٠ و: ٨/٣٨٥ و: ١٠/٤٢٣، شَرح مَعَاني الآثار: ٣/٢٨٦ و: ٤/٣٨٨، مُسْنَد إسحَاق بن رَاهويه: ١/٢٦١، الإِيمَان لإبن مُنده: ٢/٨٧٦، شَرح النَّووي عَلىٰ صَحِيح مُسْلِم: ٣/٨٠، الدِّيبَاج: ١/٢٧٠ و: ٣/٨٠، شَرح السّيوطي: ٦/٢٧٠، ذَخَائِر العُقْبَىٰ: ٨، جَامع البَيَان لإبن جَرير الطَّبَري: ١٩/١٤٤، عِلل الدَّار قُطني: ٩/٣٧٠ ح ١٨٠٧، سُبل الهُدَىٰ والرَّشاد: ٢/٣٢٣، حَاشية السِّندي: ٦/٢٤٨، نَيل الأوطَار: ٦/١٣٤، أخبَار مَكّة: ٢/٢١٥، صَحِيح البُخَاريّ: ٣/١٩١ و: و: ٦/١٧ و: ٨/ ٧، مَجْمَع الزَّوائد: ١/٥٠، الطَّبقات الكُبرىٰ: ٢/٢٥٦، مُسْنَد أحمد: ٢/ ٣٥٠ و ٣٩٠ و ٥١٩، نُظم دُرر السِّمطين: ٢٣٧، الدُّر المَنثور: ٥/ ٩٦، كَنز العُمَّال: ٦/ ٢٢٩ و: ١٦/ ٩ ح ٤٣٧٠١ و ٤٣٧٥٣، أسنىٰ المطَالب: ٢٦، مِن تَأريخ أبن عسَاكر برِوَاية عَمرُو بن العَاص، تَفسِير القُرطُبي: ١٣/١٤٣، تَفسِير الطَّبَرِيّ: ١٩/١١٩، تَفسِير أبن كَثِير: ٣/٣٥١، صَحِيح أبن حبَّان: ٢/٤١٢ و: ١٤/٤٨٦، مُسْنَد الشَّامِيين: ٤/١٦٩ ح ٣٠٢٤، الأحَادِيث المُختارة: ٧/١١٤، مُسْنَد أبي عوانه: ١/٨٩ و: ٢/٩٣، سُنن التِّرمِذي: ٨/٣٣٨، سُنن الدَّارمي: ٢/٣٠٥.

وَعَنْ عَبدالله ـ يَعْنِي أبن مَسعُود ـ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إنَّ فَاطِمَة حَصَنَتْ فَرْجَها، وإنَّ الله عَزَّ وَجلَّ أدْخَلها بِإحْصَان فَرْجَها، وَذُرِيتَها ٱلجَنَّة».

أنظر، المُعْجَم الكَبِير: ٣/٤٢ و: ٢٢/٤٠٧، ذَخَائِر العُقْبَىٰ: ٤٨، مَجْمَع الزَّوائد: ٩/٢٠٢، فَضَائل سَيِّدَة ٱلنِّسَاء لِعُمر بن شَاهِين: ٢٢، كَنز العُمَّال: ١٢/١١١ ح ٣٤٢٣٩، تَنَاقضات الألبَاني الوَاضحَات: ٣/٢٢٩، تَأريخ مَدِينَة دِمشق: ١٤/١٧٤، تَهذِيب الكَمَال: ٣٥/ ٢٥١، مِيزَان الإعتِدَال: ٣/٢٨٠، فَضل آل ٱلبَيْت لِلمَقْرِيزي: ٩٧، تَرجمَة الإِمَام الحُسين: ٧/ ح ٢٦٢٥، كِفَايَة الطَّالب: ٣٦٧ بَاب ٩٩، يَنَابِيع المَوَدَّة: ٢/١٣٧، المطَالب العَالِية بِزوائِد المَسَانِيد الثَّمانية: ٤/ ٧٠، التُحفَة السَّنِيَّة: ٥٦، مُسْتَدرَك الوَسَائِل: ١٧/ ٣٧٦ ح ٢١٦٢٤/ ٨، مُسْتَدرَك الحَاكِم: ٣/ ١٥٢، تَفسِير نُور الثَّقلين: ٢/ ٣٦٩ و: ٥/ ٣٧٧، مَناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٠٧، تَنبِيه الخَواطِر لِلشَّيخ وَرَّام: ٢/ ٥٢٢، طَبْعَة النَّجف الأشرف، الخَرائِج لِلرَّاوندي: ٣١، طَبْعَة الهِند، الجَوهر النَّقي: ٧/ ١٧٧، المَناقب لإبن شَهر آشوب: ٣/ ١٠٧، الكَامِل لعبد الله بن عَدي: ٥/ ٥٩، تَأريخ بَغْدَاد: ٣/ ٢٦٦، لِسَان المِيزَان: ٤/ ٣٢٢، كَشف الغُمَّة: ٢/ ١٠٤.

وَقَالَ رَجُل لِجَعْفَر بن مُحَمَّد الصَّادِق عليه السلام: أرَأيتَ قَولَه ﷺ: «إنَّ فَاطِمَة أحْصَنَتْ فَرجَها فَحَرَّم الله

↔

٩٦ ـ وَسَمِعَ عليه السلام رَجُلًا مِنَ الْحَرُورِيَّةِ يَتَهَجَّدُ، وَ يَقْرَأُ، فَقَالَ: «نَوْمٌ عَلَىٰ يَقِينٍ، خَيْرٌ مِنْ صَلاَةٍ فِي شَكٍّ».

● قَالَ الإِمَام هَذَا حِين سَمِع رَجُلاً مِن الْخَوَارِج يَتَهَجَّد أي يُصلِّي وَيَتَعَبَّد فِي اللَّيْل. وَاليَقِين أنْ تُؤمن بِاللهِ كَأَنَّك تَرَاه، وَمَن بَلغ إِيمَانه إِلىٰ هُنَا يُقم فِي وَجْهِهِ أي حَاجِز عَن العَمَل بِمرضَاة الله، وَيَستَهِين بِالْمَوْت فِي هَذِه السَّبِيل وَتَأرِيخ الشُّهدَاء هُو تَأرِيخ هَذا يَقِين، وَهُو بِنَفْسه عِبَادَة، بَل هُو الْمَصْدَر والمَنْبَع الَّذي تُفِيض مِنْهُ العِبَادَات وَالصَّالحَات، وإِذْن فَلاَ عَجَب إِذَا كَانَ هَذَا اليَقِين عَابِداً قَانِتاً فِي نَوعِهِ، وَكَان الشَّاك عَاصِياً ضَالاً فِي صِلاَته.

٩٧ – وَ قَالَ عليه السلام: «اَعْقِلُوا الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ رِعَايَةٍ لَا عَقْلَ رِوَايَةٍ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَ رُعَاتَهُ قَلِيلٌ».

● الفَرق بَيْنَ الرِّعَايَة والرِّوَايَة كَالفَرق بَيْنَ مَنْ بَنىٰ صَرْحَاً بِعلمِهِ وَيَدِهِ، وَمَن رَأىٰ هَذا الصَّرح بِعينِهِ، وَأَخْبَر عَنْهُ بِلسَانه... عَلىٰ إنَّ الإِخْبَار عن الأَعْيَان الخَارِجيَة لاَ يَحْتَاج إِلىٰ الْعِلْم والدَّرس، وَرِوَايَة العَالم لَهَا تَمَاماً كَرِوَايَة الجَاهِل مَا دَام كُلّ مِنْهُما ثِقَة فِي النَّقل، أَمَّا القِيم الرُّوحِيَة كَالْخَيْر فَلاَ تَعرفهَا وَتَدركها إِلَّا عقُول الرَّاسِخِين فِي الْعِلْم (فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ) وَهُم الَّذِين يَنْقلُون وَيَرُوون عَن الْعُلَمَاء.

⟵ ذُرِّيَّتها عَلىٰ النَّار»، أَلَيس هَذا أَمَاناً لِكلِّ فَاطِمي فِي الدُّنيا؟ فَقَالَ: إِنَّك لأَحْمَق. إِنَّمَا أَرَاد حَسَناً وَحُسيناً، لأَنَّهما مِن لُحْمَة أَهْل البَيْت، فَأَمَّا مَن عَدَاهُما فَمَن قَعَد بِهِ عَمَلُه لَمْ يَنْهَض بِهِ نَسَبُه». أُنظر، شَرح نَهج البَلاغَة لِابن أَبِي الحَدِيد: ١٨/٢٥٢.

(٢) تَقَدَّم الكَلاَم عَن ذَلِكَ سَابِقاً.

وَقَالَ قَائِل مِن الرُّوَاة: «وَأَنَا أَحْفظ لأَهْل الْبَيْت ثَلاَثمئة أَلف حَدِيث»[1]. وَهَذا الرَّاوِي وَحدَه يُعَادل عَشَرَات الرُّوَاة، وَمِثله كَثِير (وَ رُعَاتَهُ قَلِيلٌ) أي الْعُلَماء بِحَقٍّ.

٩٨ - وَسَمِعَ عليه السلام رَجُلًا يَقُولُ: «إِنَّا للهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»، فَقَالَ عليه السلام:

إِنَّ قَوْلَنَا: «إِنَّا للهِ» إِقْرَارٌ عَلَىٰ أَنْفُسِنَا بِالْمُلْكِ، وَقَوْلَنَا: «وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» إِقْرَارٌ عَلَىٰ أَنْفُسِنَا بِالْهُلْكِ».

● مَنْ أَقَرَّ عَلىٰ نَفْسهِ بِالْمُلْكِ حُرِّم عَلَيْهِ التَّصرف بِشَيء مِنْهَا إِلَّا بِتَرخِيص المَالِك، وَمَن تَصَرَف بِلا إِذْن وَتَرخِيص مِنْهُ تَعَالىٰ فَهُو غَاصب ظَالم. وَأَيضاً مَنْ أَقَرَّ بِالْمَوْت فَعَليهِ أَنْ يَنْسَجم مَع نَفْسهِ وَٱعترَافه، وَلاَ يَعْمل عَمَل الخَالدِين.

٩٩ - وَ قَالَ عليه السلام وَمَدَحَهُ قَوْمٌ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: «أَللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي، وَ أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ، أَللَّهُمَّ ٱجْعَلْنَا خَيْراً مِمَّا يَظُنُّونَ، وَ ٱغْفِرْ لَنَا مَا لَا يَعْلَمُونَ».

● يَسْتَصغر الإِمَام كُلّ شَيء فِي جَنْب الله، وَلَيْسَ نَفْسه فَقط، وَهَذِه هِي نَظْرَة العَارفِين وَلُغتهُم، وَهَذا دَأبهُم وَطَبعهُم، وَلِذا لاَ يُثنِي الإِمَام عَلىٰ نَفْسه إِلَّا لِضَرُورة

---

(١) رُبَّما يَقصد بِذَلِك أَحمَد بن مُحَمَّد بن سَعد (سَعِيد) بن عَبدالرَّحمن بن زِيَاد الهَمدَانِي الكُوفِي المَعْرُوف بِأبـن عُقْدَة أَبُو العَبَّاس، جَلِيل القَدر، عَظِيم المَنزِلة، وَأَمره فِي الثِّقة والجَلاَلة، عَظِيم الحِفظ أَشْهر مِن أَنْ يُذكر، وَكَان زِيدِياً جَارُودِياً، وِلد سَنَة (٢٤٩ هـ ـ ٣٣٣ هـ)، يَحْكُون أَنَّه قَالَ: أَحْفظ مِئة وَعشرُون أَلف حَدِيث بِأَسَانِيدها، وأُذَاكر بِثلاَثمئة أَلف حَدِيث. ورُبَّما يَقصد الجِعَابِي الَّذي كَان يَقول: أَحْفظ أَرْبَعمئة أَلف حَدِيث، وأُذَاكر بِستمِئة أَلف والَّذي كَانَتْ وِلاَدته سَنَة (٢٨٥ هـ ـ ٣٤٤ هـ)، ورُبَّما يَقصد غَيْرهما. أُنظر، رِجَال الطُّوسي: ٤٤١/١ رَقم «٣٠»، رِجَال النَّجاشي: ٦٨، جَامع الرُّواة: ٦٥/١، نِهَاية الدِّرَاية: ٥٢٣، وَسَائِل الشِّيعة: ٣١٠/٣٠، تَذكرة الحفَاظ: ٥٨/٣، رِجَال السَّيِّد الخوئي: ٦٨/٨، الفِهرست: ٤٢.

كمَا قَالَ يُوسُفَ: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[(١)]. وَأيضاً يَكْرَه الإمَام الثَّناء مِن غَيْرِهِ. وَلِذَا دَعَا بِهَذا الدُّعَاء حِينَ سَمع المَدِيحِ والإِطْرَاء... وَقَالَ قَائِل، وَهُو يَشرَح هَذِه الحِكْمَة: «طَلَب الإمَام مِن رَبِّهِ المَغْفِرَة عَلَىٰ تَرك الأُولَىٰ لاَ عَلَىٰ فِعْل الذَّنب». وَقَد صَارَ هَذَا «التَّرك» مَأوىٰ العَاجزِين يَفرُون إِلَيْهِ لِسَبَبٍ وَغَيْرِ سَبب حَتَّىٰ ولَو قَالَ المَعْصُوم: أَسْتَغفر الله... وَنَسُوا أَنَّ هَذِه هِي لُغَة الأَنْبِيَاء والصِّدِّيقِين[(٢)].

١٠٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «لَا يَسْتَقِيمُ قَضَاءُ الْحَوَائِجِ إِلَّا بِثَلَاثٍ: بِاسْتِصْغَارِهَا لِتَعْظُمَ، وَ

---

(١) يُوسُفَ: ٥٥.

(٢) وَرَد فِي الحَدِيث الشَّرِيف: «إِذَا مَدحْتَ أَخَاك فِي وَجهِهِ، فَكَأَنَّمَا أَمرَرْتَ عَلَىٰ حَلْقِهِ مُوسىٰ وَمِيضَة». أُنظر، الفَائِق فِي غَرِيب الحَدِيث: ٦٣/٢، شَرح نَهْج البَلاَغَة لِابْن أَبِي الحَدِيد: ٢٥٦/١٨، النّهاية فِي غَرِيب الحَدِيث: ٢٦٤/٢، لِسَان العَرب: ١٦٢/٧، مجمَع البَحرين: ٢٢٤/٢، تَاج العَروس: ٣٧/٥.

وَقَالَ أيضاً لرَجُلٍ مَدح رَجُلاً فِي وَجهِهِ: «عَقَرْتَ الرَّجُلَ عَقَرَك الله»!. أُنظر، المُصَنَّف لِمُحَمَّد بن شَيبَة الكُوفِي: ٢٠٦/٦ ح ٤ و ١٢، الأَدب المُفرد: ٧٨ ح ٣٣٥، كَنز العُمَّال: ٨٧٨/٣ ح ٩٠١١، غَرِيب الحَدِيث: ٩٩٤/٣ ح ١٠٠٠، النّهاية فِي غَرِيب الحَدِيث: ٢٧٣/٣.

وَقَالَ أيضاً: «لَو مَشَىٰ رَجُلٌ إِلىٰ رَجُلٍ بِسَيف مُرهَفٍ كَان خَيراً لهُ مِن أَنْ يُثنِي عَلَيْهِ فِي وَجهِهِ».

وَمِن كَلاَمِ عُمَرَ: المَدْح هُو الذَّبح؛ قَالُوا: لأَنَّ المَذْبُوحَ يَنقَطِع عَن الحَرَكَة وَالأَعْمَال، وَكَذَلِك المَمْدُوح يَفتر عَن العَمَل. أُنظر، فَتح البَاري: ٣٩٨/١٠، شَرح نَهْج البَلاَغَة لِابْن أَبِي الحَدِيد: ١٠٣/١١.

وَيَقول: قَد حَصَل فِي القُلُوبِ وَالنُّفُوس مَا أَستَغنَىٰ بِهِ عَن الحَرَكَة والجِدّ.

وَمِن أَمثَال الفَلاَّحِينَ: إِذَا طَارَ لَكَ صِيتٌ بَيْنَ الحَصَّادَة، فَاكسِر مِنْجَلَك.

وَقَالَ مُطَرِّف بنُ الشِّخِّير مِن مشَاهِير الزُّهاد، مَات سَنَة (٨٧ هـ أو ٩٥ هـ): مَا سَمِعتُ مِن ثَنَاءِ أَحدٍ عَلَيَّ، أو مِدحَةِ أحدٍ لِي، إلاَّ وَتصَاغرتْ إِلَيَّ نَفسِي. وَقَالَ زِيَاد بنُ أَبِي مُسْلِم: لَيْسَ أَحَد سَمِع ثَنَاءَ أَحدٍ عَلَيْهِ إِلاَّ وَتَرَاءىٰ لهُ شَيطَان، وَلكِنَّ المُؤمِن يُرَاجِع.

فَلمَّا ذُكِر كَلامُهم لِابْن المُبَارك، قَالَ: صَدَقا؛ أَمَّا قَول زِيَاد فَتِلك قُلُوبُ العَوامّ. وأَمَّا قَولُ مَطُرف فَتِلك قُلوب الخَواصّ. أُنظر، شَرح نَهْج البَلاَغَة لِابْن أَبِي الحَدِيد: ٢٥٧/١٨ و ٣٨٢.

بِٱسْتِكْتَامِهَا لِتَظْهَرَ، وَ بِتَعْجِيلِهَا لِتَهْنُؤَ».

● الفَرق بَيْنَ التَّعاون وَقضَاء الحَاجَة أنَّ التَّعاون تكَامل، وَالهَدف مِنْهُ مَصْلَحَة الجَميع، أمَّا قَضَاء الحَاجة فهُو مُسَاعدَة ثُنَائية مِن فَردٍ لآخر، وَلكنَّه مِن الفَضَائِل وَمكَارم الأَخْلاَق، لأنَّ السَّاعي فِي حَاجَة أَخِيه يُبرِّدُ كَبْدَه، وَيرُدُّ لَهْفَته، هَذا إنْ عَجَّل وَكَتمَها وٱسْتَصغَرها، أمَّا إذَا أَجْلَ وَأَعْلَن وَٱستَكْثَر فإِنَّه يُكَدر صَفو الحَاجَة، ويُذهب نُورها وَأَجْرَها.

واللَّام فِي «لِتَظْهَرَ» لِلعَاقِبَة مِثل قَوْلهِ ﷺ: «إِنَّ للهِ مَلَكاً يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ: لِدُوا لِلْمَوْتِ، وَٱجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ، وَٱبْنُوا لِلْخَرَابِ»[1]، لأنَّ مُسدِي المَعْرُوف إذَا تَجَاهله أَعْلَن عَنْه المُسدِي إِلَيْهِ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ أَمَام النَّاس، وَهُم بِدَورهِم يَتحَدثُون، وَيَتَّخِذُون مِنْهُ مَثلاً يُحْتَذىٰ[2].

---

(١) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (١٣١).

(٢) جَاء فِي الحَدِيث الشَّرِيف: «ٱسْتَعِينُوا عَلىٰ حَاجَاتكُم بِالكِتْمَان، فَإنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَة مَحْسُود».

وَقَالَ خَالد بن صَفوَان: «لاَ تَطْلُبُوا الحوَائج فِي غَيْرِ حِينِهَا، وَلاَ تَطلُبُوها إلىٰ غَيرِ أَهْلها، وَلاَ تَطْلُبُوا مَالسْتُم لهُ بِأهلٍ فَتَكُونُوا لِلمَنع خُلَقَاء». أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ١٨/ ٢٥٨ و: ٢٣١/٢٠، بُغيَة الطَّالب: ٣٠٥٩/٧، تُحف العُقُول: ٤٨، مَجْمَع الزَّوَائِد: ١٩٥/٨، المُعْجَم الكَبِير: ٩٤/٢٠، مُسْنَد الشِّهاب: ٤١١/١ ح ٧٠٧ و ٧٠٨، مُسْنَد الشَّامِيين: ٢٢٩/١، نُزهَة النَّاظر وَتَنبِيه الخَاطر: ١١ ح ٧، الجَامِع الصَّغِير: ١٥٠/١ ح ٩٨٥، كَنز العُمَّال: ٥١٧/٦ ح ١٦٨٠٠، فَيض القَدِير: ٦٢٩/١ و: ٢٦٠/٤، كَشف الخَفَاء: ١٢٣/١ ح ٣٤٢ و: ١٢١/٢ ح ١٩٧٤، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٤٠٤/٣، مِيزَان الإِعْتِدَال: ١٤١/٢، لِسَان المِيزَان: ٣١/٣.

وَكَان يُقَال: لِكُلِّ شَي أُسُّ، وَأُسّ الحَاجة تَعْجِيلُ أَرْوَحُ مِن التَّأخِير.

وَقَالَ رَجُلٌ لِمُحَمَّد بن الحَنَفية: «جِئتُك فِي حُوَيجَة، قَالَ: فَاطلُب لَهَا رُجَيلاً!» أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة ←

١٠١ ـ وَ قَالَ ﷺ: «يَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُقَرَّبُ فِيهِ إِلَّا الْمَاحِلُ، وَ لَا يُظَرَّفُ فِيهِ إِلَّا الْفَاجِرُ، وَ لَا يُضَعَّفُ فِيهِ إِلَّا الْمُنْصِفُ. يَعُدُّونَ الصَّدَقَةَ فِيهِ غُرْماً، وَ صِلَةَ الرَّحِمِ مَنّاً، وَ الْعِبَادَةَ اسْتِطَالَةً عَلَىٰ النَّاسِ! فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ السُّلْطَانُ بِمَشُورَةِ النِّسَاءِ، وَ إِمَارَةِ الصِّبْيَانِ، وَ تَدْبِيرِ الْخِصْيَانِ!».

● أَخْبَرَ رَسُول الله ﷺ عَن الأَجْيَال الآتِيَة بِأفعَالِهَا وَأوصَافها، وَدَوَّن أَهْل الحَدِيث ذَلِكَ فِي كُتُبِهِم. وَمَن قَرَأَهَا لاَ يَجْد أي اَخْتِلاَف بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا يَجرِي فِي عَصرنا، وَمَا جَرَىٰ فِيمَا سَلف، وَمِمَّا أَخْبَرَ قَوْلَه: «يَأتِي عَلَىٰ النَّاس زَمَان وجُوههُم وجُوه الآدَمِيين، وَقُلُوبهُم قُلُوب الشَّيَاطِين كَأَمْثَال الذِّئَاب الضَّوَاري سَفَاكُون لِلدِّمَاء لاَ يَتنَاهُون عَن مُنْكَرٍ فَعْلُوه»[1]. وَكُلّ النَّاس يَعرفُون مَن هُمْ الَّذِين يَسْفكُون اليَوْم دِمَاء الأَبرِيَاء بِالأُلُوف، وَيُقِيمُون القَواعد العَسْكَرِية فِي البَحرِ والبَرّ وَالجو لِغَزو الشّعُوب المِسْتَضعَفَة وَتَدمِيرهَا وَتَشرِيد أَهْلهَا. وَالَّذي أَشَار إِلَيْهِ الإِمَام

⇐ لِابْن أَبِي الْحَدِيد: ٢٥٨/١٨، تَأرِيخ دِمشق: ٣٩٩/٢٦.

وَقَالَ شَبِيبُ بن شَبَّة بن عِقَال: «أَمرَان لاَ يَجْتَمِعَان إلاَّ وَجَب النُّجح، وَهُمَا العَاقل لاَ يَسأل إلاَّ مَا يَجُوز، والعَاقل لاَ يُردُّ سَائِلَه عَمَّا يُمكِن».

وَكَان يُقَال: «مَن اَسْتَعظَم حَاجَة أَخِيهِ إِليهِ بَعْد قَضَائها اَمتنَاناً بِهَا فَقَد اَسْتَصْغَر نَفْسَه».

وَقَالَ أَبُو تَمَّام فِي المَطْل:

وَكَـان المَـطْل فِي بَدْءٍ وَعَوْدٍ ... دُخَـاناً لِـلصَّنِيعَة وَهِـي نَـارُ
نَسِـيبَ البُـخْل مُذ كَـانَا وإلاَّ ... يَكُـنْ نَسَبٌ فَـبِينَهُمَا جِـوارُ
لِـذَلِكَ قِـيل: بَـعْضُ المَنْع أَدْنَىٰ ... إِلَىٰ جُودٍ، وَبَعضُ الجُـودِ عَـارُ

أُنظر، الدِّيوَان: ١٥٩/٢، بِشَرح التَّبرِيزِي، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبِي الحَدِيد: ٢٥٩/١٨.

(١) أُنظر، كَنز العُمَّال: ١٩٠/١١ ح ٣١١٧٥، تَأرِيخ بَغدَاد: ٢٠٥/٣ بِرَقم «١٢٣٧»، جَامع الأَخْبَار: ٣٥٥، أَمَالي اَبن الشَّيخ: ٢٥٣، بِحَار الأَنْوَار: ٤٥٣/٢٢ ح ١١.

هُنا هُو غَيض مِن فَيض رَسُول الله ﷺ، قَالَ ٱبن أَبِي ٱلْحَدِيد: «هَذَا مِن بَاب الْإِخْبَار عَن الغِيُوب، وَهِي إِحْدىٰ آيَاته، والمُعْجزَات الْمُخْتَص بِهَا دُونَ الصَّحَابَة»(١). أي أَنَّ النَّبِيّ خَصَّه بِهَذا الْعِلْم دُونَ غَيْرِه.

(لَا يُقَرَّبُ فِيهِ إِلَّا الْمَاحِلُ) أي النَّمام النَّاكِر، فَلَهُ وَحده الدَّرجَات العُلىٰ فِي بِيئَةِ الضَّلال، والْفَسَاد (وَ لَا يُظَرَّفُ فِيهِ) لاَ يُعَد ظَرِيفاً لَطِيفاً (إِلَّا الْفَاجِرُ) وَهُو الخَلِيع الْفَاسِق (وَ لَا يُضَعَّفُ فِيهِ) أي يُهْجَر ويُهْمَل (إِلَّا الْمُنْصِفُ) القَائِل العَامِل بالْحَقّ والْعَدْل، وَفِي الحَدِيث النَّبوِّي: «الْمُؤْمِن فِيمَا بَيْنَهم مُسْتَضْعَف»(٢).

(يَعُدُّونَ الصَّدَقَةَ فِيهِ غُرْماً) ضَرِيبَة جَائِرَة (وَ صِلَةَ الرَّحِمِ مَنّاً) إِنْعَاماً يَمُنُون بِهِ عَلىٰ المَحرُوم، وَهُو حَقّ لهُ بِنَص الْقُرْآن الكَرِيم فِي الآيَة: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾(٣). (وَ الْعِبَادَةَ ٱسْتِطَالَةً عَلَىٰ النَّاسِ!)، يَمْنُون عَلىٰ النَّاس بِصَومِهم وَصَلاتِهم، وَالله يَقول: ﴿لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(٤).

(فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ السُّلْطَانُ بِمَشُورَةِ النِّسَاءِ) أي يُسَيطِرنَّ عَلىٰ الحَاكِمِين، وَيطْمَعْنَّ فِي إِدَارة البَلاَء، ويَشْفَعْنَّ بِالمجرِمِين، وَمَن يَهدِي إِليهُن النَّفِيس والثَّمِين. وَمَا قَاله الرَّسُول الأَعْظم ﷺ عَن الأَجْيَال مِن بَعْدهِ: «يَأْتِي عَلىٰ النَّاسِ زَمَانٌ آلِهَتم بطُونَهم آلهتهم، وَشَرفَهم متَاعَهم، وَقِبْلَتهم نسَاؤهُم، دِيْنَهم دَرَاهِمهُم ودَنَانِيرهُم،

(١) أنظر، شَرح نَهج ٱلْبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلْحَدِيد: ٢٦١/١٨.
(٢) أنظر، جَامع الأَخْبَار: ١٥٠، بحَار الأَنْوَار: ٤٥٣/٢٢، مُستدَرك الوَسَائِل: ٣٧٥/١١ ح ١٦.
(٣) ٱلْمَعَارِج: ٢٤ ـ ٢٥.
(٤) ٱلْحُجُرَاتِ: ١٧.

أُلئك شَرّ الخَلق لاَ خَلاَق لَهُم »[١]. (وَ إِمَارَةِ الصِّبْيَانِ) يُشِير إِلىٰ المـلُوك الَّـذِين يَعْهدُون بِالْإِمَارة مِن بَعْدِهِم إِلىٰ الْأَوْلاَد وَالْأَطْفَال (وَ تَـدْبِيرِ الْـخِصْيَانِ!) أَمْـثَال المُرتَزِقة وَأعـوَان الظَّـلَمَة فِي زَمَـاننا الَّـذِين يُـصْفقُون، وَيَهْـتفُون لِـلحَاكِـمِين، وَالمُتزَعمِين نِفَاقاً وَرِيَاءً.

١٠٢ ـ وَرُئِيَ عَلَيْهِ إِزَارٌ خَلَقٌ مَرْقُوعٌ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ عليه السلام:

«يَخْشَعُ لَهُ الْقَلْبُ، وَ تَذِلُّ بِهِ النَّفْسُ، وَ يَقْتَدِي بِهِ الْمُؤْمِنُونَ. إِنَّ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةَ عَدُوَّانِ مُتَفَاوِتَانِ، وَ سَبِيلَانِ مُخْتَلِفَانِ؛ فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَ تَوَلَّاهَا أَبْغَضَ الْآخِـرَةَ وَ عَادَاهَا، وَ هُمَا بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ، وَ مَاشٍ بَيْنَهُمَا؛ كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعُدَ مِنَ الْآخَرِ، وَ هُمَا بَعْدُ ضَرَّتَانِ!».

● (يَخْشَعُ لَهُ الْقَلْبُ، وَ تَذِلُّ بِـهِ النَّـفْسُ) الضَّـمِير فِي «لَـهُ» يَـعُود إِلىٰ الإِزَار المَرْقُوع. وَالسَّبق فِي آخِر ٱلْخُطْبَة السَّابِقَة، قَول الإِمَام: «وَاللهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّىٰ ٱسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا. وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ: أَلاَ تَـنْبِذُهَا عَـنْكَ؟ فَـقُلْتُ: ٱغْرُبْ عَنِّي، فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَىٰ»[٢]. تَكَلّمنَا عَن هَـذِهِ المِـدْرَعَة فِي شَرح ٱلْخُطْبَة المَذْكُورة بِعنُوان: «مِدْرَعَة الإِمَام تَنصُ عَلَيْهِ»، وَلَو تَساوىٰ النَّاس فِي العَيش مَا كَانَ لِلفَقْر وَالزُّهْد مِن مَوْضُوع وَلاَ مَعْنَىٰ، وَلَوجَب هَذِه الكَلِمَة وَمَـا رَادَفها مِن قَوَامِيس اللُّغَة، أَمَّا وَقَد وَجَد الْفَقْر فَلاَ بُدَّ وأَنْ تُلحِقه آثَاره وَلوَازمـه،

---

(١) أُنظر، الفِرْدَوْس بمأثُور الخِطَاب: ٥/٤٤٤ ح ٨٦٨٨، بحَار الأَنْوَار: ٧١/١٦٦ ح ٣١، مُستَدرك الوَسَائِل: ١١/٣٧٩ ح ٢٢.

(٢) أُنظر، شَرح ٱلْخُطْبَة: ١٦٠ فِقْرَة: «مِدْرَعَة الإِمَام تَنصُ عَلَيْهِ». (مِنْهُ رحمه الله).

ومِنْهَا حَسرَات المَحرُوم وَآلاَمه، وَتعاظم المُترَف وَطُغيَانه... وَالْإِمَام قَادِر عَلىٰ لبسَ الجَدِيد وَأَكل الطِّيبَات دُونَ أَنْ يُطغىٰ وَيتعَالىٰ، بَل يَسْتَحِيل فِي ذَلِكَ فِي حَقِّه، وَلكِنَّه، وَهُو الْإِمَام المَعْصُوم يُقدِّر نَفْسه بِضَعَفَة النَّاس كِيلا يُهيج بِالفَقِير فَيهلك، كَمَا قَالَ فِي ٱلْحِكْمَة هُنا: «يَخْشَعُ لَهُ الْقَلْبُ، وَتَذِلُّ بِهِ النَّفْسُ» تَقرِيع، وَتَوبِيخ لِمَن يَطْغِيه الْغِنَىٰ وَيبطِره.

(إِنَّ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةَ عَدُوَّانِ مُتَفَاوِتَانِ، وَ سَبِيلَانِ مُخْتَلِفَانِ). الْمُرَاد بِالدُّنْيَا هُنا دُنيَا الحَرَام كَالعَيش عَلىٰ حِسَاب الآخَرِين، والَّتي تُؤَدِّي إِلىٰ الحَرَام، كَالْكِبْرِيَاء وَالسَّيطَرَة بِغَير الحَق، أَمَّا دُنيَا الحَلاَل وَالعَيش بِكَدّ اليَمِين وَعَرَق الجَبِين فَهي خَيْرٌ مَحض، وَمِن الْآخِرَة فِي الصَّمِيم (فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَ تَوَلَّاهَا أَبْغَضَ الْآخِرَةَ وَ عَادَاهَا). وَكَلِمَة «تَوَلاَّهَا» تَدل بِوضُوح أَنَّه ٱنصَرف بِكُلِّه إِلىٰ الدُّنْيَا، وٱتخذهَا دِيناً وَمعبُوداً، ولَيْسَ مِن شَكٍّ أَنَّ مَن كَان هَذا شَأنه كَرِه الْآخِرَة وَالعَمَل لهَا.

(وَ هُمَا بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ) هَذَا دَلِيل آخر عَلىٰ أَنَّ الْمُرَاد بِالدُّنْيَا دُنيَا البَغي والْفَسَاد، والفُجور والضَّلال، وَلو كَان بَيْنَ الدُّنْيَا والْآخِرَة هَذا البُعد والتَّضاد ـ مِمَّا كَانَتْ الدُّنْيَا مَطِية وَوَسِيله لِلآخِرَة (وَ مَاشٍ بَيْنَهُمَا؛ كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعُدَ مِنَ الْآخَرِ) كُلّ مَا جَاوز الحَد ٱنقَلب إِلىٰ الضِّد، وَكُلّ مِن أَسرَف فِي المَادِيَّات ٱبتَعد عَن الرُّوحِيَّات، وَمَن قَرُب مِن الرَّذَائِل بَعُد عَن الفَضَائِل.

(وَ هُمَا بَعْدُ ضَرَّتَانِ) فِي بَعْض الحَالاَت، وَذَلِكَ بِأَنْ يَكُون عَمل الإِنْسَان كُلّه لِدُنيَاه، وَلاَ يُقدم شَيْئاً لآخِرَته، أَمَّا إِذَا عَمل لِهَذِه وَتِلك فَهُمَا شَقِيقتَان مُتحَابتَان لاَ ضَرَّتَان مُتبَاغضْتَان[1]. قَالَ رَسُول الله ﷺ: «لَيْسَ خَيْركم مَن تَرَك الدُّنْيَا لِلآخِرَة،

(١) قَد ذُكِر أَنَّ الحُكَمَاء وَالعَارِفِين فيهِ عَلىٰ قِسمين:

لِلدُّنيَا، وَلَكِنْ خَيْرُكُم مَن أَخَذَ مِن هَذِه لِهَذِه»(١).

١٠٣ - وَعَنْ نَوْفٍ الْبَكَالِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ذَاتَ لَيْلَةٍ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ فِرَاشِهِ، فَنَظَرَ فِي النُّجُومِ فَقَالَ لِي: يَا نَوْفُ، أَرَاقِدٌ أَنْتَ أَمْ رَامِقٌ؟ فَقُلْتُ: بَلْ رَامِقٌ؛ قَالَ:

يَا نَوْفُ، طُوبَىٰ لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا، الرَّاغِبِينَ فِي الآخِرَةِ، أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا

← مِنْهُم مَن آثَر لِبسَ الأَدنَىٰ عَلَىٰ الأَعلَىٰ، وَمِنْهُم مَن عَكَس الحَال، وَكَان أَمِيرُ المُؤْمِنِين مِن أَصْحَاب المَذهَب الأَوَّل، وَهُو شِعَار عِيسَىٰ بن مَرْيَم عليه السلام، كَان يَلْبَس الصُّوف، وَغَلِيظ الثِّيَاب، وَكَان رَسُول الله صلى الله عليه وآله يَلْبَس النَّوعِين جَمِيعاً، وَأكْثَر لِبسِه كَان الجَيِّد مِن الثِّيَابِ مِثل أَبرَاد اليَمن، وَمَا شَاكل ذَلِكَ، وَكَانَتْ مَلحفته مُورَّسَةً حَتَّىٰ إنَّها لِتردع عَلَىٰ جِلدِه كمَا جَاء فِي الحَدِيث. ورُئِيَ مُحَمَّد بن الحَنَفية عليه السلام وَاقِفاً بِعَرفَات عَلَىٰ بِرذَون أَصْفَر، وَعَلَيْهِ مُطرف خَزّ أَصْفَر، وَجَاء فَرْقَد السَّبَخِي إِلىٰ الحَسَن وَعَلَىٰ الحَسَن مُطرف خَزّ. فَجَعل يَنظُر إلَيهِ وَعَلَىٰ فَرْقَد ثِيَابُ صُوف. فقَالَ الحَسَن: مَا بَالُك تَنْظُر إليَّ وَعَليَّ ثِيَابُ أَهلِ الجَنَّة، وَعَليكَ ثِيَابُ أَهْل النَّار! إنَّ أَحدَكُم لِيَجعَل الزُّهْد فِي ثِيَابِهِ والكِبْرَ فِي صَدْرِه، فَلَهُو أَشدُّ عَجَباً بِصُوفه مِن صَاحب المُطْرَف.

وَقَالَ ابن السَّمَّاك لأَصْحَاب الصُّوف: إنْ كَان لِبَاسُكم هَذا موَافِقاً لِسرَائِركُم فَلَقد أَحْبَبتُم أنْ يَطَّلع النَّاسُ عَلَيهَا، وَلئِن كَان مُخَالفاً لَهَا لَقد هَلَكتُم.

وَكَان عُمر بن عَبد العَزِيز قَبل الخِلاَفَة يَلبس الثِّيَاب المُثَمَّنة جِداً، كَان يَقول: لَقَد خِفْتُ أنْ يَعْجز مَا قَسم الله لِي مِن الرِّزْق عَمَّا أُرِيده مِن الكُسوَة، وَمَا لَبِستُ ثَوباً جَدِيداً قَطّ إلاَّ وَخُيِّل لِي حِين يَرَاه النَّاس أنَّه سَمِلٌ أو بَالٍ. فَلمَّا وَلِيَ الخِلاَفَة تَرَك ذَلِكَ كُلَّه.

وَرَوىٰ سَعِيد بنُ سُوَيد؛ قَالَ: صَلَّىٰ بِنا عُمرُ بنُ عَبدالعَزِيز الجُمُعَة، ثُمَّ جَلَس وَعَلَيْهِ قَمِيص مَرقُوع الجَيْب مِن بَيْنَ يَديهِ وَمِن خَلْفَه. فَقَال لهُ رَجُل: إنَّ الله أَعْطَاك يَا أَمِير المُؤْمِنِين؛ فَلو لَبِستَ؛ فَنكَس مَلِيَّاً ثُمَّ رَفَع رَأسه فَقَال: إنَّ أَفْضَل القَصد مَا كَان عِند الجِدَة، وَأَفْضَل العَفْو مَا كَان عِند المَقْدرة. أنظر، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبِي الحَدِيد: ١٨/٢٦٣.

(١) الفِردَوْس بمأثُور الخِطَاب: ٣/٤٠٩ ح ٥٢٤٩، كَشف الخَفَاء: ٢/٢٢٠ ح ٢١٣٩، ذِكر أَخْبَار إصبهَان: ٢/١٩٧.

الْأَرْضَ بِسَاطاً، وَ تُرَابَهَا فِرَاشاً، وَ مَاءَهَا طِيباً، وَ الْقُرْآنَ شِعَاراً، وَ الدُّعَاءَ دِثَاراً، ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضاً عَلَىٰ مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ.

يَا نَوْفُ، إِنَّ دَاوُدَ عليه السلام قَامَ فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: إِنَّهَا لَسَاعَةٌ لَا يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَشَّاراً، أَوْ عَرِيفاً، أَوْ شُرْطِيّاً، أَوْ صَاحِبَ عَرْطَبَةٍ (وَ هِيَ الطُّنْبُورُ) أَوْ صَاحِبَ كَوْبَةٍ (وَ هِيَ الطَّبْلُ. وَ قَدْ قِيلَ أَيْضاً: إِنَّ الْعَرْطَبَةَ الطَّبْلُ، وَ الْكَوْبَةَ الطُّنْبُورُ).

● كَانَ نَوْف الْبَكَالِيّ مِن أَصْحَاب الْإِمَام وَشِيعَته وَالمقربِيْنَ إِلَيْهِ. وَقَالَ نَوْف هَذا: رَأَيتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِين عليه السلام ذَات لِيلَة، وَقَد خَرَج مِن فِرَاشِهِ، فَنَظر فِي النّجوم وَقَالَ: (طُوبَىٰ لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا، الرَّاغِبِينَ فِي الْآخِرَةِ... إلخ). وَهُم الَّذِين يَقْنعُون بِمَا تيَسَّر... لاَ يَردُّون موجُوداً، وَلاَ يَتكلفُون مَفْقُوداً، وَلاَ دَعَت الضَّرُورَة إِلىٰ النَّوم عَلىٰ الْأَرْض نَامُوا عَلَيْهَا غَيْر سَاخطِين وَلاَ حَاسدِين.

(وَ مَاءَهَا طِيباً) مِن الطَّيِّبَات لاَ مِن الطِّيب الَّذي كَان يُحبّه رَسُول الله صلى الله عليه وآله (وَ الْقُرْآنَ شِعَاراً) يَحْرِصُون عَلىٰ تِلاَوته وَالعَمل بِأحكَامه (وَ الدُّعَاءَ دِثَاراً) يُوَاظِبُون عَلىٰ الدُّعَاء خَوفاً وَطَمعاً. وَقِيل: الشِّعَار كِنَايَة عَن تِلاَوة الْقُرْآن سرّاً لأَنَّ أَصْل الشِّعَار مَا يَلي البَدَن مِن اللِّبَاس، وَالدِّثَار كِنَايَة عَن الدُّعَاء جَهْراً، لأَنَّه مَا ظَهر مِن الثِّياب (ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضاً عَلَىٰ مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ) وَمَا خَضْمُوها خَضْمَاً، وَالفَرق بَيْنَ القَرْض وَالخَضْم، أَنَّ القَرْض أَكل بِأَطْرَاف الْأَسْنَان، وَالخَضْم أَكل بِالفَم كُلّه، وَالْمَعْنَىٰ أَنَّ الزَّاهِدِين أَخذوا مِن الدُّنْيَا قُوت مَن لاَ يَمُوت.

(فِي مِثْلِ هَذِهِ السَّاعَةِ مِنَ اللَّيْلِ) أي بَعد نِصف اللَّيْل، كَمَا يَتبادر إِلىٰ الفَهم مِن

السِّباق، وَهِي سَاعة عُزْلة وَهدُوء وَتأمُّل، وَيَستَطِيع فِي هَذِه الوَضع أنْ يَتجه إِلىٰ خَالقه سُبْحَانَه، وَيدعُوه وَهُو سُبْحَانَه يَسْتَجِيب كمَا وَعَد فِي الآيَة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟﴾[1]. فَمتىٰ آستجَاب العَبد لِرَبّه وَأَطَاعه آستجَاب الرَّب لِعَبده وَأرضَاه. وَأشَار الإِمَام إِلىٰ هَذا الشَّرط بِقَوْلَه: (إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَشَّاراً، أَوْ عَرِيفاً، أَوْ شُرْطِيّاً، أَوْ صَاحِبَ عَرْطَبَةٍ). وَبِكَلمَة أنْ يَكُون مُطِيعاً لاَ عَاصِياً، أمَّا ذِكر العَشَّار وَمَا بَعده فَهُو مِن بَاب الإِشَارَة إِلىٰ الشَّيء بِبَعْض مَصَادِيقه وَأفرَاده، وَالعَشَّار الجَابِي، وَالعَرِيف: المُرَاقب. والشُّرطِي مَعرُوف، وَعَرْطَبَة فَسّرهَا الشَّرِيف الرَّضِيّ بِالطُّنْبُور، وهُو آلة مُوسِيقِية طَويلَة العُنق ذَات أوتَار. وَأظنهَا العُود.

١٠٤ - وَ قَالَ ﷺ: «إِنَّ اللهَ ٱفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ فَرَائِضَ، فَلَا تُضَيِّعُوهَا؛ وَ حَدَّ لَكُمْ حُدُوداً، فَلَا تَعْتَدُوهَا؛ وَ نَهَاكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ، فَلَا تَنْتَهِكُوهَا؛ وَ سَكَتَ لَكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ وَ لَمْ يَدَعْهَا نِسْيَاناً، فَلَا تَتَكَلَّفُوهَا».

● الله سُبْحَانَه عَادل وَحَكِيم، لاَ يُؤاخِذ أحداً مِن عِبَاده عَلىٰ فِعْلٍ، أو تَركٍ إِلَّا مَع الْقُدْرَة فِي العَبد، والْبَيَان مِنْهُ تَعَالىٰ أمراً أو نَهياً. هَذا هُو حُكم الْعَقْل، والعُقْلاَء، وَالكتَاب والسُّنَّة. قَالَ تَعَالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[2]. وَقَالَ نَبِي الرَّحْمَة: «رُفِع عَن أُمّتي تِسْعَة: «الخَطأ، وَالنِّسيَان، وَمَا أُكرِهُوا عَلَيْهِ، وَمَا لا يَعْلمُون، وَمَا لاَ يُطِيقُون، وَمَا آضطرُوا إِليهِ، وَالحَسَد، وَالطِّيَرة، وَالتَّفكِير فِي الوَسوَسَة فِي الخَلق

---

(١) ٱلبَقَرة: ١٨٦.

(٢) ٱلبَقَرة: ٢٨٦.

مَا لَم يَنطق بِشِفَه »[١]. وَقَالَ الإِمَام الصَّادق عليه السلام : «إِنَّ اللهَ آحتَج عَلىٰ النَّاس بِمَا آتَاهُم وَعَرَّفهُم [٢] ... وَقد آتَاهُم القُدْرَة ، وَعرَّفهُم مَا أَرَاد عَلىٰ لِسَان رُسله ، وَجَعَل لِمُرَاده مِنْهُم حَدّاً ، وَجَعَل عَلىٰ مَن آعتَدىٰ وَتعدىٰ ذَلِكَ الحَد حَدّاً »[٣].

وإِذْن لِمَاذَا الْبَحْث وَالسُّؤال عمَّا لاَ نُسْأَل عَنْهُ يَوْم الحِسَاب وَالْجَزَاء ، وَلاَ جَدوىٰ لنَا مِن بَحثِهِ فِي الحَيَاة الدُّنْيا ؟ كَالْبَحْث فِي حَقِيقَة المَلاَئِكَة ، وَشَجرَة آدَمَ ، وَلَون نَاقَة صَالِح وَلَبنها ، وَطُول سَفِينَة نُوح وَعَرضها . وَسَمِعتُ قَائِلاً يَقول : قَرأتُ فِي بَعْض الكُتب تَحدِيداً دَقِيقاً لِذِكر عَوج بن عَنق طُولاً وَعَرضاً[٤].

وَقول الإِمَام : (وَ سَكَتَ لَكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ وَ لَمْ يَدَعْهَا نِسْيَاناً ، فَلَا تَتَكَلَّفُوهَا) . رَدٌّ وَاضح وَصَرِيح عَلىٰ أَهْل القِيَاس الَّذِين يُلحقُون حُكْم غَيْر المَنصُوص عَلَيْهِ بِحُكم المَنصُوص لاَ لِشَيء إِلَّا لمَا يَخطر عَلىٰ قلُوبهُم مِن صُورة العِلة المُشتَركة بَيْنَ الاثْنَيْن .

---

(١) أُنظر ، الكَافِي : ٦٣/٢ ح ٢ ، تُحف العُقُول : ٥٠ ، مَن لاَ يَحضرُه الفَقِيه : ٣٦٥/١ ، وَسَائِل الشِّيعة : ٣٦٩/١٥ ح ١ ، مَجمَع الفَائِدة : ٦٠/٥ ، الإِخْتِصَاص لِلشَّيخ المُفِيد : ٣١ ، الخِصَال لِلشَّيخ الصَّدوق : ٤١٧/٢ ح ٩ ، التَّوحِيد لِلصَّدوق : ٣٥٣ ح ٢٤ .

(٢) أُنظر ، الكَافِي : ١٦٣/١ ح ١ ، التَّوحِيد لِلشَّيخ الصَّدوق : ٤١٠ ح ٢ و ٣ ، الإِعتِقَادَات لِلشَّيخ المُفِيد : ٣٧ ، الوَافِي : ٥٥١/١ ح ١ .

(٣) أُنظر ، الكَافِي : ٥٩/١ ح ٢ و : ١٧٦/٧ ح ٧ و ١٢ ، مَن لاَ يَحضره الفَقِيه : ٢٥/٤ ، التَّهذِيب : ٣/١٠ ح ٥ ، الوَسَائِل : ٣٠٩/١٨ ح ١ ، مسَالِك الأَفْهَام : ٣٩٨/١٤ ، المَحَاسِن : ٢٧٤/١ ح ٣٨٢ ، وَسَائِل الشِّيعة : ٣٠٩/١٨ ح ١ ، دَعَائم الإِسْلاَم : ٤٤٤/٢ ح ١٥٥٠ ، المُهَذب البَارع : ٢١٢/٥ .

(٤) قَد أَبْطل هَذِه الأُسطُورة غَيْر وَاحد مِن المُحقِّقِين والمُفَسرِين ، أُنظر ، المَنَار المُنِيف : ٧٦ ، قِصص الأَنْبِيَاء لِابْن كَثِير : ١٠٦/١ ، البِدَاية والنِّهاية : ١٢٩/١ ، سِير أَعْلاَم النُّبلاَء : ١٨٦/٨ و : ٤٧٥/١٠ ، الفَتاوىٰ الحَدِيثِية : ١٨٨ ، تَأرِيخ دِمشق : ١٦٠/٦١ ، فَتح القَدِير : ٢٧/٢ ، تَفْسِير اَبن كَثِير : ٤٠/٢ ، تَفسِير القُرطُبي : ١٢٦/٦ ، كَشف الخَفَاء : ٤١٣/٢ ، الفَائِق فِي غَرِيب الحَدِيث : ٢١٧/٢ ، تُحفَة الأَحْوَذي : ٣٦٠/٧ .

١٠٥ – وَ قَالَ ﷺ : «لَا يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ لِاسْتِصْلَاحِ دُنْيَاهُمْ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ» .

● وَأَوْضَح مِثَال لِهَذِه الحِكْمَة ، أو الحَقِيقَة المُسْلِمُون فِي هَذَا العَصر... تَركُوا الجِهَاد وَهُو مِن أَقْدَس وَاجِبَات الإِسْلاَم وَأهمهَا ، تَرَكُوه وَعَاشُوا عُزلاً مِن كُلّ سِلاَح يَرْهبُون بِهِ الذِّئَاب الضَّارِية وَالوحُوش الكَاسِرة الَّتِي تُحِيط بِهِم مِن كُل نَاحِية ، تَركُوا دِينهُم وَتَارِيخهم بِتَرك الجِهَاد واستَسلمُوا لِلتَّرف وَالكَسل ، وَالكَلاَم الفَارغ فَأضَاعوا بِلاَدهم ، وَوَأَدُوا حُرِّيَّتهُم وَكَرَامتهُم ! كَمَا قَالَ تَعَالىٰ فِي مُحْكَم كِتَابه العَزِيز : ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[1] . فَالرُّؤوس المُتْرَفَة المُفْسِدة هِي الدَّاء ، وَلاَ عِلاَج بِتَحْطِيمهَا ، أَو طَردهَا مِن القِيَادة ـ عَلىٰ الأَقل ـ .

١٠٦ – وَ قَالَ ﷺ : «رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ ، وَ عِلْمُهُ مَعَهُ لَا يَنْفَعُهُ» .

● لِهَذَا العَالِم الجَاهِل العَدِيد مِن الصّور وَالمظَاهر :
مِنْهَا : أَنْ يَحفظ كَلِمَات العُلَمَاء بِلا بَصِيرة .
وَمِنْهَا : أَنْ يَبْعث العِلْم فِي نَفْسِهِ الزَّهو وَالغُرُور .
وَمِنْهَا : أَنْ يَتَّخِذ مِن عِلمِهِ أَدَاة لِلصُّوصِيَّة ، وَهَذَا أَسوأ أَثَراً مِن الجَاهِلِ دُنيَاً وَآخِرَة .
وَمِنْهَا : أَنْ لاَ يَحتَرز مِن عِلمِهِ بِعَقْله ، وَمِثاله أَنْ يَسْتَطِيل بِعلمه عَلىٰ الأَكفَاء ، أو

(١) هُودٍ : ١١٧ .

يُشَارك عَالِماً فِي حَدِيثه وَيَتَغلب عَلَيْهِ بِالكَلاَم، أو يَسْبق إِلىٰ الجوَاب قَبل السُّؤال، غَيْره المَسْؤُول، وهُو يُجِيب عَنْهُ، أو يُنَاقش مُعَانِداً يَحْتَقرهُ وَيستَخِف بِهِ، أو يُحدّث بِالْعِلْم مَن لاَ يَفْهَمه، وَلاَ يُحبّ الإِصغَاء إِلَيْهِ، وَيَثقَل عَلىٰ نَفْسهِ أَنْ يَرىٰ الْعِلْم فِي غَيْرِهِ... وَنَحو ذَلِكَ.

١٠٧ ـ وَ قَالَ ﷺ: «لَقَدْ عُلِّقَ بِنِيَاطِ هَذَا الْإِنْسَانِ بَضْعَةٌ هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ: وَ ذَلِكَ الْقَلْبُ. وَ ذَلِكَ أَنَّ لَهُ مَوَادَّ مِنَ الْحِكْمَةِ وَ أَضْدَاداً مِنْ خِلَافِهَا؛ فَإِنْ سَنَحَ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ، وَ إِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ، وَ إِنْ مَلَكَهُ الْيَأْسُ قَتَلَهُ الْأَسَفُ، وَ إِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ، وَ إِنْ أَسْعَدَهُ الرِّضَىٰ نَسِيَ التَّحَفُّظَ، وَ إِنْ غَالَهُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحَذَرُ، وَ إِنِ اتَّسَعَ لَهُ الْأَمْرُ اسْتَلَبَتْهُ الْغِرَّةُ، وَ إِنْ أَفَادَ مَالاً أَطْغَاهُ الْغِنَىٰ، وَ إِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَهُ الْجَزَعُ، وَ إِنْ عَضَّتْهُ الْفَاقَةُ شَغَلَهُ الْبَلَاءُ، وَ إِنْ جَهَدَهُ الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ، وَ إِنْ أَفْرَطَ بِهِ الشِّبَعُ كَظَّتْهُ الْبِطْنَةُ. فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ، وَ كُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ».

العنَاصر الْعَقْلِيَة والعَاطفِيَة:

● لِكَي يَتَّضح المَقْصُود مِن كَلِمَات الإِمَام نُمهد بِهَذِه الإِشَارَة: أَنَّ فِي دَاخِل الإِنْسَان العَدِيد مِن العنَاصر وَالغَرَائِز، وَهِي بِمَجْمُوعها عَلىٰ قِسمين:

الأَوَّل: عَقْلِيَة فِكْرِيَة، وَتُسمىٰ بِالمَنْطِق الْعَقْلِي، وَعَن هَذَا المَنْطِق يَصدر الْعِلْم والمَعْرِفَة.

وَالقِسم الثَّانِي: عنَاصر قَلْبِيَة عَاطفِيَة، وَتُسمىٰ بِالمَنْطِق العَاطِفِي، وَعَنْهُ تَصْدُر

الشَّهْوَة، وَالمِيُول. وَكَثِيراً مَا يَقع الصّراع والتَّصَادم بَيْنَ المَنْطِقِين لإجتَاعهُما فِي جِسم وَنَفس وَاحِدَة. وَفِي الأَعم الأَغْلب تَنْتَصر العَاطِفَة عَلىٰ العَقْل، وَيُصَاب بِالشَّلل، وَيَتعَطل عَن التَّأثِير وَالعَمَل فِي الجِهَة الَّتِي غُلبَ فِيها عَلىٰ أَمرِهِ.

وَأَكْثَر أَفْعَال الإِنْسَان وَحَرَكَاته تَصدُر عَن العَاطِفَة لاَ عَن العَقْل، وَالَّذِين يَحْفظُون التَّوَازن بَيْنَ المَنْطقِين دُونَ أَنْ يَطغَىٰ أَحدهُما عَلىٰ الآخَر هُم أَقل مِن القَلِيل، لأَنَّ عَملِيَة التَّعادل هُنا عَسِيرة وَشَائِكة، وَلاَ يُلَقَّاها إِلّا ذُو حَظٍّ عَظِيم مِن الْعَقْل وَالصَّبْر.

وَنَحنُ مُكَلفُون بكَبح العَاطِفَة عَن الشَّرّ، والصَّبْر عِند المُصِيبَة، وَمَسؤولُون عَن مَعْصِيَة الله، والْعَقْل، وَمُعَاقَبُون عَلىٰ الإِندفَاع مَع الشَّهْوَة، وَحُبّ السِّيطَرة، وَعَلىٰ الجزَع الَّذي يَتجَاوز الحَدّ وَيَقُود إِلىٰ التَّهلُكة، وَكَلاَم الإِمَام هُنا يَخْتَص بِالمَنْطِق العَاطِفِي، وَأَشَار إِلىٰ بَعْض مَظَاهِره وَأفرَاده، وَإِنَّ الوَاحِد مِنْهَا قَد يَتولد مِنْهُ مَا هُو أَسوَأ أَثراً وَأَكْثَر ضَرَراً. قَالَ:

(لَقَدْ عُلِّقَ بِنِيَاطِ هَذَا الإِنْسَانِ بَضْعَةٌ هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ). النِّيَاط: عِرْق مُعَلَّق بِهِ القَلْب، والبَضْعَة ـ بِفَتح البَاء ـ القِطْعَة مِن اللَّحْم (وَ ذَلِكَ الْقَلْبُ. وَ ذَلِكَ أَنَّ لَهُ مَوَادَّ مِنَ الْحِكْمَةِ.. إلخ). لَيْسَ المُرَاد بِالحِكْمَة هُنا الْفَضَائِل كَالشَّجَاعَة والْجُود كَمَا فَهِم ٱبن أَبِي ٱلْحَدِيد وَتَابَعه ٱبن مِيثَم البحراني[1]... كَلاَّ، بَل المُرَاد ـ بِدلاَلَة السِّيَاق ـ الشّؤون العَاطِفِيَة كَالرَّجَاء، والغَضَب، وَالجزَع، وَمَا إِلىٰ ذَلِكَ مِمَّا أَشَار إِلَيْهِ الإِمَام وَكُلّ مَا يُقَابل الشّؤون الْعَقْلِيَة. وَأَطْلَق الإِمَام عَلَيْهَا كَلِمَة الحِكْمَة، لأَنَّ الله سُبْحَانَه

(١) أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلحَدِيد: ٢٧٢/١٨، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابن مِيثَم البحراني: ٢٩٥/٥.

مَا خَلقَها فِي القَلْب عَبَثاً ، بَل لحِكْمَةٍ بَالِغَة .

(فَإِنْ سَنَحَ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ) إنَّ توقع مَعْرُوفاً مِن مَخْلُوقٍ تَذلُّلٌ له ، وَتَضَرُّعٌ ، وَبَاعَه دِينه ، وَضَمِيره ، وَكَذَّب وَنَافق فِي الثَّناء عَلَيْهِ ، وَصَرَف مَسَاوءه إِلىٰ مَحَاسن ، فَجَعَل بَلاَدَته حُلماً ، وَجُبْنَه عقْلاً ، وَهَذيَه بَلاَغَة ! . والْمُؤْمِن الْعَاقِل فِي غِنىٰ عَن هَذِه الخِسَة وَالضِّعَة ، لأَنَّه يَتوَقع قَضَاء حوَائِجه بِالسَّعي وَالتَّعَاون الْمُتبَادَل مَع النَّاس ، وَبِالتَّوكل عَلىٰ الله مِنْهُ تَعَالىٰ (وَ إِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ) . الرَّجَاء يُولد الطَّمع ، والطَّمع يُولِد الحِرْص ، وَالحَرِيص دَائِم الْخَوْف ، والتَّعب ، يَخَاف عَلىٰ مَا فِي يَده ، وَيَكدَح لَيل نَهَار طَلَباً لِلمَزِيد .

(وَ إِنْ مَلَكَهُ الْيَأْسُ قَتَلَهُ الأَسَفُ) . أَسْرَف فِي الطَّمع وَتَجَاوز الحَدّ لِبلُوغ الأَمَل ، فَإِذَا خَسَر الصَّفْقَة ، وَمَلَكَهُ الْيَأْسُ قَتَلَتهُ الصَّدمَة بِعنْفِهَا وَشِدَتها . . . وَلَو اعتَدَل وَتَحَفَّظ مُنذ البِدَاية هَان عَلَيْهِ الأَمر ، وَبَقِيَت لهُ بَاقِية تُخَفف عَنْهُ (وَ إِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ) وَهُو لَهِيب الْغَضَب وَفُورَانه ، وَقَد وَصَف سُبْحَانَه بِهِ نَار جَهَنَّم فِي الآيَة الْكَرِيمَة : ﴿إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ كَبِيرٍ﴾(١) . والْغَيْظ مِفْتَاح كُل شَرّ إِلَّا مَن جَاهَدَه بِعَقْلٍ كَبِير : وَكَتَمَه بِصَبرٍ وَجَلد . . . وَلاَ شَيء أَحْلىٰ وَأَجدىٰ عَاقِبَةً مِن تَجَرع الْغَيْظ وَكِتْمَانه .

(وَ إِنْ أَسْعَدَهُ الرِّضَىٰ) وَنَالَ مِن الدُّنْيَا مَا أَرَاد (نَسِيَ التَّحَفُّظَ) وَأَطْلَق العِنَان

---

(١) ٱلْمُلْك : ٨ ـ ١٠ .

لشهَوَاتهِ وَأَهوَائه، وَذَهَل مِن العوَاقِب والمُفَاجآت (وَإِنْ غَالَهُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحَذَرُ) إِذَا خَاف حَذَر مِن كُلِّ شَيء حَتَّىٰ مِن خَيَالِهِ، وَهَذا هُو الجُنُون والدَّاء القَاتِل، لأَنَّه يَبعَث عَلىٰ الجمُود وَالعُزلَة، وَيَمنَع عَن الحرَكَةِ والعِلْم. وَالحَذَر المَحْمُود هُو المُحرك عَلىٰ الكِفَاح النَّافع الوَاقِي (وَإِنِ اتَّسَعَ لَهُ الأَمْرُ اسْتَلَبَتْهُ الْغِرَّةُ) الْغِرَّةُ أي الغَفْلَة. وَالْمَعْنَىٰ إِذَا أَمِن عَلىٰ نَفْسهِ وَمَالِهِ اطمَأَن كُلّ الإِطمِئنَان، وَذَهَل عَن المُفَاجآت وَالمُخبآت، فَهُو أَبَداً وَدَائِماً مُسرِف وَمُفرِط، إِنْ خَاف كَانَتْ حَيَاته كُلّها حَذَراً فِي حَذَر، وَإِنْ أَمِن كَانَتْ جَمِيع أَيَّامه غَفْلَة وَذهُولاً... وَالْعَاقِل يَحذَّر عِند الخَوف، وَلكِنْ لاَ عَلىٰ حِسَاب مَا يَمْلُك مِن طَاقَات، وَمَا يَسْتَطِيعه مِن عَمَل، وَأَيضاً تَرْتَاح نَفْسه عِند الأَمن، وَمَع هَذِه الرَّاحَة يَحْتَرِس مِن العَوَاقِب وَيَحذَّر.

(وَإِنْ أَفَادَ مَالاً أَطْغَاهُ الْغِنَىٰ) وَأَخَذَته العِزَّة بِالإِثم بَدَلاً مِن التَّوَاضع والشُّكْر لله عَلىٰ إِنْعَامه وَتَفَضُّله (وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَهُ الْجَزَعُ) الَّذي لاَ يُجْدِيه نَفْعاً، بَل يُزِيد النَّار تَأَجُجاً، يُحَوِّل أَجْر المُصِيبَة إِلىٰ إِثمٍ وَوِزرٍ (وَإِنْ عَضَّتْهُ الْفَاقَةُ شَغَلَهُ الْبَلاَءُ) إِنْ افتَقَر سَيطَر عَلَيْهِ الحُزْن، وَصَرفَه عَن السَّعي وَالتَّفكِير فِي طَرِيق الخَلاَص، وَحَكَم عَلىٰ نَفْسه بِالْمَوْتِ، وَهَو يَعِيش بَيْنَ الأَحيَاء (وَإِنْ جَهَدَهُ الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ) كَمَا هُو شَأن مَن ضُرِبت عَلَيْهِ الذِّلة والمَسْكَنَة، أَمَّا البَطل فَيَثُور وَيَخلق القُوَّة مِن الضَّعف، وَيُجَاهد بِكُلِّ كِيَانه حتَّىٰ المَوْت، أو التَّحرُّر مِن الذُّل والبُؤس... واشْتَهر عَن الصَّحَابِي الجَلِيل أَبِي ذَرٍّ قَوْلَه: «عَجِبْتُ لِمَن لهُ عِيَال، وَلَيْسَ لَهُ مَال لاَ يَخْرُج عَلىٰ النَّاس بِسَيْفِهِ!»[1].

---

(١) أنظر، بحار الأنوار: ٧٠/٢٤٧.

(وَ إِنْ أَفْرَطَ بِهِ الشِّبَعُ كَظَّتْهُ الْبِطْنَةُ). كَظَّتْهُ: آلَمَتْهُ، وَالْبِطْنَةُ: الْتُّخْمَة. وَهِـي دَاء الجِسم والرّوح، وَمَن كَانَ أَسِيرَاً لِبَطْنَه أُلْحِقَ بِالحَيَوَان (فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ، وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ). التَّوَازن وَالتَّعادل حَسَنٌ فِي كُلِّ شَيء حتَّىٰ بَيْنَ المُيُول، وَالغَرَائِز، فَإِنْ بَغَت إِحداهُما عَلَىٰ الأُخرىٰ أَضرَّت وَأَفْسَدَت.

١٠٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «نَحْنُ النُّمْرُقَةُ الْوُسْطَىٰ، بِهَا يَلْحَقُ التَّالِي، وَ إِلَـيْهَا يَـرْجِعُ الْغَالِي».

● وَنَدَع الكَلاَم هُنا لِلشَّيخ مُحَمَّد عَبْدَه وَحده الَّـذي قَـالَ بِـإِيجَاز، وإِعـجَاز: «النُّمْرُقَةُ ـ بِضَم فَسكُون فَضَم فَفَتح ـ الوِسَادَة، وَآل الْبَيْت أَشْبَه بِها لِلْإِستنَاد إِليهم فِي أُمور الدِّين، كَمَا يُسنَد لرَّاحَة الظَّهر وَاطمِئنَان الأَعضَاء، وَوَصـفهَا بِـالْوُسْطَىٰ لإِتصَال سَائِر النَّمارِق بِها، فَكَأَنَّ الكُلّ يَعْتَمد عَلَيْهَا، إِمَّا مُبَاشَرَة، وإِمَّا بوَاسطَة مَا بِجَانبهِ، وَآل البَيْت عَلَىٰ الصِّراط الوَسط الْعَدْل، يَلْحَقُ بِهِمْ مَن قَصَّر، وَيَرجِع إِلَيْهِم مَن غَلا وَتَجَاوز»[1].

وَكُلّ شَرح دُونَ هَذا الشَّرح فضُول، وَكُلّ عَطف عَلَيْهِ نَافِلَة[2].

---

(١) أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِمُحَمَّد عَبْدَه: ٤/٢٦، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلحَدِيد: ١٨/٢٧٣، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابن مِيثَم البَحرَاني: ٥/٢٩٧.

(٢) وَعَن أَبَان بن عَمرُو بن خَالد عَن أَبِي جَعفر عليه السلام قَالَ: «يَامَعْشَر الشِّيعَة! ـ شِيعَة آل مُحَمَّد ـ كُونُوا النُّمرقَة الوُسطىٰ، يَرجِع إِليكُم الغَالِي، وَيَلحَق بِكُم التَّالِي، فَقَال لهُ رَجُل مِن الأَنْصَار (يُقَال لهُ سَعد) جُعلتُ فِدَاكَ مَا الغَالِي؟ قَالَ: قَوم يَقُولُون فِينَا مَا لاَ نَقُوله فِي أَنفسنا، فَلَيْس أُولَئِكَ مِنا، وَلَسنَا مِنْهُم، قَالَ: فَمَا التَّالِي؟ قَالَ: المُرتَاد يُرِيد الخَير، يُبْلِغه الخَير يُؤجر عَلَيْهِ، ثُمَّ أَقبلَ عَلينَا فَقَال: واللهِ مَا مَعْنَا مِن اللهِ بَرَاءة، وَلاَ بَيْنَنا، وَبَيْنَ ↔

١٠٩ – وَ قَالَ عليه السلام : «لَا يُقِيمُ أَمْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ إِلَّا مَنْ لَا يُصَانِعُ ، وَ لَا يُضَارِعُ ، وَ لَا يَتَّبِعُ الْمَطَامِعَ » .

● لاَ يُقِيم أَمر الله أي لاَ يَتولىٰ الحُكم عَلىٰ النَّاس ، وَأَضَافه الإِمَام إِلىٰ الله سُبْحَانَه ، لأَنَّه مِن المصَالح العَامَّة وَأَهمهَا . وَلاَ يُصَانِعُ : لاَ يُدَارِي . وَلاَ يُضَارِعُ : لاَ يَشْبَه المُبطِلِين فِي شَيء مِن أَحْكَامه ، وَأَعْمَاله . وَقِيل : مَعْنَىٰ لاَ يُضَارِعُ لاَ يَخْضَع وَيَضْرَعُ . وَمَهمَا يَكُن فَإِنَّ الغَايَة مِن حُكم الحَاكِم إِقَامة الحَق والْعَدْل ، والعَمَل لِسَعادَة المَحكُومِين ، فَإِذَا اتبَع أَهْوَاءه فِي حُكْمَه ، أَو أَهْوَاء الطَّامعِين ـ عَمَّ الْفَسَاد ، والبَغي ، وَانتَقَض الغَرَض مِن وجُود الحُكم والحَاكِم ، قَالَ سُبْحَانَه : ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾[1] . وَهَكذا تَأْتِي حِكَم الإِمَام عَامِرَة بِمَعَانِي الوَحي والْقُرْآن الكَرِيم .

١١٠ – وَ قَالَ عليه السلام : وَ قَدْ تُوُفِّيَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ الْأَنْصَارِيُّ بِالْكُوفَةِ بَعْدَ مَرْجِعِهِ مَعَهُ مِنْ صِفِّينَ ، وَ كَانَ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهِ :
«لَوْ أَحَبَّنِي جَبَلٌ لَتَهَافَتَ » .

⟵ الله قَرَابة ، وَلاَ لَنا عَلىٰ الله حُجَّة ، وَلاَ نَتقَرب إِلىٰ الله ، فَمَن كَان مِنكُم مُطِيعاً للهِ تَنفعه وِلاَيتنَا ، وَمَن كَان مِنكُم عَاصِياً للهِ ، لَمْ تَنفعه وِلاَيتنَا ، وَيْحَكُم لاَ تَغتَرّوا ، وَيْحَكُم لاَ تَغتَرّوا» . أنظر ، الأُصول مِن الكَافِي : ٢/٣٩١ ، نَهج البَلاَغَة : ٤/٢٦ ، الوَسَائِل : ١/٥٨ و : ١١/١٨٥ ، مُستَدرك الوَسَائِل : ١١/٢٥٧ ، شَرح الأَخبَار لِلقَاضِي النُّعمان المَغربِيّ : ٣/٥٠٢ ، تُحف العُقُول لابن شُعْبَة الحَرَاني : ١١٦ ، خَصَائِص الأَئِمَّة لِلشَّرِيف الرَّضِيّ : ٩٨ ، إِعْلاَم الوَرىٰ لِلطَّبرسيّ : ١ ، مشكَاة الأَنْوَار : ٦٠ ، مَجْمَع البَحرين : ٣/٣٢٧ .

(١) المُؤمِنُونَ : ٧١ .

● قَالَ الشَّرِيف الرَّضِيُّ:

وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّ المِحْنَةَ تَغْلُظُ عَلَيْهِ، فَتُسْرِعُ ٱلْمَصَائِبُ إِلَيْهِ، وَلاَ يُفْعَلُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالأَتْقِيَاءِ الأَبْرَارِ، وَٱلْمُصْطَفِينَ الأَخْيَارِ.

تَهَافَتَ: تَسَاقَط وَتَصَدَع. قَالَ الشَّرِيف الرَّضِيّ: تُوُفِّيَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ الأَنْصَارِيُّ بِالْكُوفَةِ بَعْدَ مَرْجِعِهِ مَعَهُ مِنْ صِفِّينَ، وَكَانَ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهِ(١)، فَقَالَ: (لَوْ أَحَبَّنِي جَبَلٌ لَتَهَافَتَ). ثُمَّ قَالَ الرَّضِيّ: وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِه:

١١١ ـ «مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَسْتَعِدَّ لِلْفَقْرِ جِلْبَاباً». وَقَدْ يُؤَوَّلُ ذَلِكَ عَلَىٰ مَعْنَىٰ آخَرَ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ.

● يُرِيد الإِمَام مِن هَذِه الجُمْلَة وَالَّتِي قَبْلَهَا أَنَّ مَنْ أَحَبَّ أَهْل الْبَيْت تَرَاكَمت

---

(١) سَهْل بن الحُنَيف الأَنْصَاري هُو أَخُو عُثْمَانَ بن حُنَيْف الَّذي كَان وَالِياً لِلإِمَام عَلَىٰ الْبَصْرَة حِين غَزاهَا أَصْحَاب الجَمَل، ونكَّلوا بِه، ومَثَّلوا، وسَبَق الكَلاَم عَن ذَلِكَ، وكَانَ سَهل مِن أَجلّ الصَّحَابَة المقربين، قَالَ ابن حَجر العَسْقلاَني فِي كِتَاب «الإِصَابَة» «كَان سَهل مِن السَّابقِين، شَهد بَدْراً، وثَبت يَوْم أُحد حِين انْكشف النَّاس ـ أي انْهزمُوا عَن رَسُول الله ـ وبَايَعَ يَوْمَئِذٍ عَلَىٰ المَوْت، ومَات بِالكُوفَة. وصَلَّىٰ عَلَيْهِ عَلِيّ بن أَبِي طَالب».

أنظر، الإِصَابَة: ٢/٨٦ و: ٣/١٦٦ رَقم «٣٥٤٠»، الإِسْتِيعَاب: ٢/٩١ و ٦٦٢، أُسد الغَابَة: ٢/٣٦٥، تَهذِيب الكَمَال: ١٢/١٨٥، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٣/٤٧١ و: ٦/١٥، طَبقَات خَلِيفَة: ٨٥ و ١٣٥، صَحِيح ابن حبَّان: ١/١٨٠، تَارِيخ المَدِينة: ٢/٤٩٠، سُبل الهُدىٰ والرَّشاد: ٤/١٩٨، تهذِيب التَّهذِيب: ٤/٢٢٠ ح ٤٣٩، تُحف العُقُول: ٣٤٤، سُبل السَّلام: ٢/١٠٣، كشَف القِناع: ٢/١٣٩، المحلىٰ: ٥/١٢٦، كتَاب الأُمّ: ١/٣٢٣ و: ٧/١٧٨، المُغني: ٢/٣٩٣، الشَّرح الكَبِير: ٢/٣٤٩، تَهذِيب الأَحْكَام: ٣/٣١٥ ح ٩٧٧، المُعتبر للعلاَّمة الحلي: ٢/٣٥٧، أسد الغَابَة: ٢/٣٦٤، سير أَعْلاَم النُّبلاء: ٢/٣٢٥، الكَافِي: ٣/١٨٦ ح ٢، التَّهذِيب: ٣/٣٢٥ ح ١٠١١، فِقه الرِّضا: ١٨٨، الإِسْتبصَار: ١/٤٨٤ ح ١٨٧٦، المُقنعة للشَّيخ المُفيد: ٢٣.

عَلَيْهِ الْمَصَائِب، وَسَكَتَ عَن بَيَان السَّبب لِوضُوحه، وَهُو أَنَّ الوَلاَء لأَهل الـبَيْت ولاَء لله والحَقّ، إذْ لاَ شَيء عِنْدَهُم إلاَّ العِلْم، والإِيمَان، والإِخْلاَص وَالجِهَاد فِي حَرْب البَاطِل وَأَهْله، وَمَن سَلَكَ هَذِه السَّبِيل تَظَاهرت عَلَيْهِ قِوىٰ الشَّرّ والبَاطِل وَعَلىٰ الَّذِين يَتْبعُونه بِإحسَان وَأَعدَت لهُ وَلَهُم كُلّ مَا تَسْتَطِيعه مِن قوَّة، وَالأَمْثِلة عَلىٰ ذَلِكَ مِن كُلِّ عَصْر وَقُطر لاَ تُحصىٰ كَثرَة، وَتَكْفِي الإِشَارَة إلىٰ بَعْض مَا لاَقَاه خَاتم النَّبِيين ﷺ، فَقَد حُوصِر فِي الشِّعب أَمَداً غَيْر قَصِير، واَضْطرَ بَعد رِجُوعه مِن الطَّائِف أنْ يَدخُل مَكَّة فِي جوَار كَافر، وَهُو مُطْعِم بن عَدي[1]، ثُمَّ خَرج مِنْهَا خَائِفاً يَترَقَب.

وَاَشْتهر عَن الإِمَام قَوْلَه: «مَا تَرَكَ الحَقّ لِي صَاحِباً»[2] وإذَا عَاش مَن عَاش بِلا أَعْدَاء فاَعْلَم بِأَنَّه مَغْمُور، أو إمَّعَة، مُنعَزل لاَ يُساهِم فِي شَيء مِن حَيَاة المُجْتَمع

---

(١) هُو مُطعم بن عَدي بن نُوفل بن عَبد مُناف النَوفَلي، وَكَان رَئِيس بَني نُوفل وَقَائدهم فِي حَرْب الفُجَّار، كَانَ لهُ عِند رَسُول الله ﷺ يَد، وَهِي إنَّه كَان أَجَار رَسُول الله ﷺ لَمَّا قَدِم مِن الطَّائِف حِين دَعَا ثَقِيف إلىٰ الإسْلاَم، وَنَزل بِقُرب (حَرَّاء) فَبعث إلىٰ بَعْض خُلفَاء قُرَيْش لِيُجِيرُوه فِي دخُول مَكَّة، فَامْتنعُوا، فَبعث إلىٰ (المُطعم بن عَدي) بِذَلِكَ، فَتَسلَح المُطعم وَأَهْل بَيْتَه، وَخَرج بِهِم حَتَّىٰ أَتوا المَسْجِد، فَأرسل مَن يَدعو النَّبي ﷺ لِلدُّول، فَدَخل مَكَّة وَطَاف بِالبَيْت وَصَلَّىٰ عِنده، ثُمَّ إنصَرف إلىٰ مَنزِله آمِناً. وَهُو الَّذي أَجَار سَعد بن عَباده، وَقَد دَخل مَكَّة مُعْتَمِراً. وَقَد قَالَ رَسُول الله فِي المُطعم بن عَدي حَيّاً، ثُمَّ كَلمني فِي هَؤُلاَء النَّتنىٰ - يَعني أُسارىٰ بَدر - لتَركتهُم لهُ). وَكَان المُطعم بن عَدي هُو الَّذي نَقض الصَّحِيفة الَّتي كَتَبتهَا قُرَيْش عَلىٰ بَني هَاشم، وَبني المُطلب، وَقَد مَات المُطعم بن عَدي قَبل بَدر بِنَحو سَبْعَة أَشهر.

أنظر، أُسد الغَابَة: ١/٢٧١، مَنَاقِب آل أَبِي طَالب: ١/١٥٠، الكَامِل لاِبْن الأَثِير: ٢/٢٥، مَناقب أَهْل البَيْت: ٥٧، نَسب قُرَيْش: ١٩٨ و ٢٠٠ و ٤٣١، السِّيرَة النَّبَويَّة لاِبْن هُشَام: ٢/١٥ و ١٩ و ٢٠، إمْتَاع الأَسْمَاع: ١/٢٦ و ٢٨، فَتح البَاري: ٧/٢٤٩، المُحَبَّر: ١٦٥.

(٢) أَنظر، الطَّبقَات الكُبْرَىٰ: ٤/٢٣٦، الدُّر المَنْثُور: ٢/٢٩٣.

وَيُمَارِسهَا بِحُلْوهَا وَمُرِّهَا[1].

(١) قد ثبت أَنَّ النَّبِيّ ﷺ، قَالَ لهُ ـ لِلإِمَام عَلِيّ: «يَا عَلِيُّ، لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ».

أنظر، سُنن التِّرمِذي: ٥/ ٦٠١، ح ٣٨١٩، و: ٨/ ١١٦ كِتَاب الإِيمَان بَاب المنَاقب ح ٣٧٣٦ بِإختلاف يَسِير فِي اللَّفظ، خصَائِص النَّسائي: ٨٣ ح ٩٥ و٩٦، وَفَرَائِد السِّمطِين: ١/ ١٣٣ ح٩٥، تَأرِيخ دِمشق لِابن عسَاكر: ٢/ ١٩٠ ح ٦٧٤ و١٩٢ ح ٦٧٩ و٢٠٢ ح ٦٩٣ و٢٠٣ ح ٦٩٤، صَحِيح مُسْلِم: ١/ ٨٦ ح ١٣١، كَنز الفوَائِد: ٢/ ٨٣ و ٨٤، بِشَارة المُصْطَفىٰ: ٦٤ و٧٦ و١٤٨، كِفَاية الطَّالب: ٦٨ و ٢٠ طَبْعَة الغَري، فَتح البَاري: ٧/ ٥٧، البحَار: ٣٩/ ٢٥٥ ح ٢٨ ـ ٣٠، مُسْنَد أَبِي يَعلىٰ المُوصلي: ١/ ٣٤٧، مُسْنَد أَحمد: ١/ ٩٥، و: ٦/ ٢٩٢، سُنن ابن مَاجه: ١/ ٤٢ ح ١١٤، سُنن النَّسائِي: ٨/ ١١٧، تَأرِيخ بَغداد: ٢/ ٢٥٥، و: ١٤/ ٤٢٦ الاِستِيعَاب: ٢/ ٣٧، مَناقب ابن شهرآشوب: ٣/ ٢٠٦.

وأُنظر، إرشَاد المُفيد: ٣٧ الفصل٣ من البَاب ٢ رقم ١، شَرح النَّهج لِلفَيض: ١٠٩٩ الحِكْمَة ٤٢، وَفِي صُبحي الصَّالح: ٤٧٧ من الحِكْمَة ٤٥، شَرح النَّهج لِابن أَبِي الحَدِيد: ١٨/ ١٧٣، و: ٤/ ٨٢، وَكَشف الغُمَة: ١/ ٥٢٦، المنَاقب لِابن المغَازلي: ٩٠ ح ٢٢٥ و٢٣٢، المَناقب لأَحْمَدبن حنبل: ٢/ ٥٣٦ ح ٩٤٨، الصَّوَاعِق المُحْرِقَة: ١٢٢ و٧٣ طَبْعَة الميمنية و: ١٢٠ طَبْعَة المُحَمَّدِية، ذَخَائِر العُقبىٰ: ٩١، الفضَائل لأَحْمَد: ٢/ ٦١٩ ح ١٠٥٩، حلية الأَوْلِيَاء: ٤/ ١٨٥، مشكَاة المَصَابِيح: ٣/ ١٧٢٢ ح ٦٠٩١، يَنَابِيع المَوَدَّة: ١/ ١٤٩ ومَابعدها،٢/ ٣٩٢ و١٨٠ طَبْعَة أُسوة و: ٤٧ و٤٨ و٢١٣ و٢٨٢ طَبْعَة إسلامبُول و٥٢ و٥٣ و٢٥٢ و٣٢٧ طَبْعَة الحيدرية، نُور الأَبْصَار: ٧٢ طَبعة العُثْمَانِية، و: ٧١ طَبعة السَّعِيدِية، تَذكرة الخواصّ: ٢٨، مطَالب السّؤول: ١/ ٤٨، نُظم دُرر السِّمطِين: ١٠٢، تَأرِيخ الخُلفاء: ١٧٠.

وأُنظر، إسعَاف الرَّاغِبِين بِهَامش نُور الأَبْصَار: ١٥٤ طَبعة السَّعِيدية و: ١٤٠ طَبعة العُثْمَانِية، أَنسَاب الأَشْرَاف: ٢/ ٩٧ ح ٢٠، مصَابِيح السُّنَّة: ٢/ ٢٧٥، الرِّيَاض النَّضرة: ٢/ ٢٨٤، كُنوز الحقَائق: ١٩٢ طَبعة بولاق و: ٢٠٣ طَبعة أُخرىٰ، جَامع الأُصول لِابن الأثِير: ٩/ ٤٧٣ ح ٦٤٨٨، مشكَاة المَصَابِيح: ٣/ ٢٤٢، كَنز العُمَّال: ١٥/ ١٠٥ ح ٣٠٠ الطَّبعة الثَّانِيَة، الغَدِير: ٣/ ١٨٢، إحقَاق الحَق: ٧/ ١٩٠، الشَّذرات الذَّهبية لِابن طُولُون: ٥٦، أسنىٰ المطَالب للجزري: ٥٤، نُزل الأَبرار: ٥٥، مُسْنَد الحميري: ٣١ ح ٥٨ طَبعة المَدِينَة المُنَوَّرَة، المُصَنَّف لِابن أَبِي شَيبة: ٢/ ٥٧، أُسد الغَابَة: ٣/ ٦٠٢ طَبعة بَيروت، مُعجم الشّيوخ: ٢٣٧ رواه محمّدبن أحمدبن جَمِيع الصّيداوي.

وَقد ثَبت أَنَّ النَّبِيّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ البَلوىٰ أَسْرَعُ إِلىٰ المُؤمِن مِن المَاءِ إِلىٰ الحُدُور».

١١٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «لَا مَالَ أَعْوَدُ مِنَ الْعَقْلِ، وَ لَا وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ، وَ لَا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ، وَ لَا كَرَمَ كَالتَّقْوَىٰ، وَ لَا قَرِينَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَ لَا مِيرَاثَ كَالْأَدَبِ، وَ لَا قَائِدَ كَالتَّوْفِيقِ، وَ لَا تِجَارَةَ كَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَ لَا رِبْحَ كَالثَّوَابِ، وَ لَا وَرَعَ كَالْوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ، وَ لَا زُهْدَ كَالزُّهْدِ فِي الْحَرَامِ، وَ لَا عِلْمَ كَالتَّفَكُّرِ، وَ لَا عِبَادَةَ كَأَدَاءِ الْفَرَائِضِ، وَ لَا إِيمَانَ كَالْحَيَاءِ وَ الصَّبْرِ، وَ لَا حَسَبَ كَالتَّوَاضُعِ، وَ لَا شَرَفَ كَالْعِلْمِ، وَ لَا عِزَّ كَالْحِلْمِ، وَ لَا مُظَاهَرَةَ أَوْثَقُ مِنَ الْمُشَاوَرَةِ».

● أَشَار الْإِمَام هُنا إِلىٰ طَرَف مِن مَجَامع الخَيْر وَطُرق النَّجَاح دُنيَاً وَآخِرَة وَهِي:

١ ـ (لَا مَالَ أَعْوَدُ مِنَ الْعَقْلِ) الْمُرَاد بِالمَالِ هُنا الوَسِيلَة الَّتي تُؤَدِّي بِالْإِنْسَان إِلىٰ غَايَتِه. وأَعْوَدُ: أَنْفَع... وَكُلّ ذِي لُبّ عَالِماً كَان أَمْ جَاهِلاً يَحس وَيلمس نِعْمَة الْعَقْل وَمَنَافِعه، يُحسهَا فِي طعَامِهِ وَشَرَابِـهِ، وَمَسْكَـنه وَمَـلبَسه، وَفِي كُـلّ خُـطوَة مِـن خُطوَاتِهِ... فَمَن أَعْطَانِي هَذَا الْقَلَم الَّذي أُسطِّر بِهِ، وَالقُرطَاس الَّذي أَكتُب عَلَيْهِ، وَالْكَلِمَات الَّتي أَصُوغهَا، وَمصبَاح الكَهْرَبَاء الَّتي أَتحَـرك فِي ضَـوئها... إِلىٰ مَـا لاَ نِهَايَة، أَمَّا أَثَر الْعَقْل فِي الصِّنَاعة فَقَد تَجَاوز الْأَرْض إِلىٰ القَمَر وَغَيْره مِن الكوَاكِب.

⇐ أُنظر، بِحَار الأَنْوَار: ٢٤٨/٦٤، تَفْسِير الميزان: ١٧/٥، شَرح النَّهج لِابْن أَبِي الحَدِيد: ١٧٥/١٨.

وَفِي حَدِيثٍ آخَر: «الْمُؤْمِن مُلَقًّ، وَالْكَافِر مُوَقًّ». أُنظر، شَرح النَّهج لِابْن أَبِي الحَدِيد: ١٨٩/٧ و: ٩٨/١٣ و ٢٧٥/١٨، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٥٥٢/٦ ح ٩٨٨٢، كَشف الخَفَاء: ٢٩٤/٢ ح ٢٦٨٨، المَصنُوع: ١٥٤/١ ح ٢٦٥.

وَفِي حَدِيثٍ آخَر: «خَيرُكُم عِند الله أَعْظمكُم مصَائِبَ فِي نَفْسِه وَمَالِه وَوَلدِه».

وَهَاتَان المُقدّمتَان يَلزَمهُما نَتِيجَة صَادِقَة، وَهِي أَنّه عليه السلام لَو أَحَبّه جَبَلٌ لتَهَافَت. وَلَعلَّ هَذا هُو مُرَادُ الرَّضِيّ بِقَوله: «وَقَدْ يُؤَوَّلُ ذَلِكَ عَلَىٰ مَعْنَىٰ آخَرَ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ».

وَبِالإِخْتِصَار لَولاَ الْعَقْل لَمْ يَكُن الإِنْسَان إِنْسَاناً، وَأَنَّىٰ ٱتَّجَه بِهِ أَتَاه بِالخوَارق وَالمُعْجزَات، فَأَي مَال وَأي شَيء فَضل الْعَقْل وَعَظمته إِذَا ٱستَعمل فِي رُشدِهِ، وَصَرف إِلىٰ الخَيْرِ لاَ إِلىٰ الشَّرّ، وَمن أَخْطأَه الْعَقْل ظَهرَت حَيوَانِيته، وَمن ٱنْحَرف بِهِ إِلىٰ الشَّرّ ظَهْرَت سِمُومه وَقسوَته.

٢ ـ(وَ لَا وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ) لأَنَّ النَّاس يَمْقتُون المُعْجَب بِنَفْسه، وَيَتبَاعدُون مِن قُرْبه، فَيَصْبَح وَحِيداً غَرِيباً. وَتَقَدَّم مِثْله فِي الحِكْمَة السَّابِقَة[1].

٣ ـ(وَ لَا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ) وَيَشمل هَذَا التَّدْبِير صِيَانَة المَال وَٱستثمَاره وَالرِّفق فِي الإِنْفَاق. وَقَالَ بَعْض الشّيوخ: وَمِن التَّدْبِير أَنْ يَترُك الشَّيخ النِّكَاح، لأَنَّه يُنْفِق جَوهَراً ثَمِيناً لاَ يَحْصَل عَلىٰ مِثْله أَبَداً.

٤ ـ(وَ لَا كَرَمَ كَالتَّقْوَىٰ) المُرَاد بِالكَرَم هُنا الإِكْرَام وَالكَرَامة ضِدّ الهوَان وَالإِهَانة، مِثْل قَوْلَه تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2]. وَتَقَدَّم الكَلاَم عَن التَّقْوَىٰ مَرَّات، مِنْهَا فِي ٱلخُطْبَة السَّابِقَة: «فِقْرَة التَّقْوَىٰ»[3].

٥ ـ(وَ لَا قَرِينَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ) المُرَاد بِهِ أَنْ يَكُون الإِنْسَان حَسَن السِّيرَة والمعَامَلة فِي عِلاَقَاته مَع النَّاس. وَلَيْسَ مِن الضَّرُوري أَنْ يَكُون عَالِماً أَو بَطلاً أَو مُخْتَرِعاً، وَالمُهم أَنْ لاَ يَخْشىٰ أَحد مِن شَرِّهِ وَغَدرِهِ. وَفِي ٱلحِكْمَة السَّابِقَة: «وَأَكْرَمَ الحَسَبِ حُسْنُ الخُلُقِ»[4].

---

(١) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٣٨). (مِنْهُ ﷺ).

(٢) ٱلحُجُرَات: ١٣.

(٣) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلخُطْبَة (١٩١). (مِنْهُ ﷺ).

(٤) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٣٨). (مِنْهُ ﷺ).

٦ ـ (وَ لَا مِيرَاثَ كَالْأَدَبِ) تَقَدَّم بِالحَرف فِي ٱلْحِكْمَة السَّابِقَة[١].

٧ ـ (وَ لَا قَائِدَ كَالتَّوْفِيقِ) وَهُو الهدَايَة وَالعنَايَة مِن الله الَّذي لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ وَمِنْهُ. وَأَنِّي أُؤمن بِالتَّجربَةِ وَالمُمَارسة أَنَّه لاَ شَيء عَلىٰ الْإِطـلَاق إلّا ولله وَفـيهِ تَدبِير، وَكُلمَا قَرَأتُ وَسَمعتُ فَلْسفَات تُنَاقض هَذِه الْحَقِّيقَة آزدَدتُ بِهَا إِيمَاناً كَإِيمَاني بوجُودي لاَ كَإِيمَان الَّذي سُدَّت فيهِ منَافذ الْعَقْل. وَأيضاً أُؤمن بِأنَّ هَـذا التَـوفِيق أَسبَاباً لاَ بُدَّ مِنْهَا، وَأَهمّها السَّعي وَحبّ الْخَيْر لِكُلِّ النَّاس بِلا آستثنَاء.

٨ ـ (وَ لَا تِجَارَةَ كَالْعَمَلِ الصَّالِحِ) وَهُو أنْ يَترُك أَثَراً يَنْتَفِعُ بِهِ الْإِنْسَان، وَهَـذِه هِي التِّجَارَة الرَّابِحَة النَّـاجِحَة دُنـيَاً وَآخِـرَة ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٢]. وَقَالَ نَبِي الرَّحْمَة ﷺ: «خَيَار النَّاس مِن أَنْفَع النَّاس لِلنَّاس»[٣].

٩ ـ (وَ لَا رِبْحَ كَالثَّوَابِ) مِن اللهِ تَعَالىٰ، وَهُو لاَ يُثِيب، وَلاَ يَغْفر كمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾[٤].

١٠ ـ (وَ لَا وَرَعَ كَالْوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ). وَكَثِير مِنْهُم يَقف وَيَتورع فِي الوضُوءِ، وَالطَّهارةِ، وَتَكبِيرَة الْإِحرَام، وَلاَ يَتورَع عَن التَّصرف فِي أَموَال الْفُقَرَاء، والْمَسَاكِين وَتَبذِيرهَا فِي شَهوَات نِسَائه وَأَبْنَائه، ثُمَّ يَترُك مَا تَـبقىٰ مِـيرَاثاً لِلابْـن، وَالزَّوْجَـةِ والصِّهر، والبِنْت.

---

(١) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٥٣). (مِنهُ ﷺ).

(٢) ٱلرَّعْدِ: ١٧.

(٣) أُنظر، فَيض القَدِير: ٤٦٦/٣، حليَة الأَوْلِيَاء: ٣٤٨/٦، سِير أَعْلَام النُّبلَاء: ١٢٤/١٤، لِسَـان المِيزَان: ٣٩٥/٣ ح ١٥٦٧، التَّدوِين فِي أَخْبَار قَزوِين: ٣٠٨/٢، كَشف الخَفَاء: ٤٥٧/١ ح ١٢٢٠.

(٤) سُورَة طٰه: ٨٢.

١١ ـ (وَلاَ زُهْدَ كَالزُّهْدِ فِي الْحَرَامِ) لأنَّ فِي تَرك القَادِر عَلَيْهِ طَاعَةَ للهِ وَرِضوَانِهِ، وَأَفْضَل مِن هَذَا عِند الله مَن تَرَك الرِّزْق الحَلاَل لِمَن هُو أَحوَج إِلَيْهِ مِنْهُ، أَمَّا الزُّهْد فِي الحَلاَل تَعُود عَلَىٰ المُعْوِزين فَهُو جَائِز شَرعَاً، وَلكنَّه أَشبَه بِالعَبثِ، والتَّعب بِلا جَدوىٰ.

١٢ ـ (وَلاَ عِلْمَ كَالتَّفَكُّرِ) والْعِلْم بِلا تَفْكِير أَكْثَر خَطرَاً مِن التَّفْكِير بِلا عِلم، وَأَيَّة جَدوىٰ مِن حِفظ المُتون وَمَا يَرد عَلَيْهَا مِن أَشْكَال.

وَالجَوَاب فِي الشّروح وَالحوَاشِي ؟ مَن حَفَظ الكَلاَم بِلا وَعيٍ ومَعْرِفَة بِفوَائِدهِ وَمَدىٰ أَثَرِهِ فِي الحَيَاة ؟ وَقَالَ قَائِل: إنَّ حِفظ الأَقوَال وَمَا يَرد مِن أَشْكَال يَرهِف الْعَقْل وَيُغذي المَلكَات. وَنَقُول فِي جوَابه: وَأَيَّة جَدوىٰ مِن الْعُقُول وَالمَلكَات إِذَا بَقِيت فِي عَالَم المُغَيَّبَات، وَلَم تُعَالج شَأنَاً مِن شُؤون الحَيَاة ؟... أَبداً لاَ شَيء يُطلَب لِذَاتِهِ حَتَّىٰ الإِيمَان بِاللهِ يَهدف إِلىٰ طَاعتِهِ والعَمَل بِمرضَاته. وَتَقدَّم مِثْله فِي ٱلحِكْمَة السَّابِقَة[1].

١٣ ـ (وَلاَ عِبَادَةَ كَأَدَاءِ الْفَرَائِضِ) إِذَا أَدّيتَ مَا عَلَيْكَ مِن وَاجِبَاتٍ فَأَنْتَ مِن أَسْعَدِ الخَلق وَأَعْبَدهُم، وَتَقَدَّم مِرَاراً قَوْلَه تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[2].

١٤ ـ (وَلاَ إِيمَانَ كَالْحَيَاءِ وَ الصَّبْرِ) الْحَيَاء مِمَّا لاَ يَقرَهُ عَقْل وَلاَ دِين خَيْرٌ وَفَضِيلَة، وإِذَا أَدىٰ الْحَيَاء إِلىٰ الحِرمَان مِن طَيِّبَات الآخِرَة أو الدُّنْيَا فَهُو ضَعْف وَجُبن. وَتَقَدَّم الكَلاَم عَنهُ فِي ٱلْحِكْمَة (٢٣) وَعَن الصَّبْر فِي ٱلْحِكْمَة (٥٨ و ٨٥).

---

(١) أنظر، نَهج ٱلْبَلاَغَة: ٱلْحِكْمَة (٩٣). (مِنْهُ ﷺ).

(٢) آلِ عِمْرَانَ: ١٨٥.

٥١ ـ(وَ لَا حَسَبَ كَالتَّوَاضُعِ) وَحدَّهُ فِي كَلمَات أَهْل الْبَيْت «أنْ يَعْرِف الْمَرْء قَدَر نَفْسه وَيُنزِلهَا مَنْزِلتهَا بِقَلْب سَلِيم ـأي بِلا تَصنُع ـوَلاَ يُحِبّ أنْ يَأتِي إلىٰ أحدٍ إلّا مِثل يُؤتىٰ إلَيْهِ ، إنْ رَأىٰ سَيِّئَة دَرَأها بِالحَسَنَةِ ، كَاظِم الغيظ ، عَاف عَن النَّاس ، وَالله يُحبّ المُحْسنِين »[1] . وَلاَ شَكَّ أنَّ مَن يُؤتَ هَذَا الخُلق فَقَد أُوتي خَيْراً كَثِيراً ، وآرتفع شَأنه عِند الله وَالنَّاس .

١٦ ـ(وَ لَا شَرَفَ كَالْعِلْمِ) النَّافِع ، وَلاَ خَيْرَ فِي عِـلمٍ لاَ يَـنْفَع ، وَالضَّـار جَـحِيم وَحَمِيم .

١٧ ـ(وَ لَا شَرَفَ كَالْعِلْمِ) عَنْ سَفيهٍ أو وَضِيع بَدَرت مِـنْهُ كَـلِمَة جَـارِحَة ، أو حَرَكَة نَابِية ، وَمَا إلىٰ ذَاكَ مِمَّا يَترَفَع الكَرِيم عَن أَقْذَاره . أمَّا السّكوت عَن الّـذِين يُفْسدُون فِي الْأَرْض فَهُو تَشجِيع وَإقرَار لِلفَسَاد ، وَالتَّشجِيع وَالْإِقرَار ضَرب مِـن العَمَل .

١٨ ـ(وَ لَا مُظَاهَرَةَ أَوْثَقُ مِنَ الْمُشَاوَرَةِ) تَقَدَّم مِثْله فِي ٱلْحِكْمَة (٥٤) .

١١٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «إِذَا ٱسْتَوْلَىٰ الصَّلَاحُ عَلَىٰ الزَّمَانِ وَ أَهْلِهِ ، ثُمَّ أَسَاءَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ لَمْ تَظْهَرْ مِنْهُ حَوْبَةٌ فَقَدْ ظَلَمَ ! وَ إِذَا ٱسْتَوْلَىٰ الْـفَسَادُ عَـلَىٰ الزَّمَـانِ وَ أَهْـلِهِ ، فَأَحْسَنَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ فَقَدْ غَرَّرَ !» .

● الْمُرَاد بِحُسن الظَّنّ هُنا الثِّقَة بِـالشَّخص وَالْإِعـتِمَاد عَـلىٰ صِـدْقِهِ فِي أَقْـوَاله وَعهُوده ، والْمُرَاد بِسُوء الظَّنّ مُجَرد التَّحفظ مِنْهُ وَالكَف عَن مُعَاملتهِ ، وَلاَ يَجُوز بِحَال

(١) أُنظر ، الكَافي : ١٢٤/٢ ح ١٣ ، وَسَائِل الشِّيعَة : ٢٧٤/١٥ ح ٦ ، بِحار الْأَنْوَار : ١٣٥/٧٢ ح ٣٦ ، مُسْنَد الْإِمَام الرِّضا : ٢٧٣/١ ، العِدد القَوِيَّة : ٣٠٠ .

الإِسَاءة إِلَيْهِ بِقَول أو فِعْل حَتّىٰ مَع التُّهمَة. وَالخِزيَة: فِعْل مَا يُخْزِي وَيُفْضح. وَغَرَّرَ بِنَفْسهِ عَرّضَها لِلخَطر، وَالْمَعْنىٰ إِذَا جَهِلتَ أَخْلاَق وَاحد مِن النَّاس، وَشَكَكتَ: هَل يَفِي بِالعهُود أو يَغْدُر؟ فَمِعْيَار الثِّقَة بِهِ أَنْ يَكُون فَرداً مِن مُجْتَمع صَالِح صَادِق فِيمَا يَقول وَيَفْعَل، وَمِعيَار التُّهمَة وَعَدم الرّكُون إِلَيْهِ أَنْ يَكُون مِن مُجْتَمعٍ فَاسد يَسُودَه الْغَدْر وَالنِّفَاق(١).

الأَنْبِيَاء وَتَطَور الْمُجْتَمَع:

وَقَد أَثْبَت عِلم الاِجْتِمَاع وَدِرَاسَة التَّأرِيخ أَنَّ الإِنْسَان ٱبن الْمُجْتَمَع الَّذي يَعِيش فيهِ، وَالظّرُوف الَّتي تُحِيط بِهِ، وأَنَّه يَتْغَير بِتَغَيره شَاء أَمْ أَبىٰ... حتّىٰ الجَمَاد يَتأَثر وَيَتبَدل بِتَبَدُّل البِيئَة، وَإِنَّ الفُولاَذ يَتحَول إِلىٰ بُخار إِذَا كَانَتْ البِيئَة مُلاَئِمَة. وَقَد أَدْرَك

---

(١) نَظَر رَسُول الله ﷺ إِلىٰ الكَعْبَة فَقَالَ: «مَرْحَباً بِكِ مِن بَيْتٍ! مَا أَعْظَمكِ، وَأَعْظَم حُرمَتكِ! وَالله إِنَّ الْمُؤْمِن أَعْظَم حُرْمَة مِنْكِ عِند الله عَزَّ وَجلَّ؛ لأَنَّ الله حَرَّم مِنْكِ وَاحِدَة، وَمِن الْمُؤْمِن ثَلاَثَة: دَمَهُ، وَمَالَهُ، وَأَنْ يَظنّ بِهِ ظَنّ السُّوء». أُنظر، الْمُعْجَم الكَبِير: ٣١/١١، مُسْنَد الشّامِيين: ٣٩٦/٢ ح ١٥٦٨، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلحَدِيد: ٢٧٨/١٨، مَوَارد الظّمآن: ٣٥٩، كَشف الخَفَاء: ٢٩٢/٢، تَفسِير ٱبن كَثِير: ٢٢٨/٤، الدُّر المنثُور: ١٣٢/١، الشِّفا بِتَعرِيف حقُوق الْمُصْطَفىٰ: ٩٣/٢، سُنَن ٱبن مَاجه: ١٢٩٧/٢ ح ٣٩٣٢، سُنَن التِّرمذي: ٢٥٥/٣ ح ٢١٠١، مَجْمَع الزَّوائِد: ٢٩٢/٣، تُحْفَة الأَحْوَذي: ١٥٣/٦.

قِيل لِعَالِمٍ: مَنْ أَسوَأُ النَّاس حَالاً؟ قَالَ: مَنْ لاَ يَثق بِأَحدٍ لِسُوء ظَنّه، وَلاَ يَثق بِهِ أَحد لِسُو فِعْله. أُنظر، مَعدن الجوَاهر: ٢٢، عُيُون الحِكَم والمَوَاعظ: ٢٩٥، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٥١٠/٣، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلحَدِيد: ٢٧٩/١٨.

وَقِيل لِصُوفِيّ: مَا صَنَاعتُك؟ قَالَ، حُسنُ الظَّنّ بِالله، وَسُوءُ الظَّنّ بِالنَّاسِ.

وَكَانَ يُقَال: مَا أَحْسَنَ حُسن الظَّنّ إِلاَّ أَنَّ فيهِ العَجز، وَمَا أَقْبَح سُوء الظَّنّ إِلاَّ أَنَّ فيهِ الحَزم. أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلحَدِيد: ٢٧٩/١٨ و: ٢٩٤/٢٠، البِدَاية والنِّهاية: ٢٠٥/١٣.

الأَنْبِيَاء، وَالرُّسل هَذِه الحَقِّيقَة بِوَحي مِن اللهِ سُبْحَانه. فَأرسَلَهُم بِشَرِيعة تَغيِّر الأَوْضَاع مِن جِذُورهَا، وَتَنْتَقل بِهِمْ إِلىٰ الوَضع الأَفْضَل وَالأَكمَل... وَحَول هَذا التَّعبِير وَالتَّطور كَان يَدُور النِّقَاش وَالجِدَال بَيْنَ الأَنْبِيَاء المُجَدِّدِين، وبَيْنَ المُـتْرَفِين المُحَافظِين، وَآيَات القُرْآن صَرِيحَة فِي ذَلِكَ، مِنْهَا قَوْلَه تَعَالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾(١).

١١٤ ـ وَقِيلَ لَهُ ﷺ: كَيْفَ نَجِدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ ﷺ:
«كَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ يَفْنَىٰ بِبَقَائِهِ، وَ يَسْقَمُ بِصِحَّتِهِ، وَ يُؤْتَىٰ مِنْ مَأْمَنِهِ!».

● لِكُلِّ حَادِث دَاعِيَة وَسَبَب، فَسَبب الغَدْر ـ مَثلاً ـ الثِّقَة وَالإِطمِئنَان. وَمَع التَّحفظ وَالحَذَر لاَ مَوْضُوع لِلغَدر، وَسَبب الخَيْبَة الأَمَل وَالطَّمَع، وَلاَ خَيْبَة بِلاَ أَمَل سَابق، وَسَبَب المَوْت الحَيَاة. وَقِيل لِبَعضهُم: لِمَاذَا مَات ـ أَخُـوك وَهُـو فِي زُهـرَة الشَّبَاب؟ قَالَ: لأَنَّه حَيٌّ (مَنْ يَفْنَىٰ بِبَقَائِهِ) أي بِحَيَاته. وَسَبب السُّقم الصِّحَة، وَهَل يَعْرض العَطَب لِغَير السَّلِيم؟. وَسَبَب الأَمن الخَوْف (وَ يُؤْتَىٰ مِنْ مَأْمَنِهِ!) أي مِن حَيْث لاَ يَحْتَسب أَنَّه يَمُوت فِي السَّاعَة الَّتِي مَات فِيهَا(٢).

---

(١) الزُّخرُف: ٢٤.
(٢) أنظر، قَوْل الشَّاعِر عَبدَة بن الطَّيِّب:

أَرَىٰ قَـدْ رَابَـنِي بَـعْد صِحَّةٍ ... وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا

١١٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَ مَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ، وَ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ! وَ مَا ٱبْتَلَىٰ اللهُ أَحَداً بِمِثْلِ الْإِمْلَاءِ لَهُ».

● أَكْثَر النَّاس أو الكَثِير مِنْهُم يَسْتَجِيبُون لِتَصُورَاتِهم وَأَوْهَامِهم، وَيَتعَامَلُون مَعَهَا كَحَقِّيقَة لاَ تَقْبَل الشَّكّ وَالرَّيب!. وَلاَ يَسْتَمعُون لوَاعِظٍ نَاصح، أو يَعْتَبِرُون بِحَادِثة مِن الحوَادِث، فَإِذَا كَذَب فِي مَدْحِهم مُنَافِق، قَالُوا: هَذا وَحيّ السَّماء، وإِذَا مَلكُوا شَيْئاً مِن الْحُطَام قَالُوا: هُنا القُوَّة والمَنْعَة... وَمَع الأَيَّام يَتَبَيَّن لَهُم وَلِغَيرهم أَنَّ الَّذي كَانُوا يَحْسبُونه خَيْراً لَهُم هُو شَرٌّ مَحْض، والْعَاقِل الفَطِن لاَ يَغْتَرّ وَيَنْخَدع بِإِقبَال الدُّنْيَا عَلَيْهِ، بَل يَزدَاد حَذَراً مِن العَوَاقب، وَيَحتَاط لهَا جُهدَه. وَتَقَدَّم مَع الشَّرح فِي ٱلْخُطْبَة قَوْل الإِمَام: «فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ، وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ!»[1].

١١٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «هَلَكَ فِيَّ رَجُلَانِ: مُحِبٌّ غَالٍ، وَ مُبْغِضٌ قَالٍ».

↩ وَلَـنْ يَـلبَثَ العَـصْرَانِ يَـومٌ وَلَـيلَةٌ ... إِذَا طَـلَبا أَنْ يُـدرِكَا مَـا تَـيَمَّمَا

أنظر، كتَاب العُمُر وَالشَّيب لِابن أَبِي ٱلدُّنيَا: ٦٢، وَقَد نَسَب الأَبيَات لِحَمِيد بن ثَور. الكَامِل لِلمُبرد: ٢٨٤/١، الشّعر والشُّعراء: ٢٣٠، تَأرِيخ دِمشق: ٢٧٢/١٥ و: ٥٨/١٧، مُختَصر حَواشي آبن مَنظُور: ٩٤/٨.

وَقَالَ شَاعر آخَر:

كَـانَتْ قَـنَاتِي لاَ تَـلِينُ لِـغَامِزٍ ... فَأَلاَنَهَـا الإِصْـبَاحُ وَالإِمْسَـاءُ

وَدَعَـوتُ رَبِّي بِـالسَّلاَمَةِ جَـاهِداً ... لِـيُصِحَّنِي فَـإِذَا السَّـلاَمَةُ دَاءُ

أنظر، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلحَدِيد: ٢٨٠/١٨، تَفسِير القُرطُبي: ٩٣/١٥، المَجَازَات النَّبَويَّة: ٤٣١.

(١) أنظر، نَهج البَلاَغَة: الخُطبَة (١١٤). (مِنهُ رحمه الله).

● وَفَسَّرَهُ الْإِمَام بِقَوْلِه فِي ٱلْخُطْبَة المَاضِيَة: «سَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَىٰ غَيْرِ الحَقِّ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَىٰ غَيْرِ الْحَقِّ، وَخَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالاً النَّمَطُ الأَوْسَطُ فَالْزَمُوهُ، وَٱلْزَمُوا السَّوَادَ الأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ»[1]. وَٱشْتَهر هَذا الْمَعْنَىٰ فِي أَحَادِيث رَسُول الله ﷺ. فَفِي الاِسْتِيعَاب مَا نصّه بالحَرف: «رَوت طَائِفَة من الصَّحَابَة أنّ رَسُول الله ﷺ قَالَ لِعَليّ: «يَا عَلِيُّ، لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ»[2]... ويَهلك فِيك رَجُلان: مُحِبّ مُفْرِط،

---

(١) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلخُطبَة (١٢٧). (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أنظر، سُنَن التِّرمِذي: ٥/ ٦٠١، ح ٣٨١٩، و: ٨/ ١١٦ كتاب الإِيمَان بَاب المناقب ح ٣٧٣٦ باختلاف يسير في اللفظ، خصائص النسائي: ٨٣ ح ٩٥ و٩٦، وفرائد السّمطين: ١/ ١٣٣ ح٩٥، تَأريخ دمشق لِابن عساكر: ٢/ ١٩٠ ح ٦٧٤ و١٩٢ ح ٦٧٩ و٢٠٢ ح ٦٩٣ و٢٠٣ ح ٦٩٤، صَحِيح مُسْلِم: ١/ ٨٦ ح ١٣١، كنز الفوائد: ٢/ ٨٣ و ٨٤، بشارة المُصْطَفَىٰ: ٦٤ و٧٦ و١٤٨، كفاية الطالب: ٦٨ و٢٠ ط الغري، فتح الباري: ٧/ ٥٧، البحار: ٣٩/ ٢٥٥ ح ٢٨ ـ ٣٠، مُسْنَد أبي يَعلىٰ المُوصلي: ١/ ٣٤٧، مُسْنَد أحمد: ١/ ٩٥، و: ٦/ ٢٩٢، سُنَن أبن ماجه: ١/ ٤٢ ح ١١٤، سُنَن النَّسائي: ٨/ ١١٧، تَأريخ بغداد: ٢/ ٢٥٥، و: ١٤/ ٤٢٦ الإِسْتِيعَاب: ٢/ ٣٧، مناقب أبن شهرآشوب: ٣/ ٢٠٦.

وأنظر، إرشاد المفيد: ٣٧ الفصل ٣ من الباب ٢ رقم ١، شرح النَّهج للفيض: ١٠٩٩ ٱلحِكْمَة ٤٢، وفي صُبحي الصَّالح: ٤٧٧ من ٱلحِكْمَة ٤٥ وَقَالَ ﷺ: يا عليّ لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق. وفي شرح النَّهج لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ١٨/ ١٧٣، و: ٤/ ٨٢، وكشف الغمّة: ١/ ٥٢٦، المناقب لِابْن المغازلي: ٩٠ ح ٢٢٥ و٢٣٢، المناقب لأَحْمَد بن حنبل: ٢/ ٥٣٦ ح ٩٤٨، الصَّوَاعِق المُحْرِقَة: ١٢٢ و٧٣ ط الميمنية و: ١٢٠ ط المُحَمَّدِية، ذَخَائِر العُقْبَىٰ: ٩١، الفضائل لأَحْمَد: ٢/ ٦١٩ ح ١٠٥٩، حلية الأَوْلِيَاء: ٤/ ١٨٥، مشكاة المَصَابِيح: ٣/ ١٧٢٢ ح ٦٠٩١، يَنَابِيع المَوَدَّة: ١/ ١٤٩ ومابعدها، ٢/ ٣٩٢ و١٨٠ ط أسوة و: ٤٧ و٤٨ و٢١٣ و٢٨٢ ط اسلامبول و٥٢ و٥٣ و٢٥٢ و٣٢٧ ط الحيدرية، نور الأَبْصَار: ٧٢ ط العُثْمَانِية، و: ٧١ ط السعيدية، تذكرة الخواصّ: ٢٨، مطالب السؤول: ١/ ٤٨، نظم درر السّمطين: ١٠٢، تَأريخ الخُلفاء: ١٧٠.

وكَذَاب مُفترٍ[1]... وتَفرق فِيكَ أُمّتي كَمَا ٱفترقت بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي عِيسَىٰ»[2].
يُشير عليه‌السلام إِلىٰ النَّصارىٰ الَّذِين أَلهوا عِيسَىٰ بن مَرْيَمَ، وإِلىٰ ٱلْيَهُودِ الَّذِين قَالُوا: هُو ٱبن زِنَا ـ وَالعِيَاذُ بِاللهِ ـ[3].

⇐ وأنظر، إسعاف الراغبين بهامش نور الأبْصَار: ١٥٤ ط السعيدية و: ١٤٠ ط العُثْمَانِية، أَنسَاب الأَشْرَاف: ٩٧/٢ ح ٢٠، مصابيح السُّنَة: ٢٧٥/٢، الرّياض النّضرة: ٢٨٤/٢، كنوز الحقائق: ١٩٢ ط بولاق و: ٢٠٣ ط أُخرىٰ، جامع الأُصول لِابن الأثير: ٤٧٣/٩ ح ٦٤٨٨، مشكاة المَصَابِيح: ٢٤٢/٣، كنز العُمّال: ١٠٥/١٥ ح ٣٠٠ الطبعة الثّانِيَة، الغدير: ١٨٢/٣، إحقاق الحقّ: ١٩٠/٧، الشّذرات الذّهبية لِابن طولون: ٥٦، أسنىٰ المطالب للجزري: ٥٤، نزل الأبرار: ٥٥، مُسْنَد الحميري: ٣١ ح ٥٨ ط المَدِينَة المُنَوّرة، المُصَنّف لِابن أبي شيبة: ٥٧/٢، أُسد الغَابَة: ٦٠٢/٣ ط بيروت، معجم الشيوخ: ٢٣٧ رواه محمّد بن أحمد بن جَميع الصّيداوي.

(١) أنظر، مُسْنَد أحمد: ١٦٠/١، مَجْمَع الزّوائد: ١٣٢/٩، مناقب آل أبي طالب لِابن شهر آشوب: ٢٢٧/١، كنز العُمّال: ٣٢٦/١١، تَفْسِير فرات: ٤٠٥، تَفْسِير نور الثّقلين: ٣٥٨/١، كنز الدّقائق: ١٣٧/٢، مناقب أَمِير المُؤمِنِينَ الكوفيّ: ٢٨٣/٢، العُمدة لِابن البطريق: ٢١٢، شرح الأَخْبَار للقاضي النّعمان المغربيّ: ٤٠٥/٢، عوالي اللئالي: ٨٧/٤.

(٢) أنظر، الإِسْتِيعَاب لِابن عبد البر المَالكي: ٣٦/٣، طَبعة سَنَة ١٩٣٩م (مِنْهُ رحمه‌الله).

وأُنظر، المَنَاقب لِابن المَغَازلي: ٢٣٧ الرّقم (٢٨٥)، الكَافِي: ٥٧/٨ ح ١٨، كنز العُمّال: ١٣/ ١٢٥، العُمدة: ٢١٣، المُسترشد في الإِمَامَة: ٦٣٦، بِشَارة المُصْطَفىٰ: ٢٤٦، شَرح الأَخْبَار: ٤٠٥/٢، مُسْتَدرَك الحَاكِم: ١٢٣/٣، فَرَائِد السّمطين: ٣٥/١ ح ١٣٣، نَهْج ٱلْبَلاَغَة: حِكْمَة «١١٧»، المِعيَار والموَازنة: ٣٢، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة للمُعتزلي: ٤/٥، تَفْسِير فُرَات الكُوفي: ٤٠٥، شواهد التّنزِيل: ٢٣٣/٢، تَهذِيب الكَمَال: ٤٨٥/٢٠، العِدد القَوِيّة: ٢٤٨، أَمَالي الصَّدوق: ١٥٦، كَشف اليَقِين: ٤٣٠، رَوضة الوَاعظِين: ١١٢، كتَاب سُليم بن قَيْس تَحْقِيق، الأَنْصَاري: ٤١٢.

(٣) هُنَالِكَ مواقِف عَمَلِية وَجَريئَة فِي الرّد عَلىٰ هَؤُلاَء الغُلاَة؛ لأنّهم يُشكّلُون نَافِذَة الخُرُوج عِن الإِسْلاَم، وَتَحريف قِيَمه، وَأَهدَافه السَّامِيَة؛ لأنَّ بَعْضَهم قَد غلاَ فِي الإِمَام حَال حَيَاته، وَزَعمُوا أنّه إِله. وَلِذَا نَجد الإِمَام عَليّ عليه‌السلام نَفىٰ بَعْض الغُلاَة وَحرّق البَعْض الآخَر فِي النَّار، كَمَا فَعَل مَع ٱبن سَبأ لَعْنَة الله عَلَيْهِ، وَمَوقِف ⇐

⇐ الإمَام عَليّ عليه السلام هَذا، مَأخُوذ مِن مَوقِف رَسُول الله صلى الله عليه وآله، حَيث وَرَد عَنهُ صلى الله عليه وآله، أنّه قَالَ: «لاَ تَرفعُوني فَوق حَقّي، فَإنّ الله تَعَالىٰ اتخَذَني عَبداً قَبل أنْ يَتخذَني نَبيّاً» أنظر، مَجمَع الزّوائد ومَنبَع الفَوائد: ٢١/٩، المُستَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ١٩٦/٣ ح ٤٨٢٥، المُعجَم الكَبِير: ١٢٨/٣ ح ٢٨٨٩، الزُّهد لِابن المُبارك: ٣٤٩ ح ٩٨٤، بُغيَة البَاحث: ٢٨٧، الذُّريّة الطَّاهرة النّبويّة للدولابي: ٨٩، كَنز العُمّال: ٦٥٢/٣ ح ٨٣٣٧ و ٨٣٤١، و: ٣٧٦/٤ ح ١٠٩٩٣، تَأرِيخ دِمشق: ٧٦/٤، سُبل الهُدىٰ والرّشاد: ٣٩/٧، بِحَار الأنْوَار: ٢٥/ ٢٦٥، النّوادر للراوندي: ١٦ الجَعْفريّات: ١٨١.

وَقَالَ صلى الله عليه وآله: « صِنفَان مِن أُمّتي، لاَ نَصِيب لَهُمَا فِي الإسْلاَم، الغُلاَة، وَالقَدَريَة». أُنظر، تَهذِيب التَّهذِيب: ٢٥١/٤ ح ٥٠٣، سُبل الهُدىٰ والرّشاد: ١٥٩/١٠، الجَامِع الصَّغير: ١٠٠/٢ ح ٥٠٤٢، المُعجَم الأوسط: ٦٩/٦ و: ٢٠٩/١١، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغير: ٢٧٤/٤ ح ٥٠٤٤، كَشف الخَفَاء: ٤٤٢/١ ح ١٤٣٨، تَهذِيب الكَمَال: ١٠٤/١٦ و: ١٥٦/٢١، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٢٩١/١ و: ٣٠٩/٣، عِلل الدّار قُطني: ٢٨١/١، كِتَاب السُّنّة لِابن عَاصم: ٤٤٧ ح ٩٤٦، تَأوِيل مُختلف الحَدِيث: ٧٧، مُنتَخَب مُسنَد عَبد بن حميد: ٢٠١ ح ٥٠٧، تُحفَة الأَحوَذي: ٣٠٣/٦، وَقُرب الإسنَاد: ٦١، الرّوَاشح السَّمَاوِيَة: ٢٠٢، صَحِيفَة الإمَام الرِّضا: ٢٩٦.

وَقَالَ صلى الله عليه وآله: « صِنفَان لاَ تَنالُهمَا شَفَاعتِي، سُلطَان غَشُوم عَسُوف، وَغَالٍ فِي الدِّين مَارق مِنْهُ، غَير تَائِب، وَلاَ نَازع». أنظر، مَجمَع الزّوائد: ٢٣٥/٥، الدُّر المنثور: ٣٥٢/١، الكَافِي: ٣٧٢/٢، مَن لاَ يَحضره الفَقيه: ٤٠٨/٣، الوَسَائِل: ٤٢٦/١٤، بِحَار الأنْوَار: ٢٦٥/٢٥، قُرب الإسنَاد: ٦٤.

وَجَاء رَجُل إلىٰ النّبيّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: «السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَبِّي! فَقَال: مَالَكَ لَعنَكَ الله! رَبِّي وَرَبّك الله، أمَا والله! لَكُنت مَا عَلِمتُك لَجَبَاناً فِي الحَرْب، لَئِيماً فِي السّلم».أُنظر، المَصَادر السَّابقَة.

وَقَالَ صلى الله عليه وآله مُخَاطِباً الإمَام عَليّ عليه السلام: «يَا عَليّ مَثَلُك فِي أُمتي مَثل عِيسَىٰ بن مَريَمَ، افْتَرَق قَومه ثَلاَث فِرق: فِرقَة مُؤمِنُونَ بِهِ، وَهُم الحوَارِيُون، وَفِرقَة عَادُوه وَهُم اليَهُود، وَفِرقَة غَلوا فِيه، فَخَرجُوا عَن الإيمَان، وَإنّ أُمّتِي سَتَفتَرِق فِيكَ ثَلاَث فِرق. فَفِرقَة شِيعَتُك، وَهُم المُؤمِنُون. وَفِرقَة عَدُوّك، وَهُم الشَّاكُون. وَفِرقَة تَغلُو فِيكَ، وَهُم الجَاحِدُون. وَأنتَ فِي الجَنَّة يَا عَليّ وَشِيعَتُك، وَمُحبّ ـ مُحِبّو ـ شِيعَتك، وَعَدُوّك وَالغَالِي فِي النّار». أُنظر، المَصَادر السَّابِقَة، الخِصَال: ١/ ٢٣، كَنز العُمّال: ٥٠٠/٢، خَصَائِص أمِير المُؤمِنِين لِلنَسائي: ١٠٦، تَأوِيل الآيَات: ٥٨٦/٢، العُمدة: ٢١٠، تَفسِير فُرَات الكُوفيّ: ٤٠٥، مَنَاقب أمِير المُؤمِنِين لِمُحَمّد بن سُليمَان ⇐

ونَقل السَّيِّد مُحسن الأَمِين، عن مُسْنَد أحمد، وصَحِيح التِّرمِذي، وإستِيعَاب أبن عبد البَر، ومُسْتَدرَك الْحَاكِم، نَقل: أنّ بُغض عليّ كَان العَلاَمَة عند الصَّحَابَة للمُنافق في دِينه، وتَمْيِيزه عن الْمُؤْمِن الصَّادق[1]... وثَبت بطَرِيق القَطع أنّ مُعَاوِيَة

↔ الكُوفيّ: ٢/ ٤٧٨.

وَرَوىٰ أَحمَد بن حِنْبَل فِي المُسند، وَأبُو السَّعَادَات فِي فَضَائِل العَشرَة، أنّ النَّبيّ ﷺ قَالَ: «يَا عَليّ مَثَلُك فِي هَذِهِ الأُمَّة كَمَثَل عِيسَىٰ بن مَرْيَمَ، أَحَبَّه قَوم فَأفْرَطوا فِيهِ، وَأبْغَضه قَوم فَأفْرَطوا فِيهِ». قَالَ فَنَزَل الوَحي بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾. ٱلزُّخْرُف: ٥٧.

وَقَالَ ﷺ مُخاطِباً الإِمَام عليّ عليه السلام: «وَالَّذي نَفْسي بِيَده، لَوْلاَ أَنّي أَشْفق أنْ يَقُول طَوَائِف مِن أُمّتي فِيكَ، مَا قَالت النَّصارىٰ فِي أبن مَرْيَم، لقُلتُ اليَوْم فِيكَ مَقَالاً، لاَ تَمرّ بِمَلاءٍ مِن النَّاس، إلاَّ أَخَذُوا التُّرَاب مِن تَحت قَدَمِيك لِلبَرَكة». أنظر، أُنظر، شَرح النَّهج لِابْن أبِي ٱلْحَدِيد: ٥/ ٤، ذَخَائِر الْعُقْبَىٰ: ٩٢، تَفْسِير نُور الثَّقَلين: ٢/ ٥٣١ و: ٤/ ٦٠٩، الخِصَال: ٥٥٧، مَنَاقب آل أبِي طَالب لِابْن شَهر آشوب: ٢/ ١٦٦.

وَفِي رِوَايَة أُخرىٰ: «لأَخَذُوا تُرَاب نَعْلِيكَ، وَفَضل وضُوئك يَسْتَشفُون بِهِ، وَلكن حَسْبُك أنْ تَكُون مِنّي وَأنَا مِنْك، تَرِثني وَأرِثك». أُنظر، مَنَاقب آل أبِي طَالب: ١/ ٢٢٧، البحَار: ٢٥/ ٢٨٤، رَوضة الوَاعظِين: ١١٢، حلية الأَبرَار: ٢/ ٦٩. هَذَا هُو مَوقف رَسُول الله ﷺ، مِن الغُلاَة.

١) أُنظر، أعيَان الشِّيعة: ٣/ ١٥٤، (مِنْهُ ﷺ)، وقد تَقَدَّمَت أستِخرَاجَاته بِالإِضَافَة إلىٰ ذَلِكَ أُنظر، سُنَن التِّرمِذي: ٥/ ٢٩٨ بَاب ٨٣ ح ٣٨٠٠، جامع التِّرمِذي: ٢/ ٢٩٩، صَحِيح التِّرمِذي: ٥/ ٥٩٣ ح ٣٧١٧ فَضَائِل الإِمَام عليّ عليه السلام ولكن بلفظ: كنّا لنعرف ٱلْمُنَافِقِين نَحْنُ مَعَاشِر الأَنْصَار ببغضهم عليّ بن أبي طالب، الصَّوَاعِق الْمُحْرِقَة: ١٢٢، مُسْنَد أحمد: ٢/ ٦٣٩ ح ١٠٨٦، مَجْمَع الزَّوائد: ٩/ ١٣٢، المناقب: ٣٣٢ ح ٣٥٣، ذَخَائِر الْعُقْبَىٰ: ٩١.

وفي مُسْنَد أحمد: ٢/ ٥٧٩ ح ٩٧٩ عن أبي سعيد الخدري ولكن بلفظ «منافق» بدل «منافقينا»، أُنظر يَنَابِيع المَوَدَّة: ١/ ١٥٠ و١٥١، و: ٢/ ١٨٠ و٤٦١ و٢٧٧ ط أسوة. شرح النَّهج لِابن أبي الْحَدِيد: ٤/ ٨٣، شرح النَّهج للعلاّمة الخوئي: ٢١/ ٨٤، والحديث بلفظه في فرائد السِّمطين: ١/ ٣٦٥ ح ٢٩٤ و٢٩٥ باختلاف يسير وح ٢٩٣.

ولَسْنَا بصدد ردّ أبن تيمية في مِنْهَاج السُّنَّة: ٢/ ١٧٩ وإيراده علىٰ هَذَا الحديث وإنكاره بعدم مَعْرِفَة ↔

كَانَ يَسب عَلِيّاً، ويَدعو إِلىٰ سَبّه[1].

١١٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «إِضَاعَةُ الْفُرْصَةِ غُصَّةٌ».

● وَفِي مَعْنَاه قَوْلُهُم: «الْفَوْت أَشَدّ مِن الْمَوْتِ» ذَلِكَ بِأَنَّ المُفوِّت والمُـضِّيع هُـو

↔ سنده بل تُحيل القارئ الكريم إِلىٰ الغدير: ٣ / ١٨١ ـ ١٨٨ مع العِلْم أنّ الحديث روي عن ابن عُمَر، وأبي ذَرّ الغفاري، وجابر الأنْصَاري، وأبي سعيد محمّدبن الهَيْثَم، وأبي الدّرداء وقد ذكر ذَلِكَ صـاحب الرّيـاض: ٢ / ٢١٥، وحلية الأَوْلِيَاء: ٦ / ٢٩٥، والاِسْتِيعَاب: ٣ / ٤٦، أسنىٰ المطالب: ٨، والتّذكرة: ١٧.

(١) أنظر، مُسْنَد أحمد: ١/ ١٨٨، ٢ / ٥٩٤ ح ١٠١١ و: ٦/ ٣٢٣، المُسْتَدرَك علىٰ الصَّحِيحين: ١ / ١٢١، و: ٣/ ١٣٨، مَجْمَع الزوائد: ٩/ ١٣٠، نظم درر السّمطين: ١٠٦، فيض القدير شرح الجَامِع الصَّغِير: ١/ ١٨٧ ح ١٥٢، سُنَن أبي داود: ٢/ ٤٠٢، كتاب السُّنَّة: ٦٠٦ ح ١٤٣٣، كفاية الطـالب: ٨٢ و ٨٣، المَحَـاسِن: ١/ ٢٦٠، الغارات: ٢/ ٨٤٣، مناقب أَمِير المُؤْمِنِينَ للكوفي: ٢/ ٥٤٧، شرح الأَخْبَار: ١/ ١٥٥ ح ١٠١، الثاقب في المناقب: ٢٧١، مناقب آل أبي طالب: ٢/ ١٠٤، المُعْجَم الكَبِير: ٣/ ٨٢ ح ٩٤ طَـبْعَة بـغداد، كشف اليَقِين: ٢٣٢، أَنْسَاب الأَشْرَاف: ٣/ ١١ الطبعة الأُولَىٰ، فرائد السِّمطِين: ١/ ٣٠٢ و ٣٠٣ ح ٢٤١ مروج الذّهب: ٢/ ٤٣٥، بِحَار الأَنْوَار: ٣٩/ ٣١١، الغدير للأميني: ٢/ ٢١٩، الصَّوَاعِق المُحْرِقَة: ٧٤ ط الميمنية و: ١٢١ المُحَمَّدية بتفاوت، ذَخَائِر الـعُقْبَىٰ: ٦٦، المـناقب للـخوارزمـي: ١٣٧ ح ١٥٤ و: ٣٩٤ و ٣٩٥، خصائص النّسـائي: ٢٤، كنز العُمَّال: ٦/ ٤٠١، ومشكاة المَصَابِيح: ٥٦٥ و ٣ / ١٧٢٢ ح ٦٠٩٢ ط أُخرىٰ، وتَأرِيخ الخلفاء: ٦٧، والرّياض النضرة: ٢ / ١٦٦ بأَلفَاظ متقاربة.

وأُنظر تهذيب الكَمَال: ٤/ ٣٢٧، تَأرِيخ ابن معين الدّوري: ٢/ ٣٢٦، العِلَل لأَحْمَد: ٣/ ١٧٦ ح ٤٧٨١، التّأرِيخ الكَبِير للـبخاري: ٨/ ٣١٩ ح ٣١٦٣، التّأرِيخ الـصَّغِير للـبخاري: ١/ ٢٣٨، كَـذَلِكَ بـناء المـقالة الفاطمية: ٩٥، الثقات لِابْن حبّان: ٥/ ٥٣٧، تَأرِيخ بغداد: ٧/ ٤٦٣، تَأرِيخ دمشق: ١١/ ١٩٤، سير أَعْلَام النبلاء: ١/ ١٠٥، نور الأَبْصَار: ٩٩ فَضَائِل الخَمْسَة من الصّحاح السّتة: ٢ / ٢٢٣، أمالي الشّيخ الصّدوق: ٦٠ و ٥٢ و ٥٣ المجلس الحادي عشر ح ٢، مُنْتَخَب كنز العُمَّال بهامش مُسْنَد أحمد: ٥ / ٣٠، يَنَابِيع المَوَدَّة: ١/ ١٥٢، و: ٢/ ١٠٢ و ٢٧٤ و ٢٧٧ ط أسوة، الجَامِع الصَّغِير: ٢ / ٦٠٨ ح ٨٧٣٦، مَوَدَّة القُربىٰ: ١٥، كشف الغمّة: ٣٢.

الَّذي أَسَاء إِلىٰ نَفْسهِ، وَحَرَمهَا الْخَيْر وَالهَنَاء. وَتَقَدَّم الكَلاَم عَن ذَلِكَ فِي ٱلـرِّسَالة (٣١) وٱلْحِكْمَة (٢١)[١].

١١٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا، وَ السَّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا، يَهْوِي إِلَيْهَا الْغِرُّ الْجَاهِلُ، وَ يَحْذَرُهَا ذُو اللُّبِّ الْعَاقِلُ!».

● ذَمّ الْإِمَام لِلدُّنْيَا لاَ نِهَايَة لهُ... فَهِي فَنَاء وَبَلاَء، وَمُصَاب وَعَـذَاب، وَحَـيَّة وَرَزِيَّة.... إِلىٰ آخر مَا تَقَدَّم وتَكَرَّر. وَمِمَّا فِيهَا: إِذَا أَرَدتَ أَنْ تَعرِف ٱلدُّنْيَا فَٱنـظُر عَند مَنْ هِي.

١١٩ ـ وَسُئِلَ عليه السلام عَنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ: «أَمَّا بَنُو مَخْزُومٍ فَـرَيْحَانَةُ قُـرَيْشٍ، نُـحِبُّ حَدِيثَ رِجَالِهِمْ، وَ النِّكَاحَ فِي نِسَائِهِمْ. وَ أَمَّا بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ فَأَبْعَدُهَا رَأْياً، وَ أَمْنَعُهَا لِمَا وَرَاءَ ظُهُورِهَا. وَ أَمَّا نَحْنُ فَأَبْذَلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا، وَ أَسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا، وَ هُمْ أَكْثَرُ وَ أَمْكَرُ وَ أَنْكَرُ، وَ نَحْنُ أَفْصَحُ، وَ أَنْصَحُ، وَ أَصْبَحُ».

● كَانَ الْعَرَب يَهْتَمُون بِالْأَنْسَاب، وَيَتفَاخرُون بِهَا وَيَـتكَاثرُون، أَمَّـا الَّـذِين

---

(١) لقَد جَاءَ فِي المَثَل المَشْهُور: «ٱنْتَهِزُوا الْفُرَص، فَإِنَّهَا تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ».
وَقَالَ الشَّاعِر:

وَإِنْ أَمْكَنَـتْ فُـرصَةٌ فِي العَـدوّ ... فَــلاَ يَكُ هَمُّكَ إِلاَّ بِهَـا
فَـإِنْ تَكُ لَمْ تَأْتِ مِـنْ بَـابِهَا ... أَتَـاكَ عَـدُوّك مِـن بَـابِهَا
وَإِيَّـاكَ مِـنْ نَـدَمٍ بَـعْدَهَا ... وَتَأْمِـيل أُخـرىٰ، وَأَنَّىٰ بِهَـا.؟

أُنظر، شَرح نَهْج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلْحَدِيد: المُجَلَّد: ٣٦٠/٩. طَبْعَة مُؤسّسَة الأَعْلمي لِـلمَطبُوعَات - بَيرُوت.

يَعْرِفهَا وَيَحْفظ أَسْمَاءَ الأَمْوَات وَالعُتَاة فَهُو مِن أَكْثَر النَّاس عِلماً وَفَضلاً!. وَلاَ بِدْع فَهَذا شَأن الْمُجْتَمعَات البدَائِيَة الَّتي تَعِيش عَلىٰ الطَّبِيعَة وَالمَاشِية، وَلاَ تَعْرِف إِلَّا حَيَاتها وَأَشيَاءها.

وَقَوَّضَ الإِسْلاَم بُنيَان هَذا الْعِلْم، وَقَالَ عَنْهُ رَسُول الله ﷺ: «عِلْمٌ لاَ يَضُر مَن جَهِلَه، وَلاَ يَنْفَع من عَلِمَه»(١). وَقَالَ سُبْحَانَه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾(٢). وَقَالَ: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾(٣).

وَمَع هَذا بَقِي مِن الْعِلْم بِالأَنْسَاب رَوَاسب وَآثَار، مِنْهَا هَذَا السُّؤال، وَأَجَاب عَنْهُ الإِمَام مُمَاشَاة مَع السَّائِل. وَتَقَدَّم قَوْله مَع الشَّرح فِي الحِكْمَة السَّابِقَة: «مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»(٤).

(أَمَّا بَنُو مَخْزُومٍ فَرَيْحَانَةُ قُرَيْشٍ، نُحِبُّ حَدِيثَ رِجَالِهِمْ... إلخ). فَمِنْهُم أَبُو جَهل الَّذي نَزَل فيه: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾(٥). وَمِنْهُم الوَلِيد نَزَل فِيه: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَٰتِنَا عَنِيدًا سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ

---

(١) أُنظر، الكَافِي: ١/٣٢ ح ١، السَّرائر: ٣/٦٢٧، وَسَائِل الشِّيعة: ١٧/٣٢٧ ح ٦، أَمَالِي الصَّدوق: ٣٤٠ ح ١٣، مُنية المُريد: ١١٣، التَّراتِيب الإِدَارية: ٢/٣٠١، الأَنْسَاب لِلسَّمعَاني: ١/٩، تَحرير الأَحْكَام: ١/٤٠.

(٢) الْحُجُرَات: ١٣.

(٣) الْمُؤْمِنُونَ: ١٠١.

(٤) أُنظر، نَهج البَلاَغة: الحِكْمَة (٢٢). (مِنهُ).

(٥) الْعَلَق: ٩ ـ ١٦.

ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾[(١)].

(وَ أَمَّا بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ فَأَبْعَدُهَا رَأْياً ... إلخ). فَمِنْهُم بَنُو أُميَّة، وَسَيِّدهُم أَبُو سُفْيَان الَّذي جَيَّش وَحَزَّب ٱلْأَحْزَاب عَلَىٰ الإِسْلاَم وَنَبيّ الإِسْلاَم، وَٱبنه مُعَاوِيَة الَّذي فَرَّق أُمَّة مُحَمَّدٍ ﷺ شِيعاً شِيعاً كَما قَالَ الْعَقَّاد، وَٱبنَه يَزِيد الَّذي قَتَل الْحُسَين، وَأَبَاح مَدِينَة الرَّسُول[(٢)]، وَرَمىٰ الكَعْبَة بِالمَنْجَنِيق[(٣)]، وَفِيهِمْ نَزَل: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ

(١) ٱلْمُدَّثِّر: ١١ ـ ٣١.

(٢) أُنظر، تَأرِيخ الخُلفَاء: ١٩٥، تَأرِيخ الطَّبَري: ٤٩١/٥، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلحَدِيد: ٢٥٩/٣، حوَاشي الشَّرواني: ٤٢٠/٦، نِيل الأَوطَار: ٣٤٢/٧، مروج الذَّهب: ٦٩/٣، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٦٣/٣، أَنسَاب الأَشْرَاف: ٤٢/٥، الاِسْتِيعَاب بِهَامش الإِصَابَة: ٢٥٨/١، تَأرِيخ ٱبن كَثِير: ٢٢١/٢، الإِصَابَة: ٤٧٣/٣، وَفَاء الوَفَا: ١٢٥/١ ـ ١٣٧ طَبْعَة بَيروت الثَّالِثة، تَأرِيخ الخَمِيس: ٣٠٢/٢، تَأرِيخ خَلِيفَة: ٢٣٦، تَأرِيخ دِمشق: ٣٣١/٤٣.

(٣) أُنظر، فَتح البَاري: ٣ / ٤٥٥ و: ٨ / ٣٢٧، المُستَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحين: ٣ / ٦٣٦، التَّمهِيد لِابن عَبد البر: ١٦ / ١٤٣، شَرح الزَّرقاني: ٢ / ٣٩٧ و: ٣ / ١٥٩، تَهذِيب الأَسمَاء: ١ / ٢٣٧، سُبل السَّلاَم: ٤ / ٥٤، المُحلىٰ: ١١ / ٩٦ و ١١٦، نَصب الرَّاية: ٣ / ٣٨٢، تَهذِيب التَّهذِيب: ٢ / ١٨٥ و ٣٣٨ و: ٥ / ١٨٨، عَون المَعبُود: ١٢ / ١٦٦، سِير أَعْلاَم النُّبلاء: ٤ / ٣٤٣ و: ٢٢ / ٢١٨، أَخْبَار مَكَّة: ٢ / ٣٦٠، تَعجِيل المَنفَعَة: ٤٥٢/١.

فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾[١].

(وَ أَمَّا نَحْنُ فَأَبْذَلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا، وَ أَسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا... إلخ). فَـِنَا مُحَمَّد، وَعَليّ، وَالحَسَن، وَالحُسِين، وَفِينَا نَزَل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٢]. وَقَوْلَه تَعَالىٰ الفَصْل، وَحُكْمُهُ الْعَدْل.

وَإِذَا ٱبتَعدنَا فِي الشَّرح عَن الأَصل فَقَد قَرَبنَا مِن الْحَقّ، وَالوَاقـع، وَثـوَاب الله وَرِضوَانه. وَهُو سُبْحَانَه المَسؤول أنْ يَشغل قلُوبنَا وَألسنتنَا بِشُكرِه، وَبِمَدح أَحبَائه وَأَوْلِيَائه، وَبِالبَرَاءة مِن أَعدَائِهم وَأَعدَائه.

١٢٠ ـ وَ قَالَ ﷺ: «شَتَّانَ مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ: عَمَلٍ تَذْهَبُ لَذَّتُهُ وَ تَبْقَىٰ تَبِعَتُهُ، وَ عَمَلٍ تَذْهَبُ مَئُونَتُهُ وَ يَبْقَىٰ أَجْرُهُ».

● مَا مِن عَمَلٍ إلَّا وَفِيهِ جَانب سَلب، لَـذَّةٌ وَأَلَمٌ، رَاحَـةٌ وَتَـعبٌ، خَـيْرٌ وَشَرٌّ، والفَرْق بَيْنَ عَمَلٍ وآخَر هُو ٱختلَاف النِّسبَة بَيْنَ الجَانِبين، فَأي عَـمَل غَـلبَ فـيهِ جَانبِ الْخَيْر عَلىٰ الشَّرّ فَهُو خَيْر، وَأي عَمل غَلَب فيهِ جَانبِ الشَّرّ عَـلىٰ جَـانبِ الْخَيْر فَهُو شَرّ. هَذا مَا يُقرِرَه الْعَقْل، وَقَد بَاركَه الْقُرآن الكَـرِيم، وَضَرَب لهُ مَـثلاً بِالخَمر وَالمَيسَّر وَقَالَ: ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[٣].

وَقَارَن الْإِمَام فِي هَذِه ٱلحِكْمَة بَيْنَ عَمَلَيْن: أَحْدهُما فِيهِ لَذَّة زَائِلة فَـانِية تَـعقبها لَوعَة دَائِمَة بَاقِية، وَالعَمل الآخَر فيهِ لَذَّة دَائِمَة بَاقِيَة يَسْبقها تَعب وَجُهد يَذهَب مَع

(١) ٱلإِسْرَاء: ٦٠.
(٢) ٱلأَحْزَاب: ٣٣.
(٣) ٱلبَقَرَة: ٢١٩.

الْأَيَّام. وَالْأَوَّل يَغلب شَرَّه عَلَىٰ خَيْرِهِ فَيُحب أنْ يُترَك، والثَّانِي يَغلب خَيْره عَلىٰ شَرّه فَيَجب أنْ يُتبع. وَأي عَاقِل إذَا خُيِّرَ بَيْنَ الحيَاة الكَرِيمَة مَع الكِفَاح وَالصَّبْر عَلىٰ العُوز والمَشَاق، وبَيْنَ حَيَاة الذُّل وَالهَوَان مَع الرَّاحَة وآمتلاَء المِعْدَة، أي عَاقِل يَختَار وَيُفضل شَيْئاً عَلىٰ حُرِّيَّته وَكَرَامته؟ وَهَل الْخَيْرُ كُلّ الْخَيْرِ فِي المِعْدَة... حَتَّىٰ مَع الْأَسر وَالعبُودِيَّة؟.

١٢١ ـ وَتَبِعَ ﷺ جِنَازَةً فَسَمِعَ رَجُلًا يَضْحَكُ، فَقَالَ: «كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَىٰ غَيْرِنَا كُتِبَ، وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَىٰ غَيْرِنَا وَجَبَ، وَكَأَنَّ الَّذِي نَرَىٰ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفْرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ! نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَاثَهُمْ، وَنَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ، كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ! ثُمَّ قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظٍ وَ وَاعِظَةٍ، وَرُمِينَا بِكُلِّ فَادِحٍ وَ جَائِحَةٍ!!».

● السَّفْر ـ بِفَتح السِّين وَسكُون الفَاء ـ المُسَافرُون جَمْع مُسَافِر كَصَحب جَمع صَاحِب. وَالجَائِحَة: البَلِيَّة والتَّهلكَة (وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَىٰ غَيْرِنَا وَجَبَ... إلخ). هَذَا كِنَايَة وَتَوبِيخ لِعَدم الشُّعور بِالْمَسؤولِيَة، ومَعْنَىٰ الكَلاَم بِجُمْلَته: مَالِكَ أَيُّهَا الضَّاحِك الْجَاهِل وَأَنْت تَرىٰ الْمَوْت وَجِنَازَته؟ أَنَسِيت أَنَّك مَسؤول عَن وَاجِبَات كَثِيرَة أَمَام الله، وَأَمَام ضَمِيرك وَمُجْتَمعك؟ وَأنَّ عَلَيْكَ أنْ تُبْصِر وَتَعرِف مَا هُو مَطلُوب مِنْك، وَتَنْهَض بِهِ عَلىٰ خَيْر وَجْه مُمكِن بِلا تَقصِير وَتَفرِيط، وَأَنَّك إذَا قَصَّرْتَ وَتَهاوَنْتَ فَمَصِيرك إِلىٰ الهَلاَك وَسُوء العَذَاب.

(ثُمَّ قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظٍ وَ وَاعِظَةٍ، وَرُمِينَا بِكُلِّ فَادِحٍ وَ جَائِحَةٍ!) حَتَّىٰ عَظَة الْمَوْت الَّذي نُحِسه وَنُؤمن بِهِ، وَسَبق مَع الشَّرح فِي الْخُطْبَة السَّابِقَة قَوْله «فَكَفَىٰ وَاعِظاً بِمَوْتَىٰ عَايَنْتُمُوهُمْ، حُمِلُوا إِلَىٰ قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ، وَأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ،

فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّاراً، وَكَأَنَّ الآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَاراً»(١). (وَرُمِينَا بِكُلِّ فَادِحٍ وَجَائِحَةٍ!) ومِنْهَا نِسيَان المَوْت الَّذي يَردعنا ذِكره، وَتَذكره عَن الإعتداء وَالأَسوَاء.

١٢٢ ـ وَقَالَ عليه السلام: «طُوبَىٰ لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ، وَطَابَ كَسْبُهُ، وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ، وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ، وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ، وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ، وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ، وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَىٰ الْبِدْعَةِ».

● قَالَ الرَّضِيّ: أقولُ: وَمِن النَّاس مَن يَنسُبُ هَـذا الكَـلاَم إِلىٰ رَسُـولِ الله ٩، وَكَذَلِك الَّذي قَبْله.

(طُوبَىٰ لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ) لاَ يَدعي ما لَيسَ فِيهِ، وَلاَ يَغْتَرّ وَيَعْتَزّ بِمَا عِنده، وَيُلِين الجَانِب لِمَن هُو دُونَه (وَطَابَ كَسْبُهُ) وَالكَسْب الطَّيِّب مَا كَان بِكَد اليَمين وَعَرَق الجَبين. وَفِي الحَدِيث أنَّ رَجُلاً صَافَح رَسُول الله ﷺ بِيَدٍ خَشنَة مِن أَثَر العَمَل، فَقَالَ: «هَذِه يَد يُحبها الله وَرَسُوله... هَذِه يَد لاَ تَمسهَا النَّار أَبَداً»(٢).

(وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ) بِحُبّ الخَيْر لِكُلِّ النَّاس، وَالوقُوف مَع كُلِّ مُحق وَمَظلُوم، وَضِدّ كُلّ مُبطِل وَظَالِم، وَفِي الحَدِيث: «كَفُّ الأَذَىٰ عن النَّاس صَدَقة»(٣)، و «كُفَّ

(١) أنظر، نَهج البَلاَغَة: الخُطبَة (١٨٨). (مِنهُ).

(٢) أُنظر، تَأريخ بَغدَاد: ٣٥٤/٧ تَحت الرَّقم «٣٨٦٤»، وَعَلق عَلَىٰ ذَلِكَ بِقوله: «هَذَا الحَدِيث بَاطِل؛ لأنَّ سَعد بن مَعاذ لَمْ يَكُن حَيّاً فِي وَقت غَزْوَة تبُوك، وَكَان مَوته بَعد غَزْوَة بَني قُرَيظة فِي السَّهم الَّذي رُمي بِهِ، وَمُحَمَّد بن تَمِيم الفريَابي كَذَّاب يَضع الحَدِيث». وأنظر، المَوضُوعات لابْن الجَوزي: ٢٥١/٢، أُسد الغَابة: ٢٦٩/٢.

(٣) قَرِيب مِنهُ فِي الكَافِي: ٤٨٨/٣، الفَقِيه: ٤٧٢/١ ح ١٣٦٠، الوَسَائِل: ٢٦٩/٥ ح ٣.

أذاكَ عن النّاس، فإنَّه صَدقة تَتصدَق بِها عَلىٰ نَفْسَكَ»[١]، وَمَعْنَىٰ هَذا أنَّ تَرك الشَّرّ خَيْرٌ فِي الْإِسْلاَم.

(وَ حَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ) أي طَبيعَته، وَحُسنهَا أنْ يَأمَن النَّاس شَرَّه، وَيَرجُوا خَيْرَّه، وَيَثِقُوا بِأَقْوَاله (وَ أَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ) أَدىٰ مَا فيهِ مِن حَقٍّ للهِ وَلِلفُقْرَاء (وَ أَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ) وَلاَ يُطلقه إلَّا فِيمَا يَنفَع. وَقَالَ ٱلحُكْمَاء: «تُعْرَفُ خَسَاسَةُ الْمَرْء بِكَثِيرةِ كَلاَمِهِ فِيمَا لاَ يُغْنيهِ، وَإِخْبَارِهِ عَمَّا لاَ يُسْأَلُ عَنْهُ»[٢]. وَمِثله أو أَسوَأ مِن ٱشتَغَل بِتَزوِيق الكَلاَم وَزَخْرُفته، وَتَجَاهُل الْمَعْنَىٰ وَفَائِدته (وَ وَسِعَتْهُ السُّنَّةُ، وَ لَمْ يُنْسَبْ إِلَىٰ الْبِدْعَةِ) لاَ يَتجَاوز بِقَولٍ، أو فِعْلٍ حدُود مَا نَصَّ عَلَيْهِ كِتَاب الله وَسُنَّة نَبيِّه مِن الْحَلاَل وَالْحَرَام.

وَمِن دُعَاء الرَّسُول الْأَعظمﷺ: «أَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذ بِكَ مِن كُلّ عَمَل يُخْزِيني، وَأَعُوذ بِكَ مِن كُلَّ صَاحِب يُؤذِيني ـ يُرِيدَنِي ـ، وأَعُوذ بِكَ مِن كُلّ أَمْل يُلهِيني، وَأَعُوذ بِكَ مِن كُلّ فَقْر يُنْسِيني، وأَعُوذ بِكَ مِن كُلَّ غِنىٰ يُطْغِيني»[٣].

١٢٣ ـ وَ قَالَ ﷺ: «غَيْرَةُ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ، وَ غَيْرَةُ الرَّجُلِ إِيمَانٌ».

● الْمُرَاد بِالْكُفْرِ هُنا مُجَرد فِي مُقَابل الْإِيمَان الَّذي يَدعُو إِلىٰ الطَّاعَة... وٱلْمَرْأَة

---

(١) أُنظر، مُسْنَد أَحمد: ١٥٠/٥، كَنز الْعُمَّال: ٩٥٠/١٥ ح ٤٣٦٥١، سُبل الْهُدىٰ والرَّشاد: ٢٨٨/٩، نوادر الرّاوندي: ٣.

(٢) أُنظر، شَرح نَهج ٱلْبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلْحَدِيد، الْمُجَلَّد العَاشِر: ٤٧٩. طَبْعَة بَيرُوت.

(٣) أُنظر، سُبل الْهُدىٰ وَالرَّشاد: ١٧٠/٨ و ١٧٣، مَجمَع الزَّوائد: ١١٠/١٠ و ١٤٤، مُسْنَد أَبِي يَعلىٰ: ٣١٣/٧ ح ٤٣٥٢، الْمُعْجَم الكَبِير: ٢٠٠/٩.

تُغَار مِن ضَرَّتها وَشَرِيكتهَا فِي الزَّوج بِحُكم الغَرِيزَة وَالفِطرَة فَإنْ هِي صَبرَت وَعَاتبَت بِالحُسنىٰ بَل وَمَنَّت بِفَضلهَا عَلىٰ الزَّوج دُونَ أنْ تَغْضِب الله فِي شَيء، فَلاَ بَأس عَلَيْهَا وَلاَ إِثم فِي غَيْرَتها وَحُرقتها، بَل هِي مَأجُورة مَشكُورة عِند الله وَالنَّاس، وَإنْ قَامت وَلَم تَقْعُد تَعدَّت حدُود الله فَهي مُجرِمَة آثِمَة. أمَّا غَيرَة الرِّجَال عَلىٰ المَرْأة فَهي مِن الإِيمَان نَهي عَن المُنْكَر أي التَّهتُك وَالفُجُور شَرِيطة أنْ لاَ تتعدىٰ الغَيرَة حَدَّها المَعقُول، وَتَقدَّم قَول الإمَام فِي الرِّسَالة السَّابِقَة: «وَ إِيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَىٰ السَّقَمِ، وَالْبَرِيئَةَ إِلَىٰ الرِّيَبِ»[١].

١٢٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «لَأَنْسُبَنَّ الإِسْلَامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسُبْهَا أَحَدٌ قَبْلِي. الْإِسْلَامُ هُوَ التَّسْلِيمُ، وَ التَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ، وَ الْيَقِينُ هُوَ التَّصْدِيقُ، وَ التَّصْدِيقُ هُوَ الْإِقْرَارُ، وَ الْإِقْرَارُ هُوَ الْأَدَاءُ، وَ الْأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ».

● المُسْلِم عِندَ الْفُقَهَاء مَن نَطَق بِالشَّهادَتِين حَيث يُجرُون عَلَيْهِ مَا يُجرُونه عَلىٰ المُسْلِمِين زَوّجاً، وَمِيرَاثاً، وَديَة، وَقِصَاصاً، أمَّا المُسْلِم عِنْد الله فَهُو الَّذي يَسْتَسلم لِلحَقّ، وَيُؤْمِن بِهِ، وَيُعْلنه قَولاً، وَيُجَسّدَه عَملاً، فَالإِقرَار بِاللِّسَان شَرط، لأنَّه جُزء مِن العِبَادَة... بِالإِضَافَة إِلىٰ أنَّ اللِّسَان تَرْجُمَان القَلْب، وَإنَّه أكْثَر الأَعضَاء حَرَكة، فَوجَب أنْ يَعْبد الله بِالذِّكرِ، وَالإِقرَار كَمَا عَلىٰ سَائِر الأَعضَاء أنْ تَعبُدَه وَبِالرُّكُوعَ وَالسُّجُود، وَفِي الحَدِيث: «الإِيمَان إقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وعَقْدٌ فِي القَلْبِ، وعَمِلٌ فِي الأَرْكَانِ»[٢].

---

(١) أُنظر، نَهج البَلاَغَة: الرِّسَالَة (٣١). (مِنهُ).

(٢) أُنظر، أمَالي الصَّدوق: ٣٤٠، كَنز العُمَّال: ٢٧٤/١ ح ١٣٦٢، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٢٤٠/٣ ح ٣٠٩٥، الكَافِي: ٤٥/٢ ح ١، الخِصَال: ١٧٩، صَحِيح ابن حبّان: ٤٤٢/١.

وَقَول الْإِمَام: (لَمْ يَنْسُبْهَا أَحَدٌ قَبْلِي) يُرِيد بِهِ أَنَّ مَا مِن أَحد سَبقَه إِلىٰ الفَرق بَيْنَ مَعْنَىٰ الْمُسْلِم الَّذي تَجْرِي عَلَيْهِ أَحْكَام فِي الحَيَاة الدُّنْيَا لهُ مَا لِلمُسلِمين وعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِم، وبَيْنَ الْمُسْلِم عِند الله سُبْحَانَه الَّذي عَلَيْهِ أَحْكَام الآخِرَة حِسَاباً وَثوَاباً.

١٢٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعْجِلُ الْفَقْرَ الَّذِي مِنْهُ هَرَبَ، وَ يَفُوتُهُ الْغِنَىٰ الَّذِي إِيَّاهُ طَلَبَ، فَيَعِيشُ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ، وَ يُحَاسَبُ فِي الْآخِرَةِ حِسَابَ الْأَغْنِيَاءِ؛ وَ عَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَةً، وَ يَكُونُ غَداً جِيفَةً؛ وَ عَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ فِي اللهِ، وَ هُوَ يَرَىٰ خَلْقَ اللهِ؛ وَ عَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ الْمَوْتَ، وَ هُوَ يَرَىٰ الْمَوْتَىٰ؛ وَ عَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ، وَ هُوَ يَرَىٰ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ؛ وَ عَجِبْتُ لِعَامِرٍ دَارَ الْفَنَاءِ، وَ تَارِكٍ دَارَ الْبَقَاءِ».

● تَقدَّم الكَلاَم عَن البُخل سَابِقاً[1]، وَيَتلخَص كَلاَم الإِمَام عَن البَخِيلِ هُنا أَنَّه طَلَب الْمَال لِيَتحَرر مِن الْفَقْر الَّذي هُو الْمَوْت الأَكْبَر، وَلَمَّا حَصَل عَلىٰ الْمَال أَمْسَكه وَأَبىٰ إِلَّا العَيش فِي سِجنِ الْفَقْر وَأَسْرِه، وَنَاقَضَ بِهَذا نَفْسه، وَعَاش فِي الدُّنْيَا مَحْرُوماً مِن زَرْعِهِ وَغَرْسِهِ، وَمُعَذَباً فِي الْآخِرَة عَلىٰ الْإِمْسَاك وَالحِرمَان، وَمَعْنَىٰ هَذَا أَنَّ غَيْر الْبَخِيل مِن الْأَغْنِيَاء يُحَاسَب عَلىٰ مَا أَصَاب مِن الدُّنْيَا وَزِينتهَا، أَمَّا الْبَخِيل فَيُحَاسَب عَلَيْهَا مَع حِرمَانه مِنْهَا وَمِن لَذَّتها، وَمَعنَاه أَيضاً أَنَّ الْفَقر لِلْبَخِيلِ خَيْر مِن الْغِنَىٰ وَأَفْضَل.

(وَ عَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَةً، وَ يَكُونُ غَداً جِيفَةً). الكِبر دَاء،

---

(١) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٣). (مِنهُ رحمه الله).

وَدَوَاء ٱلْمُتَكَبِّر الْإِحْتِقَار وَالْإِزْدِرَاء. وَرُوي أَنَّ مُطَرِّف بنُ عبدالله بن الشِّخِّير رَأىٰ المهلب ٱبن أَبِي صُفرَة يَتبخْتَر فِي مِطرف ـ أَردِيَة مِن خَزٍّ مُربعَة لهَا أَعْـلاَم ـ، خَـزّ وَجُبَّة خَزّ، فَقَالَ لهُ: يَاعبدالله، مَا هَذِه المِشيَة الَّتِي يَبْغَضها الله ؟ فَقَال لهُ: أَتعرفني ؟ قَالَ نَعم، أوُلكَ نُطفَة مَذِرة، وآخرك جِيفَة قَذِرة، وَمَرَّرت بِمَجرىٰ البَول مَـرّتين، وَأَنْت فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ تَحْمل العَذَرَة. فَمضىٰ المُهلَب وَتَرَك مِشيَته»[1]. وَفِي الحَدِيث: «إنَّ الخَلق إذَا أَقَروا لِلرَّسُول بِالرِّسَالة، وَأَذْعَنوا بِالطَاعة، لَمْ يَتَكَبر أَحد مِنْهُم أَنْ يَـتبع وِلده، وَيُطِيع ذُرِّيته، وَلَم يَتعَاظم ذَلِكَ فِي أَنْفُس النَّاس، وَإِذَاكَان ذَلِكَ فِي غَيْر جِنس الرَّسُول كَان كُلّ وَاحد مِنْهُم فِي نَفْسهِ أَنَّهم أَوْلىٰ بِهِ مِن غَيْرِهِ، وَدَخلَهُم بِالطَّاعةِ لِمَن هُو عِندهُم دُونَهُم، فكَان ذَلِكَ دَاعية إِلىٰ الفَسَاد وَالنِّفَاق وَالْإِخْتِلاَف»[2].

(١) وَقَد نَظَم مَحْمُود الوَرَّاق هَذا الكَلاَم، فَقَالَ:

عَـجِبتُ مِـن مُـعْجبٍ بِـصُورتهِ ... وَكَـان فِي الأَصـل نُـطفَة مَـذِره
وَهُو غَـداً بَـعد حُـسن صُـورتهِ ... يَـصِير فِي اللَّـحدِ جِـيفَة قَـذِره
وَهُــو عَـلىٰ تَـيهِهِ وَنَخـوتهِ ... مَـابَيْنَ ثَـوبيه يَحْـملُ العَـذره

وَقَالَ شَاعر آخر:

هَـل فِي ٱبـن آدم غَـيْر الرَّأس مَكْـرَمة ... وَهُــو بِخَـمس فِي الأَوسَاخ مَـضرُوب
أَنْــفٌ يَسِــيل وأُذن رِيحــها سَـهك ... وَالْـــعَيْن مُــرْمَصة وَالثَّـغر مَـلهُوب
يَٱبـــن التُّراب وَمَأكُـول التُّراب غَـداً ... قَــصّر فَــإنَّك مَأكُـول وَمَـشرُوب

أُنظر، كَشف الخَفَاء: ٣١/١ ح ٤٦، تَفْسِير القُرطُبِي: ٢٩٤/١٨، وَفيَات الأَعْيَان: ٢٨٤/٦، سِيَر أَعْلاَم النُّبلاء: ٥٠٥/٤ و: ٣٦٣/٥.

(٢) أُنظر، عِلل الشَّرائِع: ٢٥٥/١، عُيُون أَخْبَار الرِّضا: ١٠٩/١، مُسْنَد الإمَام الرِّضا: ١١١/١، تَفْسِير نُـور الثَّقلين: ٤٩٩/١.

وَقَد وَرَد فِي الحَدِيث القُدسي: قَالَ ﷺ، قَالَ تَعَالىٰ: «وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي إِنِّي لاَ أَتـقَبل الصَّلاَة إلاَّ لِمَن

(وَ عَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ فِي اللهِ، وَ هُوَ يَرَىٰ خَلْقَ اللهِ) وَآيَاته فِي كُلّ شَيْءٍ... وَنَصِيحتي لِمَن يَقتَنع بِهَذِه الآيَات أنْ يَقرَأ أَدِلَة الجَاحِدِين، وَأَنَا ضَامن وَكَفِيل لإِيمَانه وَهدَايته، وَمن أَدِلتِهِم هَذِه قَوْل «نِيتْشَه»: «وَلَو كَان هُنَاك إِله لَكُنت أَنَا الإِله، وَكَيف أَستَطِيع أنْ لاَ أَكون إلهاً؟.. وَلهذا فَلَيْس ثَمَّة إِله»[1].

وَقَالَ آخر: إنَّ الإِنْسَان خُلق بِشكلِهِ وَعلقِهِ مِن العفُونَاتِ، وَتَفَاعُل العنَاصر الطَّبِيعِية!... وَعَرضنا الأَدلة عَلىٰ وجُود الله تَعَالىٰ فِي العَدِيد مِن المُنَاسبَات الَّتي أَشَار إِلَيْهَا الإِمَام مِنْهَا فِي شَرح ٱلخُطْبَة[2].

(وَ عَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ الْمَوْتَ، وَ هُوَ يَرَىٰ الْمَوْتَىٰ) أي تَرك العَمَل وَالإِستِعدَاد لِلمَوْت، وَهُو يَعْلم أَنَّه مُلاَقِيه لاَ مَحالَة. وَأَعْجَب مِنْهُ هَؤُلاَء الوعَاظ فِي عَصرنَا يُحَذِّرون مِن نِسيَان المَوْت وَلاَ يحذَّرُون، وَيَقُولُون مَا لاَ يَفْعلُون.

(وَ عَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الأُخْرَىٰ، وَ هُوَ يَرَىٰ النَّشْأَةَ الأُوْلَىٰ). مِن كَفَر بِاللهِ، وَهُو يَرَىٰ خلَقه فَأَمْرَهُ عَجِيب، وَمَن آمَن بِهِ لأَنَّه رَأىٰ خَلقه وَآثَاره، ثُمَّ كَفَر بِاليَوْم الآخِرِ ـ فَأَمْرَهُ أَعْجَب وَأَغرَب، لأنَّ الَّذي بَدأ الخَلق قَادر عَلىٰ أنْ يُعِيده، وَهُو أَهوَن عَلَيْهِ: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾[3]. وَمَن أَنْكَر

⇐ تواضع لِعَظمتي، وَكَفَّ نَفْسه عَن الشَّهوَات ٱبْتغَاء مَرضَاتي، وَقَطع نهَاره فِي ذِكري وَلَم يَبت مُصراً عَلىٰ الخَطِيئَةِ، وَلَم يَتعَاظم عَلىٰ خَلقي...». أنظر، التَّأريخ الكَبِير لِلبُخاري: ١٥/٨ الرَّقم «١٩٨١»، الكَامِل فِي التَّأريخ: ٤٢١/٢، مِيزَان الإِعتدَال: ٥١٩/٢.

(١) أُنظر، كِتَاب السُّلْطَان، لِلفَيلسُوف الإِنجِليزي الشَّهير «بَرتراند رَاسل»: ٢٩٠ تَرجَمة خَيْري حمَّاد، الطَّبعة الأُولَىٰ سَنَة ١٩٦٢م. (مِنهُ ﷺ).

(٢) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلخُطْبَة (١٥٥). فِقرَة: (ٱلأَدِلّة عَلَىٰ وُجُودِهِ تَعَالىٰ). (مِنهُ ﷺ).

(٣) مَرْيَم: ٦٧.

البَعث فَقَد أَنْكَر وجُود الله مِن حَيْث يُرِيد أو لاَ يُرِيد، لأنَّ إِنْكَار البَعث مَعْنَاه إِنْكَار الْقُدْرَة عَلَيْهِ، وَهَذا الإِنْكَار إِنْكَار للهِ بِالذَّات. وَتَقَدَّم الكَلاَم عَن البَعث مِرَاراً.

(وَ عَجِبْتُ لِعَامِرِ دَارَ الْفَنَاءِ، وَ تَارِكِ دَارَ الْبَقَاءِ). أَبَداً لاَ فَرق بَيْنَ ظِلك فِي المِرآة وَوجُودك فِي هَذِه الحَيَاة، كِلاَهُما إِلىٰ زَوالٍ، وَالفَرق فِي طُول المُدة وَقُصرها، وَكُلّ آتٍ قَرِيب. قِيلَ لِحَكِيم: إِنَّ فُلاَناً فِي النَّزع. قَالَ: «هُو فِي النَّزع مُنذُ وُلِـدَ» أي أنَّ الْمَوْت أَقرَب الأَشْيَاء إِلىٰ الإِنْسَان، وَإِنَّه فِي طَرِيقه إِلىٰ دَار الخـلُود، وَلكـنَّ أَكْـثَر النَّاس يَعْلمُون كُل شَيء لِلمَمَّر، أَمَّا المَقر فَلا شَيء لهُ.

١٢٦ ـ وَ قَالَ ﷺ: «مَنْ قَصَّرَ فِي الْعَمَلِ ٱبْتُلِيَ بِالْهَمِّ، وَ لَا حَاجَةَ للهِ فِيمَنْ لَيْسَ للهِ فِي مَالِهِ، وَ نَفْسِهِ نَصِيبٌ».

● قَد يُصَاب الْمَرْء بِصحتِهِ، أو مَالِهِ، وَأَهلِهِ قَضَاءً وَقدراً، فَإِذا صَبرَ وَٱحتَسب ضَاعف الله لهُ الأَجْر، والعِوَض، وَهَان عَلَيْهِ مَا حَلَّ بِهِ. أمَّا مَن تَنْزِل بِهِ نَازِلة مِن تَقصِيرِه وَصُنع يَده فَهُو مَهمُوم وَمَذمُوم عِند الله، وَالنَّاس حَتَّىٰ وَلَو صَبر، لأنَّه هُو الَّذي أَسَاء إِلىٰ نَفْسه، وَأوقَعها فِي الهَم وَالغَم بِسُوء ٱختِيَاره وَإِرَادته... وَقَد عَرفتُ أَفرَاد يَأنفُون مِن بَعْض الأَعمَال، لِأَنَّهَا لاَ تُلِيق بِالذَّواتِ، وَالشَّخصِيات، وَلكنَّهم لاَ يَأنفُون مِن العَيش عِبئاً عَلىٰ الآخَرِين مَحْمُولِين غَيْر حَامِلِين حَـتَّىٰ أَنْـفسهم (وَ لَا حَاجَةَ للهِ فِيمَنْ لَيْسَ للهِ فِي مَالِهِ، وَ نَفْسِهِ نَصِيبٌ). أي أَنَّه تَعَالىٰ يُهْمِلهُم وَيُـعرِض عَنْهُم، كَمَا فِي الآيَة: ﴿ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ

ٱلْفَسِقُونَ﴾(١). وَنَصِيب الله فِي الْمَال هُو حَـقّ الْـفُقَرَاء الَّـذي صَرحَت بـِهِ الآيَـة: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾(٢). وَنَصِيبه فِي الأَنْـفُس هُـو الْجِهَاد لِنُصرَة الْحَقّ وَخُذلاَن البَاطِل، وَالْمَـعْنَىٰ أَنَّ الَّـذِين يَـبْخلُون وَلاَ يُـضَحُّون بِأَموَالِهِم وَأَنْفسِهِم، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ وَلَايُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَايَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَايُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٣).

---

(١) ٱلتَّوْبَة: ٦٧.

(٢) ٱلْمَعَارِج: ٢٤ ـ ٢٥.

(٣) آلِ عِمْرَانَ: ٧٧.

وَقَد جَاءَ فِي الخَبَر المَرفُوع: «إذَا أَحبَّ اللهُ عَبداً أبتلاهُ فِي مالِهِ، أو فِي نَفسِهِ». أُنظر، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلْحَدِيد: ١٨/٣١٧، كَنز العُمَّال: ٣/٣٠٧ ح ٦٦٨٣، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٧/٤٧٧.

وَجَاءَ فِي الخَبَر المَرفُوع: «اللّهُمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ مِن جَسَدٍ لاَيمرَض، وَمِن مَالٍ لاَ يُصَاب».

وَرَوىٰ عَبدُ الله بنُ أَنس عَنهُ ﷺ أنَّه قَالَ: «أَيُّكُم يُحبّ أن يَصِحّ فَلاَ يَسقَم»؟، قَالُوا: كُلُّنا يَا رَسُول الله، قَالَ: «أتُحِبُّون أَنْ تَكُونوا كَالحُمر الصَّائِلة؛ أَلاَ تُحِبُّون أَنْ تَكُونوا أَصْحَابَ بَلاَيا وَأَصْحَابَ كَفَّارَات! وَالَّذي بَعَثَنِي بِالحَقّ إنَّ الرَّجُل لِتَكُونُ لهُ الدَّرجَة فِي الْجَنَّة لاَ يَبلغها بِشَيء مِن عَمَلِه فَيَبتَليه اللهُ لِيُبلّغه الله دَرَجةً لاَ يَبلُغها بِعَمَلِهِ». أُنظر، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلْحَدِيد: ١٨/٣١٧، مُستدرَك الوَسَائِل: ٢/٥٦ ح ٤٩.

وَفِي الحَدِيث أيضاً: «مَا مِن مُسلمٍ يَمرَض مَرضاً إلاَّ حَتَّ الله بِهِ خَطَايَاه كَمَا تَحُتّ الشَّجرَة وَرَقها». أُنظر، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلْحَدِيد: ١٨/٣١٧، الدُّر المَنثُور: ٢/٢٢٨، تَأرِيخ دِمشق: ٦٧/١٢٧، أُسد الغَابَة: ١/١٣٤ و: ٥/٢٧٠، الإِصَابَة: ٧/٢٦٥ ح ١٠٣٨٧.

وَرَوىٰ أَبُو عُثْمَانَ النَّهْدِيّ قَالَ: دَخَل رَجُل أعرَابِيّ عَلَىٰ رَسُول الله ﷺ ذو جُثمانٍ عَظِيم، فَقَال لهُ: مَتَىٰ عَهْدُك بِالحُمَّىٰ؟ قَالَ: مَا أَعرفها، قَالَ: بِالصُّدَاع، قَالَ: مَا أَدرِي مَا هُو؟ قَالَ: فَأُصِبْتَ بِمالِك؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَرُزِئت بِوَلَدِك؟ قَالَ: لاَ، فَقَالَ ﷺ: «إنَّ الله لَيَكْرَه العِفْرِيت النِّفْرِيت الَّذي لاَ يُرزَأ فِي وَلَدِهِ وَلاَ يُصَاب فِي مَالِهِ». أُنظر، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلْحَدِيد: ١٨/٣١٨، مُسْنَد أَحمد: ١/٤٤١.

وَجَاء فِي بَعْض الآثَار: «أَشدّ النَّاس حِسَاباً الصَّحِيحُ الفَارِغ». أُنظر، بُغيَة البَاحث: ٩١، شَرح نَهْج ⇔

١٢٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «تَوَقَّوُا الْبَرْدَ فِي أَوَّلِهِ، وَ تَلَقَّوْهُ فِي آخِرِهِ، فَإِنَّهُ يَفْعَلُ فِي الْأَبْدَانِ كَفِعْلِهِ فِي الْأَشْجَارِ، أَوَّلُهُ يُحْرِقُ، وَ آخِرُهُ يُورِقُ».

● يَتكَيف جِسم الإِنْسَان تَبعاً لِلجَو وَأحوَاله برُودَة وَحَرَارة وأعتدَالاً. وَهَـذا

↩ ٱلبَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلحَدِيد: ٣١٨/١٨، الجَامِع الصَّغير: ٣٣٠/١ ح ٢١٦٢.

وَفِي حَدِيثِ حُذيفة رضي الله عنه: إنَّ أَقَرَّ يَوْم لِعَينِي لَيَوْمٌ لاَ أَجد فِيهِ طَعَاماً، سَمعتُ رَسُول الله صلى الله عليه وآله يَقول: «إنَّ الله لِيتَعَاهد عَبده المُؤْمِن بِالبَلاَءِ كَمَا يَتعَاهَد الوَالد وَلدهَ بِالطَّعام، وإنَّ الله يَحمِي عَبدَه المُؤمِنَ كمَا يَحمِي أَحدُكم المَرِيض مِن الطَّعَامِ». أنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ١٤٦/١٧ و: ٣١٨/١٨، تَأرِيخ دِمشق: ٢٧١/٥٩، أقتضَاء العِلْم وَالعَمَل: ١٠٣.

وَفِي الحَدِيث المَرفُوع أيضاً: «إذَا أَحَبَّ اللهُ عَبداً أبتلاَه، فَإذَا أَحبَّه الحُبَّ البَالِغَ أقتنَاه» قَالُوا: وَمَا أقْتنَاؤُه؟ قَالَ: «ألاَّ يَترُك لهُ مَالاً وَلاَ وَلداً». أُنظر، الجَامع الصَّغِير: ٢٧٥/١ ح ١٧٩٢، كَنز العُمَّال: ٣٣١/٣ ح ٦٨٠١ و ٦٨١٨، شَرح مُسْنَد أبِي حَنِيفَة: ١٥، فَيض القَدِير شَرح الجَامع الصَّغير: ٣٣٠/٢ ح ١٧٩٢، تَأرِيخ دِمشق: ٢٨٨/١٢ و: ٦٦/٨.

مَرّ موسىٰ عليه السلام بِرَجُلٍ كَان يَعرفه مُطِيعاً للهِ قَد مَزَّقَت السِّباعُ لَحْمَه وَأضلاَعَه، وَكَبِدُهُ مُلقاةٌ، فَوقف مُتَعَجِباً فَقَال: أي رَبِّ، عَبدُك المُطِيعُ لَكَ أبتَلَيتَه بِمَا أرىٰ، فَأوحَىٰ اللهُ إِلَيهِ: إنَّه سَألنِي دَرَجةً لَم يَبلُغهَا بِعَمَله، فَجَعلتُ لهُ بِمَا تَرىٰ سَبِيلاً إلىٰ تلكَ الدَّرَجَة. أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلحَدِيد: ٣١٨/١٨، الدَّعوَات للرَّاوندي: ١٦٦ ح ٤٦١، كَشف الخَفَاء: ٧٧/١ ح ١٨٥.

وَجَاء فِي الحَدِيث: «إنَّ زَكَريا لَمْ يَزَل يَرَىٰ وَلَده يَحيىٰ مَغْمُوماً بَاكِياً مَشغُولاً بِنَفْسِه، فَقَال: يَا رَبِّ طَلَبتُ مِنْكَ وَلَداً أَنْتَفِع بِهِ فرزَقْتَنِيه لاَ نَفع لِي فِيهِ، فَقَال لهُ: إنَّك طَلبتَه وَلِيّاً، وَالوَلِيّ لاَ يَكُون إلاَّ هَكَذا، مِشقَاماً فَقِيراً مَهمُوماً. أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلحَدِيد: ٣١٨/١٨، فَيض القَدِير شَرح الجَامع الصَّغِير: ٤٧٦/١، الدُّر المَنثُور: ٢٢٨/٢، تَأرِيخ دِمشق: ١١٥/٥٤.

وَقَالَ سُفيَان الثَوريّ: كَانُوا لاَ يَعدُّون الفَقِيه فَقِيهاً مَن لاَ يَعُدّ البَلاءَ نِعْمَة وَالرَّخَاءَ مُصِيبة. أُنظر، تَنْبِيه الخَوَاطِر: ٨٦/١، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ٣١٨/١٨.

وَعَن جابِر بنُ عَبد الله يَرفَعه: «يَوَدّ أَهْل العَافِية يَوْم القِيَامة أنَّ لحُومَهم كَانَتْ تُقرَض بِالمَقَارِيض لمَّا يَرَوْن مِن ثَوَاب أَهْل البَلاَءِ». أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ٣١٨/١٨.

شَأن كُلّ جِسم حَيّ نَبَاتَاً كَانَ أَمْ حيَوَاناً . وَأَخْبر الْإِمَـام بِهَـذِه الْحَـقِّيقَة ، وَنَـصح بِالوقَايَة مِن أَوَّل البَرْدَ دُونَ آخِره ـ كَأي عَالِم مُخْبر وَنَاصِح .

١٢٨ ـ وَ قَالَ ﷺ : «عِظَمُ الْخَالِقِ عِنْدَكَ يُصَغِّرُ الْمَخْلُوقَ فِي عَيْنِكَ» .

● يَعْجَبُ النَّاس العَادِلُون إذَا فُوجِئُوا بِشَيء مِن الطَّبِيعَة ، أو مِن آثَـار الـعَقْل وَإِبدَاعه مَا كَانوا يَعْرِفُونه مِن قَبل ، كَمَا عَجبُوا وَذَهلُوا حِين ٱكتَشف الْعُلَمَاء الخَلاَيا فِي جِسمِ الْإِنْسَان وَالعَدِيد مِن الكَوَاكب وَغَيرَها ، وَحِين ٱنتَقَل الْإِنْسَان مِن عَصر الشِّراع إلىٰ عَصر البُخَار ، ومِنْهُ إلىٰ الكَهربَاء ، ثُمَّ إلىٰ عَصر الذَّرة وَالْفَضَاء .

أَمَّا الصَّفوَة وَأَهْل المَعْرِفَة بالله ، وَعَظمته فإِنَّهُم لاَ يَعْجبُون مِن أي جَدِيد يَـظْهَر مِن غَرَائِب الكَون ، أو يَكْتَشفه الْإِنْسَان مَهمَاكَبر ، لأَنَّهم يَعْلمُون بِأنَّ قُدرَة الله تَعَالىٰ لاَ حَدّ لهَا وَلاَ نَهاية ، وَإنَّ هَذا الجَدِيد وَفوقه بِملاَيِين هُو أقل مِن القَلِيل بِالقِياس إلىٰ فَيض الْقُدْرَة الْإِلهية الَّتي تَقول لِلشَّيء : كُنْ فَيكُون . وَتَقَدَّم مَع الشَّرح قَول الْإِمَام فِي ٱلخُطْبَة المَاضِيَة : «عَظُمَ الْخَالِق فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ» .

١٢٩ ـ وَ قَالَ ﷺ ، وَقَدْ رَجَعَ مِنْ صِفِّينَ ، فَأَشْرَفَ عَلَىٰ الْقُبُورِ بِظَاهِرِ الْكُوفَةِ :

«يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوحِشَةِ ، وَ الْمَحَالِّ الْمُقْفِرَةِ ، وَ الْقُبُورِ الْمُظْلِمَةِ ؛ يَا أَهْلَ التُّرْبَةِ ، يَا أَهْلَ الْغُرْبَةِ ، يَا أَهْلَ الْوَحْدَةِ ، يَا أَهْلَ الْوَحْشَةِ ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ سَابِقٌ ، وَ نَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ لاَحِقٌ . أَمَّا الدُّورُ فَقَدْ سُكِنَتْ ، وَ أَمَّا الْأَزْوَاجُ فَقَدْ نُكِحَتْ ، وَ أَمَّا الْأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِمَتْ . هَذَا خَبَرُ مَا عِنْدَنَا ، فَمَا خَبَرُ مَا عِنْدَكُمْ ؟

ثُمَّ ٱلتَفَتَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : «أَمَا لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ لَأَخْبَرُوكُمْ أَنَّ : «خَيْرَ

الزَّادِ التَّقْوَىٰ».

● المَحَالُّ: جَمع مَحَل، وَفِي بَعْض النُّسخ المَجَال بِـالجِيم، وَهُـو خَـطأ، ومُـقْفِرَة: خَالِيَة، والفَرَط ـ بِفَتح الفَاء والرَّاء ـ المُتَقدِّم. وَالكَلاَم وَاضح يَدل بِنَفْسه عَلَىٰ مَعْناه وَلاَ يَحتَاج إِلىٰ تَفسِير، وَلاَ يَتعِظ بِهِ وَيَعتَبر إِلَّا ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِـٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾[(١)].

أَمَّا قَول الإِمَام: (لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ لَأَخْبَرُوكُمْ) فَهُو تَمَامَاً مِثل قَول النَّبيّ ﷺ لِقَتلىٰ المُشركِين يَوْم بَدر: «يَا أَهْل القَلِيب، يَا عُتْبَة بن رَبِيعَة، يَا شَيْبَة ٱبن رَبِيعَة، يَا أُميَّة بن خَلف، يَا أَبَا جَهل بن هُشَام، هَل وَجَدتُم مَا وَعَد رَبّكم حَقَّاً؟ فَإِنِّي وَجَدت مَا وَعَدنِي رَبِّي حَقَّاً. فَقَال المُسْلِمُون يَا رَسُول الله أَتُنَادي قَوماً جَيَّفُوا؟ قَالَ: مَا أَنْتُم بِأَسمع لمَّا أَقول مِنْهُم، وَلَكنَّهم لاَ يَسْتَطِيعُون أَنْ يُجِيبُونِي»[(٢)].

---

(١) سُوْرَة ق: ٣٣.

(٢) وَقَد أَمَر رَسُول الله ﷺ أَنْ تُطرح القَتلىٰ فِي القَلِيب، فَطُرحُوا فِيهِ، وَلمَّا أُلقُوا فِي القَلِيب وَقَف عَلَيْهِم ﷺ وَقَالَ: (يَا أَهْل القَلِيب بِئس عَشِيرة النَّبيّ كُنْتُم لِنَبِيّكم! كَذّبتمُونِي وَصَدَّقنِي النَّاس.... ثُمَّ قَالَ: يَا عُتبَة، يَا شَيبَة، يَا أُميَّة بن خَلَف، يَا أَبَا جَهل بن هُشَام، وَعدَّد مَن كَان فِي القَلِيب، هَل وَجَدتُّم مَا وَعَدكُم رَبّكُم حَقَّاً؟ فَإِنِّي وَجدتُ مَا وَعدنِي رَبِّي حَقَّاً. فَقَال لهُ أَصْحَابه: أَتُكلِّم قَوماً مَوتىٰ؟ فَقَال ﷺ: مَا أَنْتُم بِأَسمَع لِمَا أَقول مِنْهُم وَلكنَّهُم لاَ يَسْتَطِيعُون أَنْ يُجِيبُونِي.... ثُمَّ ٱستوصىٰ بِالأَسرىٰ خَيراً.

أَنظر، الكَامِل فِي التَّأرِيخ لِابْن الأَثِير: ٢/ ١٢٩، صَحِيح البُخَارِيّ: ٢/١٠١، فَتح البَارِي: ٧/٢٣٥، مُقدَمة فَتح البَارِي: ٢٦٧، مُسْنَد ٱبن رَاهويه: ٢/٥٧٣، مُسْنَد أَحمد: ٢/١٣١ و: ٦/٢٧٦، المُصنَّف لِابْن أَبِي شَيبَة: ١٤/٣٧٩، دَلاَئِل النُّبُوَّة لِلبَيهقِي: ٢/٣٣٢ و ٣٣٩، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٢/١٢٩، المغَازي للوَاقدي: ١/١١٢، مُنْتَخَب مُسْنَد عَبد بن حميد: ٢٤٦ ح ٧٦٢، صَحِيح ٱبن حبَّان: ١٥/٥٦٢، كَنز العُمَّال: ١٠/٣٧٧ ح ٢٩٨٧٥ ـ ٢٩٨٧٧ و ٢٩٩٧٦، الثِّقات لِابْن حبَّان: ١/١٧٥، أُسد الغَابَة: ٢/٣٨٢،

وَتَسْأَل: أَلَا يَتنَافىٰ هَذا مَع قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾[1].

الجَواب:

كَلاَّ، لأنَّ القَصد مِن هَذِه الآيَة تَوبيخ المُشْرِكِين الَّذين لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَّعوَة رَسُول

⇐ الإصَابَة: ٣/١٩٥ ح ٣٦٤٤، البدَاية والنّهاية: ١/١٥٨ و: ٣/٣٥٧، السّيرَة لِابْن هُشام: ٢/٢٨٠، السّيرَة الحَلبِية: ٢/١٩٠، تَأريخ الطَّبَري: ٢/١٥٥، الْمُعْجَم الصَّغِير: ٢/١١٣، الْمُعْجَم الكَبِير: ٧/١٦٥ و: ١٠/١٦٠ ح ١٠٣٢٠، شَرح نَهْج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلْحَدِيد: ١٤/١٧٨.

وَقَالَ جَابر: لَبَس الإِمَام عَلِي نَعْلِيه وَأَلقىٰ إِزَاره عَلىٰ مَنْكِبِيه وَخَرَجنا نَتسَاير، فَذَهب بِنَا إِلىٰ الجَبَّانة ـ جَبَّانَة الْكُوفَة ـ فَسَلَّم عَلىٰ أَهْل القُبُور، فَسَمعتُ ضَجَّة، وَهَجَّة فَقلتُ: مَا هَذا يَا أَمِير الْمُؤْمِنِين؟ فَقَال: هَؤُلاَء بِالأَمس كَانُوا مَعَنَا وَالْيَوْم فَارَقُونا، أَتسَأل عَن أَحوَالِهم فَهُم إِخوانٌ لاَ يَتزَاورُون وَأَودّاء لاَ يَتعَاودُون. ثُمَّ خَلَع نَعلِيه وَحَسر عَن ذِرَاعيه، وَقَالَ: يَا جَابِر أعطُوا مِن دُنيَاكُم الفَانِيَة لآخِرتكُم البَاقِيَة، وَمِن حَيَاتكُم لِمُوتكُم، وَمِن صِحَّتكُم لِسُقمكُم، وَمِن غِنَاكُم لِفَقركُم، اليَوْم أَنتُم فِي الدُّور وَغَداً فِي القُبُور وإِلىٰ الله تَصِير الأُمور.

ثُمَّ أَنشأ يَقول، كَمَا جَاء فِي نُظم دُرر السّمطِين: ١٧٣، المَناقب للخوَارزمي: ٣٧٠، نُور الأَبصَار: ٨٥، الفصُول المُهمَّة لِابْن الصَّباغ المَالكي: ١/٥٦٩، بِتَحقِّيقنا.

سَلاَمٌ عَلىٰ أَهْلِ القُبُور الدّوَارِس ... كَأَنَّهُم لَمْ يَجلسُوا فِي المَجَالِس
وَلَمْ يَشربُوا مِن بَارِدِ المَاء شِربَة ... وَلَمْ يَأكلُوا مَا بَيْنَ رَطبٍ وَيَابِس
أَلاَ فَأخبرُونِي أَين قَبْر ذَلِيلكُم ... وَقَبْر العَزِيز البَاذِخ الْمُتنَافِس

وَلَهُ عليه السلام:

وَالله لَو عَاش الفَتىٰ مِن دَهْرِهِ ... أَلفَاً مِن الأَعوَام مَالِك أَمره
مُتلذذاً فِيها بِكُلِّ هُنيئة ... وَمُبلغاً كُلّ الْمُنىٰ مِن دَهْرِهِ
لاَ يَعرف الآلاَم فِيها مُرَّة ... كَلَّا وَلاَ جَرت الهُمُوم بِفكرِهِ
مَا كَان ذَاكَ يُفِيده مِن عَظم مَا ... يَلقىٰ بِأَوَّل لِيلة فِي قَبرِهِ

(١) مِن سُورَة فَاطِر: ٢٢.

الله تَمَامَاً كما لَمْ يَسْتَجِيب أَهْل الْقُبُور، وَيَدِل عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلَه تَعَالَىٰ فِي الآيَـة: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾(١).

وَأَغرَب مَا قَرَأته فِي هَذا البَاب نَقلاً عَن قِصَّة الحَضَارَة: «إِنَّ السُّومَرِيين، وَالْإِسرَائِيليين يَعْتَقِدُون بِأَنَّ الحَيَاة الآخِرَة حَقّ لاَ رَيب فِيهِ، وَلكن لاَ حِسَاب فِيها، وَلاَ عِقَاب، وَلاَ أي فَرق بَيْنَ الأَخْيَار، وَالأَشرَار»(٢).

---

(١) مِن سُورَة فَاطِرٍ: ٢٢.

(٢) أُنظر، قِصَّة الحَضَارة لـ«ول ديورانت»: الجُزء الثَّانِي مِن المُجَلَّد الأَوَّل: ٣٠. (مِنْهُ ﷺ).

وَالحَدِيث عَن القُبُور وَالأَموَات كَثِير، وَلكنْ نَقْتَطف بَعضاً مِنْهَا عَلَىٰ سَبِيل المِثَال:

فَفِي وَصِيّة النَّبِيّ ﷺ لأَبِي ذَرّ: يَا أَبَا ذَرّ، زُر القُبُور تَذكُرْ بِها الآخِرَة وَلاَ تَزُرها لِيلاً، وَغَسِّل المَوتَىٰ يَتحَرَك قَلبُك، فإنَّ الجَسَد الخَاوِيَ عِظَةٌ بَلِيغة، وَصلِّ عَلَىٰ المُوتَىٰ فإنَّ ذَلِكَ يُحزِنُك، فإنَّ الحَزِين فِي ظِلِّ الله.

أُنظر، المُسْتَدرَك عَلَىٰ الصَّحِيحِين: ١/٣٧٧ و: ٤/٣٣٠، التَّرغِيب وَالتَّرهِيب: ٤/١١٨، شَرح نَهج البَلاَغَة لاِبْن أَبِي الحَدِيد: ١٨/٣٢٣ و: ٢٠/٢٤٤، الجَامِع الصَّغِير: ١/٤٦٨ ح ٣٠١٩ و: ٢/٢٩ ح ٤٥٥٤، العُهُود المُحَمَّدِية: ٦٠٠، كَنز العُمَّال: ١٥/٦٤٩ ح ٤٢٥٦٨ و ٤٣٥٦٥، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٣/٢٠٩ و: ٤/٨١ ح ٤٥٥٤، الدُّر المَنثور: ٥/١٣٧، لِسَان المِيزَان: ٦/٣٠٢ ح ١٠٨٣.

وَوُجِد عَلَىٰ قَبرٍ مَكتُوباً، كَمَا جَاء فِي كِتَاب التَّوَابِين لاِبْن قُدَامة: ٢٠٦ ح ٧٨، تَأرِيخ دِمشق: ٢٧/٢٩٨، البَيَان فِي أُسد الغَابَة: ٣/٩٦، أُسد الغَابَة: ٣/١٣٥، ذَيل تَأرِيخ بَغداد: ٢/١٨٧.

مُـقِيمٌ إِلىٰ أَنْ يَـبعثَ الله خَـلْقَهُ ... لِقَاؤكَ لاَ يُـرجَـىٰ وَأَنت رَقِـيبُ
تَـزِيدُ بَـلىً فِي كُـلِّ يَـوْمٍ وَلَـيلةٍ ... وَتُنْسَىٰ كَـمَا تَـبلَىٰ وَأَنت حَـبِيبُ

وَقَالَ الحَسَن ﷺ: مَاتَ صَدِيق لَنَا صَالِح، فَدَفنَّاه وَمَدَدْنَا عَلَىٰ القَبْر ثَوباً، فَجَاء صِلَة بنُ أُشَيم، فَرفَع طَرَفَ الثَوب وَنَادَىٰ: يَا فُلاَن، ثُمَّ قَالَ شِعراً، كَمَا جَاء فِي الطَّبقات الكُبرىٰ: ٧/١٥٣، لِسَان العَرب: ١٢/٤١٠، كِتَاب العَيْن: ٢/٩٢، تُحفَة الأَحْوَذِي: ٦/٤٩١، الإِصَابَة: ٤/٤١٢ الرَّقم «٥٥٥٨».

إِنْ تَنجُ مِنْهَا تَنجُ مِن ذِي عَظِيمةٍ ... وَإِلاَّ فَـإِنِّي لاَ إِخَـالُكَ نَـاجِيَا

وَفِي الحَدِيث المَرفُوع، إِنَّه ﷺ كَانَ إِذَا تَبِع الجِنَازة أَكثَر الصُّمَات؛ وَرُئِيَ عَلَيه كَآبَةٌ ظَاهِرَة، وَأَكثَر حَدِيثَ

⇐ النَّفس. أنظر، الجَامع الصَّغير: ٣٤٠/٢ ح ٦٧٣٢، كَنز العُمَّال: ١٥٨/٧ ح ١٨٥١١، فَيض القَدير شَرح الجَامع الصَّغير: ٣٦٦/٢ ح ١٨٦٨ و: ١٨٥/٥ ح ٦٧٣٢، الطَّبقَات الكُبرىٰ: ٣٨٥/١، سُبل الهُدَىٰ وَالرَّشاد: ٣٦٣/٨.

سَمع أبُو الدَّرداء رَجُلاً يَقول فِي جِنَازة: مَن هَذا؟ فَقَال: أنْتَ، فإنْ كَرِهت فَأنَا. أنظر، شَرح نَهْج ٱلبَلاَغَة لِابْن أبِي ٱلحَدِيد: ٣٢٣/١٨.

سَمع الحَسنُ عليه السلام ٱمْرَأةً تَبكِي خَلف جِنازة، وَتَقول: يَا أبَتَاه، مِثلَ يَوْمِك لَمْ أرَه!

فَقَال: بَل أبُوكِ مِثل يَوْمِه لَمْ يَرَه. شَرح نَهْج ٱلبَلاَغَة لِابْن أبِي ٱلحَدِيد: ٣٢٣/١٨، الإِعتبَار لِابْن أبِي الدُّنيَا: ٣٦.

وَكَانَ مَكحُولٌ إذَا رَأىٰ جِنَازة قَالَ: ٱغدُ فَإنَّا رَائِحُون. أنظر، المُصَنَّف لعَبدالرَّزاق الصَّنعاني: ٥٤٩/٣ ح ٦٦٦١، تَأرِيخ دِمشق: ١٩٤/٤٧ و: ٣٧٨/٦٧، البِدَاية والنِّهاية: ١٢٢/٨، سِير أعْلاَم الذَّهبي: ٦١٥/٢، حلية الأوْلِيَاء: ٣٨٣/١.

وَقَالَ ٱبن شَوْذَب: ٱطَّلعَت ٱمْرَأة صَالِحة فِي لَحْدٍ، فَقَالت لامرَأةٍ مَعَهَا: هَـذَا كُـنْدُوج العَـمَل - يَـعْنِي خِزَانته. وَكَانَتْ تُعطِيها الشَّيء بَعد الشَّيء تَأمرُهَا أنْ تَتصدَّق بِهِ، فَتَقول: ٱذهَبِي فَضَعي هَـذَا فِي كُـنْدُوج العَمَل. أنظر، شَرح نَهْج ٱلبَلاَغَة لِابْن أبِي ٱلحَدِيد: ٣٢٣/١٨.

وَقَالَ أبُو عَام الكلاَبِي الشَّاعر، الزاهد، كَمَا جَاء فِي شَرح نَهْج ٱلبَلاَغَة لِابْن أبِي ٱلحَدِيد: ١١٥٨/١ و: ٣٢٤/١٨.

أجَـازِعةٌ رُدَيـنَةُ أنْ أتَـاها ... نَعِيّي أمْ يَكُون لهَـا ٱصْطِبَارُ!
إذَا مَا أهْلُ قَبْرِي وَدَعُونِي ... وَرَاحُوا وَالأكُفُ بِهَا غُبارُ
وَغُودِرَ أعظُمِي فِي لحدِ قَبْرٍ ... تُـراوِحُـه الجِـنَائب وَالقِـطارُ
تَهُبُّ الرِّيح فَوق مَحطِّ قَبْري ... وَيَرعىٰ حَولَه اللَّهَقُ النَّوارُ
مُـقِيم لاَ يُكـلِّمني صَـدِيقٌ ... بِـفَقر لاَ أزورُ وَلاَ أُزَارُ
فَذَاكَ النَّأيُ لاَ الهِجْرَانُ حَـوْلاً ... وَحَـوْلاً ثُمَّ تَجْـتَمعُ الدِّيَـارُ

وَقَالَ شَاعِر آخر، كَمَا جَاء فِي شَرح نَهْج ٱلبَلاَغَة لِابْن أبِي ٱلحَدِيد: ٣٢٤/١٨.

كَأنِّي بِإخوَانِي عَلىٰ حَافَتَيْ قَبْرِي ... يهِيلُونه فَوْقِي وَأدمُعُهمْ تَجْري

⇔

١٣٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام ، وَ قَدْ سَمِعَ رَجُلًا يَذُمُّ الدُّنْيَا : «أَيُّهَا الذَّامُّ لِلدُّنْيَا ، الْمُغْتَرُّ بِغُرُورِهَا ، الْمَخْدُوعُ بِأَبَاطِيلِهَا ! أَتَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَذُمُّهَا ؟ أَنْتَ الْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا ، أَمْ هِيَ الْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ ؟ مَتَىٰ اسْتَهْوَتْكَ ، أَمْ مَتَىٰ غَرَّتْكَ ؟ أَ بِمَصَارِعِ آبَائِكَ مِنَ الْبِلَىٰ أَمْ بِمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ الثَّرَىٰ ؟ كَمْ عَلَّلْتَ بِكَفَّيْكَ ، وَ كَمْ مَرَّضْتَ بِيَدَيْكَ ! تَبْتَغِي لَهُمُ الشِّفَاءَ ، وَ تَسْتَوْصِفُ لَهُمُ الأَطِبَّاءَ ، غَدَاةَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ دَوَاؤُكَ ، وَ لَا يُجْدِي عَلَيْهِمْ بُكَاؤُكَ ، لَمْ يَنْفَعْ أَحَدَهُمْ إِشْفَاقُكَ ، وَ لَمْ تُسْعَفْ فِيهِ بِطَلِبَتِكَ ، وَ لَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ بِقُوَّتِكَ ! وَ قَدْ مَثَّلَتْ لَكَ بِهِ الدُّنْيَا نَفْسَكَ ، وَ بِمَصْرَعِهِ مَصْرَعَكَ . إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا ، وَ دَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا ، وَ دَارُ غِنىً لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا ، وَ دَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنِ اتَّعَظَ بِهَا ، مَسْجِدُ أَحِبَّاءِ اللهِ ، وَ مُصَلَّىٰ مَلَائِكَةِ اللهِ ، وَ مَهْبِطُ وَحْيِ اللهِ ، وَ مَتْجَرُ أَوْلِيَاءِ اللهِ . اكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ ، وَ رَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ . فَمَنْ ذَا يَذُمُّهَا وَ قَدْ آذَنَتْ بِبَيْنِهَا ، وَ نَادَتْ بِفِرَاقِهَا ، وَ نَعَتْ نَفْسَهَا وَ أَهْلَهَا ؛ فَمَثَّلَتْ لَهُمْ بِبَلَائِهَا الْبَلَاءَ ، وَ شَوَّقَتْهُمْ بِسُرُورِهَا إِلَىٰ السُّرُورِ ؟ رَاحَتْ بِعَافِيَةٍ ، وَ ابْتَكَرَتْ بِفَجِيعَةٍ ، تَرْغِيباً وَ تَرْهِيباً ، وَ

⇔ فَيا أَيُّها المُذري عَليَّ دِمُوعَه ستُعرِض فِي يَوْمين عَنّي وَعن ذِكري
عَفَا اللهُ عَني يَوْمَ أُترك ثَاوِياً أُزارُ فَلاَ أَدْرِي وَأُجفىٰ فَلا أَدري

وَجَاء فِي الحَدِيث المَرفُوع: «مَا رَأَيتُ مَنظَراً إِلاَّ وَالقَبرُ أَفظَع مِنْهُ». أُنظر، تَنْبِيه الخَوَاطِر: ٢٨٤/١، سُنن ابن مَاجه: ١٤٢٦/٢ ح ٤٢٦٧، إِثبَات عَذَاب القَبْر لِلبَيهقي: ١٣١، الجَامِع الصَّغِير: ٤٩٦/٢ ح ٧٩١٠، كَنز العُمَّال: ٦٤١/١٥ ح ٤٢٥٢٨، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٥٧٠/٥ ح ٧٩١٠، تَأرِيخ بَغدَاد: ٨٧/٦ الرَّقم «٣١٢٥»، تَهذِيب الكَمَال: ١٤٨/٣٠، سُبل الهُدَىٰ وَالرَّشَاد: ٣٨٢/٨، مُسْنَد أَحمد: ٦٣/١، سُنن التِّرمِذي: ٤٧٩/٤ ح ٢٣٠٨.

وَفِي الحَدِيث أَيضاً: «القَبْر أَوَّل مَنزِلٍ مِن مَنَازِلِ الآخِرَة، فَمن نَجا مِنهُ فَما بَعدَه أَيسَر، وَمَن لَمْ يَنجُ مِنهُ فَما بَعدَه شَرٌّ مِنهُ». أُنظر، شَرح نَهج البَلاغَة لِابن أَبي الحَدِيد: ١٥٩/١١ و: ٣٢٤/١٨، إِثبَات عَذَاب القَبْر: ١٣١، السُّنن الكُبرىٰ لِلبَيهقي: ٥٦/٤.

تَخْوِيفاً وَ تَحْذِيراً، فَذَمَّهَا رِجَالٌ غَدَاةَ النَّدَامَةِ، وَ حَمِدَهَا آخَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ذَكَّرَتْهُمُ الدُّنْيَا فَتَذَكَّرُوا، وَ حَدَّثَتْهُمْ فَصَدَّقُوا، وَ وَعَظَتْهُمْ فَٱتَّعَظُوا».

● لِكُلِّ إِنْسَان دُنيَاه، وَهِي أَيَّام حَيَاته عَلىٰ وَجه الأَرْض، فإذَا مَات قَامت قِيَامته، وَأَدبَرَت دُنيَاه، وَأَقْبلت آخِرَته، وَلِذَا قِيل: «الْقَبْر أَوَّل مَنزلٍ مِن مَنازلِ الآخِرَة، فَمَن نَجا مِنهُ فَما بَعدَه أَيسَر، وَمَن لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَما بَعدَه شَرٌّ مِنْهُ»[١]... وَكُلّ عَمَل لِلإِنْسَان فِي دُنْيَاه هُو وَاحد مِن ثَلاَثَة: «عَمَل لاَ صِلَة لهُ بِآخِرَة العَامِل وَوقُوفه غَداً لِنقَاش الحِسَاب، كَهوَايَته بِجَمع الطَّوَابع وَتَنسِيق الأَزْهَار. وَعَمل آخَر لهُ أَطيَب الأَثر فِي آخِرَته وَسَعادَته، كَخِدمة الإِنْسَان وَحَلّ مشَاكله وَمُشَاركته فِي آلاَمه. وَعَمل ثَالث يَجر عَلىٰ صَاحِبهِ أَسوَأ الآثَار فِي آخِرَته، كَالْفَسَاد وَالْعُدْوَان عَلىٰ العِبَاد.

وَالله سُبْحَانَه وَجَمِيع رُسِله وَأولِيَائه ذَموا الدُّنْيَا إِلىٰ هَذا القِسم الثَّالِث. وَمَدحَها الإِمَام فِي كَلاَمهِ هُنا بِالنَّظر إِلىٰ القِسم الثَّانِي الَّذي يُؤدي إِلىٰ رَحمة الله وَجَنَّته، وَكَلاَمه صَرِيح فِي ذَلِكَ (ٱكْتَسَبُوا فِيهَا الرَّحْمَةَ، وَ رَبِحُوا فِيهَا الْجَنَّةَ) بِإرَادَتهم وَحُسن ٱختِيارِهم ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[٢]: طَرِيق الطَّاعَة وَالمَعْصِيَة، الحَسَنة وَالسَّيِّئَة: ﴿مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَايُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَايُظْلَمُونَ﴾[٣]. وَإِذْن فَالذَّنب ذَنبنا، وَلاَ ذَنب لِلدُّنيا، وَبِهذا نَجد تَفْسِير قَول

---

(١) أُنظر، شَرح نَهج ٱلْبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلْحَدِيد: ١٥٩/١١ و: ٣٢٤/١٨، إِثبَات عذَاب القَبْر: ١٣١، السُّنن الكُبرىٰ لِلبَيهقِي: ٥٦/٤.

(٢) ٱلْبَلَدِ: ١٠.

(٣) ٱلْأَنْعَام: ١٦٠.

الإِمَام: (أَنْتَ الْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا، أَمْ هِيَ الْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ ؟).

(أَ تَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَذُمُّهَا ؟). أَكْثَرَ الإِمَام مِن ذَمّ الدُّنْيَا وَهُو زَاهِد فِيها، وَنَذمها وَنَحْنُ لَهَا عَابِدُون (مَتَىٰ اسْتَهْوَتْكَ، أَمْ مَتَىٰ غَرَّتْكَ ؟ أَ بِمَصَارِعِ آبَائِكَ مِنَ الْبِلَىٰ أَمْ بِمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ الثَّرَىٰ ؟... إلخ). أَنْبَأَ الله وَرُسله بِمَسَاوِىء الدُّنْيَا، وَحذَرُوا مِنْهَا. وَأَيضاً تَكَشفَت هِي عَن كُلِّ مَا فِيهَا، وَلَمْ تخفِ شَيْئاً، فَأَينَ الخِدَاع وَالتغرِير ؟ (إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَهَا، وَ دَارُ عَافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا... إلخ). الْمُرَاد بِصِدْقِ الدُّنْيَا إِعْلاَن مَا فِيها مِن عِبَر وَعِظَات، وَقَد صَرح الإِمَام بِذَلِكَ فِي الْخُطْبَة المَاضِيَة: «مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ، وَلَكِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ، وَلَقَدْ كَاشَفَتْكَ الْعِظَاتِ، وَآذَنَتْكَ عَلَىٰ سَوَاءٍ»[1]. أَمَّا الَّذي صَدَقَها فَهُو الَّذي انْتَفع بِعِبرِهَا، وَاعْتَبر بِموَاعِظها. وَيَأتِي قَول الإِمَام: «مَا أَكْثَرَ الْعِبَرَ ـ فِي الدُّنْيَا ـ وَأَقَلَّ الاِعْتِبَارَ»[2] أي المُعْتَبِرِين وَالمتَّعِظِين.

(وَ دَارُ غِنىً لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا) كُلّ مَن جَاهَد وَنَاضل لِنُصرَة الضَّعِيف وَإِنْصَافه مِن القَوِّي فَقَد أَخَذَ مِن دُنيَاه ثَروَة لاَ حَدَّ لهَا وَلاَ عَدّ (وَ دَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنِ اتَّعَظَ بِهَا... إلخ). عَطف تَفْسِير عَلىٰ دَار صِدقٍ (وَ قَدْ آذَنَتْ بِبَيْنِهَا، وَ نَادَتْ بِفِرَاقِهَا، وَ نَعَتْ نَفْسَهَا وَ أَهْلَهَا... إلخ). أَعْلَمت وَأَخبَرت أَهْلَهَا بِلسَان الحَال أَنَّهم إِلىٰ فَنَاء وَزَوَال، وَمَا بَعد هَذِه الجُملَة عَطف تَفْسِير عَلَيْهَا (فَمَثَّلَتْ لَهُمْ بِبَلاَئِهَا الْبَلاَءَ) تَكَشفَت عَن مَساوِئِها حَتَّىٰ رَأَوهَا بِالحِس وَالعيَان.

(وَ شَوَّقَتْهُمْ بِسُرُورِهَا إِلَى السُّرُورِ ؟) رَغَّبَتهُم فِي كُلِّ عَمَل يَنْتَهِي بِهِمْ إِلىٰ جَنَّة الله وَرِضوَانه (رَاحَتْ بِعَافِيَةٍ، وَ ابْتَكَرَتْ بِفَجِيعَةٍ... إلخ). رَاحَتْ: مِن الرَّوَاح أي

---

(١) أنظر، نَهج البَلاَغَة: الخُطبَة (١٢٣). (مِنهُ).

(٢) أنظر، نَهج البَلاَغَة: الحِكمَة (٢٩٧).

العَشي ، وَٱبْتَكَرَتْ : مِن البُكْرَة أي الغَدَاة . وَالعَافِيَة : النِّعْمَة ، وَالفَجِيعَة : النِّقمَة . والْمَعْنَىٰ أَنَّ الدُّنْيَا تُمسِي بِخَيرٍ ، وَتُصبح بِشَرٍّ (تَرْغِيباً) فِي طَاعَة الله وَثوَابه (وَ تَرْهِيباً) مِن مَعْصِيَته وَعِقَابه (فَذَمَّهَا رِجَالٌ غَدَاةَ النَّدَامَةِ) وَهُم الَّذِين قَصَّرُوا فِي العَمَلِ ، وَنَدمُوا عِند نِقَاش الحِسَاب ، وَكَان الأُولىٰ بِهِمْ أَنْ يَذمُّوا أَنْفسهم ، لأَنَّ الدُّنْيَا كَشَفت لَهُم عَن عَورتهَا بِلا تَضلِيل وَحَيَاء (وَ حَمِدَهَا آخَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . . . إلخ) . وَهُم الَّذِين أَخذُوا مِنْهَا مَا فِيهِ الكفَايَة لِنَجَاتِهم يَوْم الفَزَع الأَكْبَر[1] .

١٣١ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «إِنَّ للهِ مَلَكاً يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ لِدُوا لِلْمَوْتِ ، وَ ٱجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ ، وَ ٱبْنُوا لِلْخَرَابِ» .

● هَذِه سُنَّة الله فِي خَلقهِ : ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً﴾[2] . وَقَد يَكُون الْمُرَاد بِالمُلكِ هُنا الْعَقْل وَالعيَان ، أو طَبِيعَة الحَال وَإِلّا فَأَيَّة جَدوىٰ مِن صَوت لاَ يُسْمَع[3] ؟ .

---

(١) وَقَالَ الإِمَام عَليّ عليه السلام : «النَّاسُ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا ، وَلاَ يُلاَمُ الرَّجُلُ عَلَىٰ حُبِّ أُمِّهِ» . أُنظر ، نَهْج ٱلْبَلاَغَة : ٱلْحِكْمَة : (٣٠٣) . وَقَد أَخَذ الشَّاعر مُحَمَّد بن وَهْب الحِمْيَرِي ، هَذِه ٱلْحِكْمَة وَقَالَ :

وَنَحنُ بَنُو ٱلدُّنْيَا خُلِقْنا لِغَيرِها ... وَمَا كُنتَ مِنهُ فَهُو شَيءٌ مُحَبَّبُ

أُنظر ، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلحَدِيد : ٨/ ٢٩٠ و : ١٨/ ٣٢٧ ، كِتَاب الأَمثَال لِابْن خَلاَّد : ٥١ .

(٢) ٱلأَحْزَاب : ٦٢ .

(٣) هَذِه اللاَّم عِند أَهْل العَرَبِية تُسمَّىٰ لاَم العَاقِبَة ، وَمِثلُ هَذَا قَوله تَعَالىٰ : ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ ، سُورَة ٱلْقَصَصِ : ٨ ، لَيْسَ أَنَّهم ٱلتَقَطُوه لِهَذِه العِلَّة ، بَل ٱلتَقَطُوه فكَان عَاقِبَةُ ٱلتقَاطِهم إِيَّاه العَدَاوة وَالحُزْن ، وَمِثلُه :

وَأُمّ سَمَاك فَلاَ تَجْزَعِي ... فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الوَالِدَة

١٣٢ ـ وَ قَالَ ﷺ : «الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ ، لَا دَارُ مَقَرٍّ ، وَ النَّاسُ فِيهَا رَجُلَانِ : رَجُلٌ بَاعَ فِيهَا نَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا ، وَ رَجُلٌ ٱبْتَاعَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا » .

● الأَوَّل مِن الرَّجُلين بَاع نَفْسه وَدِينه لِلشّيطان بِلَذّه زَائِـلة ، فَأهـلَك نَـفْسه ، وَخَسِر دِينه ، وَلَقِي رَبَّه مَخذُولاً . وَالرَّجُل الثَّانِي حَرَر نَفْسه مِن الشَّيْطَان وَحَـبَائِله وَٱحْتَفظ بِدِينه ، فَعَاش فِي الدُّنْيَا حُرّاً كَرِيماً ، وَفِي الآخِرَة رَاضِياً مَرضِياً . . . وَفِي سَائِر الأَحْوَال فَلاَ خَيْر فِي نَفْسٍ مَا عَرفت الكِفَاح ، وَلاَ حَمَلت الأَثـقَال ، وَلاَ ذَاقت مُـرّ الحَيَاة وَقَسوَتها[1] .

١٣٣ ـ وَ قَالَ ﷺ : «لَا يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقاً حَتَّىٰ يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَـلَاثٍ : فِـي نَكْبَتِهِ ، وَ غَيْبَتِهِ ، وَ وَفَاتِهِ » .

● قَالَ النَّاس فِي الصَّدَاقَـة فَأكـثَرُوا شِـعرَاً وَنَـثرَاً ، قَـدِيماً وَحَـدِيثاً ، وَأَلّـف «التَّوحِيدي» كتَاباً ضَخْماً فِي الصَّدَاقة وَالصَّدِيق ، وَالشَّرط الأَسَاسِي فِي الصَّدِيق

⇐ أنظر ، التِّبيَان لِلشَّيخ الطُّوسي : ٣/٦٠ و : ٤/١٤٦ و ٢٦١ ، تَفسِير مَجمَع البَيَان : ٢/٤٥٥ و : ٤/١٥٣ ، كَنز الفوَائِد : ٤٨ ، سِمط الآلي : ٩٢ ، أحكَام القُرآن لِلجَصاص : ٣/٤٧ ، شَرح نَهج البَلاغَة لابن أَبِي الحَـدِيد : ١٨/٣٢٨ . وَقَد نُسبَ هَذا المَثل إِلىٰ شتيم بن خُويلد الفزاري ، وَقِيل لِسَمَاك بن عَمرُو البَاهِلِي .

وَمِثلُه قَوْله تَعَالىٰ : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ الأَعْرَاف : ١٧٩ ؛ لَيسَ أَنَّه ذَرَاهم لِيعذّبهم فِي جَهنَّم ، بَل ذَرَأهم وَكَان عَاقِبة ذَرْئِهم أنْ صَارُوا فِيهَا ، وَبِهَذا الحَرف يَحصُل الجوَابُ عَن كَثِيرٍ مِن الآيَات المُتشَابهة الَّتي تتعلّق بِهَا المُجبرة .

(١) وَرَدَ عَن عُمر بن عَبدالعَزيز أنّه قَالَ يَوماً لِجلسَائِه : «أَخبِرُونِي مَن أَحمَق النَّاس ؟ قَالَ : رَجُلٌ بَاعَ آخِرَته بِدُنيَاه ، فَقَال : أَلاَّ أُنبئكُم بِأَحمَق مِنهُ ؟ قَالُوا : بَلىٰ ؛ قَالَ : رَجُلٌ بَاعَ آخِرَته بِدُنيَا غَيرِه . أنـظر ، شَرح نَهج البَلاغَة لابن أَبِي الحَدِيد : ١٨/٣٢٩ .

الوَفَاء، وَمَعْنَاه أنْ تُشَارك صَدِيقك فِي الآمِهِ، وَتُسَاوِيه بِنَفْسك، وَأنْ تَدافع عَنْهُ فِي غَيبَتِهِ وَتَحفظه فِي أَهْلِهِ، وَأنْ تَذكره بِالْخَيْر حَيَّاً وَمَيتاً، وَتنُوب عَنْهُ فِي الصَّالحَات بَعد وَفَاته. وَتَقَدَّم الكَلاَم عَن ذَلِكَ فِي شَرح ٱلرِّسَالة[1]، وَعَن الوَفَاء فِي شَرح ٱلْخُطْبَة[2].

١٣٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعاً لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعاً: «مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الْإِجَابَةَ، وَ مَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ الْقَبُولَ، وَ مَنْ أُعْطِيَ الِاسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةَ، وَ مَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ».

قَالَ الرَّضِيّ: وَتَصدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ، قَالَ الله فِي ٱلدُّعَاء: ﴿وَ قَالَ رَبُّكُمُ

---

(١) أُنظر، نَهْج ٱلْبَلاَغَة: ٱلرِّسَالَة (٣١)، «الصَّدَاقَة وَالصَّدِيق... فِقْرَة ٢٣ ـ ٢٤». (مِنْهُ رحمه الله).

وَقَال الشَّاعر فِي الغَيْبَة:

وَإِذَا الفَتَىٰ حَسُنَتْ مَودَّتُه ... فِي القُرْبِ ضَاعَفَها عَلَىٰ البُعْدِ

وَأَمَّا المَوْت فَقَد قَالَ الشَّاعِر:

وَإِنِّي لِاسْتَحيِيه وَالتُّربُ بَينَنا ... كَمَا كُنتُ أَسْتَحيِيه وَهُو يَرَاني

وَمِن كَلاَم الإِمَام عَليّ عليه السلام: «الصَّدِيق مَن صَدَق فِي غَيْبَتِهِ».

وَقَالَ الحَكِيم: «مَنْ أَبْعَد النَّاس سَفَراً؟ قَالَ: مَنْ سَافَر فِي ٱبتغَاءِ الأَخِ الصَّالِح.

قَالَ أَبو العَلاَء المَعَرِّي:

أَزرَتْ بِكُم ذَوي الأَلبَاب أَرْبَعةٌ ... يَترُكن أَحلاَمَكُم نَهب الجَهَالاَتِ

وِدُّ الصَّدِيق، وَعِلْم الكِيمِياء، وَأَحْـ ... ـكَامُ النُجُوم، وَتَفسِير المنَامَاتِ

وَقِيل لِسُفيَان الثَّوري: «دُلَّني عَلَىٰ جَلِيسٍ أَجْلِس إِليهِ؟ قَالَ: تِلكَ ضَالَّة لاَ تُوجد.

أُنظر، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة لِابن أَبي ٱلْحَدِيد: ١٨/٣٣٠، تَأْرِيخ دِمشق: ٦٦/٧٥، مُعجَم البُلدَان: ٢/٣٢١، بَلاَغَات ٱلنِّسَاء: ٢١٦.

(٢) أُنظر، نَهْج ٱلْبَلاَغَة: ٱلخُطْبَة (٤١) فِقْرَة «الوَفَاء». (مِنْهُ رحمه الله).

ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[1].

وَقَالَ فِي الاِسْتِغْفَار: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[2].

وَقَالَ فِي الشُّكْرِ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾[3].

وَقَالَ فِي التَّوْبَةِ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[4].

● وَالأَرْبَع هِي:

١ ـ (مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الإِجَابَةَ). قَالَ سُبْحَانَه: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[5]. وَأَيضاً قَالَ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[6]. وَإِذَا عَطَفْنَا إِحدىٰ الآيَتِين عَلىٰ أُخْتِهَا نَسْتَخرِج مِنْهُمَا مَعاً أَنَّ الله سُبْحَانَه يَسْتَجِيب الدُّعَاء مِمَّن سَمِع وَأَطَاع، وَيُؤخذ هَذا المَعْنَىٰ مِن قَوْلِه تَعَالىٰ لِمُوسىٰ وَهٰرُون: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا

(١) غَافِر: ٦٠.
(٢) ٱلنِّسَاء: ١١٠.
(٣) إِبْرَاهِيم: ٧.
(٤) ٱلنِّسَاء: ١٧.
(٥) غَافِر: ٦٠.
(٦) ٱلبَقَرَة: ١٨٦.

وَلاتَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لاَيَعْلَمُونَ﴾[١]. وَتُومِيء هَذِه الآيَة إِلىٰ أَنَّه إِذَا لَمْ يَسْتَقِيما عَلىٰ سَبِيل الَّذِين يَعْلَمُون فَلاَ تُسْتَجاب لَهُما دَعْوَة، وَتَقَدَّم الكَلاَم عَن الدُّعَاء فِي شَرح ٱلرِّسَالة السَّابِقَة[٢]. وَالكَلِمَة الأخِيْرَة: «أَفْضَل أَنوَاع الدُّعَاء تَرْك الذُّنُوب»[٣].

٢ ـ (وَ مَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ الْقَبُولَ). أَوْدَعَ سُبْحَانَه فِي الإِنْسَان مِيُولاً وَرَغبَات تَقُوده وَتَتَجه بِهِ نَحو المَعْصِيَة، وَٱقتِرَاف الذُّنُوب، وَهُو لاَ يَملك نَفْسه فِي كُلِّ حِين، فَٱقتَضت حِكْمَة الله، وَعَدالته أَنْ يَفْتَح لِلعَاصِي مِن عِبَادهِ بَاب التَّوبَة، فَإِذَا ٱسْتجَاب وَتَاب عفَا عَنْهُ وَأَثَابه مِن فَضلِهِ، وَإِنْ أَصَّر قَامَت عَلَيْهِ الحُجَّة وَٱستَحَق الْعِقَاب. قَالَ سُبْحَانَه: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾[٤] أي فَتَح لَهُم بَاب التَّوْبَة لِيَدخلُوا مِنْهُ إِلىٰ مَغْفِرته... وَأَيَّة حُجَّة أَقوىٰ مِن هَذهِ وَأَبْلَغ؟.

وَبَعْد، فَإِنَّ المَعْصِيَة دَاء، وَالتُّوْبَة دَوَاء، وَهِي وَاجِبة عَلىٰ الفُور وَبِلا تَأجِيل إِجْمَاعاً، وَكِتَاباً وَسُنَّة، بَل وجُوب التَّوْبَة ثَابت بِضَرُورة الدِّين تَمَاماً كَوجُوب الصَّوم وَالصَّلاَة. وَتَقَدَّم الكَلاَم عَن ذَٰلِكَ بِشتىٰ المُنَاسبَات.

٣ ـ (وَ مَنْ أُعْطِيَ الاِسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةَ). اَلِاسْتِغْفَار أَعَمّ وَأَشْمَل مِن التُّوْبَة، لأَنَّه مُطلَق بِلا قَيد، أَمَّا التَّوْبَة فَمِن شرُوطها العَزْم عَلىٰ تَرك الذُّنُوب وَالمَعْصِيَة، وعَلَيْهِ يَكُون ذِكرَه بَعْد التُّوْبَة مِن بَاب ذِكْر العَام بَعْد الخَاص مِثل قَوْله

---

(١) يُونُس: ٨٩.

(٢) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلرِّسَالَة (٣١)، فِقْرَة «لِمَاذَا ٱلدُّعاء؟». (مِنْهُ ﷺ).

(٣) أُنظر، تَأريخ دِمشق: ٢٢٧/٣٨.

(٤) ٱلتَّوْبَة: ١١٨.

تَعَالىٰ: ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ﴾[(١)].

٤ ـ(وَ مَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ) وَكُلّ مَا رَأىٰ أنَّ مَن بِهِ نِعْمَة صَغُرت أَمْ كَبُرت هِي مِن اللهِ وَحده لاَ شَرِيك لهُ ـ فَهُو مِن الشَّاكرِين الذَّاكرِين. وَمِن النِّعَم العَافِيَة مِن البَلاَء. قَالَ الإِمَام جَعْفر الصَّادقعليه السلام: «مَن أَنْعَم الله عَلَيْهِ بِنعْمَة فَعَرفهَا بِقَلبهِ فَقَد أَدىٰ شُكرهَا»[(٢)]. وَأَفْضَل أَنوَاع الشُّكْر تَرك المُحَرَّمَات.

١٣٥ ـ وَ قَالَعليه السلام: «الصَّلاةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيّ، وَ الْحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَ لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ، وَ زَكَاةُ الْبَدَنِ الصِّيَامُ، وَ جِهَادُ الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ».

● إذَا صَلَّىٰ المُتَقِي أَقْبَل عَلىٰ اللهِ بِقَلبهِ وَكِيَانه، لقُوَّة شعُوره بِالحَاجَة إلىٰ اللهِ وَرَحْمَته، وَإذَا صَلَّىٰ غَيْر المُتْقِي فَإِنَّه يُصلِّي لِمُجَرد أَدَاء الفَرِيضَة وَالخرُوج مِن المَسؤولِيَة وَكَفىٰ.

وَالحَجّ مِن الجِهَادِ أَو شَبِيه بِهِ يَوْم كَان الحَجَّاج يَقْطعُون الصَّحرَاء عَلىٰ الدَّوابِ، وَالجِمَال، وَيُعَانُون آلاَم البَرد وَالحَر، وَالجُوع وَالعَطش، وَالخَوْف عَلىٰ النَّفسِ وَالمَال: أمَّا اليَوْم فَالحَجّ نُزْهَة وَتَرفِيه.

وَزَكَاة الأَموَال تُسد حَاجَة المَعْوزين، (وَ زَكَاةُ الْبَدَنِ الصِّيَامُ) لِلثَّبَاتِ، وَالصَّبْر عَلىٰ الجُوع وَالظَّمأ. وَتَقَدَّم الكَلاَم عَن هَذِه العِبَادات فِي ٱلخُطْبَة (١١٠) وَغيرهَا.

---

(١) آلِ عِمْرَانَ: ٨٤.

(٢) أنظر، الكَافِي: ٢/٩٦ ح ١٥، تحف العُقول: ٣٦٩، وَقَرِيب مِنْهُ فِي كَنز العُمَّال: ٣/٢٥٣ ح ٦٤٠٧، كِتَاب الشُّكْر لِابْن أَبِي ٱلدُّنْيَا: ١٥٤، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٥/٥٤٧، الدُّر المَنثُور: ١/١٥٤، مِيزَان الاعْتِدَال: ٢/٥٨٣ ح ٤٩٤٤، تَفْسِير الثَّعالبي: ١/٣٣٦.

(وَ جِهَادُ الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ). البَعْل: الزَّوج. قَالَ تَـعَالىٰ: ﴿وَبُـعُولَتُهُنَّ أَحَـقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾[١]. وَتَبَعَّلت ٱلْمَرْأَة: صَارت ذَات بَعْل، وَحُسْن تَـبَعلهَا الطَّـاعَة وَالعِـفَة، وَالتَّدبِير، وَالْقَنَاعَة بالمَيسُور، وَترك المِنَّة عَلىٰ الزَّوج وَمُعَاتبته، وَأنْ تـوَافِـقَه فِـيمَا يُرضي الله، وَتُجْمل فِي الغَيرَة... وَنحو ذَلِكَ مِمَّا يَسـد مَـنَافِذ الهـمُوم، وَالغـمُوم، وَالظّنُون.

١٣٦ ـ وَ قَالَ ﷺ: «اَستَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ».

● يُرِيد الإِمَام بِهَذا أنْ يَجْعَل الإِحْسَان وَالمُسَاعدَة عَـقِيدة دِيـنِيَة يَـقْوىٰ بِهـا المُجْتمع، وَتَعُود عَلَيْهِ خَيْرَاتها وَثَمرَاتها... وَلَيْسَ مِن شَكٍ أنَّ هَذَا الأُسـلُوب مِـن أَجْدَىٰ الأَسَالِيب فِي نَجَاح الدَّعـوَة إِلىٰ الْخَـيْر، وَمِـن هَـذَا البَـاب قَـوْله تَـعَالىٰ: ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢]. وَالْمُرَاد بِالْفَضْل هُنَا الغِنىٰ فِي مُقَابِل الْفَقْر الَّذي وَعَد بِهِ الشَّـيْطَان. وَقَالَ تَعَالىٰ شَأنَه: ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ﴾[٣]. وَمِثله كَثِير فِي الْقُرْآن الكَرِيم وَالسُّنَّة النَّبَوِيَّة. وَبِهَذِه الْعَقِيدَة تُسَّد المَنَافِذ عَلىٰ الوَسوَسَة وَالأَوهَام إنَّ البَذل فِي سَبِيل الله، والخَيْر يُوجب الْفَقْر، وَيَسْتَنفِد المَال. وَالدَّلِيل عَلىٰ أنَّ الإِمَام أَرَاد المَعْنَىٰ الَّذي أَشرنَا إِلَيْهِ قَوْله فِيمَا يَلي.

---

(١) ٱلبَقَرَة: ٢٢٨.

(٢) ٱلبَقَرَة: ٢٦٨.

(٣) ٱلتَغَابن: ١٧.

١٣٧ ـ وَ قَالَ ﷺ : «مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلَفِ جَادَ بِالْعَطِيَّةِ » .

● الْخَلَف ـ بِفَتح الخَاء وَاللاَّم ـ البَدَل وَالعِوَض، والْمَعْنَىٰ وَاضِح، وَمَظَاهِرهُ كَثِيرَة، وَأَظْهرهَا الرَّشوَات الَّتِي تُبذَل بِسَخَاء فِي عَصرنا لمُجَرد الظَّن بِالوصُول إِلَىٰ المَنَاصب العُليا كَالنِّيَابة وَنحوها، فَكَيف مَع الْعِلْم، وَاليَقِين ؟.

١٣٨ ـ وَ قَالَ ﷺ : «تَنْزِلُ الْمَعُونَةُ عَلَىٰ قَدْرِ الْمَؤُونَةِ » .

● كَثْرَة العِيَال تَبْعَث عَلَىٰ التَّفكِير وَبَذل الجُهد إِلَىٰ أَقصىٰ حَدّ، لِسَدِّ حَاجَة العِيَال وَالأَطْفَال، والله سُبْحَانَه مَع المُعْوِزين المُنَاضلِين يَمدّهُم بِالعُون والتَّوفِيق، وَيَمْهد لَهُم السَّبِيل، وَالأَمْثِلة كَثِيرة عَلىٰ ذَلِكَ، ومِنْهَا هَذِه النَّادرة الطَّرِيفة :

قَالَ صَاحِب «الأَغَانِي» وَغِيره: إِنَّ أَعْشَىٰ قَيس كَان مِن أَعْلاَم الشِّعر فِي الجَاهِلِيّة، وَأَوْفَرهُم حَظاً، مَا مَدح قَوماً إِلَّا رَفْعَهُم، وَمَا هَجا قَوماً إِلَّا وَضَعهُم[1]، وَكَان فِي عَصره رَجُل مُملِق وَمَغمُور، آسمه المُحلِّق الكِلاَبِي[2]، وَلَهُ العَدِيد مِن البَنَات، وَمَا طَلَبهُن أَحد لِفَقْره، فَأَلهَم الله زَوجَته أَنْ تُشير عَلَيْهِ بِالتَّصدِي لِلأَعْشَىٰ

(١) هُو مَيمُون بن قَيس بن جَنْدل، مِن بَني قَيس بن ثَعلبه الوَائِلي، أبو بَصِير، المَعرُوف بـ «أعشَىٰ قَيس، أَعشىٰ بَكر بن وَائِل، الأَعْشَىٰ الكَبِير مِن أَصْحَاب المُعلقَات فِي الجَاهلية، تُوفِّي جَاهِلاً فِي السَّنَة السَّابعة مِن الهِجْرَة، تُرجم لهُ فِي الشِّعر والشُّعراء: ٧٠، الأَغَاني: ١٠٨/٩، طَبعة الدَّار، آدَاب اللُّغة: ١٠٩/١، خزَانة الأَدب لِلبغدَادي: ٤٨/١.

(٢) هُو المُحلِّق بن حَنتم بن شدّاد الكلاَبي العَامري، كَرِيم جَاهلي، وَلُقب بِالمُحلِّق، بِشَجة كَانَتْ فِي وَجهه كَالحَلقة، مِن عَضَّة حصَان، أو مِن أَثر كَي. الإِعْلاَم للزِّركلي: ٢٩١/٥، العِقد الفَرِيد: ٣٢٩/٥، آدب الكَاتب: ٢٩٨، لِسَان العَرب: ٦٤/١٠، تَاج العَروس: ٥٨/٥.

فَيَستَضِيفه وَيُكرمه، عَسىٰ أنْ يَقول فِيهِ أَبيَاتاً مِن الشِّعر فَيرغَب النَّاس فِي بَناتهِ.

قَالَ صَاحِب الأَغَانِي: لَمَا سَمع المُحلِّق هَذا مِن زَوجتهِ قَالَ لهَا: وَيحكِ مَا عِندي إلَّا نَاقتي، وعَلَيْهَا الحَمل. قَالت الله يَخْلفهَا عَلَيْكَ. فقَالَ لهَا: وَكِيف بِالشُّراب والطِّيب؟ قَالت: عِندي مِنْهُ ذَخيْرة. وَلَعَلي أنْ أَجْمعَه. فَتَعرض المُحلِّق لِلأَعْشىٰ، وَأَخذه إِلىٰ خِيمتهِ، وَنحر لهُ نَاقته، وَكَشط لهُ عَن سِنَامها وَكبدها، وَسَقَاه، وَأَحاطت بِهِ بَنَات المُحلِّق يَخدِمنْهُ وَيَمْسحنَه بِالطِّيب. فَقَال الأَعْشَىٰ: مَا هَذِه الجوَاري؟ قَالَ المُحلِّق: بَنَات أَخِيك، وَهُن ثمَانٍ مَا تَزَوَّجَت مِنْهُن وَاحِدة. وَلمَّا خَرج الأَعْشَىٰ مِن عِنده أَنْشَد فِيهِ قَصِيدة فَسَارت وَشَاعت، وَمَا مَضىٰ أَمد قَصِير حَتَّىٰ زَوّج جَمِيع بَنَاته[1].

١٣٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَا عَالَ مَنِ ٱقْتَصَدَ».

● مَا أَعَالَ: مَا ٱفْتَقَرَ إِلىٰ النَّاس وَإِنْ كَثُر عِيَاله، وَٱقتَصد ٱعتدَل وَلَم يُسرِف فِي الإِنْفَاق، وَوَضع كُلّ شَيء فِي مَوْضِعهِ. ونُقِل عَن سُقرَاط أَنَّه قَالَ: الجوَاد مَن أَعْطىٰ مِن دُنيَاه لآخِرَته، وَالْبَخِيل مَن لاَ يُعطِي دُنيَاه لآخِرَته، وَالمُسرِف يُعطي دُنيَاه دُونَ آخِرَته، وَالمُقْتَصد يُعطِي كُلّ وَاحدة نَصِيبها[2].

---

(١) أنظر، القَصِيدة فِي تَفْسِير القُرطُبي: ٢٩٤/١٩، شَرح الرَّضِيّ عَلىٰ الكَافِية: ٢٢٦/٣، بِالإِضَافَة إِلىٰ المَصَادر السَّابقة. وَمَطلَع القَصِيدَة:

لِعَمرِي لَقَد لاَحَت عِيُون كَثِيرَة ... إِلىٰ ضَوء نَار فِي يَفاع تُحرق
تَشب لِمقرُورين يَصطَلِيانها ... وَبَات عَلىٰ النَّدىٰ وَالمُحلِّق
رَضِيعي لبَان نَدىٰ أُمّ تَقَاسما ... بِأَسحَم دَاج عوض لاَ نَتفَرق

(٢) وَرَوىٰ الأَصبهَانِي: «الجوَاد مَن أَعطىٰ حقُوق الله تَعَالىٰ فِي مَالهِ، وَالْبَخِيل مَن مَنَع حقُوق الله وَبَخل عَلىٰ رَبّه». أُنظر، العُهُود المُحَمّدية: ٨٢٩.

١٤٠ ـ وَ قَالَ ﷺ : «قِلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارَيْنِ».

● وَاليَسَار الثَّانِي وجُود المَال وَكَثْرَته ، وَتَلتَقِي هَذِهِ الحَقِيقَة مَع النَّظرة القَائِلة : إنَّ سَبب الجُوع هُو تَضَخُم السُّكان ، وَإنَّ النَّاس يَنْتجُون مِن الأَطْفَال أَكْثَر مِمَّا يَنْتجُون مِن الطَّعَام ، وَإنَّ تَحدِيد النَّسل هُو سَبِيل التَّوَازن بَيْنَ الإِنْتَاجَين . وَكَلاَم الإِمَام مُنْصَرف كُلِّية عَن تَحدِيد النَّسل ، وَإنَّما هُو مُجرد اَنعكَاس عَن الوَاقع .

وَفِي رَأينا أنَّ الإِسْلاَم لاَ يَكْرَه أحداً عَلىٰ الزَّواج وَلاَ يُلزِمه بِهِ إذَا أَمِن الوقُوع فِي الحَرَام ، لأنَّ الإِسْلاَم دِين الحُرِّيَّة لاَ إكرَاه فيهِ وَلاَ إرْغَام ، وَأيضاً يَترُك الإِسْلاَم الخَيَار لِكُلٍّ مِن المَرْء وَالمَرْأَة فِي النَّسل وَتَقدِيره بِأي سَبب مِن الأَسبَاب إلَّا الإِجهَاض وَاَستئصَال الرّحم أو غَيْره مِن الأَعضَاء . وَقَالَ جَمَاعَة : يَحرم تَحدِيد النَّسل ، لأنَّ الله هُو الرَّازق . وَنَقُول فِي الجوَاب ، وَبِصَرف النَّظر عَنْ : «أَعْقِلْها وَتَوَكَّلْ»[1] ، نَقُول : أَجْل ، إنَّ الله هُو الرَّازق ، وَلكنْ أين وَجه الدِّلاَلة فِي الرِّزْق عَلىٰ التَّحرِيم ؟ وَمَا هِي الصِّلة بَيْنَ قُدرَة الله عَلىٰ الرِّزْق وَتَحدِيد النَّسل ؟ .

وَفِي تَشرِين الأَوَّل اَكتُوبر سَنَة (١٩٦٨م) حَرّم بَابا رُوما تَحدِيد النَّسل !. وَلاَ أَدري هَل يَتْفق هَذَا مَع تَحرِيم الزَّواج عَلَيْهِ وَعَلىٰ الكِبَار مِن رِجَال الكَنِيسَة ؟ .

---

(١) أُنظر ، سُنن التِّرمِذي: ٤/٧٧ ح ٢٦٣٦ و: ٥/٤١٧ ح ٤١٠٧، المَبسوط للسَّرخسي: ٣٠/٢٤٩، فَتح البَاري: ٣/٣٠٤ و: ٦/٦١ و: ١٠/١٨٠، نَيل الأَوطَار: ٩/٩٢، الآحَاد والمثَانِي: ٢/٢١٥ ح ٩٧٠، صَحِيح اَبن حَبَّان: ٢/٥٠٩ ح ٧٢٩، شَرح نَهج اَلبَلاَغَة لاِبْن أَبِي اَلحدِيد: ٢٠/٣٠٦، مِيزَان الإِعتدَال: ٣/١٤٩ ح ٥٩٠٦، موارِد الظَّمآن: ٦٣٣، الجَامِع الصَّغِير: ١/١٨٠ ح ١١٩١، كَنز العُمَّال: ٣/١٠١ ح ٥٦٨٧ و ٥٦٩٥، كَشف الخفاء: ١/١٤٤ ح ٤١٨، سُبل الهُدىٰ وَالرَّشاد: ٣/١٠٥ و: ٩/٣٢٥.

١٤١ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «التَّوَدُّدُ نِصْفُ الْعَقْلِ».

● هَذَا حَدِيث لِرَسُول الله صلى الله عليه وآله، وَالْمُرَاد بِالتَّوَدُّد حُسن المُعَامَلة لاَ التَّمَلُّق وَالتَصنع. وَمِن هَذَا الْحُسن الْعَفْو عِند المَقدَرة، وَاْحتمَال الكَلِمة المُوجِعة مِن جَاهِلٍ، وَالإِصْغَاء لِحَدِيث سَخِيف. وَنِصْفُ الْعَقْل أي مِن الْعَقْل بِمَكَان. وَقَالَ أَحَد الشَّارِحِين: الْمُرَاد بِنِصْف الْعَقْل تَدبِير المَعَاش!. وَلاَ أَدري مَا هُو وَجه الصِّلة بَيْنَ التَّوَدُّد وَالمَعَاش؟ أَللَّهُمَّ إِلاَّ العَيش عَلىٰ حِسَاب الآخَرِين[1].

١٤٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «اَلْهَمُّ نِصْفُ الْهَرَمِ».

● اَلْهَمُّ آفَة الأَروَاح وَالأَجْسَام، وَالْقُلُوب وَالْعُقُول، والتَّخلي عَنْهُ مُتعذر مَع قِيَام أَسبَابه... أَجل، بَعْض اَلْهَمّ يَكُون مِن وَحي الْجَهْل والخَيَال، كَمُرَاقِبة النَّاس فِي شؤونهُم الخَاصَّة، وَالتَّفكِير فِي أَنَّ زَيداً الحَقِير غَني وَأَنَا مُعْدَم، وَعُمراً مُحتَرم وَأَنَا وَضِيع!. وَأَكْثَر النَّاس هَمّاً وَقَلقاً مِن فِكّرٍ فِي أَقْوَال النَّاس. قَالَ الإِمَام فِي خُطْبَةٍ: «فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ، وَاْرْتَبَكَ فِي الْهَلَكَاتِ، وَمَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ. فَاْلْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفَرِّطِينَ»[2]. وَلاَ شَكَّ أَنَّ هَذَا الشّغل البَغِيض وَالتَّفكِير الأَسود يُمكن التَّخلي عَنْهُ.

---

(١) أنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابن مِيثَم: ٣١٩/٥، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابن أَبي ٱلحَدِيد: ٣٤٠/١٨، شَرح أصول الكَافِي: ١٨٤/١، مِيزَان الإِعتدَال: ٦٢٦/١ ح ٢٣٩٨ و: ٤٠٥/٢ ح ٢٤٠١، كَشف الخَفَاء: ١٨٠/١، مَن لاَ يَحضره الفَقِيه: ٤١٦/٤ ح ٥٩٠٤، خصَائِص الأَئِمَّة: ١٠٤، بِحَار الأَنْوَار: ٣٩٠/٧٤، مَجمَع البَحرين: ٢٢٥/٣.

(٢) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلخُطبَة (١٥٧). (مِنهُ قدس سره).

١٤٣ ـ وَ قَالَ ﷺ : «يَنْزِلُ الصَّبْرُ عَلَىٰ قَدْرِ الْمُصِيبَةِ ، وَ مَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَىٰ فَخِذِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ عَمَلُهُ» .

● الظَّاهِر مِن هَذَا الكَلاَم أنَّ الله يُعطي مِن الصَّبْر مَا يُعَادل المُصِيبَة شِدَّة وَضَعفاً . وَلَكنَّ هَذَا غَيْر مُرَاد ـ كَمَا نَظن ـ لأنَّ مَصْدَر الصَّبْر ، والْعَقْل ، والإيمَان كَمَا قَالَ الإمَام فِي الحِكْمَة (٨٠ و ١١٢) ، وَإِنَّمَا الْمُرَاد أنَّ مَرَارة الصَّبْر تكُون عَلَىٰ قَدر المَصِيبة كَمَا هُو الوَاقع ، وَقُول الإمَام انعكَاس هَذا الوَاقع ، أمَّا قَوْله : (يَنْزِلُ الصَّبْرُ) فَمعنَاه أنَّ الله سُبْحَانَه يَمنح الرِّضا عَلىٰ مَرَارة الصَّبْر بِقَدرها . قِيلَ لِحَكِيم : مَاذَا تُرِيد ؟ قَالَ : أُرِيد أَنْ لاَ أُرِيد .

وَ (حَبِطَ عَمَلُهُ) أي ذَهَب ثوَابه عَلىٰ مُصَابه حتّىٰ وَلو صَبْر .

١٤٤ ـ وَ قَالَ ﷺ : «كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَ الظَّمَأُ ، وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ وَ الْعَنَاءُ ، حَبَّذَا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَ إِفْطَارُهُمْ !» .

● أَبَداً لاَ جَدوىٰ مِن صَومٍ ، وَصَلاَةٍ ، وَحَجٍّ ، وَزَكَاةٍ إلّا مَع الصّدْق وَالإخْلاص فِي القَولِ وَالعَملِ ، وَالشِّدَّةِ وَالصَّلاَبة فِي الحَقِّ وَلَو تَظاهرت ضِدَّه جَمِيع قِوىٰ الشَّرّ ، وَأي وَزن لِعبَادَة لاَ تَردع عَن مُنكرٍ ، وَلاَ تَبعث عَلىٰ مَعرُوف ؟ قَالَ نَبي الرَّحْمَة ﷺ : «مَنْ لَمْ يَهْتَم بِأُمور المُسْلِمِين فَلَيْسَ مِنْهُم»[1] ، حَتَّىٰ وَلو صَلَّىٰ ، وَصَام ، وَحجَّ إِلىٰ بَيتِ الله الحَرَام ... وَأيضاً قَالَ : الدِّين النَّصِيحة ... قَالُوا : لِمن يَا رَسُول الله ؟ . قَالَ :

(١) وَسَائِل الشّيعة : ١٦/٣٣٦ ح (٢١٧٠٠) ١ ، تَأرِيخ مَدِينة دِمشق : ٢١/٢٠٧ ، الإمَام جَعفر الصَّادق لعبد الحليم الجُنْدي : ٣٢٣ .

للهِ ولرَسُوله، ولأُمّة ٱلْمُسْلِمِين، وعَامَّتهم»(١). ومَعْنَىٰ هَذَا أنَّ دِين الإِسْلاَم لاَ يَعْرِف السَّلبِية وَلاَ يَعْتَرِف بِها.

(حَبَّذَا نَوْمُ الأَكْيَاسِ وَ إِفْطَارُهُمْ!) وَالْمُرَاد بِالأَكْيَاسِ هُنا أَهْل الْعِلْم وَالعَمَل، وَالْمَعْنَىٰ نَوْم العَالِم وَالعَامل أَفْضَل مِن عِبَادَة القَاعِد الجَاهِل. وَتَقَدَّم مَع الشَّرح قَول الإِمَام فِي ٱلحِكْمَة (٩٧): «نَوْمٌ عَلَىٰ يَقِينٍ، خَيْرٌ مِنْ صَلاَةٍ فِي شَكٍّ».

١٤٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «سُوسُوا إِيمَانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَ حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَ ٱدْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلاَءِ بِالدُّعَاءِ».

● سُوسُوا إِيمَانَكُمْ أي ٱعملُوا بِمُقتضَاه وَٱنْتَفعُوا بهِ، وَالْمَعْنَىٰ لاَ إِيمَان يُجدِي بِلا بَذل تَمَاماً كَمَا لاَ بَذل يَنْفَع بِلا إِيمَان (وَحَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ) قَالَ مِيثَم فِي شَرحِهِ: «مَن مَنع الزَّكَاة فَقَد عَرّض أَموَاله لِلتَلف، لأَنَّ الْفُقَرَاء لاَ يَسكتُون عَنْهُ»(٢) (وَتُوفِّي هَذَا الشَّارح الحَكِيم المُتأله كَمَال الدِّين مِيثَم بن عَلِيّ بن مِيثَم البَحرَانِي، صَاحب الشّروح الثَّلاَثة عَلَىٰ نَهْج ٱلْبَلاَغَة، وَشَرح مِئة كَلِمَة مِن كَلِمَات أَمِير الْمُؤْمِنِين عليه السلام، وَكَان مِن العُلَمَاء الفُضلاء المُدَقِيقِين، مُتكلماً مَاهِراً، غَوَاص فِي بَحر المعَارف وَمُتَقنص شوَارد الحقَائِق وَاللَّطائِف سَنَة ٦٧٩ هـ) أَمَّا الدُّعَاء فَقَد سَبق الكَلاَم حَوله مُنذ قَلِيل فِي ٱلحِكْمَة (١٣٥).

---

(١) أُنظر، صَحِيح البُخَارِيّ: ١/ ٣٠ ح ٥٦، صَحِيح ٱبن حبَان: ١٠/ ٤٣٥ ح ٤٥٧٤، سُنَن التِّرمِذي: ٤/ ٣٢٤ ح ١٩٢٦، سُنَن الدَّارمي: ٢/ ٤٠٢ ح ٢٧٥٤، مُسْنَد أَحمد: ١/ ٣٥١ ح ٣٢٨١، مُسْنَد الشَّافعي: ١/ ٢٣٣، تَفْسِير القُرطُبي: ٨/ ٢٢٧، صَحِيح مُسْلِم: ١/ ٧٤ ح ٥٥.

(٢) أُنظر، شَرح نَهْج ٱلبَلاَغَة لِابْن مِيثَم: ٥/ ٣٢٠.

١٤٦ ـ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عليه السلام لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ النَّخَعِيِّ، قَالَ كُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ: «أَخَذَ بِيَدِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، فَأَخْرَجَنِي إِلَىٰ الْجَبَّانِ، فَلَمَّا أَصْحَرَ تَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ، ثُمَّ قَالَ: يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ، إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ، فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا، فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ:

النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَ مُتَعَلِّمٌ عَلَىٰ سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَ هَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَ لَمْ يَلْجَئُوا إِلَىٰ رُكْنٍ وَثِيقٍ.

يَا كُمَيْلُ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَ أَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ. وَ الْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ، وَ الْعِلْمُ يَزْكُوا عَلَىٰ الْإِنْفَاقِ، وَ صَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ.

يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ، مَعْرِفَةُ الْعِلْمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ، بِهِ يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ، وَ جَمِيلَ الْأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَ الْعِلْمُ حَاكِمٌ، وَ الْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ.

يَا كُمَيْلُ، هَلَكَ خُزَّانُ الْأَمْوَالِ وَ هُمْ أَحْيَاءٌ، وَ الْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ: أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَ أَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ. هَا إِنَّ هَاهُنَا لَعِلْماً جَمّاً (وَ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَىٰ صَدْرِهِ) لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً! بَلَىٰ أَصَبْتُ لَقِناً غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ، مُسْتَعْمِلاً آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا، وَ مُسْتَظْهِراً بِنِعَمِ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَ بِحُجَجِهِ عَلَىٰ أَوْلِيَائِهِ؛ أَوْ مُنْقَاداً لِحَمَلَةِ الْحَقِّ، لَا بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَحْنَائِهِ، يَنْقَدِحُ الشَّكُّ فِي قَلْبِهِ لِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ. أَلَا لَا ذَا وَ لَا ذَاكَ أَوْ مَنْهُوماً بِاللَّذَّةِ، سَلِسَ الْقِيَادِ لِلشَّهْوَةِ، أَوْ مُغْرَماً بِالْجَمْعِ وَ الِادِّخَارِ، لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ، أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَهاً بِهِمَا الْأَنْعَامُ السَّائِمَةُ! كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ.

أَللَّهُمَّ بَلَىٰ، لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ للهِ بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً، وَ إِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً، لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللهِ وَ بَيِّنَاتُهُ. وَكَمْ ذَا وَ أَيْنَ أُولَئِكَ؟ أُولَئِكَ ـ وَ اللهِ ـ الْأَقَلُّونَ

عَدَداً، وَ الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللهِ قَدْراً. يَحْفَظُ اللهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَ بَيِّنَاتِهِ، حَتَّىٰ يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ، وَ يَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ. هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَىٰ حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ، وَ بَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ، وَ ٱسْتَلَانُوا مَا ٱسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ، وَ أَنِسُوا بِمَا ٱسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، وَ صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَىٰ. أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ، وَ الدُّعَاةُ إِلَىٰ دِينِهِ. آهِ آهِ شَوْقاً إِلَىٰ رُؤْيَتِهِمْ، ٱنْصَرِفْ يَا كُمَيْلُ إِذَا شِئْتَ».

● (يَاكُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ) كَان مِن أَصْحَاب الْإِمَام وَخَاصَّته، وَسَبَقت إِلَيْهِ الْإِشَارَة فِي شَرح ٱلرِّسَالة (٦١) (إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ) أي مُستَودع العَوَاطف وَالمشَاعِر وَالنَّزعَات (فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا) وَهِي الَّتي تَتَجه بِعوَاطِفها وَمَشاعِرها نَحو الْخَيْر وَالصَّلَاح، وَتَبْتَعد عَن الشَّرِّ والْفَسَاد، وَالعَكس بِالعَكس، وَالله سُبْحَانَه يَأمر الْإِنْسَان بِالْخَيْرِ، وَيَنْهَاه عَن الشَّرِّ لِتَظهَر مشَاعِره مُجسمَة فِي أَفْعَاله الَّتي يَسْتَحق عَلَيْهَا الثَّوَاب وَالْعِقَاب. قَالَ سُبْحَانَه: ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[1]، وَقَالَ سُبْحَانَه: ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾[2]. وَقَدِيماً قِيلَ: «عَلَىٰ مَا فِي الْقُلُوبِ الْمُعَوَّل»[3].

(النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ) وَهُو الَّذي يَعْرِف الله وَشَرِيعته، وَيَعْمَل بِموجِبها (وَ مُتَعَلِّمٌ عَلَىٰ سَبِيلِ نَجَاةٍ). كُلّ مَن جَدَّ فِي طَلَب الْعِلْم النَّافع، وَٱنْصَرف إِلَيْهِ بِكيَانه لَا

---

(١) آلِ عِمْرَانَ: ١٥٤.

(٢) ٱلْأَنفَال: ٧٠.

(٣) أنظر، مَجْمَع الْأَمْثَال: ١/٢/٢٦٠.

يَشْغله عَنْهُ شَاغِل، وَصَبرَ عَلىٰ أَلَم التَّحصِيل، وَسَهر اللَّيالِي فِي هَذِه السَّبِيل ـ يَصِير عَالِماً وَيَنَال شَرَف الْعِلْم، وَإِذَا عَمِل بِمُوجبه فَاز بِالْخَيْرِ وَالسَّعَادة دُنيَاً وَآخِرة.

وَفِي كتَاب «اَلحِكْمَة» لِابْن مَسْكَوِية: أَنَّ أَفْلاَطُون ـ وِلد سَنَة ٤٢٧، وَتُوفِّي سَنَة ٣٤٧ قَبل المِيلاَد ـ قَالَ لِمُعَلمي الأَحدَاث: «أَقِيمُوا عَلَيْهم رَئِيساً مِنْهُم ـ أي مِن الطُّلاب ـ يَشرف عَلَيْهم، وَيَجب أَنْ يَكُون مُتفُوقاً وَذَكِياً مَعرُوفاً بِحُسن السِّيرَة غَنِياً كَان أَمْ فَقِيراً، وَإِذَا اَنْحَرف عَن الجَادة يُنْحّىٰ، وَيُقام غَيْره...»[1]، وَيَشبه هَذَا رَئِيس رَابِطَة الطُّلاب فِي عَصرنا، وَالفَرق إِنَّ رَئِيس الرَّابطَة اليَوْم يَنْتَخبهُ الطُّلاب، وَفِي عَهد أَفْلاَطُون يُعينَه الأَسَاتذة تَبعاً لِلتَّقالِيد وَالعَادَات فِي كُلِّ زَمَان.

(وَ هَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَ لَمْ يَلْجَئُوا إِلَىٰ رُكْنٍ وَثِيقٍ). وَالحَدِيث عَن رَذِيلَة الْجَهْل وَأَخلاَق الجُهَال تَمَاماً كَالحَدِيث عَن ضَرر المَرض وَآلاَم المَرضىٰ، نَافِلة وَفضُول، وَخَيْر تَحدِيد لِلجَاهل قَول الْإِمَام فِي حِكْمَةٍ: «لَا تَرَىٰ الْجَاهِلَ إِلَّا مُفْرِطاً أَوْ مُفَرِّطاً»، وَتَقَدَّم الشَّرح[2].

بَيْنَ الْعِلْم وَالْمَال:

(الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَ أَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ... إلخ). الْمَال عَصَب الحَيَاة، وَقَاضِي الْحَاجَات مِن كَبِيرهَا وَصَغِيرها، إِلىٰ كُلّ مَا فِي الدُّنْيَا مِن وَسَائِل التَّرف وَزِينَة الحَيَاة، وَلكنْ مَن الَّذي أَوجَد هَذِه الوَسَائِل وَالأَدوَات، وَعَرضَها فِي الحوَانِيت وَالأَسوَاق، الْمَال أو الْعِلْم؟ وإِلَيْكَ هَذَا المَثل الصَّغِير: أَنْتَ تَذهَب إِلىٰ

(١) أنظر، كتَاب اَلحِكْمَة الخَالِدَة: ١٥٧ الطَّبعَة الثَّانِيَة بِمصر.

(٢) أُنظر، نَهج اَلبَلاَغَة: اَلحِكْمَة (٦٨). (مِنْهُ).

الصَّيدلية، وَتَشْتَرِي دَوَاء بِمَبلغ بَسِيط لاَ تَحس بِهِ إِطلاَقاً تَمَاماً كَما تَشتَرِي كِيلو الطَّماطم... وَكَان المُلُوك مِن قَبل يَتنَازَلُون عَن عرُوشِهم مِن أَجْل الحصُول عَلَيْهِ.. فَمَن أَوجَده وَيَسّره، دَفتَر الصّكُوك، أو عَبَاقِرة العُقُول الَّتِي أَجرَت عَلَيْهِ آلاَف التَّجارُب!؟ وَأَيضاً مَن أَعطىٰ القُوَّة لِلشَّعب المُتفُوق فِي كُلِّ مَيدَان، وَعَلىٰ كُلِّ الشُّعوب الجَاهِلة المُتخلفة. وَآمتَص دِماءها وَأموَالها، وَقَتل حُرِّيتها وَكَرَامتها، وَقَضىٰ عَلىٰ تُرَاثها وَثقافتها، مَن الَّذي أَعْطىٰ هَذا وَأَكْثَر لِلشَّعب المُتفُوق، الْعِلْم أو أي شَيء؟. وَسَمهِ مَا شِئت.

وَهَذا الذَّهَب الأَسوَد يَتَدفق بَحراً فِي أَرض الجَهْل، وَيُستَخرَج بِأَيْدِي أَهْله الجَاهِلِين، وَيَصب فِي أَرْض الْعِلْم لِيَصبح رَأسَاً لِأَموَال المُحْتَكرين... وَمِثله الذَّهب الأَصْفَر وَالمَاس فِي أفرِيقيا، وَالمطَاط الطَّبِيعي فِي أَسيَا، وَقس عَلىٰ ذَلِكَ أَمرِيكا اللاَتِينِية، وَسَائِر الدُّول الجَاهِلة «النَّامِية»، تُقَدر بِأَكْثَر مِن (١٢٠) دولَة، وَفَوق ذَلِكَ هِي غَارِقة فِي الدِّيون إِلىٰ الآذَان لِلغُزَاة الآكلِين... وَالسِّر عِلم الآكل وَجَهل المَأكول.

وَبَعد، فَإِنَّ الْعِلْم هُو القِيَاس الوَحِيد لِفَهم الحيَاة وَالقُوَّة وَالتَّفوق فِي كُلِّ مَيدَان، وَلكُلِّ خُطوَة تَخطُوها البَشرِية إِلىٰ الإِمَام... وَغَيْر بَعِيد أَنْ يَتصل الْعُلَمَاء غَداً أو بَعد غَد بِمَخلُوقات عَاقِلة مُتحضرة فِيما وَرَاء مَجمُوعَتنا الشَّمسِّية، وَيَعملوا مَعاً عَلىٰ تَقَدَّم الحيَاة، وَيَصبَح عَصرنا بِالقِياس إِلىٰ مَا يَأتي تَمَاماً كَالعَصر الحَجري بِالقِيَاس إِلىٰ هَذَا العَصر.

وَبِهَذا نَجد قَول الإِمَام: (وَ الْعِلْمُ حَاكِمٌ، وَ الْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ) وَالشَّاهِد النَّاطق العَادِل بِهَذِه الحَقِيقة هُو نَحْنُ الْعَرَب، نَملك الكَنْز وَالثَّروَة، وَالغَرب يَملك الْعِلْم

وَالْخِبْرَة، فَحَكَم وَتَحكَّم بِكنُوزنا وَثَروتنا، وَنَحْنُ نَتْفَرج كَالجَالسِين عَلىٰ مقَاعد السِّينما. قَالُوا بِلسَان العَمَل: ﴿رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[1]. وَقُلنا بِلسَان الكَسَل: «زِدْنِي جَهْلاً».

وَمُنذُ سَنوَات قَرَأتُ كَلِمَة حَول المَال لِكَاتب مِصري قَالَ فِيها، وَهُو يَتظرف وَيَتكَلف: «كَان فِيمَا مَضىٰ حَكِيم فَقِير لاَ يَملك شَيْئاً مِن المَال قَالَ: «المَال خَيْر من العِلْم». وَلَو كَانَ لِهَذا المُتَفلسف مِثقَال ذَرَّة مِن عِلم لقَال: إنَّ صَاحِب هَذِه الحِكْمَة سَبقَ زَمَانه مِن أَلف وَثلاَثمِئَة عَام حِين تَنبأ بِمكَانة العِلْم وَعَظَمته فِي عَصرنا وَفِي كُلِّ عَصرٍ يَأتِي مِن بَعده.

(هَلَكَ خُزَّانُ الأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ) أي وَهُم غَارقُون فِي التَّرف وَالمَلذَّات، وَهَلكُوا لِأَنَّهم تَنَازلوا عَن إِنْسَانِيتهُم لِأَعدَاء الإِنْسَانِيَّة، وَنَفذُوا كُلّ مَا يُرَاد مِنْهُم عَلىٰ حِسَاب دِينهُم وَوَطَنهُم وَأُمَّتهم (وَ العُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ). مَا بَقِيت الأَجْيَال تَنْتَفع بِثِمَار عقُوْلَهم وَجُهودهُم دُونَ مُقَابل (هَا إِنَّ هَاهُنَا لَعِلْماً جَمّاً (وَ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَىٰ صَدْرِهِ)... إلخ). تَقدَّم الكَلاَم عَن عِلم الإِمَام وَسَببه عِند شَرح قَوْله: «سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَلأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الأَرْضِ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا، وَتَذْهَبُ بِأَحْلاَمِ قَوْمِهَا[2] ـ إِلَّا عَليّ بن أَبِي طَالب عليه السلام»[3].

---

(١) سُوْرَة طه: ١١٤.

(٢) أُنظر، نَهج البَلاَغَة: الخُطبَة (١٨٩).

(٣) جَاءَت امْرَأَةٌ إِلىٰ بُزُرجُمهر، فَسَألتهُ عَن مَسألة فَقَال: لاَ أَدرِي، فَقَالت: أَيُعطِيك المَلِكُ كُلَّ سَنَةٍ كَذَا وَكَذا، وَتَقول: لاَ أَدرِي، فَقَال: إِنَّما يُعطِيني عَلىٰ مَا أَدرِي.
وَلَو أَعطَاني عَلىٰ مَا لاَ أَدرِي لَمَا كَفَانِي بَيْت مَاله.

ثُمَّ أَشَار إِلىٰ أنَّ طُلاَب الْعِلْم فِي عَهدهِ أَرْبَعَة أَصْنَاف، وَهُم بَيْنَ قَاصرٍ، وَمُقصر لاَ يَصلح لِلعِلم وَحِكْمَته:

١ ـ (بَلَىٰ أُصبْتُ لَقِناً غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ... إلخ) اللَّقِن ـ بِفَتح اللاَّم وَكَسر القَاف ـ السَّرِيع الفَهْم، وَضَمِير «عَلَيْهِ» يَعُود إِلىٰ الْعِلْم، وَالْمَعْنَىٰ إِنَّ الَّذي يَفْهَم الْعِلْم وَيَهْضمه خَائِن يَتَّخِذ مِن عِلمِهِ أَدَاة لِلصُّوصِية، وَيَستَطِيل بِهِ عَلىٰ الْأَكفَاء وَالْأَوْلِيَاء.

٢ ـ (أَوْ مُنْقَاداً لِحَمَلَةِ الْحَقِّ، لاَ بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَحْنَائِهِ... إلخ). أَحْنَائِهِ: نوَاحِيهِ، وَيَنْقَدح يَخْرج، وَيَظهر أي أنَّ هٰذَا الثَّانِي طَيِّب القَلْب يَنْقَاد لِلحَقِّ وَأَهله، وَلكـنَّه سَاذَج لاَ خُبْرَة لهُ وَبَصِيرَة، تَهْتَز عَقِيدَته لأدنىٰ شُبْهة، وَيَصبَح أُلعُوبة بِأَيْـدِي الْأَبَالِسَة وَالشَّيَاطِين.

٣ ـ (أَوْ مَنْهُوماً بِاللَّذَّةِ، سَلِسَ الْقِيَادِ لِلشَّهْوَةِ). إِذَا رَأىٰ حَلاَوة الدُّنْيَا وَزِينَتها سَال لُعَابه، وَطَار عِلْمه وَصوَابه.

٤ ـ (أَوْ مُغْرَماً بِالْجَمْعِ وَ الِادِّخَارِ... إلخ). لاَ أُمنِيَة لهُ إلّا الْمَال وَجَمعه وَإدّخَاره، فَهُو شُغله الشَّاغل، لاَ يَخفق قَلبه إلَّا لهُ، وَلاَ يَلهَج لِسَانه إلَّا بِهِ.

(كَذٰلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ) يُرِيد بِحَامِلِيه نَفْسه الزَّكِية، وَمِن البَدَاهة أنَّ مَوْت كُلّ شَيء بِمُوت أَهْله عِلمَاً كَان أو جَهْلاً، دِيناً أَمْ إِلحَاداً... وإذَا مَات أَهْـل الْعِلْم خَلَفَهُم الْأَدعيَاء ـ فِي الْأَغلَب ـ فَيُضلِّلُون وَيُفسدُون، كَالكَثِير مِن المُتسمِين بِهِ فِي عَصرنا.

⇐ وَكَانَ يَقول: قَوْل «لاَ أَعْلَمُ» نِصْفُ الْعِلْم.

وَقَالَ بَعْض الفُضَلاء: إِذَا قَالَ لنا إِنْسَانٌ: «لاَ أَدْرِي» عَلَّمنَاه حَتَّىٰ يَدْرِي، وإِنْ قَالَ: أَدْرِي، أَمتَحنَّاهُ حَتَّىٰ لاَ يَدْرِي. أُنظر، شَرح نَهْج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلْحَدِيد: ١٨/٢٣٦.

(بَلَىٰ ، لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ للهِ بِحُجَّةٍ . . . إلخ) . هَذَا آستدرَاك لِقَوْلِهِ : «يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ» . يَتَلخص المَعْنَىٰ بِأَنَّ الله سُبْحَانَه قَضىٰ وَقَدَّر أنَّ الأَرْض لاَ تَخلُو مِن عَالم عَامل بِاللهِ ، وَشَرِيعته يَكُون حُجَّة عَلىٰ الجَاهِل المُقصر ، وَالفَاسِق المُستهتر ، وَقَد يَكُون هَذا العَالِم ظَاهِراً مَعرُوفاً عِند النَّاس حَيْث لاَ خَوف عَلَيْهِ مِن شَيء ، وَقَد يَكُون مَستُوراً ، أو لأي سَببٍ نَجهَله . وَفِي كِتَابنا «فَلْسَفَة التَّوحِيد وَالْوِلاَيَة» كَتبنَا بِعنوَان «لِمَاذا الإِمَام الغَائِب ؟» حوَالي تِسع صَفحَات ، فَليَرجع إِلَيْهَا مَن شَاء ، ومِنْهَا الأَسطُر التَّالِية[1] :

إنَّ الإِيمَان بِالمَهديّ المُنْتَظَر إيمَان بِالْغَيْب ، وَكُلّ إيمَان بِالْغَيْب يَفْتَقِر إِلىٰ النَّص عَن المَعصُوم ، وَثبَت عِند الشِّيعَة هَذا النَّص فَوَجب عَلَيْهم التَّصدِيق وَالإِيمَان ، وَالشَّرط الرَّئِيسي لِلعَمل بِالنَّص أنْ يَثبت عِند البَاحِث عَنْه وَالمُطلع عَلَيْهِ ، لاَ عَن غَيْرِه أيّاً كَان هَذا الغَير ، وَلَيْسَ مِن شَكٍّ أَنَّه لَو ثَبت النَّص عَلىٰ المُنْتَظَر عِند المُتَشكك فيهِ لزَال شَكه وَآمن ، وَأيضاً لَو لَم يَثبُت النَّص عِند الشِّيعة لأنكرُوا ، وَتَشككُوا .

(وَكَمْ ذَا ؟ وَأَيْنَ أُولَئِكَ ؟) أي كَمْ عَدَد الْعُلَمَاء الَّذِين هُم خُلفَاء الله فِي أَرْضِهِ وَحُجَجِهِ عَلىٰ عِبَاده ؟ وَأين مَكانهُم فِي هَذِهِ الأَرْض[2] ؟

---

(١) رَاجع كتَابه «فَلْسَفَة التَّوحِيد والوِلاَيَة» .

(٢) إنّ المَهْدِيّ المُبَشّر بِه ، هُو مُحَمَّد بن الحَسن بن عَليّ بن مُحَمَّد بن عَليّ بن مُوسَىٰ آبن جَعْفَر بن مُحَمَّد بن عَليّ بن الحُسين بن عَليّ بن أبي طَالب ﷺ ، وكُنيَته أبو عبدالله ، وأبُو القَاسم ، وهُو الخَلف الحُجَّة صَاحب الزّمَان ، القَائم المُنتظَر ، وهُو الإِمَام الثَّانِي عَشر لِأَئمَّة الشِّيعة الإِمَامِيَّة . وَقَد رُويت أحَادِيث كَثِيرَة رَواهَا الشِّيعَة ، وَأَهْل السُّنَّة عن آلنَّبِيّ ﷺ تُشير بَعْضهَا إِلىٰ عَدد الأَئِمَّة ، وأنَّهم جَمِيعاً مِن قُرَيْش ، وَبَعْضهَا الآخر أنَّهم بِعَدد نُقبَاء بَنِي إسْرائِيل . وَبَعْضهَا أنّ تِسْعَة مِنْهُم مِن أوْلاَد الحُسين ﷺ ، وَبَعْضهَا ذَكرت أسماءهم وَاحداً

⇔ بَعد الآخر كما وَرد «...إثنا عَشر إمَاماً تِسْعَة من صُلْب الحُسين...قُلتُ: يَارَسُول الله ﷺ! أفلا تُسَمِّيهم لِي؟ قَالَ: نَعَم: أنت الإمَام، والخَليفَة بَعْدِي... وَبعدك أبنَاك الحَسن، والحُسين، وَبعد الحُسين أبنه عَليّ زَين العَابِدِين، وَبعد عَليّ أبنه مُحَمَّد يُدْعىٰ البَاقر، وَبَعد مُحَمَّد أبنه جَعْفَر يُدْعىٰ بِالصَّادق، وَبَعد جَعْفَر مُوسَىٰ يُدْعىٰ بِالكَاظم، وَبَعد مُوسَىٰ أبنه عَليّ يُدْعىٰ بِالرِّضا، وَبَعد عَليّ أبنه مُحَمّد يُدْعىٰ بِالزَّكي، وَبَعد مُحَمَّد أبنه عَليّ يُدْعىٰ بِالنَّقي، وَبَعْدَه أبنه الحَسن يُدْعىٰ بِالأَمِين، وَالقَائِم مِن وِلد الحَسن سَمِيِّي، وَأشبه النَّاس بِي، يَمْلَؤُها قِسْطاً وعَدْلاً كما مُلِئَتْ جَوْراً، وظُلْماً».

أُنظر، كِفَاية الأَثر: ١٠٠ و١٥٨ و١٩٥ و٢١٧، مَلَاحم أبن طاووس: ١٣٦، مناقب أبن شَهر آشوب: ٢ / ٢٧٣، فِتَن السُّلِيلي: علىٰ مَا فِي المَلَاحم لِإبن طاووس، مشَارق البَرسي: ١٦٤ ـ ١٦٦، إثبَات الهُداة: ١ / ٥٩٨ ح ٥٦٨ و: ٢ / ٤٤٢ ح ١٢٨، غَـايَة المـرَام: ٥٧ ح ٦٢، مَدِينَة المعَاجز: ٢ / ٣٦٨، البحَار: ٣٦ / ٣١٩ ح ١٧١ و ٢٠٠ و ٢٢١ و ٣٥٤ ح ٢٢٥ و: ٤١ / ٣١٨ ح ٤٢، بشَارة الإسْلَام: ٥٧.

وَعَن عَليّ بن أبِي طالب، فِي حَدِيثٍ طَوِيل قَالَ: «...ذَاكَ الفَقِيد الطَّرِيد الشَّرِيد مُحَمَّد بن الحَسن بن عَليّ بن مُحَمَّد بن عَليّ بن مُوسَىٰ بن جَعْفَر بن مُحَمَّد بن عَليّ بن الحُسين هَـذا، ووضع يَده عَلىٰ رَأس الحُسين». أُنظر، مُقْتَضب الأَثر: ٣١، كَنز الفوَائِد: ١٧٥، إثبَات الهُداة: ٣ / ٤٦٣ ح ١١٤، كـمَال الدِّين: ١ / ٣٠٣ ح ١٣، مُنْتَخب الأَثر: ٢٤٠ ح٦، مسَائل عَليّ بن جَعْفَر: ٢٣، الكَافِي: ١ / ٢٥٩ ح ١٤، الإرْشَاد لِلمُفِيد: ٢ / ٢٧٦، إعْلَام الوَرىٰ: ٢ / ٩٢، بحَار الأَنْوَار: ٥٠ / ٢١ ح ٧، مرآة العُقُول: ٣ / ٣٧٨ ح ١٤، شَرح أُصول الكَافِي: ٦ / ١٩٤، الوَافِي: ٢ / ٩١، كَشف الغُمّة: ٢ / ٣٥١ و: ٣ / ١٤٣، الإمَـامَة والتَّبصّرة: ١١٥، وَسَائِل الشِّيعة: ١٧ / ١٧٤، دَلَائل الإمَامَة: ٤٨٦، شَرح الأَخْبَار: ٣ / ٣٦٨، كتَاب الغَيْبَة لِلنُّعمَاني: ١٧٩، مَدِينَة المعَاجز: ٧ / ٢٦٨، مُسْنَد الإمَام الرِّضا: ١ / ٢١١ ح ٣٥٦.

وَعَن الأَصبغ، عَن أمير المُؤْمِنِين ﷺ قَالَ: «الحَادي عَشر مِن وِلدي، يَمْلَؤُها عَدْلاً كما مُلِئَتْ جَوْراً وظُلْماً». أُنظر، العدد القَوِيّة: ٧٠ ح ١٠٧، الهِدَايـة الكُبرىٰ: ٣٦٢، الكَـافِي: ١ / ٣٣٨ ح ٧، دَلَائِل الإمَامَة: ٢٨٩، رَسَائِل المُفِيد: ٤٠٠، مَلَاحم أبن طاووس: ١٨٥، الإمَامَة والتَّبصّرة: ١٢٠، كمَال الدِّين وَتمَام النِّعْمَة: ٢٨٩ ح ١، كفَاية الأَثر: ٢٢٠، شَرح أُصول الكَافِي: ٦ / ٢٥٥، الإخْتِصَاص: ٢٠٩، كتَاب الغَيْبَة لِلطُّوسي: ١٦٥، الصِّرَاط المُسْتَقِيم: ٢ / ١٢٦، إعْلَام الوَرىٰ بِأعْلَام الهُدىٰ: ٢ / ٢٢٨.

وَسُئل أَمِيرُ المُؤْمِنِين ﷺ، عَن مَعْنىٰ قَول الرَّسُول ﷺ: «إنّي مُخلف فِيكُم الثَّقَلَيْن ...من العِتْرَة؟ فقَال:

⇔

↔ أنَا، وَالحَسن، والحُسِين، والأَئِمَّة مِن وِلد الحُسين: تَاسعهُم مَهْدِيهُم...». أنظر، البُرهان: ١/ ١٣ ح ٣٠، إعْلاَم الوَرىٰ: ٣٧٥، كَشف الغُمَّة: ٣/ ٢٩٩، كمَال الدِّين: ١/ ٢٤٠ ح ٦٤، مُختَصر إثبَات الرَّجعة: ٤٤٨، العيُون: ١/ ٥٧ ح ٢٥، غَاية المَرام: ٢١٨ ح ٥٨، مُنْتَخَب الأَثر: ٩٤ح ٣١، عُيُون أخبَار الرِّضا: ٢/ ٦٠ ح ٢٥، شَرح الأَخْبَار: ٣/ ٣٥١ ح ٤، قصص الأَنبِيَاء للرَّاوندي: ٣٥٨، مَجمَع البَحرين: ٣/ ١١٥، خَاتِمة المُسْتَدرَك: ٥/ ٧٦.

وَعَن أَبِي هَاشِم الجَعْفَري قَالَ: «قُلْتُ لأبِي مُحَمَّد الحَسن بن عَليّ: جَلالتك تَمْنَعني مِن مُسَاءلتك فَتَأذن لِي أنْ أسألك؟ فقَالَ: سِلْ، فَقلتُ: يَاسَيِّدي هَل لكَ وَلَد؟ قَالَ: نَعَم، قُلتُ: فَإنْ حَدَثَ حَادِث فَأين أسأل عَنهُ؟ قَالَ: بِالمَدِينَة». أُنظر، الكَافِي: ١/ ٢٦٤ ح ٢، و: ٣٢٨ ح ٢ بَاب ٧٦، طَبعة أُخرىٰ. الغَيبَة للشَّيخ الطّوسي: ٢٣٢ ح ١٩٩، إعْلاَم الوَرىٰ: ٤١٣، الإرْشَاد: ٢/ ٣٤٨، الفصُول المُهمَّة: ٢٩٢، كَشف الغُمَّة: ٣/ ٢٤٦، المُستجاد مِن الإرْشَاد: ٢٣٨، الصِّراط المُسْتَقِيم: ٢/ ١٧١، رَوضة الوَاعظِين: ٢٦٢، شَرح أُصول الكَافِي: ٦/ ٢٢٦.

وَهُنَاك حَدِيث وَرد عَن الإمَام الرِّضا عليه السلام فِي مُخاطَبته لِدعبل الخُزاعيّ«...يَا دِعبل! الإمَام مِن بَعْدِي مُحَمَّد أبنِي، وَبَعد مُحَمَّد أبنه عَلِيّ، وَبَعد عَلِيّ أبنه الحَسن، وَبَعد الحَسن أبنه الحُجَّة القَائِم المُنتَظَر فِي غَيبَتهِ، المُطاع فِي ظُهُوره...».

رَوىٰ هَذا الحَدِيث الشَّيخ الصَّدوق فِي كمَال الدِّين: ٢/ ٣٧٣ ح ٦، عُيُون أَخبَار الرِّضا: ٢/ ٢٦٣ ح ٣٥، كَشف الغُمَّة: ٣/ ١١٨، كفَاية الأثر: ٢٧١، فَرائِدُ السِّمطِين: ٢/ ٣٣٧ ح ٥٩١، مُنتَخَب الأنوَار المُضِيئة: ٣٨، حلية الأَبرار: ٢/ ٤٣٣، إعلاَم الوَرىٰ: ٢/ ٦٩، تَأرِيخ آبن الخَشَاب: ١٩٧، غَاية المَرام: ٧٠١ ح ١١٢ وح١١٣، يَنابِيع المَوَدَّة: ٣/ ٣٩٢ طَبعة أُسوة، شَرح الأَخبَار: ٣/ ٣٥٢ ح ٧، مَدِينَة المَعاجز: ٧/ ١٩٠، الفصُول المُهمَّة: ٦٩، الصِّراط المُسْتَقِيم: ٢/ ٢٣٠، مُسْنَد الإمَام الرِّضا: ١/ ٢٢٤ ح ٣٩١.

روِيت هَذِه القِصَّة لمَّا أنشد دِعبل الخُزاعي مَولاي الرِّضا هَذِه القَصِيده وَلما أنتهىٰ إلىٰ:

خُرُوج إمَامٍ لاَ مُحَالَةَ خَارِجٌ … يَقُوم عَلىٰ أسم الله وَالبَرَكَات
يُمَيِّز فِينا كُلَّ حَقّ وبَاطِل … وَيجزِي عَلىٰ النَّعمَاء وَالنَّقِمَات

فَبكىٰ الرِّضا عليه السلام ثُمَّ رَفع رَأسَه إليَّ وَقَال: يَا خُزاعِي نَطق رُوح القُدس عَلىٰ لِسَانك بِهَذِين البَيتِين ↔

↔ أتدري مَن هَذا الإمَام الَّذي تَقول؟ فَقلتُ: لاَ أدري إلاّ أنّي سَمعت يَا مَولاي بِخُرُوج إمَام مِنكُم يَملأ ٱلأَرض عَدلاً. فَقَال: يَا دِعبل الإمَام بَعدِي مُحَمَّد أبني وبَعدَه عَليّ أبنه، وبَعد عَليّ أبنه الحَسن، وبَعد الحَسن أبنه الحُجَّة القَائم المُنتظَر في غَيبَته المُطاع في ظُهُوره، وَلو لَم يَبق مِن الدُّنيا إلاّ يَوم وَاحد لِطَوّلَ الله ذَلِكَ اليَوم حَتّىٰ يَخرج فيملأ ٱلأَرض عَدلاً كمَا مُلِئَتْ جَوْراً.

وَنَقلت هَذِه القِصَّة في كَثِير مِن المَصَادر التَّأريخِيه وَلِشهرتها بَيْن النَّاس حَفظوها وَتَناقلوهَا وَتَغنُوا بِهَا حَتّىٰ أعدَاء أهْل البَيْت: وَلذا تَجد بَعض ألفاظها تَختَلف مِن مَصدرٍ إلىٰ آخر، وَبدورنا نَنقل المَصَادر بِشَكلٍ إجْمَالي وَالَّتي تَحت أيْدِينَا وَنَترك لِلقَاري الْكَريم أنْ يُفتش عَنْهَا في المَصَادر الأُخرىٰ وَكَذَلِك يَبحث عَن مَعنَاها لأنَّ فِيها مَا فِيها مِن كَرَامات أَهْل البَيْت عليهم السلام مِن نَاحِية وَمظلُومِيتهُم مِن قبل أعدَائِهم مِن نَاحِية أُخرىٰ ثُمّ ٱرتئينا أنْ نَنقل بَعض مصَادر فَهي كَالتَّالي:

أنْظر، الأَبيات الشِّعرية في دِيوان دِعبل: ٤٢، وَالقِصَّة في أمَالي الطّوسي: ٢ / ٢٦٥ ح ٣٥، عُيُون أخبَار الرِّضا: ٢ / ٢٦٣ ح ٣٤، كمَال الدِّين: ٣٧٣ ح ٦، رِجَال الكشّي: ٥٠٤، الوَسَائل: ١٠ / ٤٣٨ و٣٩٣ ح ٢٢، سِير أعْلاَم النُّبلاء: ٩ / ٣٩١، إعْلاَم الورىٰ: ٣٢٩، مَناقب آل أَبِي طالب: ٣ / ٤٥٠، مَدِينَة المَعَاجز: ٥٠٣ ح ١١٩، حلية الأَبـرار لِـلمحدّث البَحراني: ٢ / ٣٢٠ و ٤٣٣، إثبَات الهُداة: ٦ / ٩٩ ح ١٠٢، ٢ / ٣٤٧، كَشف الغُمّة: ٢ / ٢٦١ و ٣٢٨، كفَاية الأثَر للخزّاز القُمّي: ٢٧١، فَرَائد السِّمطِين لِـلجُويني: ٢ / ٣٣٧ ح ٥٩١، يَنابِيع المَوَدَّة لِلقندوزي الحَنفي: ٤٥٤، الإتْحَاف بِحُبِّ الأَشْرَاف للشّبراوي: ١٦٤، نُور الأَبصار: ٣٠٩ ـ ٣١٢، مُنْتَخَب الأَنْوَار المُضِيئة: ٣٩، مَقصد الرّاغب: ١٦٧، الفَرَج بَعد الشِّدَّة: ٣٢٩.

وأُنظر أيضاً إحقَاق ٱلحَقّ: ١٢ / ٤٠٣ و ٣٩٩ و ٤٠٨، و: ١٩ / ٥٧١ ـ ٥٧٦ و٦٤٧ و٦٥٠، دَلاَئل الإمَامَة للطَّبري: ١٨٢، العدد القَويَّة: ٢٩٢ ح ١٦، الغَدِير: ٢ / ٣٤٩ ـ ٣٦٣، مطالب السّؤول: ٨٥، مُعجم الأُدباء: ٤ / ١٩٦، أعيَان الشِّيعة: ٦ / ٤١٨، تَـذكرة الخَـوَاصّ لِسِبط ٱبـن الجَـوزي: ٢٣٨، البِحَار: ٤٩ / ٢٤٥ ح ١٢، و ٢٤٢ و ٢٣٧، مَقَاتِل الطَّالبِيين لأَبِي الفَرج الإِصفهاني: ٥٦٥، دِيوان دِعبل: ١٢٤.

وَقَالَ الشَّيخ الصَّدوق رحمه الله: «إنّ الأئمَّة قَد أخبرُوا بِغيبته، وَوَصفوا كَونها لِشِيعتهم فِي مَا نُـقل عَـنْهم، وَٱستحفظ في الصُّحف، وَدُوّن في الكُتب المُؤلفة مِن قبل أنْ تَقع الغَيْبَة بِمِئتي سَنَة، أو أقل، أو أكْثَر، فَلَيس أحد من أتبَاع الأئمَّة عليهم السلام إلاّ وقَد ذَكر ذَلِكَ فِي كَثِير مِن كُتبه، وَرُوايَاته، وَدُوّنه في مُصَنفاته، وَهِي الكُتب الّتي تُعرف بِالأُصول مُدوَّنة مُسْتَحفظة عِند آل مُحَمّد عليهم السلام مِن قَبل الْغَيْبَة في هَذا الْكِتَاب ـ يَعني كمَال الدِّين ↔

(أُولَئِكَ ـ وَ اللهِ ـ الأَقَلُّونَ عَدَداً) عَدَدهُم بِالضَّبط وَالتَّحدِيد، وَنَعْلَم بِالإِجمَال أَنَّهم قَلِيلُون، كَمَا هُو شَأن الهُدَاة الكِرَام[1].

⇐ وتَمام النِّعْمَة ـ فِي مواضعها، فَلا يَخلوا حَال هَؤلاَءِ الأتبَاع المُؤلِفِين للكُتب أنْ يكُونوا علموا الْغَيْب، بِمَا وَقع الآنْ مِن الْغَيْبَة فَألفوا ذَلِكَ فِي كُتبهُم، وَدَوَّنُوه فِي مُصَنفَاتِهم مِن قبل كونها، وهَذا مُحال عِند أَهْل اللُّب، وَالتحصيل، أو أنْ يكُونوا قَد آسَسوا فِي كُتبهم الْكَذِب فاتفق الأَمْر لَهُم كمَا ذَكروا، وَتحقَّق مَا وصَفوا من كِذْبِهم عَلىٰ بُعد دِيَارهم، واَختلاَف آرَائِهم، وتبيَان أَقطَارهم، وَمحَالِهم، وَهَذا أيضاً مُحال كَسبِيل الوَجه الأَوَّل. فَلم يَبْق فِي ذَلِكَ إلاَّ أَنَّهم حَفظوا عن أَئمتهم المُستَحفظِين للوصِيَّة». أُنظر، كمَال الدِّين وَتَمام النِّعْمَة: ١٩.

(١) هُنالِكَ مَن اَلتبَس عَلَيْهِ الإِستدلاَل بِحَدِيث الإِثني عَشَر إمَاماً؟

فَالجوَاب بِشكلٍ مُختصر: أنّ المُستَشكِل لَم يَقرأ الأحَاديث، أو الحَدِيث المُسمىٰ بِحَدِيث الخُضر، وَالحَدِيث المُسَمىٰ بِحَدِيث اللَّوح، أو الصَّحِيفة الَّذي أهدَاها الله سُبْحَانَه وتَعَالىٰ إلىٰ رَسُولِ الله ﷺ، وبدُوره ﷺ دفعه إلىٰ فَاطِمَة ؏، فَعرضَتهُ عَلىٰ جَابر بن عبدالله الأَنْصَاري ؓ، حتَّىٰ قَرأه، وانتسخه، وَأخبر بِهِ أبَا جَعْفَر مُحَمَّد بن عَليّ البَاقر ؏ بَعد ذَلِكَ، وَليعلم المُستَشكِل بِأنَ كُلّ ذَلِكَ حَدَثَ فِي زَمان قَبل الحَيْرَة كمَا يَدَّعي.

وَكَذلِك ذَكر الشَيخ مُحَمَّد بن عَليّ الصَدوق ؓ، فِي كتَابه عُيُون أَخْبَار الرِّضا فِي: ٤٩/٢ أَحَادِيث كَثِيرَة، بل عَنون عِنواناً خَاصاً بِهِ وهُو (ذِكر النَّص عَلىٰ القَائِم ؏ فِي اللَّوح..)، وَكَذلِك ذِكر الحَدِيث فِي إكمَال الدِّين وَتَمام النِّعْمَة فِي: ٢٨٢/١ ح ٣٥ وَأفرَد لهُ بَاباً أيضاً.

أُنظر، حَدِيث: «الأَئِمَّة بَعْدِي إثنَا عَشَر أَوَّلهُم عَليّ وَآخرهُم القَائِم، هُم خُلفَائِي وَأُوصِيَائي» كمَا ذَكره عَليّ بن بَابويه الصَّدوق المُشار إليهِ، وأَخْرَجَه الشَّيخ الصَّدوق أيضاً فِي إكمَال الدِّين: ٢٨٢/١ ح ٣٥. وَحَدِيث «الأَئِمَّة من بَعْدِي إثنَا عَشر، أَوَّلهم أَنْتَ يَا عَليّ، وآخرهُم القَائِم الَّذي يَفْتَح الله عزَّ وجلَّ عَلىٰ يَدِيه مشَارق الأَرْض وَمَغَاربها» أَخْرَجَه الصَّدوق فِي كمَال الدِّين: ٢٧٦. وَحَدِيث «إنَّ أوصِيَائي وَحُجج الله عَلىٰ الخَلق بَعْدِي إثنَا عَشر أَوَّلهُم أخِي وَآخرهُم وَلدي. قِيل: يَا رَسُول الله مَن أَخُوك؟ قَالَ: عَليّ، قِيل: مَن وَلَدك؟ قَالَ: المَهْدِي...» غَايَة المَرَام: ٦/٦٩٢، فَرَائِد السِّمطِين: ٥٦٢/٣١٢/٢. وَحدِيث «أنَا سَيِّد النَّبِيِّين وعَليّ سَيِّد الوَصِيِّين، وَإنَّ أوصِيَائي بَعْدِي إثنَا عَشر، أَوَّلهُم عَليّ وَآخرهُم المَهْدِيّ» غَايَة المَرَام: ٨/٦٩٣، فَرَائِد السِّمطِين: ٥٦٣/٣١٣/٢ و ٥٦٤.

⇐

↔ وَحَدِيث «أنَا السَّماء، وَأمّا ٱلْبُرُوج فَالأَئِمَّة مِن أَهْل بَيْتِي وعِتْرَتِي، أوَّلهُم عَليّ وَآخرهُم المَهْدِيّ، وَهُم إثنَا عَشر» غَايَة المرَام: ١١٢/٧٥٦ وَرُوي عَن الأَصْبَغ بن نُبَاتة عَن ابن عَبَّاس فِي تَفْسِير قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾. وَحَدِيث جَابر بن عبدالله الأَنْصَاري «قَالَ: دَخَل جَندل بن جُنادة بن جُبير اليَهُودي عَلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ فَقَال: يَا مُحَمّد أخبرنِي عَمَّا لَيْسَ لله، وَعَمَّا لَيْسَ عِند الله، وَعَمَّا لايَعلمه الله؟ فَقَال ﷺ أمّا مَا لَيس لله فَلَيس لله شَريك... ـ إلىٰ أنْ قَالَ ﷺ ـ: أوصِيائي الإثنَا عَشر. قَالَ جَندل: هَكذا وَجدنَاهُم فِي التَّوْرَاة، وَقَالَ: يَا رَسُول الله سَمّهم لِي، فَقَال: أوَّلهُم سَيّد الأَوْصِيَاء أبُو الأَئِمَّة عَليّ، ثُمَّ ابنَاه الحَسَن وَالحُسين... وَأخذ ﷺ يَذكرهُم وَاحِداً تلو الآخَر» غَايَة المرَام: ٥٧/٧٤٣.

وَلَسنَا بِصَدد بَيَان ذَلِكَ فَمن أَرَاد فَليرَاجع المصَادر الَّتِي تَذكر حَدِيث «لاَ يَزَال هَذا الدِّين عَزِيزاً مَنِيعاً إلَىٰ اثني عَشر خَلِيْفَة كُلّهم مِن قُرَيْش» وَغَيْره مِن الأَحَاديث. وَهَذا الحَدِيث أَخْرجَه الخَمْسَة إلّا النَّسائي كَمَا جَاء فِي تَيسِير الوصُول: ٣٢٢ مِن كتَاب الخِلاَفَة مِن المُجَلَّد الأَوَّل.

وَذكر البُخَارِيّ فِي صَحِيحه: ١٦٥/٤: يَكُون إثنَا عَشر أَمِيراً كُلّهم مِن قُرَيْش.

وأنظر، سُنَن أَبِي دَاود: ٤٢١/٢، طَبْعَة مُصطفىٰ البَابِي الحَلبي سَنَة ١٣٧١، أوّل كِتَاب المَهْدِيّ، و: ١٠٦/٣، وَمُسْنَد الطَّيَالِسِي: ح ٧٦٧ و ١٢٧٨، وَمُسْنَد أحمد: ٨٦/٥ و٨٧ و ٩٠ و ٩٢ و٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و٩٦ و٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨، و: ٣٩٨/١ و ٤٠٦، وَكَنز العُمَّال: ٢٦/١٣، وَحِلية الأَوْلياء لأَبِي نَعيم الإصبهَاني: ٣٣٣/٤، وَفتح البَاري: ٣٣٨/١٦، وَمُسْتَدرَك الصَّحِيحين: ٦١٧/٣، مُسْنَد أَبِي عوَانة: ٣٩٦/٤ و٣٩٨ و ٣٩٩، وَمُنْتَخب الكَنز: ٣٢١/٥، وَتَأْرِيخ ابن كَثِير: ٢٤٩/٦، البدَاية والنِّهَاية: ٢٤٨/٦، وَتَأْرِيخ الخُلَفَاء: ١٠، وَالصَّوَاعِق المُحْرِقَة: ٢٨، وَصَحِيح مُسْلِم بِشَرح النَّووي: ٣/٦ ح ٦، بَاب أنّ النَّاس تَبع لقُرَيْش، كتَاب الإمَارَة، و: ٢٠٢/١٢، وَتَلخِيص المُسْتَدرَك للذَّهبي: ٥٠١/٤، وَمجمع الزَّوائد: ١٩٠/٥، وَالجَامع الصَّغِير: ٧٥/١، وَشوَاهد التَّنْزِيل: ٤٥٥/١/ ٦٢٦، سُنَن التِّرمِذي: ٥٠١/٤، طَبْعَة مُصطفىٰ البَابِي الحَلَبي، وَنَهج ٱلبَلاَغَة ٱلخُطْبَة (١٤٢)، وَيَنابِيع المَوَدَّة: ٥٢٣ بَاب ١٠٠، وإحيَاء عُلُوم الدِّين: ٥٤/١، وَالعَهد القَدِيم سِفر التَّكوين: ٢٠/١٧ و ٢٢، كما جَاء فِي المُعْجَم الحَدِيث عِبري عَربي: ٣١٦ و ٣٦٠، وَتَأْرِيخ اليَعقوبي: ٢٤/١، المُعْجَم الكَبِير: ٩٤ و ٩٧، كنُوز الحقَائِق: ٢٠٨.

وَهُناك روَايَات تَذكر أسمَاء الإثني عَشر، وَسَبق وأنْ أوضَحنا ذَلِكَ مُفصّلاً، وَهُنا نَذكر بَعضاً مِنهَا، وَمَن ↔

⇔ شاء فليرَاجع المصَادر السَّابقة، فَقَد رَوىٰ الجُويني كمَا ورد فِي فرَائِد السّمطِين المَخطُوط فِي المكتَبة المَركزِية لجَامعَة طَهران برَقم ١١٦٤/١٦٩٠ و١٦٩١ الورَقة ١٦٠ عن عبد الله بن عبَّاس قَالَ: قَالَ رَسُول الله: أَنَا سَيد النَّبيِّين، وعَليّ بن أَبِي طالب سَيِّد الوَصِيِّين، وَأَنّ أَوْصِيائِي بَعْدِي إثنَا عَشر، أَوَّلهُم عَليّ بن أَبِي طَالب وآخرهُم المَهْدِيّ. وفِي حَدِيث آخر أَيضاً بِسَنده قَالَ: سَمِعتُ رَسُول اللهﷺ يَقول: أَنَا وعَليّ والحَسن والحُسين وتِسْعَة مِن وِلد الحُسين مُطهّرُون مَعْصُومُون.

وأَنظر، كَشف اليَقِين فِي فضَائِل أَمِيرُ المُؤْمِنِينﷺ: ٢٣١، عِلم اليَقِين: ١/٤١٣ و ٤١٤، كَشف الغُمَّة: ١/٥٨، دَلاَئِل الصِّدْق: ٢/٤٨٨، يَنَابِيع المَوَدَّة: ٣/٢٠٧، و: ١/٣٤٩ و٤٤ و٣٧٧، و: ٢/٣١٦ و١٠٥، و: ٣/٢٨٩ ـ ٢٩١ و٣٨٤ و ٣٩٤ طَبعَة أسوة، سُنَن التِّرمِذي: ٣/٣٤٢/٢٣٣٠، سُنَن أَبِي دَاود: ٣/٣٠٢/٤٢٥٢، كَنز العُمَّال: ١٢/١٦٥/٣٤٥٠١، مَودَّة القُربىٰ: ٢٩، فَرائِد السّمطِين: ٢/٣١٣/٥٦٣، غَاية المَرام: ٦٩٣/٧، مَقتل الحُسين للخوَارزمي: ١٤٦/٣٢٠، إكمَال الدِّين: ١/٢٦٩/١٢، صَحِيح مُسْلِم: ٢/١٨٤/١٨٢٢، عُيُون أَخبَار الرِّضا: ٢/٢٦٢/٤٣.

وَعَن عَليّ بن أَبِي طَالب، فِي حَدِيثٍ طَوِيل قَالَ: «...ذَاكَ الفَقِيد الطَّرِيد الشَّرِيد مُحَمَّد بن الحَسن بن عَليّ بن مُحَمَّد بن عَليّ بن مُوسَىٰ بن جَعْفَر بن مُحَمَّد بن عَليّ بن الحُسين هَذا، ووضع يَده عَلىٰ رَأس الحُسين». أَنظر، مُقتَضب الأَثر: ٣١، كَنز الفوَائد: ١٧٥، إثبَات الهُداة: ٣/٤٦٣ ح ١١٤، كَمَال الدِّين: ١/٣٠٣ ح ١٣، مُنْتَخب الأَثر: ٢٤٠ ح ٦، مسَائِل عَليّ بن جَعْفَر: ٢٣، الكَافِي: ١/٢٥٩ ح ١٤، الإِرْشَاد لِلمُفِيد: ٢/٢٧٦، إِعْلاَم الوَرىٰ: ٢/٩٢، بِحَار الأَنْوَار: ٥٠/٢١ ح ٧، مرآة العُقُول: ٣/٣٧٨ ح ١٤، شَرح أُصول الكَافِي: ٦/١٩٤، الوَافِي: ٢/٩١، كَشف الغُمَّة: ٢/٣٥١ و: ٣/١٤٣، الإِمَامَة والتَّبْصِرة: ١١٥، وَسَائِل الشِّيعة: ١٧/١٧٤، دَلاَئل الإِمَامَة: ٤٨٦، شَرح الأَخبَار: ٣/٣٦٨، كتَاب الغَيْبَة لِلنُّعماني: ١٧٩، مَدِينَة المعَاجز: ٧/٢٦٨، مُسْنَد الإِمَام الرِّضا: ١/٢١١ ح ٣٥٦.

وَعَن الأَصْبَغ، عَن أَمِير المُؤْمِنِين ﷺ قَالَ: «الحَادِي عَشر مِن وِلدي، يَمْلَؤُها عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وظُلْماً». أَنظر، العِدد القَوِيَّة: ٧٠ ح ١٠٧، الهِدَايَة الكُبْرىٰ: ٣٦٢، الكَافِي: ١/٣٣٨ ح ٧، دَلاَئِل الإِمَامَة: ٢٨٩، رَسَائِل المُفِيد: ٤٠٠، مَلاَحم ابن طَاووس: ١٨٥، الإِمَامَة وَالتَّبْصِرة: ١٢٠، كَمَال الدِّين وَتَمَام النِّعْمَة: ٢٨٩ ح ١، كِفَاية الأَثر: ٢٢٠، شَرح أُصول الكَافِي: ٦/٢٥٥، الإِخْتِصَاص: ٢٠٩، كتَاب الغَيْبَة للطُوسي: ١٦٥، الصِّراط المُسْتَقِيم: ٢/١٢٦، إِعْلاَم الوَرىٰ بِإِعْلاَم الهُدىٰ: ٢/٢٢٨.

⇔

⇐ وسُئل أميرُ المُؤمنِين عليه السلام، عَن مَعْنىٰ قَول الرَّسُول صلى الله عليه وآله: «إنِّي مُخلف فِيكُم الثَّقَلَيْن ...مِن العِتْرَة؟ فَقَال: أنَا، وَالحَسن، والحُسين، وَالأَئِمَّة مِن وِلد الحُسين؛ تَاسعهُم مَهْدِيهم...». أنظر، البُرهان: ١/ ١٣ ح ٣٠، إعْلَام الوَرىٰ: ٣٧٥، كَشف الغُمَّة: ٣/ ٢٩٩، كَمَال الدِّين: ١/ ٢٤٠ ح ٦٤، مُختصر إثبَات الرَّجعة: ٤٤٨، العيُون: ١/ ٥٧ ح ٢٥، غَاية المَرَام: ٢١٨ ح ٥٨، مُنْتخَب الأَثر: ٩٤ح ٣١، عُيُون أخبَار الرِّضا: ٢/ ٦٠ ح ٢٥، شَرح الأَخبَار: ٣/ ٣٥١ ح ٤، قِصص الأَنْبِيَاء للرَّاوندي: ٣٥٨، مَجْمَع البَحْرين: ٣/ ١١٥، خَاتِمَة المُسْتَدرَك: ٥/ ٧٦.

وَعَن أَبِي هَاشِم الجَعْفري قَالَ: «قُلْتُ لأبِي مُحَمَّد الحَسن بن عَليّ: جَلَالَتك تَمْنعني مِن مُسَاءلتك فَتَأذن لِي أنْ أسألك؟ فقَالَ: سَلْ، فَقُلتُ: يَاسَيِّدي هَل لَكَ وَلد؟ قَالَ: نَعَم، قُلتُ: فَإنْ حَدَثَ حَادِث فَأين أسأل عَنْهُ؟ قَالَ: بالمَدِينَة». أنظر، الكَافِي: ١/ ٢٦٤ ح ٢، و: ٣٢٨ ح ٢ بَاب ٧٦، طَبْعَة أُخرىٰ، الغَيْبَة للشَّيخ الطُّوسي: ٢٣٢ ح ١٩٩، إعْلَام الوَرىٰ: ٤١٣، الإرْشَاد: ٢/ ٣٤٨، الفصُول المُهِمَّة: ٢٩٢، كَشف الغُمَّة: ٣/ ٢٤٦، المُستجَاد مِن الإرْشَاد: ٢٣٨، الصِّراط المُسْتَقِيم: ٢/ ١٧١، رَوضَة الوَاعظِين: ٢٦٢، شَرح أُصول الكَافِي: ٦/ ٢٢٦.

وَهُناك حَدِيث وَرد عَن الإمَام الرِّضا عليه السلام فِي مُخاطَبته لِدعبل الخُزَاعيّ «...يَا دِعبل! الإمَام مِن بَعْدِي مُحَمَّد ٱبني، وَبَعد مُحَمَّد ٱبنَه عَليّ، وَبَعد عَليّ ٱبنَه الحَسن، وَبَعد الحَسن ٱبنَه الحُجَّة القَائِم المُنْتظَر فِي غَيْبَتِه، المُطَاع فِي ظُهُوره...».

روىٰ هَذَا الحَدِيث الشَّيخ الصَّدوق فِي كَمَال الدِّين: ٢/ ٣٧٣ ح ٦، عُيُون أخبَار الرِّضا: ٢/ ٢٦٣ ح ٣٥، كَشف الغُمَّة: ٣/ ١١٨، كفَايَة الأَثر: ٢٧١، فَرائِدُ السِّمطِين: ٢/ ٣٣٧ ح ٥٩١، مُنْتَخَب الأَنْوَار المُضِيئة: ٣٨، حلية الأبْرَار: ٢/ ٤٣٣، إعْلَام الوَرىٰ: ٢/ ٦٩، تَأريخ ٱبن الخَشَاب: ١٩٧، غَاية المَرَام: ٧٠١ ح ١١٢ وح١١٣، يَنَابِيع المَوَدَّة: ٣/ ٣٩٢ طَبعة أُسوة، شَرح الأَخبَار: ٣/ ٣٥٢ ح ٧، مَدِينَة المَعَاجز: ٧/ ١٩٠، الفصُول المُهِمة: ٦٩، الصِّراط المُسْتَقِيم: ٢/ ٢٣٠، مُسْنَد الإمَام الرِّضا: ١/ ٢٢٤ ح ٣٩١.

رُويت هَذِه القِصَّة لمَّا أنشد دِعبل الخُزَاعي مَولاي الرِّضا هَذِه القَصِيدَة وَلمَّا ٱنتهىٰ إلىٰ:

خُرُوج إمَامٍ لَا مُحَالَةَ خَارجٌ ... يَقُوم عَلىٰ ٱسم الله وَالبَرَكَاتِ
يُميِّز فِينا كُلّ حَقّ وَبَاطِل ... وَيجزي عَلىٰ النَّعمَاء والنَّقمَاتِ

⇐

⇐ بَكىٰ الرِّضاﷺ ثُمَّ رَفع رَأسه إليَّ وَقالَ: يَا خُزَاعي نَطَق رُوح القُدس عَلىٰ لِسانك بِهَذين البَيتين أتَدري مَن هَذا الإِمَام الَّذي تَقول؟ فَقُلت: لاَ أدري إلاّ أنِّي سَمعتُ يَا مَولاي بِخُرُوج إمَام مِنكُم يَملأ ٱلأَرض عَدلاً. فَقَال: يَا دِعبل الإِمَام بَعدِي مُحَمَّد ٱبني وَبَعْده عَليّ ٱبنه وَبَعد عَليّ ٱبنه الحَسن وَبَعد الحَسن ٱبنه الحُجَّة القَائِم المُنتَظَر فِي غَيبته المُطاع فِي ظُهُوره، وَلَو لَم يَبْق مِن الدُّنيَا إلاّ يَوم وَاحد لِطَوّلَ الله ذَلِكَ اليَوم حتّىٰ يَخرُج فَيَملأ ٱلأَرض عَدلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْرَاً.

وَنُقلت هَذِه القِصَّة فِي كَثِير مِن المَصَادر التَّأريخِيه وَلِشُهرتها بَيْن النَّاس حَفظوهَا وَتَناقَلوها وَتَغنُوا بِها حتّىٰ أعدَاء أَهْل البَيْت ﷺ وَلِذا نَجد بَعْض أَلفاظها تَختَلف مِن مَصدرٍ إلىٰ آخر، وَبِدورنا نَنقُل المَصادر بِشَكل إجمَالِي وَالَّتي تَحت أَيْدِينا وَنَترك لِلقَاري الكَرِيم أنْ يُفتش عَنْهَا فِي المَصَادر الأُخرىٰ وَكَذَلك يَبحث عَن مَعْنَاها لأنَّ فِيها مَا فِيها مِن كرَامَات أَهْل البَيْت ﷺ مِن نَاحية، وَمظلُوميتهُم مِن قِبل أعدَائِهم مِن نَاحِية أُخرىٰ، ثُمَّ ٱرتَئِينا أنْ نَنقل المَصَادر:

أُنظر، الأَبيَات الشّعرية فِي دِيوَان دِعبل: ٤٢، وَالقِصَّة فِي أمَالي الطّوسي: ٢/ ٢٦٥ ح ٣٥، عُيُون أخبَار الرِّضا: ٢/ ٢٦٣ ح ٣٤، كَمَال الدِّين: ٣٧٣ ح ٦، رِجَال الكَشّي: ٥٠٤، الوَسَائِل: ١٠/ ٤٣٨ و٣٩٣ ح ٢٢، سِير أَعْلاَم النُّبلاء: ٩/ ٣٩١، إعْلاَم الوَرىٰ: ٣٢٩، مَنَاقب آل أَبِي طالب: ٣/ ٤٥٠، مَدِينَة المَعَاجز: ٥٠٣ ح ١١٩، حلية الأَبرَار لِلمُحدّث البَحراني: ٢/ ٣٢٠ و ٤٣٣، إثبَات الهُداة: ٦/ ٩٩ ح ١٠٢، ٢/ ٣٤٧، كَشف الغُمَّة: ٢/ ٢٦١ و ٣٢٨، كِفَاية الأَثر للخزّاز القُمّي: ٢٧١، فَرَائِد السّمطِين لِلجُويني: ٢/ ٣٣٧ ح ٥٩١، يَنَابِيع المَوَدَّة للقندوزي الحَنفي: ٤٥٤، الإِتحَاف بِحُبّ الأَشْرَاف للشّبراوي: ١٦٤، نُور الأَبصار: ٣٠٩ ـ ٣١٢، مُنْتَخب الأَنوَار المُضِيئة: ٣٩، مَقصد الرَّاغب: ١٦٧، الفَرَج بَعد الشِّدَّة: ٣٢٩.

وأُنظر أيضاً إحقَاق الحَق: ١٢/ ٤٠٣ و ٣٩٩ و ٤٠٨، و: ١٩/ ٥٧١ ـ ٥٧٦ و٦٤٧ و ٦٥٠، دَلاَئِل الإِمَامَة للطّبري: ١٨٢، العدد القَوِيَّة: ٢٩٢ ح ١٦، الغَدِير: ٢/ ٣٤٩ ـ ٣٦٣، مطالب السّؤول: ٨٥، مُعجم الأُدبَاء: ٤/ ١٩٦، أعيَان الشّيعة: ٦/ ٤١٨، تذكرة الخوَاصّ لسبط ٱبن الجوزي: ٢٣٨، البحَار: ٤٩/ ٢٤٥ ح ١٢، و ٢٤٢ و ٢٣٧، مَقاتِل الطّالبين لأبي الفَرج الإِصفهاني: ٥٦٥، ديوان دِعبل: ١٢٤.

وَقالَ الشّيخ الصّدوقﷺ: «إنّ الأَئِمَّة قَد أُخبرُوا بِغَيبته، وَوَصفُوا كونَها لِشِيعَتهم فِي مَا نُقل عَنْهُم، وَٱستحفظ فِي الصُّحف، وَدوّن فِي الكُتب المُؤلفة مِن قبل أنْ تَقع الغَيْبَة بِمِئتي سَنَة، أو أقل، أو أكْثَر، فَلَيْس أحد مِن أتبَاع الأَئِمَّة ﷺ إلاّ وقَد ذَكر ذَلِكَ فِي كَثِير مِن كُتبه، ورُوايَاته، ودُونه فِي مُصنفاته، وَهِي الكُتب ⇐

(وَ الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللهِ قَدْراً) لأنَّهُم المُطَهرُون مِن الرِّجس تَطْهِيراً (يَحْفَظُ اللهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَ بَيِّنَاتِهِ) هُم خَزَنَة عِلم الله، وَحَفَظَة شَرِيعته، وَالبُرهَان القَاطع الدَّامغ لأقوَال الجَاحدِين، وَالمُعانِدِين.

(حَتَّىٰ يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ، وَ يَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ). يُبشرُون وَيَنشرُون العُلُوم، فيَنْتَفع بِهَا الطَّيِّبُون الرَّاغبُون فِي مَعْرِفَة الحَقّ لوَجه الحَقّ وَالعمل بِهِ (هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَىٰ حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ، وَ بَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ). أي أنَّهم مَصدَره وَمَنْبعه حَتَّىٰ كَأَنَّه هُو الَّذي طَلبهُم دُونَ أَنْ يَسعوا إِلَيْهِ (وَ ٱسْتَلاَنُوا مَا ٱسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ) ٱسْتَوْعَرَهُ: رَآه وَعِراً، وَالْمَعْنَىٰ أَنَّ الوَعِر الخَشن مِن العَيش عِند المُترفِين هُو نَاعِم وَلِّين عِند هَؤُلآءِ الْعُلَمَاء الزَّاهدِين.

(وَ أَنِسُوا بِمَا ٱسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ). أَنِسُوا بِالْحَقِّ، وَٱسْتَوْحَشُوا من البَاطِل عَلَىٰ العَكس الجَاهِل. وَفِي ٱلْخُطْبَة المَاضِيَة: «لاَ يُؤْنِسَنَّكَ إِلاَّ الْحَقُّ. وَلاَ يُوحِشَنَّكَ إِلاَّ الْبَاطِلُ، فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لأَحَبُّوكَ، وَ لَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا لأَمَّنُوكَ»[(١)]. (وَ صَحِبُوا

⇐ الَّتِي تُعرف بِالأُصول مُدونة مُسْتحفظة عِند آل مُحَمّد ﷺ من قَبل الْغَيْبَة فِي كِتَاب كمَال الدّين وتَمام النِّعْمَة ـ فِي مواضعها. فَلا يَخلوا حَال هَؤُلآءِ الأَتبَاع المُؤلِّفِين للكُتب أنْ يكُونوا عَلموا ٱلْغَيْب. بمَا وَقع الآن مِن الْغَيْبَة فَألَفوا ذَلِكَ فِي كُتبهم، وَدَونُوه فِي مُصْنفَاتهم مِن قبل كَونها، وهَذا مُحَال عِند أَهْل اللُّب، والتَحصِيل. أو أنْ يكُونوا قَد أَسَسوا فِي كُتبهم الْكَذِب فَاتفق الأَمْر لهُم كمَا ذَكروا، وَتحقّق مَا وصَفوا من كِذْبِهم عَلىٰ بُعد دِيَارهم، وَٱختلاف آرائِهم، وتبيَان أَقْطَارهم، ومحَالهم. وهَذا أَيضاً مُحَال كَسبِيل الوَجه الأَوَّل. فَلم يَبْق فِي ذَلكَ إلا أَنَّهم حَفظوا عن أَئمتهم المُسْتحفظِين للوصِيَة». أنظر، كمَال الدّين وَتمَام النِّعْمَة: ١٩. وَرَاجع كتَاب «فَلسَفَة التَّوحِيد والْوِلاَيَة» لِلشَّارح. وَكِتَاب فَرَائِدُ فَوائِدِ الفِكرْ فِي الإِمَام المَهْدِيّ المُنْتَظَر ﷺ تَأليف الشَّيخ مَرْعِيّ بن يُوسُف المَقْدِسِي الحَنْبَلِيّ مِن عُلَمَاء القَرن الحَادي عَشر الهِجري، بِتَحقِيقنَا الطَّبعَة الثَّانِيَة. محُقَّقة، ومَزِيدَة، ومُنَقَّحَة.

(١) أُنظر، نَهْج ٱلْبَلاَغَة: الْخُطْبَة (١٣٠). (مِنْهُ ﷺ).

الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الأَعْلَىٰ). الجِسم مَع المَخْلُوق وَالرُّوح مَع الخَالِق (أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ، وَ الدُّعَاةُ إِلَىٰ دِينِهِ. آهِ آهِ شَوْقاً إِلَىٰ رُؤْيَتِهِمْ) وَمَنار لِعبَاده، مِن اهتدىٰ بِهِمْ نَجا، وَمَن أَعرَض عَنْهُم هَوىٰ.

١٤٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ».

● الأَدِيب، وَالْفَقِيه، وَالفِيلَسُوف يُعْرَفُون بِالأَقوَال، وَعَن طَرِيقها فَقط، وَكذَلِكَ المُحَامي، وَالفَلكِي وَمن إِلَيْهِ، أَمَّا الْعَاقِل، وَالعَالِم، وَالطَّبِيب، وَالمُهندس فَإِنَّهُم يُعْرَفُون بِالأَقوَالِ، وَبِالأَفعال أيضاً، بَل هِي أَصدَق فِي الدِّلاَلة وَأَقوىٰ... وَعَلىٰ أَيَّة حَال فَكُلِّ إِنْسَان تَترُك كَلِمَاته جَدِيداً مُفيداً لأَخِيه الإِنْسَان فَهُوَ عَاقِل، وَعَالِم، وَأَدِيب، وَفَقِيه، وَفِيلَسُوف، أَمَّا عَبَاقِرة اللِّسَان الَّذِين بَلغُوا القِمَّة مِن فَصَاحَة الكَلاَم، وَلَم يَتركُوا ثَرَاً نَبيلاً فَهُم سفْسَطائِيُون، وَإِنْ كَتبُوا آلاَف المُجَلَّدات نَثرَاً وَشِعرَاً[١].

١٤٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «هَلَكَ امْرُؤٌ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ».

● كُلّ مَن يَدعي مَا لَيْسَ فِيهِ فَمآله الوَبَال وَالهَلاك، وَالخَيبَة وَالخُسرَان، لأَنَّه يَتصدىٰ لأُمُور لَيْسَ لَهَا بِكُفؤ، وَيَعِيش فِي عَالم بَعِيد عَن وَاقعه. وَتَقدَّم قَول الإِمَام

(١) وَمِمَّا يَجدر ذِكره قَول زُهير بن أَبِي سُلمىٰ:

وَكَائِنْ تَرَىٰ مِن صَامتٍ لَكَ مُعْجِبٍ ... زِيَادتُه أَو نَقصُه فِي التَّكَلُّمِ
لِسَانُ الفَتَىٰ نِصفٌ وَنِصفٌ فُؤادُهُ ... فَلَمْ يَبقَ إِلاَّ صُورَةُ اللَّحمِ وَالدَّمِ

أُنظر، شَرح المُعلقَات السَّبع لِلزَّوزَنِي: ١٥٤، شَرح نَهج البَلاَغَة لاِبن أَبِي الحَدِيد: ١٨/٣٥٣.

فِي ٱلْخُطْبَة الْمَاضِيَة: «هَلَكَ مَنِ ٱدَّعَىٰ، وَ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ. مَنْ أَبْدَىٰ صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ. وَكَفَىٰ بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَلاَّ يَعْرِفَ قَدْرَهُ»[١].

١٤٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام لِرَجُلٍ سَأَلَهُ أَنْ يَعِظَهُ:

«لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ، وَ يُرَجِّي التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ، يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ، وَ يَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاغِبِينَ، إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ، وَ إِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ؛ يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ، وَ يَبْتَغِي الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ؛ يَنْهَىٰ وَ لَا يَنْتَهِي، وَ يَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي؛ يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَ لَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ، وَ يُبْغِضُ الْمُذْنِبِينَ وَ هُوَ أَحَدُهُمْ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ، وَ يُقِيمُ عَلَىٰ مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ مِنْ أَجْلِهِ، إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِماً، وَ إِنْ صَحَّ أَمِنَ لَاهِياً؛ يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوفِيَ، وَ يَقْنَطُ إِذَا ٱبْتُلِيَ؛ إِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا مُضْطَرّاً، وَ إِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرّاً؛ تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَىٰ مَا يَظُنُّ، وَ لَا يَغْلِبُهَا عَلَىٰ مَا يَسْتَيْقِنُ؛ يَخَافُ عَلَىٰ غَيْرِهِ بِأَدْنَىٰ مِنْ ذَنْبِهِ، وَ يَرْجُو لِنَفْسِهِ بِأَكْثَرَ مِنْ عَمَلِهِ؛ إِنِ ٱسْتَغْنَىٰ بَطِرَ وَ فُتِنَ، وَ إِنِ ٱفْتَقَرَ قَنِطَ وَ وَهَنَ؛ يُقَصِّرُ إِذَا عَمِلَ، وَ يُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ؛ إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ الْمَعْصِيَةَ، وَ سَوَّفَ التَّوْبَةَ، وَ إِنْ عَرَتْهُ مِحْنَةٌ ٱنْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ الْمِلَّةِ. يَصِفُ الْعِبْرَةَ وَ لَا يَعْتَبِرُ، وَ يُبَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَ لَا يَتَّعِظُ، فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ، وَ مِنَ الْعَمَلِ مُقِلٌّ، يُنَافِسُ فِيمَا يَفْنَىٰ، وَ يُسَامِحُ فِيمَا يَبْقَىٰ. يَرَى الْغُنْمَ مَغْرَماً، وَ الْغُرْمَ مَغْنَماً؛ يَخْشَى الْمَوْتَ، وَ لَا يُبَادِرُ الْفَوْتَ؛ يَسْتَعْظِمُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ، وَ يَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا يَحْقِرُهُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ، فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طَاعِنٌ، وَ لِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ؛ اللَّهْوُ مَعَ الْأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ

(١) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلخُطبَة (١٦). (مِنهُ ﷺ).

الْفُقَرَاءِ، يَحْكُمُ عَلَىٰ غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ، وَ لَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ؛ يُرْشِدُ غَيْرَهُ وَ يُغْوِي نَفْسَهُ، فَهُوَ يُطَاعُ وَ يَعْصِي، وَ يَسْتَوْفِي وَ لَا يُوفِي، وَ يَخْشَىٰ الْخَلْقَ فِي غَيْرِ رَبِّهِ، وَ لَا يَخْشَىٰ رَبَّهُ فِي خَلْقِهِ».

● قَالَ الرَّضِيّ: وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الكِتَاب إلاَّ هَذَا الكَلاَمُ لَكَفَىٰ بِهِ مَوعِظَةً نَاجِعَةً، وَحِكْمَةً بَالِغَةً، وَ بَصِيرَةً لِمُبْصِرٍ، وَعِبْرَةً لِنَاظِرٍ مُفَكِّرٍ.

(لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ). كُلّ خَطِير وَنَفِيس يَطُول إِلَيْهِ الطَّرِيق، وَتَكثُر فِي نوَالِهِ المَشَاق... حَتَّىٰ التَّافه الزَّائِل مِن مَتَاع الدُّنْيَا لاَ تَصل إِلَيْهِ إِلَّا بِالسَّعي وَالحرَكَة، فَكَيف إِذَا كَان المَطلُوب «مَا لاَ عَينٌ رَأت ـ مِثْله ـ وَلاَ أُذن سَمِعت، وَلاَ خَطَر عَلىٰ قَلبِ بَشَرٍ»[1]؟ حَتَّىٰ الأَنْبِيَاء مَا دَخَلوا الجَنَّة إلّا بَعد أنْ كَافَحُوا وَصَبرُوا عَلىٰ الجِهَاد وَالآلاَم. قَالَ الإِمَامعليه السلام: «إِنَّ الجَنَّةَ حُفَّتْ بِالمَكَارِهِ، وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ»[2]. وَقَالَ حَفِيدَه الصَّادقعليه السلام: «الإِيمَان عَمَل كُلّه، وَلاَ إِيمَانَ بِلاَ عَمَلٍ»[3].

(وَ يُرَجِّي التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ). يُرَجِّي ـ بِتَشدِيد الجِيم ـ يُؤَخر وَيُسوِّف. وَتَقَدَّم

---

(١) أنظر، صَحِيح البُخَارِيّ: ٨٦/٤، صَحِيح مُسْلِم: ١٢١/١، مُسْنَد أَحمَد: ٣٧٠/٢، سُنَن ابن مَاجه: ١٤٤٧/٢، سُنَن الدَّارمي: ٣٣٢/٢، الغَارَات: ٨٥٥/٢، وَسَائِل الشِّيعة: ٤٧٨/١٠ ح ١٠، تَهذِيب الأَحْكَام: ٢٢/٦، ثَوَاب الأَعمَال: ٥٦، نَيل الأَوطَار: ١٥٥/٢، المُحلىٰ: ١٢/١.

(٢) أُنظر، نَهج البَلاَغَة: الخُطبَة (١٧٦).

(٣) أُنظر، الكَافِي: ٣٤/٢ ح ١ و ٧، دَعَائِم الإِسْلاَم: ٤/١، وَسَائِل الشِّيعة: ١٢٤/١١ ح ١، مَجمَع الزَّوائِد: ٣٥/١، الجَامِع الصَّغِير: ٧٥٨/٢ ح ٩٩٨٠، كَنز العُمَال: ٦٨/١ ح ٢٦٠، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٥٨٦/٦ ح ٩٩٨٠.

أَنَّ التَّوْبَة تَجب عَلىٰ الفور... هَذَا، إِلىٰ أَنَّ الْمَوْت يَأْتِي بَغْتَةً، وَلاَ شَيء مَعْهُ إِلَّا حَسرَة الفَوت، وَمَرَارَة النَّدم (يَقُولُ فِي الدُّنْـيَا بِـقَوْلِ الزَّاهِـدِينَ، وَ يَـعْمَلُ فِـيهَا بِـعَمَلِ الرَّاغِبِينَ... إلخ). أَبَداً لاَ صِلَة وَلاَ عِلاَقة بَيْنَ أَقْوَاله وَأفعَاله (إِنْ أُعْطِيَ مِـنْهَا لَـمْ يَشْبَعْ، وَ إِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ؛ يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ... إلخ). مَرِيض بِدَاء النَّهم، وَلاَ يَجد إِلىٰ الشَّرع سَبِيلاً، وَلاَ إِلىٰ دَائِهِ دَواء (يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِ مَـا أُوتِـيَ... إلخ). يَقُول وَلاَ يَفْعَل، وَيَأْكُل وَلاَ يَشْبَع، وَيَطلب الكَثِير وَمَا هُو بِأهل لأَقَل مِن القَلِيل، بَل وَلاَ لِشَيء إِلَّا الصَّفع عَلىٰ القَفَا.

(يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَ لَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ، وَ يُبْغِضُ الْمُذْنِبِينَ وَ هُوَ أَحَـدُهُمْ... إلخ). يَسْتَحسن الفَضِيلة، وَيَستَقبح الجَرِيمة نَظرِياً، أَمَّا فِي عَملِهِ فإِنَّه يَقتَرف الجَرَائِم عَن قَصدٍ وَتَصمِيم، وَمَعْنَىٰ هَذا أَنَّه يَنْقَاد فِي سلُوكِهِ لِمَنْطِق العَـاطِفَة لاَ لِمَـنطِق الْـعَقْل، وَأَكْثَرنا نَحنُ بَنِي آدَمَ عَلىٰ هَذِه المِلَّة وَالمَذْهَب... وَمن جُمْلَة مَـا قَـرأتُ أَنَّ بَـعْض الْعُلَمَاء وَالعبَاقِرَة يُؤْمِنُون بِالخرَافَة وَالأَسَـاطِير!. وَالسّر أَنَّـهم عُـلَماء فِي مِـهْنَتِهم يَصدرُون فِيهَا عَن عَقلٍ وَرَوِية، أَمَّا فِي غَيْرِها فَيَصدرُون عَـن التَّرِبـية وَالعَـاطِفة وَالبِيئَة... وَأَفْحَش الأَخطَاء وَالأَخْطَار أَنْ تُفسر الخرَافة بِالْعِلْم، وَالجَرِيمَة بِالدِّين.

(يَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ، وَ يُقِيمُ عَلَىٰ مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ مِنْ أَجْلِهِ... إلخ). هُو يُؤْمِن بِيَوْم الحِسَاب، وَيَعلم أَنَّه مَذنِب وَمُعَاقب عَلىٰ ذَنْبِهِ، وَمَع هَذا يُـضِيف إِلَـيْهِ ذِنُوباً، وَلاَ عَجَب لأَنَّ العَاطِفَة هِي المُحَـرِك الرَّئِيسي لِلإِنْسَان إِلَّا إِذَا تَـغلب عَـلَيْهَا الْعَقْل، أو الدِّين، أو تَحول إِلىٰ عَاطِفة، وَقَد أَدْرَك أَهْل الإِخْتِصَاص هَذِه الْحَقِّيقة، وَقَالُوا: إِنَّ تَهذِيب الأَخْلاَق لاَ يَكُون بِالمَوَاعِظ وَقرَاءَة الكُتب، بَل بِـتَربِية الطِّـفل وَتَنْشِئته عَلىٰ الخُلُق المَـرغُوب فيهِ، وَتوجِيه عَاطِفتهِ إِلَيْهِ قَبلَ أَنْ تَـقوىٰ وَتَـرسَخ

جذُورهَا فِي نَفْسهِ.

(إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِماً، وَ إِنْ صَحَّ أَمِنَ لَاهِياً... إلخ). إذَا أَصَابه مَكْرُوه بِمَا كَسَبت يَدَاه نَدَم وَتحسَر، وَكَان عَلَيْهِ أَنْ يَنْتَفِع بِهذَا الدَّرس وَيَتعظ، وَلاَ يَعُود إِلىٰ فِعْلته الْأُولَىٰ، وَلكنَّه سُرعَان مَا ذَهل وَعَاد مِثلها (يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوفِيَ) وَيَذْهَل عَن المُخبآت وَالمُفَاجآت، وَيَأتِي قَول الإمَام: «مَا قَالَ النَّاسُ لِشَيْءٍ «طُوبَىٰ لَهُ»، إِلَّا وَقَدْ خَبَأَ لَهُ الدَّهْرُ يَوْمَ سَوْءٍ»[١]. (وَ يَقْنَطُ إِذَا ابْتُلِيَ) مَع أَنَّ الفَرَج كَثِيراً مَا يَأْتِي مِن بَطْن الضِّيق، وَيَأْتِي قَول الإمَام: «عِنْدَ تَنَاهِي الشِّدَّةِ تَكُونُ الْفَرْجَةُ، وَعِنْدَ تَضَايُقِ حَلَقِ الْبَلَاءِ يَكُونُ الرَّخَاءُ»[٢].

(إِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا مُضْطَرّاً، وَ إِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرّاً... إلخ). يُشِير إِلىٰ قَوْلَه تَعَالىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[٣]. (تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَىٰ مَا يَظُنُّ، وَ لَا يَغْلِبُهَا عَلَىٰ مَا يَسْتَيْقِنُ). هُو يَعْلَم أَنَّ سلُوك هَذَا الطَّرِيق يَعُود عَلَيْهِ بِالضَّرر لاَ مَحَالَة، وَفِي الوَقت نَفْسه يَظن أَنَّ مَع هَذَا الضَّرر الثَّابت ثبُوتاً يَقِيناً ـ شَيء مِن النَّفع، فَيَتبَع الظَّن وَيَدع الْعِلْم وَاليَقِين... وَالسِّر مَا أَشرنَا إِلَيْهِ مُنذ قَلِيل، وَهُو أَنَّ مَصْدَر الْعِلْم الْعَقْل، أَو الوَحي، وَمَصدَر الظَّن هُنا العَاطِفَة، وَأَكْثَر النَّاس مَع العَاطِفَة لاَ مَع الدِّين وَالعَقل.

(يَخَافُ عَلَىٰ غَيْرِهِ بِأَدْنَىٰ مِنْ ذَنْبِهِ) أي يَتعظ (وَ يَرْجُو لِنَفْسِهِ بِأَكْثَرَ مِنْ عَمَلِهِ) يَعْمَل القَلِيل، وَيَطلب الأَجْر الكَثِير (إِنِ اسْتَغْنَىٰ بَطِرَ وَ فُتِنَ، وَ إِنِ افْتَقَرَ قَنِطَ وَ

---

(١) أنظر، نَهج البَلاغَة: الحِكمَة، (٢٨٦).

(٢) أنظر، نَهج البَلاغَة: الحِكمَة، (٣٥٠).

(٣) العَنكَبوت: ٦٥.

وَهَنَ). عَطف تَفْسِير عَلَىٰ «يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوفِيَ، وَيَقْنَطُ إِذَا ٱبْتُلِيَ». (يُقَصِّرُ إِذَا عَمِلَ، وَ يُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ) لاَ يُؤدي مَا وَجَب عَلَيْهِ، وَيُطَالب بِإِلحَاح بِمَا لاَ يَسْتَحق (إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ الْمَعْصِيَةَ، وَ سَوَّفَ التَّوْبَةَ). أَسْلَفَ: أَسْرَع. وَسَوَّفَ: أَهْمَلَ، وَالْمَعْنَىٰ يُسرع إِلىٰ الحَرَام، وَيُهمل الوَاجب حتَّىٰ كَأَنَّ مَا وَجَب عَلَيْهِ هُو الحَرَام، وَمَا حَرُم عَلَيْهِ هُو الوَاجب، وَمِثله فِي ٱلْخُطْبَة السَّابِقَة: «إِنْ دُعِيَ إِلَىٰ حَرْثِ الدُّنْيا عَمِلَ، وَإِنْ دُعِيَ إِلَىٰ حَرْثِ ٱلْآخِرَةِ كَسِلَ! كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ، وَكَأَنَّ مَا وَنَىٰ فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ»[1].

(وَ إِنْ عَرَتْهُ مِحْنَةٌ ٱنْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ الْمِلَّةِ). إِذَا نَزَلت بِهِ نَازِلة خَرَج عَن دِينه وَعَقْله، وَتَقَدَّم مَع الشَّرح فِي ٱلْحِكْمَة: «إِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَهُ الْجَزَعُ»[2]. (يَصِفُ الْعِبْرَةَ وَ لاَ يَعْتَبِرُ) تِكرَار بِأُسلُوب ثَانٍ لِقَوْلِه: «يَخَافُ عَلَىٰ غَيْرِهِ بِأَدْنَىٰ مِنْ ذَنْبِهِ..». (فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ، وَ مِنَ الْعَمَلِ مُقِلٌّ). أي مُسْتَعلٍ وَمُسْتَظهر، وَتَقَدَّم مِثله فِي ٱلحِكْمَة السَّابِقَة: «مُسْتَظْهِراً بِنِعَمِ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ»[3]. (يُنَافِسُ فِيمَا يَفْنَىٰ... إلخ). يُبَاهِي وَيُضَاهِي بِمظَاهر الزِّينَة وَالرَّفَاهِية، وَلاَ يُقِيم وَزناً لِلبِرِ وَآثَاره (يَرَىٰ الْغُنْمَ مَغْرَماً، وَ الْغُرْمَ مَغْنَماً) الْغُنْمَ: الرِّبح، وَالْمُرَاد بِهِ هُنَا الأَجْر مِن الله وَالنَّاس عَلىٰ الْعَمَل الصَّالِح النَّافِع، وَالْغُرْمَ: الخَسَارة، وَهِي هُنَا الْعِقَاب مِنْهُ تَعَالىٰ عَلىٰ ٱتبَاع الشَّهَوَات وَإِضَاعَة الْخَيْرَات.

(يَخْشَىٰ الْمَوْتَ، وَ لاَ يُبَادِرُ الْفَوْتَ... إلخ). وَلاَ يَسْتَعد لهُ (يَسْتَعْظِمُ مِنْ مَعْصِيَةِ

---

(١) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلخُطبَة، (١٠٣). (مِنهُ).

(٢) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكمَة (١٠٧). (مِنهُ).

(٣) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكمَة (١٤٦). (مِنهُ).

غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ ... إلخ). تِكرَار بِأُسلُوب ثَالِث لِقَوْلِه: «يَخَافُ عَلَىٰ غَيْرِهِ بِأَدْنَىٰ مِنْ ذَنْبِهِ...». (فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طَاعِنٌ، وَ لِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ) أي مُصَانِع مُتْسَاهِل، وَمِثله مَا يَأْتِي قَوْله ﷺ: «أَكْبَرُ الْعَيْبِ أَنْ تَعِيبَ مَا فِيكَ مِثْلَهُ»[(١)].
(فَهُوَ يُطَاعُ) أي يَطلب الطَّاعَة مِن النَّاس لِمَوَاعِظه وَيُوبخهم عَلَىٰ الإعرَاض، وَيَنسىٰ نَفْسه المُرَائِيَة البَاغِيَة (وَ يَسْتَوْفِي وَ لَا يُوفِي) عَطف تَفسِير عَلَىٰ «يُقَصِّرُ إِذَا عَمِلَ...». (وَ يَخْشَىٰ الْخَلْقَ فِي غَيْرِ رَبِّهِ) يَعصي الله سُبْحَانَه خَوفاً مِن خَلق الله (وَ لَا يَخْشَىٰ رَبَّهُ فِي خَلْقِهِ) لاَ يَخَاف الله فِي الإِسَاءة إِلىٰ خَلق الله.

قَالَ ٱبن أَبِي ٱلحَدِيد: «ٱختَلَفت أَلفَاظ هَذَا الفَصل، والمَعْنَىٰ وَاحد، وَذَلِكَ لِاقْتدَاره ﷺ عَلَىٰ العِبَارة، وَسَعةِ مَادَّة النُّطق عِندَه»[(٢)].

١٥٠ ـ وَ قَالَ ﷺ: «لِكُلِّ ٱمْرِئٍ عَاقِبَةٌ حُلْوَةٌ أَوْ مُرَّةٌ».

● المُرَاد بِالعَاقِبَة هُنا الآخِرَة، وَهِي سَعَادة وَحَلاَوة لِلمُتقِين، وَشَقَاء وَمَرَارَة لِلغَاوِين، قَالَ سُبْحَانَه: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[(٣)].
وَتَقَدَّم هَذا المَعْنَىٰ مَرَّات، وَهُو مِن أَوضَح الوَاضحَات عِند مَن آمَن بِاللهِ اليَوْم الآخِر، أَمَّا مَن أَنكَرَ؛ فَجوَابَه مَا تَقَدَّم مَع الشَّرح فِي الحِكْمَة السَّابِقة: «عَجِبْتُ لِمَنْ أَنْكَرَ النَّشْأَةَ الأُخْرَىٰ، وَ هُوَ يَرَىٰ النَّشْأَةَ الأُولَىٰ»[(٤)].

---

(١) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٣٥٢).
(٢) أنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ١٨/ ٣٦٠.
(٣) هُوْدٍ: ١٠٤.
(٤) أنظر الحِكْمَة: (١٢٥).

١٥١ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «لِكُلِّ مُقْبِلٍ إِدْبَارٌ ؛ وَ مَا أَدْبَرَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ» .

● كُلّ مَا أَقْبَلَ عَلَيْكَ مِن هَذِه الْحَيَاة جَاهاً كَان ، أَمْ مَالاً ، أَمْ عَافِيَةً ، أَمْ غَيْر ذَلِكَ فَهُو ذَاهِب عَنْكَ ، أو أَنْتَ ذَاهِبٌ عَنْهُ . . . وَيَسْتَحِيل أَنْ تَبْقىٰ لَهُ ، وَيَبْقىٰ لَكَ ، إِمّا أَنْ يَدْبر وَيَدعكَ صِفر اليَدِين تَضْرِب كَفّاً بِكَف ، وَإِمّا أَنْ تَدْعه وَتَدبر بِجِلْدك وَكَفَنك إِلىٰ حُفْرَةٍ مُظْلِمَة مُوحِشَة عَفِنَة ، لاَ تَحْمل مَعَك إِلَيْهَا إِلَّا مَا كَسْبَت يَدَاك مِنْ خَيرٍ أَو شَرٍّ .

١٥٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «لَا يَعْدَمُ الصَّبُورُ الظَّفَرَ وَ إِنْ طَالَ بِهِ الزَّمَانُ» .

● أي طَالِب لأَمْرٍ يَسْلِك طَرِيقَه القَوِيم ، وَيَجِدّ فِي السَّير ، وَيَصْبِر صَبْر الأَحْرَار يَظْفر بِما أَرَاد ، فَطَالِب الْعِلْم يَنْجَح إِذَا ثَابَر وَصَبَرَ ، وَالشَّعب الثَّائِر مِن أَجْل حُرِيَته يَتَحَرر إِذَا ٱسْتَمر فِي الثَّورَةِ ، وَصَبر عَلىٰ التَّضحِية . وَكلّ النَّاس يَحْفظُون وَيَقُولُون : «مَنْ صَبَرَ ظَفرَ»[1] ، وَتَقَدَّم الكَلَام عَن الصَّبْر مَرَّات .

١٥٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «الرَّاضِي بِفِعْلِ قَوْمٍ كَالدَّاخِلِ فِيهِ مَعَهُمْ . وَ عَلَىٰ كُلِّ دَاخِلٍ فِي بَاطِلٍ إِثْمَانِ : إِثْمُ الْعَمَلِ بِهِ ، وَ إِثْمُ الرِّضَىٰ بِهِ» .

رِضَا الشَّيطَان رِضَانَا:

● رِضَا الله رِضَا الْمُتَّقِين ، وَغَضَبه غَضَبهُم ، وَعَلامَة ذَلِكَ أَنْ يَرضوا مِن أَعـمَال

(١) أنظر ، حَاشِية رَدّ المحتار : ٦٧٨/٦ ، شَرح أُصول الكَافي : ٢٠٣/٩ .

النَّاس مَا يُرضي الله، وَيكرَهوا مِنْهَا مَا يَكْرَه، أَمَّا حِزب الشَّيطَان فَعلىٰ العَكس يَرضُون لِما يُغضِب الله، وَيَغضبُون لِما يُرضِيه، وَإِنْ فَعلوا فِعْل ٱلْمَغْضُوب عَلَيْهِم تَضَاعف الوِزر حَيْث يَظْهر الزَّيغ مِن الْقُلُوبِ وَيَتجَسم فِي الفِعْل وَالسِّلوك.

وَمن دَرسَ أحوَالنا وَسِيرتنا نَحنُ رِجال الدِّين أو الْعُلَماء بالدِّين ـ رَأىٰ الكَثِير مِنّا يَفرَحُون وَيَطربُون إِذَا حَدَث مِن أحدِنا مَا يُشِينَه، وَيَفتَضح بِهِ أَمَام الله، وَالنَّاس، وَيَحزنُون، وَيأْلمُون إِذَا فَعَل مَا يُزِينه، وَيَرفع مِن شَأنه عِند الله، والنَّاس!. أَلا يَعني هَذا أَنَّ رِضَا الكَثِير مِنَّا ـ نَحنُ حُجج الإِسْلاَم ـ هُو غَضب الرَّحمن، وَرِضَا الشَّيْطَان، وَإِنَّ غَضبنا هُو رِضَا الله، والْمُؤْمِنِين، وَغَضب الشَّيْطَان الرَّجِيم؟.

١٥٤ ـ وَ قَالَ ﷺ: «اَعْتَصِمُوا بِالذِّمَمِ فِي أَوْتَادِهَا».

● اَعْتَصِمُوا: تَحَصَّنُوا، وَالذِّمَم: العُهُود. وَالْمُرَاد بِالأَوْتَاد هُنا أَهْل الصِّدْق وَالوَفَاء، وَالْمَعْنىٰ صَادِقُوا وَعَاهِدُوا الطَّيِبين وَالأَخْيَار تَجدُوهُم عَوناً لَكُم فِي البَأسَاء وَالضَّرَاء. وَإِيَّاكم وَأَهْل الْغَدْر وَالخِيَانة.

١٥٥ ـ وَ قَالَ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لاَ تُعْذَرُونَ بِجَهَالَتِهِ».

● قَالَ سُبْحَانَه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[1]. وَلكي نُطِيع الرَّسُول ﷺ يَجب أَنْ نَعْلَم رِسَالته وَسُنَّته، وَلاَ عُذر لِجَاهِلٍ مُقَصر.

١٥٦ ـ وَ قَالَ ﷺ: «قَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ، وَ قَدْ هُدِيتُمْ إِنِ اَهْتَدَيْتُمْ، وَ أُسْمِعْتُمْ إِنِ

---

(١) ٱلنِّسَاء: ٨٠.

ٱسْتَمَعْتُمْ».

● الجُملَة الثَّانِيَة وَالثَّالِثة عَطف تفْسِير عَلىٰ الأُولَىٰ، وَالْمَعْنَىٰ أنَّ الله سُبْحَانَه بَيَّن وَأَوْضَح: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1]، وَلَم يَدعُ لأحَدٍ مِن حُجَّة وَعُذر. فَلا تَلومُوه وَلومُوا أنْفسكُم.

١٥٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «عَاتِبْ أَخَاكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَ ٱرْدُدْ شَرَّهُ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ».

● لاَ بَأس عَلَيْكَ إذَا أَنْتَ أُغْضِبت وَتَحَمَلت مَا تكرَه مِن صَدِيقٍ، أو جَارٍ، أو أي إنْسَان، بَل خَيْرٌ لَك، وَلهُ، وَللإِنْسَانِية أيضاً أنْ تُسَامحه، وَتُحسن إلَيْهِ عَسىٰ أنْ يَخْجَل مِن نَفْسه، فيُؤنبها، وَيُكفِّر عَن فِعلتهِ بِمَا يُرضِيك... هَذا، إلىٰ أنَّ المُحسن يَعم بِإحسَانه جَمِيع النَّاس حتَّىٰ مَن أَسَاء إِلَيْهِ، وَالحَلِيم يَعفُو وَيَصفَح، وَالكَرِيم يَجُود عَلىٰ مَن بَخَل عَلَيْهِ. وَالله يَقُول: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[2]. وَمَن يَرْغَب عَن أمرهِ إلّا مَن سَفّه نَفْسه[3].

---

(١) سُورَة ق: ٣٧.

(٢) فُصِّلَتْ: ٣٤.

(٣) روىٰ المُبَرِّد عن ٱبن عَائِشَة، عَن رَجلٍ مِن أهْل الشَّام، قَالَ: دَخلْتُ المَدِينة، فرَأيتُ رَجُلاً رَاكِباً علىٰ بَغلة لَم أَرَ أحسَنَ وَجْهاً، وَلا ثَوباً، وَلا سَمْتاً، وَلا دَابّة مِنْهُ، فمَال قلبي إلَيْهِ. فسألت عَنه، فَقِيل: هَذا الحَسَنُ بنُ الحَسَن بن عَليّ، فامتلأ قَلبي لهُ بُغضاً، وَحسدتُ عَليّاً أنْ يَكُون لهُ ٱبن مِثله. فَصرتُ إليْهِ وَقلتُ لهُ: أنتَ ٱبن أبي طَالب؟ فقَال: أنا ٱبن ٱبنه. قُلت: فِيك وَبأبِيك! فلَمّا ٱنقضىٰ كَلامي قَالَ: أَحسبُكَ غَرِيباً؟ قُلت: أجَل، قَالَ: مِلْ بِنا، فإنْ ٱحتَجت إلىٰ مَنزلٍ أنزلنَاك، أو إلىٰ مَالٍ وَاسَيْنَاك، أو إلىٰ حَاجةٍ عَاوَنّاك.
فٱنصرفتُ عنهُ وَمَا عَلىٰ الأَرض أحدٌ أحبّ إليّ منهُ.

١٥٨ ـ وَ قَالَ ﷺ : «مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ التُّهَمَةِ فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ».

● مَن قَارَب مَواضع الرِّيبَة ٱرتَاب بِهِ النَّاس، وَأَسَاء إِلىٰ نَفسه بِنَفسه، وَروي أَنَّ صَحَابِياً رَأىٰ النَّبيّ ﷺ، وَمَعهُ ٱمْرَأَة، فَقَال لهُ النَّبيّ: هَذِه زَوْجتي فُلَانه. قَالَ: يَا رَسُول الله أَفِيك يُظَنّ؟ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَان يَجري مِن ٱبن آدَمَ مَجرَىٰ الدَّم»[1].

١٥٩ ـ وَ قَالَ ﷺ : «مَنْ مَلَكَ ٱسْتَأْثَرَ».

● كُلّ أو جُل الَّذِينَ يَملكُون القُوَّة يَسْتَبدُون وَيَنْهَبُون. وَالَّذي يَتَمنىٰ السُّلْطَان يُرِيدَه لِهَذِه الغَايَة، أَمَّا الشَّاذ النَّادر فَلا يُقَاس عَلَيْهِ، وَمِن هُنا نَادىٰ الفُوضَويُون بِإلغَاء الدَّولة وَالسُّلْطَة. وَتَكلمنَا عَنْهُم فِي شَرح ٱلخُطْبَة (٤٠) بِعنوَان «الفَوْضَويّة،

⇔ وَقَالَ مَحمُود الوَرَّاق:

إنّي شَكَرتُ لظَالمي ظُلْمي	وَغَفرْتُ ذَاكَ لهُ عَلىٰ عِلمِ
وَرَأَيتُهُ أَهدَىٰ إِليَّ يَداً	لَمَّا أَبانَ بِجهلِهِ حِلْمي
رَجَعَتْ إِسَاءتُهُ عَليْهِ وإِحـ	ـساني فَعَادَ مُضَاعَفَ الجُرْمِ
وَغدَوْتُ ذا أجرٍ وَمَحمَدَةٍ	وَغدَا بِكَسبِ الظُّلمِ والإثمِ
فَكَأَنَّمَا الإحسانُ كَانَ لهُ	وَأَنا المُسيءُ إِليهِ فِي الحُكْمِ
مَا زَالَ يَظلِمُني وَأَرحَمُهُ	حتّىٰ بَكيتُ لهُ مِن الظُّلْمِ

أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ٣٧٨/١٨، الكَامِل للمبرد: ٦/٢ و ٥.

(١) أُنظر، صَحِيح البُخَاريّ: ٧١٧/٢ ح ١٩٣٣، صَحِيح مُسْلِم: ١٧١٢/٤ ح ٢١٧٤، صَحِيح ٱبن حِبَّان: ٤٢٨/٨ ح ٣٦٧١، سُنَن أَبي دَاود: ٣٣٣/٢ ح ٢٤٧٠، السُّنَن الكُبرىٰ: ٢٦٣/٢ ح ٣٣٥٧، سُنَن ٱبن مَاجه: ٥٦٦/١ ح ١٧٧٩، مُسْنَد أَحمد: ١٥٦/٣ ح ١٢٦١٤، مُسْنَد أَبي يَعلىٰ: ١٨٦/٦ ح ٣٤٧٠، صَحِيح ٱبن خُزَيمة: ٣٤٩/٣ ح ٢٢٣٣، تَفْسِير القُرطُبي: ٣٠١/١.

وَالسُّلْطَة »[١].

١٦٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «مَنِ ٱسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ ، وَ مَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا».

● الاِسْتبدَاد بِالرَّأي أنْ تَقدَّم عَلىٰ أَمرٍ مَجْهُول العَاقِبَة عِندَك، لأَنَّك مَا جَربتَ مِثله مِن قَبل، وَلاَ ٱستَشرتَ النَّاصح المُجَرب، وَلاَ شَك أَنَّ الإِقدَام عَلىٰ مَجْهُول مُغَامرَة. وَيأتي قَول الإِمَام: «وَقَدْ خَاطَرَ مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ بِرَأْيِهِ»[٢]، وَإِنْ ٱستَشَرت النَّاصح المُجَرب فَقد ٱكتَسبتَ عِلمَاً جَدِيداً تَسْتَعِين بِهِ عَلىٰ مُرَادك. وَفِي مُستَدرك نَهج ٱلْبَلاَغَة: إنَّ رَجُلاً سَأل الإِمَام عَن أَعْلَم النَّاس؟ فَقَال: «مَنْ جَمَعَ عِلم النَّاس إِلىٰ عِلمه»[٣]. وَقَالَ حَفِيده الإِمَام جَعْفَر الصَّادق: «إِذَا شَاورتَ مَن يُصَدقه قَلبكَ، فَلا تُخَالفه فِيمَا يُشِير بِهِ عَليك، وَإِنْ كَان بِخلاَف مُرَادك، فَإِنَّ النَّفس تَجْمَح عَن قَبول الحَقِّ، وَخِلافها عِند قَبول الحقَّائِق أَبْيَّن»[٤]، وَسَبق الكَلاَم عَن المَشُورَة مَرَّات، مِنْهَا عِند شَرح قَوْلَه: «وَلاَ ظَهِيرَ كَالْمُشَاوَرَةِ»[٥].

---

(١) أنظر، قَول أَبِي الطَّيِّب المُتَنَبِّي:

وَالظُّلم مِن شِيمِ النُّفوسِ فَإِنْ تَجِدْ ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لاَ يَظلمُ

مِن قَصِيدَة فِي دِيوَانه: ٥٧٠.

(٢) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٢١١).

(٣) أُنظر، المَحَاسِن: ٢٣٠/١، مَن لاَ يَحضره الفَقِيه: ٣٩٥/٤، الخِصَال: ٥ ح ١٣، أَمَالي الصَّدوق: ٧٣، مَعَاني الأَخْبَار: ١٩٥، رَوضة الوَاعظِين: ٦، سُنَن الدَّارمي: ٨٧/١، وَقَد نَسبَه إِلىٰ النَّبيّ صلى الله عليه وآله.

(٤) أُنظر، مُستَدرك الوَسَائِل: ٣٤٥/٨، مصبَاح الشَّرِيعة: ١٥٣، بحَار الأَنْوَار: ١٠٣/٧٢ ح ٣٣.

(٥) أُنظر، نَهج ٱلْبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٥٣).

١٦١ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتِ الْخِيَرَةُ بِيَدِهِ» .

● إنْ شَاء كَتَم ، وَإِنْ شَاء أَذَاع ، فَإِنْ أَفْشَىٰ كَان فِي وِثَاق كَلاَمه ، وَلاَ خَيَار لَهُ. وَتَقَدَّم الكَلاَم عَن السِّر فِي ٱلحِكْمَة (٥ و ٤٨).

١٦٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «الْفَقْرُ الْمَوْتُ الأَكْبَرُ» .

● قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وآله : «كَادَ الْفَقْر أَنْ يَكُون كُفْرَاً»[١] ؛ لأَنَّه يَدفَع بِالإِنْسَان إِلىٰ فِعل الرَّذَائِل ، وَفِي حِكْمَةٍ قَالَ عليه السلام لِابْنِهِ مُحَمَّدِ ٱبْنِ الْحَنَفِيَّةِ : «يَا بُنَيَّ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْفَقْرَ ، فَٱسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْهُ ، فَإِنَّ الْفَقْرَ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ ، مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْلِ ، دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ !»[٢] . وَفِي حِكْمَةٍ أُخرىٰ قَالَ عليه السلام : «إِذَا بَخِلَ الْغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ بَاعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ»[٣] . وَتَقَدَّم مَع الشَّرح قَوْلَه : «الْفَقْرُ يُخْرِسُ الْفَطِنَ عَنْ حُجَّتِهِ»[٤] ، وقَوْلَه عليه السلام : «الْفَقْرُ فِي الْوَطَنِ غُرْبَةٌ»[٥] .

وَإِذَا لَمْ تَخن الذَّاكِرة فَقَد نَقَلتُ هُناك عَن كِتَاب «أُصول الكَافِي» قَالَ الإِمَام جَعْفر الصَّادق عليه السلام : «إِذَا كَان يَوْم القِيَامه قَام عُنُق مِن النَّاس حَتَّىٰ يَأْتـوا بَـاب الجَـنَّة

(١) أنظر ، مُسْنَد الشّهاب: ٣٤٢/١ ح ٥٨١، فَيض القَدِير: ٥٤٢/٤ و: ٤٥٨/٥، مِيزان الإِعْتِدَال: ٢٠٤/٢ ح ٢٠٤ ح ١٧٤٦ و: ٢٣١/٧ ح ٩٦٦٩، العِلَل المُتناهِية: ٨٠٥/٢ ح ١٣٤٦، تُحْفَة الأَحْوذي: ١٧/٧ و: ٤٥/١٠، كَشف الخَفاء: ١٤١/٢ ح ١٩١٩، الكَافِي: ٣٠٧/٢ ح ٤، الخِصَال: ١٢ ح ٤٠، الجَامِع الصَّغِير: ٢٦٦/٢ ح ٦١٩٩، كنز العُمّال: ٤٩٢/٦ ح ١٦٦٨٢.

(٢) أُنظر ، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٣١٩). مِنْهُ (رحمه الله).

(٣) أُنظر ، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٣٧١). مِنْهُ (رحمه الله).

(٤) أُنظر ، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٣). مِنْهُ (رحمه الله).

(٥) أُنظر ، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٥٥). مِنْهُ (رحمه الله).

فَيضرِبُوا بَاب الجَنَّة ، فَيُقَال لَهُم : مَن أَنتُم ؟ فيقُولون : نَحنُ الْفُقَرَاء ، فَيُقَال لَهُم : أَقَبلَ الحِسَاب ؟ فيقُولون : مَا أَعْطِيتمُونا شَيْئَاً حَتَّىٰ تُحَاسبُونا عَلَيْهِ ؟ فَيَقول الله عَزَّ وَجَلَّ : صَدَقوا ٱدْخُلُوا الجَنَّة »[1] . ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ﴾[2] .

١٦٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «مَنْ قَضَىٰ حَقَّ مَنْ لَا يَقْضِي حَقَّهُ فَقَدْ عَبَدَهُ » .

● مَعْنَىٰ العبُودِيَّة أَنَّ العَبد لاَ يَملك مَع سَيِّده شَيْئَاً ، وَإِنَّ مُرَاده فَانٍ بِمُرَاده ، وَقَد ٱشتَهر وَذَاع عَلَىٰ كُلِّ لِسَان : «العَبد وَمَا مَلكَت يَدَاه فِي قَبضَة مَولاه »[3] ، وَمَعْنَىٰ هَذا أَنَّ العَبد لاَ أَجر لهُ ، وَلاَ جَزَاء عَلَىٰ خِدمَة سَيِّده ، وَطَاعته ، لأَنَّ هَذِه هِي مِهْنَته ، وَوَظِيفته ... وَعَلَيْهِ فَمن قَضىٰ حَقّ الغَير ، وَخِدمة لِذَاته لاَ خَوفاً ، وَلا طَمعَاً فَقد ٱعتَبره سَيِّداً ، وَٱعتَبر نَفسه عَبداً ، أَرَاد ذَلِكَ أَمْ لَمْ يَرد .

١٦٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ » .

● مَن عَصىٰ الله سُبْحَانَه كَانَتْ الحُجَّة لله عَلَيْهِ حَتَّىٰ وَلو أَطَاع جَمِيع الخَلاَئِق ، وَمن أَطَاع الله كَانَتْ الحُجَّة لهُ عِند الله حَتَّىٰ وَلو عَصىٰ الخَلاَئِق ، بَل تَكُون الطَّاعَة أَقوىٰ وَلِلثوَاب أَدْعىٰ : ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[4] .

---

(١) أنظر ، أُصول الكَافي: ٢/٢٦٥ ح ١٩، وَقَرِيب مِنْه فِي مَجمَع الزَّوائد: ١٠/٢٦١، المُصَنَّف لإبن أَبي شَيبة: ٨/٢٣٠ ح ٢٢، المُعْجَم الكَبِير: ٦/٥٩، كَنز العُمَّال: ٦/٤٧٤ ح ١٦٦١٦، تَأرِيخ مَدِينة دِمشق: ٢١/١٤٤.

(٢) ٱلْحِجْر: ٤٦.

(٣) أنظر ، بِحَار الأَنْوار: ١٠٧/١٠٨ ح ٢٥، الأَحكام للإِمَام يَحيىٰ بن الحُسين: ١/٣٥٦، المُصَنَّف لإبن أَبي شَيبة الكُوفي: ٣/٥١.

(٤) ٱلتَّوْبَة: ١٣.

أي لاَ إيمَان لِمَن يَعصِي الخَالِق خَوفاً مِن المَخْلُوق[١].

١٦٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «لَا يُعَابُ الْمَرْءُ بِتَأْخِيرِ حَقِّهِ، إِنَّمَا يُعَابُ مَنْ أَخَذَ مَا لَيْسَ لَهُ».

● المُجْرِم المُذنِب هُو الَّذي يَعْتَدي عَلىٰ حقُوق الآخرين، أَمَّا المُعتدىٰ عَلَيْهِ فَلا ذَنب لهُ، كَيف، وَهُو صَاحب الحَقّ المَغْصُوب؟ قَالَ الإِمَام فِي ٱلرِّسَالة السَّابقَة: «مَا عَلَىٰ الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شَاكّاً فِي دِينِهِ»[٢]، وَأيضاً قَالَ: «وَاللهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَىٰ حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً، أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَىٰ اللهَ وَ رَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ

---

(١) قَالَ مُعَاوِيَة لِشدَّاد بن أَوس الخَزرَجِي الأَنْصَارِي الصَّحَابِي (ت ٥٨ هـ)، الَّذي وَلاَّه عُمر إمَارة حِمْص: قُم فَٱذْكر عَلِيّاً فَٱنْتقصه؛ فَقَام شَدّاد فَقَال: الحَمد لله الَّذي ٱفْترض طَاعته عَلىٰ عِبَاده، وَجَعل رِضَاه عِند أَهْل التَّقْوىٰ آثَرُ مِن رِضَا غَيْره، عَلىٰ ذَلِكَ مَضىٰ أَوَّلُهم، وَعَلَيْهِ مَضىٰ آخرهُم. أَيُّها النَّاس، إنَّ الآخِرَة وَعدٌ صَادِق يَحكم فِيها مَلِك قَاهر وَإنَّ الدُّنْيا أَكلٌ حَاضر، يَأْكُل مِنْهَا البَرّ وَالفَاجر، وَإنَّ السَّامع المُطِيع لله لاَ حُجَّة عَلَيْهِ، وَإنَّ السَّامع العَاصِي لله لاَ حُجَّة له، وَإنَّه لاَ طَاعَة لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ، وَإذَا أَرَاد الله بِالنَّاس خَيراً ٱسْتَعمل عَلَيْهم صُلحَاءهُم، وَقَضىٰ بَيْنَهُم فُقهَاؤهُم، وَجَعل المَال فِي سُمحَائِهم، وَإذَا أَرَاد بِالعبَاد شَرّاً عَمل عَليهم سُفاؤهم، وَقَضىٰ بَينهُم جُهلاؤهم، وَجَعل المَال عِند بُخَلائهم. وَإنَّ مِن إصْلاَح الوُلاَة أَنْ تُصلح قُرنَاءها. ثُم ٱلتفَت إِلىٰ مُعَاوِية فَقَال: نَصَحك يَامُعَاوِية مَن أَسْخطَك بِالحَقّ، وَغَشَّك مَن أَرضَاك بِالبَاطِل! فَقَطع مُعَاوِيةُ عَلَيْهِ كَلاَمَه، وَأَمَرَ بِإنزَاله، ثُم لاَطَفه وَأَمَر لهُ بِمَالٍ، فَلَمَّا قَبضهُ قَالَ: أَلستُ مِن السُّمحَاء الَّذين ذَكَرت؟ فَقَال: إنْ كَان لَكَ مَالٌ غَيرُ مَالِ أَصبته حَلالاً، وَأَنْفقته إفضَالاً فَنَعم، وَإنْ كَان مَالُ المُسْلِمِين ٱحتَجَبْتَه دونَهم أَصبْتَه ٱقتَرَافاً، وَأَنْفَقْتَه إِسْرَافاً، فَإنَّ الله يَقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾. ٱلإِسْرَاء: ٢٧.

أُنظر، أَمَالي الشَّيخ المُفِيد: ٩٧، بِحَار الأَنوَار: ٢٤١/٣٣، شَرح نَهج البَلاَغَة لاِبن أَبِي ٱلحَدِيد: ٣٨٩/١٨، تَأرِيخ مَدِينة دِمشق: ١٢٩/٦٨.

(٢) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلرِّسَالة (٢٨). (مِنهُ ﷺ).

الْحُطَامِ، وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَىٰ الْبِلَىٰ قُفُولُهَا، وَيَطُولُ فِي الثَّرَىٰ حُلُولُهَا ؟!»[1].

١٦٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «الْإِعْجَابُ يَمْنَعُ الِازْدِيَادَ».

● المُعْجَب بِنَفسه يَرىٰ أَنَّه قَد بَلَغ القِمَة، فَكِيف يَبْتَغي المَزِيد؟ وَلا شَيء يُفسد الْعِلْم وَالْعَقْل وَالدِّين كَالْعُجْب... إنَّ المُعْجَب بِنَفسه لاَ نَظِير لهُ بَيْنَ الخَلاَئِق حَمَاقةً، وَسُخفاً. وَسَبق الكَلاَم عَنْهُ مِراراً، وَمِن ذَلِكَ عِند شَرح قَول الْإِمَام عليه السلام: «أَوْحَشَ الْوَحْشَةِ الْعُجْبُ»[2].

---

(١) أُنظر، نَهْج ٱلْبَلاَغَة: ٱلْخُطْبَة (٢٢٤).

(٢) أُنظر، نَهْج ٱلْبَلاَغَة: ٱلْحِكْمَة (٣٨). (مِنْهُ رحمه الله).

وَقَالَ صلى الله عليه وآله: ثَلاثٌ مُهْلِكَات: شُحٌ مُطَاع، وَهَوىً مُتبع، وَإعْجَابُ المَرءِ بِنَفسه.

أُنظر، سُبل السَّلاَم: ١٨٤/٤، الخِصَال: ٨٤ ح ١١، مَجمَع الزَّوائِد: ٢٣٩/٥، المُصنَّف لِعبدالرَّزاق: ٣٠٤/١١ ح ٢٠٦٠٦، المُصَنَّف لِلكُوفي: ٦٦٦/٨ ح ١١٨، الْمُعْجَم الأَوسَط: ٣٢٨/٥، مُسْنَد الشِّهَاب: ٢١٤/١ ح ٣٢٥، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلْحَدِيد: ٣٩٢/١٨.

وَفِي المَثَل: إنَّ إِبْلِيس قَالَ: إذَا ظَفرتُ مِن آبن آدَمَ بِثلاَثٍ لَمْ أُطالِبْه بِغَيرِها: إِذَا أُعجِب بِنَفسِه، وَآستَكْثَر عَملَه، وَنسيَ ذُنوبَه.

أُنظر، الكَافِي: ٣١٤/٢ ح ٨، وَسَائِل الشِّيعة: ٩٩/١ ح ٣.

وَقَالت الحُكَمَاء: كَمَا أَنَّ المُعْجَب بِفَرسه لاَ يَرُوم أَنْ يَستَبدِل بِهِ غَيرَه، كَذَلِك المُعْجَب بِنَفسه لاَ يُريد بِحَالِه بَدَلاً، وَإِنْ كَانَتْ رَدِيئةً.

وَأَصل الإِعْجَاب مِن حُبِّ الإِنْسَان لِنَفسِه، وَقَد قَالَ صلى الله عليه وآله: «وَحُبُّك الشَّيء يُعمِي ويُصِمّ»، وَمَن عَمِيَ وَصَمَّ تَعذَّر عَلَيْهِ رُؤيَةُ عُيُوبه وَسَمَاعُها، فَلِذَلك وَجَب عَلىٰ الإِنْسَان أَنْ يَجعَل عَلىٰ نَفسه عِيُوناً تُعرِّفه عِيُوبَه.

أُنظر، الكَافِي: ١٣٦/٢ ح ٢٣، مُسْنَد أَحمَد: ١٩٤/٥، كَنز العُمَّال: ١١٥/١٦ ح ٤٤١٠٤، عَون المَعبُود:

١٦٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «الأَمْرُ قَرِيبٌ، وَالاِ صْطِحَابُ قَلِيلٌ».

● المُرَاد بِالأَمْر هُنا المَوْت، قَالَ سُبْحَانَه: ﴿وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾(١) وَالمُرَاد بِالاِصْطِحَاب حَيَاة الإِنْسَان فِي الدُّنْيَا وَصُحْبَته لهَا. وَفِي كُلّ صَفحَة مِن صَفحَات النَّهج حَدِيث وَكَلاَم عَن المَوْتِ والحَيَاة صَرَاحةً أو إِشَارة.

١٦٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «قَدْ أَضَاءَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ».

● طَرِيق الحَقّ وَاضِح كَوَضح النَّهار، وَلاَ عُذر لِمَن أَعْرَض وَنَأىٰ، وَمِثله فِي الخُطْبَة السَّابِقة: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الحَقِّ، وَأَنَارَ طُرُقَهُ. فَشِقْوَةٌ لاَزِمَةٌ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ!»(٢). وَمِثلهُ فِي النَّهْج كَثِير.

١٦٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «تَرْكُ الذَّنْبِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ المَعُونَةِ».

● لاَ تَذْنب وَلاَ تَطْلُب العَفْو، مَاكَان أَغْنَاك عَن الحَالِيْن. وَبِكَلِمة: «الوِقَايَة خَيْرٌ

⇐ ٢٧/١٤، مُسْنَد الشَّامِيين: ٢/٣١٠، مُسْنَد الشِّهاب: ١٥٧/١ ح ٢١٩، الجَامِع الصَّغِير: ٥٦٨/١ ح ٣٦٧٤، العُهُود المُحَمَّدِية: ١١٤، كَشف الخَفَاء: ٣٤٣/١ ح ١٠٩٥.

وَيَجب عَلىٰ الإِنْسَان إِذَا رَأىٰ مِن غَيْره سَيّئة أَنْ يَرجع إِلىٰ نَفسه، فإِنْ رَأىٰ ذَلِكَ مَوجُوداً فِيها نَزَعها وَلَمْ يَغْفَل عَنْهَا، فَمَا أَحسنَ مَا قَالَ المُتَنبِّي:

وَمَـن جَـهلَتْ نَـفْسُه قَـدرَه رَأىٰ غَـيرُه مِـنهُ مَـا لاَ يَـرىٰ

أُنظر، دِيوَان المُتَنبِّي: ٤٤/١، شَرح نَهج البَلاَغَة لاِبْن أَبِي الحَدِيد: ٢٩٣/١٨.

(١) الحَدِيد: ١٤.

(٢) أُنظر، نَهج البَلاَغَة: الخُطْبَة (١٥٧). (مِنهُ رحمه الله).

مِن العِلاَج »[1]. وَفِي بَعْض النُّسخ ٱلتَّوْبَةِ بَدل الْمَعُونَةِ، وَٱلتَّوْبَةِ بَالذَّنب أَنْسَب.

١٧٠ ـ وَ قَالَ ﷺ: «كَمْ مِنْ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ أَكَلاَتٍ».

● كُلّ إِفرَاط مُفسِد، سَوَاء أَكَان فِي الأَكل أَمْ فِي سـوَاه. وَالمَعِدَة بَـيْت الدَّاء، وَالحِمْيَة رَأس الشَّفَاء»[2]، فَمَن أَفرَط فِي حَشوها اُبتلي بِمَرضها، وَاَضْطَر إِلىٰ الْحِمْيَة، وَقَد تُؤَدِّي الأَكْلَة بِحيَاته... أيضاً. مَاكَان أَغْنَاه عَن الحَالِين! وَأيضَاً الوِقَايَة خَيْرٌ مِن العِلاَج!

١٧١ ـ وَ قَالَ ﷺ: «النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا».

● الْجَهْل مِن أُمّهات الرَّذَائِل، وَأَكْثَرها خَطرَاً، وَكَفَىٰ بِالْجَهْلِ غيّاً، وَفَسَاداً أَنَّ الْجَاهِل يُعَادي وَيُعَاند مَا فِيهِ خَيْره، وَصَلاَحه دُنياً وَآخِرة، وَلاَ دَواء لِلجَاهِل إِلّا أَنْ يَعْلم بِأَنَّه جَاهِل، وَأَنَّه لاَ غِنىٰ لهُ عَمَّن يَقُوده وَيَهدِيه، وَأَخْطَر الْخُطُورَة أَنْ يَرىٰ الْجَاهِل نَفْسَه عَالِماً، وَأَنْ يَرىٰ العَالِم أَنَّه دَائِماً عَلىٰ صَوَاب.

١٧٢ ـ وَ قَالَ ﷺ: «مَنِ ٱسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الْآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطَإِ».

● مَن تَتَبَّع آرَاء أَهْل الْخِبْرَة فِي أَيَّة قَضِيَّة، وَتَدبَّرها عَلىٰ حَقِيقَتها ـ اَستَطَاع أَنْ يُميز الرَّأي الأَصوَب وَالأَرْجَح عَن غَيْره، وَيَختَاره. وَهَذا ـ كَمَا تَرىٰ ـ لاَ يَصدق إِلّا

---

(١) اُنظر، شَرح الأَخْبَار: ٢/١٠٦، القُرْآن وَإِعجَازه العِلمي: ١١٤، المُعْجَم القَانُوني: ٢/٥٤٠.

(٢) اُنظر، تَفْسِير القُرطُبي: ٧/١٩٢، كَشف الخَفَاء: ١/٤٣٩ ح ١١٦٩ و: ٢/٢٧٩ ح ٢٣٢٠، المَصنُوع: ١/١٧٢ ح ٣٠٦، تَدرِيب الرَّاوي: ١/٢٨٧، جَامع العُلوم وَالحِكَم: ١/٤٢٦.

عَلىٰ العَالِم، لأنَّه هُو الَّذي يَتَدبَّر وَيُمَيِّز.

١٧٣ ـ وَ قَالَ ﷺ: «مَنْ أَحَدَّ سِنَانَ الْغَضَبِ للهِ قَوِيَ عَلَىٰ قَتْلِ أَشِدَّاءِ الْبَاطِلِ».

● لَيسَ المُرَاد بِالغَضَبِ هُنا هُو الانْفعَال الَّذي تَحْمر مَعهُ العَيْنَان وَتَنْتَفِج الأَودَاج... كَلا، فَإنَّ هَذَا مُؤقت لاَ يَلبَث حتَّىٰ يَزُول، وَإنَّما المُرَاد بِهِ الصَّبْر وَالثَّبَات فِي حَربِ البَاطِل وَأَهْله، وَيُومِيء إِلىٰ ذَلِكَ قَول الإِمَام: «أَحَدَّ سِنَانَ» أي أَنَّ هَذا الغَاضب للهِ يُحَارِب المُبْطِلِين بِأَمضىٰ سِلاح يَمْلِكه وَأَجداه سِيفاً كَان أَم لِسَاناً أَمْ قَلَماً... وَالبَاطِل زَهُوق كَما وَصَفه سُبْحَانَه: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[1]، فَمَن وَاجهه بِجنَان مُخلص وَثَابت أَمَدَّه الله بِعَونه، وَقَوَّض البَاطِل مِن الأَسَاس.

وَقَدِيماً: قِيل: إنَّ لِلحَقِّ سِلاَحاً لاَ تَرَاه العُيُون. وَبِهَذا السِّلاَح عَاشت أَسماء أَهْل الحَقّ وَالخَيْر بِالتَّقدِيس وَالإِكْبَار، وَسَتَعِيش إِلىٰ آخر يَوْم، وَذَهَبت أَسماء أَعدَائهم وَخُصومهم مَع الرِّيح، وَإنْ ذُكِرَت فَبالاِحتِقَار وَالاِزْدِرَاء.

١٧٤ ـ وَ قَالَ ﷺ: «إِذَا هِبْتَ أَمْراً فَقَعْ فِيهِ، فَإِنَّ شِدَّةَ تَوَقِّيهِ أَعْظَمُ مِمَّا تَخَافُ مِنْهُ».

● لاَ أَحَد يَخلُو مِن الهَمِّ... أَللَّهُمَّ إلاَّ مَن عَاش غَيْر مَسؤول عَن شَيء إطْلاَقاً، وَأَين هُو؟ وَلَكن بَعْض الهُمُوم تَأتِي مِن نَفس المَرْء وَصُنع يَدَه، كَما لَو رَاقَب النَّاس:

---

(١) ٱلإِسْرَاء: ٨١.

مَاذَا قَالُوا، وَفعلوا؟. أو تَوقع نَازِلة يَجْهَل مَدىٰ تَأثِيرها فِي حَيَاتِهِ، فَيَقضي لِيله وَنَهَاره فِي قَلق دَائِم وَاضطرَاب!. وَيَقول الإمَام لِهَذا المُتَخَوف: أَقْدِم عَلىٰ مَا خِفْتَ مِنْهُ، وَمَتىٰ وَقَع اَضْمَحَل، وَنَقل ابن أَبِي الحَدِيد أبيَاتاً فِي هَذا المَعْنَىٰ، أَبْلَغها هَذا العَجز: «وَأَعْظَم مِمَّا حَلَّ مَا يَتَوَقَّعُ»[1].

١٧٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «آلَةُ الرِّيَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ».

● كُلَّما بَرَز الإِنْسَان وَاتسع نفُوذه ـ كَثُرت حَوائج النَّاس إِلَيْهِ. وَفِي الأَمْثَال: الخرَاف تُذْبَح حِين تَغدو وَافِرَة الشَّحم، وَالطِّيور الجَمِيلة تَجْتَذب الصَّيادِين، وَمِن هُنا فَرَّ بَعْض النَّاس مِن الرِّيَاسَة فِرَارهم مِن المَجذُوم، وَعَلىٰ عُشَاقها أَنْ يَسْتَعِينُوا بِالصَّبْر وَسَعَة الصَّدْر، وَبِالإِخْلاَص وَالمُبَادرَة إِلىٰ خِدمَة الآخَرِين.

١٧٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «اَزْجُرِ الْمُسِيءَ بِثَوَابِ الْمُحْسِنِ».

---

(١) قَالَ ابن أَبِي الحَدِيد، فِي شَرح هَذِه الحِكْمَة. مَا أَحْسَن مَا قَالَ المُتَنَبّي:

وَإِذَا لَمْ يَكُـنْ مِـنَ المَوْتِ بُـدٌّ ... فَمِـنَ العَـجزِ أَنْ تَكُـونَ جَـبَانَا

كُـلّ مَـا لَمْ يَكُـنْ مِـن الصَّـعْبِ فِي الأَنْـ ... ـفُس سَهـلٌ فِـيها إِذَا هُـو كَـانَا

وَقَالَ آخَر:

لَـعَمْرُكَ مَـا المَكْـرُوه إِلاَّ ... ارْتِقَابه وَأَعْظَم مِمَّا حَلَّ مَا يَتَوَقَّعُ

وَقَالَ آخَر:

صُـعوبَةُ الرُّزْء تُـلقَىٰ فِي تَـوقُّعِهِ ... مُسْتَقبِلاً وَانقضَاء الرُّزْءِ أَنْ يَقعا

وَكَان يُقَال: «تَوسَّط الخَوفَ تَأمَنْ.

وَمِن الأَمْثَال العَامِيَّة: أُمّ المَقْتُول تَنَام، وَأُمّ المُهَدَّد لاَ تَنَام.

أنظر، دِيوَان المُتَنَبّي: ٢٤١/٤، نَهج البَلاَغَة لابن أَبِي الحَدِيد: ٤٠٦/١٨، ذَيل تَارِيخ بَغدَاد: ١٤٧/٥، سير أَعْلاَم النُّبلاَء: ٥٦٤/١٩.

● لِلرَّدع عَن الجَرِيمَة، وَالإِسَاءة طُرق وَأَسَالِيب:

مِنْهَا: عِقَاب المُسيء وَتَأديبه كمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾[1].

وَمِنْهَا: تَشْجِيع المُحسن، وَجَزَاؤه بِالحُسْنىٰ، لأنَّ ذَلِكَ بِطَبِيعَة الحَال، وَتَأنِيب، وَتَقرِيع لِلمُسيء عَلىٰ إِسَاءته، وَعِبرَة، وَعِظَة لأُولِي الأَبْصَار.

وَمِن هَذَا البَاب تَكرِيم العَبَاقِرة، وَمَنح الأَوسِمة، وَالأَلقَاب لِلمُتفوقِين فِي أَعْمَالِهم، وَتَشجِيع الأُستَاذ لِلطَّالب المُتقدم فِي درُوسِهِ، الوَدِيع فِي سلُوكِهِ.

١٧٧ ـ وَ قَالَ ﷺ: «اَحْصُدِ الشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غَيْرِكَ بِقَلْعِهِ مِنْ صَدْرِكَ».

● هَل تُرِيد أنْ يُعَاملك النَّاس بِالحُسنىٰ، وَلاَ يَضمرُوا لَكَ مَا تَكرَه؟ فَالأَمْر سَهل وَبَسِيط، إنْ شِئت وَأَحببت: دَع الحِقْد وَالضَّغِينة، وَالْعُجْب، وَالتَّعَاظم، وَسُوء الظَّن وَالْغِيْبَة، وَأضْمر الخَيْرَ لِلجَمِيع دُونَ اَستثنَاء، فإِنَّهُم يُعَاملُونك بِالمِثل كمَا قَالَ الشَّاعر: «وَكَمَا تَرَانِي يَا جَمِيل أَرَاك».

وَهَذَا صَحِيح بِلا رَيب فِي حَقّ بَني آدَمَ إلَّا أَهْل الحَسَد وَالمُنَافَسة، فَالنِّعْمَة عَلىٰ خَلق الله تَسَل قلُوبهم، وَفَضِيلة الفَاضل تُعمِي عيُونهم... وَيَسْتَحِيل أنْ يَكفو عَنْه إلَّا بِمُوته أو سَلب النِّعْمَة عَنْه!.

١٧٨ ـ وَ قَالَ ﷺ: «اللَّجَاجَةُ تَسُلُّ الرَّأْيَ».

● المُرَاد بِاللَّجَاجَة هُنا العِنَاد وَالْإِصْرَار، وَلَيْسَ مِن شَكٍ أنَّ العِنَاد يُعمِي

---

(١) اَلْبَقَرَة: ١٧٩.

وَيُصِمّ، وَأَنَّ تَدَاول الآرَاء يَفْتَح بَاب الرَّشَاد.

١٧٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «الطَّمَعُ رِقٌّ مُؤَبَّدٌ».

● الطَّمَع مِن أُمّهَات الرَّذَائِل، وَعِلَّة العِلَل لِلفَساد وَالضَّلال فِي طُول الأَرْض وَعَرْضها... فَهُوَ يُخرج الإِنْسَان عَن إِنْسَانِيته، وَيَقُوده إِلىٰ الذُّل وَالهوَان وَالعبُودِيَّة لِلجَبَابِرة الطُّغَاة، وَالْكَذِب وَالخِيَانة، وَالظُّلم وَالبَغي... إِلىٰ أَلف رَذِيلة وَرَذِيلة... وَقَد بُلِينا نَحنُ بِقَادة لَو خُيّر الوَاحِد مِنْهُم بَيْنَ التَّضحِية بِمَنصبه مِن أَجْل البِلاَد وَالعِبَاد وَبَيْنَ كُرسي الحُكْم ـ لمَا ٱختَار عَلَيْهَا شَيْئاً.

١٨٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «ثَمَرَةُ التَّفْرِيطِ النَّدَامَةُ، وَ ثَمَرَةُ الْحَزْمِ السَّلاَمَةُ».

● التَّفْرِيط: التَّقْصِير فِي العَمل، وَعَاقِبَته مَرَارَة الأَلَم وَطُول النَّدَم، وَالْحَزْم: ٱغْتنَام الْفُرْصَة، وَمُرَاقَبة العَوَاقب بِعَينٍ بَصِيرة، وَإِحكَام العَمل مِن أَجْلها... وَالنَّتِيجَة الرَّاحَة وَالأَمَان.

١٨١ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «لَا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ؛ كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ».

● عَلىٰ الجَاهِل أَنْ يَسْكت عَن الفَتْوىٰ بِالحَلاَل وَالحَرَام، وَالحُكْم بِالحَقّ وَالبَاطِل، وَعَلىٰ العَالِم أَنْ يُفتِي وَيَحكُم بِمَا أَنزَل الله، وَإِنْ سَكَت وَأَحجَم فَقَد ٱستَنْكَف عَن الحَقّ وَإِحقَاقه. قَالَ سُبْحَانَه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَـٰبَ

لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[١].

١٨٢ ـ وَ قَالَ ﷺ : «مَا ٱخْتَلَفَتْ دَعْوَتَانِ إِلَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا ضَلَالَةً».

● كُلّ مَن توَافَرت فِيهِ صِفَات المُجْتَهِد، وَأَتَمّ الْبَحْث وَالنَّظر بِلا تَقْصِير فِي القَضِيَّة الَّتِي بَيْنَ يَدَيه، ثُمّ حَلَّل وَحرَّم، أو قَضَىٰ بِأَنَّ الْحَقّ لِهَـٰذا دُونَ ذَاكَ، إذَا كَـان الأَمْـر كذَلِكَ فَهُوَ غَيْر آثِم وَلاَ مَسؤول أَمَام الله وَالنَّاس، أَصَـاب الوَاقـع فِي عِـلم الله أَمْ أَخطَأَهُ، لأَنَّه ـ إذَا أَخطَأَ الحُكم الإِلٰهي الوَاقِعي ـ فإِنَّه مُصِيب لِلحُكم الظَّاهِري الَّذي قَرَره الله فِي حَقِّهِ... هَذا هُو سَبِيل المُجْتَهِد وَتَكلِيفه بِحُكم الْعَقْل وَالشَّرع، لأَنَّ الله لاَ يُكَلف نَفساً إلاّ مَا آتَاها. وَرُوي عَن رَسُول الله ﷺ: «إذَا حَكَمَ الحَاكِم فَٱجْتَهد فأَصَابَ فَلهُ أَجْرَان، وَإِذَا حَكَمَ فَٱجْتَهد فَأخطَأَ فَلهُ أَجرٌ وَاحِدٌ»[٢].

وَمَعْنَىٰ هَذا أَنَّ الحُكم الظَّاهِري المُقَرر فِي حَقِّ المُجْتَهِد ـ يَتعَدَد وَيَختلف بِٱخْتِلاَف أَنْظَار المُجْتَهِدين، أمَّا الحُكم الوَاقِعي المُعين فِي عِلمهِ تَعَالىٰ فَهُوَ وَاحِـد، لأَنَّ الحَـقّ عِندَه لاَ يَتَعدد وَلاَ يَتجزأ، وَلاَ وَاقع لهُ وَظَاهر، فَكُل سرٍّ عِنده عَلاَنِية، وَكُلّ غَيب

---

(١) آلِ عِمْرَانَ: ١٨٧.

كَان يُقَال: مَا الإِنْسَان لَولاَ اللِّسَانُ إلاّ بَهِيمَةٌ مُهْمَلَةٌ، أَو صُورَةٌ مُمَثَّلَة.

أُنظر، المَجمُوع: ٩٠/١٩، المُغْني: ٦٠٤/٩، عُيُون الحِكَم وَالمَوَاعظ: ٤٨٣، كَشف القِنَاع: ٤٩/٦، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ٩/١٩.

وَكَان يُقَال: اللِّسَان عُضْوٌ إِنْ مَرَّنْتَه مَرن، وَإِنْ تَركتَه خَزن.

أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ٩/١٩.

(٢) أُنظر، كِتَاب الأُمّ للشّافعي: ٢١٦/٦، المَجمُوع: ٢٠/ ١٤٩، فَتح الوَهَّاب: ٣٦٢/٢، ٱلرِّسَالَة: ٤٩٤، مُختَصر المزني: ٢٩٩، المُحلىٰ: ٧٠/١، سُبل السَّلاَم: ١١٧/٤، الطَّرائِف: ١٩٢.

عِندَه شَهادة. وَقُول الإمَام: «كَانَتْ إِحْدَاهُمَا ضَلَالَةٌ» يُشِير إِلىٰ الدَّعوىٰ فِي عِلم الله سُبْحَانَه، وَطَرِيق العِلْم أنَّ هَذا الْعِلْم القُدسي بَدِيهة الْعَقْل الَّتي لاَ يَتطَرق إِلَيْهَا الشَّكّ، أو النَّص القَطعِي مَتْناً وَسَنداً عَن المَعْصُوم. وَتَقَدَّم الكَلاَم عَن ذَلِكَ مُفصلاً فِي شَرح ٱلْخُطْبَة (٨٧) فِقْرَة «كُلّ مُجْتَهِد مُصِيب».

١٨٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ».

● الإِمَام أَخَذ الْحَقّ مِن مَعْدنِهِ رَسُول الله صلى الله عليه وآله مُبَاشَرة وَبِلا وَاسطَة، وَمَن أَخَذ الْعِلْم مِن الحِس وَالْمُشَاهدة لاَ مِن النَّقل وَالحَدَس ـ فَمِن أَين يَأتِيهِ الشَّكّ؟ وَبِهَذا نَجد تَفْسِير قَول رَسُول الله صلى الله عليه وآله: «أَللَّهُمَّ أَدِرْ مَعَه ٱلْحَقّ كِيفَمَا دَار»(١).

١٨٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَا كَذَبْتُ وَ لَا كُذِّبْتُ، وَ لَا ضَلَلْتُ وَ لَا ضُلَّ بِي».

● لاَ يَخْشَىٰ الإِمَام إِلَّا الله، وَلاَ يَبْتَغِي مَرضَاة سِوَاه، وَإِذْن فَلِمَاذا الْكَذِب؟ وَمَا

---

(١) أنظر، صَيد الخَاطر: ٣٨٥، طَبعَة دَار الْفِكْر دِمشق، وَالتِّرمِذي فِي صَحِيحِه: ٢/ ٢٩٨ طَبعَة بُولاق سَنَة (١٢٩٢ هـ) وَالفَخر الرَّازي فِي آخر تَفْسِير البَسْمَلة المَطبُوع بِدَار العَامِرة، وَغَيْرِهما مِن كُتب الحَدِيث. (مِنهُ رحمه الله).

أُنظر، مَجْمَع الزَّوائد: ٢٣٥/٧، تَأرِيخ بَغدَاد: ٣٢٠/١٤ ح ٧٦٤٢، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١/ ٧٨، فَرَائِد السِّمطين: ١/ ١٧٧، المَنَاقِب لابْن المغازلي: ١١٧ و ٢٤٤، وَالْمُسْتَدرَك: ٣/ ١٩ و ١٢٤، التَّفْسِير الْكَبِير لِلرَّازي: ٢٠٥/١، شَرح الأَخْبَار للمغربي: ٥٢٥/٢، سُنَن التِّرمِذي: بَاب مناقب عَليّ، ح ٣٧١٤، جَامع التِّرمِذي: ٢١٣/٢، كَنز الْعُمَّال: ١٥٧/٦، الصَّوَاعِق الْمُحرِقَة: ١٢٤، يَنَابِيع المَوَدَّة: ٩٠، المطَالب العَالِية: ٦٦/٤، المَحصُول لِلرَّازي: ١٣٤/٦، وفِي بَعْض المَصَادر بِلَفظ: «رَحِمَ الله عَلِيّاً أَدِرِ الْحَقّ مَعَه حَيثُ دَار». أُنظر أيضاً، الْمُعْجَم الأَوسَط: ٩٥/٦ ح ٥٩٠٦، تُحْفَة الأَحْوَذي: ١٤٩/١٠، فَيض القَدِير: ١٩/٤، تَهذِيب الكَمَال: ٤٠٢/١٠ ح ٢٢٥٦، الرِّيَاض النَّضرة: ٢٤٣/١ ح ٨٧.

هُو الدَّاعي إِلىٰ التَّكذِيب؟ وَأيضاً أَخَذ الهُدَىٰ مِن كِتَاب الله وَسُنَّة نَبيِّه، وَبِهمَا كَان يَهدِي وَيَرشد الخَلق إِلىٰ الحَقِّ، فَمِن أَين يَأتي الضَّلَال وَالتَّضلِيل؟ وَنَقل صَاحب فَضَائِل الخَمْسَة عَن تَفسِير الطَّبَرِي المَطبُوع بِالمَطْبَعة الكُبرىٰ بِبُولَاق سَنَة (١٣٢٣ هـ) وَتَفسِير الرَّازي المَطْبُوع بِدَار الطِّبَاعة الكُبْرىٰ العَامِرَة، وَتَفسِير السِّيُوطي المُسَمىٰ بِالدَّر المَنْثُور، المَطْبُوع بِمِصْر سَنَة (١٣١٤هـ) وَغَيْر ذَلِكَ مِن كُتب الحَدِيث، نَقَل أَنَّ رَسُول الله ﷺ عِند نزُول هَذِه الآيَة: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[1]. قَالَ ﷺ: «أَنَا المُنْذِر، وَالهَادِي عَليّ»[2].

---

(١) ٱلرَّعْدِ: ٧.

(٢) روىٰ ذَلِكَ ٱبن جَرِير الطَّبَرِي فِي تَفْسِيره: ١٣ / ٧٢، و: ٧ / ٣٤٣ طَبْعَة أخرىٰ بِسَنده عَن ٱبن عبَّاس قَالَ: لمَّا نَزَلَت ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ ٱلرَّعْدِ: ٧. وَضَع ﷺ يَده عَلىٰ صَدرهِ، فَقَال: أَنَا المُنْذِر ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وَأَوْمَأ بِيَده إِلىٰ مَنْكب عَليّ عليه السلام فَقَال: أَنتَ الهَادِي يَا عَليّ، بِكَ يَهْتَدِي المُهْتَدُون بَعْدِي. وَذَكَره الحَاكِم فِي مُسْتَدرك الصَّحِيحِين: ٣ / ١٢٩ طَبْعَة دَار الكُتب لُبنَان بِسَنده عَن عَبَّاد بن عَبدالله.... وَذَكَره المُتقي فِي كَنز العُمَّال: ١ / ٢٥١، و: ٦ / ١٥٧ ح ٢٦٣١، و: ١١ / ٦٢٠ ح ٣٣٠١٢، مَجْمَع الزَّوائِد: ٧ / ٤١ بِإِضَافَة: وَالهَادِي رَجُل مِن بَني هَاشم.... وَرِجال المُسند ثِقات، وَذَكَره الفَخر الرَّازِي فِي تَفْسِيرِه الكَبِير: ٥ / ٢٧١ طَبْعَة دَار الطِّبَاعة العَامِرة بِمصر، و: ٢١ / ١٤ طَبْعة أُخرىٰ فِي تَفْسِير ذَيل الآيَة، وَأَضَاف: ذَكَروا.... وَالثَّالث المُنذِر النَّبِيّ ﷺ، وَالهَادِي عَليّ عليه السلام، وَذَكر حَدِيث ٱبن عبَّاس السَّابق الذِّكر.

وَأَنظر السّيوطي فِي الدُّر المَنْثُور: ٤ / ٤٥ و٦٠٨ أَيضاً فِي تَفْسِير ذَيل الآيَة مِثل ذَلِكَ، وَنُور الأَبْصَار: ٧١ الطَّبعة العُثمَانِية، كنُوز الحقَائِق: ٤٢، الحَاكِم الحَسكَاني فِي شوَاهد التَّنزِيل: ١ / ٢٩٣ ـ ٣٠٣ ح ٣٩٨ إِلىٰ حَدِيث ٤١٦، المَنَاقب لِابْن شَهرآشُوب: ٣ / ٨٣ و٨٥ طَبْعَة دَار الأَضواء، وَأَنظر غَرَائب القُرآن بِهَامش جَامع البَيَان: ١٣ / ٦٨، مَجمَع البَيَان: ٥ و٦ / ٢٧٨ عِند تَفْسِير ذَيل الآيَة ذَكر أَقوَالاً إِلىٰ أَنْ قَالَ: وَالرَّابع: أَنَّ المُرَاد بِالهَادي كُلّ دَاعٍ إِلىٰ الحَقّ، وَفِي رِوَاية ٱبن عبَّاس قَالَ ﷺ: أَنَا المُنْذِر وَعَليّ الهَادِي مِن بَعْدِي، يَا عَليّ بِكَ يَهْتَدِي المُهْتَدُون. وَأَنظر تَفْسِير ٱبن كَثِير: ٢ / ٥٠٢ طَبْعَة دَار المَعْرِفَة لَكنّه قَالَ: هَذا الحَدِيث فِيه نكارَةٌ شَدِيدة. وَنَقُول: لَيسَ فِي الغَرِيب طَعن ٱبن كَثِير فِي مِثل هَذا الحَدِيث وَخَاصّة لِمَن يَعْرِف شَخصِيته

١٨٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام : « لِلظَّالِمِ الْبَادِي غَداً بِكَفِّهِ عَضَّةٌ » .

● ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً﴾[1] . وَقَالَ رَسُول صلى الله عليه وآله : «مَنْ أَصْبَح وَهُو لاَ يَهم بِظُلم أحدٍ غفَر الله مَا ٱجْتَرَم»[2] . ومَعْنَىٰ هَذَا أَنَّ الإِسْلاَم يُثِيب عَلَىٰ الأَعمَال الصَّالِحة ، وَفُوق ذَلِكَ يَغْفر

← وَتعصّبه عَلىٰ بَعْض الأَحَاديث.

أُنظر ، كفَاية الطَّالب: ٢٣٣ الطَّبعَة الحيدرية و ١٩٠ طَبعة الغَري ، تـفسِير الشَّـوكاني: ٣ / ٧٠، تَأرِيخ دِمشـق: ٢ / ٤١٥ ح٩١٣ ـ ٩١٦، يـنَابِيع المـوَدَّة: ١١٥ و١٢١ طَـبعة الحَـيدرِية و ٩٩ و١٠٤ طَـبعة اسلاَمبُول، و: ١ / ٩٠ طَبعة أُسوة و٢٩٤ ومَا بَعدها و٣٠٨، و: ٢ / ٢٤٦، و: ٣ / ٤٥٤ طَبعة أُسوة أيضاً، زَاد المَسِير لِابْـن الجـوزي: ٤ / ٣٠٧، نُـظم دُرر السِّـمطِين: ٩٠، فَـتح الْـبَيان: ٥ / ٧٥، رُوح المَـعَاني: ١٣ / ٩٧، إحقَاق الحَق: ٣ / ٨٨ ـ ٩٣، فرَائِد السِّمطِين: ١ / ١٤٨، مُنْتَخب كَنز العُمّال بِهامش مُسْنَد أحمَد: ٥ / ٣٤، فَتح القَدِير: ٣ / ٧٠ طَبعة عالم الكُتب بَيروت، مُسْنَد أحمد: ١ / ١٢٦، البُرهان للعلّامة البَحراني: ٢ / ٢٨٠، لِسَان الميزان لِابْن حَجر: ٢ / ١٩٩، المُسترشد للطَّبري الإمَامي تَحقِيق المَحمُودي: ٣٦٠ و٦٥٣، بِنَاء المقَالة الفَاطِمِية للسَّيد أحمَد بن موسىٰ بن طَاووس: ١٤٥ تَحقِيق السَّيِّد عَليّ العَدنَاني الغُرِيفي مُؤسّسة آل الْبَيت عليهم السلام.

وَأُنظر الخصَائِص لِابْن البطريق: ١٢٢ وَمَا قَالَ حَول الإِنْذَار بِلفظة (إنّما) الّتي تُفِيد التَّحقِيق وَالإِثبَات ثُمّ عَطف عَلَيْها بدُون فَاصلة ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فَأُتيت لِعَلي عليه السلام الإمَامَة بِطَرِيق ثبُوت النُّبوّة للنَّبيّ صلى الله عليه وآله ، وَأُنظر ، بحَار الأَنْوَار: ٣٥ / ٤٠٦، وَحقّ اليَقِين للسيِّد شبّر: ١ / ٢٦٨، دَلاَئل الصِّدق: ٢ / ١٤٧، لوَامع الحـقَايق مَبحث الإمَامَة: ٣، كَشف اليَقِين: ٣٥٧، غُرر الحِكَم: ١ / ٢٢٠ و ٢٥٥ و٢٥٦ ح ١ و١٠٣، منَاقب آل أبي طَالب: ٣ / ٨٣ و ٨٤، أصول الكَافي: ١ / ١٩٢ ح ٤، بصَائِر الدَّرجَات: ٣١ ح ٩، كتَاب سُليم بن قَيس: ٢٠١، كمَال الدِّين: ٢ / ٦٦٧ بَاب ٨٥ ح ٩، تَفسِير العيَّاشي: ٢ / ٢٠٤ ح ٧ ـ ٩، غَايَة المُرَام: ٢٣٥ بَاب ٣٠ ح ٣ و ٥ وَبَاب ٣١ ح ٤ و٦.

(١) ٱلفُرقَان: ٢٧.

(٢) أُنظر ، الكَافي: ٢ / ٣٣٢ ح ٨ و ٢١، الجَامع الصَّغِير: ٢ / ٥٧٢ ح ٨٤٥١، كَنز العُمَّال: ٣ / ٥٠٤ ح ٧٦٣٠، تَأرِيخ دِمشق: ٥٣ / ٢٧٣ ح ٦٤٦٢، رَوضة الوَاعظِين: ٤٦٧، لِسَان المِيزَان: ٤ / ٢٧٢ ح ٧٦٥.

لِلتَّارك ما ٱقْتَرَف مِن ذِنُوب، لاَ لِشَيءٍ إلَّا لأنَّه مَا ظَلَم أَحَداً... وَهَذِه مِيزَة خَاصَّة لِتَرك الظُّلم دُونَ غَيرَه مِن الُمحَرَّمَات.

وَتَجدُر الإِشَارَة إِلىٰ أنَّ الشِّرْك بِالله ظُلم، قَالَ سُبْحَانَه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1]. وَتَقَدَّم الكَلاَم عَن ذَلِكَ مُفصلاً فِي شَرح ٱلخُطْبَة (١٧٦) فِقْرَة: «لاَ إسْلاَم مَع ظُلْم».

١٨٦ ـ وَ قَالَؑ: **«الرَّحِيلُ وَشِيكٌ».**

● أَي عَن الْحيَاة الدُّنْيَا إِلىٰ قَبرٍ مُظلِم مُوحِش، وَتكَرَّر بِالعَشرَاتِ[2].

١٨٧ ـ وَ قَالَؑ: **«مَنْ أَبْدَىٰ صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ».**

● فِي قوَامِيس اللُّغَة أنَّ أَصْل الصَّفح الإِعْرَاض بِصَفحَة الوَجْه، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾[3] أي إعرَاضَاً أو مُعْرِضِين، ولكنَّ الإِمَامؑ قَالَ: مَنْ أَبْدَىٰ صَفْحَتَهُ أي أَظْهَرها، وَعَلَيْهِ يَكُون الْمَعْنَىٰ مَن تَصَدىٰ لِمُعَانَدة الْحَقّ وَحَرْبه مُسْتَخِفاً بِهِ وَبِأَهْله ـ فَقَد هَلَك. وَيَأتِي قَول الإِمَامؑ: «مَنْ صَارَعَ الحَقَّ

(١) لُقْمَان: ١٣.

(٢) قَالَ بَعْض ٱلحُكَمَاء: قَبلَ وجُود الإِنْسَان عَدَم لاَ أَوَّل لهُ، وَبَعدَه عَدَم لاَ آخِر لهُ، وَمَا شُبِّهت وَجُودَه القَلِيل المُتَنَاهِي بَيْن العَدمِين غَيْر المُتنَاهِيين إلاَّ بَبْرَق يَخْطف خَطْفَة خَفِيفَةً فِي ظَلامٍ مُعْتَكر، ثُمَّ يَخْمد وَيَعُود الظَّلاَم كمَا كَان.

أنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لابن أبِي ٱلحَدِيد: ١٨/٣٧٠.

(٣) ٱلزُّخرُف: ٥.

صَرَعَهُ»[1].

١٨٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَنْ لَمْ يُنْجِهِ الصَّبْرُ أَهْلَكَهُ الْجَزَعُ».

● مَعْنَىٰ هَذِه الحِكْمَة وَاضح جِدّاً، وَهُو أَنَّ الصَّبْر مُرّ، مَا فِي ذَلِكَ رَيب، وَلَكنَّ الجَزَع أَدْهىٰ وَأَمرّ، وَهُو شِعَار الضِّعَاف وَالأَطْفَال، وَيُضِيف إِلىٰ بَلاَء الدُّنْيَا البَلاء بِالدِّين، أَمَّا الصَّبْر فَهُو شِعَار المُتَّقِين وَأَجرَه عِند الله عَظِيم.

وَعَلىٰ رَغم وضُوح هَذِه ٱلحِكْمَة كمَا أَشرنَا فَقَد خَفِي مَعْنَاها عَلىٰ ٱبن أَبِي ٱلحَدِيد، وَرَاح يَقُول: إِنْ قُلت أَقُول، وَيَتَكلف التَّأْوِيل بِلا سَبَب مُوجِب! وَلاَ أَدرِي كَيف ذَهَل الأَدِيب الكَبِير عَن هذا المَعْنَىٰ الوَاضح البَيِّن؟ وَجَلّ مَن لاَ تَأْخذهُ كَبوَة وَلاَ غَفْلَة[2].

١٨٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «وَا عَجَبَاهْ! أَتَكُونُ الْخِلَافَةُ بِالصَّحَابَة وَ الْقَرَابَةِ؟».

وَرُوِيَ لَهُ شِعْرٌ فِي هَذَا ٱلْمَعْنَىٰ:

فَإِنْ كُنْتَ بِالشُّورَىٰ مَلَكْتَ أُمُورَهُمْ
فَكَيْفَ بِهَذَا وَالْمُشِيرُون غُيَّبُ؟

وَإِنْ كُنْتَ بِالقُرْبَىٰ حِجَجْتَ خَصِيمَهُمْ
فَغَيْرُكَ أَوْلَىٰ بِالنَّبِيِّ وَأَقْرَبُ

(١) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغة: ٱلحِكْمَة (٤٠٢).
(٢) أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغة لِابن أَبِي ٱلحَدِيد: ٤١٥/١٨.

● يَنْتَقل المَال مِن القَرِيب إلىٰ قَرِيبه بِالوِرَاثة... وَأيضاً قَد يَسْتَفِيد الإِنْسَان عِلماً وَدِيناً بِالصَّحَابَة، وَالرِّفَاقَة، أَمَّا الوِصَايَة، وَالوَكَالة، وَالنِّيَابة وَالوزَارَة، أَمَّا هَذِه وَمَا إِلَيْهَا فَلا تَكُون إلَّا بِالكفَاءَة وَالأهلِيَة، فَكَيف بِالخِلاَفَة الَّتِي هِي رِيَاسَة عَامَة فِي أُمور الدِّين وَالدُّنْيَا نِيَابة عَن رَسُول الله الَّذي لاَ يَنطُق إلَّا عَن الله بوَحيه وَلِسَانه ؟.

وَالإِمَام يَردّ بِهَذا عَلىٰ مَن ٱحْتَج يَوْم السَّقِيفَة بِأَنَّه أَوْلىٰ بِخلاَفَة النَّبيّ ﷺ لِصُحبَتِهِ وَقَرَابتهِ، وَبَعد أَنْ تَمت لهُ البَيْعَة ٱحْتَج هُو أو ٱحْتَجوا لهُ بِالشُّورَىٰ، وَالإِمَام يَطْعَن بِهَذِه الشُّورَىٰ وَيَقول: أَينَ هِي وَالمُشِيرُون غُيَّبٌ عَن بَيْعَة السَّقِيفَة، وَهُم مُعظَم الصَّحَابَة، وَالحَاضِرُون مِنْهُم عِند البَيْعَة ٱختَلفوا فِيما بَيْنَهم وَبَعْضهُم شهَرَ سَيْفه عَلىٰ مَن بَايَعَ أَبَا بَكْر[1].

وَكُتب التَّأرِيخ تَشْهد عَلىٰ بَيْعَة السَّقِيفَة وَأَهلها. وَسَبق الكَلاَم عَن ذَلِكَ.

١٩٠ ـ وَ قَالَ ﷺ: «إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا، وَ نَهْبٌ تُبَادِرُهُ الْمَصَائِبُ؛ وَ مَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ، وَ فِي كُلِّ أُكْلَةٍ غَصَصٌ، وَ لَا يَنَالُ الْعَبْدُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَىٰ، وَ لَا يَسْتَقْبِلُ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِفِرَاقِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ؛ فَنَحْنُ أَعْوَانُ الْمَنُونِ، وَ أَنْفُسُنَا نَصْبُ الْحُتُوفِ؛ فَمِنْ أَيْنَ نَرْجُو الْبَقَاءَ؛ وَ هَذَا اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ لَمْ يَرْفَعَا مِنْ شَيْءٍ شَرَفاً، إِلَّا أَسْرَعَا الْكَرَّةَ فِي هَدْمِ مَا بَنَيَا، وَ تَفْرِيقِ مَا جَمَعَا؟!».

● عَادَ الإِمَام إلىٰ حَدِيث الدُّنْيَا وَالتَّحْذِير مِن أَوبَائِها، وَكُلّ الوعَاظ يُحَذِّرون

(١) أُنظر. الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة لِابْن قُتَيْبَة: ٩ طَبْعَة سَنَة ١٩٥٧م. (مِنْهُ ﷺ).

مِنْهَا، وَالفَرق أنَّ تَحْذِير أَكْثَرهُم أو الكَثِير مِنْهُم مُجَرد كَلاَم لِلاِسْتهلاَك لاَ عِلاَقَة لهُ بِقلوبِهم وَلاَ بِأعمَالِهم تَمَاماً كَلِسَان الأَحْمَق، وَمِن أَجْل هَذَا تَسْمَعه الآذَان وَلاَ تَخْشَع لهُ القُلُوب، أمَّا تَحْذِير الإِمَام فَيَنبَعث مِن وَاقِعه وَكِيَانه وَمِن لَحْمِهِ وَدَمِهِ، وَيَنْطَلِق إلىٰ القُلُوب لِيَهزها مِن الأَعْمَاق.

(إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا... إلخ). الغَرض: الهَدَف، وَتَنْتَضِل تَرمِي، وَالْمَعْنَىٰ أنَّ سِهَام الدُّنْيَا، وَهِيَ الكَوَارِث وَالحَوَادِث، تَنْهَال عَلىٰ رَأس الإِنْسَان سَهْماً بَعد سَهْم، وَصَاعِقَة إِثرَ صَاعِقَة حَتَّىٰ عِند طَعَامه وَشَرَابه، بَل وَفِي مَنَامه يَحْلَم بِالكَثِير مِن المُزعِجَات، وَقَد تَتَحَول إلىٰ وَاقِع حَيَاته، فَتَفْقِدَه الهُدُوء وَالرَّاحَة (وَ لَا يَنَالُ الْعَبْدُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَىٰ) كَنِعْمَة العُزُوبَة وَالتَّحَرُر مِن المَسؤولِيَة، تَذهَب بِها نِعْمَة الزَّوَاج وَالمُشَارَكة فِي الحَيَاةِ، إنْ كَان فِي هَذِه المُشَارَكة حَيَاة أو شَيء مِن نِعْمَة الحَيَاة. وَتَقَدَّم مِثلَه بِالحَرف فِي الخُطْبَة (١٥٠).

(وَ لَا يَسْتَقْبِلُ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِفِرَاقِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ) الْمَعْنَىٰ وَاضح وَتَقَدَّم أَيضاً فِي الخُطْبَة (١٤٥) (فَنَحْنُ أَعْوَانُ الْمَنُونِ... إلخ). أي المَوْت، وَنَعِينَه عَلىٰ أَنْفُسنا بِفَنَاء الأَعْمَار مَع اللَّيَالِي وَالأَيَّام (لَمْ يَرْفَعَا مِنْ شَيْءٍ شَرَفاً... إلخ). ضَمِير التَّثْنِية لِلَّيْل وَالنَّهَار، وَالْمَعْنَىٰ أنَّ مَتَاع الدُّنْيَا قَلِيل، وَأَنَّهَا قَد تَحلُو وَتَبنِي القُصُور، وَتَجمَع الأَموَال، وَلَكِنْ لاَ يَدُوم ونَعِيمُهَا، وَلاَ تؤمَنُ فَجْعَتها، فَسُرعَان مَا تُهْلَك وَتُدَمر.

١٩١ ـ وَقَالَ عليه السلام: «يَا ٱبْنَ آدَمَ مَاكَسَبْتَ فَوْقَ قُوتِكَ، فَأَنْتَ فِيهِ خَازِنٌ لِغَيْرِكَ».

● لَو مَلَكْتَ الدُّنْيَا بِكَامِلها لَمْ يَكُن لَكَ مِنْهَا إلَّا مَا أَكَلْتَ وَشَرِبتَ وَلَبِستَ، وَمَا عَدَاه «تَرَانزِيت»، وَالإِنْسَان مَسؤول عَنْ نَفْسَه وَأَهْله، وَعَلَيْهِ أنْ يُوفر لَهُم

الحَاجَات الأَسَاسِية، وَيَترُك لَهُم مَا يَكفُون بِهِ وُجُوههم عَنْ النَّاس إِنْ ٱستطَاع، وَمَا زَاد فَفِي سَبِيل الله مَع العِلْم بِأَنَّ كُلّ نَفقَة عَلىٰ نَفْسه هِي لله وَفِي سَبِيل الله، وَلاَ فَرق إِطْلاَقاً بَيْنَهَا وَبَيْنَ الصَّدَقَة عَلىٰ المَحَاوِيج مِن حَيْث الأَجْر وَالثَّوَاب. قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إِنَّ حَامِل النَّفَقَة إِلىٰ عِيَاله كَحَامِل الصَّدَقَة إِلىٰ المَحَاوِيج»[1].

١٩٢ ـ وَ قَالَ ﷺ: «إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَ إِقْبَالاً وَ إِدْبَاراً، فَأْتُوهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وَ إِقْبَالِهَا، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ».

● لِلإِنْسَان أَطوَار وَأَدوَار تَختَلف تَبعاً لِظرُوفه وَأَفكَاره وَتَصورَاته، فَهُوَ حِيناً مُتفَائِل، وَأَحيَاناً مُتشَائِم، وَتَارَةً حَائِر بَيْنَ اليَأْس وَالرَّجَاء حَتَّىٰ كَأَنَّ فِي دَاخِله شَيْئاً يُقلبه ذَات اليَمِين وَذَات الشِّمال!... فَإِذَا أَردت أَنْ يَسْتَجِيب الإِنْسَان لِدَعوتك فَٱدخُل إِلىٰ نَفْسه مِن أَبوَابها وَمِيُولها، وَدَع الاتِّجَاه المُعَاكس، وَمَا تَحْفظه مِن الحِكم وَالنَّصائح، فَإِنَّ الرِّيَاح لاَ تَرجع عَن ٱتجَاهها وَتُرتَد إِلىٰ الوَرَاء بِمُجَرد الكَلاَم... وَإِنْ ٱستَطعت أَنْ تُكرِه أَحَداً بِسَبب الحَيَاء أَو بِآخر فَإِنَّه لَنْ يَنْفعك بِشَيء، وَيَعْمىٰ عَن كُلّ شَيء، وَإِذَا جَذَبته مِن إِحسَاسه وَشعُوره ٱنقَاد أَسِيراً وَٱستَمع إِلَيْكَ مُخْلِصاً، وَبَلغتَ مِنْهُ مَا تُرِيد.

وَبِهذا نَجد تَفْسِير قَوْلَه تَعَالىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾[2]. لأَنَّ الدِّين عَقِيدَة، لاَ تَكُون وَيَسْتَحِيل أَنْ تَكون بِالإِكرَاه، وَأي عَمل يَأتِيه الإِنْسَان مُكرَهاً أو كَارِهاً فَمَا هُو مِن الدِّين فِي شَيء إِلَّا إِذَا هُو أَكْرَه نَفْسه عَلَيْهِ بِحَيث تَبقىٰ حُرِّيَّته فِي قَبْضَته.

---

(١) لَمْ أَعثر عَلىٰ النَّص بِعَينه، بَل نَحوه كَمَا جَاء فِي المَبسُوط للطُّوسي: ٣٠٧/٢، الجَامع لِلشَّرائع: ١٤٦.

(٢) ٱلبَقَرة: ٢٥٦.

١٩٣ ـ وَكَانَ عليه السلام: «يَقُولُ مَتَىٰ أَشْفِي غَيْظِي إِذَا غَضِبْتُ ؟ أَحِينَ أَعْجِزُ عَنِ الانْتِقَامِ فَيُقَالُ لِي: لَوْ صَبَرْتَ ؟ أَمْ حِينَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ فَيُقَالُ لِي: لَوْ عَفَوْتَ».

● الإِسْلاَم دِين المَحَبَّة وَالعَفو وَالتَّسَامح تَمَاماً كَمَا هُو دِين الحُـرِّيَّة وَالمُسَاوَاة قَالَ سُبْحَانَه: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[1]، وَهَـل يَبْتَغِي الإِمَام شَيْئاً مِن دُنيَاه وَرَاء أَجر الله وَثوَابه ؟ وَهل ٱكتفىٰ مِنْهَا بِطِمْرَيْهِ وَمِـنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ، وَهُو خَلِيفَة المُسْلِمِين إِلّا ٱبْتغَاء مَرضَاة الله ؟. وَإِذْن فَلاَ بَدع إِذَا عَفا الإِمَام عَمَّن أَسَاء إِلَيْهِ، وَأَوْصىٰ أَهْله بِقَاتلِه ٱبن مُلْجَم أَنْ يُطَيِّبُوا طَـعَامه وَيُـلينُوا فِرَاشه، وَأَنْ يعفُوا لأَنَّ العَفْو أَقْرَب لِلتَّقوىٰ.

(مَتَىٰ أَشْفِي غَيْظِي إِذَا غَضِبْتُ ؟... إلخ). مِن الشِّفَاء يُقَال: تَشَفّىٰ مِن غَيظِهِ أي عُوفِي مِنْهُ وَبَرِىء. وَالمَعْنَىٰ إِذَا حَاولتُ القِصَاص مِمَن أَسَاء إِليَّ خَـاصَّة فَـلا يَخْـلو وَاقِعِي مِن أَحَد أَمْرَين: إِمَّا أَنْ أَعْجَز، وَإِمَّا أَنْ أَقْدَر، فَإِنْ عَجِزت عَـظُم الخَـطب وَتَرَاكَم المُصَاب بِفَشَلي أَمَام النَّاس، وَلُومَهم وَقَوْلَهُم: مَاذَا فَعلتَ بِنَفسك ؟ أَمَا كَان الأَجدَر أَنْ تَسكُت وَتَستر مَا بِكَ مِن عَجز ؟ وَإِنْ قَدرتُ قَالُوا: كَان الـعَفْو أَجْمَـل بِمَقَامك وَأَليق.

وَبَعد، فَإِنَّ الإِمَام مَا حَمَل ضِغْنَاً وَلاَ حِقداً عَلىٰ مَخْلُوقٍ وَإِنْ أَسَاء إِلَيْهِ كِي يُفكر فِي الانْتقَام، وَإِنَّمَا أَرَاد بِهَذا الأُسلُوب الحَكِيم مُجَرد التَّرغِيب فِي الصَّبْر وَ العَفْو، وَأَنَّهـما يَمحوَان الكَثِير مِن السَّيِّئَات، وَيَزِيدان فِي الحَسَنَات، وَأَنَّ الانْتقَام إِنْ هُو إِلَّا إِشْبَاع شَهوَة عَابِرَة، وَرَغْبَة زَائِلة.

---

(١) ٱلشُّورَىٰ: ٤٠.

١٩٤ ـ وَ قَالَ ﷺ : «وَ قَدْ مَرَّ بِقَذَرٍ عَلَى مَزْبَلَةٍ : هَذَا مَا بَخِلَ بِهِ الْبَاخِلُونَ» .
وَ رُوِيَ فِي خَبَرٍ آخَرَ أَنَّهُ قَالَ : «هَذَا مَا كُنْتُمْ تَتَنَافَسُونَ فِيهِ بِالْأَمْسِ !» .

● الْمَعْنَىٰ وَاضح لاَ يَحتَاج إِلىٰ تَفْسِير ، وَلَكنْ قَد يُظَّن أَنَّ هَذا يُؤيد قَول مَن قَالَ بِأَنَّ الإِنْسَان لاَ يَتحَرك إِلَّا بِدَافع اَقتصَادي وَسَبب مَادي . . . وَلَيْسَ مِن شَكٍّ أَنَّ الْمَال وَالإِقْتصَاد يَبْعَث الإِنْسَان عَلىٰ الْحِرْص وَالبُخل وَالجَري وَرَاء الأَربَاح ، وَأيضاً يَبْعَثه عَلىٰ الْعُجْبِ والْكِبْرِيَاء ، وَالتّنَافس ، وَالصّرَاع ، وَسَفك الدّماء ، وَلَكنَّه لَيْسَ السَّبب الوَحِيد وَالبَاعث الأَوّل وَالأخِيْر عَلىٰ الحَرَكة وَالعَمَل ، فَهُنَاك دَوَافع كَثِيرة غَيْر المَادة وَالإِقْتصَاد ، كَالْعَقِيدَة الدِّينية وَالوَطنِية ، وَالحُب المُتبَادل بَيْنَ اَلْآبَاء وَالْأَبْنَاء ، وَحُبّ المَجد وَالشُّهرَة وَغَيْر ذَلِكَ .

وَإِلَّا فَبأي شَيء نُفسر مَوقف هَذا الإِنْسَان الَّذي فَضَّل وَآثَر أَنْ يَعِيش حُرَّاً مَع الجُوع وَالْفَقْر عَلىٰ أَنْ يَعِيش رِقَاً مَع الْمَال وَالتَّرف ؟ . فَمُنذ مِئات السّنِين تَزَوّج مُعَاوِيَة أَعرَابية مِن بَنَات الصَّحرَاء ، وَأَسْكَنَها القصُور الشَّامِخة فِي عَاصمته ، فَحَنَّت إِلىٰ خَيمَة الشّعر وَقَالت[1] :

(١) إِنَّ مَيسُون اَبْنَة بَحدَل الكَلبية لَمَّا زوّجت مُعَاوِيَة بن أَبِي سُفْيَان ، وَنُقلت إِلىٰ دِمشق وَأُسكنَت قصراً مِن قصُور اَلْخِلاَفَة ، حَنَّت ذَات يَوْمٍ إِلىٰ البَادية فَأَنْشَأت هَذِه الأَبيَات . أُنظر ، خِزانة الأَدب : ٥٠٣/٨ ، تَأريخ دِمشق : ١٣٣/٧٠ ، حَاشِيَة الصَّبَان عَلىٰ الاشْمُوني : ٣ /٣١٣ الشَّاهد (٨٢٧) ، تَفْسِير القُرطُبي : ٢١٨/٦ و : ٢٧٢/١٥ ، الأَعْلام : ٣٣٩/٧ ، لِسَان العَرب : ٤٠٨/١٣ ، شَرح الرَّضِيّ عَلىٰ الكَافِية : ٥٣/٤ ، بَلاَغَات اَلنّسَاء لِابْن طَيفُور : ١١٨ ، وَلَكنَّه نَسب الأَبيَات إِلىٰ زَوجَة يَزيد بن هُبَيرة المُحَاربِي أَوّل أَمِير وَلِّي اليَمَامة لِعَبد المَلك بن مَروان فَتَزَوّج اَمْرَأَة مِن وِلد طِلبة بن قَيس بن عَاصم المَنْقَري ، فَقَالت هَذِه الأَبيَات .

لِلبْسُ عَبَاءَة وَتَقَرّ عَيْنِي ... أَحَبّ إِليَّ مِن لِبس الشُّفُوف

وَبَيْت تَخْفق الأَرْوَاح فِيهِ أَحَبّ إليَّ مِن قَصرٍ مُنِيف

وَأيضاً لمَاذَا يَشْتَرِي الإِنْسَان بِأغلىٰ ثَمن لَوحَة فَنِّية وَيُعلقها فِي غُرفَته ؟ ثُمَّ هَل آشتَهَان مَن آشتَهَان مِن الْعُلَمَاء بِأروَاحِهم دِفَاعاً عَن آرَائِهم أو أَموَالِهم ؟ وَهل البَاعِث لِشُهدَاء الْعَقِيدَة عَلىٰ الشَّهَادَة الْمَال وَالإِقْتصَاد أو الدِّين وَالمَبدأ ؟ وَلِمَاذا يَتزَوّج الإِنْسَان وَيُنتج العِيَال وَيَتحَمل المَشاق ؟ هَل يَفعَل ذَلِكَ لِكَسب المَال أو لإِنفَاقه ؟ وَلِمَاذا يَحرق البُوذي نَفْسه فِي فِيتنَام طَوعاً وَآختِيَاراً ؟ هَل أَحرَقها آحتِجَاجاً عَلىٰ الظُّلم أو طَمعَاً بِالمَال ؟ . . . إلىٰ مَا لاَ نهَايَة .

وَبَعد، فَإنَّ الإِنْسَان مَادَة وَرُوح، وَلِكُلٍّ عَمَله وَآثَاره، وَالإِنْسَان الكَامِل مِن حَفَظ التَّوَازن بَيْنَ الاثْنَيْن .

١٩٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ» .

● كُلّ العُقَلاَء يَبذلُون الْمَال مِن أَجل الْعِلْم، وَإذْن فَمن خَسِر جُزءاً مِن مَالِهِ، وَأَخَذ مِن هَذِه الخَسَارَة دَرسَاً نَافِعاً، وَآستفَاد تَجْرِبَة وَبَصِيرَة ـ فَقَد رَبحت تِجَارَته، وَهل الْعِلْم إلَّا تَجْرُبة الْحيَاة، وَمَوعِظة الزَّمن، وَعِبْرَة الأَيَّام ؟ .

١٩٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الأَبْدَانُ، فَٱبْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ» .

● الْمُرَاد بِالحِكْمَة هُنا كُلّ حَلاَل يُذهب التَّعب وَالمَلَل عَن قَلبك وَرُوحك فَنِّياً

⟵ وَبَيْت تَخْفق الأَرْوَاح فِيهِ أَحَبّ إليَّ مِن قَصرٍ مُنِيف
وَكَلب يَنْبَح الطُّرق عَني أَحَبّ إليَّ مِن هِرٍ أَلوف

كَان أَمْ طَبِيعِياً . . . وَكُلّ إنْسَان فِي حَاجَة إلىٰ جَدِيد وَمُتْعَة يُشعر مَعَهَا نِعْمَة الْحَيَاة.

وَالدُّنْيَا العَرِيضة زَاخِرَة بِالطَّيبَات الَّتِي أَحَلَّهَا الله لِعبَاده، فَلِمَاذَا لاَ نَعِيشَها وَنُمَارِسها إنْ تَهيأت لنَا الأَسبَاب ؟. وَلَو فِي وَقتِ الضِّيق. وَقَبح الله القَلْب المُغْلَق المُتَزَمت.

وَبَعد، فَإنَّ عُلَمَاء النَّفس فِي عَصر العِلْم يُدَاوون مَرضَاهُم بِهَذا الدَّوَاء الَّذي وَصَفه الإِمَام مُنذ عَهدٍ بَعِيد.

١٩٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام : (لَمَّا سَمِعَ قَوْلَ الْخَوَارِجِ) : «لَا حُكْمَ إِلَّا للهِ» : كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ »).

● الْمُرَاد بِكَلِمَة الْحَقّ «لَا حُكْمَ إِلَّا للهِ» وَهِي تَعبِير ثَانٍ عَن قَوْلَه تَعَالىٰ: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[1]، وَلَكن الْخَوَارِج استَدلوا بِقَول الله عَلىٰ تَبرِير مَعْصِيَة الله الَّذي قَالَ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2] وَالإِمَام مِن أُولِي الأَمْر، وَالْخَوَارِج مَرَقوا مِن الدِّين لأَنَّهم عَصوا الإِمَام وَأَفْسَدوا فِي الأَرْض. وَثَبُت عَن الرَّسُول صلى الله عليه وآله بِالتَّوَاتر أَنَّه وَصَف الْخَوَارِج بقَوْلَه: «يَمْرُقُون مِن الدِّين كَمَا يَمْرُق السَّهم مِن الرَّمِيَة»[3]. وَفِي الْخُطْبَة (٤٠) ذَكَر الإِمَام قَول الْخَوَارِج، وَرَدّ عَلَيْهِ بِمَنْطِق الدِّين وَالْعَقْل، وَشَرحنَا ذَلِكَ مُفَصَّلاً، وَتَكَلمنَا عَن الْخَوَارِج بِمَا فِيهِ الكفَايَة.

١٩٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام : فِي صِفَةِ الْغَوْغَاءِ: «هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا غَلَبُوا، وَ إِذَا تَفَرَّقُوا

---

(١) يُوسُف: ٦٧.

(٢) النِّسَاء: ٥٩.

(٣) أُنظر، كَنْز العُمَّال: ١١ / ٢٠٨، وَسَبق وَإنْ أَشرنَا إلَيْهِ مُفَصَّلاً.

لَمْ يُعْرَفُوا».

وَقِيلَ: بَلْ قَالَ ﷺ: «هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا ضَرُّوا، وَ إِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا.

فَقِيلَ: قَدْ عَرَفْنَا مَضَرَّةَ اجْتِمَاعِهِمْ، فَمَا مَنْفَعَةُ افْتِرَاقِهِمْ؟

فَقَالَ ﷺ: يَرْجِعُ أَصْحَابُ الْمِهَنِ إِلَىٰ مِهْنَتِهِمْ، فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ، كَرُجُوعِ الْبَنَّاءِ إِلَىٰ بِنَائِهِ، وَ النَّسَّاجِ إِلَىٰ مَنْسَجِهِ، وَ الْخَبَّازِ إِلَىٰ مَخْبَزِهِ».

● فِي ٱلرِّسَالَة (٥٣) تَحَدث الإِمَام عَن الفِئَة الأَكثَر عَدداً، وَأَطلَق عَلَيْهِم كَلِمَة العَامَّة تَارَةً، وَالطَّبَقَة السُّفلىٰ أُخرىٰ، وَأَوصىٰ بِهِمْ الوِلاَة وَالمُوظَفِين، وَقَالَ مِن جُملَة مَا قَالَ: «إِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَىٰ الْعَامَّةِ... وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ، وَجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الأُمَّةِ... ثُمَّ اللهَ اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَىٰ مِنَ الَّذِينَ لاَ حِيلَةَ لَهُمْ». فَالجَماهِير فِي نَظر الإِمَام هُم العُنصر البَشري الَّذي يَتكَون مِنْهُم الوَطن وَيُوجد، وَبِهِمْ يَتمثَل الدِّين، وَيَبرز إِلىٰ عَالم الخَارج مُجسَّماً مَلمُوساً لهُ أَثره وَأَعماله، وَأَيضاً هُم العَدد وَالقُوَّة ضِدّ أَعْدَاء الدِّين وَالوَطن، وَمن هُنا وَجَبت رِعَايتهُم وَالعِنَاية بِهْم، وَتَقديم مَصلَحتهم عَلىٰ مصَالح كُلّ الفِئَات حتَّىٰ رِجَال الْعِلْم وَالدِّين... وَهَذا غَايَة المَديح.

هَذَا مَا قَاله الإِمَام عَن الجمَاهِير حِين نَظَر إِلَيهم مِن خِلاَل مَصلَحة الدِّين وَالوَطن، أَمَّا وَصفه لَهُم هُنا بِالضَّرر فَهُوَ بِٱعتبَار إِجْتمَاع طَائِفَة مِنْهُم لِسَبب أو لآخر، وَٱندفَاعهم مَع العَاطِفَة بِلا تَدخل عَقل وَرُوية. وَلَيْسَ مِن شَكٍّ أَنَّهُم فِي هَذِه الحَال اللاَشعُورِية يَضرُون وَلاَ يَنْفعُون، وَيَتعصبُون وَلاَ يَنْصِفُون، بِخَاصَّة إِذا كَان بَيْنَهم أَفرَاد مِن اللُّصوص السَّفَلة وَالمُجرِمين القَتَلة.

(الْغَوْغَاءِ) وَهُم النَّاس المُنْحَطُون، أَو الخَلِيط مِن هُنا وَهُنَاك[1] (إِذَا ٱجْتَمَعُوا غَلَبُوا) لأنَّ الاِجْتَمَاع قُوَّة بِنَفسه، وَمَاذا سَيطَر عَلَيْهِ الحمَاس وَعَاطفة الجَهْل ٱزدَادت قُوَّته أَضعَافاً. (وَإِذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرَفُوا) لِخمُول ذِكرهُم، وَخُفوت صوتِهم.

وَالجُملَة الثَّانِيَة فَسرَها الإِمَام بِأوضَح بَيَان.

١٩٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «وَ أُتِيَ بِجَانٍ وَ مَعَهُ غَوْغَاءُ، فَقَالَ: «لَا مَرْحَباً بِوُجُوهٍ لَا تُرَىٰ إِلَّا عِنْدَ كُلِّ سَوْأَةٍ».

● السَّوْأَة: الخَلَّة أو الفِعْلَة القَبِيحَة، وَلَا مَرْحَباً نُصب عَلىٰ المَصْدَر. وَالسِّر فِي أنَّ السَّوَاد يَجْتَمعُون عِند الأَسوَاء وَالمُفَاجآت هُو حُبّ الإِطِّلَاع فإِنَّه غَرِيزَة فِي العَالِمِ وَالجَاهِل، وَالعَالِم يُشْبع غَرِيزَته هَذِه بِالقرَاءَة وَالمُطَالعة وَالتَّجرُبَة وَالتَّفكِير، أَمَّا الجَاهِل فَيُشبِعها بِالنَّظرِ، وَالتَّفَرج عَلىٰ مَا يُصَادفه مِن أَحدَاث.

(١) كَان الحَسَن إِذَا ذَكَر الغَوْغاء وَأَهْل السُّوق قَالَ: قَتَلَة الأَنْبِيَاء؛ وَكَان يُقَال: العَامَّة كَالبَحر إِذَا هَاج أَهْلَكَ رَاكِبه. وَقَالَ بَعضهُم: لاَ تَسبُّوا الغَوْغَاء فإنَّهم يُطفِئون الحَرِيق، وَيُنقِذُون الغَرِيق، وَيُسدُّون البُثوق.

وَقَالَ شَيخَنَا أَبو عُثْمَان: الغَاغَة، وَالبَاغَة، والحَاكَة كَأنَّهم أعذَارُ عَامٍ وَاحد، أَلا تَرىٰ أَنَّك لاَ تَجد أَبَداً فِي كُلِّ بَلدةٍ وَفِي كُلِّ عَصرٍ هَؤُلاَء إِلاَّ بِمقدَارٍ وَاحد وَجِهَةٍ وَاحِدة مِن السُّخْفِ، وَالنَّقْصِ، وَالخمُول، وَالغبَاوة؛ وَكَان المَأمُون يَقول: كُلّ شَرّ وَظُلْم فِي العَالم فَهُوَ صَادرٌ عَن العَامَّة وَالغَوْغَاء، لأنَّهم قَتَلَة الأَنْبِيَاء وَالمُغْرُون بَيْن العُلَمَاء، وَالنَّمَامُون بَيْن الأَوِدَّاء، وَمِنْهُم اللُّصوص، وَقُطَّاع الطَّرِيق، وَالطَّرَّارُون، وَالمحتَالُون وَالسَّاعون إِلىٰ السُّلطان. فَإِذَا كَان يَوْم القِيَامة حُشِروا عَلىٰ عَادَتِهم فِي السِّعَايَة فَقَالُوا: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾. ٱلأَحْزَاب: ٦٨.

أُنظر، كَنز العُمَّال: ٤/٤٨٧ ح ١١٤٥٤، التَّأريخ الصَّغِير لِلبُخَاري: ١/١١٥، مُسْنَد الإِمَام الرِّضَا: ١/٣٠٣، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبي الحَدِيد: ١٩/١٨، أَمَالي الطُّوسي: ٦١٣، بِحَار الأَنْوَار: ١/١٩٥ ح ١٧، طَبَقَات المُحَدثِين: ٢/٣٢ ح ١٠٥، ذَيل تَأريخ بَغدَاد: ٤/١٤١، سِير أَعلاَم النُّبلاء: ١٢/١٩٨.

٢٠٠ ـ وَ قَالَ ﷺ : «إِنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ ، فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلَّيَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَهُ ، وَ إِنَّ الْأَجَلَ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ » .

● الجُنَّة ـ بِضَم الجِيم الوِقَايَة . وَالحَدِيث عَن المَلاَئِكَة حَدِيث عَن الْغَيْب ، وَقَد أَثبَت الْقُرْآن الكَرِيم أَنَّ عَلىٰ عِبَاد الله مِن المَلاَئِكَة كِرَاماً حَافِظِين كَاتِبِين كَمَا فِي الآيَة : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[1] وَكَمَا يَكُون الْعِلْم بِالحِس وَالْعَقْل يَكُون بِالوَحي ، وَالشَّرط فِيهِ أَنْ لاَ يُضَادّ الْعَقْل فِيمَا يُخبر عَنْهُ ، لاَ أَنْ يَسْتَقِل الْعَقْل بِإِدْرَاكه وَإِلاّ كَان الوَحي لَغواً وَعَبثاً . . . وَالعَقْل لاَ يَسْتَوعب كُلّ شَيء ، بَل يَعْجز عَن إِدْرَاك الكَثِير مِن الحَقَائِق .

وَالله سُبْحَانَه مَصْدَر الوجُود وَالْعِلْم والحَيَاة ، وَقَد أَخْبَر عَن الحَافِظِين الكَاتِبِين مِن مَلاَئِكَتِه ، وَالْعَقْل لاَ يَأْبَىٰ وَلاَ يَعْتَرِض ، فَوَجب التَّصدِيق .

٢٠١ ـ وَ قَالَ ﷺ : وَ قَدْ قَالَ لَهُ طَلْحَةُ وَ الزُّبَيْرُ : نُبَايِعُكَ عَلَىٰ أَنَّا شُرَكَاؤُكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ ؛ فَقَالَ :

لَا : وَ لَكِنَّكُمَا شَرِيكَانِ فِي الْقُوَّةِ وَ الِاسْتِعَانَةِ ، وَ عَوْنَانِ عَلَىٰ الْعَجْزِ وَ الْأَوَدِ » .

● الأَوَد : الثِّقل . طَلَب طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ مِن الإِمَام أَنْ تَقُوم خِلاَفة الْمُسْلِمِين عَلىٰ ثَلاَثَة أَقَانِيم : الإِمَام وَهُمَا ! . . . وَطَبِيعِي أَنْ يَرفُض الإِمَام ، لأَنَّ ذَلِك بِدْعَة فِي الإِسْلاَم ، وَدَاعِيَة لِلفَسَاد فِي الأَرْض . وَفِي كتَاب «الأَحْكَام السُّلْطَانِيَّة» : «لاَ يَجُوز

(١) الإِنفِطَار : ١٠ ـ ١٢.

عَقد الإِمَامَة لاثنَيْن»[١]. وَفِي «أُصول الكَافِي»: «بِسَندِه عَن الحُسِين آبن أَبِي العَلاَء عَن الإِمَام الصَّادق عليه السلام: «قُلت لأَبِي عَبدالله عليه السلام: تَكُون الأَرْض لَيْس فِيهَا إِمَام؟ قَالَ: لاَ، قُلتُ: يَكُون إِمَامَان؟ قَالَ: لاَ، إِلَّا وَأَحدهُما صَامِت»[٢]. وَقَال لَهُما الإِمَام عليه السلام: «أَسْتَعِين بِكُما عَلىٰ إِحقَاق الحَقّ، وَالعَمَل لِمَصلَحَة الإِسْلاَم وَالمُسْلِمِين، وَإِنْ عَجزْتُ عَن القِيَام بوَاجب الخِلاَفَة كُنْتُمَا لِي رَفداً وَعوناً، فَأَبيا إِلَّا السُّلْطَان. وَتَقَدَّم مُفصَّلاً فِي الخُطْبَة (٢٠٥).

٢٠٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاس، اتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ، وَ إِنْ أَضْمَرْتُمْ عَلِمَ، وَبَادِرُوا الْمَوْتَ الَّذِي إِنْ هَرَبْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، وَ إِنْ أَقَمْتُمْ أَخَذَكُمْ، وَ إِنْ نَسِيتُمُوهُ ذَكَرَكُمْ».

● (وَ إِنْ أَضْمَرْتُمْ عَلِمَ) لأَنَّه عَلِيم (وَبَادِرُوا الْمَوْتَ) آستَعِدُوا لهُ بِالتَّقْوَىٰ وَالعَمَل الصَّالِح (إِنْ هَرَبْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ) وَإِنْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ (وَ إِنْ نَسِيتُمُوهُ ذَكَرَكُمْ) لأَنَّه لاَ يَنْسىٰ أَحَداً.

٢٠٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «لَا يُزَهِّدَنَّكَ فِي الْمَعْرُوفِ مَنْ لَا يَشْكُرُهُ لَكَ، فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَسْتَمْتِعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ. وَ قَدْ تُدْرِكُ مِنْ شُكْرِ الشَّاكِرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَضَاعَ الْكَافِرُ، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾»[٣].

(١) أُنظر، الأَحكَام السُّلطَانِيّة: ٧. (مِنْهُ رحمه الله).
(٢) أُنظر، أُصول الكَافِيّ: ١/١٨٧، بَاب الأَرْض لاَ تَخلو مِن حُجَّة. (مِنْهُ رحمه الله).
(٣) آلِ عِمْرَانَ: ١٣٤.

● المُرَاد بالْكَافِر هُنا نَاكِر الجَمِيل وَالْمَعرُوف الَّذي أُسدي إِلَيْهِ، وَبِالشَّاكِر مِن يَسْتَحسن الْحَسَن لِذَاتِهِ حَتَّىٰ وَلَو صَدر مِن عَدوِّه، وَالْمَعْنَىٰ: إِصْنَع الْمَعْرُوف لأَنَّه مَعْرُوف أو طَلَباً لِمَرضَاة الله، وَإِنْ أَبيت إلاّ أَنْ تَتَقَاضىٰ عَلَيْهِ مَدْحَاً وَثنَاء فَإِنَّك وَاجِد لِسَاناً مِن الطَّيِبِين يَشكُرك وَيَذكُرك حَتَّىٰ وَلو كَفَر بِنعمَتك وَفَضلك مَن أَنْعمت عَلَيْهِ وَتفَضلت.

٢٠٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «كُلُّ وِعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا وِعَاءَ الْعِلْمِ، فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ بِهِ».

● وِعَاء الْعِلْم: الْعَقْل، وَهُو يَقْوىٰ وَتَتَسع آفَاقه بِالعِلم، وَكُلَّما اكْتَشف سِرَّاً بَدَت لهُ مِن خِلاَله أَسرَار، وَهَذِه بِدَورها تَتَكَشف عَن حَقَائِق وَأَسرَار... وَهَكَذَا دَوَالَيْكَ إِلىٰ مَا لاَ نِهَايَة. وَعَلينا أَنْ لاَ نَنسىٰ أَنَّ الْعِلْم الَّذي يَنْتَهي بِنا إِلىٰ الكَشف وَالاِخْترَاع هُو المَقرُون بِالتَّجرِبة وَالعَمَل، وَلَيْسَ «القَول المُؤَلّف مِن قَضَايا يَلزِمَه لذَاته قَول آخَر» لأَنَّ القَول لَفظ وَحُروف، وَالْعِلْم عَمَل، وَلاَ عِلم بِلا عَمَل أو مَا يُمَهد لهُ وَيَفْتَح الأَسْمَاع، والأَبْصَار، وَالأَفْئِدَة نَحوه، وَسُبْحَان الَّذي قَالَ: ﴿ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[1]. وَلَم يَقُل تَكَلمُوا فَسَيسمَع الله كَلاَمكُم.

٢٠٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «أَوَّلُ عِوَضِ الْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَىٰ الْجَاهِلِ».

(١) ٱلتَّوبَة: ١٠٥.

● إِذَا تَجَرَأَ سَفِيه عَلَيْكَ، وَأَعْرَضت عَنْهُ كَان النَّاس أَنْصَاراً وَظَهِيراً لَك عَلَيْهِ. وَفِي الحَدِيث: «مَنْ لاَ يَصْبِر عَلَىٰ جَفَاء الخَلق لاَ يَصل إِلىٰ رِضىٰ الله تَعَالىٰ، لأَنَّ رِضَىٰ الله مَشُوب بِجَفَاء الخُلق»[١]. وَسَبق الكَلاَم عَن الحِلْمِ فِي الحِكْمَة (٣٠ و ١١٢). وَيأتي أَيضاً.

٢٠٦ ـ وَ قَالَ ﷺ: «إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيماً فَتَحَلَّمْ؛ فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ».

● التَّصَنُّع هُنا وَالتَّكلُّف حَسَن وَمَمْدُوح. وَمَع التِّكرَار تَنْشأ العَادَة وَتَنمُو، وَهِي طَبِيعَة ثَانِيَة.

٢٠٧ ـ وَ قَالَ ﷺ: «مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَبِحَ، وَ مَنْ غَفَلَ عَنْهَا خَسِرَ، وَ مَنْ خَافَ أَمِنَ، وَمَنِ اعْتَبَرَ أَبْصَرَ، وَ مَنْ أَبْصَرَ فَهِمَ، وَ مَنْ فَهِمَ عَلِمَ».

● مَنْ لاَ يَثق بِنَفسه وَلاَ يَطلُق لهَا العِنَان، وَيَضع قَاعِدَة لِمُيُولها وَرَغبَاتها حَتَّىٰ إِذَا غَفلت أَو شَذّت لاَمَها وَأَنّبها، مَن فَعَل هَذَا نَجَح وَرَبِح، مَا فِي ذَلِكَ رَيب، وَمَن أَطْلَق لهَا العِنَان فَمآله إِلىٰ الوَبَال وَالخُسرَان (وَ مَنْ خَافَ أَمِنَ) مَن صَدَق يَقِينه خَاف مِنْهُ، وَمَن خَاف عَمَل بِطَاعَته وَطَاعَة رَسُوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٢].

(وَمَنِ ٱعْتَبَرَ أَبْصَرَ) مَن ٱنتفَع بِالعِبَر وَالعِظَات أَدرَك العوَاقب (وَ مَنْ أَبْصَرَ فَهِمَ، وَ

---

(١) أُنظر، مصبَاح الشَّرِيعة: ١١٥، مُستَدرك الوَسَائِل: ١١/٢٨٩ ح ١٢، بِحَار الأَنْوَار: ٦٨/٤٢٢.
(٢) ٱلأَحزَاب: ٧١.

مَنْ فَهِمَ عَلِمَ) مَن كَان لهُ وَعي وَفَهم، وَسَمع مِن الأُستَاذ وَفكر فِيمَا سَمع وَقرأ آستطَاع أنْ يُميز بَيْنَ الخَطأ وَالصَّواب، وَأنْ يُؤيد وَيُفنّد عَلىٰ أَسَاسٍ مِن المَنْطِق، وَلهُ كُلّ الحَقّ فِي أنْ يَرفُض مَا لاَ يَنْتَفع بِهِ حَتَّىٰ بِأُسلُوب أَدبِي أو فَلْسَفِي، أمَّا مَن يَحفظ الأَرقَام وَالمُعَادلاَت عَن ظَهر قَلْب بِلا فَهْم وَعِلم فَهُوَ بِالاِسطوَانَة أشبَه. وَقَدِيماً قِيل: «الْعِلْم بِلا تَفْكِير أَكْثَر خُطورَة مِن تَفْكِير بِلا عِلم»[1].

٢٠٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَىٰ وَلَدِهَا، وَتَلَا عَقِيبَ ذَلِكَ: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[2].

● تَعْطف: تَميل وَتَلين، وَالشُمُوس وَالشِّماس: النُّفور وَالتَّمرد، وَالضَّرُوس: النَّاقَة تَعض حَالبها... يَقول الإِمَام: «تَنكرَت الدُّنْيَا لأَهل الْبَيْت، وَلكنّهَا سَتَقبل عَلَيْهم وَلَو بَعد حِين...»[3]، وَمَا أَشَار الإِمَام مِن قَرِيب أو بَعِيد إِلىٰ نَوع هَذا الإِقبَال: هَل هُو الحُكم وَالسُّطان كَمَا فَهِم الشَّارحُون، أو شَيء آخر كَمَا فَهِمنا نَحنُ؟

وَيَتَلخص مَا فَهِمنَاه بِأنَّ دَولة الأُمويين وَالعبَاسيين سَتُنَّكل وَتَفعل فِعْلها بِأَهل الْبَيْت، ثُمَّ تَزول وَتَهدأ الحَال، وَعِندئذٍ يُعلَن الحُبّ وَالوَلاَء لأَهْل الْبَيْت، وَيَنْتَشر مَع علُومهم وَفَضائِلهم فِي شَرق الأَرْض وَغَربها... وَلَيْسَ مِن شَكٍّ أَنَّ هَذِه الرِّفعَة

---

(١) أنظر، مجمع الأمثال: ٢٥٨/٢/١.

(٢) القَصص: ٥.

(٣) وفيه يقول أبو مالك الخزاعي، كمَا جَاء فِي مقَاتِل الطَّالِبِين: ١١٦.

تَنكّرَت الدُّنيَا خِلاَف ابن جَعفَر   عَلِيّ وَوَلي طِيبهَا وَسرُورهَا

وَالوَجَاهة فِي الْحَيَاة الدُّنْيَا هِي مِن أَفْضَل النِّعَم وَأَكملها، وَقَد مَنَّ بِها سُبْحَانَه عَلىٰ سَيِّد المُرسَلِين بقَوْلَه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[1]. وَقَالَ: جَلَّت كَلِمته، عَن عِيسىٰ عليه السلام: ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾[2].

٢٠٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «اتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ مَنْ شَمَّرَ تَجْرِيداً، وَ جَدَّ تَشْمِيراً، وَ كَمَّشَ فِي مَهَلٍ، وَ بَادَرَ عَنْ وَجَلٍ، وَ نَظَرَ فِي كَرَّةِ الْمَوْئِلِ، وَ عَاقِبَةِ الْمَصْدَرِ، وَ مَغَبَّةِ الْمَرْجِعِ».

● (مَنْ شَمَّرَ) كِنَايَة عَن الجِدِّ وَالْإِسرَاع إِلىٰ مَغْفِرة الله وَرِضوَانه (تَجْرِيداً) أي تَجَردُوا لِلحَقِّ وَحْدَه (وَ جَدَّ تَشْمِيراً) عَطف تَفْسِير (وَكَمَّشَ فِي مَهَلٍ) بَالَغ فِي السِّير إِلىٰ صَالِح الأَعمَال فِي مُهْلَة الْعُمُر وَمُدته (وَ بَادَرَ عَنْ وَجَلٍ) ذَهَب إِلىٰ رَبِّهِ خَائِفاً مِن عَذَابه بِرغُم جِدِّه فِي طَلَب مَرضَاته (وَ نَظَرَ فِي كَرَّةِ الْمَوْئِلِ) وَهُو المَقَر الأَخِيْر، أمَّا الكَرَّة فَالذِّهاب إِلىٰ هَذا المَقر، وَالنَّظرَة الْعَمل لهُ (وَ عَاقِبَةِ الْمَصْدَر) وَالْمُرَاد بِالْمَصْدَر هُنا العَمَل الصَّادر عَن المُتَقي، وَعَاقِبَته الأَجْر وَالثَّوَاب (وَ مَغَبَّةِ الْمَرْجِعِ) وَهُو المَقر الأَخيْر، وَمَغبَته مَا يَنَالهُ جَزَاءً عَلىٰ عَمَله.

٢١٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «الْجُودُ حَارِسُ الْأَعْرَاضِ، وَ الْحِلْمُ فِدَامُ السَّفِيهِ، وَ الْعَفْوُ زَكَاةُ الظَّفَرِ، وَ السُّلُوُّ عِوَضُكَ مِمَّنْ غَدَرَ، وَ الِاسْتِشَارَةُ عَيْنُ الْهِدَايَةِ.
وَ قَدْ خَاطَرَ مَنِ اسْتَغْنَىٰ بِرَأْيِهِ، وَ الصَّبْرُ يُنَاضِلُ الْحِدْثَانَ، وَ الْجَزَعُ مِنْ أَعْوَانِ

---

(١) اَلشَّرْح: ٤.
(٢) آلِ عِمْرَانَ: ٤٥.

الزَّمَانِ، وَ أَشْرَفُ الْغِنَىٰ تَرْكُ الْمُنَىٰ.

وَكَمْ مِنْ عَقْلٍ أَسِيرٍ تَحْتَ هَوَىٰ أَمِيرٍ! وَ مِنَ التَّوْفِيقِ حِفْظُ التَّجْرِبَةِ، وَ الْمَوَدَّةُ قَرَابَةٌ مُسْتَفَادَةٌ، وَ لاَ تَأْمَنَنَّ مَلُولًا».

● (الْجُودُ حَارِسُ الأَعْرَاضِ) مَن جَادَ بِمَاله عَلَىٰ النَّاس كَفَّ أَلْسِنَتهم عَن ذَمه، وَيَكفِي أَنْ لاَ يَصدق وَيَنطَبق عَلَيْهِ مَا قِيل فِي ذَم الْبَخِيل فِي كتَاب الله تَعَالىٰ، وَعَلىٰ لِسَان المُرسَلِين وَالنَّاس مِن الأَوَّلِين وَالآخرِين، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1] (وَ الْحِلْمُ فِدَامُ السَّفِيهِ) الفِدَامُ ـ بِكَسر الفَاء ـ مَا يُسد بِهِ الفَم، وَمَن حُلم عَن السَّفِيه فَقَد لَجَم فَاه عَمَّا هُو أَدهىٰ، وَأَمَرّ. وَفِي بَعْض النُّسخ العِلم بَدل الحِلْم، وَهُو خَطأ (وَ الْعَفْوُ زَكَاةُ الظَّفَرِ). وَمِثله فِي ٱلْحِكْمَة السَّابِقَة «إِذَا قَدَرْتَ عَلَىٰ عَدُوِّكَ فَٱجْعَلِ الْعَفْوَ عَنْهُ شُكْراً لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ»[2]، وَمُنذ قَلِيل تَكلمنا عَن الْعَفْو فِي ٱلْحِكْمَة (١٩٣) (وَ السُّلُوُّ عِوَضُكَ مِمَّنْ غَدَرَ) تَجَاهل مَن خَان، أو غَدَر بِكَ، وَٱجْعَل السَّلو عَنْهُ جَزَاء خِيَانته وَغَدره، وَلاَ تَزْعج قَلْبَك بِالتَّفكِير فِي أَمرِهِ وَشَأنه.

(وَ الاِسْتِشَارَةُ عَيْنُ الْهِدَايَةِ) لأَنَّه مُشَارَكة الرِّجَال فِي عقُولها، كَمَا قَالَ فِي ٱلْحِكْمَة السَّابِقَة: «وَمَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا»[3]، (وَ الصَّبْرُ يُنَاضِلُ الْحِدْثَانَ) بِكَسر الحَاء أي نوَائِب الدَّهر، وَلاَ دَاء لَهَا إِلّا التَّجلد وَالتَّعقُل، أَمَّا الجَزَع فَيزِيدهَا

(١) ٱلبَقَرة: ٢٦٨.

(٢) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (١٠). (مِنهُ ﷺ).

(٣) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (١٦٠). (مِنهُ ﷺ).

أَضْعَافاً، وَسَبق الكَلاَم عَن ذَلِكَ فِي شَرح ٱلْحِكْمَة السَّابِقَة: «مَنْ لَمْ يُنْجِهِ الصَّبْرُ أَهْلَكَهُ الْجَزَعُ»[١]، (وَ أَشْرَفُ الْغِنَىٰ تَرْكُ الْمُنَىٰ) تَقَدَّم بِالحَرف الوَاحد فِي ٱلْحِكْمَة السَّابِقَة: «أَشْرَفُ الْغِنَىٰ تَرْكُ الْمُنَىٰ»[٢].

(وَكَمْ مِنْ عَقْلٍ أَسِيرٍ تَحْتَ هَوَىٰ أَمِيرٍ!). أَمِير صِفَة لِهَوَىٰ. وَالمَفرُوض ـ بِحَسب الأُصول ـ أَنْ يَكُون الْعَقْل هُو الْحَاكِم الآسِر، وَالْهَوَىٰ هُو الْمَحْكُوم الأَسِير، وَلَكِنَّ الآيَة عَلىٰ العَكس فِي أَكْثَر النَّاس، وَعقُوْلهُم أَسرىٰ لأَهوَائِهم.

وَأَغرَب مَا قَرَأت فِي هَذَا البَاب القِصَّة التَّالِيَة:

قَالَ ٱبن خِلْكَان فِي «وَفِيَات الأَعْيَان» تَرجَمَة القَاضي أَبِي يُوسُف صَاحِب أَبِي حَنِيفَة: «إِنَّ هَارُون الرَّشِيد أَحَبَّ جَارِيَة عِيسىٰ بن جَعْفر، فَسَأله هِبَتها لهُ، أو بَيْعَها فَأَبىٰ، وَقَالَ: بِالطَّلاَقِ، وَالعِتَاقِ، وَصَدقة جَمِيع مَا أَملك إِنْ بِعتها أو وَهبتها، فَطَلب الرَّشِيد مِن أَبِي يُوسُف، أنْ يُوجد لهُ حَلاً شَرعِياً لِهَذِه المُعْضِلَة. فَقَالَ أَبو يُوسُف لِعيسىٰ: هِبْه نِصْفها، وَلاَ حَنث فِي ذَلِكَ، لأَنَّك مَا بِعْتَها كلّها وَلاَ وَهَبْتَها كلّها.

فَفَعل عِيسىٰ، وَحُمِلَت الجَارِية إِلىٰ الرَّشِيد، وَهُو فِي مَجلِسه، فَقَال الرَّشِيد لأَبِي يُوسُف بَقِيَت وَاحدة. قَالَ: وَمَا هِي؟ قَالَ: هِي جَارِية وَلاَ بُدَّ أَنْ تَسْتَبرىء وَإِذَا لَم أَبت مَعَهَا لِيلي هَذَا خَرَجَت نَفْسي. قَالَ أَبُو يُوسُف: أَعْتِقها فَتَصبَح حُرَّة، وَٱعقد عَلَيْهَا بَعد العِتق فَإِنَّ الحُرَّة لاَ تَسْتَبرىء، فَأَعتقها الرَّشِيد، وَعَقد لهُ عَلَيْهَا أَبُو يُوسُف، وَقَبَض مِئَتي أَلف... كُلّ ذَلِكَ حَدَث فِي سَاعَة وَاحِدَة، وَقَبل أَنْ يَقُوم

---

(١) أنظر، نَهج ٱلْبَلاَغَة: ٱلْحِكْمَة (١٨٨). (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أنظر، نَهج ٱلْبَلاَغَة: ٱلْحِكْمَة (٣٤). (مِنْهُ ﷺ).

الرَّشِيد مِن مكَانه!(١).

وَهَكذا مَشَايخ الرِّيَاء، وَقلاَنس السُّوء يُكيفُون الدِّين طِبقاً لأهوَاء مَـن يَـدفَع الثَّمن.

(وَ مِنَ التَّوْفِيقِ حِفْظُ التَّجْرِبَةِ) مِن تَوفِيق الله وَعِـنَايَته بِـالإِنْسَان أَنْ يَـنْجَح فِي تَجَارِبه لاِكتشَاف الحَقِّيقة الَّتي يَنْتَفِعُ النَّاس بِثِمَارها مَدىٰ الأَجيَال، كَالطَّبِيب يَكْتَشف عِقَاراً سِحرِياً لِلقضَاء علىٰ جرثُومَة الدَّاء وَأَسبَابه، وَالعَالِمِ يَخْتَرع آلَة تُقَرّب البَعِيد، وَتُيَسّر العَسِّير... وَلاَ أَشك أَنَّ هَؤُلآء مِن أَحبَاء الله وَأَهْل جِهَاده... كَـيف وَقَـد أَجروا أُلوف التَّجَارب، وَبَذلوا الكَثِير الكَثِير مِن أَروَاحهم وَأَجْسَامهم لِيَعطوا عِبَاد الله، وَعِياله مَا يَنْتَفعُون بِهِ وَيَسعدُون؟ وَنصَرَ الله سِبحَانه وَنَشر دِيناً، قَالَ نَـبيّه:

(١) أنظر، وَفيَات الأَعْيَان: ٢٥٤/٤، (مِنهُ ﷺ). وَتَأريخ بَغدَاد: ٢٥٣/١٤.
وَعِندما أُفضَت الخِلاَفَة بوَاسطة البَيْعَة المَقِيتة، وَولاَية العَهْد السَّقِيمة، أَخذت نَزوَات الرَّشِيد الَّتي غَابَ عَنْهَا القَانُون الشَّرعِي وَالأَخلاَقي تَطفُو عَلىٰ السَّطح. فَقَد وَقَعت فِي نَفْسه جَارِيَة مِن جوَاري المَهديّ فرَاودَها عَنْ نَفْسها فَقَالت لاَ أَصْلُح لَكَ، أَنَّ أَبَاك قَد طَاف بِي، لَكنَّه شغَف بِها، فَأَرسَل إِلىٰ أَبِي يُـوسُف قَـاضِيه الشَّهِير وَالمُلقب بـ «فَقِيه الأَرْض وَقَاضِيها». فَسَأله الرَّشِيد: أَعِندَك فِي هَذَا شَيء؟ وَجَاءه الجوَاب: «إهْتِك حُرمَة أَبِيك، وَأَقض شَهوته، وَصَيره فِي رَقَبتي». أنظر، تَأريخ الخُلفَاء: ٢٩١.
وَكَأن قَاضي القُضَاة صَاحب دُكَانَ أَو بقَالِية عِندما يَسأله الرَّشِيد أَعنَدك شَيء؟ وَمَع الأَسَف الشَّدِيد فِعلاً أَصْبَح قَاضِي القُضَاة صَاحب بقَالِية، وَلكنَّ مَائِدتها مِن المَوَاد المُحَرَّمَة الَّتي لاَ يَجوز التَّكسب بِها؟ وَفِعلاً أَفتىٰ القَاضِي الشَّهِير بِفتوَاه لاِرضَاء شَهوَات الحَاكِم وَالخَلِيفَة، وَصَاحب البَيْعَة، وَولاَية العَهد وَالاِخْتِيار، مِن قِبل أَهْل الحل وَالعقد، وَأَهْل الشُّورَىٰ، و... و... ثُم لَم يَكتَف بِهَذه الرَّشِيد، بَل أَنَّه ذَات مَرّة سَأل قَاضِي القُضَاة: أَنِي اشتَريت جَارِيَة، وَأُرِيد أَنْ أَطأها الآنْ قَبل الاِستبرَاء، فَهَل عِندك حِيلَة؟ قَالَ: نَـعم! تَهَـبها لِبعض وِلدك، ثُم... الله أَكْبَرا هَذَا فَقِيه الأَرْض وَقَاضِيها فَلا تَمنَعه الدَّرَاهم وَالدَّنَانِير مِن أَي فَتوىٰ، وَلاَ بُدَّ لِلرَّشِيد أَنْ يُعجل بِها لهُ قَبل الصُّبح، فَقَالُوا لهُ أَنَّ الخَازن فِي بَيْتِه وَالأَبوَاب مُغلَقه. فَقَال أَبُو يُوسُف: «فَقَد كَانَتْ الأَبوَاب مُغْلَقة حِين دَعَاني فَفُتِحت!!». المَصْدَر السَّابِق: ٢٩٢.

«خَيْرُ النَّاس مَن أَنْتَفَع النَّاس بِهِ»[١].

(وَ الْمَوَدَّةُ قَرَابَةٌ مُسْتَفَادَةٌ) القَرَابَة مَأْخُوذَة مِن القُرب، وَهَذَا القُرب يَكُون طَبِيعِياً كَالنَّسب، وَمُكْتَسباً كَالصَّدَاقَة، وَهِي بِرُغم ذَلِكَ أَقوىٰ مِن النَّسب وَالرّحم، وَأيَة جَدوىٰ فِي قرَابَة مِن غَيْر مَوَدَّة؟ وَهل تَحلُو الحَيَاة بِلا صدَاقة؟ وَهل مِن شَيء أَجْمَل مِن الاِخْلَاص وَالوَفَاء، وَالهَمس وَالاِنْفتَاح؟ (وَ لَا تَأْمَنَنَّ مَلُولًا) لأَنَّ المَلَل آفَة الحَيَاة لاَ الصَّدَاقة فَقط، فَالمَلُول لاَ يَستَقر عَلىٰ حَال مِن القَلق، يُشرق وَيُغرب، وَيَفعَل وَيَترُك، وَيَبتَعد بِلا سَبب مُوجب.

٢١١ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «عُجْبُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَّادِ عَقْلِهِ».

● أَلَدّ أَعدَائك عَلىٰ الإِطْلَاق هُو الَّذي يَحسدك عَلىٰ أي خَيْر تَصِيبه، وَيَسعىٰ جَاهِداً لِيَحول بَيْنك وَبَيْنَه... وَالْعُجْب يَشل الْعَقْل، وَيَحول بَيْنَه وبَيْنَ تَهذِيب النَّفس وَهدَايتها إِلىٰ الخَيْر وَالكَمَال، وَمِن هُنا كَان شَأنه كشَأن الحَاسد مَع المَحْسُود... وَرُبَّما أَخْطَأ سَهم الحَاسد، أَمَّا سَهم الْعُجْب فَلا يُخطىء الْعَقْل أَبَداً. وَفِي هَذَا التَّشبِيه دِقَّة وَعُمق، وَلاَ عَجَب.

٢١٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «أَغْضِ عَلَىٰ الْقَذَىٰ وَ الْأَلَمِ تَرْضَ أَبداً».

● مَصَائِب الدُّنْيَا بِلا نهَايَة، وَسِهَامها مُتتَابِعة مُتوَالِية... فَإِنْ اَستَعظَمت كُلّ شَيء مِن آلاَمها، وَأَقَمت العَزَاء، وَلَبِسْتَ الحِدَاد لِكُلّ أَلَم وَمُصاب ـ قَضَيت العُمُر فِي

---

(١) أُنظر، مُسْتَدرك الوَسَائِل: ٧٨/١٢ ح ٤، الاِخْتِصَاص: ٢٤٣، أَمَالي الصَّدوق: ٢٨ ح ٤، لِسَان المِيزَان: ٣٩٥/٣، التَّدوِين فِي أَخْبَار إِصْفهَان: ٣٠٨/٢.

حَسرَة وَكَآبة، وَعِشْتَ مَدىٰ الْحَيَاة قَرِين الهمُوم وَالأحزَان. وَإِنْ تَمَالكتَ وَتجَاهلت وَصَبرت عَلىٰ مَا لاَ بُدَّ مِنْهُ، تَمَاماً كَمَا لو كَان الصَّبْر سَجِية فِيكَ ـ هَان االأَمْر عَلَيْكَ، وَعِشْتَ مَدىٰ الْحَيَاة رَاضِياً سَاكِناً[(١)].

٢١٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَنْ لاَنَ عُودُهُ كَثُفَتْ أَغْصَانُهُ».

● الشَّجَرَة الغَضَّة اللَّينَة تَكثر أَغْصَانهـا، وَأَوْرَاقها... وَهَكذَا مَن لاَنَ جَـانِبه تَكثر أَصْحَابه، وَالرَّاغبُون فيه. قَالَ سُبْحَانَه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[(٢)].

٢١٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «الْخِلاَفُ يَهْدِمُ الرَّأْيَ».

● لَو يُهْدَم الرَّأي وَكَفىٰ لهَان الخَطْب بَعْض الشَّيء، وَلكنَّ الخِلاَفَ يَهْدم كيَان الأُمَّة، ويُطمَع فِيها كُلّ رَاغِب وَغَاصب... مِئة مِليُون عَرَبِي أو أَكْثَر لاَ يُغْنُون غِنَاء

---

(١) هَذَا نَظِير قَول الشَّاعر كُثَير عَزَّة:

وَمَنْ لَمْ يُغمِّضْ عَينَهُ عَن صَدِيقِهِ ... وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمتْ وَهُو عَاتِبُ
وَمَنْ يَتَتَبَّعْ جَاهِداً كُلَّ عَثْرَة ... يَجِدهَا وَلاَ يَسْلَمْ لَهُ الدَّهرَ صَاحِبُ

أُنظر، الدِّيوَان: ٣٣، شَرح نَهْج البَلاَغَة لِابْن أَبِي الْحَدِيد: ٣٤/١٩، زَاد المَسِير لِابْن الجَوزي: ١٠٢/٢، مُعْجَم الشُّعرَاء: ٣٥٠، الشِّعر وَالشُّعرَاء: ٥١٣/١، البدَاية وَالنِّهَاية: ٢٨٢/٩.

وَقَالَ شَاعِر آخر وَهُو بَشَار، كَمَا جَاء فِي دِيوَانه: ٣٩/١، شَرح نَهْج البَلاَغَة لِابْن أَبِي الحَدِيد: ٣٤/١٩، تَأْرِيخ بَغدَاد: ١١٨/٧، تَأْرِيخ دِمشق: ٢٥٤/٤٨.

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً عَلىٰ القَذىٰ ... ظَمِئْتَ، وَأيُّ النَّاس تَصفُو مشَاربُهُ!

(٢) آلِ عِمْرَانَ: ١٥٩.

عُصْفُور!. وَالسّر خِلاَف الزُّعمَاء وَالقَادَة، وَسرّ خِلاَفها شَهوَة الحُكْم، وَلَذَّة السُّلْطَان يَشْتَرونه مِن عدو الله والإِنْسَانِيَة بِالعمَالَة وَالخِيَانة!... وَلا بُدَّ لِلّيلِ أَنْ يَنْقَضِي وَلاَ بُدَّ لِلشَّعب أَنْ يَنْتَصر»(١).

٢١٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَنْ نَالَ آسْتَطَالَ».

● قَالَ آبن أَبِي آلحَدِيد فِي شَرح النَهْج: ٣٧/١٩، «يَجُوز أَنْ يُرِيد بِهِ: مَنْ أَثْرَىٰ وَنَال مِن الدُّنْيَا حَظّاً آستَطَال عَلىٰ النَّاس».

---

(١) قَالَ آبن أَبِي آلحَدِيد: ١٩/ ٣٦، هَذَا مِثل قَولهعليه السلام: «لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ».
وَيُروىٰ: «لاَ إِمْرَة لِمَنْ لَا يُطَاعُ».
وَفِي أَخْبَار قَصِير وَجَذِيمة: «لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ!».
أنظر، هَذِه القِصَّة فِي الأَخْبَار الطِّوال لِلدِّينوري: ٥٥، وَالأَعلاَم لِلزِّركلي: ١٩٩/٥، بِحَار الأَنْوَار: ٣٢٢/٣٣، تَأرِيخ الطَّبَرِي: ٤٤٥/١، الصِّحاح لِلجوهري: ٧٩٤/٢، وَتَاج العَروس: ١١٣/٤.
وَكَان يُقَال: اللَّجاج يَشحَذ الزِّجَاج، وَيُثِير العَجَاج.
وَقَالَ دُرِيد بن الصِّمّة ـ الشَّاعِر الجَاهِلِي، وَفَارس مِن هوَازن الَّذي قُتل فِي وَقْعَة حُنَيْن.

أَمَرتهُمُ أَمْرِي بِمُنعرَج اللِّوَىٰ   فَلَمْ يَسْتَبِينُوا النُّصْح إِلاَّ ضُحَىٰ الغَدِ
فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُم وَقَد أَرَىٰ   غَوايَتهم وَأَنَّنِي غَيرُ مُهتَدِي

أُنظر، دِيوَان الحَمَاسة: ٣٠٤/٢، بِشَرح التَّبرِيزي، المَجمُوع: ٢٩٥/١٩، المَبسُوط لِلسَّرخسي: ٢٩/١٠، المَحصُول لِلرَّازي: ٣٢/٢، تَأرِيخ دِمشق: ٤١٣/١٨، أَنسَاب الأَشْرَاف: ٣٦٦، تَأرِيخ الطَّبَرِي: ٥٧/٤، السِّير الكَبِير لِلشِّيباني: ٤٢/١، المِعيَار وَالموَازنة: ٩٦، الفصُول فِي الأصُول: ٨١/٢، أُصول السَّرخسي: ١٥/١، مروج الذَّهب: ٤٣/٦، البدَاية وَالنِّهاية: ٣١٧/٧، جوَاهر المطَالب فِي مَناقب الإِمَام عَليّ لِابْن الدِّمَشْقِي: ٣١٧/١.
وَمِن كَلاَم أَفْلاَطُون: اللَّجاج عسر أنطبَاع المَعقُولاَت فِي النَّفس، وَذَلِكَ إِمَّا لِفَرطِ حِدَّةٍ تَكُون فِي الإِنْسَان، وَإمَّا لِغلظ طَبعٍ فَلا يَنْقَاد لِلرَّأي.

وَيَجُوز أَنْ يُرِيد بِهِ: «مَنْ جَادَ ٱسْتَطَال بِجُودِهِ». وَالتَّفْسِير الأَوَّل يَلتَقي مَع قَول مَنْ قَالَ: «إِنَّ أَصْحَاب الأَموَال يَجْعلُون مِن الدَّولة خَادِماً أَمِيناً لِمَصَالِحهم، وَإلاّ بَذَلوا الأَموَال لِحربها وَزَوالها»... وَقَد تَنَبَّه لِذَلِكَ الْفَقِيه الشَّعرَاني ـ الَّذي تُوفِّي سَنَة (٩٧٣ هـ) حَيث قَالَ فِي مِيزَانه، بَاب زَكَاة المَعْدَن: «لِلإِمَام أَنْ يَضع عَلىٰ أَصْحَاب المَعْدَن مَا يَرَاه أَحْسَن لِبَيت المَال، خَوفاً أَنْ يَكثَر مَالهُم فَيَطلبُوا السُّلطة وَيُنفقُوا عَلىٰ العَساكر، وَبِذَلِكَ الْفَسَاد...»[1].

٢١٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ؛ عِلْمُ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ».

● إِذَا أَرَدت أَنْ تَعرف أي إِنْسَان عَلىٰ حَقِيقَته فَٱنظُر إِلَيهِ فِي جَمِيع أَطوَاره وَأدوَاره، رَاقِبهُ عِند غَضَبه وَرِضَاه، وَفَقرَة وَغِنَاه، وَأَيَّام الْفِتَن وَالفُوضىٰ، وَمَوقِفه مِن المُسْتَضْعَفِين الَّذِينَ لاَ عَمّ لَهُم وَلاَ خَال إِلاَّ الحَقّ وَالْعَدْل... وَإِنَّ كَثِيراً مِن الَّذِين عُرفوا بِالصَّلاح أَصْبَحوا لصُوصاً مُجْرِمِين حَيثُ سَنَحت الفُرص وَأَمنُوا الضَّرر، وَبَعْض الْمَعْرُوفِين بِسُوء الأَخْلاَق صَارُوا قُدوَّة الصَّالحِين بَعد أَنْ تَحسَنَت أَوضَاعهم وَأَمنُوا مِن الْفَقْرِ وَالجوُر[2].

---

(١) المِيزَان الكُبْرَىٰ لِلشَعرَاني: بَاب زَكَاة المَعْدَن. (مِنْهُ رحمه الله).

(٢) قِيل قَدِيماً: تَرَىٰ الفِتْيَان كَالنَّخلِ، وَمَا يُدرِيك مَا الدَّخلُ.

أُنظر، مَجْمَع الأَمثَال لِلمَيدَاني: ١/٩١، شَرح النَّهج لاِبن أَبِي ٱلْحَدِيد: ١٩/٣٨، تَأرِيخ دِمشق: ٣٣/٢٦، وَقعَة صِفِّين: ٣٧٣، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ١/١١.

وَتُنسَب هَذِهِ الأَبيَات إِلىٰ النَّجَاشي عِندما بَلَغه أَنَّ مُعَاوِيَة يَتَهدَده، بَعْدَ أَنْ مَدَح الإِمَام عَليّ عليه السلام:

لاَ تَحْمَدنَّ أمرأً حَتَّىٰ تُجَرِّبَهُ ... وَلاَ تَذمَّنَّهُ إِلاَّ بِتَجرِيبِ

٢١٧ ـ وَ قَالَ ﷺ : «حَسَدُ الصَّدِيقِ مِنْ سُقْمِ الْمَوَدَّةِ».

● الحَسُود يَكْرَه النِّعمَة عَلىٰ خَلق الله، وَيُحِبّ زَوَالها عَنْهُم، وَيشمُت بِالْمُصِيبَة، وَيُذِيع الهَفوَات، وَيَخْتَلق الزَّلاَت، وَالصَّدِيق يُحِبّ لِصَدِيقه مَا يُحِبّ لِنَفْسِهِ أو أَكْثَر، وَإذْن فَلا سَبِيل لِلجَمع بَيْنَ الحَسَد وَالصَّدَاقة، وَتَجْتَمع مَع الغِبْطَة. قَالَ رَسُول الله ﷺ : «إنَّ الْمُؤْمِن يَغْبط وَلاَ يَحْسد، وَالْمُنَافِق يَحْسد وَلاَ يَغْبط»[1]، وَالغِبطَة أنْ لاَ

⟸ وَقَالَ الشَّاعِر لَقِيط بن يَعمر الأَيَادي مِن قَصِيدة طَوِيلة ذَكرها ابن الشَّجري فِي مُختَارَاته: ٥/١. أنذَر فِيها قَومه مِن إيَاد بَغز وَكُسرىٰ، وَكَان كَاتِباً فِي دِيوَانه:

مَا زَالَ يَحلُبُ هَذَا الدَّهرَ أَشطُرَهُ ... يَكُون مُتَّبِعاً طَوراً وَمُتَّبَعا
حَتَّىٰ اسْتَمرَّت عَلىٰ شَزْرٍ مَرِيرَتهُ ... مُسْتَحكَم الرَّأي لاَ قَحْماً وَلاَ ضَرَعاً

أُنظر، شَرح النَهج لِابْن أَبِي الحَدِيد: ٢٢٢/٤ و: ٢٣٨/١٨ و: ٣٨/١٩، تَأرِيخ دِمشق: ٢٩٣/٦١، أَمَالِي السَّيِّد المُرتضىٰ: ١٥٤/٣، مُعْجَم مَا اسْتعجم: ٧٤/١.

(١) أُنظر، الكَافِي: ٣٠٧/٢ ح ٧، المَصنُوع: ١٥٦/١، وَسَائِل الشِّيعة: ٣٦٦/١٥ ح ٧، كَشف الخَفَاء: ٣٨٩/٢ ح ٢٦٩٤، تَفسِير القُرطُبي: ٢٥٩/٢٠، سِير أَعلاَم النُّبلاَء: ٤٣٧/٨ و: ٤٢٧/١٦، تَأرِيخ بغداد: ٣٦٦/١٠.

وَقِيلَ لِحَكِيم: مَا الصَّدِيق؟ فَقَالَ: إنْسَان هُو أَنتَ، إلاَّ أَنّه غَيرُك.

وَأَخَذ هَذَا المَعْنىٰ أَبُو الطَّيِّب، كَمَا جَاء فِي دِيوَانه: ٤/١، فَقَالَ:

مَا الخِلُّ إلاَّ مَنْ أَوَدُّ بِقَلْبِهِ ... وَأَرَىٰ بِطَرفٍ لاَ يَرىٰ بِسوَائِهِ

وَمِنْ أَدْعِيَة الحُكَمَاء: اللَّهُمَّ اكْفِنِي بوَائِق الثِّقَات وَاحْفظنِي مِن كَيد الأَصدِقَاء.

وَقَالَ الشَّاعِر:

احْذَرْ عَدُوّك مَرَّة ... وَاحْذَرْ صَدِيقك أَلفَ مَرَّة
فَلرُبمَا انْقَلب الصَّدِيـ ... ـقُ فَكَان أَعْرَف بِالمَضَرَّة

وَقَالَ آخر:

احْذَرْ مَوَدَّة مَاذِقٍ ... شَابَ المَرَارَة بِالحَلاَوة

⟸

تَكرَه وجُود النِّعْمَة عَلىٰ غَيْرك، وَلكنْ تَشْتَهي مِثلها لِنَفسك، وَقَد تُنافِس صَاحبهَا فِي الجِدّ وَالعَمَل لِتَلحَق بِهِ، وَالمُنَافسة فِي الخَيْر خَيْر، قَالَ سُبْحَانَه: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾(1).

٢١٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ».

● الْمَطَامِع دَار لاَ دَواء لهُ، وَنَهمٌ لاَ يَشْبَعه شَيء حَتَّىٰ الكُون بِأرضِهِ وَسَمَائـِهِ، وَلَو مَلَكهُ لِتَمَنىٰ لهُ مَثِيلاً، وَلِلمَثِيل أَمْثَالاً، كَجَهَنم إِذ تَقُول هَل مِـن مَـزِيد. وَتَـقَدَّم الكَلاَم عَن ذَلِكَ فِي ٱلحِكْمَة (١٧٩) «الطَّمَعُ رِقٌّ مُؤَبَّدٌ» لاَ يَتَحَرر الطَّامِع مِن أُسرَه إلاّ بِالْمَوْت.

٢١٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ الْقَضَاءُ عَلَىٰ الثِّقَةِ بِالظَّنِّ».

● إِذَا كُنْتَ عَلىٰ يَقِين مِن أَمَانَة أَمِين، ثُمَّ لاَحَ لَكَ مَا يُـوجب الشَّكّ، أو الظَّـن بِأمَانَتِهِ فَلَيْسَ مِن الإنْصَاف، وَلاَ العِلْم أنْ تَنقض اليَقِين وَتَزِيله بِمُـجَرد الشَّكّ، أو الظَّن، بل بِيَقِين مِثْله. وَٱتَفَق الْعَقْل، وَالشَّرع، وَالْفُقهَاء، وَالعُقلاَء عَلىٰ أنَّ الشَّيء إِذَا ثَبَت ثبُوتاً يَقِينِياً يَبْقىٰ مُسْتَمراً حَتَّىٰ يَـثْبت ٱنـقطَاعه وَزَوَاله ثـبُوتاً يَـقِينِياً تَمَـامَاً

﴾ يُحْصِي الذُّنُوب عَـلَيكَ أيَّا ... مَ الصَّـداقَـةِ لِـلعَدَاوة

أُنظر، كَنْز الفَوَائِد: ٣٧، نَهج السَّعَادة: ٤١٦/٧، شَرح النَهج لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ٣٩/١٩، يَتِيمَة الدَّهر لِلثَّعَالِبي: ١٠٩/٣، العِبَر: ٢١/٣، تَأرِيخ الإسْلاَم: ٤٦/٤، النُّجوم الزَّاهِرَة: ١٦٣/٤، شَذَرَات الذَّهب: ١٠٣/٣.

(1) ٱلْمُطَفِّفِين: ٢٦.

كَوجُوده. وَأَبلغ مَا جَاء فِي هَذَا البَاب قَول الإِمَام جَعْفَر الصَّادِق: «لا يُنْقَض اليَقِين بِالشَّكّ، وَلا يَدخُل الشَّكّ فِي اليَقِين، وَلاَ يَخلط أَحدهمَا بِالآخر، وَلَكِنْ يُنقَض الشَّكّ بِاليَقِين، وَيَتم عَلىٰ اليَقِين فَيَبني عَلَيْهِ، وَلاَ يَعْتَد بِالشَّكّ فِي حَالٍ مِن الحَالاَت»[1].

٢٢٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «بِئْسَ الزَّادُ إِلَىٰ الْمَعَادِ، الْعُدْوَانُ عَلَىٰ الْعِبَادِ».

● كُلّ الذُّنُوب يُرجىٰ أَنْ يَغفرها الله إِلَّا الظُّلم وَالشِّرك حَتَّىٰ الشِّرك، يُغْفَر بِٱلتَّوْبَةِ، أَمَّا الظُّلم فَلاَ غُفرَان لهُ وَإِنْ تَاب الظَّالم وَنَدِم إِلَّا إِذَا رَضي المَظْلُوم وَسَامَح... وَلِفَضَاعة الظُّلم كَان لِتَركه عِند الله أَثَر لَيْسَ لِسوَاه مِن تَرْك أي مُحرَّم مِن المُحرَّمَات، لِلكَرِيم حَسَنَات، فَقَد ثَبَت بِالنَّص عَن رَسُول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ أَصْبَح وَهُو لاَ يَهم بِظُلم أَحدٍ غَفَر الله مَا اَجْتَرَم»[2].

(١) أنظر، الكَافِي: ٣/٣٥١ ح ٣، وَسَائِل الشِّيعَة: ٥/٣٢٣ ح ٣، الإِستبصَار: ١/٣٧٣ ح ١٤١٦، مُنْتَهَىٰ المَطلَب: ١/٤١٦، الحَدَائِق النَّاضِرة: ١/١٤٣، مَجْمَع الفَائِدة: ٣/١٨٣، الوَافِية لِلفَاضل التُّوني: ٢٠٦، تَهذِيب الأَحْكَام: ٢/١٨٦ ح ٧٤٠.

(٢) أنظر شَرح ٱلحِكْمَة (١٨٧). (مِنْهُ ﷺ). وَالكَافِي: ٢/٣٣٢ ح ٨ و ٢١، الجَامع الصَّغِير: ٢/٥٧٢ ح ٨٤٥١، كَنز العُمَّال: ٣/ ٥٠٤ ح ٧٦٣٠، تَأرِيخ دِمشق: ٥٣/٢٧٣ ح ٦٤٦٢، رَوضة الوَاعِظِين: ٤٦٧، لِسَان المِيزَان: ٤/٢٧٢ ح ٧٦٥.

كَانَ يُقَال: عَجَباً لِمَن عُومل فَأَنْصف، إِذَا عَامَلَ كَيف يَظلِم! وَأَعْجَب مِنْهُ: مَن عُومل فَظُلِم إِذَا عَامَل كَيف يَظلِم!

وَكَان يُقَال: العَدوّ عَدوَّان: عَدوٌّ ظَلَمته، وَعَدوٌّ ظَلَمك. فَإِنْ ٱضْطَرَك الدَّهرُ إِلىٰ أَحدهُمَا فَٱستَعن بِالَّذِي ظَلَمك، فَإِنَّ الآخَر مَوْتُور.

أنظر، شَرح النَّهج لِابن أَبِي ٱلحَدِيد: ١٩/٤٣.

٢٢١ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «مِنْ أَشْرَفِ أَعْمَالِ الْكَرِيمِ غَفْلَتُهُ عَمَّا يَعْلَمُ».

● لِلكَرِيم حَسَنَات، مِنْهَا التَّوَاضع لِمَن هُو دُونه، وَالحِلْم عَنْ السَّفِيه، وَأَفْضَلها تَجَاهل عِيُوب النَّاس الَّتي يَجُوز تَجاهلها، وَالتَّرفع عَنْ ذِكْرها وَنَشرها[1].

٢٢٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ، لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ».

● الحَيَاء مِن فِعل مَا يُشِين ـ فَضِيلة تَشْفَع عِند النَّاس لِبَعض الرَّذَائِل، أَمَّا الحَيَاء مِنْ فِعل مَا يُزين كَالسُّؤال عَنْ أُمور الدِّين، وَالعَيش بِكدّ اليَمِين ـ، فَهُوَ مَذمُوم، وَإِنْ آستَحسَنه أَهْل الجَهْل، وَتَقَدَّم الكَلاَم عَن الحَيَاء مَرَّات، مِنْهَا فِي شَرح ٱلحِكْمَة (٢٠ و ٢٢٢)[2].

---

(١) كَانَ يُقَال: التَّغافُل مِن السُّؤدُد، وَقَالَ أَبُو تَمَّام فِي الدِّيوَان: ١/٩٣.

لَـيْسَ الغَـبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَـومِهِ ... لَكِـنَّ سَـيِّدَ قَـومِهِ المُـتَغَابِي

وَقَالَ طَاهِرُ بن الحُسين بن مُصْعَب:

وَيَكفِيك مِن قَـومٍ شَـوَاهِدُ أَمرِهِمْ ... فَخُذ صَفوَهمْ قَـبل آمْتِحَان الضَّمَائِـر
فَإِنَّ آمتِحَانَ القَومِ يُـوحِش مِـنْهُم ... وَمَـالكَ إِلاَّ مَـا تَـرَىٰ فِي الظَّـوَاهِـرِ
وَإِنَّك إِنْ كَشَّــفْتَ لَم تَـر مُخْـلِصاً ... وَأَبدَىٰ لَك التَّجرِيبُ خـبْثَ السَّرَائِـر

وَكَان يُقَال: بَعْض التَّغَافل فَضِيلة، وَتَمَام الجُود الإِمْسَاك عَن ذِكر المَوَاهب، وَمِن الكَرم أَنْ تَصفَح عَن التَّوبِيخ، وَأَنْ تَلْتَمس سِتْر هَتك الكَرِيم.

أُنظر، شَرح النَّهج لإِبْن أَبِي الحَدِيد: ١٩/٤٤، كَشف الخَفَاء: ٢/٦٠، البُرهَان لِلزَّركلي: ١/٣١٦.

(٢) كَانَ يُقَال: «الحَيَاء تَمَام الكَرَم، وَالحِلْم تَمَام العَقل». أُنظر، عُيُون الحِكَم وَالمَوَاعظ: ٢٣، غُـرر الحِكَـم: (١٣٤٠)، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِإبْن أَبِي ٱلحَدِيد: ١٩/٤٥.

وَقَالَ بَعْض ٱلحُكَمَاء: «الحَيَاء آنقِبَاض النَّفس عَن القَبَائِح، وَهُو مِن خَصَائص الإِنْسَان، لأَنَّه لاَ يُوجَد

⇔

↔ فِي الفَرس وَالْغَنَم وَالبَقر، فَهُو كَالضّحك الَّذي يَخْتَصّ بِهِ نَوع الإِنْسَان، وَأَوّل مَا يَظْهَر مِن قُوّة الفَهم فِي الصِّبيَان الْحَيَاء، وَقَد جَعَله الله تَعَالىٰ فِي الإِنْسَان لِيَرتَدِع بِهِ عمَّا تَنْزَع إِليهِ نَفْسه مِن القَبِيح، فَلاَ يَكُون كَالبَهِيمَة، وَهُو خُلُقٌ مُرَكّب مِن جُبْنٍ وَعِفَّةٍ، وَلِذَلِك لاَ يَكُون المُسْتَحي فَاسِقاً، وَلاَ الْفَاسِق مُسْتَحِياً، لِتَنَافي إِجْتمَاع العِفَّة وَالفِسْق، وَقَلّما يَكُون الشّجَاع مُسْتَحياً وَالمُسْتَحي شُجاعاً لِتَنَافي إِجْتمَاع الجُبْن وَالشّجَاعة، وَلِعِزّة وجُودِ ذَلِكَ مَا يَجْمَع الشُّعراء بَيْن المَدح بِالشَّجَاعة وَالمَدْح بِالحَيَاءِ نَحو قَول القَائِل: أُنظر، شَرح نَهْج البَلاَغَة لِابْن أَبِي الْحَدِيد: ٤٥/١٩ و: ٤٦، بِحَار الأَنْوَار: ٣٧١/٦٧ ح ١٧ و: ٣٢٩/٦٨ ح ١، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٢٨٨/٢ ح ١٧٢٩ و: ٥٦٦/٣ ح ٣٨٦١، مُفردَات غَرِيب القُرآن: ١٤٠.

يَجْرِي الْحَيَاءُ الغَضُّ مِن قَسَمَاتِهِمْ ... فِي حِين يَجْرِي مِن أَكُفِّهِم الدَّمُ

وَقَالَ آخر:

كَرِيمٌ يَغُضُّ الطَّرفَ فَضلُ حَيائِه ... وَيَدْنُو وَأَطْرَاف الرِّمَاح دَوانِ

وَمَتىٰ قَصَد بِهِ الإِنقبَاض فَهُوَ مَدحٌ لِلصِبيَان دُون المَشَايِخ، وَمَتىٰ قُصِد بِهِ تَرك القَبِيح فَهُوَ مَدْح لِكُلّ أَحد، وَبِالإِعْتِبَار الأَوَّل قِيل: الْحَيَاء بِالأَفاضِل قَبِيح، وَبالإِعْتِبَار الثَّانِي وَرَد: إِنَّ الله لِيَستَحيي مِن ذِي شَيْبَة فِي الإِسلاَم أَنْ يُعَذِّبه، أي يُترك تَعْذِيبه وَيستَقبح لِكَرمه ذَلِكَ.

أُنظر، شَرح نَهْج البَلاَغَة لِابْن أَبِي الْحَدِيد: ٤٦/١٩، المُعْجَم الأَوسط: ٢٧٠/٥، مُسْنَد الشَّامِيين: ٢٦٩/٢.

وَأَمَّا كَيف يَكْتَسب الحَيَاء، فَمِن حَقّ الإِنْسَان إِذَا هَمَّ بِقَبِيح أَنْ يَتصوَّر أَجل مِن نَفْسِه أَنَّه يَراه، فَإِنَّ الإِنْسَان يَستَحيي بِمَن يَكبرُ فِي نَفْسِه أَنْ يَطَّلع عَلىٰ عَيْبَه وَلِذَلِك لاَ يَسْتَحيي مِن الحيوَان غَيْر النَّاطق، وَلاَ مِن الأَطْفَال الَّذين لاَ يُمَيِّزُون، وَيَستَحيي مِن العَالِم أَكْثَر مِمَّا يَسْتَحيي مِن الجَاهل وَمِن الجمَاعَة أَكْثَر مِمَّا يَسْتَحيي مِن الوَاحد، وَالَّذين يَسْتَحيي الإِنْسَانُ مِنْهُم ثَلاثَة: البَشَر، وَنَفسُه، وَالله تَعَالىٰ؛ أَمَّا البَشر فَهُم أَكْثَر مَن يَستَحيي مِنْهُ الإِنْسَان فِي غَالب النَّاس، ثُمَّ نَفسه، ثُمَّ خَالقه، وَذَلِكَ لِقِلَّة تَوفِيقه وَسُوء اخْتيَاره.

أُنظر، شَرح نَهْج البَلاَغَة لِابْن أَبِي الْحَدِيد: ٤٧/١٩، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٤٥١/٥.

وَاعلَم أَنَّ مَن اسْتحيَا مِن النَّاس وَلَم يَستَحي مِن نَفْسه فَنَفْسه عِنْدَه أَخسّ مِن غَيْره، وَمِن اسْتحيَا مِنْهُما وَلَم يَستَحي مِن الله تَعَالىٰ فَلَيس عَارِفاً، لأَنَّه لَو كَان عَارِفاً بِالله لَمَا اسْتحيا مِن المَخلُوق دُون الخَالِق، أَلا تَرىٰ أَنَّ الإِنْسَان لاَ بُدَّ أَنْ يَسْتَحيي مِن الَّذي يعظمه وَيَعلم أَنَّه يَرَاه أَو يَسْمَع بِخَبَرِه فَيُبكِّته، وَمن لاَ يَعرف ↔

٢٢٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «بِكَثْرَةِ الصَّمْتِ تَكُونُ الْهَيْبَةُ، وَ بِالنَّصَفَةِ يَكْثُرُ الْمُوَاصِلُونَ، وَبِالْإِفْضَالِ تَعْظُمُ الْأَقْدَارُ، وَ بِالتَّوَاضُعِ تَتِمُّ النِّعْمَةُ، وَ بِٱحْتِمَالِ الْمُؤَنِ يَجِبُ السُّؤْدُدُ، وَ بِالسِّيرَةِ الْعَادِلَةِ يُقْهَرُ الْمُنَاوِئُ، وَ بِالْحِلْمِ عَنِ السَّفِيهِ تَكْثُرُ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِ».

● إِذَا جَمَعتك الصّدَف بِمَن تَجْهَل حَقِيقَته وَكَفاءته فَإِنَّك تَحْتَاط وَتَتحفظ فِي حَدِيثك أَمَامَه مَا دَام سَاكِتاً خِشيَة أَنْ يَكُون مِن أَهْل الوَعي وَالمَعْرِفَة فَيَنتَقد وَيُلاَحظ... حَتَّىٰ يَتَكَلم فَتعامله بِمَا هُو أَهْل. هَذَا مُرَاد الْإِمَام مِن الْهَيْبَة هُنا، وَقَد تَكُون الْهَيْبَة بِالكَلاَم، كَمَا لَو كَان الْمُتَكلِم عَالِماً عَاقِلاً. وَيَأْتِي قَول الْإِمَام: «تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا فَإِنَّ الْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ»[1] (وَ بِالنَّصَفَةِ يَكْثُرُ الْمُوَاصِلُونَ) النَّصْفَة أَنْ لاَ تَبْخَس النَّاس أَشيَاءهم، وَلاَ تَنْسب جَرِيمَة لِبَرِيء، وَأَنْ تُوجب لِكلّ إِنْسَان مَا أَوجَبَه لَكَ، وَمَن كَان هَذَا شَأنه كَثُر إِخوَانه.

(وَبِالْإِفْضَالِ تَعْظُمُ الْأَقْدَارُ) وَمِثله مَن جَاد سَاد، وَلاَ يَنْحَصر الجُواد وَالْفَضْل

⇐ الله تَعَالىٰ كَيف يَستَعظمه! وَكَيف يَعلَم أَنَّه يَطلع عَلَيْهِ! وَفِي قَول رَسُول الله صلى الله عليه وآله: «أَستَحيوا مِن الله حَقّ الْحَيَاء».

وَسُئل الجُنَيد ـ أَبو القَاسم (ت ٢٩٧ هـ) ـ صُوفِي بَغدَادي، تلمِيذ خَاله السَّريّ السَّقطيّ، صَاحِب الطَّرِيقة الجُنَيدِية المَشهُورة: عَمَّا يَتولَّد مِنهُ الْحَيَاء مِن الله تَعَالىٰ؛ فَقَال: أَنْ يَرىٰ العَبدُ آلآء الله سُبْحَانه وَنِعَمه عَلَيْهِ، وَيَرىٰ تَقصِيره فِي شُكره.

وَقَالَ عليه السلام: «الْحَيَاء شُعبَة مِن الْإِيمَان». أُنظر، الكَافِي: ٢/١٠٦ ح ٥، الأَحكام: ١/٣٤٧ و: ٢/٥٤٧، الإِقناع: ٢/٢٨٠، مُغني الْمُحتاج: ٤/٤٢٧، فَتح المُعِين: ٤/٣١٨، إِعَانة الطَّالبِين: ٤/٣١٨، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلْحَدِيد: ١٩/٤٧، مكَارِم الأَخلاق لِابْن أَبِي الدُّنيَا: ٤٢ ح ١٠١.

وَقَالَ: الْإِيمَان عُرْيَان، وَلِبَاسه التَّقوىٰ، وَزِينَته الْحَيَاء». أُنظر، شَرح الأَخْبَار: ٣/٥١٥ ح ٩٢٧، تَارِيخ دِمشق: ٤٣/٢٤١، أَمَالي الطُّوسي: ٨٤ ح ٣٠، كَنز العُمَّال: ١٢/١٠٥ ح ٣٤٢٠٦ و: ١٣/٦٤٥ ح ٣٧٦٣١.

(١) أُنظر، نَهْج ٱلْبَلاَغَة: ٱلْحِكْمَة (١٤٧ و ٣٩٠).

بِبَذل المَال ، فَكُلّ عَون يُخَفف الهمُوم وَالأَثقَال عَن النَّاس فَهُو فَضل وَإِحْسَان (وَ بِالتَّوَاضُعِ تَتِمُّ النِّعْمَةُ) المُرَاد بِالتَّوَاضُع هُنَا الإنقِيَاد لِلحَقِّ وَالعَمل بِهِ ، وَهُو أَعلَىٰ أَنوَاع الشُّكْر لله ، وَمَن شَكَرَ زَادَه الله مِن فَضلِهِ (وَ بِاحْتِمَالِ المُؤَنِ يَجِبُ السُّؤْدُدُ) مَن حَمَل عَن النَّاس أَثقَاهم حَمَلوه عَلَىٰ رُؤوسِهم ، وَرَأوه أَهلاً لِلسِّيَادة وَالقِيَادة أَيّاً كَان دِينه ، وَلَونه ، وَنَسبه ، وَالَّذي لاَ يَنْتَفِع بِهِ النَّاس يَنْظرُون إِلَيْهِ كَأي كَائِن لاَ يُنْتِج وَيُثمِر ، وَإِنْ مَلأ الدُّنْيَا عِلماً وَفِهماً ، وَتَسَنَّم العرُوش وَالكَرَاسي .. وَإِذا قَابَلُوه بِالاِحْتِرَام فَبِدَافع العَادة أو الرِّيَاء طَمَعاً أو خَوفاً ، بِدَافع الصِّدْق وَالحُبّ .

(وَ بِالسِّيرَةِ العَادِلَةِ يُقْهَرُ المُنَاوِئُ) لاَ سِلاَح أَقوىٰ وَأَمضىٰ فِي حَرب العَدّو مِن حُسن السِّيرَة وَاكتسَاب الفَضَائِل (وَ بِالحِلْمِ عَنِ السَّفِيهِ تَكْثُرُ الأَنْصَارُ عَلَيْهِ) تَقَدَّم شَرحه مُنذ قَلِيل فِي الحِكْمَة السَّابِقَة : «أَوَّلُ عِوَضِ الحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَىٰ الجَاهِلِ»[1] . أَي السَّفِيه .

٢٢٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «العَجَبُ لِغَفْلَةِ الحُسَّادِ ، عَنْ سَلاَمَةِ الأَجْسَادِ» .

● يَتحَاسد النَّاس عَلىٰ المَال دُونَ الصِّحَة ، وَلَيْسَ هَذَا بِعَجِيب وَغَرِيب مَا دَامت الصِّحَة مُتوفِرَة لِلكَثرَة ، بَل لِلأَكثَرِية عَلىٰ عَكْس المَال ، وَإِنّمَا تَعجُب الإِمَام مِن أَمرِ الصَّحِيح السَّلِيم ، كَيف يَحْسد الغَنِيّ عَلىٰ نِعْمَة المَال ، وَيَنْسىٰ نِعْمَة الصِّحَة عَلَيْهِ مَع أَنَّهَا أَثمَن ، وَأَعزَّ مِن المَال ، وَبِهِ يُضَحي مِن أَجلِها ، وَالغَنِيّ المَرِيض يَغبط الفَقِير عَلىٰ صِحَته ، وَلَو خُيّر بَيْنَ الصِّحَة مَع المَرض لآثَر الصِّحَة عَلىٰ الدُّنْيَا بِكَامِلها .

---

(١) أنظر ، نَهج البَلاَغَة : الحِكْمَة (٢٠٥).

٢٢٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «الطَّامِعُ فِي وِثَاقِ الذُّلِّ» .

● وَمِثله فِي ٱلْحِكْمَة (١٧٩) : «الطَّمَعُ رِقٌّ مُؤَبَّدٌ» ، وَسَبَق الشَّرح مُفَصَّلاً ، وَأيضاً تكَلمنَا عَن الطَّمع مُنذ قَلِيل فِي ٱلْحِكْمَة (٢١٨) : «أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ»[1] .

٢٢٦ ـ «وَ سُئِلَ عليه السلام عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ : الْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ ، وَ إِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ» .

● الْإِسْلاَم فِي اللُّغةِ الانْقِيَاد ، وَمِنْهُ قَوْلَه تَعَالىٰ : ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[2] ، وَأَيضاً يُطلق عَلىٰ الإخْلاَص كقَوْلَه عَزَّ مَن قَائِل : ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ

(١) مِن أَمثَال البُحْتريّ قَوله ، كمَا جَاء فِي دِيوَانه : ١٢٧/١ ، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة لِابْـن أَبي ٱلْحَـدِيد : ٩٨/١٦ ، ٥٠/١٩ .

وَاليَأْس إحدَىٰ الرَّاحَتِينِ وَلَنْ تَرىٰ تَـعِباً كَـظَنِّ الخَـائِب المكْـدُودِ

وَكَان يُقَال : «مَا طَمِعتُ إلاَّ وَذَلّت» . وَفِي البَيْت المَشهُور لِمَجْنُون لَيلىٰ (قَيس بن المُلوَّح العَامِري) ، كمَا جَاء فِي دِيوَانه : ١٨٦ .

طَمِعتُ بِـلَيلَىٰ أنْ تَـريعَ وَإِنَّمـا تُقطِّع أَعْنَاق الرِّجَـالِ المَـطَامِعُ

الفَائِق فِي غَريب الْحَدِيث : ٧٤/٢ ، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة لِابْن أَبي ٱلْحَدِيد : ٤١/١٩ و ٥٠ ، مُعجَم البُلدان : ٣٧٩/٤ ، الصِّحَاح : ١٢٢٣/٣ ، لِسَان العَرب : ١٣٨/٨ ، تَاج العَروس : ٤٧٦/٥ .

وَقَالُوا : «عَزَّ مَن قَنِع ، وَذَلَّ مَن طَمِع» .

أنظر ، النِّهايَة فِي غَريب الحَدِيث : ١١٤/٤ ، أُصول الكَافِي : ١٨١/٨ ، مَطلُوب كُلّ طَالب : ٢٤ ، عُيون الحِكَم وَالمواعظ : ٣٦٥ ، لِسَان العَرب : ٢٩٨/٨ ، مَجمَع البَحرين : ٥٥٣/٣ ، تَاج العَروس : ٤٨٦/٥ .

(٢) آل عِمْرَان : ٨٣.

ٱتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[1] . وَالإِسْلاَم فِي إِصْطِلاَح الْفُقَهَاء أَي الَّذِي تُحقَن مَعَه الدِّمَاء، وَتَثبت مَعَه الْمَوَارِيث، وَالْمُنَاكحَات، وَمَا إِلَيْهَا ـ هُو شَهَادة أَنْ لاَ إِله إِلَّا الله مُحَمَّداً رَسُول الله.

أَمَّا الْإِسْلاَم وَاقِعاً وَعِند الله يَوْم يَقُوم الحِسَاب فَهُو الَّذي يَكُون مَعَه الْإِيمَان الَّذي هُو (مَعْرِفَة بِالْقَلْبِ) وَالْمُرَاد بِالمَعْرِفَة هُنا الاِعْتقَاد الجَازِم الْمُطَابق لِلوَاقع سوَاء أَكَان عَن عِلم أَم عَن تَقلِيد، لقَوْلَه تَعَالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[2] . فَالمَطلُوب مِن الْمُؤْمِن الْحَقّ هُو الخُشوع لِذِكر الله، وَالتَّوكل عَلَيْهِ، وَإِقَامة الصَّلاَة، وَإِيتَاء الزَّكَاة وَكَفىٰ، فَإِنْ كَان هَذا عَن عِلمٍ وَبُرهَان فَبِها وَنِعمَت وَإِلَّا تَقبَّل سُبْحَانَه مِن الْمُتَّقِين لأَنَّ الْعِلْم وَسِيلة لاَ غَايَة.

(وَ إِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ) لاَ بُدَّ مِن إِظهَار الإِيمَان بِالقَول تَمَاماً كَالعَمَل، لأَنَّه عِبَادَة لله، وَلِكي يَعْرِف الْمُؤْمِن وَيُعامل بِمَا لهُ مِن الحَقِّ (وَعَمَلٌ بِالأَرْكَانِ) أَي لاَ بُدّ أَنْ يَتَجسم الْإِيمَان بِالعَمل المَحسُوس، وَكُلّ عَمل ثَبَت حُكْمَه بِضَرُورة الدِّين فَهُوَ رُكن للإِيمَان كَوجُوب الجِهَاد، وَالصَّوم، وَالصَّلاَة، وَالحَجّ، وَالزَّكَاة. وَسَبق الكَلاَم عَن الْإِسْلاَم وَالْإِيمَان فِي العَدِيد مِن الْمُنَاسبَات[3] .

---

(١) آلِ عِمْرَانَ: ٢٠.
(٢) ٱلأَنفَالِ: ٢ ـ ٤.
(٣) أنظر، شَرح ٱلحِكْمَة: (٣١). (مِنْهُ ﷺ).

٢٢٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «مَنْ أَصْبَحَ عَلَىٰ الدُّنْيَا حَزِيناً ، فَقَدْ أَصْبَحَ لِقَضَاءِ اللهِ سَاخِطاً.
وَ مَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ ، فَقَدْ أَصْبَحَ يَشْكُو رَبَّهُ.
وَ مَنْ أَتَىٰ غَنِيّاً فَتَوَاضَعَ لَهُ لِغِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ.
وَ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ ؛ فَهُوَ مِمَّنْ كَانَ يَتَّخِذُ آيَاتِ اللهِ هُزُواً.
وَ مَنْ لَهِجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا الْتَاطَ قَلْبُهُ مِنْهَا بِثَلَاثٍ : هَمٍّ لَا يُغِبُّهُ ، وَ حِرْصٍ لَا يَتْرُكُهُ ، وَأَمَلٍ لَا يُدْرِكُهُ».

● (مَنْ أَصْبَحَ عَلَىٰ الدُّنْيَا حَزِيناً فَقَدْ أَصْبَحَ لِقَضَاءِ اللهِ سَاخِطاً ... إلخ). أَي عَلىٰ فوَاتها ، وَالْمَعْنَىٰ أَنَّ مَن جَعل الدُّنْيَا كُلّ همَّه وَاهتمامه فَلا يَسره شَيء إلَّا مَا يَنَاله مِنْهَا ، وَلاَ يُحزنه شَيء إلَّا مَا يَفوته مِن حطَامها ، وَمَعْنَىٰ هَذَا فِي وَاقِعِهِ أنَّه لاَ يَرضىٰ عَن الله إلّا بِأجر الدُّنْيَا يَقبضه سَلفاً ـ فَصَدق عَلَيْهِ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[1] ، (وَ مَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ فَقَدْ أَصْبَحَ يَشْكُو رَبَّهُ ... إلخ). مَن تَحدث عَن مُصَابِهِ لِمُجَرد التَّنفِيس عَن قَلبِهِ وَكَفَىٰ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ، وَمَن تَحَدث عَنْهُ كَنَاقِم عَلىٰ مَا حَلَّ بِهِ فَهُوَ آثِم لأَنَّه يَشكُو وَيَتَظلم مِنْهُ تَعَالىٰ عُلواً كَبِيراً. وَيَأتِي قَول الإِمَام عليه السلام : «مَنْ شَكَا الْحَاجَةَ إِلَىٰ مُؤْمِنٍ ، فَكَأَنَّهُ شَكَاهَا إِلَىٰ اللهِ ؛ وَمَنْ شَكَاهَا إِلَىٰ كَافِرٍ ، فَكَأَنَّمَا شَكَا اللهَ»[2].
(وَ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَهُوَ مِمَّنْ كَانَ يَتَّخِذُ آيَاتِ اللهِ هُزُواً)[3]. فَهُو

(١) ٱلتَّوْبَة : ٥٨.
(٢) أنظر ، شَرح نَهج ٱلْبَلاَغَة : ٱلْحِكْمَة : (٤٢١).
(٣) أنظر ، شَرح ٱلْحِكْمَة : (٤٢٧).

لاَ شَكَّ وَاحِد مِن الَّذِين قَرَأوه لِلتَّسول بِهِ، أو لِلطَّرب وَالتَّغني، أَو لِلهُزء وَالسُّخرِية، لأنَّ الْقُرْآن لُغَة الْعَقْل يُؤْمِن بِهِ وَيَنقَاد لهُ، وَنداء القَلْب يَخْشَع لهُ وَيَطْمَئِن، وَنَجوىٰ الضَّمِير يَنطُق عَنْهُ وَيُعبر، فَمَن قَرَأه جَاداً لاَ هَازِلاً، وَمُتَدبراً لاَ عَابِثاً أَثَر فِيهِ أَثَره، وَدَفَع بِهِ إِلىٰ طَاعَة الله وَمَرضَاته، وَأبتَعد بِهِ عَن غَضَبِهِ وَعذابِهِ.

(وَ مَنْ لَهِجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا الْتَاطَ قَلْبُهُ مِنْهَا بِثَلَاثٍ... إلخ). الْتَاطَ: الْتَصقَ، وَلاَ يُغبُّهُ: لاَ يُفَارِقهُ، مِن بَاب قَوْله ﷺ: «زُرْ غِبّاً تَزدَدْ حُبّاً»[1]، والْمَعْنَىٰ مَنْ جَعَل الدُّنْيَا كُلّ هَمَّه وَأهتَمامه تَرَاكمت عَلَيْهِ مصَائِبها وَمشكلاَتها، وَعَاش فِي حُزنٍ دَائِم عَلىٰ مَا فَات، وَشُغل شَاغِل فِي الحِرْص عَلىٰ مَا نَال، وَأَمل خَادِع كَاذِب دُونه أَلف حِجَاب. وَبَعد، فَإنَّ لِحَدِيث الدُّنْيَا عِند الإِمَام شجُوناً وَفنُوناً.

٢٢٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «كَفَىٰ بِالْقَنَاعَةِ مُلْكاً، وَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ نَعِيماً.
وَ سُئِلَ عليه السلام عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[2]، فَقَالَ: هِيَ الْقَنَاعَةُ.

---

(١) أُنظر صَحِيح أبـن حبَّان: ٣٨٦/٢ ح ٦٢٠، المُسْتَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحَين: ٣٩٠/٣ ح ٥٤٧٧، موَارد الظَّمآن: ١٣٩/١ ح ٥٢٣، المُعْجَم الأَوسط: ٢٤٨/٣ ح ٣٠٥٢، المُعْجَم الكَبِير: ٢١/٤ ح ٣٥٣٥، فَتح البَاري: ٤٩٨/١٠ ح ٥٧٢٩، لِسَان المِيزَان: ١٠١/٣ ح ٣٣٨.

(٢) النَّحْلِ: ٩٧.

لاَ رَيبَ أنَّ الحَيَاة الطَّيبَة هِي حَيَاةُ الغِنيٰ، وَقَد بَيّنّا أنَّ الغنيَّ هُو القَنُوع، لأنّه إذَا كَان الغِنَىٰ عَدمُ الحَاجَة فَأغنَىٰ النَّاس أَقلُّهم حَاجةً إلىٰ النَّاس، وَلذَلِكَ كَان الله تَعالىٰ أَغنَىٰ الأَغنِيَاء، لأنَّه لاَ حَاجَة بِـهِ إلىٰ شَيء، وَعَلىٰ هَذا دَلَّ النَّبيُّ بِقَوله ﷺ: «لَيس الغِنَىٰ بِكَثْرَة العَرَض، إنَّمَا الغِنَىٰ غِنَىٰ النَّفس». أُنظر، صَحِيح البُخَاريّ: ١٧٨/٧، المجَازَات النَّبويَّة: ٢١، صَحِيح مُسْلِم: ١٠٠/٣، أعلاَم الدِّين: ١٥٩، سُنَن أبن مَاجه: ١٣٨٦/٢ ح ٤١٣٧، رَوضَة الوَاعِظِين: ٤٥٦، سُنَن التِّرمِذِي: ١٥/٤ ح ٢٤٧٩، المجمُوع: ٢٧١/١٣، مُسْنَد أحمَد: ٢٤٣/٢، تُحف العُقُول: ٥٧.

↔ وَقَالَ الشَّاعر:

فَمَن أُشْرِبَ الـيَأسَ كَـان الغَـنِيَّ
وَمَنْ أُشْرِبَ الحِرْصَ كَـان الافَـقِيرْ

أُنظر، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغة لِابْن أَبي ٱلْحَدِيد: ١٩/٥٥.

وَقَالَ الشَّاعر:

غِنَىٰ النَّفسِ مَا يَكفِيك مِن سَدَّ خَلَّةٍ
فَإِنْ زَادَ شَيْئاً عَـادَ ذَاكَ الغِـنَىٰ فَـقْرا

أُنظر، فَتح البَاري: ١١/٢٣٢، تُحْفَة الأَحْوَذي: ٧/٣٦، كَنْز الفوَائِد: ٣٥، نَهْـج السَّـعَادة: ٧/٤١٦، كتَاب أَمثَال الحَدِيث لِابن خَلاَد الرَّامهرمزي: ٩٣.

قَالَ بَعْض ٱلْحُكمَاء: المُخَيَّر بَيْن أَنْ يَسْتغنِيَ عَن الْدُّنيَا، وَبَيْن أَنْ يَسْتَغنِيَ بِالدُّنيَا كَالمُخَيَّر بَـيْنَ أَنْ يَكُـون مَالِكاً أَو مَمْلوكاً. أُنظر، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغة لِابْن أَبي ٱلْحَدِيد: ١٩/٥٥.

وَلِهَذَا قَالَ ﷺ: «تَعِسَ عَبدُ الدِّينَار وَالدِّرهَم، تَعِسَ فَلا أَنتَعَش، وَشِيكَ فَلا أَنتَقَش».

وَقِيل لِحَكِيم: لِمَ لاَ تَغْتَمّ؟ قَالَ: لأَنِّي لَم أَتَّخِذ مَا يَغُمُّني فَقْدُه.

أُنظر، صَحِيح البُخَاريّ: ٣/٢٢٣، سُنَن ٱبن مَاجه: ٢/١٣٨٦ ح ٤١٣٦، السُّنَن الكُـبرىٰ: ٩/١٥١، مَجمَع الزَّوائِد: ١٠/٢٤٨، فَتح البَارِي: ٦/٦١، الجُوهَر النَّقي: ١/٢٤٥، المُعْجَم الأَوسَـط: ٣/٩٤، كَـنز العُمَّال: ٣/٢٠٢ ح ٦١٧٠، صَحِيح ٱبن حبَّان: ٨/١٢.

وَقَالَ الشَّاعر:

فَمَـن سَرَّه أَلاَّ يَـرَىٰ مَـا يَسُـوءُه
فَـلاَ يَـتَّخِذْ شَـيْئاً يَخَـافُ لهُ فَـقْدَا

وَقَالَ أَصْحَابُ هَذَا الشَّأْن: القَنَاعَة مِن وَجْهٍ صَبْر، وَمِنْ وَجْهٍ جُود، لأَنَّ الجُودَ ضَرْبَان: جُودٌ بِمَا فِي يَدك مُنْتَزَعاً، وجُودٌ عَمَّا فِي يَدِ غَيْرك مُتورِّعاً، وَذَلِكَ أَشرَفهما، وَلاَ يَحصُل الزُّهد فِي الحَقِيقَةِ إلاَّ لِمَن يَعرف الدُّنْيَا مَا هِيَ، وَيَعرف عِيُوبَها وَآفَاتِها، وَيَعرف الآخِرَة وَأفتقاره إِلَيْهَا، وَلاَ بُدَّ فِي ذَلِكَ مِن العِلْم، أَلاَ تَرَىٰ إِلىٰ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ﴾. ٱلْقَصَص: ٧٩ ـ ٨٠.

↔

● الْغَرَض مِن المُلك اطمِئنَان النَّفس، وَضمَان القُوت، وَالْغِنَىٰ عَن الآخـرِين: وَالْقَنَاعَة تكْفل هَذَا الغَرض وَتحَقُّقه، وأيضاً تَقُود صَاحبها إِلىٰ الرِّضا بِمَا أَعطىٰ الله وَالتَّوكل عَلَيْهِ فِيهِ كُلّ عَمَل وَفِيها لَم يَعط، وَالصَّبْر عَلىٰ مَـا حَـدَث وَيحَـدث مِـن المُفَاجآت وَالمُخبآت. أَمَّا حُسن الخُلق فَهُو نَعِيم فِي الدُّنْيا لأَنَّه كَمَال وَجمَال، وَنَعِيم فِي الآخِرَة لأَنَّه الوَسِيلة لِمَرضَاة الله وَثوَابه.

٢٢٩ ـ وَ قَالَ ﷺ: «شَارِكُوا الَّذِي قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الرِّزْقُ، فَإِنَّهُ أَخْـلَقُ لِـلْغِنَىٰ، وَ أَجْدَرُ بِإِقْبَالِ الْحَظِّ عَلَيْهِ».

● لَيسَ هَذَا أَمراً شَرعِياً، أو عَقْلِياً يَجب امتثَاله وَاتبَاعه مِثل «اتَّـقُوا الله» أو يُستَحب مِثل: «تَصَدَّقوا وَلَو بِشِق تَمْرَة»(١)، أَو قَوْله ﷺ: «اتَّقُوا النَّار وَلَـو بِشِـق تَمْرَة»(٢). وَلاَ هُو حِكَايَة وَانعكَاس عَن الوَاقع مِثل: «وَلَا تكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ، وَقَـدْ

ولأنّ الزّاهد في الدُّنْيا راغبٌ في الآخِرَة وهو يبيعُها بها، كما وَقَالَ الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ....﴾ التَّوبَة: ١١١.

والكيّس لا يَبيعُ عَيْناً بِأَثر، إلاّ إذَا عرَفَهما وعَرَف فَضلَ ما يَبتاعُ علىٰ مَا يَبيع.

أنظر، شَرح نَهج البَلاغَة لِابن أَبي الحَديد: ١٩/ ٥٦، مُفردَات غَريب القُرآن: ١١٦.

(١) أُنظر، الكَافِي: ٤/ ٤ ح ١١، وَسَائِل الشّيعة: ٩/ ٣٧٩ ح ١، الجَامِع الصَّغِير: ١/ ٥٠٨ ح ٣٣٠٥، كَنز العُمّال: ٦/ ٣٤٠ ح ١٥٩٤١، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٣/ ٢٢٦ ح ٣٣٠٥، كَشف الخَفاء: ١/ ٣٠٥ ح ٩٨٢.

(٢) أُنظر، صَحِيح مُسْلِم: ٢/ ٧٠٣ ح ١٠١٦، صَحِيح البُخَاريّ: ٢/ ٥١٢ ح ١٣٤٧، صَحِيح ابن خُزَيمَة: ٤/ ٩٣ ح ٢٤٢٨، صَحِيح ابن حبّان: ٢/ ٢٢٠ ح ٤٧٣، الأَحَادِيث المُختَارة: ٦/ ٦٨ ح ٢٠٤٨، سُنَن التّرمِذي: ٤/ ٥٧٧ ح ٢٣٥٢، سُنَن الدّارمي: ١/ ٤٧٨ ح ١٦٥٧، مَجمَع الزَّوائِد: ٣/ ١٠٥، سُنَن ابن مَاجه: ١/ ٦٦ ح ١٨٥، سُنَن الدَّار قُطني: ٢/ ١٢٥ ح ١٠.

جَعَلَكَ اللهُ حُرّاً»[1]. كَلا، وَإِنَّما هُو مُجرد نَصِيحَة لاَ مَصدَر لهَا سِوىٰ الظَّن مِثل: «سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ...»[2]. مَخَافة أنْ تَضل عَنْهُ أو تُفَاجَأ بِمَا تكـرَه، وَلاَ مِـن يُعِين. وَالْمُرَاد بِالحَظِّ التَّوفِيق مِن الله سُبْحَانَه بِتَمهِيد الطَّرِيق وَالهدَاية إِلَيْهِ بِسَبَبٍ، أو بِآخر.

وَطَرِيف قَول بَعْض الشَّارِحِين: «نَبَّه الإِمَام فِي هَذِه ٱلحِكْمَة العَـالِية إِلىٰ أَصْـل آقتصَادِي كَبِير قَد جَعْلَته الأُمَّم الرَّاقِية وَالشُّعوب المُتَقدمة فِي هَذا العَصر المُشرِق بِالْعِلْم وَالازْدهَار ـ أَسَاسَاً لِحيَاتها، وَبِنَاء مُجْتمعَاتها».

وَمَكَان الْإِمَام مِن الْعِلْم فِي غِنىٰ عَن هَذَا التَّفلسُف وَالتَّكلُّف الَّذي يَشبَه قَول مَن قَالَ: «لَقَد سَنّ الْإِسْلاَم قَانُون البحَار فِي الآيَة: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَـذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَـحْمًا طَـرِيًّا وَتَسْـتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3].

٢٣٠ ـ وَقَالَ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾[4] الْعَدْلُ: الْإِنْصَافُ، وَالْإِحْسَانُ: التَّفَضُّلُ».

● هَذا تَفْسِير لِقَوْلَه تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[5]. وَالْعَدْل أنْ تُنْصِف

---

(١) أُنظر، نَهج ٱلْبلاَغَة: مِن كتَاب لهُ عليه السلام إِلىٰ ٱبنِهِ الْحَسَن عليه السلام رَقم (٣١).

(٢) أُنظر، نَهج ٱلْبلاَغَة: مِن كتَابٍ لهُ عليه السلام تَحتَ رَقم (٣١).

(٣) مِن سُورَة فَاطِرٍ: ١٢.

(٤) ٱلنَّحْلِ: ٩٠.

(٥) ٱلنَّحْلِ: ٩٠.

النَّاس مِن نَفْسك وَتُعَامُلهم بِمَا تُحبّ أَنْ يُعَاملوك بِهِ، وَالإِحْسَان السَّخَاء بِمَا يَنْفَع النَّاس مَالاً كَان أَمْ عَملاً أَمْ كِتَاباً وَخِطَاباً.

وَجَاء فِي التَّفاسِير أَنْ الصَّحَابِي الجَلِيل عُثْمَان بن مَظعُون[١]، قَالَ: «أَسْلَمت أَوَّل مَا أَسْلَمت اَستِحيَاءً مِن رَسُول اللهِ ﷺ، وَمَا قَرَّ الإِسْلاَم فِي قَلبِي حَتَّىٰ نَزَلت هَـٰذِه الآيَة فَآمَنت بِمُحَمَّد ﷺ وَأَتيت عَمَّه أَبَا طَالب فَأَخبَرته، فَقَال: يَا آل قُرَيْش اَتبعُوا مُحَمَّداً تُرشُدوا، فإِنَّه لاَ يَأمر إِلّا بِمَكَارِم الأَخْلاَق»[٢].

٢٣١ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطَ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ».

قَالَ الرَّضِيّ رحمه الله:

وَمَعنىٰ ذَلِكَ أَنَّ مَا يُنْفِقُهُ الْمَرْء مِن مَالِهِ فِي سَبِيلِ الْخَيرِ وَالبِرِّ وَإِنْ كَانَ يَسِيراً فَإِنَّ اللهَ تَعَالىٰ يَجْعَلُ الْجَزَاء عَلَيْهِ عَظِيماً كَثِيراً؛ وَالْيَدَانِ هَاهُنا عِبَارَةٌ عَن النِّعْمَتِينِ فَفَرَق عليه السلام بَيْنَ نِعْمَةِ الْعَبْدِ وَنِعْمَةِ الرَّبِّ تَعَالىٰ ذِكْرُهُ، بِالقَصِيرَةِ وَالطَّوِيلَة، فَجَعَلَ تِلْكَ قَصِيرَةً

---

(١) هُو أَبُو السَّائب عُثْمَانَ بن مَظْعُون بن حَبِيب الجُمَحِيّ القُرَشِيّ، كَان من حُكمَاء العَرَب فِي الجَاهِلِيَّة، وكَان يُحرم الخَمر. أسلَم بَعد ثَلاَثة عَشر رَجُلاً، صَحِب النَّبِيّ ﷺ. هَاجر إِلىٰ الحَبشة مَرتين، وأَرَاد التَّبتل والسِّيَاحة فِي الأَرْض زُهداً بِالحَيَاة فمَنعه رَسُول الله ﷺ، فاتَّخذ بيتاً لِلعِبَادَة، وشَهد بَدْراً مَع النَّبِيّ ﷺ، وتوفِّي بَعدها فِي السَّنَة الثَّانِيَة، وَقِيل فِي السَّنة الثَّالثة من الهِجْرَة، وهو أوّل مَن مَات مِن المُهَاجِرِين وأوّل من دُفن بِالبَقِيع. أُنظر، أُسد الغَابَة: ٣/٣٨٥، الإِصَابَة في تَمييز الصَّحَابَة: ٢/٤٦٤ رقم «٥٤٥٣»، العِبر: ١/٤، تَفسِير الثَّعلبي: ٢/٤١٤، الطَّبقَات الكُبرَىٰ: ٣/٣٩٧، الكَامِل في التَّأرِيخ: ٥/٢٢٦، تَأرِيخ دِمشق: ٥٠/٢٨٩ و: ٥٤/٩٢، مِيزَان الإِعْتِدَال: ٢/٣٥٤، صَفْوة الصَفوة: ١/١٧٨، حِلية الأَوْلِيَاء: ١/١٠٢، تَأرِيخ الخَمِيس: ١/٤١١، سِير أَعلاَم النُّبلاء: ١/١٥٩ و: ٥/٤٨١ و: ١١/١٣١.

(٢) أُنظر، تَفْسِير مَجْمَع الْبَيَان: ٦/١٩٢، بِحَار الأَنْوَار: ١٨/٢٦٩، تَفْسِير نُور الثَّقلين: ٣/٧٨ ح ١٩٥، تَفْسِير المِيزَان: ١٢/٣٤٩.

وَهَذِه طَوِيلَةٌ، لأنَّ نِعَمَ اللهِ أبداً تُضَعَّفُ عَلىٰ نِعَمِ المَخْلُوقِينَ أضْعَافاً كَثِيرَةً؛ إذْ كَانَتْ نِعَمُ اللهِ أصْل النِّعَمِ كلّها فَكُلّ نِعْمَةٍ إلَيْهَا تَرْجِعُ وَمِنْهَا تُنْزَعُ.

● المُرَاد بِالْيَدِ الْقَصِيرَة هُنا عَمل الإنْسَان وَجِهَاده، وَلَيْسَ المُرَاد بِعَطَائِه الصَّدَقَة عَلىٰ المَعوزِين وَكَفىٰ، كَمَا فَهِم الشَّرِيف الرَّضِيّ، وَمَن جَاء بَعدَه مِن الشَّارِحِين، بَل المُرَاد التَّضحِية بِالنَّفسِ، وَالتَّفِيس لِنُصرَة الْحَقّ، والْعَدْل، وَإزهَاق الجَور، وَالبَاطِل، أَمَّا الْيَد الطَّوِيلة فَهِي كِنَايَة عَن عَطَاء الله سُبْحَانَه الَّذي وَصَفه بِقَوْلَه: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾(١). أي غَيْر مَقْطُوع. وَقَد أوضَح، عَظُمَت كَلِمَته، نَوع الأَعمَال الَّتي يُثِيب العِبَادَ عَلَيْهَا بِعَطاء طَوِيل غَيْر مَجْذُود، أَوْضَحه وَبَيَّنه بِقَوْلَه: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(٢).

٢٣٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام لِابْنِهِ الْحَسَنِ عليه السلام: «لَا تَدْعُوَنَّ إِلَىٰ مُبَارَزَةٍ، وَ إِنْ دُعِيتَ إِلَيْهَا فَأَجِبْ؛ فَإِنَّ الدَّاعِيَ إِلَيْهَا بَاغٍ، وَ الْبَاغِيَ مَصْرُوعٌ».

● هَذَا هُو دِين الإسْلاَم، وَهَذِه شَرِيعَته: الْحَرْب بَغي وَعُدْوَان، وَمَن أَثَارَها وَمهّد لَهَا وَلأسبَابها فَهُو عَدو الله وَالْحَيَاة، وَحَرب عَلىٰ الله وَالْحَقّ وَالْخَيْر!... وَمَن صَارَع الْحَقّ صَرَعه وَلَو بَعد حِين كَمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ

(١) هُود: ١٠٨.
(٢) سُورَةُ ٱلصَّفّ: ١١ ـ ١٢.

لِامْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

وَقَالَ ٱبن أَبِي ٱلْحَدِيد: «مَا سَمِعنا أنَّ الإِمَامَ ﷺ دَعَا إِلىٰ مُبَارزة قَطّ، وَإِنَّمَا كَـان يُدعىٰ إِلَيْهَا بِعَيْنه، أَو يَدعو مَن يُبارِز، فَيَخرج إِلَيْهِ فَيقتله، دَعَا بَنو رَبِيعَة بن عَبد شَمس بَني هَاشم إِلىٰ البِرَاز يَوْم بَدر، فَخَرج فقَتَل الوَلِيد... وَدَعا طَـلْحَة بـن أَبي طَلْحَة إِلىٰ البِرَاز يَوْم أُحد، فَخَرج إِلَيْهِ فقَتَله، وَدَعا مَرحب إِلىٰ البِرَاز يَوْم خَـيبر، فَخَرج إِليهِ فقَتَله... أو تُوجَه الدَّعوَة عَلىٰ وَجْه العُمُوم لهُ وَلِغَيره كقَول عَمرُو بـن وَدّ: هَل مِن مُبارز؟ فَبَرز إِلَيْهِ الإِمَام وَأَرداه قَتِيلاً. ثُمَّ نَقَل ٱبن أَبِي ٱلْحَـدِيد قِـصَّة مُبَارَزة الإِمَام لِابْن وَدّ عَن مغَازِي الوَاقدِي، وَسِيرة ٱبن إِسحٰق. وَنَقَل صَـاحب «فَضَائل الْخَمْسَة مِـن الصِّـحَاح السِّـتة» عَـن مُسـتَدرك الصَّـحِيحِين لِـلحَاكـم النِّيسَابوري: ٣/ ٣٢ هـ بِحَيدر آبَاد وَعَن تَأرِيخ بَغدَاد لِلخَطِيب البَغدَادي: ١٣/ ١٩ هـ بِمِصر، نَقَل أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ مُبَارزة عَليّ لِعَمرو بن وَدّ يَـوْم الخَـنْدَق أَفضَل مِن أَعْمَال أُمتي إِلىٰ يَوْم الْقِيَامَة»[2].

---

(١) يُوسُفَ: ٢١.

(٢) رَوَاه الخَطِيب البَغدَادي فِي تَأرِيخه: ١٣/ ١٩ عن إِسْحَاق بن بِشر القُرَشيّ. وذَكره الفَخر الرَّازي فِي تَفْسِيره الْكَبِير: ٣٢/ ٣١، وفِي ذِيل تَفْسِير سُورَة القَدر وَرَد بلفظ: لمُبَارزَة عَليّ ﷺ مَع عَمْرُو بن عَبدودّ أفضَل من عَمل أُمّتي إِلىٰ يَوْم الْقِيَامة. وذَكر ٱبن أَبي ٱلْحَدِيد فِي شَرح النَّهج أيضاً: ١٩/ ٦١ أنّه ﷺ قَالَ حِين بَرَز عَليّ ﷺ لعَمْرُو بن عَبدودّ: بَرَز الإِيمَان كلّه إِلىٰ الشِّرك كلّه. وَقَالَ الإِيجي فِي شَرح المَوَاقف: ٦١٧ قَوله ﷺ: لضَربَة عَليّ يَوْم الْخَندَق أفضَل من عِبَادَة الثَّقلين. وفِي السِّيرَة الحَلَبِية بهَامش السِّيرَة النَّبَوِيَّة: ٢/ ٣٢٠

⇔ قَالَ ﷺ: قَتلُ عَليّ لعَمْرُو بن عبدودّ أفضَل من عِبَادَة الثَّقلِين.

وَقَالَ الفَخر الرّازي فِي نِهَايَة العُقُول فِي دِرَايَة الأُصُول: ١١٤ أنَّه ﷺ قَالَ: لضَربَة عَليّ يَوْم الخَنْدَق أفضَل مِن عِبَادَة الثَّقلين. وذَكر مثله بحار الأنْوَار: ٢٠/٢١٦ و٢٥٨. وَمِثله تَأرِيخ دِمشق تَرجمة الإمَام عَليّ ﷺ: ١/١٥٥، وَفرَائِد السّمطين: ١/٢٥٥ ح ١٩٧، وهَامش تَأرِيخ دمشق: ١٥٥، وَشوَاهد التّنزِيل: ٢/١٤ ح ٦٣٦، وَالمنَاقب للخوَارزمي: ١٦٩ ح ٢٠٢ و ٥٨ الفصل ٩، وآبن شَهرآشوب فِي مَنَاقب آل أبي طالب: ٢/٣٢٦ طَبعَة القري، وَكَشف الغُمّة للإربلي: ١/٢٥٥، وفي السِّيرَة أيضاً: ١/٣٤٩، وَفي كِتَاب المَوَاقف: ٣/٢٧٦، وَهدَاية المُرتاب: ١٤٨، وَكَنز العُمّال: ٦/١٥٨ الطَّبعة الأُولَىٰ، وَالغدير: ٧/٢٠٦ طَبْعَة بَيرُوت، وَشَرح المُختَار قَالَ آبن أبي ٱلْحَدِيد في (٢٣٠) في بَاب قِصَار كَلاَم أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِن نَهْج ٱلْبَلاغَة: ٥/٥١٣ بإضَافة:... تَعدل أعمَال المُهَاجِرين والأنْصَار وَطَاعَاتهم كلّها، وَفِي الدُّر المنثُور: ٥/١٩٢، والبحَار: ٣٩/١.

وهَا هو ﷺ يَقول:... نَشدتكُم الله، أفِيكُم أحدٌ يَوْم عَبر عَمْرُو بن عَبدودّ الخَنْدَق وكَاع عَنهُ جَمِيع النّاس فَقتلَه غَيْرِي؟ قَالُوا: أللّهُمّ لا. (أنظر تَأرِيخ بَغدَاد: ١٣/١٩، مَقتل الحُسَيْن للخوَارزمي: ٤٥، تَلخِيص المُسْتَدرَك: ٣/٣٢). ويَوْم الخَنْدَق لمّا سَكت كلّ منهُم ولَم يُجب طَلب عَمْرُو بن عَبدودّ العَامري. وكَادت تكُون هَزِيمَة نَكراء لَوْ لَم يَنهض بِها عَليّ بن أبِي طالب، وبِهَذا قَالَ ﷺ: بَرَز الإيمَان كلّه إلىٰ الشِّرك كلّه.

وَبِهَذا وذَاكَ تَذهب أدرَاج الرِّيَاح إيرَادَات، وإشكالاَت، وتَبرِيرَات آبن تَيمِية حِين قَالَ كمَا ورَد في السِّيرَة الحَلبِية ومَعَهَا هامش السِّيرَة النَّبوِيَّة: ٢/٣٢٠: إنّها أي ضَربة عَليّ يَوْم الخَنْدَق أفضَل مِن عِبَادَة الثّقلِين ـ مِن الأحَادِيث المَوضُوعة الّتي لَم تَرد فِي شيء من الكُتب الّتي يُعتمد عَليها، وَلا بِسند ضَعِيف، وكَيف يَكُون قَتل كَافر أفضَل من عِبَادَة الثَّقلِين الإنْس والجِنّ ومِنهُم الأنْبِياء؟! ثُمّ قَالَ: بل إنّ عَمْرُو بن عَبدودّ هَذا لَم يُعرف لهُ ذِكر إلاّ فِي هَذِه الغَزْوَة.

والجوَاب نَحْنُ لَسْنَا بِصدد هَذا الكلاَم ومُنَاقشته بل نُورد مَا قَاله العلاّمة بُرهان الدِّين الحلَبِي الشّافعي فِي نَفْس كتَابه السِّيرَة الحَلبِية وفِي نَفْس الجُزء والصَّفحة: إنّ عَمْرُو بن عَبدودّ هَذا لَم يُعرف لهُ ذِكر إلاّ فِي هَذِه الغَزْوَة، قول لَيس لهُ أصل، وكَان عَمْرُو بن عَبدودّ قَد قَاتل يَوْم بَدر حَتّىٰ أثبَتته الجرَاحة فَلم يَشهد يَوْم أُحُد، فلمّا كَان يَوْم الخَنْدَق خَرج معلَماً... وأنّه نَذر لا يمسّ رَأسه دُهناً حَتّىٰ يَقتل مُحَمّد ﷺ... وَقَوله «كَيف يَكُون قَتلُ كَافرٍ أفضَل من عِبَادَة الثَّقلِين» فِيهِ نَظر لأنّ قَتل هَذا كَان فيهِ نُصرة لِلدِّين وخُذلان

⇔

٢٣٣ ـ وَ قَالَ ﷺ : «خِيَارُ خِصَالِ النِّسَاءِ شِرَارُ خِصَالِ الرِّجَالِ : الزَّهْوُ ، وَ الْجُبْنُ ، وَ الْبُخْلُ ؛ فَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مَزْهُوَّةً لَمْ تُمَكِّنْ مِنْ نَفْسِهَا ، وَ إِذَا كَانَتْ بَخِيلَةً حَفِظَتْ مَالَهَا وَ مَالَ بَعْلِهَا ، وَ إِذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرِقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعْرِضُ لَهَا » .

● أَحْسَن مَا فِي ٱلْمَرْأَة عِفَّتها ، وَتَدبِير مَنْزِلها ، وَمُشَارِكتها الرَّجُل فِي الآمه ، وَالتَّعاون مَعْهُ عَلىٰ زَمَانه ... وَالزَّهْو الَّذي يُقْبح فِي الرِّجَال وَيُذَم هُو مَمدُوح وَحُسن فِي ٱلنِّسَاء ، لأنَّه حِصن لِعفَافها كَمَا قَالَ الْإِمَام ، وَبِهِ أَوصىٰ الْقُرْآن الكَرِيم فِي الآيَة : ﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[1] ، وَمِثله الْجُبْن ، فإنَّه يَرْدَع الجبَان وَالجَبَانَة

⇐ الْكَافِرين... وَقَالَ الشَّيخ المُظفر فِي دلاَئل الصِّدق : ٢ / ٤٠٢ : لمُبَارزة عَليّ لعَمْرُو أفضَل من... فكَان هو السَّبب فِي بقَاء الإيمَان وأستمرَاره وهو السَّبب فِي تمكِين المُؤمِنِينَ مِن عِبَادتهم إِلىٰ يَوْم الدِّين. لكنَّ هَذا بِبَركة النَّبيّ الحَميد ودَعوته وجِهاده فِي الدِّين.... وأنظر أيضاً المِعيار وَالموَازنة : ٩١، حيَاة الحَيَوان الكُبْرَىٰ للدّميري : ٢٣٨/١ طَبعة مِصْر عَام ١٣٠٦ هـ. المَطبَعة المُشرفية، عَليّ بن أبي طالب بَقِية النُّبوَّة : ١٤٥ طَبع مِصْر عَام ١٣٨٦ هـ. مَطبَعة السُّنَّة المُحمَّدية، الإمَام عَليّ أسد الله وَرَسُوله : ٢٨ ، الإمَام عَليّ رجل الإِسْلاَم المُخلد لِعَبد المَجيد لُطفي : ٧٥، خَاتم النَّبِيين لمُحمَّد أبو زُهره : ٩٣٨/٢. أنظر ، تَأريخ دمشق لِابن عساكر الشَّافعي : ١ / ١٥٠، السِّيرَة الحَلبِية بهَامش السِّيرَة النَّبويَّة : ٢ / ٣٠٩، كَشف الغُمَّة : ١ / ٢٦٧، أعيَان الشِّيعَة : ١ / ٢٩٢ و٣٩٤، تَأريخ الطَّبري : ٢ / ٢٦٥، و: ٣ / ٢٣٤، و: ٥ / ٢٩ ـ ٣٣، الكَامِل لِابن الأثِير : ٣ / ١٧٨، دَائرة المَعَارف الإِسْلاَمية الشِّيعِية : ١ / ٢٦٢ «مَعركة الخَنْدَق»، السِّيرَة لِابن هُشَام : ٣ / ١٨٤ و١٩٢ و٢٢٥ و٣٢٠ ـ ٣٢٢، مغَازي الوَاقدي : ٢ / ٤٤١ و٤٧٧، الإِرْشَاد للشّيخ المُفيد : ١ / ٩٤، كَشف اليَقِين فِي فَضَائِل أمِير المُؤمِنِين ﷺ : ١٣١، تَأريخ اليَعقوبِي : ٢ / ٥٠ ـ ٥١، إمْتَاع الأسْمَاع لِلمَقْرِيزي : ٢٣٥ و٢٣٦، تفسِير البَغوي المُسمىٰ بمَعَالِم التَّنزِيل : ٣ / ٥٢٣، وأنظر ، الطَّبقَات الكُبْرَىٰ لِابن سَعد : ٢ / ١٧ و١٨.

(١) ٱلأَحْزَاب : ٣٢.

عَمَّا يَجْهَلاَن مِن العوَاقِب، أَمَّا بُخْل ٱلْمَرْأَة فَهُو كَرَم وَسَخَاء عَلىٰ الزَّوج وَالأَولاَد[1]. وَكَان أُستَاذنا طَيَّب الله ثَرَاه وَأَرْضَاه يَقُول: تَسْتَطِيع ٱلْمَرْأَة الفَقِيرَة الَّتِي لاَ تَمْلُك شَيْئاً مِن المَال أَنْ تُعِين الزَّوج بِمَالها... قُلنا لهُ: كَيف يَا أُستَاذ؟ وَأَنَّىٰ لِفَاقد الشَّيء أَنْ يُعْطِيه؟ قَالَ: تَصْبر وَلاَ تُضَايِقه بِكَثْرَة الطَّلب، وَتَحرُص عَلىٰ القَلِيل وَتَشح بِهِ إلّا لِضَرُورَة. «وَخَير أَهْلك مَن كَفَاك»[2]، «وَخَير إخوَانك مَن وَاسَاك، وَخَير مِنْهُ مَن كَفَاك»[3].

٢٣٤ ـ وَقِيلَ لَهُ: صِفْ لَنَا الْعَاقِلَ، فَقَالَ ؑ: «هُوَ الَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ،

---

(١) لَقد أَخَذ هَذَا المَعنىٰ الطُّغْرَائِيُّ ـ مُؤيد الدِّين (١٠٦٣ ـ ١١٢٠)، شَاعر مِن الوزرَاء الكُتَّاب، كَان حَسن الخَط، وِلِد بِأَصْبَهَان، لهُ دِيوَان، أَشْهَر شِعره لاَمِيَّة العَجَم، وَمَطلعها:

أَصَالَة الرَّأي صَانَتْنِي عَن الخَطَل ... وَحُلْيَة الفَضْل زَانَتْنِي لَدىٰ العَطَل

وَقَالَ بِخصُوص هَذَا المَعنىٰ:

الجُودُ وَالإِقْدَامُ فِي فِتْيَانِهِمْ ... وَالبُخْلُ فِي الفَتَيَاتِ وَالإِشْفَاقُ
وَالطَّعنُ فِي الأَحدَاقِ دَأبُ رُمَاتِهِمْ ... وَالرَّامِيَات سِهَامُها الأَحدَاقُ

وَلَهُ أَيضاً:

قَد زَادَ طِيبَ أَحَادِيث الكِرَام بِهَا ... مَا بِالكَرَائِمِ مِن جُبْنٍ وَمن بَخَلِ

وَفِي حِكْمَة أَفْلاَطُون: مِن أَقوىٰ الأَسبَاب فِي مَحبَّة الرَّجل لاِمرَأته وَاتفَاق مَا بَيْنَهما أَنْ يَكُون صوتُها دونَ صَوته بِالطَّبع، وَتَمَيُّزها دوَن تَمَيُّزه، وَقَلبُها أَضْعَف مِن قَلبِه، فَإِذَا زَاد مِن هَذا عِندها شَيء عَلىٰ مَا عِند الرَّجُل تَنَافَرا عَلىٰ مقدَاره.

وَتَقُول: زُهِيَ الرَّجُل عَلينَا فَهُوَ مَزْهُوٌّ، إِذَا ٱفْتَخر. وَكَذَلِك نُخِيَ فَهُو مَنْخُوٌ، مِن النَّخْوَة، وَلاَ يَجُوز زَهَا إِلاَّ فِي لُغَةٍ ضَعِيفَة.

أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لاِبْن أَبِي ٱلحَدِيد: ٦٥/١٩.

(٢) أُنظر، دِستُور مَعَالم الحُكم: ١٤، كَنز العُمَّال: ١٨٢/١٦، تُحف العُقُول: ٦٦، عِيُون الحُكم المَوَاعظ: ٢٤٠.

(٣) أُنظر، غُرَر الحِكَم: (٤٩٨٨ و ٥٠١٤).

فَقِيلَ : فَصِفْ لَنَا الْجَاهِلَ ، فَقَالَ : قَدْ فَعَلْتُ » .

● قَالَ الرَّضِيّ : يَعْنِي أَنَّ الجَاهِلَ هُوَ الَّذي لاَ يَضَعُ الشَّيء مَوَاضِعَهُ ، فَكَأَنَّ تَرْكَ صِفَتِه صِفَةٌ لَهُ ، إذْ كَانَ بِخِلاَف وَصف العَاقِل .

إنَّ تَحدِيد أَحد الضِّدين اللَّذِين لاَ ثَالِث لَهَا كَالْعِلْم ، وَالجَهْل ، وَاللَّيْل ، والنَّهار هُو تَحدِيد لِلآخِرَة بِالمَفهُوم لاَ بِالمَنطُوق ، وَيُسمِيه عُلَمَاء أُصول الفِقه بِمَفهُوم المُخَالَفة ، وَعَرَّفُوه بِدلاَلَة اللَّفظ عَلَىٰ مُخَالَفة حُكم المَسكُوت عَنْهُ لِحُكم المَنطُوق بِهِ مِثل : ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١] . فَالمَنطُوق بِهِ هُنا تَحرِيم مَا ذُبح عَلَىٰ غَيْر ٱسم الله ، وَالمَسكُوت عَنْهُ تَحلِيل مَا ذُبح عَلَىٰ ٱسم الله ، وَلَكنْ دَلَّ عَلَيْهِ اللَّفظ مَفهُوماً لاَ مَنطُوقاً .

أَمَّا مَفهُوم المُوَافقَة فَهُو دِلاَلَة اللَّفظ عَلَىٰ موَافَقة الحُكم المَسكُوت عَنْهُ لِحُكم المَنطُوق بِهِ بِطَرِيق أَوْلَىٰ مِثل : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[٢] ، فإِنَّه يَدل عَلَىٰ تَحرِيم الضَّرب بِالمَفهُوم ، وَهُو موَافق لِحُكم المَنطُوق ، وَمِن هُنا سُمِّي بِمَفهُوم المُوَافقة ، وَذَاكَ بِمَفهُوم المُخَالَفة[٣] .

(١) ٱلْبَقَرَة : ١٧٣ .

(٢) ٱلإِسْرَاء : ٢٣ .

(٣) هَذَا كَمَا قَالَ ٱبن أَبِي ٱلحَدِيد فِي شَرحِهِ لِلنَّهج : ٦٦/١٩ ، وَنَحوه فِي شَرح مِئَة كَلِمَة لابْن مِيثَم البَحرَانِي : ٢٣٥ ، وَبِحَار الأَنْوار : ٢٣٢/٤٠ ، مَجمَع الأَمثَال : ١٩/٢ . هَذَا مِثلُ الكَلاَم الَّذي تَنْسُبه العَرَبُ إِلىٰ الضَّبِّ .

٢٣٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «وَ اللهِ لَدُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَهْوَنُ فِي عَيْنِي مِنْ عُرَاقِ خِنْزِيرٍ فِي يَدِ مَجْذُومٍ».

● قِيلَ فِي مَعْنَىٰ الْعُرَاق: إنَّه عَظم بِلاَ لَحم، وَقِيل: هُو الكَرش... وَمِن الَّذي يَأْكُل كَرِش ٱلْخِنزِير أو عَظمه مِن يَد مُشوهَة بِالجُذَام؟ وَهَل فِي الكَونِ كُلّه أَبْشَع وَأَشْنَع مِن هَذَا الطَّعَام وَاليَد الَّتي تَحْمله؟. هَذِه هِي الدُّنْيَا فِي نَظَر عَليّ قَولاً وَفِعلاً، وَعَاطِفَة وَعَقلاً، وَهَذا هُو وَاقِعها، وَإنْ تَحَلَّت بِالذَّهبِ، وَرَفَلت بِالدِّيبَاج، وَتَعطَّرت بِالعنَبر... وَإذا خُدعتُ بِها أنَا وَغيْرِي مِن طُلابها وَكِلابها فَهل يُخْدَع بِها الْعَقْل السَّلِيم الَّذي خَاطَبه خَالِق الكَون وَخَالِقه: «مَا خَلَقتُ خَلقاً هُو أَحبّ إليّ مِنْكَ، بِكَ آخُذ، وَبِك أُعطِي، وَبِكَ أُثِيب، وَبِكَ أُعَاقب، وَلاَ أَكْمَلتُك إلّا فِيمَن أُحبّ»(١) وَعَليّ هُو الَّذي قَالَ عَنْهُ مَن لاَ يَنطُق إلاَّ بِالوَحي: «يُحِبّ الله وَرَسُوله، وَيُحِبّه الله وَرَسُوله». نَقَل هَذَا الحَدِيث أَصْحَاب الصِّحَاح، وَالسُّنَن(٢).

⇐ قَالُوا: ٱخْتَصَمَت الضَّبُع وَالثَّعلبة إلىٰ الضَّبّ. فَقَالت الضَّبُع: يَا أَبَا الحِسْل إنِّي التقطْتُ تَمْرة، قَالَ: طَيِّباً جَنَيتِ. قَالَت: وَإنَّ هَذَا أَخذها مِنّي؛ قَالَ: حَظَّ نَفْسه أَحْرَز. قَالت: فَإنِّي لَطَمْتُه؛ قَالَ: كَرِيمٌ حَمَىٰ حَقِيقَته، قَالت: فَلَطَمَني، قَالَ: حُرٌّ ٱنْتَصر؛ قَالت: أَقضِ بَيْنَنا. قَالَ: قَد فَعَلتُ.

(١) أنظر، الكَافِي: ١/١٠ ح ١ و ٢٦، المُعْجَم الأَوْسَط: ٧/١٩١، السَّرائِر: ٣/٦٢١، المُعْجَم الكَبِير: ٨/٢٨٣، مُسْنَد زَيد بن عَليّ: ٤٠٩، كَنز العُمّال: ٣/٣٨٣ ح ٧٠٥٧ و ٧٠٥٨، المَحَاسِن: ١/١٩٢ ح ٥ و ٦، كَشف الخَفَاء: ١/٢٣٦، أَمَالي الصَّدوق: ٥٠٤، تَفْسِير الثَّعالِبي: ٥/٤٦٤، وَسَائِل الشِّيعة: ١/٣٩ ح ١، كِتَاب العَقل وَفَضله لأبْن أَبِي الدُّنيا: ٣٩.

(٢) أُنظر، كِتَاب فَضَائِل الخَمْسَة مِن الصِّحَاح السِّتة: ٢/البَاب ٩٦ مِن المَقصَد الثَّاني. (مِنْهُ). وَرَوَاه البُخَاريّ بِشَرح الكِرمَاني: ١٦/٩٨/٣٩٣٥، و: ٥/٢٢ و ٢٣ كِتَاب بَدء الخَلق بَاب مَنَاقِب عَليّ بن أَبِي طَالب، و ١٧١ بَاب غَزوة خَيبر، و ٧٦ كِتَاب المَغَازي، وَعُمدة القَاري فِي شَرح صَحِيح البُخَاريّ ⇐

↔ لِلعَينِي:١٦/ ٢١٦، و: ١٢/ ١٩٠/ ٢٧٤٤، و٢٠٧/ ٢٧٧١، و: ٤/ ٧٣ و٢٠٨ المَناقب طَبعَة مِصر، و ٦٤ كتَاب الجِهَاد وَالسّير بَاب مَا قِيل فِي لوَاء النَّبيّ ﷺ، تَأريخ مَدِينَة دِمشق: ٤٢/ ١٠١، البدَاية وَالنّهاية: ٧/ ٣٧٤، المنَاقب للخوَارزمي: ١٢٥، جَواهر المطَالب فِي مناقب الإمَام عَليّ لِابن الدِّمَشقِي: ١/ ٢١١، خصَائِص أَمِير المُؤمِنين لِلنّسائي: ٦٢، مُسْنَد أحمَد، ١/ ٣٣١، السُّنن الكُبرىٰ: ٥/ ١١٣، ذَخائِر العُقبىٰ: ٨٧.

الصَّوَاعِق المُحْرِقَة: ٨٧، وَالسّيوطي فِي تَأرِيخه: ٦٦، وَمُنْتَخب كَنز العُمَّال هَامش مُسْنَد أَحمد: ٥/ ٣٩، وَمُسْلِم فِي كتَاب الفَضَائِل: ٢/ ٤٤٩/ ٢٤٠٥، و٤٤٨/ ٢٤٠٤، و١٧٣ كتَاب المغَازي بَاب ٤٥/ ١٣٢، و: ٤/ ١٨٧١ و١٨٧٢/ ٣٣، و: ٧/ ١٢١ طَبعة العَامرة بِمصر، و: ٥/ ١٨٩ و١٤٤٠ و١٤٤١ و١٨٧١ طَبعة مُحمّد فؤاد و٣/ ١٤٤٠ طَبعَة آخر.

الكَامِل لِابن الأَثِير: ٢/ ٢١٦، تَذكرة الخوَاصّ: ٣٢ السِّيرَة الحَلبِية بِهامش السِّيرَة النَّبوِيَّة: ٣/ ٣٧ و٨٣، وَفِي السِّيرَةالنَّبوِيَّة بِهَامش السِّيرَة الحلَبِية: ٢/ ١٩٨ و٢٠١، البَيْهقِيّ فِي سُننه: ٦/ ٣٦٢، و: ٩/ ١٠٦ و١٣١.

وَروَاه أَبُو نَعِيم فِي حلية الأَولياء: ١/ ٦٢ و٦٢، وَروَاه أحمَد بن حَنبل فِي مُسْنَده: ١/ ٩٩ و١٣٣ و٣٢٠ و٣٣١، و: ٤/ ٥١، و: ٢/ ٣٨٤ عَن أَبي هُريرة، و: ٥/ ٣٢٢ و٣٣٣ و٣٥٣ بِسَنده عَن بُريدة: ٦/ ٨، و: ٧/ ٢١/ ٤٧٩٧ بِسندٍ صَحِيح طَبعَة دَار المعَارف بِمصر و ٢٥ عَن أبن عبّاس طَبعة دَار المعارف أيضاً.

وَروَاه النّسائي فِي خصَائِصه: ٥ و٦ بِإختلاَفٍ بَسِيط فِي اللَّفظ بِروَاية بُريدة و ٥٥ و٤٣ ح ١١ و٧ و٥٨ و ٦١، ورواه آبن سَعد فِي الطّبقات الكُبرىٰ: ٢/ ٨٠ ق ١ و ١١٠ برواية أَبي هُريرة طَبعة دَار صَادر، وَالاِسْتِيعَاب لِابن عَبدالبرّ: ٢/ ٤٥٠، كَنز العُمَّال لِلمُتقِي الهِندي: ٥/ ٢٨٣ و٢٨٤، و: ٦/ ٣٩٤ و٣٩٥ بإختلاَف بَسيط فِي اللَّفظ، و: ١٥/ ١٠١ ح ٢٩١ الطَّبعة الثَّانِيَة، الرِّياض النّضرة للمُحبّ الطَّبَرِيّ: ٢/ ١٨٥ و١٨٧ و ٢٥٤ الطّبعة الثَّانِيَة و ٢٦٩ برواية آبن عبّاس و ٢٧٠ الطّبعة الثَّانِيَة، وَمُسْنَد الطَّيَالِسِي لأَبِي دَاود: ١٠/ ٣٢٠ بروَاية أَبي هُريرة، وَتَأرِيخ بَغدَاد لِلخَطِيب البَغدَادي: ٨/ ٥، صَحِيح آبن مَاجه: ١٢ بِسَنده عَن عَبدالرّحمن بن أَبي لِيلىٰ، وَبِسنده عن آبن سَالط عَن سَعد بن أَبي وَقاص، و: ١/ ٤٥ ذِيل الحَدِيث ١٢١ و٤٣ ح ١١٧، وَتَأرِيخ الطَّبَري: ٢/ ٣٠٠ بِطَرِيقين بروَاية بُريدة الأسلَمي طَبعة الإستِقَامَة، ↔

↔ و: ٣/ ١١ طَبعة دَار المعَارف.

وَرواه الهَيثمي فِي مَجمَع الزَّوائِد: ٦/ ١٥٠ و ١٥١ برِوَاية جَابر بن عَبدالله الأنصَاري: ٩/ ١٢٤ برِوَاية عَبدالله بن عبّاس و ٢٢٢، صَحِيح التّرمِذي: ١/ ٢١٨، مُسْتَدرَك الصَّحِيحين: ٣/ ٣٨ بـرِوَايـة جَـابر الأنصَاري و ٤٣٧ برِوَاية بُريدة الأسـلَمي، و ١٢٣ وَصَحّحه فِي الطَّبعة الأُولىٰ أفست و ١٢٥، فـرَائِـد السِّمطِين: ١/ ١٥٤ و ٢٥٣/ ١٩٦ عَن سهل بن سَعد السّاعدي و ٢٦١/ ٢٠١ عن أَبِي رَافع مَولىٰ رَسُول الله ﷺ و ٢٦٠ برِوَاية جَابر بن عَبدالله الأنصَاري و ٢٥٩ ح ٢٠٠ و ٢٠٢ أيضاً برِوَاية جَابر الأنـصَاري و ٣٤٥ ح ٢٦٨ وح ٢٥٠ برِوَاية أبن عبّاس.

وَرَواه الطَّبراني فِي المُعْجَم الكَبِير: ٦/ ١٨٧/ ٥٩٥٠ طَبعة بَيروت، وَمِثله فِي: ٢/ ١٠٠ مـن المُـعْجَم الصَّغِير برِوَايـة جَـابر الأنـصَاري، أُسـد الغَـابَة لِابـن الأثِـير: ٤/ ٩٨، المـنَاقب لِابـن المـغَازلي: ١٧٦ و ١٨١/ ٢١٦ و ٢١٧ و ٢٢١ برِوَاية أَبِي هُريرة وح ٢٢٢ برِوَاية بُـريدة الأسـلَمي: ١٨٧.وأنـظر تَأرِيخ الإِسلاَم لِلذَّهبي مُجلّد المغَازي: ٤١٠، المُصَنَّف لِابن أَبِي شَيبة: ١٢/ ٦٣/ ١٢١٢٩ و ٧١/ ١٢١٤٩، ذَخَائِر العُقبىٰ: ٨٦ و ٨٧ عن آبن عبّاس المَناقب لِلخوَارزمي: ١٠٣ طَبعة النَّجف و١٧٢/ ٢٠٧ و ٢٣٨ طَـبعة الحَيدَرِية: و ٧٢ برِوَاية أبن عبّاس.

وأُنظر المغَازي للوَاقدي: ٢/ ٦٥٤، سِيرة أبن هُشام: ٣/ ٣٤٩ و ٣٥٠، تَأرِيخ دِمشق لِابْن عسَاكـر تَرجَمة الإِمَام عَليّ ﷺ: ١/ ٢٠٥/ ١٤٧ ـ ٢٥١ وَعن أبن عبّاس، و: ١ أيضاً ح ٢٦٩ برِوَاية جَابر بـن عبدالله الأنصَاري: ١/ ١٧٤/ ٢٣٩ و ٢٤٠ ـ ٢٤٣ عَن بُريدة الأسلَمي، و: ١/ ١٦٣ ح٢٢٧ ـ ٢٣١ برِوَاية سَهل أبن سَعد السّاعدي و١٥٧ ح ٢١٩ ـ ٢٢٧ عن أَبِي هُريرة.

وأُنظر سُنَن التّرمِذي: ٥/ ٥٩٦/ ٣٧٢٤، عُيُون الأثَر: ٢/ ١٣٢ رواية جَـابر بـن عـبدالله الأنـصَاري، أَنسَاب الأَشْرَاف لِلبلاذري: ٢/ ٩٣ برِوَاية أبِي هُريرة، و ١٠٦ طَبعة آخر برِوَاية عَبدالله بن عبّاس، يَنَابيع المَوَدَّة: ٤٩ برِوَاية بُريدة الأسلَمي و ٢١٠ طَبعة إسلاَمبول و ٢٤٨ طَبعة الحَيدَرِية و ٣٤ طَبعة إسـلاَمبول برِوَاية أبن عبّاس وَكَذلك فِي ٣٨ طَبعة الحَيدَرِية، و: ١/ ١٥٣ الطَّبعة الأُولىٰ طَبعة أُسوة تَحقِيق السَّيِّد عَليّ جَمَال أشرف و ١٦١ و ١٦٢، و: ١/ ٣٣ طَبعة العِرفان.

وأُنظر أيضاً أسنىٰ المطَالب لِلجزري: ٦٢ برِوَاية سَهل بن سَعد السّاعدي، أُسد الغَابَة: ٤/ ٢١ برِوَاية بُريدة الأسلَمي، البدَاية وَالنّهاية لِابن كَثِير: ٤/ ١٨٢ برِوَاية بُريدة الأسلَمي: ٧/ ٣٣٧ برِوَاية عَبدالله بن ↔

٢٣٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ، وَ إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ، وَ إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللهَ شُكْراً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ».

↔ عبّاس، العِقد الفَرِيد: ٢ / ١٩٤، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٢ / ١٤٩، مروج الذّهب: ٣ / ١٤، إحقَاق الحقّ: ٥ / ٤٠٠ برِوَاية جَابر الأنصَاري و ٤١٠ برِوَاية أَبِي هُرِيرة و ٤١٥ برِوَاية بُرِيدة الأسلَمي. فَضَائل الخَمْسَة: ٢ / ١٥٠ و ١٦١ طَبعة دَار الكُتب الإِسلاَمِيَّة طَهران بِرِوَاية سَهل بن سَعد السَّاعدي، و: ١ / ٢٣٠ بـروَايـة أبـن عبّاس.

وأُنظر كَشف اليَقِين فِي فَضَائل أَمِير المُؤْمِنِين عَليّ عليه السلام : ١٣٩، الصّراط المُسْتَقِيم لِلعلاّمة البَياضي: ٢ / ١ و ٦٢، كَشف الغُمّة للإربلي: ١ / ٢٣٠، إِعْلاَم الوَرىٰ للطَّبرسي: ٩٨، الصَّوَاعِق المُحْرِقَة لِابْن حَـجر: ٧٦ طَبعة المِيمَنِيَّة و ١٢٥ طَبعة المُحَمَّدِية، تَأرِيخ الخُلفاء لِلسّيوطي: ١٧٢ الإِصَابَة لِابْن حَجر: ٢ / ٥٠٩ برِوَاية أبن عبّاس، نُظم دُرر السِّمطِين لِلزّرندي الحَنَفي: ١٢٩، مشكَاة المَصَابِيح: ٣ / ١٧١٩ / ٦٠٨٠، نُزل الأبرَار لِلبَدخشَاني: ٤٣ برِوَاية أَبِي هُرِيرة، وَبروَاية سَلمة بن الأكوع: ٤٤.

وأُنظر أيضاً تَذكرة الخَواصّ لِسبط أبن الجوزي: ٢٤ طَبعة الحَيدرِية برِوَاية سَهل بن سَعد السَّاعدي و ٢٩ و ٢٥ برِوَاية بُرِيدة الأسلَمي، الإِسْتِيعَاب بهَامش الإِصَابَة: ٣ / ٣٦ برِوَاية سَلمة أبن الأكوع، المُسند لِأَحْمَد: ٥ / ٣٥٣ و ٣٥٥ و ٣٥٨ الطّبعة الأُولىٰ برِواية بُرِيدة الأسلَمي، الكَـامِل فِي التَّأرِيخ لِابْـن الأثِـير: ٢ / ١٤٩ برِواية بُرِيدة الأسلَمي، تَلخِيص المُسْتَدرَك للذَّهبي: ٣ / ١٣٢ برِواية أبن عبّاس، كِفَاية الطّالب للحَافظ الكنجي الشّافعي: ٢٤٠ طَبعة الحَيدرِية برِواية أبن عبّاس و ١١٥ طَبعة الغَـري، المـنَاقب لِابْـن شهرآشوب: ٢ / ٢٩٣.

وَحَدِيث الرَّايَة رُوي عن طَرِيق عمران بن حُـصين فِي الرّوض الأنُـف لِـلسُّهيلي: ٢ / ٢٢٩، صُـبح الأعشىٰ: ١٠ / ١٧٤ وَغَيْرهم كَثِير، وبرواية أَبِي سَعيد الخُدري كَـمَا جَـاء فِي الشَّـافي لِـعَلم الهُدَىٰ: ٧٠، تَلخِيص الشّافي للطُّوسي: ٣ / ١٣ وبرواية أبن أَبِي لِيلىٰ الأنصَاري فِي دَلاَئل النُّبوَّة لأبِي نَعِيم: ٣٩٧ طَبعة حَيدر آباد، وبرواية أُمّ موسىٰ فِي مُسْنَد الطَّيَالِسِي: ٢٦ طَبْعَة حَيدر آباد، وبرواية سَعد بن أَبِي وَقاص فِي شَرح النّهج لِابْن أَبِي الحَدِيد: ١ / ٢٥٦ و ٣٦١ الطّبعة الأُولىٰ، و: ٣ / ١٠٠، و: ٤ / ٧٢ طَبعة مصر تَحقِيق أَبو الفَضْل، شواهد التّنزِيل للحافظ الحسكاني: ٢ / ٩٠٣ / ١٩٧ تَحقِيق الشّيخ المَحمُودي، وَسمط النّجوم: ٢ / ٤٦١.

● لِكُلِّ شَيء دَاعِية وَسَبب، وَالسَّبب الَّذي يَدفَع الإِنْسَان لِعِبَادَة الله لاَ بُدَّ أَنْ يَكُون وَاحِداً مِن ثَلاَثَة:

الأَوَّل: الخَوْف مِن العِقَاب تَمَاماً كَالعَبد الأَسِير، وَمَع هَذَا يَقْبَل الله مِن الخَائِف وَيؤمِنْهُ وَيَزِيدَه مِن فَضْله، لأَنَّه مُقرّ بِالله وَوحدَانِيته وَبِحسَابه وَعِقَابه، وَبِرُسله وَكُتبه.

السَّبَب الثَّانِي: الطَّمع بِالأَجْر وَالثَّوَاب تَمَاماً كَالَّذي يُعَاملك عَلىٰ أَسَاس الرِّبح، هَذَا مَقبُول وَمَأجُور لِلغَايَة نَفْسها.

وَالسَّبَب الثَّالِث: الشُّكْر لله عَلىٰ أَفْضَاله وَإِنْعَامه، وَالتَّعظِيم لِكمَاله وَتَمَامه بِلا قَصد لِدَفع مَضَرَّة أو جَلب مَصْلَحَة، بَل لله وَحدَه لاَ شَرِيك لهُ، وَهَذِه هِي العِبَادَة الحَقَّة الخَالِصَّة الَّتي تَنْطُق وَتَدل عَلىٰ مَدىٰ عِلم العَابِد وَيَقِينه بِالله.

٢٣٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «اَلْمَرْأَةُ شَرٌّ كُلُّهَا، وَ شَرُّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهَا!».

● قَالَ قَائِل: إنَّ عَائِشَة حَارَبت عَلِيّاً، لأَنَّه أَشَار عَلىٰ رَسُول الله صلى الله عليه وآله بِتَجَاهلها وَٱختِيار غَيْرها فِي الإِفك... وَأَيضاً قَالَ هَذَا القَائِل: إنَّ رَأي عَليّ فِي ٱلْمَرْأَة جَاءَ مِن خِلاَل بُغضه لِعَائِشَة لِأَنَّهَا حَارَبَته!. وَذَهَل القَائِل عَن مَوقف الإِمَام مَع مُعَاوِيَة حِين سَقَاه المَاء بَعد أَنْ مَنعَه مِنْهُ، وَمَع ٱبن العَاص الَّذي كَشَف عَن سَوأَته، وَعَن سَائِر مَوَاقِفه الَّتي تَنْطُق بِعِصمَة آرَائِه عَن الأَهوَاء وَالرَّغبَات. وَفِي ٱلْخُطْبَة السَّابِقَة شَبَه ٱعتذَار عَن عَائِشَة فِي خرُوجها حَيْث أَلقىٰ المَسؤولِيَة عَلىٰ طَلْحَة، وَقَال: «فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللهِ ـ صلى الله عليه وآله ـ كَمَا تُجَرُّ الْأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَىٰ الْبَصْرَةِ، فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا، وَ أَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللهِ ـ صلى الله عليه وآله ـ لَهُمَا

وَلِغَيْرِهِمَا »[١].

وَتكلمنَا عَن ذَلِكَ مُفصَّلاً فِي شَرح ٱلخُطْبَة السَّابِقَة[٢]، وَأجبنَا عَن هَذَا القَول بِخَمْسَة أَجوبَة، مِنْهَا أنَّ مَا قَاله الإِمَام عَن ٱلمَرْأَة أَخَذه عَن النَّبيّ بِشهَادة مَا جَاء فِي صَحِيح البُخَاريّ الجُزْء الأَوَّل، وَكِتَاب الحِيض، بَاب تَرك الحَائِض الصُّوم: «خَرَجَ رَسُولُ اللهِ فِي أضْحىً، أو فِطْرٍ إِلَىٰ المُصَلّىٰ، فَمَرَّ عَلىٰ ٱلنِّسَاء، فَقَالَ يَا مَعْشَرَ ٱلنِّسَاء: تَصَدَّقنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ، فَقُلْنَ وَبِمَ يَا رَسُولُ اللهِ؟ فَقَالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنِ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، مَا رَأيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ، وَدِينٍ أذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ. قُلْنَ لَهُ: وَمَا نُقْصَانُ دِيننَا، وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أَلَيْسَ شَهَادَةُ ٱلمَرْأَة مِثْلَ نِصفِ شَهَادَةُ الرَّجُلِ؟ قُلْنَ: بَلَىٰ. قَالَ: فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا. أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ، وَلَمْ تَصُمْ؟ قُلْنَ: بَلَىٰ. قَالَ: فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا»[٣].

(١) أنظر، نَهج ٱلبَلاغَة: ٱلخُطْبَة (١٧٢). (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أنظر، نَهج ٱلبَلاغَة: ٱلخُطْبَة (٨٠). (مِنْهُ ﷺ).

(٣) أنظر، صَحِيح البُخَاري: ١٤٥/١ ح ٢٩٩، بَاب ٦ تَرك الحَائض الصَوم. طَبعة دَار الفِكْر ـ بَيروت ـ بِآشرَاف مُحَمَّد بَنِيس، (مِنْهُ ﷺ). و: ١١٦/١ ح ٢٩٨ و: ٥٣١/٢ ح ١٣٩٣ طَبْعَة أُخرىٰ، وفَتح البَاري: ٤٠٦/١، تُحْفَة الطَّالب: ٣٦٠/١، مُسْتَدرَك الوَسَائِل: ٢٥٦/١٤، بحَار الأَنْوار: ٣٠٦/١٠١، إِرواء الغَلِيل لُمحَمَّد نَاصر الألبَاني: ٢٠٤/١، صَحِيح مُسْلِم: ٨٦/١ ح ٧٩، سُبل الهُدَىٰ والرَّشاد: ٣٢٠/٨، تَفسِير القُرطُبي: ٨٣/٣، تَفسِير أبن كَثِير: ٣٣٦/١، صَحِيح أبن حِبَّان: ١١٥/٨ ح ٣٣٢٣ و: ٥٤/١٣ ح ٥٧٤٤، صَحِيح أبن خُزَيْمَة: ١٠١/٢ ح ١٠٠٠، المُستَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحين: ٦٤٥/٤ ح ٨٧٨٣، المُسند المُستَخرج عَلىٰ صَحِيح الإِمَام مُسْلِم: ١٥٨/١ ح ٢٣٩، موَارد الظَّمآن: ٢٠٩/١ ح ٨١٨ و ١٢٩٤، سُنَن التِّرمِذي: ١٠/٥ ح ٢٦١٣، مَجْمَع الزّوائد: ١١٨/٣، سُنَن البَيْهَقِيّ الكُبْرَىٰ: ٣٠٨/١ ح ١٣٧٠ و ٧٩٠٠ و ٢٠٣١٦ و ٢٠٣٢٧، سُنَن أَبِي داود: ٢١٩/٤ ح ٤٦٧٩، سُنَن أبن مَاجه: ١٣٢٦/٢ ح ٤٠٠٣، شَرح مَعَاني الآثَار: ٢٤/٢، مُعتصر المُختصر: ٢١/١، مُسْنَد أحمد: ٦٦/٢ ح ٥٣٤٣، مُسْنَد الحَارث: ٣٩٢/١ ح

وَنَعْطف عَلىٰ مَا تَقَدَّم أنَّ مَا قَاله النَّبي وَعَليّ عَن ٱلْمَرْأَة قَاله كَثِيرُون مِن الأُدبَاء وَالفَلاَسِفة مِن قَبل وَمِن بَعد. فَقَد جَاء فِي كتَاب «كَيْف يَحيَا الإِنْسَان» لِلفِيلسُوف الصِّيني (لِين يُوتَانج)، إنَّ الأَدِيب الإنكلِيزي «أوسْكَار وَايلد» ظَلَّ يَقُول: «لاَ يَسْتَطِيع الرَّجُل أنْ يَعِيش مَع ٱلْمَرْأَة كَمَا يَسْتَطِيع أَنْ يَعِيش بِدُونها»[1]. أَلَيْسَ هَذَا تَعبِير ثَانٍ عَن قَول الإِمَام: «ٱلْمَرْأَةُ شَرٌّ كُلُّهَا، وَ شَرُّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لاَ بُدَّ مِنْهَا ؟!».

وَأيضاً نَقَل صَاحِب كِتَاب «كَيف يَحيَا الإِنْسَان» ـ قِصَّة هِندوكِية ـ يَرجِع تَارِيخها إِلىٰ أَرْبَعَة آلاَف عَام، تَعْكس رَأي الإِمَام عَن ٱلْمَرْأَة بِكُلِّ وضُوح، وَهِي: «إِنَّ الله عِندما خَلق ٱلْمَرْأَة أَخَذ مِن الأَزَاهِير جَمَالها، وَمِن الأَموَاج ضِحكتها، وَمِن قَوس القُزَح أَلوَانه، وَمِن الطُّيُور أَغَارِيدَها، وَمِن النَّسِيم قُبلاَته، وَمِن الحَمل وَدَاعته، وَمِن الثَّعلب مَكره، وَمِن زُخَاخ المَطر تَقَلبه، وَنَسجها كُلَّها فِي مَخلُوقةٍ أُنثىٰ، وَقَدمها إِلىٰ آدَمَ لِتَكُون زَوْجَة لهُ»[2].

وَسُرّ آدَمَ بِها، وَمَا عَاشرهَا أَيَّامَاً حَتَّىٰ جَاء إِلىٰ رَبّه وَقَالَ لهُ: ٱبْعد عَني هَذِهِ ٱلْمَرْأَة، فَإِنِّي لاَ أَستَطِيع العَيش مَعَهَا، فَأَخذها مِنْهُ، وَلكنَّ آدَمَ أَحَس بَعدَها بِالوَحشَة وَالغُربَة، فَعَاد إِلىٰ رَبّه وَقَالَ: أعطني حوَائي فَأنا لاَ أَستَطِيع الْحَيَاة بِدُونها، فَأَعَادها إِلَيْهِ... وَلَم تَمض أيَّام حتَّىٰ عَاد بِها آدَمَ إِلىٰ رَبّه وَقَالَ: عَجزت عَن حَملها

⇐ ٢٩٧، التَّخويف من النَّار: ١٩٤/١، شُعب الإِيمَان: ٦٢/١ و ٥١٦٨، الأِيمَان لِابْن مُنده: ٦٧٨/٢ ح ٦٧٠ و ٦٧١ و ٦٧٣ و ٦٧٦ و ٦٧٧، السُّنَّة لِابْن عَاصم: ٤٦٣/٢ ح ٩٥٥ و ٩٥٦، الفِردَوْس بمأثُور الخِطَاب: ٩٢/٤ ح ٦٢٨٥ و ٨٢٢٠، التَّمهيد لِابْن عبدالبر: ٣٢٥/٣، نَصب الرَّاية: ٨٩/٤، المُحلىٰ لِابْن حَزم: ٣٩/١.

(١) أُنظر، كِتاب «كَيْفَ يَحيا ٱلإِنْسَان» للفِيلسوف الصِّيني «لِين يُوتَانج»: ٩٨ (مِنْهُ ﷺ).

(٢) أُنظر، كِتاب «كَيْفَ يَحيا ٱلإِنْسَان» للفِيلسوف الصِّيني «لِين يُوتَانج»: ١٨٩ (مِنْهُ ﷺ).

وَلاَ حَاجَةَ لِي بِها ، خُذها عَني ، فَأخذها عَنْه . وَلَكنْ عَاد وَطَلبها بَعد أيَّام ، فَقَال الله لهُ : «أُقسم بِأنْ لاَ تُغير فِكرَك مِن جَدِيد» . فَأَقْسَم وَرَضي نَصِيبه مَعَهَا .

ومَعْنَىٰ هَذِه القِصَّة بِطُولها أنَّ ٱلْمَرْأَة شَرٌّ لَا بُدَّ مِنْهَا مُنذ آدَمَ وَإِلَىٰ يَوْم يُبْعَثُون . . وَأيضاً مَعْنَىٰ هَذَا أنَّ رَأي الْإِمَامِ فِي ٱلْمَرْأَة وَاحِد مِن مِئَات[1] .

٢٣٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام : **«مَنْ أَطَاعَ التَّوَانِيَ ضَيَّعَ الْحُقُوقَ ، وَ مَنْ أَطَاعَ الْوَاشِيَ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ »** .

● تَأخَيْرُ المَطْلُوب عَن وَقتِهِ المُعَيين بِلا عُذر ـ تَقصِير وَإِهمَال . وَالمُقصر يَستَحق الذَّم وَالْعِقَاب ، لأَنَّه فَوَّت وَضَيَّع عَن عَمد . . . وَالْقَضَاء بَعد الوَقت لاَ يَرفع الْمَسؤولِيَة إذَا كَان الوَقت شَرطاً فِي الوَاجب كَالصُّوم ، وَالصَّلاَة ، وَيَرفعها أو يُخفف مِن شَأنها إذَا كَان الوَقت ظَرفاً للإِهمَال كَالدَّين إِلىٰ أَجلٍ . وَمِن وَصَايَا أَرِسْطو للاِسْكَندَر : «إِيَّاك وَالتأخَيْر لأمُورَك وَالتَّواني عَنْهَا وَإلّا تَراكمت عَلَيْكَ ، ثُمَّ لاَ تَجد

---

(١) قَالَ ٱبن أَبِي ٱلْحَدِيد فِي شَرح ٱلنَّهج: ٦٩/١٩:

أَسْبَاب فِتنَة ٱلنِّسَاء ثَلاثَة: عَيْنٌ نَاظِرَةٌ، وَصورَةٌ مُسْتَحسَنَة، وَشهوَةٌ قَادِرة، فَالحَكِيم مَن لاَ يُرَدِّد النَّظرَة حَتَّىٰ يَعرفَ حَقَائِقَ الصُّورَة؛ وَلَو أنَّ رَجُلاً رَأىٰ ٱمْرَأَة فَأعجَبَتْه ثُمَّ طَالَبها فَٱمتنعتْ، هَل كَان إلاَّ تَارِكَها! فَإِنْ تَأبَىٰ عَقلُه فِي مُطَالَبتها كتَأبِّيها عَلَيْهِ فِي مُساعَفَتها قَدَع نَفْسَه عَن لَذَّته قَدْع الغَيُور إيَّاه عَن حُرْمَةِ مُسْلِم.

أُنظر ، سُنَن ٱبن مَاجه: ١٣٢٥/٢ ح ٣٩٩٨، سُنَن التِّرمِذي: ١٩٢/٤ ح ٢٩٣٠، السُّنَن الكُبرىٰ: ٩١/٧، تُحْفَة الأَحْوَذي: ٥٣/٨، المُصَنَّف لعبدالرَّزاق الصَّنعاني: ٣٠٥/١١ ح ٢٠٦٠٨، المُصَنَّف لِمُحَمَّد بن أَبِي شَيبة الكُوفي: ٦١٨/٨، مُسْنَد أَبِي يَعلىٰ: ٢٦٠/٢، المُعْجَم الأوسط: ٢٠/٦، صَحِيح ٱبن حِبَّان: ٣٠٧/١٣، الجَامِع الصَّغِير: ٢٣٣/١ ح ١٥٤٥، كَنز العُمَّال: ١٨٩/٢ ح ٣٦٨٧، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ١٨٨/٢ ح ١٥٤٥.

وَقتاً لِمُبَاشرتها»[١].

(وَ مَنْ أَطَاعَ الْوَاشِيَ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ) المَفرُوض فِي الصَّدِيق أنْ يَدفَع عَن صَدِيقهِ التُّهم وَإِنْ جَهل مَصدَرَها، وَأنْ يَتحَمل الكَثِير مِن هفوَاته وَزلاَته، فَكَيف يَسْتَمع للسَّاعي بِالنَّمِيمَة وَالوشَايَة؟ وَإِذَا ٱستَمع مِنْهُ وَأطَاع فَقَد هَدَم الصَّدَاقَة مِن الأَسَاس، وَعَصىٰ الله فِي قَوْلَه: ﴿فَلَاتُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ وَدُّوا۟لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ وَلَاتُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾[٢].

٢٣٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «الْحَجَرُ الْغَصِيبُ فِي الدَّارِ رَهْنٌ عَلَىٰ خَرَابِهَا».

● قَالَ الرَّضِيّ رحمه الله:

وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الكَلاَم عَن النَّبيّ صلى الله عليه وآله، وَلاَ عَجَبَ أنْ يَشْتَبِهَ الكَلاَمَانِ فَإِنَّ مُسْتَقَاهُمَا مِنْ قَلِيبٍ، وَمَفْرَغَهُمَا مِنْ ذَنُوبٍ!».

مَن بَنىٰ، أو ٱقْتَنىٰ، أو أَكَل وَشَرب بَأي شَيء عَلىٰ حِسَاب الآخَرِين ـ فَمآله الخُسْرَان وَالوَبَال وَلَو بَعد حِين[٣]. وَإِنْ سَأل سَائِل: وَهَذِه نَاطحَات السّحاب بُنِيت

(١) أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لاِبن أَبِي ٱلحَدِيد: ١٧/٥٥. ومَا بَعدهَا. رِسَالة الإِسْكَنْدَر إِلىٰ أَرِسطو وَرد أَرِسْطو عَلَيْهِ.

(٢) ٱلقَلَم: ٨ ـ ١٠.

(٣) وَقَد أَخَذ هَذَا المَعنىٰ ٱبن بَسّام، وَقَالَ لأَبِي عَليّ بن مُقْلَة لَمّا بَنَىٰ دَاره بِالزَّاهر بِبغدَاد مِن الغَصْب وَظُلم الرَّعِيَّة:

بِجَنْبِكَ دَارَان مَهْدُومَتَانِ وَدَارُكَ ثَالِثَةٌ تُهْدَمُ
فَلَيتَ السَّلاَمَة لِلمُنْصِفِيـ ـن دَامَتْ فَكَيفَ لِمَن يَظْلِمُ!

مِن دِمَاء الشُّعوب، وَهِي رَاسِخَة كَالجِبَال؟

قُلنا فِي جوَابه: إنَّ بُنَاة النَّاطحات سَيتركُونها إِلىٰ قَبرٍ مُظلِمٍ عَفن، وَيَتركُون مَعَهَا لِخُلفَائِهم عَلَيْهَا مَا أَصَاب هِتلَر، وَموسُولِيني، أو أَيَة كَارِثة... هٰذا، إلىٰ أَنَّ البِنَاء الرَّاسخ هُو الضَّمِير النَّظِيف الَّذي يَعِيش بِلا وَخزَات وَأزمَات... وَعلىٰ أيَة حَال فَنحن مِن المُؤْمِنِين بِقَوْلَه تَعَالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَايَعْلَمُونَ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾[1].

٢٤٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «يَوْمُ الْمَظْلُومِ عَلَىٰ الظَّالِمِ، أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الظَّالِمِ عَلَىٰ الْمَظْلُومِ».

● مَا زَالَ الحَدِيث عَن حَجَر الغَضب، أو هُما مِن بَاب وَاحد... أَبَداً لاَ مَفَرَّ لِلظَّالِمِ مِن أَخْذَه بِظُلمه، إمَّا بِيَد المَظلُوم وَغَيْره مِن الثَّائِرين عَلىٰ الظُّلمِ، وَإمَّا مِن ظَالمٍ مِثْله، وَإِمّا بِيَد الخَالِق، وَهِي أَشَد بَأسَاً، وَأَشد تَنْكِيلاً. وَتَقَدَّم الكَلاَم عَن ذَلِكَ مَرَّات.

⇐ وَالدَّارَان دَارُ أَبِي الحَسَن بن الفُرَات، وَدَارُ مُحَمَّد بن دَاودَ بن الجَرَّاح. وَقَالَ فِيهِ أَيضاً:

قُلْ لِابْـن مُـقْلَة مَـهلاً لاَ تَكُـن عَـجِلاً ... فَـإِنَّمَا أَنْتَ فِي أَضْـغَاثِ أَحْـلاَمِ

تَـبْنِي بِأَنْـقَاضِ دُورِ النَّـاس مُجْـتَهِداً ... دَاراً سَـتُنْقَضُ أَيـضاً بَـعد أَيَّـامِ

وَكَانَ مَا تَفَرَّسه ابن بَسَّام فِيهِ حَقَّاً، فَإِنَّ دَارَه نُقِضَتْ حَتّىٰ سوِّيت بِالأَرْضِ فِي أَيَّام الرَّاضي بِالله.

أنظر، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبِي الحَدِيد: ٧٣/١٩، سِير أَعْلاَم النُّبلاَء: ٢٢٨/١٥، الوَافِي بِالوفيَات: ١١١/٤، المُنتَظم: ٣١٠/٦، الكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٢١٨/٨، البِدَاية وَالنّهَاية: ٢٢١/١١.

(١) الأَعْرَافِ: ١٨٢ ـ ١٨٣.

٢٤١ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «ٱتَّقِ اللهَ بَعْضَ التُّقَىٰ وَ إِنْ قَلَّ ؛ وَ ٱجْعَلْ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ اللهِ سِتْراً وَ إِنْ رَقَّ» .

● لاَ تَقْطَع بَيْنَك وَبَيْنَ كُلِّيه ، وَتُظهِر لهُ العقُوق وَالجفَاء... وَٱهْجر مَا نَهَاك عَنْهُ ، وَإِنْ غَلبَتك الظّرُوف أو النَّفس الأَمّارة عَلىٰ بَعْض مَا يَكْرَه سُبْحَانَه فَٱغْلبها أَنْت عَلىٰ بَعْض مَا يُحبّ ، فَرُبَّما شَملك الْعَفْو وَكُنت مِن الَّذين ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١] .

وَيَصدُق قَول الإِمَام عَلىٰ عَصرنا الَّذي كَثُرت فِيهِ المُغرِيَات وَإِثَارة الشَّهَوَات ، وَمَن كَان فِيهِ عَلىٰ شَيء مِن التُّقىٰ والإِيمَان فَهُوَ يَكفِيهِ وَيُنجِيه إِنْ شَاء الله . قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «يَأتِي عَلىٰ النَّاس زَمَان الصَّابرُ عَلىٰ دِينهِ مِثل القَابض عَلىٰ الجَمْرَة بكَفهِ»[٢] . وَفِي حَدِيثٍ آخر : «لِلعَامل مِنْهم بِطَاعة الله مِثل أَجْر خَمْسِين . فَقَال رَجُل مِن الصَّحَابَة : مِثل أَجْر خَمْسِين مِنَا أو مِنْهُم ؟ قَالَ : بَل مِنْكُم»[٣] .

٢٤٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «إِذَا ٱزْدَحَمَ الْجَوَابُ ، خَفِيَ الصَّوَابُ» .

● إِذَا سَئلتَ عَن أَمرٍ ، وَتَصوَرت لهُ العَدِيد مِن الأَجوبَة ـ وَقَعتَ فِي حَيرَة

---

(١) ٱلتَّوْبَة : ١٠٢.

(٢) أنظر ، مكَارِم الأَخلاق لِلطَّبرسي : ٤٥٠ ، المُعجَم الكَبِير : ٢٢/٢٢٠ ، مُسْنَد الشَّامِيين : ١/٤٢٩ ح٧٥٣ ، تَفسِير آبن كَثِير : ٢/١١٣ ، الدُّر المَنْثُور : ٢/٣٣٩ ، تَهذِيب الكَمَال : ٣٣/٥٥ .

(٣) أنظر ، سُبل السَّلام : ٤/١٢٧ ، نَيل الأَوطَار : ٩/٢٢٩ ، مَجْمَع الزَّوائِد : ٧/٢٨٢ ، فَتح البَاري : ٧/٥ ، صَحِيح آبن حبَّان : ٢/١٠٨ ، أَمَالي الطُّوسي : ٤٨٥ ح ٣٠ ، سُنن أَبي دَاود : ٢/٣٢٤ ح ٤٣٤١ ، المُعْجَم الكَبِير : ٢٢/٢٢١ ، سُنن التِّرمِذي : ٤/٢٢٣ ح ٥٠٥١ .

بِخَاصَّة إذَا كَان لِلمَسؤول عَنْهُ جِهتَان: أحَداهُما لِلتَّحلِيل، وَالثَّانِيَة لِلتَّحرِيم. وَأَيضاً تُخفِي الْحَقِيقَة إِذَا كَثُر المُجِيبُون بِأجوبَة مُتضَارِبة.

٢٤٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «إِنَّ للهِ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ حَقّاً، فَمَنْ أَدَّاهُ زَادَهُ مِنْهَا، وَ مَنْ قَصَّرَ فِيهِ خَاطَرَ بِزَوَالِ نِعْمَتِهِ».

● إِنَّ الله سُبْحَانَه يُحِبّ مَن عَبَدَهُ أنْ يُحدِث لهُ شُكراً كُلَّما أَحدَث لهُ نِعْمَةٍ، وَقَد كَتَب سُبْحَانَه عَلىٰ نَفْسِهِ لِمَن شَكَر، وَمَن قَصَّر عَن شُكر مَا أُوتِي فَقَد عَرّضه لِلخَطَر... ومَعْنَىٰ شُكر النِّعْمَة أنْ لاَ يَغْتَر بِهَا، وَالْمُنْعِم عَلَيْهِ وَيَطغَىٰ، وَأَنْ يُحسِن الْإِنفَاق مِنْهَا عَلىٰ نَفْسِهِ وَأَهْلِه، وَإِنْ بَقِيت أَغَاث بِها مَلهُوفاً، وَنَفَّس كُربَة عَن بَائِس.

٢٤٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «إِذَا كَثُرَتِ الْمَقْدِرَةُ قَلَّتِ الشَّهْوَةُ».

● الشَّهْوَةُ: رَغْبَة وَأُمنِيَة وَلَهْفَة، وَمِن البَدَاهة إنَّ الْإِنْسَان يَتَلَهف عَلىٰ مَا يَعْجز عَن تَحصِيله وَتَنَاوله، أَمَّا القَادِر فَيُحَقِق مَا يُرِيد سَاعة يَشَاء، وَلاَ مُوجب لِلتَّلَهُف وَالتَّأسف. وَمِن هَذا البَاب مَا نَرَاه حِين مَا يُشَاع إنَّ سِلعَة مِن السِّلع كَالسُّكر سَيُفْقَد مِن الْأَسوَاق، فَيُقبِل النَّاس عَلىٰ شِرَائِه، وَيَدَّخِر مِنْهُ القَادِر أَضْعَاف مَا يَحتَاج إِلَيْهِ لِمُجرد الوَهم وَالْخَوْف مِن الْعَجْز عَن تَحْصِيله، وَكَان سَائِر الْأَيَّام لاَ يَعبأ بِهِ وَيَهتَم، لأَنَّه فِي مُتنَاول يَده مَتىٰ أَرَاد[1].

(١) يَقُول ابن أَبِي الْحَدِيد فِي شَرح النَهج: ٧٨/١٩، وأنظر، شَرح الشَّافِيَة لِابْن الحَاجِب: ١٨/٢. هَذَا مِثلُ

٢٤٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «آحْذَرُوا نِفَارَ النِّعَمِ، فَمَا كُلُّ شَارِدٍ بِمَرْدُودٍ».

● الخِطَاب فِي آحْذَرُوا لِلَّذِين يَملكُون أَسْبَاب القُوَّة وَالرَّخَاء، وَكُلّ مَا يَملكه الإِنْسَان مُعَرَّض لِلزَّوَال مَادِياً كَان أَم مَعْنوياً، وَعَلىٰ مَن فِي يَدهِ شَيء مِنْهُ أنْ يَكُون عَلىٰ يَقظَة وَمِن ذَلِك، وَلاَ يَفرط وَيَقصر فِي أَدَاء مَا عَلَيْهِ مِن حَقٍّ للهِ وَللنَّاس إِذَا أَرَاد الاِستمرَار لمَا فِي يَدهِ مِن نِعَم... وَفِي قِصَّة آدَمَ وَهبُوطه مِن الجَنَّة إِلىٰ الأَرْض بَعد أنْ أَكَل مِن الشَّجَرَة الَّتِي نَهَاه الله عَنْهَا، فِي هَذِه القِصَّة أَبْلَغ العِظَات وَالعِبَر: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[1]. وَكَرَر الإِمَام هَذَا المَعْنَىٰ بِشَتىٰ الأَسَالِيب عَسَىٰ أنْ نَتذكَر أو نَخْشَىٰ[2].

↔ قَولهم: «كُلّ مَقْدُور عَلَيْهِ مَمْلُول». وَمِثل قَول الشَّاعِر:

*وَكُلُّ كَثِيرٍ عَدوُّ الطَّبِيعَة

وَمِثل قَول الآخَر:

وَأَخٍ كَثُرْتُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ مَلَّنِي ... وَالشَّيءُ مَمْلُولٌ إِذَا هُو يَرخُصُ
يَالَيْتَهُ إِذْ بَاعَ وُدِّيَ بَاعَه ... مِمَّن يَزِيد عَلَيْهِ لاَ مَن يَنْقُصُ

وَلِهَذَا الحُكْم عِلَّة فِي العِلْم العَقْلِيّ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّفس عِندهُم غَنِيَّة بِذَاتها، مُكْتَفِيَة بِنفسها، غَيرُ مُحتَاجة إِلىٰ شَيء خَارج عَنْهَا، وَإِنَّمَا عَرضتْ لَهَا الحَاجَة وَالفَقْر إِلىٰ مَا هُو خَارِج عَنْهَا لِمُقارَنتها الهَيُولىٰ، وَذَلِكَ أَنَّ أَمْرَ الهَيُولىٰ بِالضِّدّ مِن أَمْرِ النَّفس فِي الفَقْر وَالحَاجَة، وَلمَّا كَان الإِنْسَانُ مُرَكَّباً مِن النَّفس وَالهَيُولىٰ عَرضَ لهُ الشَّوقُ إِلىٰ تَحصِيل العُلوم وَالقُنيات لاِنْتفَاعِه بِهمَا، وَٱلتذَاذِه بِحصُولها، فَأَمَّا العُلوم فإِنَّه يَحصِّلها فِي شَبِيهٍ بِالخزَانة لهُ، يَرجِع إِلَيْهَا مَتىٰ شَاء، وَيَسْتَخرج مِنْهَا مَا أَرَاد، أَعْنِي القُوىٰ النَّفسانِيَّة الَّتِي هِي مَحلّ الصّورَ وَالمَعَانِي عَلىٰ مَا هُو مَذْكُور فِي مَوْضِعه ....إلخ.

(١) ٱلكَهْفِ: ٧.

(٢) وَمِن رَوَائع الحِكَم فِي أَشْعَار الإِمَام عَليّ عليه السلام:

مَحَامِدك اليَوم مَذْمُومَةٌ ... فَلاَ تكسبُ الحَمدِ إِلَّا بِذَمِ

↔

٢٤٦ ـ وَ قَالَ ﷺ: «الْكَرَمُ أَعْطَفُ مِنَ الرَّحِمِ».

● مَن قَضَىٰ حَوَائِج الْمُحْتَاجِين أَسَرَّ قُلُوبهم، وَصَارُوا أَطوَع إِلَيْهِ مِن بَنَانِهِ، وَقَدِيماً قِيل: الْإِنْسَان عَبد الْإِحْسَان، أَمَّا مَن يُشفِق وَيَتَألم وَكَفَىٰ فَإِنَّه يُعزي وَلاَ يُغني... وَيُبَادله صَاحِب الحَاجَة عَاطِفة بِعَاطِفة، وَكَلاَماً بِكَلاَم، وَلاَ شَيء وَرَاء ذَلِكَ حَتَّىٰ وَلو كَان الشَّفُوق قَرِيباً أو صَدِيقاً. وَقَالَ الشَّيخ مُحَمَّد عَبْدَه فِي تَعلِيقه عَلَىٰ

↔ إِذَا تَمَّ أَمـــرٌ بَـــدَا نَـقْصُهُ ... تَـــوَقَّعْ زَوَالاً إِذَا قِـــيْل تَمّ
إِذَا كُـنْتَ فِي نِـعْمَةٍ فَارْعَـها ... فَـإِنَّ المـعَاصي تُـزِيل النِّـعم
وَدَاوم عَـلَيْها بِشُكْـرِ الإله ... فَـــإِنَّ الإله سَرِيـــع النِّــقمِ
فَــإِنْ تُـعْطِ نَـفْسك آمَـالها ... فَـعِند مَــتَنَاها تَحُـلّ النَّدمِ
فَكَـم عَـمَّن عَـاش فِي غَـفْلَةٍ ... فَمَا حَسّ بِـالمَوْت إِلاَّ هَـجم

وَقَالَ بَعْض السَّلف: كُفْرَان النِّعْمَة بوَار، وَقَلَّما أَقْلَعتْ نَافِرةٌ فَرَجعَتْ فِي نِصَابها، فَاسْتَدْع شَارِدَها بِالشُّكر، وَاسْتَدِمْ رَاهِنها بِكَرَم الجِوَار، وَلاَ تَحسب أَنَّ سُبُوغَ سِتر الله عَلَيك غَيْر مُتقلّص عَمَّا قَلِيل عَنْكَ إِذَا أَنْت لَمْ تَرْجُ لله وَقَاراً.

وَقَالَ أَبُو عِصمَة: شَهِدتُ سُفْيَانَ وَفُضَيْلاً ـ ابن عَيَّاض ـ فَمَا سَمِعتُهما يَتذَاكران إِلاَّ النِّعم، يَقولاَن: أَنْعَم الله سُبْحَانَه عَلَينا بِكَذا، وَفَعَل بِنَا كَذَا.

وَقَالَ الحَسَن البَصري: إِذَا اسْتَوَىٰ يَومَاك فَأنتَ نَاقِص. قِيلَ لهُ: كَيف ذَاكَ؟ قَال: إِنْ زَادكَ اللهُ اليَومَ نِعَماً فَعَلَيكَ أَنْ تَزْدَاد غَداً لهُ شُكر.

وَكَان يُقَال: الشُّكر جُنَّة مِن الزَّوال، وَأَمَنة مِن الانْتِقَال.

وَكَان يُقَال: إِذَا كَانَتْ النِّعْمَة وَسِيمةً فَاجْعَل الشُّكرَ لَها تَمِيمَة.

أنظر، شَرح نَهج البَلاَغَة لابْن أَبِي الحَدِيد: ٨٠/١٩، نُظم دُرر السِّمطين: ١٧٢، سِير أَعلاَم النُّبلاء: ٥١٧/١٤، فَيض القَدِير شَرح الجَامع الصَّغِير: ١٤٠/٢، كَشف الخَفاء: ٢٤١/١، تَأريخ دِمشق: ١٠٣/٥١ و: ٧٠/٥٤، كِتَاب الجِهَاد لِعَبدالله ابن المُبَارك: ٣٢، الفُصُول المُهِمة فِي مَعْرِفَة الأئِمَّة لابْن الصَّباغ المَالِكي: ٥٧٦ بِتَحقِيقنا.

هَذِهِ ٱلْحِكْمَة: «هِيَ كَلِمَةٌ مِن أَعْلَىٰ الكَلاَم»[١].

٢٤٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ».

● مَنْ ظَنَّ إنَّك مُنْحَط فِي أَخْلاَقك وَمُعَامَلاتك ـ فَكَذِّب ظَنَّهُ بِالْأَفْعَال لاَ بِالْأَقوَال، وَعِندَئِذٍ يَلُوم وَيَعتَذر إِلَيْكَ، إنْ كَان مِن الطَّيبين، أَمَّا مَن يَظُنّ بِكَ الْخَيْر وَإنَّك مِن أَهْل المُرُوءات فَصَدِّق ظَنَّه، وَٱحرِص عَلىٰ ثِقَته كُل الْحِرْص، أيضاً بِالْأَفْعَال لاَ بِالْأَقوَال، فَإِنَّ الثِّقَة ثَروَة وَقُوَّة لِلتَّنفِيذ وَالتَّأثِير العَمِيق السَّرِيع. وَتَقَدَّم مِثله بِالحَرف الوَاحِد، كَمَا قَالَ الْإِمَام فِي ٱلرِّسَالَة الَّتِي يَقول فِيهَا: «لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ الْقَضَاءُ عَلَىٰ الثِّقَةِ بِالظَّنِّ»[٢]. وَكَمَا قَالَ عليه السلام: «وَالْهُدَىٰ الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ لَعَلَىٰ بَصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي، وَيَقِينٍ مِنْ رَبِّي»[٣]. وَفِي ٱلْخُطْبَة الَّتِي قَالَ فِيها: «مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ»[٤].

٢٤٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ».

● الْمُرَاد بِالنَّفس هُنا الرَّغْبَة وَالشَّهْوَة، وَهِيَ أَقوىٰ مِن كُلِّ سُلطَان يُسِيطر عَلىٰ النَّفس، وَزِمَامها بِيَد الشَّيْطَان، وَلاَ يَقوى عَلىٰ مُخَالفتها إلَّا قَوي عَالِم بِالعَوَاقِب، وَكُلّنَا يَعلم أَنَّ الْأُمُور بِعوَاقِبها وَخوَاتِيمها، وَمَعْنَىٰ هَذَا أَنَّ العَمَل بِالدِّين وَالْعَقْل

(١) أنظر، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة لِمُحَمّد عَبْده: ٥٤/٤.
(٢) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلرِّسَالَة (٢٢٠). (مِنهُ قدس سره).
(٣) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلرِّسَالَة (٦٢). (مِنهُ قدس سره).
(٤) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلخُطبَة (٤). (مِنهُ قدس سره).

أَفْضَل وَأَكمَل مِن العَمَل بِالشَّهَوَات وَالأهوَاء. وَيَلتَقِي تَفْسِيرنا هَـذَا مَـع تَـفْسِير الشَّارِحِين: «بِأَنَّ أَفْضَل الأَعمَال أَحْمَزُها»[1]. أي أَشَقُّها.

٢٤٩ ـ وَ قَالَ ﷺ: «عَرَفْتُ اللهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ الْعَزَائِمِ، وَ حَلِّ الْـعُقُودِ، وَ نَـقْضِ الْهِمَمِ».

● المُرَاد بِالْعُقُود هُنا النَّوَايا، وَحَلّها فَسْخَها، وَعَلَيْهِ يَكُون عَطْفها عَـلىٰ فَسْـخ العَزَائِم مِن بَاب عَطف التَّفْسِير، وَمِثله نَقْض الهِمَم. وَقَالَ الشَّارِحُون: إِنَّ الإِنْسَان يَعْزِم وَيَعقد قَلْبه عَلىٰ الشَّيء، ثُمَّ يَنْحَل العَزم دُونَ أَنْ يَحدث جَدِيد، وَلاَ تَفْسِير لِهَذا إِلَّا أَنَّ العَزم بِيَد الله تَعَالىٰ. وَظَاهِر قَول الإِمَام لاَ يَأبىٰ التَّفْسِير، وَلَكِنَّه لاَ يَتْفق مَع ظَاهِر الآيَة: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[2]، وَالآيَة: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّـهَ يُـحِبُّ ٱلْـمُتَوَكِّلِينَ﴾[3]، والآيَة: ﴿وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّـلَـٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4].

وَغَيْر بَعِيد أَنْ يَكُون مُرَاد الإِمَام أَنَّ القَلْب بِغَرَائِزه وَمَشَاعِره دَلِيل قَاطع عَـلىٰ قُدرَة الله وَعَظَمته وَبِخَاصة إِدبَـاره بَـعد إِقْبَاله، وَإِقْـبَاله بَـعد إِدْبَـاره بِـلا سَـبب

(١) أُنظر، النّهايَة لِابن الأَثِير: ٤٢٢/١، حَاشِية الدّسُوقي: ١٢٢/٢، المَبسُوط لِـلسَّرخَـسي: ٢٥/١، بَدَائِع الصَّنَائِع: ٢٠١/١، الفَائِق فِي غَرِيب الحَدِيث لِلزَّمَخشري: ٢٧٨/١، السِّير الكَبِير لِلشَّيبَاني: ١١/١، غَرِيب الحَدِيث لِابْن سَلاَّم: ٢٣٣/٤، غَرِيب الحَـدِيث لِابْن قُتَيْبَة: ٧١/١، الصّحاح: ٨٧٥/٣، لِسَـان العَـرَب: ٣٣٩/٥.

(٢) سُورَة طه: ١١٥.

(٣) آلِ عِمْرَانَ: ١٥٩.

(٤) ٱلبَقَرَة: ٢٢٧.

ظَاهر... وَعَلىٰ أَيَّة حَال؛ فَإِنَّ لله فِي كُلِّ شَيء آيَة تَدل عَلىٰ أَنَّه وَاحد[1].

وَفِي كُلِّ شَيء لَـهُ آيَـةٌ   تَدلُ عَـلىٰ أَنَّـه وَاحِـد

٢٥٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ، وَ حَلَاوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الْآخِرَةِ».

● وَمِثله فِي ٱلْخُطْبَة: «إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ»[2]. وَيَأتي قَوْل الْإِمَام عليه السلام: «إِنَّ الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ ـ أَي هَنيء ـ وَإِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَبِيءٌ ـ مِن الوَبَاء ـ»[3]، وَكُلّ رَاحَة وَسَرَّاء لاَ بُدَّ لَهَا مِن تَعَب وَعَنَاء، فَكَيف: «بِمَا لاَ عَينٌ رَأت ـ مِثْله ـ وَلاَ أُذْن سَمِعت، وَلاَ خَطَر عَلىٰ قَلبِ بَشَرٍ»[4]؟

٢٥١ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «فَرَضَ اللهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشِّرْكِ، وَ الصَّلَاةَ تَنْزِيهاً عَنِ الْكِبْرِ، وَ الزَّكَاةَ تَسْبِيباً لِلرِّزْقِ، وَ الصِّيَامَ ابْتِلَاءً لِإِخْلَاصِ الْخَلْقِ، وَ الْحَجَّ تَقْرِبَةً لِلدِّينِ، وَ الْجِهَادَ عِزّاً لِلْإِسْلَامِ، وَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَوَامِّ، وَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ رَدْعاً لِلسُّفَهَاءِ، وَ صِلَةَ الرَّحِمِ مَنْمَاةً لِلْعَدَدِ، وَ الْقِصَاصَ حَقْناً لِلدِّمَاءِ، وَ إِقَامَةَ

---

(١) نُسب هَذَا ٱلْبَيت لأبي العتَاهِية كمَا جَاء فِي دِيوَانه: ٦٢ طَبْعَة دَار الكُتب العِلمية. وَسُبل الْهُدىٰ وَالرَّشَاد: ٢٧/٣، البدَاية وَالنّهاية: ٣٧٥/١٣، تَأرِيخ بَغدَاد: ٢٥١/٦، تَأرِيخ دِمشق: ٤٥٣/١٣، تَفسِير القُرطُبي: ٣١٣/٤، تَفسِير ٱبن كَثِير: ٢٦/١ و ٦٢ و: ٤٥/٣، تَفسِير الثعالبي: ١٤٩/٢، شَرح نَهج ٱلبَلاَغة لِابْن أَبي ٱلحَدِيد: ٤١٢/٦، المجَازَات النَّبويَّة لِلشَّريف الرَّضِيّ: ٢٢١، شَرح أُصول الكَافِي: ١٤٧/٣.

(٢) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلخُطبَة (١٧٦). (مِنْهُ رحمه الله).

(٣) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكمَة (٣٧٦). (مِنْهُ رحمه الله).

(٤) أُنظر، صَحِيح البُخَاريّ: ٨٦/٤، صَحِيح مُسْلِم: ١٢١/١، مُسْنَد أَحمَد: ٣٧٠/٢، سُنَن ٱبن مَاجه: ١٤٤٧/٢، سُنَن الدَّارمي: ٣٣٢/٢، الغَارَات: ٨٥٥/٢، وَسَائِل الشِّيعة: ٤٧٨/١٠ ح ١٠، تَهذِيب الأَحْكَام: ٢٢/٦، ثَوَاب الأَعمَال: ٥٦، نَيل الأَوطَار: ١٥٥/٢، المحلىٰ: ١٢/١.

الْحُدُودِ إِعْظَاماً لِلْمَحَارِمِ، وَ تَرْكَ شُرْبِ الْخَمْرِ تَحْصِيناً لِلْعَقْلِ، وَ مُجَانَبَةَ السَّرِقَةِ إِيجَاباً لِلْعِفَّةِ، وَ تَرْكَ الزِّنَىٰ تَحْصِيناً لِلنَّسَبِ، وَ تَرْكَ اللِّوَاطِ تَكْثِيراً لِلنَّسْلِ، وَالشَّهَادَاتِ ٱسْتِظْهَاراً عَلَىٰ الْمُجَاحَدَاتِ، وَ تَرْكَ الْكَذِبِ تَشْرِيفاً لِلصِّدْقِ، وَ السَّلَامَ أَمَاناً مِنَ الْمَخَاوِفِ، وَ الْأَمَانَةَ نِظَاماً لِلْأُمَّةِ، وَ الطَّاعَةَ تَعْظِيماً لِلْإِمَامَةِ».

● المُرَاد بِالْإِيمَان هُنا التَّوحِيد المُقَابل لِلشِّرك بِدلاَلة قَول الإِمَام عليه السلام: (فَرَضَ اللهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشِّرْكِ). وَتُسَمىٰ كَلِمَة التَّوحِيد بِكَلِمَة التَّنزِيه وَالاِخْلاَص وَالتَّجرِيد، لِأَنَّهَا تُجَرد الذَّات الإِلٰهِية القُدسِية عَن المَادة وَالمَثِيل، وَأَيضاً تُجَرد البَشرِية عَن صِفَات الأُلُوهِية وَعَن حَقّ السّيطَرة وَالاِستعلاَء، وَتُبطل مَزَاعم الَّذِين يَرون لأَنْفسهم ٱمتِيازاً عَلىٰ غَيْرهم، وَتَضع الجَمِيع عَلىٰ مُستوىٰ وَاحد فِي الحُقُوق وَالوَاجبَات. وَسَبق الكَلاَم عَن ذَلِكَ فِي العَدِيد مِن المُنَاسبَات، مِنْهَا فِي شَرح ٱلْخُطْبَة (٢).

(وَ الصَّلٰاةَ تَنْزِيهاً عَنِ الْكِبْرِ) لِأَنَّهَا خُضُوع، وَخُشوع، وَسُجُود، وَرُكُوع (وَ الزَّكَاةَ تَسْبِيباً لِلرِّزْقِ) تَمَاماً كَالضَّمان الاِجْتَمَاعِي. وَسَبق الكَلاَم عَنْهَا فِي شَرح ٱلخُطْبَة السَّابِقَة[1]. (وَ الصِّيَامَ ٱبْتِلَاءً لِإِخْلَاصِ الْخَلْقِ) حَيْث لاَ رَقِيب عَلىٰ الصَّائِم إِلّا الله، وَمن لاَ يُخْلص لِنفسه، وَلاَ لوَطنه، وَأُمته. وَتَقَدَّم الكَلاَم عَن الصّوم مَرّات، مِنْهَا فِي ٱلحِكْمَة السَّابِقَة[2]. (وَ الْحَجَّ تَقْرِبَةً لِلدِّينِ) أَي لأَهْل الدّين حَيْث يَجْتَمعُون فِي آنٍ وَاحد، وَمَكانٍ وَاحد، وَفِي زَي وَاحد، وَيَنشدُون نَشِيداً وَاحِداً. وَتَقدَّم

(١) أنظر، ٱلخُطبَةُ: (١٩٩). فِقْرَة «الصَّلاة وَالزَّكَاة». (مِنْهُ).

(٢) أنظر، ٱلحِكْمَة: (١٣٥). فِقْرَة، «وَزَكَاةُ الْبَدَنِ الصِّيَامُ». (مِنْهُ).

الكَلاَم عَن ٱلْحَجِّ فِي ٱلْخُطْبَة (١)، وَٱلحِكْمَة (١٣٥)، وَغيرها.

(وَ الْجِهَادَ عِزّاً لِلْإِسْلَامِ) وَبِهِ نَما وَٱنْتَشر، وَأيضاً بِهِ تَقَدَّم الْمُسْلِمُون فِي كُلِّ مَيدَان، وَلمَّا تَركُوه ذُلوا وَتَخلفُوا... وَالكَلاَم فِي هَذَا المَوْضُوع أَصْبَح مَكرُوراً وَمَملُولاً مَع الْعِلْم بِأنّاً تَكَلمنا عَنْهُ مَرَّات وَمَرَّات (وَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَوَامِّ) لأَنَّه يُعْلَمهم آدَاب السُّلوك، وَالْحَلاَل وَالحرَام (وَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ رَدْعاً لِلسُّفَهَاءِ) لأَنَّه يُحَذرهُم مِن كَآبَة القَلْب، وَسُوء المَصِير (وَ صِلَةَ الرَّحِمِ مَنْمَاةً لِلْعَدَدِ) أي مَن يَصل عَشِيرته يَجْتَمعوا حَوله، وَتَكْثر بِهِمْ أَنْصَاره وَأعوَانه، وَتَقَدَّم مَع الشَّرح فِي ٱلْخُطْبَة السَّابِقَة قَول الإِمَام عليه السلام: «وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ، فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ، وَتُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ»[١].

(وَ الْقِصَاصَ حَقْناً لِلدِّمَاءِ) كَما فِي الآيَة: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٢]. (وَ إِقَامَةَ الْحُدُودِ إِعْظَاماً لِلْمَحَارِمِ... إلخ). الإِسْلاَم نظَام إِصْلاَحي لنوَاحي الْحَيَاة، وَالإِصْلاَح يَستَدعي الْعُقُوبَة لِلرَّدع عَن الجَرَائِم وَالفوَاحش، وَمِنْهَا القَذف، وَالزِّنا، وَقَطع الطَّرِيق، وَشرب الْخَمْر، وهَذِه الْمُحَرَّمَات هِي الَّتي أَشَار إِلَيْهَا الإِمَام بِكَلِمة الْمَحَارِم... هَذَا، إِلىٰ أَنَّ الْخَمْرَة تُذهِب بِالْعَقْل، وَالسَّرِقَة خِسَّة وَدَنَاءة، وَتَضيع الأَنْسَاب، وَبِاللِّوَاط تَنْقَطع الذُّرِّيَّة.

(وَ الشَّهَادَاتِ ٱسْتِظْهَاراً عَلَى الْمُجَاحَدَاتِ) بَعْض الشَّارِحِين فَسر الشَّهَادة هُنا بِالوَسِيلَة لإِثْبَات الْحَقّ وَالْحُجَّة الدَّامِغة لِمن جَحَده وَأَنْكَره، أَمَّا الشَّيخ مُحَمَّد عَبْدَه

---

(١) أُنظر، نَهْج ٱلْبَلاَغَة: ٱلْخُطْبَة (٢٣).

(٢) ٱلْبَقَرَة: ١٧٩.

فَقَد فِسَّر بِالاِستشهَاد، وَالْمَوْت لِنُصرَة الْحَقّ، وَقَهر البَاطِل وَأَهله[١]. وَكُلّ مِن التَّفْسِيرين صَحِيح فِي نَفْسهِ، وَدِلاَلَة الكَلاَم لاَ تَأبَاه (وَ تَرْكَ الْكَذِبِ تَشْرِيفاً لِلصِّدْقِ). وَالصِّدْق فَضِيلَة، مَا فِي ذَلِكَ رَيب، وَلَكن لاَ لِذَاته وَبِما هُو، بَل لأَنَّ الْحَيَاة لاَ تَقُوم إِلَّا بِهِ، وَلُولاَه لاِخْتَل نظَامها، وَلِذَا يَسوغ الْكَذِب لِرَدع الظَّالم عَن الظُّلم، وَلاِصْلاَح ذَات الْبَيْن، وَلِتَطمِين المَرِيض وَتَسْكِينه.

(وَ السَّلاَمَ أَمَاناً مِنَ الْمَخَاوِفِ). وَفَسَّر الشَّارِحُون السَّلاَم هُنا بِالتَّحِية وَرَدها[٢]! . وَهَذَا التَّفْسِير بَعِيد عَن دِلاَلَة اللَّفظ، لأَنَّ كَلِمَة المَخَاوف تُوحي بِالْحَرْب عَلىٰ مُستوىٰ أَوْسَع مِنْهَا بَيْنَ ٱثْنَيْن. وَالْحَرْب الحَامِيَة خَرَاب وَدَمَار، وَتَقتِيل وَتَشرِيد، وَالْحَرْب البَارِدة قَلَق وَعَنَاء، وَفَقْر وَشقَاء، تُحرِم الشُّعوب مِن خَيرَاتها وَأَقوَاتها، وَتَبذِيرها عَلىٰ القوَاعد العَسْكَرِية، وَالْمَوْت وَالفَنَاء... وَالسَّلاَم أَمَان مِن هَذِه الوَيلاَت وَغِيرها، وَضَمان لِنموّ الْحَيَاة وَتَقدمهَا.

(وَ الْأَمَانَةَ نِظَاماً لِلْأُمَّةِ). الْأَمَانَة تَمَاماً كَالصِّدْق لاَ يَقوم لِلحَيَاة نظَام إِلَّا بِهما مَعَاً، وَسَاوىٰ النَّبيّ ﷺ بَيْنَهمَا بقَوْله: «لاَ تَنْظُروا إِلىٰ كَثْرَة صَلاَتهم، وَصُومهم، وَكَثْرَة الحَجّ، وَالْمَعرُوف، وَطَنْطَنَتهُم بِاللَّيلِ، وَلَكنْ... أُنظْرُوا إِلىٰ صِدق الحَدِيث، وَأَدَاء الْأَمَانَة إِلىٰ البَرِ، وَالفَاجر فِيما قَلَّ وَجَلَّ»[٣].

---

(١) أُنظر، شَرح نَهْج الْبَلاَغَة لِمُحَمَّد عَبْدَه: ٤/٥٥، شَرح نَهْج الْبَلاَغَة لاِبْن أَبِي الْحَدِيد: ١٩/٨٦.
(٢) أُنظر، شَرح نَهْج الْبَلاَغَة لاِبْن أَبِي الْحَدِيد: ١٩/٨٩.
(٣) أُنظر، عُيُون أَخبَار الرِّضا: ١/٥٦ ح ١٩٧، أَمَالي الشَّيخ الصَّدوق: ٣٧٩، وَسَائِل الشِّيعة: ١٩/٦٩ ح ٨، جَامع الْأَخْبَار: ٢٨٦ ح ٧٢٦، الاِخْتِصَاص: ٢٩٩، الكَافِي: ٢/١٠٤ ح ١، تُحف العقُول: ١٧٥، بِشَارة المُصطَفىٰ: ٢٩.

(وَ الطَّاعَةَ تَعْظِيماً لِلْإِمَامَةِ) أي لأُوْلِي الأَمْر الَّذِين يَعْلمُون وَيَعْملُون بِكتَاب الله وَسُنَّة نَبيِّه . قَالَ سُبْحَانَه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[1] وَطَاعَة الله هِي العَمَل بِكتَابه ، وَطَاعَة الرَّسُول العَمَل بِسُنَّته ، وَطَاعة أُوْلِي الأَمْر تَنْحَصر فِي تَنفِيذ أَحْكَام الكِتَاب وَالسُّنَّة وَالدَّلِيل القَاطع الوَاضح عَلىٰ أنَّ المُرَاد بِأُوْلِي الأَمْر فِي الآيَـة الكَـرِيمَة ـ خـصُوص الْعُلَمَاء العَامِلِين بِالكتَاب وَالسُّنَّة ، وَالدَّلِيل عَلىٰ ذَلِكَ هُو قَوْلَه تَعالىٰ : ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2] .

٢٥٢ ـ وَكَانَ عليه السلام يَقُولُ : «أَحْلِفُوا الظَّالِمَ ـ إِذَا أَرَدْتُمْ يَمِينَهُ ـ بِأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ حَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِهَا كَاذِباً عُوجِلَ الْعُقُوبَةَ ، وَ إِذَا حَلَفَ بِاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَمْ يُعَاجَلْ ، لِأَنَّهُ قَدْ وَحَّدَ اللهَ تَعَالَىٰ » .

● هَذِه اليَمِين تُعْرَف عِند الْفُقَهَاء بِيَمِين البَرَاءَة ، وَقَالُوا : هِي مِن أَشَد الْمُحَرَّمَات ، وَالكَبَائِر ، وَلاَ تَنْعَقد مِن الأَسَاس ، وَإِنَّ مَن حَلَف بِها يَبْرَأ مِن الإِسْلاَم وَإِنْ كَـان صَادِقاً ، وَآستَدلوا عَن النَّبيّ صلى الله عليه وآله ، وَأَهْل بَيْته عليهم السلام .

(١) ٱلنِّسَاء : ٥٩.
(٢) ٱلنِّسَاء : ٨٣.

وَقَالَ صَاحِب «الجوَاهِر» فِي بَاب الإيمَان: «وَلَكن قَد يُسْتَفَاد الجوَاز مِن قَول أَمِير المُؤْمِنِين عليه السلام فِي نَهْج البَلاَغَة: «أَحْلِفُوا الظَّالِمَ ـ إِذَا أَرَدْتُمْ يَمِينَهُ ـ بِأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ حَوْلِ اللهِ وَ قُوَّتِهِ... إلخ»[(١)]. وَأيضاً رُوي أَنَّ الإمَام جَعْفَر الصَّادق عليه السلام أَحْلَف بِيَمِين البَرَاءَة مَن وَشَىٰ بِهِ عِند المَنْصُور»[(٢)]. إلاّ أَنِّي لَمْ أَجد مَن أَفتَىٰ بِذَلِك مِن الفُقَهَاء، نَعم

---

(١) أنظر، جوَاهر الكَلاَم: ٣٥/٣٤٥.

(٢) وَحدّث عَبد الله بن الفَضْل بن الرَّبِيع، عَن أَبِيهِ قَالَ: لمَّا حَجَّ المَنْصُور فِي سَنَة سَبع وَأَرْبَعِين وَمِئة قَدِم المَدِينَة قَالَ لِلرَّبِيع: أَبْعَث إِلىٰ جَعْفرِ بن مُحَمَّد مَن يَأتِينا بِهِ مُتْعَباً سَرِيعاً قَتَلني الله إنْ لَم أَقْتُله. فَتغَافل الرَّبِيع عَنه وَنَاسَاه. فَأعَاد عَلَيْهِ فِي اليَوْم الثَّاني وَأَغْلَظ لهُ فِي القَول. فَأرسل إِلَيْهِ الرَّبِيع فَلمَّا حَضَر قَالَ لهُ الرَّبِيع: يَا أَبَا عَبد الله أذكُر الله تَعَالىٰ؛ فإنَّه قَد أَرسَل إلِيكَ بِمَا لاَ دَافع لهُ غَيْرَ الله، وَإِنِّي أَتخوّف عَلِيك. فَقَال جَعْفر: لاَ حَول وَلاَ قوّة إلّا بِالله العَليّ العَظِيم.

ثُمَّ إنَّ الرَّبِيع دَخَل بِهِ عَلىٰ المَنْصُور، فَلمَّا رَآه المَنْصُور أَغْلَظ لهُ بِالقَول فَقَال: يَا عَدوّ الله أتخذك أَهْل العِرَاق إِمَاماً يَجْبُون إِلِيك بِزَكَاة أَموَالهم فَتُلحِد فِي سُلطانِي وَتَبْتَغي إليَّ الغوَائِل؛ قَتَلني الله إنْ لَم أَقْتُلك. فَقَال جَعْفر: يَا أَمِير المُؤْمِنِين إنَّ سُليمَان أُعطِي فَشَكر، وإنَّ أَيوب أُبتلِي فَصَبر، وَإنَّ يُوسُف ظُلم فَغَفر. فَهَؤُلاَء أَنْبِياء الله وَإِلِيهم يَرجع نَسَبك وَلَك فِيهِمْ أُسوة حَسَنة. فَقَال المَنْصُور: أَجل لَقد صَدَقت يَا أَبَا عَبد الله ٱرتَفع إِلىٰ هَاهُنا عِندي، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا عبد الله إنَّ فُلاَن الفُلاَني أَخْبَرَني عَنك بِمَا قُلت لَك. فَقَال: أَحْضره يَا أَمِير المُؤْمِنِين لِيوَاقِفني عَلىٰ ذَلِكَ.

فَأُحضر الرَّجُل الَّذي سَعىٰ بِهِ إِلىٰ المَنْصُور، فَقَال لهُ المَنْصُور: أَحقّاً مَا حَكَيت لِي عَن جَعْفر؟ فَقَال: نَعم يَا أَمِير المُؤْمِنِين. قَالَ جَعْفر: فَأسْتَحلِفه عَلىٰ ذَلِكَ. فَبَدر الرَّجُل وَقَالَ: وَالله العَظِيم الَّذي لاَ إله إلَّا هُو عَالمُ الغَيب وَالشَّهادَة الوَاحد الأحَد الفَرد الصَّمد الَّذي لَمْ يَلد وَلَم يُولَد وَلَم يَكُن لهُ كفواً أَحد... وَأَخذ يَعدّ فِي صِفَات الله، فَقَال جَعْفر: يَا أَمِير المُؤْمِنِين يَحلف بِمَا أَسْتَحلِفه بِهِ، وَيَترك يَمِينه هَذَا. فَقَال المَنْصُور: حَلِّفه بِمَا تَختَار. فَقَال جَعْفر عليه السلام: قُل: بَرِئتُ مِن حَول الله وَقوّته وَٱلتَجَأت إِلىٰ حَولي وَقوّتي لَقَد فَعَل ـ جعفر ـ كَذَا وَكَذا. فَٱمتَنع الرَّجُل فَنَظر إِلِيهِ المَنْصُور مُنكراً فَحَلف بِهَا. فَمَا كَان بِأَسرَع مِن أنْ ضَرَب بِرِجله الأَرْض وَخَرَّ مِيّتاً مَكَانه فِي المَجلس، فَقَال المَنْصُور: جُرّوا بِرِجله وَأَخرجُوه لَعَنه الله.

رُويت هَذِه القِصَة فِي مصَادر عَدِيدَة، وَبألفَاظ مُتَنَاسبة، وَمُتقَاربة، مَع العِلم أنَّ بَعْضهم لَمْ يَنقلها بِشَكلٍ

فِي كتَاب «الوَسَائِل» بَاب جوَاز أستحلاَف الظَّالم بِالبَرَاءة، وَظَاهره الفَتوىٰ بـهِ. وَالاِحتِيَاط يَقْتَضي التَّرك إلَّا فِي مَهْدُور الدَّم»[١].

وَقَد يُرِيد الإِمَام بِالظَّالِم هُنا مَن يَجوز قَتْله لِسَبب أو لآخر، وَبِهَذا يُمْكن الجَـمع بَيْنَ قَوْلَه، وَالرِّوَايَات الَّتي حَرَمت يَمِين البَرَاءَة وَتَفْسِيرها بِمَن يَحرُم قَتله.

٢٥٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «يَا اَبْنَ آدَمَ، كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ فِي مَالِكَ، وَ اَعْمَلْ فِيهِ مَا تُؤْثِرُ

⇐ كَامل، بَل قَطع قِطعَة مِنْهَا. وَمَن شَاء فَليرَاجع المَصَادر التَّالِية لِيقف عَلَيها بِعينها، وَهِي كَمَا يَلي:

كَشف الغُمّة: ٢/١٥٨، البِحَار: ٤٧/١٨٢ و١٧٨ ح ٢٨ و٢٦، و: ٩٥/٢٢٣ ح ٢٢، إحقَّاق الحَق: ١٩/٥١٤ و٥١٣، و:١٢/٢٥٠ و٢٤٦، العِقد الفَرِيد: ٢/٢٨، المَنَاقب لِابْن شَهرآشـوب: ٣/٣٥٨، وَمَدِينة المعَاجز: ٣٦١ ح ١٩، الأَخْبَار المُوفّقيات: ١٤٩، الصَّحِيفة السَّجّادية الجَـامعة: ٣٦٨ ح ١٥٨، وَسِيلة النَّجَاة: ٣٥٩، سِير أعلاَم النُّبلاَء: ٦/٢٦٦، الفَرج بَعد الشِّدَّة: ٧٠، تَذكرة الخوَاصّ لِسبط اَبن الجَوزي: ٣٥٣، و: ٣٤٤ طَبْعَة أُخرىٰ، المُختَار لِلجَزري: ١٨، كـفَاية الطَّـالب: ٣٠٧، حـليَة الأَولـياء: ٣/١٩٢، مطَالب السَّؤول: ٨٢، نُور الأَبْصَار: ٢٩٥، و٤٥٥ طَبْعَة أُخرىٰ، الآيَات البَيِّنات: ١٦٢، صفوة الصَّفوة: ٢/١٧٦، رُوض الرّيَاحِين: ٥٨، عَين الأَدب وَالسِّيَاسة: ١٨٢.

وَلاَ يَخفىٰ أنَّ المَنصُور الدَّوَانيقي اَستدعىٰ الإِمَام الصَّادق عليه السلام مَرَّات عَدِيدة فَالمَرَّة الأُولىٰ ذَكرهَا صَاحب مُهج الدَّعوات: ١٧٥، وَالمَرَّة الثَّانِية: ١٨٤، وَالثَّالِثة: ١٨٦، وَالرَّابعة: ١٨٨، وَالخَامِسة: ١٩٢، وَالسَّادسة: ١٩٨، وَالسَّابعة: ٢٠١ وأُخرىٰ فِي الحِيرة ذَكرها فِي: ٢١٢، وَتَاسعة: ٢١٣.

واُنظر دَلاَئل الإِمَامة لِلطَّبري: ١١٩، الخَرائِج وَالجَرَائح: ٣٥٧، فَصل الخطَاب: ٣٨١ و٣٣٥، إثبَات الهُدَاة: ٥/٤٤٦ ح ٢١٥، الثَّاقب فِي المَنَاقب: ٢٠٨ ح ١٣، مَقتل الحُسين للخوَارزمي: ٢/١١٣ وَقَد ذَكر الدُّعَاء فَقط، مُسْتَدرَك الوَسَائِل: ١٣/١٧٣ ح ١، و: ١٥/٢٤١ ح ٢٨، البُرهَان: ٢/٢٩٩ ح ٧، عوالي اللآلي: ١/٤٣٧ ح ١٠، الكَافِي: ٦/٤٤٥ ح ٣، تَأرِيخ دِمشق تَرجَمة الإِمَام الصَّادق عليه السلام مَخطوط إثـبَات الوَصِية لِلمسعُودي: ١٨٣، الإِرْشَاد للشَّيخ المُفِيد: ٢/١٨٢ ـ ١٨٤، يـنَابِيع المَـوَدَّة لِـلقندوزي الحَـنفي: ٣/١١٢ و١١٣ طَبعة اُسوة، الصَّوَاعِق المُحرِقَة لِابْن حَجر الهَيتمي: ٢٠١ ـ ٢٠٢، الفصُول المُهِمّة فِي مَعْرِفة الأَئِمَّة لِابْن الصَّبَاغ المَالِكي: ٢/٢٤٣، بِتحقِيقنا.

(١) اُنظر، وَسَائِل الشِّيعَة: ١٦/١٦٧ بَاب ٣٣ ح ٢.

أَنْ يُعْمَلَ فِيهِ مِنْ بَعْدِكَ » .

● اعتَاد النَّاس أنْ يُوصوا بِشَطرٍ مِن أَموَالِهم عَلىٰ أَوجه البِر وَالْإِحسَان بَعد الْمَوْت .

وَيَقول الْإِمَام هٰؤُلَآء : لمَاذَا بَعد الْمَوْت ؟ سَارِعوا ـ مَا دُمتُم فِي قَيد الْحَيَاة ـ إِلىٰ الْمَعْرُوف الَّذي أوكَلتمُوه إِلىٰ الآخَرِين بَعد الْمَوْت ، وَإِنْ خُفتُم الفَقْر وَالحَاجَة عِند الشَّيخُوخة فَاقرَأوا قَوْلَه تَعَالىٰ : ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1] .

٢٥٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «الْحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ ، لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ ؛ فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكِمٌ » .

● الْحِدَّةُ حَال تُثِير الْإِنْسَان عِند غَضَبه ، وَتُخرجه عَن طَوره اللاَئِق بِهِ ، وَلاَ يَملك مَعَهَا دِيناً حتَّىٰ بِالمَجنُون أَشْبَه . . . فَإِنْ آبَ إِلىٰ رُشدِه بَعد الْحِدَّة وَنَدم فَجنُونه عَارِض وَإلاّ فَأَصِيل لاَزم لذَاتِهِ وَمَاهِيته . وَقَالَ حَكِيم قَدِيم : أَكْبَرَ الخَطأ أنْ لاَ تُصلِح الخَطَأ .

٢٥٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «صِحَّةُ الْجَسَدِ ، مِنْ قِلَّةِ الْحَسَدِ » .

● الْحَسَد دَاء الْعَقْل وَالْجِسم ، وَمَن سَلِم مِنْهُ سَلِمت صِحَته ـ عَلىٰ الْأَقل ـ وَتَقَدَّم مَع الشَّرح قَول الْإِمَام فِي الْخُطْبَة السَّابِقة : «فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمَانَ ﴿ كَمَا تَأْكُلُ

---

(١) ٱلْبَقَرَة : ٢٦٨ .

النَّارُ الْحَطَبَ﴾[١]. وَأيضاً يَأكُلُ الرُّوح وَالجِسم.

٢٥٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ النَّخَعِيِّ :

«يَا كُمَيْلُ، مُرْ أَهْلَكَ أَنْ يَرُوحُوا فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ، وَ يُدْلِجُوا فِي حَاجَةِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ، فَوَالَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ؛ مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْباً سُرُوراً إِلَّا وَ خَلَقَ اللهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ لُطْفاً، فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَةٌ جَرَىٰ إِلَيْهَا كَالْمَاءِ فِي آنْحِدَارِهِ؛ حَتَّىٰ يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تُطْرَدُ غَرِيبَةُ الْإِبِلِ».

● (أَنْ يَرُوحُوا فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ) يَرُوحُوا: مِن الرَّوَاح، وَهُو السَّير بَعد الظُّهر، وَيُستَعمل فِي مُطلَق الذِّهَاب وَالمُضيّ، وَالْمَكَارِم: المَحَاسِن وَالفَضَائِل، كَالصِّدْق وَالوَفَاء، وَالحِلْم وَالسَّخاء، وَالعِيش بِكَد اليَمين وَالوقُوف مَع المُستَضْعَفِين، وَمَا إِلىٰ ذَلِكَ مِمَّا بُعث بِهِ نَبِيّ الرَّحْمَة صلى الله عليه وآله الَّذي قَالَ: «إِنَّمَا بُعثْتُ لأُتْمِم مَكَارِم الأَخْلاَق»[٢]. وَقَالَ: «آمتَحنُوا أَنْفسكُم بِمَكَارم الأَخْلاَق، فَإِنْ كَانَتْ فِيكُم فَآحمدُوا الله تَعَالىٰ، وَإِلّا تكُن فِيكُم فَآسأَلوا الله، وَأرغبُوا إِلَيْهَا فِيهَا»[٣].

---

(١) أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلخُطْبَة (٨٦)، الفِردَوْس بمأثور الخِطَاب: ١٥٩/٢ ح ٢٨١٢، مُسْنَد أَبي يعلىٰ: ٣٣٠/٦ ح ٣٦٥٦، المُصنَّف لِابْن أَبي شيبة: ٣٣٠/٥ ح ٢٦٥٩٤، سُنَن آبن مَاجه: ١٤٠٨/٢ ح ٤٢١٠، سُنَن أَبي دَاود: ٢٧٦/٤ ح ٤٩٠٣، مصباح الزّجاجة: ٢٣٨/٤، تَفْسِير القُرطُبي: ٢٥١/٥.

(٢) أُنظر، بدَاية المُجتَهد: ٣٢١/٢، السُّنَن الكُبْرَىٰ: ١٩٢/١٠، تُحْفَة الأَحْوَذي: ٤٧٠/٥، نُظم دُرر السّمطِين: ٤٢، كَنز العُمّال: ٤٢٠/١١ ح ٣١٩٦٩، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٢٠٩/٥، كَشف الخَفَاء: ٢١١/١ ح ٦٣٨، مَكَارِم الأَخْلاَق للطَّبرسي: ٨، مَكَارِم الأَخْلاَق لِابْن أَبي الدُّنيَا: ٦، مُسْنَد الشّهَاب: ١٩٢/٢ ح ١١٦٤، تكملَة حَاشِية رَدّ المحتار: ٢٣٤/١.

(٣) أُنظر، الكَافِي: ٥٦/٢ ح ٢، الخِصَال: ٤٣١ ح ١٢، أَمَالي الشّيخ الصَّدوق: ٣٩٠، مَعَانِي الأَخْبَار: ١٩٣، وَسَائِل الشِّيعة: ١٨٠/١٥ ح ١، تَأرِيخ اليَعقُوبي: ٩٤/٢، فِقه الرِّضا: ٣٥٣.

(وَ يُدْلِجُوا فِي حَاجَةِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ... إلخ). يُدْلِجُوا: مِن الإِدلاَج، وَهُو السَّير فِي اللَّيْل، وَالْمَعْنَىٰ أَنْ يَسْعُوا فِي خِدمَة المَحَاوِيج حتَّىٰ الَّذِين لَمْ يَطلبُوا مِنْهُم ذَلِكَ، وَفِيهِ إِيمَاء إِلىٰ أَنَّه عَلىٰ كُلّ قَادِر أَنْ يُكَافح فِي سَبِيل المُسْتَضْعَفِين، وَأَنْ يُنَبِّه البُسطَاء وَالغَافلِين إِلىٰ أي خَطر يُهدد اَستقلاَلهم وَالإِعْتدَاء عَلىٰ حُرِّيتهم وَمُقدرَاتهم (فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَةٌ جَرَىٰ إِلَيْهَا كَالْمَاءِ فِي انْحِدَارِهِ... إلخ). أي مُصِيبَة، وَالْمَعْنَىٰ: مَن عَمِل لِخدمَة أَخِيه الإِنْسَان أَثَابه الله فِي الدُّنْيَا قَبل الآخِرَة.

(كَمَا تُطْرَدُ غَرِيبَةُ الإِبِلِ) وَهِي النَّاقَة تَدخُل مَرْعىً لِغَير صَاحبها فَيطردها مِنْهُ. وَعَن أَهْل الْبَيْت عليهم السلام: «أَيُّمَا مُؤْمِنٍ نَفَّس عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً نَفَّسَ اللهُ عِنْهُ سَبْعِينَ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا وَكُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، قَالَ: وَمَنْ يَسَّرَ عَلىٰ مُؤْمِنٍ وَهُوَ مُعْسِرٌ، يَسَّرَ اللهُ لَهُ حَوائِجَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، (وَمَنْ سَتَرَ عَلىٰ مُؤْمِن عَوْرَةً سَتَرْ اللهُ عَلَيْهِ سَبْعِينَ عَوْرَةً مِنْ عَوْرَاتِهِ الَّتِي يُخَلِّفُهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)»[1]. وَ«إِنَّ للهِ ظِلاً تَحتَ عَرْشه لاَ يَسْكنه إِلّا مَن أَسدىٰ إِلىٰ أَخِيه مَعْرُوفاً، أَو نَفَّس عَنْه كُربَة، أَو أَدْخَل عَلىٰ قَلبهِ سرُوراً»[2].

٢٥٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «إِذَا أَمْلَقْتُمْ فَتَاجِرُوا اللهَ بِالصَّدَقَةِ».

● مَن اَفْتَقَر وَضَاعت عَلَيْهِ سُبل الرِّزْق فَلْيَتصَدق وَلَو بِلُقمة مِن قُرصهِ عَلىٰ

(١) الكَافِي: ٢/٢٠٠ ح ٥، الوَافِي: ٣/١١٩، المُسْتَدرَك: ٢/٤٠٨ ح ١، البحار: ٧٤/٣٢٢ ح ٨٩ نحوه، ثواب الأعمال: ١٦٣ ح ١، البحار: ٧٥/٢٠ ح ١٦ باختلاف يسير عن ذُرِيح وَعنها فِي الوَسَائِل: ١١/٥٨٦ ح ٢.

(٢) أنظر، مُستَدرك الوَسَائِل: ١٢/٣٩٨ ح ١٤، بِحَار الأَنْوَار: ٤٨/١٧٤ ح ١٦، وَنَحوه فِي المُعْجَم الأَوسط: ٢/٨٦.

مِعْدَةٍ خَاوِية، فَإِنَّ الصَّدَقَة مِفْتَاح الرِّزْق. وَتَقَدَّم الكَلاَم عَن ذَلِكَ فِي ٱلْحِكْمَة (٧ و ١٣٧).

وَقَالَ الشَّيخ مُحَمَّد عَبْدَه: «هَا هُنا سِرّ لاَ يُعْلَم»[1]. وَقَد يَكُون السِّر هُو مُجَرد التَّوكل عَلىٰ اللهِ، وَالانْقطَاع إِلَيْهِ بِصدقٍ وَإخلاَص، وَعَدم الْيَأْس مِن فَضلِهِ وَرَحمَته وَمَن تَوكل عَلَيْهِ كَفَاه.

٢٥٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «الْوَفَاءُ لِأَهْلِ الْغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ اللهِ، وَ الْغَدْرُ بِأَهْلِ الْغَدْرِ وَفَاءٌ عِنْدَ اللهِ».

● التَّكبُّر رَذِيلَة، وَلَكنَّه عَلىٰ ٱلْمُتَكبِّرِين لأَنَّه نَوع مِن تَأدِيبهم وَإِشعَارهم بِأَنَّهم أَهْل لِلاِزْدِرَاء وَالاِحْتِقَار... كَذَلِكَ الْغَدْر بِمَن غَدَر وَفَجَر، وَنَكَث بِالعهُودِ، وَالموَاثِيق، وَأَوضح مِثَال لِلغَدْر وَالنَّكث مَا فَعَله الانجليز فِي الْحَرْب العَالَمِية الأُولىٰ، أَعْطُوا العهُود لِلعَرب أَنْ يَكُونوا لَهم عَوناً فِي تَحررهم وَجِهادهم ضِدّ الأَترَاك، وَفِي نَفس الوَقت أَعطُوا فَلسطِين لِلصَّهَاينة!... وَمَا مِن شَكٍّ أَنَّ الْغَدْر بِهِمْ وَبِكُل مُسْتَعمِرٍ، وَمُتَآمرٍ وَفَاءٌ وَإِبَاءٌ.

٢٥٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَ مَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ، وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ. وَ مَا ٱبْتَلَىٰ اللهُ سُبْحَانَهُ أَحَداً بِمِثْلِ الْإِمْلَاءِ لَهُ».

قَالَ الرَّضِيُّ: وَقَدْ مَضَىٰ هَذَا الكَلاَمُ فِيمَا تَقَدَّمَ إِلاَّ أَنَّ فِيهِ هَاهُنا زِيَادَةً جيدَةً مُفِيدَةً.

---

(١) أنظر، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة: ٥٨/٤.

● تَقَدَّم هَذَا بِالحَرف الوَاحِد مَع الشَّرح فِي الحِكْمَة (١١٦). وَقَالَ الشَّرِيف الرَّضِيّ: «قَد مَضَىٰ هَذَا الكَلاَم إلاَّ أنَّ هَا هُنا زِيَادَة مُفِيدَة» وَلاَ عَيْن أو أَثَر لِهَذِه الزِّيَادة المُفِيدة وَغِير المُفِيدَة، وَهَذا هُو النَّص السَّابق بِحرُوفه: «كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَج بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَمَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ، وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ. وَمَا ٱبْتَلَىٰ اللهُ سُبْحَانَهُ أَحَداً بِمِثْلِ الْإِمْلَاءِ لَهُ» فَأينَ الزِّيَادَة؟ وَجَلَّ مَن لاَ يُلهِيه شَيء عَن شَيء.

فصل

نَذْكُرُ فِيهِ شَيْئاً مِنْ غَرِيبِ كَلاَمَه عليه السلام

الْمُحْتَاج إِلىٰ التَّفْسِير

٢٦٠ ـ أَوَّلـها: وَفِي حَدِيثِهِ ﷺ: (فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ ضَرَبَ يَعْسُوبُ الدِّينِ بِذَنَبِهِ فَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ كَمَا يَجْتَمِعُ قُزَعُ الْخَرِيفِ).

● قَالَ الشَّرِيف الرَّضِيّ: نَذْكُر هُنا شَيْئاً مِن اخْتِيَار غَرِيب كَلاَم الإِمَام المُحتَاج إِلىٰ تَفْسِير... ثُمَّ ذَكَر تِسع جُمَل مِن هَذَا الغَرِيب، أَوَّلَها: (فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ ضَرَبَ يَعْسُوبُ الدِّينِ بِذَنَبِهِ... إلخ). اليَعْسُوب: السَّيِّد الْعَظِيمُ، وَالْقُزَعُ قِطَع مِن السَّحَاب رَقِيقَة، وَفِي الغَالب تَكُون خَالِية مِن المَاء. وَيُومىء الإِمَام بِذَلِكَ إِلىٰ ظهُور المَهْدِي المُنْتَظَرْ فِي آخرِ الزَّمَان.

ثَانِيهَا: وَفِي حَدِيثِهِ ﷺ: (هَذَا الْخَطِيبُ الشَّحْشَحُ).

● قَالَ الشَّرِيف الرَّضِيّ: يُرِيدُ المَاهِرَ بِالخُطْبَةِ، المَاضِي فِيهَا، وَكُلُّ مَاضٍ فِي كَلاَمٍ أَوْ سَيْرٍ فَهُوَ شَحْشَحٌ، وَالشَّحْشَح فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِع: الْبَخِيلُ المُمْسِكُ[1].

ثَالِثهَا: وَفِي حَدِيثِهِ ﷺ: (إِنَّ لِلْخُصُومَةِ قُحَماً).

---

(١) قَالَ ابن أَبي الحَدِيد في شَرح النَّهج: ١٩/١٠٦.
قَد جَاء الشَّحْشَح بِمَعَنىٰ الْغَيُور، وَالشَّحْشَح بِمَعَنىٰ الشُّجَاع، وَالشَّحْشَح بِمَعَنىٰ المُوَاظِب عَلىٰ الشَّيء المُلاَزِم لهُ، وَالشَّحْشَح بِمَعَنىٰ الحَاوِي، وَمِثله الشَّحْشحَان.
وَهَذِه الكَلِمَة قَالهَا عَليّ ﷺ لِصَعْصَعة بن صُوحَان العَبدِيّ ﵁، وَكَفَىٰ صَعْصَعةَ بِها فَخراً أَنْ يَكُون مِثل عَليّ ﷺ يُثْنِي عَلَيْهِ بِالمَهَارَة وَفَصَاحة اللِّسَان؛ وَكَان صَعْصَعةُ مِن أَفْصَح النَّاس.
أنظر، الْبَيَان وَالتَّبيين لِلجَاحظ: ١/٩٧، الغَارَات: ٢/٨٩٠، مَجْمَع الزَّوائِد: ٩/٥٤، الفَائِق فِي غَرِيب الحَدِيث: ٢/١٨٤، تَأرِيخ دِمشق: ٨/٢٩، غَرِيب الحَدِيث: ٣/٤٤١، النِّهاية فِي غَرِيب الحَدِيث: ٢/٤٤٩، لِسَان العَرَب: ٢/٤٩٦، شَرح النَّهج لِمُحَمَّد عَبْدَه: ٢/٨٩٠.

● قَالَ الشَّرِيف الرَّضِيّ: يُرِيدُ بِالْقُحَمِ المَهَالِكَ، لِأَنَّهَا تُقْحِمُ أَصْحَابَهَا فِي المَهَالِكِ، وَالمَتَالِفِ فِي الْأَكْثَرِ فَمِنْ ذَلِكَ قُحْمَةُ الْأَعْرَاب، وَهُوَ أَنْ تُصِيبَهُمُ السَّنَة فَتَتَفَرَّقُ أَمْوَالُهُمْ. فَذَلِكَ تَقَحُّمُهَا فِيهِمْ. وَقِيلَ فِيهِ وَجْهٌ آخَرُ، وَهُو أَنَّهَا تُقْحِمُهُمْ بِلاَدَ الرِّيف، أَيْ تُحْوِجُهُمْ إِلىٰ دُخُولِ الحَضر عِندَ مُحُولِ البَدْوِ»[١].

وَتَأْتِي مَع الشَّرح فِي ٱلحِكْمَة الآتِيَة: (مَنْ بَالَغَ فِي الْخُصُومَةِ أَثِمَ، وَمَنْ قَصَّرَ فِيهَا ظُلِمَ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ مَنْ خَاصَمَ»[٢].

رَابِعُهَا: وَفِي حَدِيثِهِ ﷺ: (إِذَا بَلَغَ النِّسَاءُ نَصَّ الْحِقَاقِ فَالْعَصَبَةُ أَوْلَىٰ).

● المُرَاد بِالنَّص البُلُوغ وَالإِدرَاك، وَبِالحِقَاقِ المُخَاصَمَة أي أَنَّ البِنْت مَتىٰ بَلغَت وَأدرَكت فَلَها كُلّ الحَقّ أَنْ تُخَاصم وَتُدَافع عَن نَفْسها، وَالمُرَاد بِالعَصَبَةِ قَرَابَة الأَب، وَالمَعْنَىٰ إِذَا بَلغَت مَبلغ الزَّوَاج فَقَرَابَةِ الأَب مَع فَقدَه أَوْلَىٰ مِن الأُمّ وَغَيْرِها.

وَبَحثنَا هَذِه المَسأَلة فِي الجُزْء الخَامس مِن «فِقْه الإِمَام جَعْفَر الصَّادق» ـ بَاب الوِلاَيَة، وَأثبَتنَا بِالعَقْل وَالنَّص أَنَّه لاَ وِلاَيَة لأَحدٍ فِي زَوَاج البَالِغَة الرَّاشدَة، وَإِنَّ لَهَا الاِستقلاَل التَّام، وَأَكْثَر العُلَمَاء وَالكُبَّار عَلىٰ ذَلِكَ، وَمِنْهُم صَاحب المَسَالِك[٣]، وَالجوَاهر، وَمِن جُمْلَة مَا قَاله فِي جوَاهِره: «لاَ يَنْبَغِي لِمَن لَهُ أَدنىٰ مُمَارسة فِي الفِقْه وَخِطَابَاته التَّوقُف فِي ذَلِكَ... أَجل، يُسْتَحَب لِلبِنت أَنْ تُقَدم ٱختيَار وَلِيها عَلىٰ ٱختِيَارها»[٤]. وَنَحْنُ نُفَسِر كَلاَم الإِمَام هُنا بِالاِستحبَاب.

---

(١) أنظر، ٱبن أَبي ٱلحَدِيد فِي شَرح ٱلنَهج: ١٠٧/١٩.

(٢) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٢٩٨). (مِنْهُ ﷺ).

(٣) أُنظر، مسَالِك الأَفهَام: ٤٣٢/٨.

(٤) أُنظر، جوَاهِر الكَلاَم: ١٨٣/٢٩.

خَامِسُهَا: وَفِي حَدِيثِهِ ﷺ : (إِنَّ الْإِيمَانَ يَبْدُو لُـمْظَةً فِـي الْـقَلْبِ، كُـلَّمَا ٱزْدَادَ الْإِيمَانُ ٱزْدَادَتِ اللُّمْظَةُ).

● لُمْظَةً ـ بِضَم اللاَّم وَسكُون الميم ـ مِثْل النُّكْتَة أو نَحْوهَا مِن البَيَاض، كمَا قَالَ الشَّرِيف الرَّضِيّ، وَنُصِبَتْ اللُّمْظَة نِيَابَة عَن المَفْعُول المُطلَق أي يَبدُو بَدوّ اللُّـمْظَة، وَالْمَعْنَىٰ إنَّ الْإِيمَان يَبدأ ضَعِيفاً ثُمَّ يَقوىٰ. قَالَ المُلا صَدرا: «يَكُون الإِيمَان ضَعِيفاً ثُمَّ يَتَدرج بِمُزَاولَة الْأَفكَار وَالْأَعمَال، وَيَشتَد شَيْئَاً فشَيْئَاً حَتَّىٰ يَـصِير عَـيَاناً»[1]، أي كَالعَيان، وَمِن هَذَا البَاب: «أُعبد الله كَأنَّك تَرَاه، فَإنْ لَم تَكُن تَرَاه فإِنَّه يَرَاك»[2].

سَادِسُهَا: وَفِي حَدِيثِهِ ﷺ : (إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ لَهُ الدَّيْنُ الظَّنُونُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُزَكِّيَهُ لِمَا مَضَىٰ إِذَا قَبَضَهُ).

● الدَّيْنُ الظَّنُونُ: لاَ يَدرِي صَاحِبه أَيَحصل وَيَعُود، أَم صَار فِي خَبَر كَان؟ وَلاَ تَجب الزَّكَاة إلَّا بِشرُوط، مِنْهَا: أنْ يَكُون الْمَال مِلكاً تَاماً لِصَاحِبِهِ، وَمُتَمَكِناً مِـن التَّصرف فِيهِ الآنْ لاَ فِي المُستَقبل. والدَّيْنُ لاَ يَدخُل فِي مِلك الدَّائِن إلَّا بَعد قَـبضه

---

(١) أُنظر، ٱلحِكْمَة المتعَالِيَة (الأسفَار) لِصَدر الدِّين مُحَمَّد بن إبْرَاهِيم الشَيرازي ٱلمَعْرُوف بـ(مُلا صَدرا)، أو صَدر المُتألهين: ٢٢٣/٤.

(٢) أُنظر، صَحِيح البُخَاريّ: ٢٠/٦، صَحِيح مُسْلِم: ٢٩/١، سُنَن ٱبن مَاجه: ٢٤/١ ح ٦٤، سُنَن أَبِي دَاود: ٤١٢/٢ ح ٤٦٩٥، سُنَن النَّسائي: ١٠٢/٨، مَجمَع الزَّوائِد: ٣٩/١ و: ٤٠/٢، فَتح البَـاري: ٣٥٥/١٣، المُصَنَّف لِمُحَمَّد بن أَبِي شَيبة الكُوفي: ٢٠٨/٧ ح ١ و: ١٢٨/٨ ح ٢٤، مكَارم الأَخلَاق لِلطَّبرسي: ٤٥٩، حَاشِية رَدّ المحتار: ١٠/١، كَنز العُمَّال: ٦/٢ ح ١٢٤، أَمَالي الطُّوسي: ٥٢٦، مُسْنَد أحمد: ٤٢٦/٢، إحيَاء علُوم الدِّين: ٣٩٧/٤، شَرح أصول الكَافِي: ٢١٧/٨..

سوَاء أَكَان قَادِراً عَلىٰ تَحْصِيله أَمْ غَيْر قَادر تَمَاماً كَنَفَقة الزَّوْجَة لاَ تَملكها إلَّا بِالقَبض، وَإنْ كَان لهَا كُلّ الحَقّ بِالمطَالبة. وَمِن البَدَاهَة أَنَّه لاَ زَكَاة إلَّا فِي مِلك. وَفِي روَايةٍ عَن المَعْصُوم: «لاَ صِدْقَةُ فِي الدَّين، وَلاَ عَلىٰ المَال الغَائِب عَنْك حَتَّىٰ يَقع فِي يَدك»[(١)].

وَكَلاَم الْإِمَام لاَ صِلَة لهُ بِهَذا الفَرض، يَخْتَص بِالدَّينِ الميؤُوس مِنْهُ بِحَيث يَكُون حصُوله وَعُودَته رِزقاً مِن غَيْر ٱحتسَاب. وَفِي كتَاب «الوَسَائِل عَن المَعْصُوم»: «وَالجَائِزَة مِن الْإِنْسَان لِلْإِنْسَان الَّتي لهَا خَطر فِيها الخُمس، وَمِثلهَا الميرَاث مِن غَيْر ٱحتسَاب»[(٢)]. وَفِيهِ إِيمَاء إِلىٰ أَنَّ أي شَيء لهُ خَطر ٱكتَسبه الْمَرْء مِن حَيْث لاَ يَحْتَسب ـ فَعَليه أَنْ يُؤدي خُمسهُ لِلمُسْتَحقِين.

سَابِعُهَا: وَفِي حَدِيثِهِ عليه السلام: (أَنَّهُ شَيَّعَ جَيْشاً بِغَزْيَةٍ فَقَالَ: «ٱعْذِبُوا عَنِ النِّسَاءِ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ»).

● ٱعْذِبُوا: أَعْرِضُوا، وَالْمَعْنَىٰ إِذَا كُنْتُم فِي الْجِهَاد فَلا تُفكرُوا، أَو تَتَحدثُوا فِي الجِنْس وَٱلنِّسَاء، لأَنَّ الله: «مَا جَعَل لِرَجُل مِن قَلْبِين فِي جَوفه»[(٣)].

---

(١) أُنظر، تَهذِيب الأَحْكَام: ٣١/٤ ح ٧٨، وَسَائِل الشِّيعة: ٦٣/٦ ح ٦، تَذكرة الفُقهَاء: ٢٠١/١، المُعتَبر لِلمُحَقق الحِلي: ٤٩٠/٢، جَامع المَدارك: ٣/٢، مُختَلف الشِّيعَة: ١٦٢/٣.

(٢) أُنظر، وَسَائِل الشِّيعة: ٣٥٠/٦ ح ٥.

(٣) ٱقتباساً مِن الآيَة الْكَرِيمَة فِي سُوْرَة ٱلْأَحْزَاب: ٤ ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾.

وأُنظر، تَفسِير مَجمَع الْبَيَان: ١١٧/٨، تَفسِير مُجَاهد: ٥١٣/٢، تَفسِير الْقُرْآن لِعبدالرَّزاق الصَّنعَاني: ١١١/٣، جَامع الْبَيَان: ١٤٢/٢١ ح ٢١٥٧٥ ـ ٢١٥٧٧، مَعَاني الْقُرْآن لِلنَّحاس: ٣٢٠/٥، أَحْكَام الْقُرْآن لِلجَصاص: ٤٦٣/٣، زَاد المَسِير: ١٨٠/٦.

ثَامِنُهَا: وَفِي حَدِيثِهِ ﷺ : « كَالْيَاسِرِ الْفَالِجِ، يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ » .

● الْيَاسِرِ الْفَالِجِ هُو الَّذي حَالَفهُ التَّوفِيق فِي جَمِيع أَعْمَاله وَموَاقِفه أو أَكْثَرها، وَالْقِدَاح -بِكَسر القَاف- جَمع القِدْح -بِكَسر القَاف وَسكُون الدَّال- أي السَّهم، وَالْمُرَاد بِالقِدَاح سِهَام القِمَار، وَالْمَعْنَىٰ الْمُوَفق المَيمُون بِعنَاية الله هُو سَعِيد فِي دُنيَاه وَآخِرته. وَاْقْتَبسنا هَذَا التَّفْسِير مِن كَلاَمٍ طَوِيل لِاِبْن أَبِي اْلحَدِيد. وَمَا هُو بِهَذا الوضُوح[١].

تَاسِعُهَا: وَفِي حَدِيثِهِ ﷺ : « كُنَّا إِذَا اَحْمَرَّ الْبَأْسُ اَتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَىٰ الْعَدُوِّ مِنْهُ »

● عَلِيّ يَلُوذ بِمُحَمَّد ﷺ إذَا حَمِي الوَطِيس، وَهُو القَائِل: «لَقَد رَأَينا يَوْم بَدر وَنَحنُ نَلوذ بِرَسُول الله ﷺ، وَهُو أَقْرَبنا إِلىٰ العَدوّ، وَكَان مِن أَشَد النَّاس يَوْمَئِذٍ بَأسَاً»[٢]. وَهُو القَائِل: «وَاللهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَىٰ قِتَالِي لَمَا وَلَّيتُ عَنْهَا»[٣]... وَهُو القَائِل: «وَاللهِ لِابْن أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ، بَلِ اَنْدَمَجْتُ عَلَىٰ مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لاَضْطَرَبْتُمْ اَضْطِرَابَ الأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ

(١) أنظر، شَرح النَّهج لِابْن أَبِي اَلحَدِيد: ١١٥/١٩، وَالغَارَات: ٨٠/١، كَنز العُمَّال: ٢٢٦/١٦ ح ٤٤٢٥٩، غَرِيب الحَدِيث لِابْن سَلاَّم: ٤٦٨/٣.

(٢) أنظر، مُسْنَد أَحْمَد: ٨٦/١، مَجمَع الزَّوائِد: ١٢/٩، المُصَنَّف لِلكُوفي: ٥٧٨/٧، نُظم دُرر السِّمطِين: ٦٢، كَنز العُمَّال: ٣٩٧/١٠ ح ٢٩٩٤٣، تَأرِيخ دِمشق: ١٤/٤، البدَاية وَالنِّهاية: ٣٤٠/٣، الشِّفا بِتَعرِيف حقُوق المُصْطَفَىٰ: ١١٦/١، السِّيرَة النَّبوِيَّة لِابْن كَثِير: ٤٢٥/٢، سُبل الهُدَىٰ وَالرَّشاد: ٤٦/٤.

(٣) أنظر، نَهج اَلبَلاَغَة: اَلرِّسَالَة (٤٥).

الْبَعِيدَةِ»[1]... عَليّ يَتقي بِرَسُول الله إذَا ٱحْمَرّ البَأْس، وَهُو الّذي أَطَاح بِرؤوس الأَبْطَال عَن أَجْسَادها حَتّىٰ ٱسْتَسلمت الجَبَابِرة صَاغِرة ٱبْتغَاء السَّلاَمة وَالعَافِية!.. أَجل، وَأي عَجب! هَل فِي البَشرِية مَن حلّق فِي آفَاق الكَمَال، وَكَان هُدىً لِلسّارِين، وَمَناراً للعَالَمين ـ كَمُحَمَّد ٱبن عَبد الله؟.

وَأيضاً قَالَ عَليّ أَمِير الْمُؤْمِنِين عليه السلام: «دَخَلْت فَاطِمَة عَلىٰ رَسُول الله، ـ فِي حَاجَةٍ ـ وَسَلمَت عَلَيهِ وَرَجَعت، فَقلتُ: مَالكِ؟ قَالَت: وَالله مَا ٱستَطَعت أَنْ أُكَلم رَسُول الله مِن هَيبَتهِ، فٱنْطَلَق عَليّ مَعهَا إِلىٰ النَّبيّ صلى الله عليه وآله، فَقَالَ لَهُما...»[2]. وَكُلّ تِلمِيذ تَصح مَعْرِفَته بِعَظمة أُستَاذه يَهابه وَيَخشَاه... وَحَاول أَعْدَاء الدِّين أنْ يَغمزُوا بِمَقَام مُحَمَّد صلى الله عليه وآله فَأعْطوا عَلِيّاً مِن الصِّفَات بِأُسلُوب أو بِآخر ـ مَا يُساوِي صِفَات مُحَمَّد صلى الله عليه وآله أَو يَزِيد... لاَ حُبّاً بِعَليٍّ وَشِيعَته، بَل كَيداً لِلإِسْلاَم وَنَبي الإِسْلاَم... وَنعُوذ بِاللهِ مِن هَذَا الدَّس وَالتَّدجِيل، وَالْكُفْر وَالتَّضلِيل.

٢٦١ ـ وَ قَالَ عليه السلام، لَمَّا بَلَغَهُ إغَارَةُ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ عَلَىٰ الْأَنْبَارِ، فَخَرَجَ بِنَفْسِهِ مَاشِياً حَتَّىٰ أَتَىٰ النُّخَيْلَةَ، وَأَدْرَكَهُ النَّاسُ، وَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، نَحْنُ نَكْفِيكَهُمْ، فَقَالَ عليه السلام:

«وَ اللهِ مَا تَكْفُونَنِي أَنْفُسَكُمْ، فَكَيْفَ تَكْفُونَنِي غَيْرَكُمْ؟! إِنْ كَانَتِ الرَّعَايَا قَبْلِي لَتَشْكُو حَيْفَ رُعَاتِهَا، وَإِنَّنِي الْيَوْمَ لَأَشْكُو حَيْفَ رَعِيَّتِي، كَأَنَّنِي الْمَقُودُ وَهُمُ الْقَادَةُ، أَوِ الْمَوْزُوعُ وَهُمُ الْوَزَعَةُ»!

(١) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: جُزء مِن ٱلخُطْبَة (٥).

(٢) أُنظر، مَنَاقب آل أَبي طَالِب: ٣/١٢٠، مَجْمَع الزَّوائِد: ١٠/٣٢٧، نُظم دُرَر السّمطِين: ١٩٠.

(قَالَ : فَلَّما قَالَ عليه السلام هَذَا الْقُول ، فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ قَدْ ذَكَرْنَا مُخْتَارَهُ فِي جُمْلَةِ ٱلْخُطَب ، تَقَدَّم إِلَيْه رَجُلَانِ مِن أَصْحَابِهِ[١] ؛ فَقَالَ أَحْدَهما : ﴿إِنّي لآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾[٢] فَمُرْنَا بِأَمْرِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نُنَفِّذْ لَهُ).

فَقَالَ عليه السلام : «وَ أَيْنَ تَقَعَانِ مِمَّا أُرِيدُ» ؟!

● الْـوَزَعَةُ ـ بِفَتح الوَاو وَالزَّاي ـ جَمع الوَازِع أي الحَاكِم ، وَالْمَوْزُوع : الْمَحكُوم... قَالَ الشَّرِيف الرَّضِيّ : «بَلَغ الْإِمَام أَنَّ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ أَغَارُوا عَلَىٰ الْأَنْبَارِ ، فَخَرَجَ بِنَفْسِهِ مَاشِياً حَتَّىٰ أَتَىٰ النُّخَيْلَةَ[٣] ، وَ أَدْرَكَهُ النَّاسُ ، وَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نَحْنُ نَكْفِيكَهُمْ ، فَقَالَ عليه السلام : وَاللهِ مَا تَكْفُونَنِي أَنْفُسَكُمْ ، فَكَيْفَ تَكْفُونَنِي غَيْرَكُمْ ؟!... وَالأَنْبَارِ بَلْدَة عَلىٰ الفُرَات مِن الجَانب الشَّرقي ، وَهِيت مِن الجَانب الغَربي[٤] .

---

(١) الرَّجُلاَن هُما : جُندب بن عَفِيف ، وَالآخَر آبن أَخِيه عَبدالرَّحمن بن عَبدالله بن عَفِيف . أُنظر ، الغَارات : ٤٧٨/٢ ، جوَاهر المطَالب فِي مَناقب الإِمَام عَليّ لِابْن الدِّمَشْقِي : ٣٢٣/١ .

(٢) ٱلْمَائِدَة : ٢٥ .

(٣) أُنظر الْفُتُوح لِابْن أَعْثَمْ : ١ / ٥٧١ ، وَالإِمَامَة وَالسِّيَاسَة لِابْن قُتَيْبَة : ١٢٠ ـ ١٢٥ ، أَعْيَان الشِّيعَة : ١ / ٤٧٥ ـ ٤٧٩ ، تَأرِيخ الطَّبَري : ٣ / ٥٦٣ .

(٤) أُنظر ، مَجْمَع البَحرين لِلطُّريحي : ٢٦٣/٤ . (مِنْهُ رحمه الله) . وَذكر يَاقُوت الحَموي فِي مُعْجَم البُلدَان : ٢٥٨/١ ، ثَلاَثَة أَمْكِنة تُسمىٰ بِالأَنْبَار : مَدِينة قُرب بَلَخ وَهِي قَصَبة نَاحِية جُوزجَان ، وَمَدِينة عَلىٰ الفُرَات فِي غَربي بَغدَاد بَيْنَهما عَشرَة فَرَاسخ ، وَسِكَة الأَنْبَار بِمَرو فِي أَعلىٰ البَلَد .

وَهِيت سُمِّيت بِآسم بَانِيها وَهُو الهِيت بن البَندي ، وَيُقَال ـ البلندي ـ بَلدَة عَلىٰ الفُرَات فَوق الأَنْبَار ذَات نَخِيل كَثِير وَخَيرَات وَاسعة عَلىٰ جِهَة البَرية فِي غَربي الفُرَات ، وَفِيها قَبر عَبدالله بن المُبَارك كَما جَاء فِي مَراصد الإِطِّلَاع : ١٤٦٨ ، وَتَاج العَروس : ٥٩٨/١ . وَهِي بَلد عَلىٰ شَاطىء الفُرَات ، وسُمِّيت هِيت لِأَنَّها فِي هُوَّة مِن الأَرْض . كَما جَاء فِي لِسَان العَرب : ١٠٧/٢ ، الغَرِيب لِابْن قُتَيْبَة : ٤٧٧/١ و : ٦٣/٢ .

وَتقدَّم فِي ٱلْخُطْبَة (٢٧) قَول الإِمَام: «وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ، وَقَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ، وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَىٰ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَالأُخْرَىٰ الْمُعَاهِدَةِ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا، وَقُلُبَهَا، وَقَلاَئِدَهَا، وَرُعُثَهَا، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلاَّ بِالإِسْتِرْجَاعِ، وَالإِسْتِرْحَامِ...». وَنَقلنا فِي الشَّرح أَنَّ المُعَاوِيَة: جَهَّزَه بِجَيش كَثِيف، وَقَالَ: ٱمض حَتَّىٰ تَغير عَلىٰ الْأَنْبَار وَالمدَائن، وَٱقتل مَن لَقِيت مِمَّنْ لَيْسَ عَلَىٰ مِثل رَأيك، وَأخرب كُلّ مَا تَمُرُّ بِهِ مِن القُرىٰ، وَٱنهَب الْأَمْوَال وَهُو أوجَع لِلقَلب... وَٱمتَثل سُفْيَانَ، وَقَتَل، وَنَهب، وَدَمر، وَمَلأ ٱلْقُلُوب رُعباً... وَلَمَّا عَاد إِلَىٰ مُعَاوِيَة قَالَ لَهُ: «كُنتَ عِند ظَنِي بِكَ»[1].

(إِنْ كَانَتِ الرَّعَايَا قَبْلِي لَتَشْكُو حَيْفَ رُعَاتِهَا... إلخ). تَقَدَّم مَع الشَّرح فِي ٱلْخُطْبَة (٩٧)، وَهَذَا نَصّه: «وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا، وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي».

٢٦٢ ـ وَقِيلَ: (إِنَّ الْحَارِثَ بْنَ حَوْطٍ أَتَاهُ عليه السلام، فَقَالَ لَهُ: أَ تَرَانِي أَظُنُّ أَصْحَابَ الْجَمَلِ كَانُوا عَلَىٰ ضَلاَلَةٍ؟).

فَقَالَ عليه السلام:

«يَا حَارِثُ، إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ، وَلَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحِرْتَ؛ إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ مَنْ أَهْلَهُ؛ وَلَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ».

---

(١) أُنظر، الغَارَات: ١/٢٥ و٣٤٩ و: ٢/٣٩٥، أَمَالي الشّيخ المُفِيد: ١٤٦، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة لِابن أَبي ٱلْحَدِيد، تَحقِيق مُحَمَّد أَبو الفَضْل: ٢/٥٨ و ٨٧.

فَقَالَ الْحَارِثُ:

(فَإِنِّي أَعْتَزِلُ مَعَ سَعِيدِ بْنِ مَالِكٍ، وَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ.

فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ سَعِيداً، وَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ، وَ لَمْ يَخْذُلَا الْبَاطِلَ».

● (إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ، وَ لَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحِرْتَ... إلخ). إِنَّكَ قَاصِر النَّظر لاَ تَرىٰ إلَّا مَوطىء قَدَمَيك (إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ مَنْ أَهْلَهُ). نَظَرْت إِلىٰ طَلْحَة وَالزُّبَيْر مِن خِلاَل صُحْبَتهما لِرَسُول الله ﷺ، وَإِلىٰ عَائِشَة مِن خِلاَل حُرمَة رَسُول الله!.. وَالْحَقّ لاَ يُعْرَف بِالْصَّحَابَة وَالقَرَابة، وَلاَ بِالأَلقاب، وَالأَنْسَاب، وَلاَ بِالزَّواج وَغَيْر الزَّواج، وَإِنَّما يُؤخذ مِن مَعدَنهِ وَمَصدَره، مِن كتَاب الله، وَسُنَّة نَبيّه، وَمَتىٰ عَرفت الْحَقّ مِن مَصدَره قِستَ بِهِ الْمُحقِّين وَالمبطلِّين.

وَأَصْحَاب الْجَمَل نَكَثوا البَيْعَة، وَشقوا عَصا الطَّاعَة، وَعَاثوا فِي الأَرْض مُفسدِين، وَفَرقوا الْمُسْلِمِين، وَجَيَّشوا الجيُوش لإِرَاقة الدِّمَاء البَرِيئَة، وَقَالَ سُبْحَانَه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[1]. وَقَالَ: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[2].

هَذَا، إِلىٰ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ، وَصَف أَهْل الْجَمَل بِالنَّاكِثِين، وعَائِشَة بِرَاكِبَة الْجَمَل الَّتِي

(١) ٱلْحُجُرَات: ٩.

(٢) ٱلْبَقَرَة: ١٩٣.

تَنْبحها كِلاَب حَوْأب، ويُقتَل حَولها خَلق كَثِير، كَمَا جَاء فِي كُتب الْحَدِيث[١].

(إِنَّ سَعِيداً، وَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ، وَ لَمْ يَخْذُلَا الْبَاطِلَ). تَقَدَّم مَع الشَّرح فِي ٱلْخُطْبَة (١٧٢).

٢٦٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَاكِبِ الأَسَدِ: يُغْبَطُ بِمَوْقِعِهِ، وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَوْضِعِهِ».

● رَاكِبِ الأَسَدِ تهَابَه النَّاس، وَتَعْجَب مِن شَجَاعَته، وَهُو أَشد مِنْهُم هَيبَةً وَرُعباً مِن غَضَب الأَسَد، وَالفَتك بِهِ عَلىٰ حِين غَفلَة... وَبِالأمس القَرِيب قَرَأت فِي الصُّحف أَنَّ أَسد السِّيرك قَتَل سَائِسه وَمروّضه بَعد صُحبَة طَويلة... وَكَم مِن

---

(١) أُنظر، فَضَائِل الخَمْسَة مِن الصِّحَاح السِّتة. (مِنْهُ رحمه الله).

ذَكر قِصَّة الجَمَل، وكِلاَب الحُوْأب، الطَّبَرِي فِي تَأريخه: ٣ / ٤٧٥ بِإختلاف بَسِيط فِي اللَّفظ، شَرح النَّهج لِابْن أَبِي الحَدِيد: ٦ / ٢٢٤ و: ٦ / ٢٢٧، تَأريخ اَبن أَعْثَم: ١٧٦، وَابن الأَثِير: ٣ / ٩٧، مروج الذَّهب: ٢ / ٣٦٦، ابن كَثِير فِي تَأريخه: ٦ / ١١٢، وَالسّيوطي فِي خصَائِصه: ٢ / ١٣٦، وَالمُستَدرَك: ٣ / ١١٩، وَالإِصَابَة: ٦٢، وَالعقد الفَرِيد لِابْن عبد رَبّه: ٣ / ١٠٨، والسِّيرَة الحَلَبِية: ٣ / ٣٢٠.

وَفِي مُسْنَد أَحمد: ٦ / ٩٧، تَأريخ اليَعقوبي: ٢ / ١٥٧ وَكَنز العُمَّال: ٦ / ٨٣.

وَمَن أَرَاد المَزِيد فَليراجع اَبن الأَثِير فِي مَادَّة (الحُوْأب) مِن كِتَابه النّهاية، وَالزَّمَخْشَري فِي الفَائِق، وَالحموي فِي مُعجم البُلدان، وأَبن الطِّقطق فِي الفَخري: ٧٨ الطَّبعة المِصْرِية، وَالزُّبيدي: ١ / ١٩٥ و ٢٤٤، وَمُسْنَد أَحمد: ٦ / ٥٢ و ٩٧، وأَبن أَعْثَمْ فِي الْفُتوح: ١٦٨، وَالسَّمعاني فِي تَرجمة الحُوْأب فِي الأَنْسَاب، وَالسِّيرَة الحَلَبِية: ٣ / ٣٢٠، وَمُنْتَخَب الكَنز: ٥ / ٤٤٤، وَالإِمْتَاع: ٢٦٩، وَجَمهرَة أَنْسَاب العَرَب: ٢٤٥، مُسْتَدرَك الصَّحِيحِين: ٣ / ١١٩ و ١٢٠، وَمَجْمَع الزّوائِد: ٧ / ٢٣٤، و: ٨ / ٢٨٩، و: ٩ / ١١٢، وَفَتح البَارِي: ١٦ / ١٦٥، الاِسْتِيعَاب لِابْن عَبدالبرّ: ٢ / ١٨٥، مُسْنَد أَحْمَد: ٦ / ٣٩٣، إِسعَاف الرَّاغبين بهَامش نُور الأَبْصَار: ٦٤ الطَّبعة العُثْمَانِية و ٦٥ الطَّبعة السَّعِيدية، الاِسْتِيعَاب بِهَامش الإِصَابَة: ٤ / ٣٦١، تَاج العَروس: ١ / ٢٤٤.

مَحْسُود عَلَىٰ مَا هُو شَاكٍ مِنْهُ تَمَامَاً كَمَن حَسُن مَنْظَره، وَسَاء مَخْبَره.

وَصَاحِبُ السُّلْطَان يَأمر وَيَنهىٰ، وَيُثِيب وَيُعَاقب، وَيُبَالغ النَّاسُ فِي طَاعتهِ وَإظهَار التَّقدِير وَالاحْتِرَام لهُ، وَيَغبطُونه عَلىٰ سُلطانهِ وَسَيطَرتهِ، وَهُو فِي خَوف دَائِم عَلىٰ مَنْصبِهِ، وَشُغلٍ شَاغل بِأعدَائهِ، وَأصدقَائهِ المُرَائِين، وَبِالحَذَر مِن هَولِ مَا يُدبرُون وَيَكتمُون.

٢٦٤ ـ وَ قَالَ ﷺ: «أَحْسِنُوا فِي عَقِبِ غَيْرِكُمْ تُحْفَظُوا فِي عَقِبِكُمْ».

● أَبَداً لاَ يَذْهَب العُرف بَيْنَ الله والنَّاس[1]، وَمَن لاَ يَرحَم لاَ يُرحَم[2]... وَكمَا تُدِين تُدَان[3]... هكَذا قَالَ الأَنْبِيَاء، وَالحُكمَاء. وَأيضاً قَالُوا: «لاَ تُظهِر الشَّماتة

(١) قَالَ الشَّاعر المَعْرُوف الحُطَيئة:

مَنْ يَفْعَل (يَصْنَع) الخَير (العُرف) لاَ يُعْدَم جوائِزه
لاَ يَذْهَب العُرف بَيْنَ الله وَالنَّاس

أنظر، مُسْنَد أَبي يَعلىٰ: ١٣/١، الأَحْكَام لِيحيىٰ بن الحُسين: ٥٤٤/٢، تَفسِير القُرطُبي: ٣٨٣/٥ و: ٣٤٦/٧، فَتح القَدِير: ٥١٥/١، تَأريخ دِمشق: ١١٤/١٠ و: ٣٩٠/٢٥، الإِصَابَة: ١٥١/٢، البِدَاية وَالنِّهاية: ٢٤٦/٧.

(٢) أنظر، صَحِيح البُخَاريّ: ٧٥/٧، صَحِيح مُسْلِم: ٧٧/٧، سُنَن أبي دَاود: ٥٢٢/٢ ح ٥٢١٨، سُنَن التِّرمذي: ٢١٢/٣ ح ١٢، مُسْنَد أحمَد: ٢٢٨/٢، المَجْمُوع: ٦٣٩/٤، المُحلىٰ: ٢٦٣/٦، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ١٥٥/٣، ذَخَائِر العُقبَىٰ: ١٢٦، مَجمَع الزَّوائِد: ١٨٧/٨، المُصَنَّف لِعبدالرَّزاق الصَّنعاني: ٥٥٣/٣ ح ٦٦٧٢.

(٣) أنظر، الكَافِي: ١٣٤/٢ ح ١٨، صَحِيح البُخَاريّ: ١٤٦/٥، مُقَدِّمة فَتح البَاري: ١١٥، فَتح البَاري: ١١٩/٨، دَعَائم الإِسْلاَم: ٤٤٩/٢ ح ١٥٧١، عُيُون الحِكَم وَالمَواعِظ: ٣٩٦، المُصَنَّف لِعبدالرَّزاق الصَّنعاني: ١٧٩/١١ ح ٢٠٢٦٢، الجَامِع الصَّغير: ٤٩٣/١ ح ٣١٩٩، كَنز العُمَّال: ٧٧٢/١٥ ح ٤٣٠٣١، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغير: ١٨/١، كَشف الخَفَاء: ١٢٦/٢ ح ١٩٩٦.

لأَخِيك فَيعُافِيهِ الله وَيَبتَلِيك[١] ... وَمَن غَدَر ظَالِماً سَلط عَلَيْهِ مَن يَظلمه[٢]، وَالله سُبْحَانَه أَحسَن الخَالقِين، وَأصدَق القَائِلين: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضَا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٣]. وَإذْن فَلا بِدع إذَا خَدَمتْ الأَجيَال أَولاَد وَأحفَاد مَن خَدمَها. قَالَ ٱبن أَبِي ٱلْحَدِيد: أَكْثَر مَا فِي الْحَيَاة يَقع عَلىٰ سَبِيل المُكَافَأة، فَمَن ظَلَم ظُلم فِي وِلده، وَمَن هَدَم دَار غَيْره هُدِمت دَاره[٤].

٢٦٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «إِنَّ كَلَامَ ٱلْحُكَمَاءِ إِذَا كَانَ صَوَاباً كَانَ دَوَاءً، وَ إِذَا كَانَ خَطَأً كَانَ دَاءً».

(١) أُنظر، أَمَالي الشَّيخ المُفِيد: ٢٦٩، المُعْجَم الكَبِير: ٥٤/٢٢، مُسْنَد الشَّامِيين: ٢١٥/١ ح ٣٨٤، مُسْنَد الشّهاب: ٧٧/٢ ح ٩١٦ و٩١٧، تَكمِلة حَاشِية رَدّ المحتار: ٥٦٠/١، نَصب الرّاية: ٦٧/٣، تَفْسِير القُرطُبي: ٢٩١/٧، كَشف الخَفَاء: ٣٥٨/٢ ح ٣٠٢٤، نُزهَة النَّاظر وَتَنبِيه الخَاطر: ٣٧ ح ١١٣.

(٢) أُنظر، الكَافِي: ٣٣٢/٢ ح ١٣ و١٨، وَلَكن بِلَفظ: «مَن ظَلَم سَلط الله عَلَيهِ مَن يَظْلمه» وَبِلَفظ: «مَن أعَان ظَالِماً يَظلمه سَلَط الله عَلَيهِ مَن يَظلمه»، وَسَائِل الشِّيعة: ٥٦/١٦ ح ٢، ثَوَاب الأَعمَال: ٢٧٤، مُستدرَك الوَسَائِل: ٩٨/١٢ ح ٤، بحَار الأَنْوَار: ٣١٥/٧٢ ح ٣٥، التَّفْسِير الأَصفىٰ: ١٩٦/١، تَفْسِير نُور الثَّقلين: ٤٤٧/١.

(٣) ٱلأَنْعَام: ١٢٩.

(٤) أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلْحَدِيد: ١٥٢/١٩.

قَالَ ابن أَبِي الْحَدِيد: وَقَرأتُ فِي تَأرِيخ أَحْمَد بن طَاهر ـ صَاحِب تَأرِيخ بَغدَاد ـ أَنَّ الرَّشِيد أرْسَل إلىٰ يَحيىٰ بن خَالد وَهُو فِي مَحْبَسه يُقرِّعه بِذُنوبه، وَيَقول لهُ: كَيف رَأيْت! أَلَمْ أُخرِبْ دَارك؟ أَلَمْ أَقتُل وَلَدك جَعفراً؟ أَلَمْ أَنْهبْ مَالك؟ فَقَال يَحيىٰ لِلرَّسُول: قُلْ لهُ: أَمَّا إخرَابُك دَاري فَسَتُخرَّب دَارك، وَأَمَّا قَتلُك وَلدِي جَعفراً فَسيُقتَل وَلدُك مُحَمَّد، وَأَمَّا نَهبُك مَالي فَسَيُنهَب مَالُك وَخِزانَتك. فَلمَّا عَاد الرَّسُولُ إِلَيهِ بِالجَواب وَجَم طَوِيلاً وَحَزِن، وَقَالَ: وَالله لَيَكُونَنَّ مَا قَالَ، فَإنَّه لَمْ يَقُل لِي شَيْئاً قَطّ إلا وَكَان كَمَا قَالَ؛ فَأُخرِبَتْ دَارهُ ـ وَهِي الخلد ـ فِي حِصَار بَغْدَاد، وَقُتِل وَلَده مُحَمَّد، وَنُهِب مَاله، وَخِزانته، نَهَبها طَاهر بن الحُسَين.

● يَسْتَمع النَّاس لِلحُكَمَاء وَالْعُلَمَاء، وَيَتَّخِذون مِن حُكْمِهم وَأقوَالِهم دُستُوراً لِسلُوكِهم وَمُعَاملاتِهم، وَدَلِيلاً عَلىٰ الْحَقّ وَالْعَدْل، فَإِنْ كَانَتْ ٱلْحِكْمَة حَقّاً وَصوَاباً فَهي لِحَيَاة النَّاس رَحمَة وَنَعِيم، وَإِنْ تَكُ جَهلاً وَضَلالاً فَهي نِقْمَة وَجَحِيم... وَكَم مِن دِمَاء أُرِيقَت، وَحُقوق هُدرَت بِآسم الرُّشد وَٱلْحِكْمَة، وَالأَمن وَالصِّيَانة.

٢٦٦ ـ (وَ سَأَلَهُ رَجُلٌ أَنْ يُعَرِّفَهُ الْإِيمَانَ) فَقَالَ عليه السلام:
«إِذَا كَانَ الْغَدُ فَأْتِنِي حَتَّىٰ أُخْبِرَكَ عَلَىٰ أَسْمَاعِ النَّاسِ، فَإِنْ نَسِيتَ مَقَالَتِي حَفِظَهَا عَلَيْكَ غَيْرُكَ، فَإِنَّ الْكَلَامَ كَالشَّارِدَةِ، يَنْقُفُهَا هٰذَا وَ يُخْطِئُهَا هٰذَا»).
الشَّارِدَة: النَّافِرَة، وَيَنْقُفُهَا: يَصِيبُهَا ضِدّ يُخْطِئُهَا... قَالَ الشَّرِيف الرَّضِيّ: وَقَدْ ذَكَرْنَا مَا أَجَابَهُ بِهِ عليه السلام فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ هٰذَا البَابِ، وَهُوَ قَوْلُهُ:
«الْإِيمَانُ عَلَىٰ أَرْبَعِ دَعَائِمَ: عَلَىٰ الصَّبْرِ، وَالْيَقِينِ، وَالْعَدْلِ، وَالْجِهَادِ»[١].

٢٦٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «يَا ٱبْنَ آدَمَ، لَا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذِي لَمْ يَأْتِكَ عَلَىٰ يَوْمِكَ الَّذِي قَدْ أَتَاكَ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ مِنْ عُمُرِكَ يَأْتِ اللهُ فِيهِ بِرِزْقِكَ».

● لَيسَ هٰذَا نَهياً عَن العَمَل مِن أَجل المُستَقبل، كَيف؟ وَهُو القَائِل: «آعْمل لدُنْيَاكَ كَأنّك تعيش أَبَداً ـ أي مَع الأجْيَال إِلىٰ يَوْم يُبعثُون ـ وَآعْمل لآخِرتك كَأَنّك تَمُوت غدَاً» أي آتقِ الله فِي عَملك لدُنيَاكَ[٢]. وَلَولا المُتَوَاصل لاِستحَالت الحَيَاة،

(١) أنظر، الحِكْمَة: (٣٠)، وَشَرحنَا ذَلِكَ مُفصّلاً. (مِنْهُ قدس سره).
(٢) أنظر، تَحرير الأَحْكَام لِلعلاّمة الحِلي: ٢/٢٤٩، تَفْسِير القُرطُبي: ٤/٣٥، مَن لاَ يَحضَره الفَقِيه: ٣/٩٤ ح ٣٥٦، مَعَانِي الأَخْبَار للنّحاس: ٦/٣٠٥، وَسَائِل الشِّيعة: ١٧/٧٦ ح ٢، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغير: ٢/١٦، كَنز العُمّال: ٥/٥٨١، تَنبِيه الخَوَاطِر: ٢/٢٣٤.

وَإِنَّمَا أَرَاد الْإِمَام أنْ لاَ نَحْزَن وَنُذهب أَنْفسنا حَسرَات عَلىٰ شَيء لَمْ يَأتِ أَوَانه وَلعَله لاَ يَقع إِطلاَقاً، وَأَنْ لاَ نَتَعجَل الهَّم وَالغَم مِن أَجْلِه، وَأَية جَدوىٰ مِن هَم لاَ طَائِل تَحته؟ وَرُبَّمَا أَفْسَد عَلينا الْحَيَاة، وَضَاعف الهمُوم عَلىٰ أَنْفسنا، وَشَغلنا عَن التَّفكِير وَالعَمَل للوَاجبَات وَالتَّحرر مِن المَسؤولِيَات[1].

٢٦٨ ـ وَ قَالَ ﷺ: «أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً مَا، عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْماً مَا، وَ أَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْناً مَا، عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْماً مَا».

● الهَوْن: الرِّفق، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا سَلَـٰمًا﴾[2]. وَالْمَعْنَىٰ اعْتَدل فِي جَمِيع أُمورَك حَتَّىٰ فِي الْحُبِّ وَالبُغضِ، وَلاَ تُسرِف أَحْبَبتَ أَمْ أَبْغَضت، فَرُبَّمَا دَارَت الأَيَّام، وَصَار الصَّدِيق عَدوّاً، وَالعَدوّ صَدِيقاً... فَإِنْ حَدَث هَذَا كُنتَ لهُ عَلىٰ اسْتعدَاد، وَلَم تَنْدَم عَلىٰ مَاقَدَّمت يَدَاك[3].

---

(١) أُنظر، المَثل القَائِل: «يَا رَزَّاقَ البُغَاث فِي عُشِّهِ». شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبي ٱلْحَدِيد: ١٩/١٥٥، مَجْمَع الأَمْثَال: ١/٣/٢٨٤.

(٢) ٱلْفُرقَان: ٦٣.

(٣) قَالَ بَعضُ ٱلْحُكَمَاء: تَوَقَّ الإِفرَاطَ فِي المَحَبَّة، فَإِنَّ الإِفرَاط فِيهَا دَاعٍ إِلىٰ التَّقصِير مِنْهَا، وَلأَنْ تَكُونَ الحَالُ بَيْنكَ وَبَيْن حَبِيبك نَامِية أَوْلَىٰ مِن أَنْ تَكُون مُتنَاهِية. وَقَال الشَّاعِر:

وَأَحْبِبْ إِذَا أَحْبَبْتَ حُبّاً مُقَارِباً ... فَإِنَّك لاَ تَدْرِي مَتَىٰ أَنْتَ نَازِعُ!
وَأَبْغِضْ إِذَا أَبْغَضْتَ غَيرَ مُبَايِنٍ ... فَإِنَّك لاَ تَدْرِي مَتَىٰ أَنْتَ رَاجِعُ!

أنظر، أنظر، رَوَائِع الحِكَم فِي أَشعَار الإِمَام عَليّ ﷺ تقدِيم وَضبط وَشَرح عَبُود أَحمد الخَزرَجي: ٦٣ و ٦٤ مَنْشُورَات الشَّرِيف الرَّضِيّ الطَّبعَة الأُولَىٰ. الفصُول المُهِمَة فِي مَعْرِفَة الأَئِمَّة لِابن الصَّباغ المَالِكي:
⇔

٢٦٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «النَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَامِلَانِ :
عَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا ، قَدْ شَغَلَتْهُ دُنْيَاهُ عَنْ آخِرَتِهِ ، يَخْشَىٰ عَلَىٰ مَنْ يَخْلُفُهُ الْفَقْرَ ، وَ يَأْمَنُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ، فَيُفْنِي عُمُرَهُ فِي مَنْفَعَةِ غَيْرِهِ .
وَ عَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا ، فَجَاءَهُ الَّذِي لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ عَمَلٍ ، فَأَحْرَزَ الْحَظَّيْنِ مَعاً ، وَ مَلَكَ الدَّارَيْنِ جَمِيعاً ، فَأَصْبَحَ وَجِيهاً عِنْدَ اللهِ ، لَا يَسْأَلُ اللهَ حَاجَةً فَيَمْنَعُهُ » .

● مَا مِن دِين أَو مَذْهَب حَثَّ عَلىٰ العَمل مِن أَجْل الْحَيَاة ـ كَدِين الإِسْلَام : ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[١] ، . . . وَقَالَ تَعَالىٰ : ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾[٢] . فَمَن عَمِلَ ، وَأَكَل ، وَأنفق مِمَّا عَمِلَت يَدَاه فَقَد عَمِل لِدُنيَاه وَآخرته ، وَهُو عِند الله مِن المُقربِين ، وَمَن أَكَل مِن عَمل الآخَرين ، أو عَمل وَلَم يَأْكُل ، بَل ٱدخر لِلوَارث فَقَد عَمل لِلدُّنيا فقط ، وَهُو عِند الله مِن الخَاسرِين دُنياً وَآخرة .
(يَخْشَىٰ عَلَىٰ مَنْ يَخْلُفُهُ الْفَقْرَ ، وَ يَأْمَنُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ . . . إلخ) . الضَّمِير المُستتر فِي

⇐ ٥٦٥/١ ، بِتحقِّيقنا ، نُظم دُرر السّمطين : ١٧٢ ، فَيض القَدِير شَرح الجَامع الصَّغير : ٢٢٩/١ ، كَشف الخَفَاء : ٥٤/١ ، نُور الأَبصَار : ٨٤ ، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد : ١٥٦/١٩ .
وَقَالَ عَديُّ بن زَيْد ـ الشَّاعِر الجَاهِلي التَّيميّ مِن نَصَارىٰ الحِيرَة ، وَالَّذي يَمْتَاز شِعرهُ بِرقَّة العَاطِفَة ، وَعُمق الثَّقَافة ، وَبُعد النَّظر (ت نَحو ٥٩٠ هـ) .
وَلاَ تَأمَنَنَّ مِن مُبْغِضٍ قُرب دَارِه وَلاَ مِـن مُحِبٍّ أنْ يَمَـلَّ فَـيبعدَا
أُنظر ، دِيوَان الشَّاعر : ٤٤٨ ، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد : ١٥٦/١٩ .

(١) ٱلنَّجْم : ٣٩ .
(٢) سُورَة يَس : ٣٥ .

يَخْشَىٰ وَيَأْمَنُهُ يَعُود إِلىٰ مَن ادخر لِغَيره ، وَالهَاء فِي يَأْمَنُهُ تَعُود إِلىٰ الْفَقْر ، وَالْمَعْنَىٰ أَنَّ هَذَا الَّذي جَمع الكَنز قَد تَعِب فِي طَلَب الْمَال ، وَلَمَّا حَصل عَلَيْهِ حَرَم نَفْسه مِنْهُ ، وَتَركه بِكَامله للوَارث خَوفاً عَلَيْهِ مِن الْفَقْر ، وَاكتَفىٰ هُو بِفكرَة الْغِنَىٰ فَقط ، وَإِنَّه يَملك الْمَال ، وَبِهَذِه الفِكرَة وَحدها ، وَهَذا التَّصور كَان فِي أَمَان مِن الْفَقْر عِند نَفْسه ، وَمَعْنَىٰ هَذَا فِي حَقِيقَته أَنَّه يَحيَا فِي عَالم غَيْر عَالمه ، وَأَنَّه يَعِيش فِي الدُّنْيَا عَيش الْفُقَرَاء ، وَيُحاسَب فِي الآخِرَة حِسَاب الأَغْنِيَاء .

(وَ عَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا) أي أَكَل وَأَنْفَق فِي سَبِيل الله مِمَّا عَملت يَدَاه (فَجَاءَهُ الَّذِي لَهُ مِنَ الدُّنْيَا) الَّتي عَمل فِيها بِيَده لهُ وَلآخِرَته (بِغَيْرِ عَمَلٍ) لِلدُّنْيَا وَحدَها ، بَل يَعمَل لِلدُّنيا وَالآخِرَة (فَأَحْرَزَ الْحَظَّيْنِ مَعاً) حَظّ الدُّنْيَا وَحَظّ الآخِرَة ، وَكِلاَهما مِمَّا عَلمت يَدَاه (وَ مَلَكَ الدَّارَيْنِ جَمِيعاً) عَطف تَفْسِير (لاَ يَسْأَلُ اللهَ حَاجَةً فَيَمْنَعُهُ) أي يَمدهُ بِتوفِيقه وَعِنَايته ، لأَنَّه مِن المُتوكلِين عَلىٰ الله : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[1] .

٢٧٠ ـ (وَ رُوِيَ أَنَّهُ ذُكِرَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي أَيَّامِهِ حَلْيُ الْكَعْبَةِ وَ كَثْرَتُهُ ، فَقَالَ قَوْمٌ : لَوْ أَخَذْتَهُ فَجَهَّزْتَ بِهِ جُيُوشَ الْمُسْلِمِينَ ، كَانَ أَعْظَمَ لِلْأَجْرِ ، وَ مَا تَصْنَعُ الْكَعْبَةُ بِالْحَلْيِ ؟! فَهَمَّ عُمَرُ بِذلِكَ ، وَ سَأَلَ عَنْهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ، فَقَالَ عليه السلام :

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَىٰ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله ، وَ الْأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ : أَمْوَالُ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَسَّمَهَا بَيْنَ الْوَرَثَةِ فِي الْفَرَائِضِ ؛ وَ الْفَيْءُ فَقَسَّمَهُ عَلَىٰ مُسْتَحِقِّيهِ ؛ وَ الْخُمُسُ فَوَضَعَهُ اللهُ حَيْثُ وَضَعَهُ ؛ وَ الصَّدَقَاتُ فَجَعَلَهَا اللهُ حَيْثُ جَعَلَهَا ، وَ كَانَ حَلْيُ الْكَعْبَةِ فِيهَا يَوْمَئِذٍ ،

(١) ٱلطَّلَاق : ٣.

فَتَرَكَهُ اللهُ عَلَىٰ حَالِهِ، وَلَمْ يَتْرُكْهُ نِسْيَاناً، وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ مَكَاناً، فَأَقِرَّهُ حَيْثُ أَقَرَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَوْلَاكَ لَافْتَضَحْنَا! وَتَرَكَ الْحَلْيَ بِحَالِهِ).

● الْحَلْي: مَا يَتَزَين بِهِ، وَيَتَلخَص دَلِيل الإِمَام بِأَنَّ مَصْدَر الْحَلَال وَالحرَام هُو كتَاب الله، وَسُنَّة نَبيِّه، وَالسُّنَّة مَا ثَبَت عَن رَسُول الله ﷺ مِن قَوْله أَو فِعله أَو تَقريره أي إقرَاره لِمَا رَأىٰ مِن أَفْعَال النَّاس، وَعَادَاتهم وَمُعَاملاتهم، وَرِضَاه بِهِ، وَلَو بِالسّكُوت وَعَدم النَّهي[1]، وَحَلْيُ الْكَعْبَة كَان فِي عَهد رَسُول الله وَبِمَرأى مِنْهُ، وَلَم يَنْه عَنْه أَو يَتصرف بِهِ، فَوجب إِبقَاء مَاكَان عَلىٰ مَا كَان.

وَتَسْأَل: هَل تُلحَق المسَاجد، وَالعَتبَات المُقَدَسة بِحَلْي الْكَعْبَة المُشَرفة فِي الحُكم، فَيَحرُم التَّصرف بِكُلِّ مَا هُو زِينَة لِلمَسجد وَحَرم المَعصُوم؟.

الجَوَاب:

إنْ كَان فِي الزِّينَة خَيْر وَمَصلَحة دِينِية فَحُكمها حُكم حَلْيُ الْكَعْبَة، لِأَنَّهَا فِي سَبِيل

---

(١) السُّنَّة النَّبوِيَّة:

يَجب الألتفَات إِلىٰ أَنّ مَصَادر التَّشرِيع عِند الإِمَامِيَّة هِي: (كِتَاب الله، وَالسُّنَّة النَّبوِيَّة الشَّرِيفة بِمَا فِيهَا قَول الإِمَام المَعْصُوم، وَالإِجْمَاع، وَالْعَقل).

والحَقّ يُقَال: أَنَّ جَمِيع العُلَمَاء مُتفقُون عَلىٰ أَنْ يَروا فِي تَعالِيم السُّنَّة العَملِية، أو مَأثُور النَّبِيّ ـ نَقْصد بِهَذا مَجمُوع أَقْوَاله، وَأَفْعَاله، وَتَقرِيرَاته، وَجَمِيع مَوَاقِفه الضِّمنِيَّة، مَصدَراً ثَانِياً، عَظِيم الأَهمِية، لِلشَّرِيعة الإِسْلاَمية، بَعد القُرآن، كَلِمَة الله.

وَالقُرآن نَفْسه قَد طَلَب إِلىٰ المُؤمِنِين أَنْ يَنقَادوا، دون حَرَج، لِجَمِيع أَوَامر النَّبِيّ ﷺ، مَتىٰ أَخذوا أَنفُسهم بِالإِيمَان بِهِ، وَمِن ذَلِكَ قَوْله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ النِّسَاء: ٦٥، وَقَوْله: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ النِّسَاء: ٨٠، وَقَوْله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ الحَشر: ٧، وَقَوْله: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ النُّور: ٥٦.

الله، وَإنْ كَان وجُودها وَعَدمها سَواء، كَإيقَاد الشّموع فِي وَضح النَّهار أَو مَع ضَوء الكَهربَاء، كَمَا يَفْعَل العوَام وَلاَ رَادع ـ فَالأُولَىٰ صَرف ثَمَنْهَا فِيمَا يُرضي الله وَالأَنْبيَاء وَأَولِيَائه الصَّالِحين.

٢٧١ ـ (رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ، رُفِعَ إِلَيْهِ رَجُلَانِ سَرَقَا مِنْ مَالِ اللهِ: أَحَدُهُمَا عَبْدٌ مِنْ مَالِ اللهِ، وَ الآخَرُ مِنْ عُرُوضِ النَّاسِ.

فَقَالَ ﷺ: «أَمَّا هَذَا فَهُوَ مِنْ مَالِ اللهِ وَ لَا حَدَّ عَلَيْهِ، مَالُ اللهِ أَكَلَ بَعْضُهُ بَعْضاً؛ وَ أَمَّا الآخَرُ فَعَلَيْهِ الْحَدُّ الشَّدِيدُ». فَقَطَعَ يَدَهُ).

● (أَحَدُهُمَا عَبْدٌ مِنْ مَالِ اللهِ) أي غَيْر مَمْلُوك لأحَدٍ مِن النَّاس، بَل هُو جُزء مِن بَيْت مَال الْمُسْلِمِين (وَ الآخَرُ مِنْ عُرُوضِ النَّاسِ) أي مُلك لأحدِ النَّاس تَمَاماً كَمتَاعه وَسِلعَته، وَالأَوَّل لاَ يُحد، لأنَّه كَمَا قَالَ الإِمَام: (مَالُ اللهِ أَكَلَ بَعْضُهُ بَعْضاً) أَمَّا الثَّانِي فَيُحد بِالشّروط الَّتِي ذَكَرها الْفُقَهَاء مِن وجُود الْمَال المَسرُوق فِي حِرزٍ، وَالسَّارق غَيْر جَائع وَلاَ مُضْطَر، وَلاَ هُو شَرِيك فِي الْمَال أَو شَرِيك وَأَخذ أَكْثَر مِن سَهمِهِ، وَأَنْ يَبلُغ النِّصاب، وَهُو مَا يُساوي رُبع دِينَار[1].

---

(١) أنظر، اللُزوميات: ١/٥٤٤، الإقنَاع: ٢/١٩٠، إعَانة الطَّالبين: ٤/١٧٨، فَيض القَدير شَرح الجَامع الصَّغير: ١/٢٩٩، سِير أَعلاَم النُّبلاء: ١٨/٣١، البدَاية وَالنّهاية: ١٢/٩١، فَتح البَاري: ١٢/٧٤، مُغني المُحتاج: ٤/١٥٨، حوَاشي الشّرواني: ٩/١٥١، بِدَاية المُجتهد: ٢/٣٦٦. عِندمَا شَكَك المَعرّي عَلىٰ الشَّريعة فِي الفَرق بَيْن الدِّية وَالقطع فِي السَّرقة:

يَدٌ بِخَمس مِئين عَسْجد وَدِيت ... مَا بَالها قُطعت فِي رُبع دِينَار

فَأجَابه القَاضي عَبدالوَهاب المَالكي:

وَلاَ جَدوىٰ اليَوْم مِن هَذا الْبَحْث وَالكَلاَم حَيْث لاَ عَبِيد وَلاَ إِمَاء بِالْمَعْنَىٰ الْمَعْرُوف عِند الْفُقَهَاء... وَأيضاً لاَ أحرَار صِدقٍ عِند اللّقَاء.

٢٧٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «لَوْ قَدِ اَسْتَوَتْ قَدَمَايَ مِنْ هَذِهِ الْمَدَاحِضِ لَغَيَّرْتُ أَشْيَاءَ».

● الْمَدَاحِض: الْمَزَالِقُ، وَالْمُرَاد بِها هُنا الْفِتَن الَّتِي أَثَارها النَّاكِثُونَ، وَالْقَاسِطُونَ وَالْمَارِقُون، وَالْمَعْنَىٰ لَو اَستقَامت الأُمُور لِلإِمَام كَما يَنبَغي لَقَلَب الأَوْضَاع الفَاسِدَة وَالتَّقَالِيد المَقُوتة رَأسَاً عَلىٰ عَقب... وَيَشبه هَذَا قَول السَّيِّد المَسِيح: «جِئتُ لأُلقِي عَلىٰ الأَرْض نَاراً حَبَذا لَو تَضْطَرم»[1]. وَسُئل بُوذا: لِمَاذا نَعيش؟ فَقَال: لَيْسَ هَذَا سُؤَالاً، وَإنَّما السُّؤال: كَيْف يَجب أَنْ نَعِيش[2]؟.

أَمَّا الأَشْيَاء الَّتي كَان الإِمَام يُغِيرها لَو ثَبتت قَدمَاه فَهِي مَا أَنْكَره وَنَدَد بـهِ فِيما سَبق مِن كَلاَمه وَمَا يَأتِي، وَمِنْهَا تَجمُّع الثَّراء وَالتَّرف فِي جَانب، وَالْفَاقَة وَالبُؤس فِي جَانبٍ آخر، كَما فِي اَلْخُطْبَة السَّابِقَة: «اَضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ، فَهَلْ تُبْصِرُ إلاَّ فَقِيراً يُكَابِدُ فَقْراً، أَوْ غَنِيّاً بَدَّلَ نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً، أَوْ بَخِيلاً اَتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللهِ وَفْراً، أَوْ مُتَمَرِّداً كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْراً»[3]. ومِنْهَا تَعدُّد الفِرق وَالاِنْقسَامَات المَذهَبِية بَيْنَ الْمُسْلِمِين الَّتي أَشار إِلَيْهَا فِي اَلْخُطْبَة السَّابِقَة بقَوْله عليه السلام:

⇐ وِقَـايَة النَّـفس أَغـلاَها وَأرخَـصها ... ذُلّ الخِـيَانة فَافْـهم حِكْمَة البَاري

أُنظر، وَسَائِل الشِّيعة: ١٨/ ٤٨٤، وَقَد نَسب هَذَا الجوَاب إِلىٰ السَّيِّد عَلم الْهُدَىٰ المُرتضىٰ المُوسوي.

(١) أُنظر، سِفر الرُّؤيا: ٢٢/ ١٢.

(٢) أُنظر، موسُوعة الأَديَان فِي العَالم/ الدّيانَات القَدِيمة: ١٨٥، وَقَصص الأَنْبِياء لاِبْن كَثِير، وَالبِدَاية وَالنِّهاية، وَتَأرِيخ الطَّبَري.

(٣) أُنظر، نَهج اَلبَلاَغَة: اَلخُطْبَة (١٢٩). (مِنْهُ رحمه الله).

«وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَىٰ دِينِ اللهِ، مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ السَّرَائِرِ، وَسُوءُ الضَّمَائِرِ. فَلاَ تَوَازَرُونَ، وَلاَ تَنَاصَحُونَ، وَلاَ تَبَاذَلُونَ، وَلاَ تَوَادُّونَ»[1]. ومِنْهَا تَصَدي الجَهَلَة لِلفُتيا وَالْقَضَاء بَيْنَ النَّاس كَمَا فِي ٱلْخُطْبَة المَاضِيَة: «وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلاً، مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ الْأُمَّةِ، عَادٍ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ، عَمٍ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ، قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ، بَكَّرَ فَٱسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعٍ؛ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ، حَتَّىٰ إِذَا ٱرْتَوَىٰ مِنْ مَاءٍ آجِنٍ، وَٱكْتَنَزَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ، جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِياً ضَامِناً لِتَخْلِيصِ مَا ٱلْتَبَسَ عَلَىٰ غَيْرِهِ، فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَىٰ الْمُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشْواً رَثًّا مِنْ رَأْيِهِ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ»[2]... إِلىٰ كَثِيرٍ وَخَطِيرٍ.

٢٧٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «ٱعْلَمُوا عِلْماً يَقِيناً أَنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْعَبْدِ ـ وَ إِنْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ، وَٱشْتَدَّتْ طَلِبَتُهُ، وَ قَوِيَتْ مَكِيدَتُهُ ـ أَكْثَرَ مِمَّا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَ لَمْ يَحُلْ بَيْنَ الْعَبْدِ فِي ضَعْفِهِ وَ قِلَّةِ حِيلَتِهِ، وَ بَيْنَ أَنْ يَبْلُغَ مَا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ. وَالْعَارِفُ لِهَذَا، الْعَامِلُ بِهِ؛ أَعْظَمُ النَّاسِ رَاحَةً فِي مَنْفَعَةٍ؛ وَ التَّارِكُ لَهُ، الشَّاكُّ فِيهِ، أَعْظَمُ النَّاسِ شُغُلاً فِي مَضَرَّةٍ.

وَ رُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٌ بِالنُّعْمَىٰ، وَ رُبَّ مُبْتَلًى مَصْنُوعٌ لَهُ بِالْبَلْوَىٰ! فَزِدْ أَيُّهَا الْمُسْتَنْفِعُ فِي شُكْرِكَ، وَ قَصِّرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وَ قِفْ عِنْدَ مُنْتَهَىٰ رِزْقِكَ».

● الْمُرَاد بِالذِّكْرِ الْحَكِيم الْقُرْآن. أَمَّا الْمُرَاد بِالَّذِي سُمِّيَ لَهُ فَهُو: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ

(١) أنظر، نَهْج ٱلبَلاَغَة: ٱلخُطبَة (١١٣). (مِنْهُ ﷺ).
(٢) أنظر، نَهْج ٱلبَلاَغَة: ٱلخُطبَة (١٧). (مِنْهُ ﷺ).

ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[١]. وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾[٢]... إِلىٰ مَا فِي هَذَا الْمَعْنَىٰ مِن الآيَات. وَيَتلخَص الْمَعْنَىٰ بِأنَّ العَبد مُجزي بِأعمَاله، وَقَادم عَلىٰ مَا قَدَّم، إنْ خَيْراً فَخَير، وَإنْ شَرّاً فَشَر، قَوِياً كَان فِي الدُّنْيا أَم ضَعِيفاً، فَلا القُوَّة وَالثَّروة فِي الْحَيَاة الدُّنْيا تُقَربه مِن الله زُلفىٰ، وَتُنْجيه مِن عَذَاب الجَحِيم إنْ كَان مِن الضَّالِين، وَلاَ الضَّعف وَالْفَقْر يَحول بَيْنَه وَبَيْنَ جَنَّة النَّعِيم إنْ كَان مِن الْمُهْتَدِين.

(وَالْعَارِفُ لِهَذَا، الْعَامِلُ بِهِ) هَذَا إشَارة إِلىٰ مَا تَقَدَّم مِن أنَّ أكْرَم الْخَلق عِند الله أَتْقَاهُم، وَمَن عَمَل بِمُوجب التَّقْوىٰ فَهُوَ فِي أَمن وَأَمَان، وَرَاحَة وَرِضوَان (وَ التَّارِكُ لَهُ، الشَّاكُّ فِيهِ، أَعْظَمُ النَّاسِ شُغُلًا فِي مَضَرَّةٍ). فِي جَهَنَّم وَبِئس المَصِير (وَ رُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٌ بِالنُّعْمَىٰ) ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[٣]. (وَ رُبَّ مُبْتَلىً مَصْنُوعٌ لَهُ بِالْبَلْوَىٰ) قَد تَكُون البَلْوىٰ ثَواباً وَرَحمةً كَمَا قَد تَكُون النُّعْمَى بَلاَءً، وَتَقَدَّم مِثْله فِي الْخُطْبَة (١١٣) (فَزِدْ أَيُّهَا الْمُسْتَنْفِعُ فِي شُكْرِكَ) لله بِطَاعتِه (وَ قَصِّرْ مِنْ عَجَلَتِكَ) أي اصْبر عَلىٰ مَرَارَة الحَقّ وَالْعَمل بِهِ (وَ قِفْ عِنْدَ مُنْتَهَىٰ رِزْقِكَ) الْحَلاَل الطَّيب، وَدَع الحَرَام الخَبِيث[٤].

(١) ٱلزَّلْزَلَة: ٧ ـ ٨.

(٢) ٱلنَّجْم: ٣١.

(٣) ٱلتَّوْبَة: ٥٥.

(٤) قِيلَ لِبَعْض الحُكَمَاء: مَا الْغِنَىٰ؟ قَالَ: قِلَّةُ تَمَنِّيك، وَرِضَاكَ بِمَا يَكْفِيك؛ وَلِذَلِك قِيل: الْعَيشُ سَاعَات تَمُرّ، ⇔

٢٧٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «لَا تَجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلًا، وَ يَقِينَكُمْ شَكّاً؛ إِذَا عَلِمْتُمْ فَٱعْمَلُوا، وَ إِذَا تَيَقَّنْتُمْ فَأَقْدِمُوا».

● لاَ تَجْعَل جَهْلك عِلماً بِادِعَاء مَا لَيْسَ فِيك وَالقَول عَلىٰ الله بِغَير الْحَقّ... وَأيضاً لاَ تَجْعَل عِلمَك جَهْلاً بِتَرك العَمَل بِهِ، فَمن عَلِم عَمِل، وَمَن لَم يَعْمَل بِعلمِهِ فَهُو وَالْجَاهِل سوَاء، بَل أَضل سَبيلاً، وَيَأتي قَول الْإِمَام عليه السلام: «وَالْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ٱرْتَحَلَ عَنْهُ»[1]. (وَ يَقِينَكُمْ شَكّاً) مَن كَان عَلىٰ يَقِين مِن

⇐ وَخُطوب تَكُرّ. أُنظر، الدُّرة البَاهِرة: ٤١، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغير: ٣٧٣/٤ ح ٥٣٠٩، شَرح نَهج ٱلْبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلْحَدِيد: ١٦٣/١٩، نُزهَة النَّاظر وَتَنْبِيه الخَاطر: ١٣٨ ح ٧، بِحَار الأَنْوَار: ١٠٩/٧٢ ح ١٢.

وَقَالَ الشَّاعر:

اَقْـنَعْ بِـعَيْشك تَـرْضَهُ ... وَٱتْـرك هَـوَاكَ وَأَنْت حُـرُّ
فَـلَرُبَّ حَـتْفٍ فَـوْقَهُ ... ذَهَبٌ وَيَـاقُوتٌ وَدُرُّ

وَقَالَ شَاعِر آخَر:

إِلىٰ مَـتَىٰ أَنـا فِي حِـلٍّ وَتَـرحَالِ ... مِـن طُـول سَـعْيٍ وَإِدْبَـارٍ وَإِقْـبَالِ!
وَنَـازِحُ الدَّارِ لاَ أَنـفَكُّ مُـغْتَرِباً ... عَـن الأَحِـبةِ لاَ يَـدْرُون مَا حَـالي
بِمَـشرِق الأَرْض طَـوْراً ثُمَّ مَـغرِبها ... لاَ يَخْطرُ الْمَوتُ مِن حِرصٍ عَـلىٰ بَـالي
وَلَـو قَـنِعْتُ أَتَـانِي الرِّزقُ فِي دَعَـةٍ ... إِنَّ القُـنُوعَ الغِـنَىٰ لاَ كَـثْرَةُ المَـالِ

أُنظر، تَأرِيخ دِمشق: ١٧٧/٢٧ و: ٣٣٥/٢٣، البِدَاية وَالنِّهاية: ٣٠٥/١٠.

وَجَاء فِي الخَبر المَرفُوع: «أَجْمِلوا فِي الطَّلَبِ، فإِنَّه لَيس لِعَبدٍ إِلاَّ مَا كُتِب لهُ، وَلَن يَخرُج عَبدٌ مِن الدُّنْيا حَتّىٰ يَأتِيَه مَا كُتِب لهُ فِي الدُّنْيا وَهِي رَاغِمة».

أُنظر، شَرح نَهج ٱلْبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلْحَدِيد: ١٦٣/١٩، سُبل الْهُدَىٰ وَالرَّشاد: ٢٦٣/٤، التَّمهيد لِابن عَبدالبر: ٢٥٠/١٥، نوَادر الأُصول فِي أَحَادِيث الرَّسول: ٢٨٨/٢، تَاج العَروس: ٣٩٢/٣، مَجْمَع البَحرين: ٤٠١/١، لِسَان العَرب: ٥٥٩/٤.

(١) أُنظر، نَهج ٱلْبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٣٦٥).

الْحَقّ، وَلَم يَعمل بِهِ، وَيَنْتَصر لهُ، مَع أَهله فَهُوَ تَمَاماً كَالشَّاك فيهِ وَالمُتَردد، بَل أَسوأ وَأَضل (إِذَا عَلِمْتُمْ فَٱعْمَلُوا) لِتَكُونوا عُلَمَاء بِحَقٍّ (وَ إِذَا تَيَقَّنْتُمْ فَأَقْدِمُوا) لِتَكُونوا مِن الْمُؤْمِنِين الْمُخْلَصِين، وَمَن تَرَك العَمل بِعلمِهِ، وَيَقِينه فَقَد أَلغىٰ عَقْله، وَدِينه، وَضَمِيره، وَعَاش مُدَّة عُمره فِي نِفَاق وَخدَاع.

٢٧٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «إِنَّ الطَّمَعَ مُورِدٌ غَيْرُ مُصْدِرٍ، وَ ضَامِنٌ غَيْرُ وَفِيٍّ. وَ رُبَّمَا شَرِقَ شَارِبُ الْمَاءِ قَبْلَ رِيِّهِ؛ وَ كُلَّمَا عَظُمَ قَدْرُ الشَّيْءِ الْمُتَنَافَسِ فِيهِ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ لِفَقْدِهِ. وَ الأَمَانِيُّ تُعْمِي أَعْيُنَ الْبَصَائِرِ، وَ الْحَظُّ يَأْتِي مَنْ لَا يَأْتِيهِ».

● وَرَد المَاء: ذَهَب إِلَيْهِ، وَصَدَر عَنْهُ: عَاد وَرَجع... وَالطَّامع يَركض لَاهِثاً وَرَاء أَطْمَاعه فَيهلك وَلاَ يَعود لأَنَّه طَالب لاَ يَقْنع وَآكل لاَ يَشبع (وَ ضَامِنٌ غَيْرُ وَفِيٍّ) الطَّمع يَعد صَاحِبه وَيُمَنيه الرَّاحة وَالسَّعادة، وَلكنَّه مُخادع كَذَّاب (وَ رُبَّمَا شَرِقَ شَارِبُ الْمَاءِ قَبْلَ رِيِّهِ) خَنَق المَاء أَنْفَاسه، وَأودىٰ بِحَيَاته مَع الْعِلْم بِأَنَّ المَاء سَبَب الْحيَاة، وَهَكذا الطَّامع يهلك مِن حَيْث أَرَاد النَّجاة. وَسَبق الكَلاَم عَن الطَّمع مَرَّات، مِنْهَا فِي ٱلحِكْمَة: «الطَّمَعُ رِقٌّ مُؤَبَّدٌ»[١]، وٱلحِكْمَة: «الطَّامِعُ فِي وِثَاقِ الذُّلِّ»[٢].

(وَ كُلَّمَا عَظُمَ قَدْرُ الشَّيْءِ الْمُتَنَافَسِ فِيهِ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ لِفَقْدِهِ). إِذَا نَافَست غَيْرك عَلىٰ مَنْصب أو أَي شَيء، وَغَلبك عَلَيْهِ ـ كَان أَسفُك وَحُزنك مُسَاوياً لِمَا فَات فِي قُدرتِهِ وَقِيمتِهِ، فَإِذَا أَردت الهُدُوء وَرَاحَة البَال فَلا تَنَافُس أَحداً فِي عَمل

---

(١) أُنظر، نَهج ٱلبَلاغَة: ٱلحِكْمَة (١٧٩). (مِنْهُ رحمه الله).
(٢) أُنظر، نَهج ٱلبَلاغَة: ٱلحِكْمَة (٢٢٥). (مِنْهُ رحمه الله).

الْخَيْرَ (وَ الْأَمَانِيُّ تُعْمِي أَعْيُنَ الْبَصَائِرِ) لِأَنَّهَا تشغل عَن النَّظر وَالتَّفكِير فِي العوَاقب (وَ الْحَظُّ يَأْتِي مَنْ لَا يَأْتِيهِ) الْمُرَاد بِالحَظّ التَّوفِيق مِن الوَاهب الحَكِيم، وَكُلّ النَّاس يَطلبُون التَّوفيق مِن الله تَعَالىٰ، وَلَكنَّ الله أَعْلَم حَيْث يَجْعَل عِنَايته[1].

٢٧٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «**أَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ تُحَسِّنَ فِي لَامِعَةِ الْعُيُونِ عَلَانِيَتِي، وَ تُقَبِّحَ فِيمَا أُبْطِنُ لَكَ سَرِيرَتِي، مُحَافِظاً عَلَىٰ رِثَاءِ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي بِجَمِيعِ مَا أَنْتَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ مِنِّي، فَأُبْدِيَ لِلنَّاسِ حُسْنَ ظَاهِرِي، وَ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِسُوءِ عَمَلِي، تَقَرُّباً إِلَى عِبَادِكَ، وَ تَبَاعُداً مِنْ مَرْضَاتِكَ**».

● يَطلُب الإِمَام التَّوفِيق مِنْهُ تَعَالىٰ إِلىٰ الصِّدْق، وَالإِخْلَاص فِي دِينِهِ، وَخُلقِهِ وَيَستَعِيذ بهِ مِن النِّفَاقِ، وَالرِّياءِ فِي أَقْوَالِهِ، وَأَفعَالِهِ، وَحَدد الرِّيَاء بِقُبح السَّرِيرة وَسُوء المَخْبَر، وَحُسن العَلَانِية، وَجَمَال المَنْظَر تَقَرُباً إِلىٰ النَّاسِ، وَتَبَاعُداً عَن الله... وَلاَ أَدري كَيف يُخَادع الإِنْسَان وَيُصَانع مَن لاَ يُغنِي عَنْه شَيْئاً، وَيَذْهل عَن

(١) قَالَ ٱبن أَبِي ٱلْحَدِيد فِي شَرح النَّهج: ١٩/١٦٥، قَالُوا: إِنَّ رَجُلاً صَادَ قُبَّرَةً فَقَالت: مَا تُرِيد أَنْ تَصْنَع بِي؟ قَالَ: أَذْبَحُك وَآكلُك؛ قَالَت: وَالله مَا أَشْفِي مِنْ قَرَم، وَلاَ أُشبِع مِن جُوعٍ، وَلَكني أُعلِّمك ثَلاثَ خِصَالٍ هُنَّ خَيرٌ لَكَ مِن أَكْلِي؛ أَمَّا وَاحِدة فَأُعلِّمك إِيَّاها وَأَنا فِي يَدِك، وَأَمَّا الثَّانِيَة فَإِذَا صِرْتُ عَلىٰ الشَّجرَة، وَأَمَّا الثَّالِثة فَإِذَا صِرْتُ عَلىٰ الجَبَل. فَقَال: هَاتِي الأُولىٰ؛ قَالت: لاَ تَلَهَّفَنَّ عَلىٰ مَا فَات. فَخلاَّها، فَلَمَّا صَارت عَلىٰ الشَّجَرة قَالَ: هَاتِي الثَّانِيَة. فَقَالت: لاَ تُصَدِّقَنَّ بِمَا لاَ يَكُون أَنَّه يَكُون، ثُمَّ طَارت. فَصَارت عَلىٰ الجَبَل؛ فَقَالت: يَا شَقِيّ لَو ذَبَحْتَنِي لأَخْرَجْتَ مِن حَوْصَلَتِي دُرَّتين وَزن كُلِّ وَاحِدة ثَلاثُون مِثْقالاً. فَعَضَّ عَلىٰ يَدَيه وَتَلَهَّف تَلَهُّفاً شَدِيداً؛ وَقَال: هَاتِي الثَّالِثة؛ فَقَالت: أَنْتَ قَد أُنْسِيتَ الاِثنَتين، فَمَا تصنع بِالثَّالثة؟ أَلَم أَقُل لَكَ: لاَ تَلَهَّفَنَّ عَلىٰ مَا فَات! وَقَد تَلَهَّفْتَ، وَأَلَم أَقُل لَكَ لاَ تُصَدِّقَنَّ بِمَا لاَ يَكُون أَنَّه يَكُون. وَأَنَا وَلَحْمِي وَدَمِي وَرِيشِي لا يَكُون عِشرِين مِثْقالاً، فَكَيف صَدَّقت أَنَّ فِي حَوْصَلَتِي دُرَّتين كُلّ وَاحِدَة مِنْهُما ثَلاثُون مِثْقالاً! ثُمَّ طَارَتْ وَذَهَبَتْ. أُنظر، كَمَال الدِّين وَتَمَام النِّعْمَة: ٦٠٩، بِحَار الأَنْوَار: ٧٥/٤١٥.

خَالقِهِ، وَمَن بِيده مَلكُوت كُلّ شَيء، وَإلَيْهِ المَآل وَالْمَرْجع ؟[(١)].

٢٧٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «لَا وَ الَّذِي أَمْسَيْنَا مِنْهُ فِي غُبْرِ لَيْلَةٍ دَهْمَاءَ، تَكْشِرُ عَنْ يَـوْمٍ أَغَرَّ، مَاكَانَ كَذَا وَكَذَا».

● أَمْسَيْنَا مِنْهُ أي أَبْقَانا مِن الْأَحيَاء إِلىٰ الآنْ، وَالغِبْر ـ بِكَسر الغِـين وَسكُـون البَاء ـ الْحِقد، وَبِضَم الغِين كَمَا هُنا البَقِية مِن الشَّيء، وَالدَّهْمَـاء: السَّوداء، وَكَـشَر وَتَكَشَر ـ كَشَف وَتَكَشف، وَأَغَرّ: أَبْيَض. وَالمَفهُوم مِن هَذَا القِسم أَنَّ الْإِمَام يُنْكِر مقَالاً بِبَاطِلٍ سَمعه مِن قَائِل.

٢٧٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «قَلِيلٌ تَدُومُ عَلَيْهِ أَرْجَىٰ مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ».

● اَنْتَهِز فُرْصَة الْعُمُر، وَاَعْمَل فِي كُلِّ يَوْم وَلَو يَسِـيراً، فَـإِنَّ اليَسِـير الدَّائِم فِي الكَثِير مِن الْأَيَّام أَنْمىٰ وَأَفْضَل مِن عَملٍ كَثِير تَأْتِي بِهِ فِي آنٍ وَاحد أو آنين، ثُمَّ تَمله

---

(١) جَاء فِي الخَبر المَرفُوع: «أَخوَفُ مَا أَخَافُ عَلىٰ أُمَّتِي الرِّيَاء وَالشَّهوة الخَفِيَّة».

أُنظر، المَبسوط لِلسَّرخسي: ٧٠/٣، مَجمَع الزَّوائِد: ٣٠١/٣ و: ٢٥٥/٦، المُعجَم الكَبِير: ٣٨٥/٧، الفَائِق فِي غَرِيب الحَدِيث: ٢٢٣/٢ و: ٣١٣/٣، شَرح نَهج اَلْبَلاَغَة لِابْن أَبِي اَلْحَدِيد: ١٦٧/١٩، اَلْعُهُود اَلْمُحَمَّدِية: ٦٨٠، كَنز العُمَّال: ٤٨٥/٣ ح ٧٥٣٨ و ٨٨٤٠، الكَامِل لِابْن عدي: ٢١٣/٤، تَأْرِيخ دِمشـق: ٤١٤/٢٢ و: ١١٣/٥٧، غَرِيب الْحَدِيث لِابْن سَلَّام: ١٦٩/٤.

وَفِي الخَبر المَرفُوع أيضاً: أَنَّ اليَسِير مِن الرِّيَاء شِرْكٌ، وَأَنَّ الله يُحِبّ الْأَتْقِيَاء الْأَخْفِيَاء الَّذِين هُم فِي بُيوتِهم إِذَا غَابوا لَمْ يُفْتَقدوا، وَإِذَا حَضَرُوا لَم يُعْرَفوا، قُلوبهم مَصَابِيحُ الْهُدَىٰ، يَنجون مِن كُلِّ غَبراءَ مُظْلِمة. أُنظر، تَنْبِيه الخَوَاطِر: ١٨٢/١، التَّوَاضع وَالخمُول لِابْن أَبِي الدُّنيَا: ٣٠، كَنْز العُمَّال: ١٥٦/٣ ح ٥٩٤٧، تَفْسِير اَبن كَثِير: ٤٥٦/٣، شَرح نَهج اَلْبَلاَغَة لِابْن أَبِي اَلْحَدِيد: ١٦٧/١٩.

وَتَسأَمه، وَيَذهَب مَع الرِّيح.

٢٧٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «إِذَا أَضَرَّتِ النَّوَافِلُ بِالْفَرَائِضِ فَارْفُضُوهَا».

● تَقَدَّم مَع الشَّرح فِي ٱلحِكْمَة (٣٩).

٢٨٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَنْ تَذَكَّرَ بُعْدَ السَّفَرِ ٱسْتَعَدَّ».

● لاَ سَفَر أَبْعَد مِن الْمَوْت، وَلاَ مَوقف أَصْعَب مِن الوقُوف لِنقَاش الحِسَاب بَيْنَ يَدي الله، وَلاَ نَجَاة إِلّا بِالاِستعدَاد وَكَثرَة الزَّاد. وَتَقَدَّم قَول الْإِمَام فِي ٱلحِكْمَة السَّابِقَة: «آهِ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ، وَ طُولِ الطَّرِيقِ، وَ بُعْدِ السَّفَرِ، وَ عَظِيمِ الْمَوْرِدِ!»[1].

٢٨١ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «لَيْسَتِ الرَّوِيَّةُ كَالْمُعَايَنَةِ مَعَ الْإِبْصَارِ، فَقَدْ تَكْذِبُ الْعُيُونُ أَهْلَهَا، وَلَا يَغُشُّ الْعَقْلُ مَنِ ٱسْتَنْصَحَهُ».

● لِلمَعْرِفَة عِند الفَلاَسِفة أَكْثَر مِن مَصدرٍ، وَلَهَا عِند الله سُبْحَانَه ثَلاَثة مصَادِر، أَشَارت إِلَيْهَا الآيَة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾[2]. فَالْعِلْم إِشَارة إِلىٰ التَّجرُبة وَالحِس، وَالْهُدَىٰ إِلىٰ الْعَقْل وَالاِسْتدلاَل بِالْفِكْر وَالتَّأمل، وَالكِتَاب المُنِير هُو الوَحي مِن السَّمَاءِ. وَلَيست الحَوَاس أَقوىٰ هَـٰذِه المَصَادر كَمَا يَظن، لأَنَّ الْإِنْسَان لاَ يُدرِك بِالْبَصَر بِلا بَصِيرة وَأيضاً لاَ يُدْرِك الوحي بِلا عَقل، لأَنَّ الوَحي رِسَالة السَّمَاء، وَهِي لاَ تُدرك وَلا تَثبت إِلّا بِالْفِكْر وَالتَّأمل

(١) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٧٥). (مِنْهُ).
(٢) ٱلحَجّ: ٨.

وَالتَّدبُر ، أمَّا الْعَقْل فَيُدرك أَشياء كَثِيرة تَخرج عَن نِطاق الوَحي وَالحِس ، فَفصلُ الْعَقْل عَنْها وَاضح وَبِلا نِزَاع ، وَلاَ يُمْكن فَصلها عَنْه بِحَال ، وَلَو ٱفْتَقر إليهما فِي إدرَاكها ، كمَا ٱفْتَقر إِلَيْهِ ـ لَبَقِيت المَعْرِفَة وَأَسبَابها طَي الكِتْمَان وَفِي عَالم العَدَم ، وَمِن هُنا أَنَاط الإِسْلاَم وَٱلرِّسَالة وصِدْقها ، وَقوَّتها ، وَتَعمِيمها ، وٱنتشَارها ، وَدَوامها ، أَنَاط ذَلِكَ كُلّه وَرَبطه بِالْعَقْل : ﴿أَفَلَايَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[1]. ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2] ... إلىٰ كَثِيرٍ مِن آيَات هَذا البَاب.

وَفِي الْحَدِيث : «أَصْل دِيني الْعَقْل»[3]. وَقَالَ ﷺ : «لِكلّ شيء دَعَامة ، وَدَعَامة الْمُؤْمِن عَقْله ، فَبِقَدر عَقْله تَكُون عِبَادته»[4]. وَقَالَ ﷺ : «وَلِكلٍّ قَومٍ راعٍ ، وَرَاعِي العَابدِين الْعَقْل»[5]. وَقَالَ ﷺ : «أَفْضَل النَّاس أَعْقَل النَّاس»[6]. إلىٰ كَثِيرٍ مِن أَحَاديث هَذَا البَاب . وَهَذا يُفسر لَنَا ظهُور مَن ظَهر وَٱشتَهر مِن الْعُلَمَاءِ ، وَالفَلاَسِفة ، وَالأَطِباء مِن بَيْنَ الْمُسْلِمِين الَّذين هُم الْمَصْدَر الأَوَّل لِلحَرَكة الْعِلْمِية عِند الغَربيين.

وَبَعد ، فَلا غِنىٰ لِشيء عَن الْعَقْل مَادِياً كَان أَم غَيْر مَادي ، وَلَولاه لاِنْسَدَ بَاب

---

(١) مُحَمَّدٍ: ٢٤.

(٢) ٱلرُّوم: ٢٨.

(٣) أُنظر، مُستَدرك الوَسَائِل: ١١/١٧٣ ح ٨، عوَالِي اللآلي : ٤/١٢٥ ح ١، الشّفا بِتَعريف حقُوق المُصْطَفىٰ: ١/١٤٦.

(٤) أُنظر، كَنْز الفوَائِد: ١٩٤، مُسْتَدرَك الوَسَائِل: ١١/٢٠٧ ح ١٢، بِحَار الأَنْوار: ١/٩٦ ح ٤٢، بُغيَة البَاحث: ٢٦١ ح ٨٤٩، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغير: ٥/٥٤٢ ح ٧٨٣٠.

(٥) أُنظر، مُسْنَد الحَارث (زَوَائِد الهَيثمي): ٢/٨٠٦ ح ٨٢٤، مُسْتَدرَك الوَسَائِل: ١١/٢٠٦ ح ١٠، كَنز الفوَائِد: ١٣، بِحَار الأَنْوَار: ١/٩٥ ح ٣٤، بُغيَة البَاحث: ٢٥٧ ح ٨٣٢.

(٦) أُنظر، كَشف الخَفَاء: ٢/٤٠٩، سُبل الْهُدىٰ وَالرَّشَاد: ٧/٣، تَذكرة المَوضُوعات: ٢٩، بِحَار الأَنْوَار: ١/١٦٠ ح ٣٩.

الْعِلْم إِطلاَقاً حَتَّىٰ فِي القَضَايا الطَّبيعَة... إِنَّ التَّجربة فِي هَذِه هِـي مُحـرك الصَّـواب وَالخَطأ، وَمَا فِي ذَلِكَ رَيب، وَلكنْ بِمَعُونة الْعَقْل، وَبِخَاصة فِي مَعْرِفَة الصِّلة وَالعَلاَقة بَيْنَ الشَّيء الَّذي تُجرىٰ عَلَيْهِ التَّجرُبة وَغَيْره.

٢٨٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الْمَوْعِظَةِ حِجَابٌ مِنَ الْغِرَّةِ».

● المُرَاد بِالغِرَّةِ هُنا الغَفْلَة وَالنِّسيَان... وَنَحْنُ نُؤمن بِاللهِ وَاليَوْم الْآخِر بِلا شَك وَتَردُد... وَمَع هَذَا نَنْسىٰ الله، وَنَذْهل عَن الآخِرَة وَحِسَـابها وَعِـقَابها، وَتَـغلبنا العَاطِفَة عَلىٰ مَا نَظن وَلاَ نَظن وَلاَ نُغلبها عَلىٰ مَا نَسْتَيْقن، كَمَا قَالَ الْإِمَام فِي حِكْمَةٍ سَابِقَة: «لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ، وَيُرَجِّي التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ، يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ، وَيَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاغِبِينَ...»[1]. وَقَـد بَـيَّن سُـبْحَانَه السَّبب المُوجب لِذَلِكَ بقَوْله: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ ٱلْأَخِرَةَ﴾[2]. وَكَلِمَة تُحِبُّونَ تُومِيء إِلىٰ أَنَّ فِي طِبَاعنا جوَاذِب إِلىٰ المَنْفَعَة العَـاجِلة وَإِنْ صَـغُرت دُونَ الآجِلة وَإِنْ عَظُمت.

٢٨٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «جَاهِلُكُمْ مُزْدَادٌ، وَ عَالِمُكُمْ مُسَوِّفٌ».

● الجَاهِل يَزدَاد إِثماً وَضَلاَلاً كُلَّما قَالَ، أو فَعَل بِلا عِلْم، وَهُدىٰ، وَتَـقَدَّم مَـع الشَّرح فِي ٱلخُطْبَة قَوْله عليه السلام: «فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلىٰ غَيْرِ طَرِيقٍ»[3].

---

(١) أُنظر، نَهج ٱلْبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (١٠٣ و ١٤٩). (مِنْهُ رحمه الله).

(٢) ٱلْقِيَامَة: ٢٠ ـ ٢١.

(٣) أُنظر، نَهج ٱلْبَلاَغَة: ٱلخُطْبَة (١٥٤). (مِنْهُ رحمه الله).

وَأَيضاً يَزدَاد سُخفاً وَجهلاً كُلَّما تَقَدَّمت بِهِ السِّن لِضُعف الذَّاكِرة، وَالاِستعدَاد لِلتَّفهم، وَالتَّعلُم (وَ عَالِمُكُمْ مُسَوِّفٌ) لأنَّه لاَ يَعْمَل بِعلمهِ، وَلاَ يَجْتَهد فِي طَلب المَزِيد مِن الْعِلْم، كَما قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[1].

٢٨٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «قَطَعَ الْعِلْمُ عُذْرَ الْمُتَعَلِّلِينَ».

● أَبَداً لاَ عُذْرَ لِعَالم يُتَاجر بِعلمهِ وَدِينه، وَيَتقَرب إِلىٰ الطُّغاة عَلىٰ حسَاب أُمَّته وَوَطنه!. وَفِي الْحَدِيث: «إنَّ هَذَا العَالِمِ مِن قُطَّاع الطَّرِيق»[2].

٢٨٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «كُلُّ مُعَاجَلٍ يَسْأَلُ الْإِنْظَارَ، وَكُلُّ مُؤَجَّلٍ يَتَعَلَّلُ بِالتَّسْوِيفِ».

● كُلُّ بِالرَّفع وَالتَّنوِين مُبْتَدَأ، وَمُعَاجَل بِفَتح الجِيم اَسم مَفْعُول خَبَر كُلّ، وَمِثْله كُلُّ مُؤَجَّلٍ، وَالْمُرَاد بِالمُعَاجَل الطَّاعن فِي السِّن، لأنَّه مَظَنَّة التَّعجِيل إِلىٰ الْمَوْت، وَمَع هَذَا يَطْلب البَقَاء، وَالْمُرَاد بِالمُؤَجَّل الشَّاب المُعَافىٰ، لأنَّه مَظَنَّة التَّأجِيل إِلىٰ عَهدِ الشَّيخُوخة، وَهَذَا يُؤجِّل اَلتَّوْبَة وَيَقُول: فِي الْعُمُر فُسحَة، وَفِي الوَقت مُتسَع، وَيَنسىٰ أنَّ الْمَوْت قَد يَأْتِيه وَيَقطع عَلَيْهِ الطَّرِيق، كَما ذَهَل الشَّيخ أنَّه يُسرع إِلىٰ قَبرٍ مُظلِم عَفن!... وَالْعَاقِل الفَطن يَغْتَنم الْفُرْصَة فِيما يَبْقىٰ نَفْعه، وَيَدُوم أَجرَه.

وَسُبْحَان مَن نَطْمَع فِي عَفوَه.

٢٨٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَا قَالَ النَّاسُ لِشَيْءٍ: «طُوبَىٰ لَهُ!» إِلَّا وَ قَدْ خَبَأَ لَهُ الدَّهْرُ يَوْمَ

---

(١) سُورَة طَه: ١١٤.

(٢) لَمْ أَعْثر عَلَيْهِ.

سَوْءٍ».

● أَجْهَل النَّاس مَن يَظنّ دَوام الحَال، شِدَّة كَانَتْ أَم رَخَاء، فَإِذا رَأىٰ نِعْمَة عَلىٰ غَيْره قَالَ: هَنِيئاً لهُ، وَيَنْسىٰ وقُوع مَا يَجُوز وقُوعه، وَأنَّ هَذِه النِّعْمَة قَد تَكُون فَخّاً وَسَبِيلاً إِلىٰ هَلاَك صَاحِبها. وَتَقَدَّم مَعنا مُنذ قَلِيل فِي ٱلحِكْمَة: «وَرُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٌ بِالنُّعْمَىٰ، وَرُبَّ مُبْتَلىً مَصْنُوعٌ لَهُ بِالْبَلْوَىٰ»[1]. وَضَرب سُبْحَانَه مَثلاً بِقَارون الَّذي قَالَ النَّاس لمَّا خَرج عَلَيْهم فِي زِينَته: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾[2]. وَقَالَ آخر مِلُوك الْأُمويين: لمَّا حَلاَ لَنَا الدَّهر خَلا مِنا «وَعِند صَفو اللَّيالِي يَحدث الكَدَر»[3].

---

(١) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: (ٱلحِكْمَة (٢٧٣). (مِنهُ ﷺ).

(٢) ٱلقَصَص: ٧٩ ـ ٨١.

(٣) أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغة لِابْن أَبي ٱلحَدِيد: ١٧١/١١ و: ١٧٨/١٩، تَفسِير القُرطُبي: ٣٢٩/٧، البِدَايـة وَالنّهاية: ٢٠٨/١١، تَفسِير الثّعالبي: ٣٠١/٤. وَرَد الشّعر هَكَذا:

وَسَالمَتك اللَّيالي فَٱغترَرت بِها ... وَعِند صَفو اللَّيالي يَحْدث الكَدَر

كَانَ مُحَمَّد بن عَبدالله بن طَاهر أَمِيرَ بَغْدَاد فِي قَصْره عَلىٰ دِجْله يَوماً، وَإِذا بِحَشِيشٍ عَلىٰ وَجْه المَاء، فِي وَسَطه قَصَبة عَلَيْها رُقْعَة، فَأَمر بِأَخْذِها، فَإِذا فِيهَا:

تَاهَ الأُعَيْرِج وَٱستَولىٰ بِهِ البَطَرُ ... فَقُل لهُ: خَيرُ مَا ٱستَعمَلْته الحَذَرُ
أَحْسَنتَ ظَنّك بِالأَيّام إِذ حَسُنتْ ... وَلَم تَخَفْ سُوءَ مَا يَأتي بِهِ القَدَرُ
وَسَالمَتك اللَّيالي فَٱغتَرَرْتَ بِها ... وَعِند صَفوِ اللَّيالي يَحْدُث الكَدَرُ

﴾ وَفِي المَثَل: الدَّهر إذا أَتىٰ بِسَخْوَاءَ سَخسَح، يُعقبها بِنَكْبَاء زَعْزَع. وَكَذَلك شربُ العَيْش فِيهِ تلوّن، بَيْنَاه عَذْباً إذْ تَحوَّل آجِناً.

وَقَالَ يَحيىٰ بن خَالد: أَعْطَانا الدَّهر فَأسرَف، ثُمَّ مَال عَلينا فَأجْحَف.

وَقَالَ الشَّاعر:

فَـيا لنَـعِيم سَـاعدَتنا رِقَـابُه وَخَاسَتْ بِنا أكْفَالُه وَالرَّوَادِفُ

وَقَالَ إسْحَاق بنُ إبرَاهِيم المَوْصليّ المُغني العَبَاسي:

هِـي المـقَادِيرُ تَجـري فِي أعِـنَّتِها فَاصبرْ فَـلَيس لهَـا صَـبرٌ عَـلىٰ حَـالِ

يَـوماً تَـرِيشُ خَـسِيسَ الحَـالِ تَـرفَعه إلىٰ السَّماء وَيَــوماً تَخْـفض العَـالِي

أُنظر، تَأرِيخ بَغْدَاد: ١٤٤/٦، تَأرِيخ دِمشق: ١٧٤/٧، مُـعْجَم البُـلدَان لِـلحَموي: ٤٩٠/١، البـدَايـة وَالنِّهاية: ٣٤٠/١٠.

وَقَالَ هَانِىء بن مَسْعُود:

إنَّ كِـسرَىٰ أبَىٰ عَـلىٰ المَـلِك النُّعْـ ـمَانِ حَـتَّىٰ سَـقَاهُ أُمّ الرَّقُـوبِ

كُـلّ مَـلِكٍ وَإنْ تَـصَعَّد يَـوماً بِأُنَـاسٍ يَـعُود لِـلتَّصوِيبِ

وَقَالَ أُحَيْحَة بن الجُلاَح:

وَمَـا يَـدْرِي الفَـقِيرُ مَـتىٰ غِـنَاهُ وَمَـا يَـدْرِي الغَـنِيُّ مَـتىٰ يَـعِيلُ

وَمَـا تَـدْرِي إذَا أَضرَبْتَ شَـوْلاً أتُـلقح بَـعد ذَلِكَ أَم تَحِـيلُ

وَمَـا تَـدْرِي إذا أزْمـعت سَـيْراً بِأيِّ الأرْض يُـدْرِكُك المَـقِيلُ!

أُنظر، المَجمُوع: ١٢٥/١٦، حقَّائق التَّأويل لِـلسَّيِّد الشَّرِيـف الرَّضِيّ: ٢٩٥، مَـعَانِي الـقُرْآن لِـلفرَاء: ٢٥٥/١، الكَامِل فِي التَّأريخ: ٢٧٨/١، مَجاز القُرْآن: ٣٠٢/٢، جَمْهَرَة أَنْسَاب العَرب: ٦٤٧/٢، أحْكَام القُرْآن لِلجَصاص: ١١٦/٣، زَاد المَسِير: ٢٨٤/٣، تَفْسِير القُرطُبِي: ٢١/٥، تَفْسِير ابن كَثِير: ٤٦١/١، فَتح القَدِير: ٤٢١/١، تَأرِيخ دِمشق: ٢٩٤/٣٤ و: ٣١٥/٥٦.

وَقَالَ شَاعر آخر:

رُبَّ قَـوْمٍ غَـبَرُوا مِـن عَـيشِهِمْ فِي سرُورٍ وَنَـعِيمٍ وَغَـدَقْ

سَكَتَ الدَّهـرُ زَمَـاناً عَـنْهُمْ ثُمَّ أبْكَـاهمْ دَمَـاً حِـين نَـطَقْ

﴿

٢٨٧ ـ وَ سُئِلَ عَنِ الْقَدَرِ، فَقَالَ ﷺ: «طَرِيقٌ مُظْلِمٌ فَلَا تَسْلُكُوهُ. ثُمَّ سُئِلَ ثَانِياً فَقَالَ ﷺ: بَحْرٌ عَمِيقٌ فَلَا تَلِجُوهُ؛ ثُمَّ سُئِلَ ثَالِثاً فَقَالَ ﷺ: سِرُّ اللهِ فَلَا تَتَكَلَّفُوهُ».

● تكَلَم أَئِمتنا الأَطْهَار وَعُلماؤنا الكِبَار فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَر، وَأَطَالوا وَدفعُوا كُلّ مَا قِيل أَو يُمكن أنْ يُقَال حَولها مِن شُبهات، أَمَّا نَهي الإِمَام هُنا فَهُو مُوجه لِخصُوص أَهْل الْجَهْل حَتَّىٰ وَلَو كَان السَّائِل مِن أَعْلم الْعُلَمَاء، فَإِنَّ المَقصُود غَيْره وَإِلّا فَالعَالم بِحَقٍّ هُو الَّذي يَكشف الظُّلمات، وَيَخُوض البحَار، وَيَعلم الْقَضَاء والْقَدَر وَغَيْرهما مِن الْأَسرَار. وَتَقَدَّم فِي ٱلحِكْمَة (٧٨) سُؤال الشَّامي عَن الْقَدَر وَجوَاب الْإِمَام بِمَا أَقْنَعه وَأَقْنَع السَّامِعِين، وَكَلَام الْإِمَام يَنْسَجم بَعْضهُ مَع بَعْض تَمَاماً كَمَا يَنْسَجم مَع أَفْعَاله.

٢٨٨ ـ وَ قَالَ ﷺ: «إِذَا أَرْذَلَ اللهُ عَبْداً حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ».

● لَيْسَ الْمُرَاد بِالحَظَر هُنا التَّحرِيم، لأنَّ الْعِلْم مُشَاع لِكُلّ طَالب وَرَاغب، وَلاَ القَهْر وَالْإِلجَاء، لأنَّ الله أَمَر بِالْعِلْم دُونَ ٱستثنَاء، وَمَا هُو بِظَلاّم لِلعَبِيد، وَإِنَّمَا الْمُرَاد

⇐ أُنظر، أَمَالي السَّيِّد المُرتضىٰ: ٥٤/٤، الأَنْسَاب لِلسَّمعاني: ٢٥٩/١، البِدَاية وَالنِّهاية: ٢٢٢/١٠، شَرح نَهْج ٱلبَلاَغة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ١٧٨/١٩.

وَمِن الشِّعر المَنْسُوب إِلىٰ مُحمَّد الأَمِين بن زُبَيْدَة:

يَـا نَفس قَـد حَـقَّ الحَـذَر ... أَيْـنَ الفِـرَارُ مِـن القَـدَر

كُـلُّ آمـرِىءٍ مِمَّـا يَخَـا ... ف وَيَـرتَجِيه عَـلىٰ خَـطَر

مَـن يَـرتَشِفْ صَـفوَ الزَّمـا ... ن يَـغَصّ يَـوماً بِـالكَدَر

أُنظر، شَرح نَهْج ٱلبَلاَغة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ١٨٠/١٩.

الْإِشَارَة إِلىٰ أَنَّ بَعْض النَّاس فِيهِ نَقص وَعَجز عَن فَهم الْعِلْم وَهَضمه مَهما جَاهد وَكَابد، وَكَلِمة الْأَرْذَل تُومىء إِلىٰ ذَلِكَ، كَمَا أَنَّ بَعْض النَّاس لهُ كُلّ الاِسْتعدَاد لأَنْ يَفْهَم وَيَتَعَمَّق، بَل يَكْتَشف وَيَخْتَرع... وَهَذَا وَاقع لاَ رَيب فيهِ، وَقَد شَاهدنَاه أَيَّام الدّرَاسة فِي أَكْثَر مِن وَاحد، وَعَلَيْهِ يَكُون قَول الْإِمَام انْعكَاساً عَن الوَاقع[1].

٢٨٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «كَانَ لِي فِيمَا مَضَىٰ أَخٌ فِي اللهِ، وَكَانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ. وَكَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ، فَلَا يَشْتَهِي مَا لَا يَجِدُ، وَلَا يُكْثِرُ إِذَا

(١) مِنْ عَلاَمَةِ بُغْض اللهِ تَعَالىٰ لِلعَبْد أَنْ يُبغِّض إِلَيْه العِلْم.

وَقَالَ الشَّاعر:

شَكَوتُ إِلىٰ وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي ... فَأَرشَدَني إِلىٰ تَرك المعَاصي
وَقَالَ لأَنَّ حِفظ العِلم فَضْلٌ ... وَفَضلُ الله لاَ يُؤتِيه عَاصي

يُنْسَب هَذَا الشِّعر إِلىٰ الْإِمَام الشَّافعي كَمَا جَاء فِي إِعَانة الطَّالِبِين: ١٩٠/٢، وَتَارَة يُنسب إِلىٰ عَليّ بن خَشرَم كَمَا جَاء فِي مُنيَة المُرِيد لِلشَّهيد الثَّانِي: ٢٢٤، وَوَكِيع هُو بن الجرَاح بن مَليح (١٢٩ هـ ١٩٧)، وأنظر، تَرجَمته فِي تَهذِيب التَّهذِيب: ١٢٩/١١، مَجْمَع البَحرين: ٤٥٦/٤، شَرح نَهْج الْبَلاَغَة لِابن أَبِي الْحَدِيد: ١٨٢/١٩.

وَقَالَ رَجُل لِحَكِيم: مَا خَير الأَشيَاء لِي؟ قَالَ: أَنْ تَكُون عَالِماً، قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَكُن؟ قَالَ: أَنْ تَكُون مُثرِياً؛ قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَكُن؟ قَالَ: أَنْ تَكُون شَارِياً؛ قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَكُن؟ قَالَ: فَأَنْ تَكُنَ مَيِّتاً.

وَأَخَذ هَذَا المَعنىٰ بَعْضُ المُحدثين فَقَالَ:

إِذَا فَاتَكَ العِلمُ جُدْ بِالقِرَىٰ ... وَإِنْ فَاتَكَ المَال سُدْ بِالقِرَاعِ
فَإِنْ فَاتَ هَذَا وَهَذَا وَذَاكَ ... فَمُتْ فَحَيَاتُكَ شَرُّ المَتَاعِ

وَقَالَ أَيضاً فِي المَعْنىٰ بِعينهِ:

وَلَولا الحِجا وَالقِرىٰ وَالقِرَاع ... لَمَا فَضَل الآخِرَ الأَوَّلاَ
ثَلاَثٌ مَتىٰ يَخْلُ مِنهَا الفَتىٰ ... يَكُن كَالبَهِيمَة أَو أَرذَلاَ

أُنظر، شَرح نَهْج الْبَلاَغَة لِابن أَبِي الْحَدِيد: ١٨٢/١٩.

وَجَدَ. وَكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً، فَإِنْ قَالَ بَذَّ الْقَائِلِينَ، وَ نَقَعَ غَلِيلَ السَّائِلِينَ. وَكَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً! فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثُ غَابٍ، وَ صِلُّ وَادٍ، لَا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَ قَاضِياً. وَكَانَ لَا يَلُومُ أَحَداً عَلَىٰ مَا يَجِدُ الْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ، حَتَّىٰ يَسْمَعَ ٱعْتِذَارَهُ؛ وَكَانَ لَا يَشْكُو وَجَعاً إِلَّا عِنْدَ بُرْئِهِ؛ وَكَانَ يَقُولُ مَا يَفْعَلُ وَ لَا يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ؛ وَكَانَ إِذَا غُلِبَ عَلَىٰ الْكَلَامِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَىٰ السُّكُوتِ، وَكَانَ عَلَىٰ مَا يَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَىٰ أَنْ يَتَكَلَّمَ؛ وَكَانَ إِذَا بَدَهَهُ أَمْرَانِ يَنْظُرُ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَىٰ الْهَوَىٰ فَيُخَالِفُهُ؛ فَعَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْخَلَائِقِ فَٱلْزَمُوهَا، وَ تَنَافَسُوا فِيهَا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَٱعْلَمُوا أَنَّ أَخْذَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ».

● لاَ نَدْرِي: هَل أَرَاد الإِمَام بِالأَخ شَخْصَاً مُعيناً، أَو أَرَاد الشَّخص المَثَالي الَّذي يُحبّ أَنْ يُحتذىٰ؟. وَلاَ شَيء يُرَجح أَحد الاِحْتمَالِين سِوىٰ الحَدس، وَهُو لاَ يُغني عَن الْحَقِّ شَيْئَاً، وَإِنْ ٱعتمَد عَلَيْهِ بَعْض الشَّارحِين فِي تَرْجِيح الثَّانِي عَلىٰ الأَوَّل... وَأَيَّاً كَان فَقَد وَصَف الإِمَام هَذَا الشَّخص كَمَثل أَعْلىٰ فِي دِينهِ وَخُلقه، فَعَليكُم بِهَذِه الخَلاَئِق... إلخ. وَهِي:

١ ـ (صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ) وَالإِمَام نَفْسه السَّبب المُوجب لِهَذَا التَّصغِير وَالتَّحقِير فِي ٱلْخُطْبَة المَاضِيَّة بِقَوْلَه: «عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ ـ أي أَنْفُس الْمُؤْمِنِينَ ـ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ. قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ»[1].

---

(١) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلخُطْبَة (١٩٣). (مِنْهُ ﷺ).

وَفِي الحِكْمَة السَّابِقَة: «عِظَمُ الخَالِقِ عِنْدَكَ يُصَغِّرُ المَخْلُوقَ فِي عَيْنِكَ»(١).

٢ ـ (وَكَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ) إِلىٰ سُلْطَانِ دِينه وَعَقْله... وَسُلْطَان المِعْدَة قَاهِر لاَ مَفَرَّ مِنْهُ، وَلاَ بُدَّ مِن الاِستجَابَة لهُ وَإِلَّا قَضَىٰ عَلىٰ الحَيَاة، وَمُرَاد الإِمَام إِنَّ هَذَا الأَخ كَان يَسْتَجِيب لِمعدَته بِمقدَار الحَاجَة، كَمَا قَالَ الفَلاَسِفة: «نَأكُل لِنَعِيش، وَلاَ نَعِيش لِنَأكُل»(٢). (فَلَا يَشْتَهِي مَا لَا يَجِدُ) لاَ يَرد مَوجُوداً، وَلاَ يَتكَلف مَفْقُوداً، وإِذَا لَمْ يَجد شَيْئَاً صَبرَ (وَلَا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ) لِقَول الرَّسُول الأَعظم صلى الله عليه وآله: «مَا مَلأ ٱبن آدَمَ، وعَاءً شَرّاً مِن بَطْنِهِ، حَسِب ٱبن آدَمَ لُقِيمَات يُقمن صُلبه...»(٣). وَ«أَكْثَر (أَطْوَل) النَّاس شِبعاً فِي الدُّنْيَا أَطْوَلهم جُوعاً يَوْم الْقِيَامَة»(٤).

وَقَالَ الإِمَام البَاقر عليه السلام: «الإِنْسَان أَبْعَد الخَلق مِن الله إذَا مَا ٱمتَلأ بَطْنه»(٥)... هَذَا، إِلىٰ المُحَافظة عَلىٰ الصِّحة وَالوقَاية مِن الأَمرَاض.

٣ ـ (وَكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً) عَمَّا لاَ يَعْنِيه وَلاَ فَائِدة فيهِ... وَكَثِيراً مَا يَكُون

---

(١) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (١٢٨). (مِنهُ رحمه الله).

(٢) أُنظر، نوَادر الفَلاَسِفَة وَٱلحكمَاء: ١٨٩.

(٣) أُنظر، سُبل الهُدَىٰ وَالرَّشاد: ١٠٢/١٢، المجَازَات النَّبويَّة: ٤٤٣ ح ٣٦٠، مُسْنَد الشَّامِيين: ١٣٦/٣ ح ١٩٤٥، فَيض القَدِير: ٣١٩/٤، إِعَانة الطَّالِبين: ٢٨٠/٢، المَبسوط للسَّرخسي: ٢٦٦/٣٠، السُّنن الكُبْرَىٰ: ١٧٧/٤ ح ٦٧٦٨، المُستَدرَك لِلحَاكِم: ٣٣١/٤.

(٤) أُنظر، سُنَن التِّرمِذي: ٥٦٠/٤ ح ٢٤٧٨، سُنَن ٱبن مَاجه: ١١١/٢ ح ٣٣٥٠، سِير أَعْلاَم النُّبلاء: ١٢٣/٣، مُسْنَد زَيد بن عَليّ: ٤٨٠، كَشف القِنَاع: ١٨٤/٢، مَجْمَع الزَّوائِد: ١٨٤/٥، فَتح البَاري: ٤٣٥/٩، المُعْجَم الأَوسط: ٣٧٨/٨، الجَامِع الصَّغِير: ٣٣٨/١ ح ٢٢١٧ و: ٢٧٤ ح ٦٢٦٥، كَنز العُمَّال: ١٩٨/٣ ح ٦١٥٥ و٦١٦٣، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٥٤٣/٢ ح ٢٢١٧، تَهذِيب الكَمَال: ١٥١/٢٠، مِيزَان الاِعْتِدَال: ٢٤٣/٤ ح ٩٣٩١.

(٥) أُنظر، مُستَدرك الوَسَائِل: ٢٠٩/١٦ ح ٣، بِحَار الأَنْوَار: ٣٣١/٦٣ ح ٥.

صَمت العُلَمَاء لِلتَّفكُر وَالتَّدبُر، قَالَ الإِمَام الكَاظِم عليه السلام: «يَاهُشَام! إنَّ لِكُلِّ شَيء دَلِيلاً، وَدَلِيل العَقل التَّفكُر، وَدَلِيل التَّفكُر الصَّمت»[1]، وَقَالَ الإِمَام أَمِير الْمُؤمِنِين عليه السلام: «كُلّ سُكُوت لَيْسَ فيهِ فِكْرَة فَهُو سَهو»[2]. (فَإِنْ قَالَ بَذَّ الْقَائِلِينَ) أي غَلَبهُم وَتَفَوق عَلَيْهم (وَ نَقَعَ غَلِيلَ السَّائِلِينَ) نَقَع: رَوىٰ، وَالغَلِيل: شِدَّة العَطَش، وَالْمَعْنَىٰ: أَزَال حَيرَتهُم وَهَدَاهُم سَوَاء السَّبِيل.

٤ ـ (وَكَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً) زَاهِداً مُتوَاضِعاً، وَيَحْسبهُ الجَاهِل مِنْ أَهْل القِلَّة وَالذِّلَّة، وَلَكنَّه (فَإِنْ جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثُ غَابٍ، وَ صِلُّ وَادٍ) يَحْمِي حَوزَته، وَيَصُون كَرَامته، وَيَسْخىٰ بِنَفْسه فِي سَبِيل الْحَقّ وَالإِنْسَانِيَّة. وَالصِّلُّ: الْحَيَّة.

٥ ـ (لَا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَ قَاضِياً) كَانَ عَلىٰ عِلْمه وَذَكَائه وَبَلاَغته إذَا انْتَقَده نَاقد، وَعَلِم أَنّه لاَ يَقْتَنع ـ تَجَاهَله وَسَكت عَنْه إِلَّا إذَا وَجَد كُفْئاً مُنْصِفاً يَفْهَم عَنْه مَا يُرِيد، فَعِندَئذ يُدْلِي بِحُجَّتهِ البَالِغة وَالدَّامِغة، لِيكُون الكُفْء حَكَماً بَيْنَ الاثْنَيْن.

٦ ـ (وَكَانَ لَا يَلُومُ أَحَداً عَلَىٰ مَا يَجِدُ الْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ... إلخ). وَلاَ يُعِيبه بِشَيء حَتَّىٰ يَسْتَمع إِلَيْهِ، وَيُحَاكمه عَلىٰ أَسَاس أَقْوَاله، فَإِنْ كَانَتْ مَعْقُولة عَذرَه وَإِلّا نَصحَه وَحَذرَه، وَيَأْتي قَول الإِمَام عليه السلام: «لَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَحَدٍ سُوءاً، وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلًا»[3].

---

(١) أنظر، الكَافِي: ١٦/١ ح ١٢، وَسَائِل الشِّيعَة: ٢٠٧/١٥ ح ٦، بِحَار الأَنْوَار: ٣٠٦/٦٨ ح ٨٢.

(٢) أنظر، مَقَاتِل الطَّالِبِين: ٢٢٤، المَحَاسِن: ٥/١ ح ١، وَلَكنْ فِيهِ «فَهُو غَفْلَة»، مَن لاَ يَحْضره الفَقِيه: ٤٠٥/٤ ح ٥٨٧٦، الخِصَال: ٩٨ ح ٤٧، أَمَالِي الصَّدُوق: ٨٠، ثَوَاب الأَعْمَال: ١٧٧، وَسَائِل الشِّيعَة: ١٩٧/١٢ ح ٦، مَعَانِي الأَخْبَار: ٣٤٤ ح ١، تُحَف العُقُول: ٢١٥.

(٣) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٣٥٩).

٧ ـ (وَ كَانَ لَا يَشْكُو وَجَعاً إِلَّا عِنْدَ بُرْئِهِ) لأنَّ الشَّكوىٰ إِلىٰ النَّاس لاَ تَجر نَفْعاً، وَلاَ تَدْفَع ضُرّاً، بَل تَجْلب سُوءاً، لأنَّ المَشكُو إِلَيْهِ إِنْ كَان صَدِيقاً حَزُن وَتَألَم، وَإِنْ كَان عَدوّاً شَمُتَ وَفَرِح... وَمَتىٰ بَرىء هَذا العَبد الصَّالح مِن مَرضِهِ تَحدث عَنْهُ شُكراً للهِ، وَحَمْداً لأفْضَاله وَإِنْعَامه.

٨ ـ (وَ كَانَ يَقُولُ مَا يَفْعَلُ وَ لَا يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ). يَرْبَأ بِنَفْسه عَن الْكَذِب، وَلاَ يَعرض لِلَوم أَو عتَاب، وَلاَ يَقدم عَلىٰ مَا يَخَاف الْعَجْز عَنْه.

٩ ـ (وَ كَانَ إِذَا غُلِبَ عَلَىٰ الْكَلَامِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَىٰ السُّكُوتِ... إلخ). لاَ يَعد السُّكُوت مَغْرَماً، وَالكَلاَم مَغْنَماً، كَما هُو شَأن الَّذِين يَبذخُون بِألسِنَتهم، وَيَتطَاولُون بِمَنْطِقهم.

١٠ ـ (وَ كَانَ إِذَا بَدَهَهُ أَمْرَانِ يَنْظُرُ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَىٰ الْهَوَىٰ فَيُخَالِفُهُ... إلخ). بَدَهَهُ: عَرَض لهُ وَفَاجَأهُ، وَالْمَعْنَىٰ أنَّه يَملك نَفْسه وَلاَ تَملْكه، وَإِذَا غَالَبَته فِي شَهوَاته غَلَبها عَلَيْهَا، وَمَن لَم يَكُن كَذَلِكَ أَخَذ الشَّيْطَان بِزمَامه وَقَاده إِلىٰ المَهالِك.

٢٩٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدِ اللهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ، لَكَانَ يَجِبُ أَلَّا يُعْصَىٰ شُكْراً لِنِعَمِهِ».

● يَسْتَقل العَقْل بوجُوب طَاعَة الله سُبْحَانَه فِي أَمرِهِ وَنَهيِهِ شُكراً عَلىٰ إِنْعَامه، وَدَفعاً لِلضَّرر عَن النَّفس بِعُصيَانه، وَمَعْنَىٰ هَذَا أَنَّ طَاعَة الله حَتم سَواء تَوعد سُبْحَانَه وَهَدد العَاصي، أَمْ سَكَت عَن تَهدِيد وَوَعِيده. وَأيضاً مَعْنَاه إِنْ أَمْر الله بِالطَّاعَة هُو بَيان وَتَوكِيد لِحُكم العَقل لاَ اختِرَاع وَتَأسِيس... بِالإِضَافَة إِلىٰ أَنَّ الله لاَ يَأمر إلّا بِخَير، وَلاَ يَنْهىٰ إِلَّا عَن شَرٍّ، وَإِنَّ الْخَيْر يَجْب أَنْ يُفْعل وَيُتبع لأَنَّه وَاجب

ذاتاً لاَ شَرعاً فقط ، وَإنَّ الشَّر يجب أنْ يُترك لِذَلِكَ .

٢٩١ ـ (وَ قَالَ عليه السلام وَ قَدْ عَزَّىٰ الْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ عَنِ ٱبْنٍ لَهُ) :

«يَا أَشْعَثُ ، إِنْ تَحْزَنْ عَلَىٰ ٱبْنِكَ فَقَدِ ٱسْتَحَقَّتْ مِنْكَ ذَلِكَ الرَّحِمُ ، وَ إِنْ تَصْبِرْ فَفِي اللهِ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ خَلَفٌ .

يَا أَشْعَثُ ، إِنْ صَبَرْتَ جَرَىٰ عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَ أَنْتَ مَأْجُورٌ ، وَ إِنْ جَزِعْتَ جَرَىٰ عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَ أَنْتَ مَأْزُورٌ .

يَا أَشْعَثُ ، ٱبْنُكَ سَرَّكَ ، وَ هُوَ بَلَاءٌ وَ فِتْنَةٌ ، وَ حَزَنَكَ ، وَ هُوَ ثَوَابٌ وَ رَحْمَةٌ » .

● (فَقَدِ ٱسْتَحَقَّتْ مِنْكَ ذَلِكَ الرَّحِمُ) لِأَنَّهَا غَريزَة فِي الحَيوَان وَالْإِنْسَان ... حَتَّىٰ رَسُول الله صلى الله عليه وآله تَندَّت عيناه بِالدُّموع عَلىٰ وَلَده إِبْرَاهِيم وَقالَ صلى الله عليه وآله : «تَدمعُ الْعَيْن ، وَيَحزنُ ٱلْقَلْب فَلا نَقُول مَا يُسخِط الرَّب ؛ وَلَوْلاَ أَنَّهُ قَولٌ صَادق ، وَوعدٌ جَامع ، وسَبِيل نَأتيه ، وَأنّ آخرنا سيَتبعُ أوّلنا ؛ لوجدّنا عَلَيْكَ أشدّ من وجدّنا بِكَ ، وإنّا عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيم لمَحزُونُون»[1] .

(وَ إِنْ تَصْبِرْ فَفِي اللهِ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ خَلَفٌ) . أي فِي أَجر الله وَثوَابه عِوض لَك عَن فِرَاق وَلَدك (إِنْ صَبَرْتَ جَرَىٰ عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَ أَنْتَ مَأْجُورٌ ... إلخ) . لاَ مَفرَّ مِن الْمَوْت

(١) أنظر ، صَحِيح البُخَاريّ :٢/ ٨٤ و ٨٥، كَنز العُمّال: ح ٤٠٤٧٩، السُّنن الكُبْرَىٰ لِلبيهقي : ٤/ ٦٩، الذّكرىٰ : ٧٠، دَعَائِم الْإِسْلاَم: ٢٢٤/١، بدَائع الصَّنائع : ٣١٠/١، المُغني: ٤١١/٢، المحلىٰ: ١٤٦/٥، مُسْنَد أحمد: ١٩٤/٣، صَحِيح مُسْلِم: ٧٦/٧، سُنن ٱبن مَاجه : ٥٠٧/١، سُنن أبي دَاود: ٦٤/٢، مُسْنَد أبي يَعلىٰ: ٤٣/٦، المُصَنَّف: ٢٦٧/٣، الإحْكام للإمَام يَحيىٰ الهَادي: ١٥٠، الكَافي: ٢٦٢/٣، ذَخَائِر الْعُقْبىٰ: ٢٢٤/١.

صَبْرتَ أَو جَزَعت، وَالفَرق إنَّك تُشكر وتُؤجر عَلىٰ الصَّبْر، وَتُلام وَتُؤاخذ عَلىٰ الجَزع... وَلاَ تَزْكو نَفْس حَتَّىٰ تَتَحمل المتَاعب بِصَبر وَثَبات كَمَا لاَ تَصلح الأَرْض إلَّا بِالتَّعب وَالحَرث.

(اَبْنُكَ سَرَّكَ) كُلّ وَالِد يَفْرح وَيُسر بِوَلده، لأنَّ حَيَاته آمتدَاد لِحيَاته، وَلأنَّ البَنِين زِينَة الْحَيَاة كَمَا فِي الآيَة ٤٦: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾[1]، وَقَد فَرح رَسُول الله ﷺ بِوَلده إبْرَاهِيم، وَكَان يَذهب لِيرَاه عِند مُرضعته، وَهِي زَوْجَة حَدَّاد، وَيُقبّله وَيُلاعبه. وَقَالَ إبْرَاهِيم الخَلِيل فَرِحاً شَاكِراً: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[2]. فَالفَرح بوجُود العَزِيز حَسن، أَو لاَ بَأس بِهِ، وَالْحُزْن عَلىٰ وَفَاته غَيْر قَبيح مَا دَام كُلّ مَا الفَرح وَالْحُزْن فِي حدُود الله وَحَلاله.

(وَ هُوَ بَلَاءٌ وَ فِتْنَةٌ ... إلخ). كَان الوَلد مِن قَبل بَلاءً عَلىٰ وَالِده فِي تكَالِيف عَيشه وَحيَاته، وَبَعْض الأَولاَد اليَوْم كَارثة عَلىٰ الوَالد وَالْمُجتمع فِي تَحرره مِن قِيود الدِّين وَالآدَاب... فَالبِنت (ميني جوب، وَسفور)، وَالصَّبي (خُنفس وَخمُور)، وَالأب الْمِسْكِين بَيْنَ طَابقِين مِن نَار: نَار الحُبّ وَالعَاطِفة، وَنَار الْغَيْظ وَالْحُزْن عَلىٰ وَلده الَّذي آنْتزَعه الشَّيْطَان مِن يَده وَلاَ حِيلة إلّا الحَسرَات وَالزَّفرات... وَلَيْسَ مِن شَك أنَّ هَذَا الْحُزْن وَالْغَيْظ (ثَوَابٌ وَ رَحْمَةٌ) كَمَا قَالَ الإمَام، إنْ كَان لِوجه الله وَالْحَق.

---

(١) ٱلْكَهف: ٤٦.

(٢) إبْرَاهِيم: ٣٩.

٢٩٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام عِنْدَ وقُوفِه عَلَىٰ قَبْرِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله سَاعَةَ دَفْنِهِ:

«إِنَّ الصَّبْرَ لَجَمِيلٌ إِلَّا عَنْكَ، وَ إِنَّ الْجَزَعَ لَقَبِيحٌ إِلَّا عَلَيْكَ، وَ إِنَّ الْمُصَابَ بِكَ لَجَلِيلٌ، وَإِنَّهُ قَبْلَكَ وَ بَعْدَكَ لَجَلَلٌ».

● الْمُرَاد بِالجَلَل: الهَيِّن، وَيَصح إِطلاَقه عَلىٰ العَظِيم، وَلَيْسَ مِن قَصد الإِمَام أَنْ يُقسّم كُلاًّ مِن الصَّبْر وَالجَزَع إِلىٰ جَمِيل وَغَيْر جَمِيل كَمَا فَهم الشَّارِحُون... كَلا، وَإِنَّمَا قَصْد الإِمَام أَنَّ فقْد الرَّسُول صلى الله عليه وآله أَحْدَث فرَاغاً لاَ يَسده شَيء، وَإِنَّ أَهْل الْبَيْت مِن بَعده تَترَاكم عَلَيْهم هُمُوم وَأَحزَان لاَ يَقوىٰ عَلَيْهَا إِلّا مَن بَلغ الغَايَة وَالنّهَايَة فِي صَبْره وَرِضاه بِمَا يُرضي الله... وَكُلّ مَا وَقَع وَحَدث لآل النَّبيّ صلى الله عليه وآله مِن بَعده دَلِيل صِدقٍ، وَشَاهد عَدلٍ عَلىٰ ذَلِكَ[1].

---

(١) قَالَ بَعْض الشُّعرَاء فِي ذَلِكَ:

أَمْسَتْ بِجَفْنِي لِلدُّموع كُلُومُ ... حَزَناً عَلَيْكَ وَفِي الخُدُود رُسُومُ
وَالصَّبْرُ يُحْمَد فِي المَوَاطِن كُلِّها ... إِلاَّ عَلَيْكَ فَإِنَّه مَذْمُومُ

أُنظر، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلْحَدِيد: ١٩/١٩٥، الكَامِل فِي التَّأْرِيخ: ٢/٤١، وَقَد نَسبَها إِلىٰ مُحَمَّد بن عَبدالله العُتْبي، مواهب الجَلِيل، تَأْرِيخ دِمشق: ٤١/٣٢٢، وَقَد نَسبَها إِلىٰ أَبِي عَلِيّ مُحَمَّد بن هَارُون بن شُعيب لِسمنُون، سُبل الهُدىٰ وَالرَّشاد: ١٢/٢٦٧.

وَمِن شِعر الحَمَاسَة:

سَأَبْكِيكَ مَا فَاضَتْ دمُوعِي فَإِنْ تَغضْ ... فَحَسْبُك مِنِي مَا تُجِنُّ الجَوانِحُ
كَأَنْ لَمْ يَمُتْ حَيٌّ سِوَاك وَلَم تَقُمْ ... عَلىٰ أَحدٍ إِلاَّ عَلِيك النَّوائِحُ
لَئِنْ حَسُنَتْ فِيكَ المَرَاثِي بِوَصفها ... لَقَد حَسُنَتْ مِن قَبلُ فِيكَ المَدَائِحُ
فَمَا أَنا مِن رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَازِعٌ ... وَلاَ بِسرُور بَعد مَوْتك فَارِحُ

أُنظر، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلْحَدِيد: ١٩/١٩٧، شَرح الرَّضِيّ عَلىٰ الكَافِية: ١/١٩٤، البِدَاية

↔

٢٩٣ ـ وَ قَالَ ﷺ : «لَا تَصْحَبِ الْمَائِقَ فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَكَ فِعْلَهُ، وَ يَوَدُّ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ».

● الْمَائِق: الأَحْمَق، وَهَل يَصْحَب الأَحْمَق أو الحَاسد إلَّا أَحْمَق ؟. وَمَا تَصْنَع لَو صَحِبْتَ أَحْمَق أو حَاسداً، وَاصْفَرَ وَجْهه وَغصَّ بريقه حِين يَذكرك أَمَامه ذَاكِر بِخَيرٍ، وَيُبجلك مُبَجل لِفَضلك ؟ وَقَد شَاهدت الكَثِير يَمْسكُون عَن مَدح مَن هُو أَهْل لِلتَّكرِيم وَالتَّقدِير، يَمْسكُون لاَ لِشيء إلَّا مخَافة مِن حَاسدِي فَضله وَمكَانته.

٢٩٤ ـ وَ قَالَ ﷺ : وَ قَدْ سُئِلَ عَنْ مَسَافَةِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ، فَقَالَ ﷺ : «مَسِيرَةُ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ».

● الْمُرَاد بِمَسِيرة الشَّمْس سَيرَها بِحَسب رُؤية الْعَيْن لاَ بِحَسب الوَاقع، كَما فِي الآيَة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾[1]. وَلكن أَحمَد أَمِين الْعِرَاقِي فِي الجُزء

⇐ وَالنّهاية: ١٩٢/٩، شَرح الحمَاسة لِلتَّبريزي: ١٦٨/٢، وَقد نَسبها إلىٰ مطيع بن أياس فِي رِثاء يحيىٰ بن زِياد.

(١) الْكَهْفِ: ٨٦ ـ ٩٠.

الثَّانِي مِن «التَّكامُل»[١]: «ثَبَت أنَّ الشَّمْس تتحَرك فِي الْـفَضَاء بِـجمُوعَتها عَـلىٰ شِكل لَولبي ٢٠ /كم فِي الثَّانِيَة نَحو نَجْمَة تُدعىٰ النّسر». وَنَحنُ فِي هَذَا العِلْم رَواة فَقَط[٢].

٢٩٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «أَصْدِقَاؤُكَ ثَلاَثَةٌ، وَ أَعْدَاؤُكَ ثَلاَثَةٌ؛ فَأَصْدِقَاؤُكَ: صَدِيقُكَ، وَصَدِيقُ صَدِيقِكَ، وَ عَدُوُّ عَدُوِّكَ. وَ أَعْدَاؤُكَ: عَدُوُّكَ، وَ عَدُوُّ صَدِيقِكَ، وَ صَدِيقُ عَدُوِّكَ».

● صَدِيق الصَّدِيق لَيْسَ صَدِيقاً عَلىٰ سَبِيل الحَتم وَالجَزم، وَلاَ عَدوّ العَدوّ مِـن الأَصدقَاء... وَهَذَا ثَابت وَوَاضح بِالعَيَان، وَيُدركه كُلّ إنْسَان مِـن نَـفْسه، وَمِـن أَصدقَائه وَأَعدَائه وَإلَّا كَان عَدوّ صَدِيقك لِحَسده لهُ هُو عَدُوّك أَيضاً مَع الفَـرض إنَّك لاَ تَملك شَيْئَاً تُحْسَد عَلَيْهِ!. وَإذْن فَلاَ بُدَّ مِن التَّوجِيه وَالتَّأوِيل.

وَالَّذي تَصورنَاه فِي التَّوجِيه، وَنَحنُ نَشرح هَـذِه الكَـلِمَة، إنَّ سَـبب التَّآخـيٰ

(١) هُو أَحمد بن أَمِين بن صَالح بن مُحَمَّد بَاقر بن إسمَاعِيل الكَاظمي، وِلِد فِي الكَاظمِية سَنَة (١٣٢٤ هـ)، وَبِها تَعلم، ثُمَّ أنتقل إلىٰ النَّجف الأَشرَف وَأقَام بِها سِنين تَلمذ عَلىٰ علمائِها فِي كَثِير مِن الدّروس الحَوزَوِية، وَمِن أَسَاتذته بِها الشَّيخ مُحَمَّد جوَاد البَلاَغي فِي أُصول الفِقْه وَالعقَائِد وَعِلم المُنَاظرة، وَالشَّيخ نِعْمَة الله الدَّامغاني فِي الفَلسَفة الالٰهية.

أَلتَحق فِي المَدَارس الحَدِيثَة وَتَخرج مِن بَعْض جَامعَات تُركيا، ثُم مِن جَامعَة (السُّوربُون) الفَرنْسِية فِي عُلوم الرِّياضيات، وَكَان مِن الرِّياضِيين المَعْدُودِين، وَلَه شُهرة وَاسعة فِي العُلوم الرِّياضِية، أشْتَغل بِالتَّعليم وَأَشغل مَنْصب مُفتش الرِّياضِيات فِي وزَارة المَعَارف العرَاقِيه، وَكَان فِي غَاية الصَّلاح، وَالسّداد، وَالتَّواضع، وَالتَّعبد. وَقَد أَلَّف العَدِيد مِن المُؤلفات، وَأشتَهر مِنْهَا كِتَابه «التَّكامُل فِي الإِسْلام» وَقَد طُـبع مِـنْه سَـبْعة أجزَاء. توفِّي بِبغدَاد يَوم الخَمِيس ثَانِي شَهر صَفر سَنَة (١٣٩٠ هـ)، وَنُقل جُثمَانه إلىٰ النَّجف الأَشرَف.

(٢) أُنظر، القُرآن وإعْجَازه العِلمي لمُحَمّد إسْمَاعِيل إبْرَاهِيم: ٧٥.

وَالصَّدَاقة بَيْنَ ٱثْنَيْن هُو المُشاركة فِي أي شَيء، وَإِنَّ سَبب العَـداوَّة وَالتَّـباعُد هُـو المُعَاكسة وَعَدم الاِنْسجَام، كمَا قَالَ الرَّسُول الأَعظم ﷺ عَـن الأَرواح: «الأَرْوَاح جُنُود مُجَنَدة مَا تَعارف مِنْهَا إِئتلف، ومَا تَنَاكر مِنْهَا ٱخْتَلف»[1]. ومَعْنَىٰ هَذَا أنَّ أَيَّة صِفة كَانَتْ السَّبب المُوجب لِلصَّدَاقَة بَيْنَ ٱثْنَيْن ـ فَهُما أَيضاً صَدِيقان لِكُلّ مَن كَانَتْ فِيهِ الصِّفَة مِن حَيْث يُرِيدان أَو لاَ يُرِيدان ـ مَثلاً ـ تُصَادق زَيد وَبَكر لأنَّهما يُدِينَان بِمَبادىء حِزب مَعْلُوم، فَكُلّ مَن يَنْتَمي إِلىٰ هَذَا الحِزب فَهُوَ صَـدِيق لهُـما بِـطَبِيعَة الحَال، وَإِنْ لَم يَعرفا عَنْه شَيْئاً، وَأَيَّة صِفة كَانَتْ السَّبب المُوجب لِلتَّبَاعُد بَيْنَ ٱثْنَيْن، لأَنَّ أَحدهُما يُحبّها وَالآخَر يَمقُتها ـ فَكُلّ مَن ٱتصَف بِهَذِه الصِّفَة فَهُوَ صَـدِيق لِـمَن أَحبَّها، وَعَدوٌ لِمَن مَقتها مِن حَيْث يُرِيد أَو لاَ يُرِيد.

٢٩٦ ـ وَ قَالَ ﷺ لِرَجُلٍ رَآهُ يَسْعَىٰ عَلَىٰ عَدُوٍّ لَهُ بِمَا فِيهِ إِضْرَارٌ بِنَفْسِهِ: «إِنَّمَا أَنْتَ كَالطَّاعِنِ نَفْسَهُ لِيَقْتُلَ رِدْفَهُ».

● المُرَاد بِالرِدْف هُنا الرَّدِيف، وَهُو الرَّاكِب خَـلف الرَّاكِب... قَـدْ تَسْـتَولِي الْعَقِيدَة الدِّينيَّة عَلىٰ الإِنْسَـان فَـتدفَعه إِلىٰ التَّـضحِية بِـنَفْسه مِـن أَجْـلها وَالذَّود عَنْهَا.. وَأَيضاً قَد يَبْلغ بِهِ الحِقد عَلىٰ عَدوِّه هَذَا المَبْلَغ أَو يَـزِيد فَـيَقتل عَـدوِّه، ثُمَّ يَنْتَحر عَن تَخْطِيط وَتَصمِيم. وَالسَّاعي بِعَدوِّه الَّذي أَشَار إِلَيْهِ الإِمَام مِن هَذَا النَّوع،

(١) أُنظر، صَحِيح مُسْلِم: ٤/٢٠٣١ ح ٢٦٣٨، صَحِيح البُخَاريّ: ٣/١٢١٣ ح ٣١٥٨، صَحِيح ٱبن حبّان: ١٤/٤٢ ح ٦١٦٨، المُسْتدرَك عَلىٰ الصَّحِيحين: ٤/٤٦٦ ح ٨٢٩٦، سُنن أَبِي دَاود: ٤/٢٦٠ ح ٤٨٣٤، المُعْجَم الأوسط: ٢/١٦١ ح ١٥٧٧، مَجْمَع الزَّوائد: ٢/٣١٤ و: ٨/٨٧، مُسْنَد أحمَد: ٢/٢٩٥ ح ٧٩٢٢، مُسْنَد أَبِي يَعلىٰ: ١/١٣٠، الفِردَوْس بمأثور الخِطَاب: ١/١٢٣ ح ٤٢٣، تَفْسِير ٱبن كَثِير: ٣/٧٥.

وَأَسوَأ مِنهُ مَن يُلقي قُنبُلَة عَلىٰ جَمْع غَفِير، أو يُغْرِق سَفِينَة فِيها عَشرَات الآدَمِيين، أَو يُدمر طَائِرة هُو فِيهَا لاَ لِشَيء إِلَّا لِيَقتُل عَدوّه الأَلد.

وَفِي سَائِر الْأَحْوَال فَإِنَّ الْبَادِي أَظْلَم، وَلَوْلا المُسَبِب لَمْ يَنجح السَّبب، وَقَال عَظُمت كَلِمَته: ﴿وَلَاتَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[1].

٢٩٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَا أَكْثَرَ الْعِبَرَ وَأَقَلَّ الِاعْتِبَارَ!».

● الِاعْتِبَار أَي المُعْتَبِرُون. وَكُلّ الْحَيَاة ـ مَا تَقَدَّم مِنْهَا وَمَا تَأَخر ـ عِبر نَافِعَة، وَعِظَات بَالِغة. وَلاَ مَن يَخْشىٰ وَيُعْتَبر. وَسَبق القَول فِي ذَلِكَ، وَإِنَّ السِّر فِي قِلَّة الِاعْتِبَار أَنَّ الْإِنْسَان فِي الْأَغْلب يُقَاد بِعَاطِفتِهِ لاَ بِدِينه وَعقلَه[2].

٢٩٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَنْ بَالَغَ فِي الْخُصُومَةِ أَثِمَ، وَمَنْ قَصَّرَ فِيهَا ظُلِمَ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ مَنْ خَاصَمَ».

● الْخُصُومَة: الْجِدَال وَالنِّزَاع، وَالمُبَالغة فِيها الْحِرْص عَلىٰ الفَوز بِكُلِّ سَبِيل، وَالتَّقْصِير فِيها سكُوت الْإِنْسَان عَن حَقِّه، وَالْمَعْنَىٰ مَن تَجَاوز فِي النَّزعَات وَقَع فِي

---

(١) ٱلأَنْعَام: ١٠٨.

(٢) قَالَ ٱبن أَبِي ٱلحَدِيد فِي شَرح نَهْج ٱلبَلاَغَة: ٢٠٣/١٩. مَا أَوْجَز هَذِه الكَلِمَة وَمَا أَعْظَم فَائِدَتها! وَلاَ رَيب أَنَّ العِبَر كَثِيرة جِدّاً، بَل كلّ شَيء فِي الوجُود فَفِيه عِبْرَةٌ، وَلا رَيب أَنَّ المُعْتَبِرِين بِها قَلِيلُون، وَأَنَّ النَّاس قَد غَلَب عَلَيْهِم الجَهْل وَالهَوىٰ، وَأَرداهُم حُبُّ الدُّنْيا، وَأَسْكَرَهُم خَمْرُها؛ وَإِنَّ اليَقِين فِي الأَصل ضَعِيف عِندَهُم، وَلَولا ضَعْفه لَكَانَتْ أَحوالهم غَيرَ هَذِه الأَحْوَال.

المُحَرَّمات، وَمَن تَركها مَع الإِعْتدَاء عَلَيْهِ ذَهَب حَقّه نَهْباً، وَخَيْر الْأُمُور أَعْدَلها وَأَوْسَطها[١] (وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ مَنْ خَاصَمَ). هَذا أَشْبَه بِالإستدرَاك لما تَقدَّم، وَإِنَّ عَلىٰ الإِنْسَان أَنْ يَبْتَعد عَن أَسْبَاب الخُصُومَة مهمَا أَمْكَن، لِأَنَّهَا مَزْلَقٌ خَطر، تُؤَدِّي إِلىٰ الأَحْقَاد وَالضَّغَائن، وَمَتىٰ غَلَت نَار الحِقد فِي الصُّدور فَلا يَخْمدها دِين وَلا عقْل، وَلا شَيء إِلّا الثَّأر بِكُلِّ مَا يَقْدَر عَلَيْهِ الحَاقد حَتَّىٰ الإِبَادَة.

وَتَجدُر الإِشَارَة إِلىٰ أَنَّ أَي إِنْسَان يَتَمَنىٰ مَوت مُنَافسه عَلىٰ رِيَاسة دِينيَّه، أَو زَمَنيَّة، أَو أي شَيء آخر، إنَّ هَذا الحَقُود لاَ يُؤتَمن عَلىٰ الدِّين، وَلا يَجُوز أَخذه عَنْه، وَلا الصَّلاة خَلْفه، لأنَّ قَلْبه مَأوىٰ الشَّياطِين... وَالله سُبْحَانَه لاَ يَضع دَعْوَة الإِسْلاَم إِلّا فِي قَلْب رَؤوف رَحِيم بِجَمِيع العَالمِين عَلىٰ السَّواء، وَالمُنَافسِين لهُ، وَالمُتَابعِين[٢].

٢٩٩ ـ وَقَالَ عليه السلام: «مَا أَهَمَّنِي ذَنْبٌ[٣] أُمْهِلْتُ بَعْدَهُ؛ حَتَّىٰ أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ، وَأَسْأَلَ

---

(١) مَأخُوذ مِن قَوْله صلى الله عليه وآله: «خَيْر الأُمُور أَوْسَطها ـ أَوْسَاطها» أُنظر كَنْز المَنَاوي فِي هَامش جَامع الصَّغِير: ١/١٢٤ حَرف الحَاء. بِحَار الأَنْوار: ٧٥/١١ ح ٧٠. فَتح البَاري: ١١/٢٣٤. شَرح نَهْج البَلاغَة مُحَمَّد عَبْدَه: ٢/١٠٠. شَرح نَهْج البَلاغَة لِابن أَبي الحَدِيد: ١٦/١١٧. تَفْسِير القُرطُبي: ٢/١٥٤. الدُّر المَنْثُور: ٤/١٧٩. الأَحْكَام لِلآمُدي: ١/٢١١. المَبسوط للسَّرخي: ٣/١٦٥. بَدائِع الصَّنائع: ١/٢٣. حَاشِية رَدّ المحتار: ٦/٦٦٦.

(٢) قَالَ ابْن أَبي الحَدِيد فِي نَهْج البَلاغَة: ١٩/٢٠٤ هَذا مِثل قَوْله عليه السلام فِي مَوضع آخر: «الغَالب بِالشَّرِّ مَغْلُوب».

وَكَان يُقَال: «مَا تَساب اثنَان إِلاَّ غَلبَ أَلامُهما».

(٣) فِي نُسْخَة أُخرىٰ: أَمْرٌ.

اللهَ الْعَافِيَةَ».

● لَيسَ هَذا إغْرَاء فِي فِعل الذُّنُوبِ مَع العَزم عَلىٰ ٱلتَّوْبَةِ، بَل تَحذِيراً مِن المَعْصِيَة خَوفاً مِن مُفَاجأت المَوْت قَبل ٱلتَّوْبَةِ، وَطَلب المَغْفِرَة، وَحَثاً لِلمُذنبِين عَلىٰ الإِسْرَاع إِلىٰ الإِنَابة قَبل فَوات الأَوَان (وَأَسْأَلَ اللهَ الْعَافِيَةَ) لأَنَّ تَرك الذَّنب أَهْوَن مِن طَلب العَفْو، وَقَالَ مَن قَالَ: «مَا كَان أَغْنَاها عَن الحَالِين»[١].

٣٠٠ ـ وَسُئِلَ عليه السلام: (كَيْفَ يُحَاسِبُ اللهُ الْخَلْقَ عَلَىٰ كَثْرَتِهِمْ؟) فَقَالَ عليه السلام: «كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَىٰ كَثْرَتِهِمْ».
فَقِيلَ: كَيْفَ يُحَاسِبُهُمْ وَ لاَ يَرَوْنَهُ! فَقَالَ عليه السلام: «كَمَا يَرْزُقُهُمْ، وَلاَ يَرَوْنَهُ»

● اللهُ سُبْحَانَه عَلىٰ كُلِّ شَيء قَدِير: يَرزُق العِبَاد فِي لَحْظَة، وَيُحَاسِبهم كذَلِكَ... يُدرِك الأَبْصَار وَلاَ تَدركه رَازقاً وَمُحَاسباً، لأَنَّه تَعَالىٰ لَيسَ مَادة تُحس. وَفِي أَسْفَار المُلا صَدرا «فِي قُدرة الله تَعَالىٰ أَنْ يَكْشف الخَلاَئِق فِي لَحظَة وَاحِدة، وَيَعلم جَمِيع أَعْمَالهم، وَمِيزَان حَسْنَاتهم، وَسَيِّئَاتهم»[٢]. وَيَصح هَذا تَفْسِيراً لِلآية: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾[٣]، وَالآيَة: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ

(١) يُنسب عَجز هَذَا البَيت إِلىٰ غَرس النِّعْمَة مُحَمَّد بن هِلال بن المُحسن بن إِبْرَاهِيم الصَّابيء المتوفّىٰ سَنَة (٤٨٠ هـ)، وَقَد رُمي بِالإِلحَادِ، وَأَشعَاره دَالة عَلىٰ مَا يُتهم بِهِ. أُنظر. فِي لزوم مَا لاَ يَلزم: ٤٤٣/١، سِير أَعْلاَم النُّبلاء: ٢٩/١٨، البِدَاية وَالنِّهاية: ٩٣/١٢.

وَزَعمت أَنَّ لَهَا مَعَاداً ثَانِياً ... مَا كَان أَغْنَاها عَن الحَالِين

(٢) أُنظر. الحِكْمَة المتَعَالِيَة (الأَسفَار) لِصَدر الدِّين مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم الشيرازي المَعْرُوف بِـ(مُلا صَدرا)، أو صَدر المُتألهين: ٢٢٣/٤.

(٣) ٱلأَنعَام: ٦٢.

بِالْبَصَرِ﴾[١].

٣٠١ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «رَسُولُكَ تَرْجُمَانُ عَقْلِكَ، وَكِتَابُكَ أَبْلَغُ مَا يَنْطِقُ عَنْكَ».

● إنَّ فِعل الإنْسَان، وَسلُوكه أقوىٰ فِي الدّلالة عَلىٰ عَقْله وَمَشاعره مِن كَلاَمه، وَإرسَال كتَابه مَع رَسُول يَختَاره يَجْمَع بَيْنَ دِلاَلة الفِعْل بِالإخْتِيَار، وَبَيْنَ دِلاَلة القَول وَأُسلوبه الَّذي يَنم عَن شَخْصِية الكَاتب. وَالمُلاحظ أنَّ نُقّاد الأَدب فِي هَذا العَصر يُحللُون شَخصِية الكَاتب فِي ضَوء أُسلوبه حَيْث لاَ يُمكن ضَبط الأُسلُوب بقَواعد مُحددة، لأنَّه يَختلف وَيَتعَدَد بِتَعدد طَبِيعَة الكَاتب وَبَدِيهته[٢].

٣٠٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَا الْمُبْتَلَىٰ الَّذِي قَدِ اشْتَدَّ بِهِ الْبَلاَءُ، بِأَحْوَجَ إِلَىٰ الدُّعَاءِ مِنَ المُعَافَىٰ الَّذِي لاَ يَأْمَنُ الْبَلاَءَ».

● كُلّ مَا يَجوز وقُوعه مِن المَخاطر يَجب الحَذر مِنْهُ وَالإستعدَاد لهُ، وَالْمُعافىٰ فِي مَعرض السُّقم وَالبَلاء، فَيَنبَغي أنْ يَحْتَرز هُو، وَنَدعو لهُ نَحْنُ بِدوَام عَافِيته، وَدَفع الضَّرر عَنهُ تَمَامَاً كَمَا نَدعو لِلمُبتَلىٰ بِالشّفاء، وَمِن هُنا يَعْمل الأَطِبَّاء مِن أَجل الوقَاية كَمَا يَعْملُون مِن أَجل العِلاج... وَعَن المَعْصُوم: «إنَّ الدُّعَاء فِي الرَّخاء يَسْتخرج

(١) القَمَر: ٥٠.

(٢) قَالُوا فِي المَثَل: الرَّسُول عَلىٰ قَدر المُرسل، وَقِيل أيضاً: رَسُولُك أَنْتَ، إلا أنَّه إِنسَانٌ آخَر، وَقَالَ الشَّاعر:

تَخَيَّرْ إذا مَا كُنتَ فِي الأَمر مُرسِلاً ... فَمبلغُ آرَاءِ الرِّجَال رَسُولُها
وَرَوّ وَفكِّرْ فِي الكِتَاب فَإنَّمَا ... بِأطرَاف أقْلاَمِ الرِّجَال عقُولُها

أُنظر، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبي الحَدِيد: ١٩/٢٠٧.

الحَوائج عِند البَلاء»[1] ... «وَمن سَرَّه أنْ يستجاب الله لهُ فِي الشِّدَّة فَليُكثر الدُّعَاء فِي الرَّخاء»[2]. وَبعد، فَإِنَّ الغَرض مِن ذَلِكَ أنْ لاَ نَأمن المُخبآت، وَالمُفَاجآت: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾[3].

٣٠٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «النَّاسُ أَبْنَاءُ الدُّنْيا، وَ لاَ يُلاَمُ الرَّجُلُ عَلَىٰ حُبِّ أُمِّهِ».

● يَلتَقِي هَذا مَع النَّظرِية القَائِلة: إنَّ الإِنْسَان آبن الظّرُوف المُحِيطة بِهِ، وَإنَّ لهَا أَعْظَم الأَثر فِي تَكوِين مشَاعره، وَأنَّه لاَ يَتغِير إلّا إذَا تغيرَت ظروفه الإِقْتصَادية وَالاِجْتمَاعِيَّة... حَتَّىٰ الجمَاد تَكيفه البِيئَة، وَتجعله مُلاَئماً لِطَبيعتها، وَلا تنافر أبداً بَيْنَ الدِّين وَهَذِه النَّظرِية، لأنَّ رِسَالة الأَنْبِيَاء تحمل الدعْوَة إلىٰ تَغيير الأَوْضَاع وَالإِصْلاَح مِن الجذُور.

٣٠٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «إِنَّ الْمِسْكِينَ رَسُولُ اللهِ، فَمَنْ مَنَعَهُ فَقَدْ مَنَعَ اللهَ، وَمَنْ أَعْطَاهُ فَقَدْ أَعْطَىٰ اللهَ».

---

(١) أُنظر، الكَافِي: ٢/٤٧٢ ح ٣، وَسَائِل الشِّيعة: ٧/٤١ ح ٢.

(٢) أُنظر، الكَافِي: ٢/٧٤٢ ح ٤، مكَارم الأَخلاَق للطَّبرسي: ٢٥٠، مُسْنَد أبي يَعلىٰ: ١١/٢٨٣ ح ٦٣٩٦ و٦٣٩٧، كِتَاب الدُّعَاء الطَّبراني: ٣٤، مُسْنَد الشَّاميين: ٣/١٦٦ ح ٢٠٤٤، الأَذكَار النَّووية لِيحيىٰ بن شَرف النَّووي: ٣٨٧ ح ١١٦٤، الجَامِع الصَّغير: ٢/٦٠٩ ح ٨٧٤٣، تَهذِيب الكَمَال: ١١/١٣، كَنز العُمَّال: ٢/٧٨ ح ٣٢٢٠، تَفسِير الثَّعالبي: ١/٣٨٨، الكَامِل: ٢/٤١٤، تَأرِيخ بَغدَاد: ١/٤٣٢ رَقم«٤١٣»، تَأرِيخ دِمشق: ١١/١١٨ رَقم«٢٧٢٨» سُنَن التِّرمِذي: ٥/١٣٠ ح ٣٤٤٢، مُستَدرَك الحَاكِم: ١/٥٤٤، وَسَائِل الشِّيعة: ٧/٤١ ح ٣.

(٣) ٱلأَعْرَافِ: ٩٩.

● الْمُرَاد بِالْمِسْكِين صَاحب الحَاجة مَهما كَان نوعها، وَالْمُرَاد بِرَسُول الله هُنا أَمرُه تَعَالىٰ وَطَلبه، وَالْمَعْنَىٰ إنَّ مَن يَأته صَاحب حَاجة يَقدر عَلىٰ قضَائها وَرَدها وَلَم يَقضها ـ فَقَد رَدَّ أَمر الله وَعَصاه... وَعن المَعصُوم: «والله لِرَسُول الله صلى الله عليه وآله أسرّ بِقَضَاء حَاجَة الْمُؤمِن إذَا وَصَلت إِلَيْهِ مِن صَاحب الْحَاجَة»[1]. وَسَبق الكَلاَم عَن ذَلِكَ فِي اَلْرِّسَالة (٥١)، وَاَلحِكْمَة (١٠١).

٣٠٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَا زَنَىٰ غَيُورٌ قَطُّ».

● مَن وَطْأَ فِرَاش غَيْره وَطْأَ النَّاس فِرَاشه، وَمَن زَنَىٰ بِنسَائهم زَنوا بِنسَائه. قَالَ اَبن أَبِي اَلْحَدِيد: «وَلو فِي عَقِب عَقِبه، وَهَذا قَد جُرِّب فوُجد حَقّاً»[2]. وَتَقَدَّم الكَلاَم عَن ذَلِكَ فِي اَلحِكْمَة (٢٥٢).

٣٠٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «كَفَىٰ بِالْأَجَلِ حَارِساً».

● ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَايَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَايَسْتَقْدِمُونَ﴾[3]. قَالَ الشّيخ مُحَمَّد عَبْدَه فِي تَفْسِير المَنار: لَيْسَ هُناك أَسبَاب لِلمَوْت غَيْر الْأَجَل المُقدر عِند الله، فَإِنَّ الوَبَاء يَعم، وَمَع ذَلِكَ يَفْتك بِالشَّاب القَوي، وَيَترك الشّيخ الهَزِيل، وَكَم مِن ضَربة قَتلت هَذا دُونَ ذَاكَ، وَلَو كَانَتْ هَذِه أَسْبَاباً مُطردة لِظَهر أَثَرها فِي

(١) أُنظر، الكَافِي: ٢/١٩٥ ح ١٠، وَسَائِل الشِّيعة: ١٦/٣٥٩ ح (٢١٧٥٨)، بِحَار الأَنْوَار: ٧١/٢٨ ح ٣٩٩، شَرح أُصول الكَافِي: ٩/٨٠ ح ١٠.
(٢) أُنظر، شَرح نَهْج اَلْبَلاَغَة: ١٩/٢١١.
(٣) اَلأَعْرَاف: ٣٤.

الجَمِيع دُونَ ٱستثنَاء[1].

٣٠٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «يَنَامُ الرَّجُلُ عَلَى الثُّكْلِ، وَ لاَ يَنَامُ عَلَى الْحَرَبِ».

قَالَ الرَّضِيّ: وَمَعنىٰ ذَلِكَ أَنَّهُ يَصْبِرُ عَلىٰ قَتْلِ الأَوْلاد، وَلاَ يَصْبِرُ عَلىٰ سَلْبِ الأَمْوَالِ.

● الثُّكْل: فَقْد الأَوْلاد، والحَرَب ـ بِفَتح الرَّاء ـ سَلب المَال، وَالأَوَّل بِقضَاء الله وَقَدره، وَالرِّضا بِهِ، وَالصَّبْر عَلَيْهِ عَقل وَإِيمَان، وَالثَّانِي ظُلم وَٱعتدَاء، وَالسّكوت عَنهُ ذُلّ وَهوَان[2].

٣٠٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَوَدَّةُ ٱلآبَاءِ قَرَابَةٌ بَيْنَ الأَبْنَاءِ، وَ الْقَرَابَةُ أَحْوَجُ إِلَى الْمَوَدَّةِ مِنَ الْمَوَدَّةِ إِلَى الْقَرَابَةِ»[3].

---

(١) أُنظر، تَفْسِير المنَار: الآيَة ٣٤ مِن سُورَة ٱلأَعْرَافِ.

وَكَانَ عليه السلام يَقول: «إِنَّ عَلَيَّ مِنَ اللهِ جُنَّةً حَصِينَةً، فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي ٱنفَرَجَتْ عَنِّي، وَأَسلَمَتْنِي؛ فَحِينَئِذٍ لاَ يَطِيشُ السَّهْمُ، وَلاَ يَبْرَأُ الكَلْمُ». أُنظر، ٱلخُطبَة (٦٢).

(٢) لَقَد جَاء فِي الأَثر: أَنَّ مَنْ قُتِل مِن دون مَالِهِ فَهُوَ شَهِيد.

أُنظر، صَحِيح مُسْلِم: ١٢٤/١، صَحِيح البُخَارِيّ: ٨٧٧/٢، صَحِيح ٱبن حِبَّان: ٤٦٧/٧، المُسْتَدرَك عَلىٰ الصَّحِيحين: ٧٤١/٣، سُنَن التِّرمِذي: ٢٨/٤، مَجْمَع الزَّوائد: ١٧٦/٤.

لَنَا إِبِلٌ غُرٌّ يَضيق فَضاؤها | وَيَغبرّ عَنْهَا أَرضُها وَسَماؤُها
فَمن دونِها أَنْ تُستَباحَ دِماؤُنا | وَمِن دونِنا أَنْ تُستَباح دِماؤُها
حِمىً وَقِرىً فَالمَوْت دون مَرامِها | وَأَيسر أَمر يَوْمَ حَقَّ فَناؤُها

أُنظر، أَمَالِي السَّيِّد المُرتضىٰ: ١٦١/٢، شَرح نَهج ٱلبَلاَغة لِابن أَبِي ٱلحَدِيد: ٢١٣/١٩.

(٣) وَفِي نُسخة أُخرىٰ: وَالْقَرَابَةُ إِلَىٰ الْمَوَدَّة أَحْوَجُ...

● لِلصَّدَاقَة بَيْنَ ٱلآبَاء أَثَرها فِي الأَبْنَاء، وَكذَلِكَ العَداوَة. وَقُلنا فِي شَرح ٱلحِكْمَة (٢١١): «لا خَيْرَ فِي قَرَابَة لاَ مَوَدَّة مَعَهَا، وَقَالَ أَبو فِراس:

هَيهَات لاَ قرّبت قُربىٰ وَلا رَحم ... يَوْمَاً إِذا أَقْصت الأَخْلاَق وَالشّيم

كَانَتْ مَوَدّة سَلمانٍ لَهم رَحماً ... وَلَم تَكن بَيْنَ نُوح وآبْنه رَحم[1]

٣٠٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «ٱتَّقُوا ظُنُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ جَعَلَ ٱلْحَقَّ عَلَىٰ أَلْسِنَتِهِمْ».

● المُرَاد بِالظُنُون هُنا الفِرَاسة، وَهِي ظَنّ يُوافق الصَّواب ـ فِي الغَالب ـ وَبِها يُوصف الأَذْكِياء. قَالَ الشَّاعر العَرَبِي:

الأَلمَعيُّ الَّذي يَظُنّ بِكَ الظَّنَّ ... كَأَنْ قَد رَأَىٰ وَقَد سَمِعا[2]

وَلَكنَّ الإِمَام وَصَف بِها المُؤْمِنِين تَبعاً لِرَسُول الله صلى الله عليه وآله حَيْث قَالَ: «ٱتَّقُوا فِرَاسَة المُؤْمِن، فإِنَّه يَنْظر بِنُور الله»[3] أي بِنُور ٱلحَقّ، لأَنَّه لاَ يَتهم أَحداً وَيُسيء بِهِ الظَّن إلّا بِالقَرَائِن القَطعِية الَّتي لاَ يَتطرق إِلَيْهَا شَك عَلىٰ العَكس مِن غَيْرِهِ الَّذي يَحكُم بِاللَّمحة، وَيَجزم بِالظَّنة.

---

(١) أُنظر، رَوضة الوَاعظِين: ٢٨٧، تُحْفَة الأَحْوَذي: ٩/١١٢.

(٢) يُنسب هَذا البَيْت إِلىٰ الشَّاعر أَوْس بن حجر، شَاعر جَاهلي تَمِيمي (ت ٦٢٠)، زَوج أُمّ زُهير آبن أَبِي سلمىٰ، وَفِي شِعره حِكْمَة وَرِقة. أُنظر، دِيوانه: ٥٣.

(٣) أُنظر، سُنَن التِّرمِذي: ٥/٢٩٨ ح ٣١٢٧، مَجمَع الزَّوائد: ١٠/٢٦٨، المُعْجَم الأَوسط: ٣/٣١٢ ح ٣٢٥٤، المُعْجَم الكَبِير: ٨/١٠٢ ح ٧٤٩٧، مُسْنَد الشّهاب: ١/٣٨٧ ح ٦٦٢، فَتح البَاري: ١٢/٣٨٨، التَّأريخ الكَبِير: ٧/٣٥٤ ح ١٥٢٩، حلية الأَوْلياء: ٦/١١٨، مِيزَان الأَعْتدَال فِي نَقد الرِّجال: ٦/٣١٠ ح ٨١٠٤، لِسَان المِيزان: ٥/٣٥١ ح ١١٥٤.

وَبَعْض الْفُقَهَاء يَعْتمدُون عَلىٰ الفِرَاسَة فِي إثبَات ٱلْحَقّ. وَأَلَّف آبن القَيم كِتَاباً خَاصاً فِي ذَلِكَ أَسمَاه «الطُّرق الحَكَمِيَّة فِي السِّياسَة الشَّرْعِيَّة أَو الفِرَاسَة المَرضِية» وَنَقل عَن بَعْض الْصَّحَابَة وَالْعُلَمَاء القَول بِالاِعْتِمَاد عَلىٰ الفِرَاسَة!. وَلاَ أَعرف أَحداً مِن عُلَمَاء الإِمَامِيَّة أَخذ بِها فِي إثْبَات ٱلْحَقّ لِقَوْلَه تَعَالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَايُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[1] فَأي ظَنّ لاَ يَدل عَلىٰ آعْتِبَاره دَلِيل قَاطع مِن الشَّرع فَهُوَ وَالوَهم سَواء. أَمَّا قَول النَّبِيّ ﷺ، وَعَليّ عليه السلام عَن فِرَاسَة الْمُؤْمِن فَهُوَ بَعِيد عَن مَوْضُوع إِثْبَات ٱلْحَقّ، وَالْمُرَاد بِهِ مُجَرد ثبُوت الوَصف لِلْمُؤمِن وَكَفىٰ.

٣١٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «لاَ يَصْدُقُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّىٰ يَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ».

● قَالَ الشَّارِحُون: الْمُرَاد بأَوْثَقِ الوثُوق بِالرِّزْق مِن الله. وَقَالَ الشَّيخ مُحَمَّد عَبْدَه: الْمُرَاد بِهِ الوثُوق بِثوَاب الله عَلىٰ عَمل الْخَيْرَات. وَنَحْنُ مَع هَذا الشَّيخ لِقَول الْإِمَام: (لاَ يَصْدُقُ إِيمَانُ) فَإِنَّ التَّصدِيق بِيَوْم الحِسَاب. وَالوثُوق بِالْجَزَاء فِيهِ هُو أَصل الْأُصول فِي الْإِيمَان، وَبدُونه لاَ إِيمَان بِحَقٍّ، وَسَبق مِنا القَول: إِنَّ الْإِيمَان بِاللهِ وَحده دُونَ الْإِيمَان بِاليَوْم الآخر ـ لاَ يُجدِي نَفْعاً.

٣١١ ـ وَ قَالَ عليه السلام لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَقَدْ كَانَ بَعَثَهُ إِلَىٰ طَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرِ لَمَّا جَاءَ إِلَىٰ

---
(١) يُونُس: ٣٦.

الْبَصْرَةِ يُذَكِّرُهُمَا شَيْئاً مِمَّا قَد سَمِعَهُ[١] مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فِي مَعْنَاهُمَا، فَلَوَىٰ عَنْ ذَلِكَ فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: (إِنِّي أُنْسِيتُ ذَلِكَ الْأَمْرَ)، فَقَالَ عليه السلام:

«إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَضَرَبَكَ اللهُ بِهَا بَيْضَاءَ لاَمِعَةً لاَ تُوَارِيهَا الْعِمَامَةُ».

قَالَ الرَّضِيّ: (يَعْنِي البَرَص، فَأَصَابَ أَنَساً هَذَا الدَّاءُ فِيمَا بَعْدُ فِي وَجْهِهِ، فَكَانَ لاَ يُرَىٰ إِلاَّ مُتَبَرْقِعاً)[٢].

● قَالَ الشَّيخ مُحَمَّد عَبْدَه: رُوِي أَنَّ أَنْساً[٣] كَان فِي حَضرَة النَّبيّ صلى الله عليه وآله وَهو يَقول لِطَلْحَة، والزُّبَيْر: «إِنَّكما تُحارِبَان عَلِيّاً، وَأَنْتُما لهُ ظَالمان»[٤]. وَيَتفق قَول الشَّيخ مُحَمَّد عَبْدَه مَع قَول الشَّرِيف الرَّضِيّ، ومِيثَم. أَمَّا ٱبن أَبِي ٱلْحَدِيد فَقَال:

«المَشْهُور أَنَّ عَلِيّاً عليه السلام نَاشد النَّاس الله فِي الرَّحبة بِالْكُوفَة، وَقَالَ: أَنْشدكُم الله رَجُلاً سَمِع رَسُول الله صلى الله عليه وآله يَقول لِي، وَهو مُنصرف مِن حَجَة الوَداع: «مَن كُنتُ مَوْلاَه فَهذا عَلِيٌّ مَوْلاَه، أَللَّهُمَّ والِ من وَالاَه، وعَادِ مَن عَادَاه، وٱنصُر مَن نَصره،

---

(١) فِي نُسخَة أُخرىٰ: بِمَّا سَمِعَهُ.

(٢) فِي نُسْخَة أُخرىٰ: مُبَرقعاً.

(٣) أَنس بن مَالك بن النَّضر الأَنصاري الخَزرجي: مِن الأَنصار، أَتت بِهِ أُمّه إِلىٰ النَّبيّ صلى الله عليه وآله حِين قَدِم المَدِينة وَهو ٱبن ثَمان سِنِين، فَخَدمه صلى الله عليه وآله عَشر سِنِين إِلىٰ أَنْ قُبض صَلوات الله عَلَيْهِ، وَدَعا لهُ النَّبيّ صلى الله عليه وآله بِكَثْرة المَال وَالوَلد. وَهو آخر مَن مَات بِالبَصرة مِن الصَّحَابَة سَنَة (٩١ هـ) وَقِيل (٩٣ هـ) وَكَان يَحلق ذِرَاعِيه بِخَلوق لِلمعة بَياض كَانَتْ بِهِ. وَكَان ذَلِكَ مِن دُعاء الإِمَام عَليّ عليه السلام عَلَيْهِ لِكتمانه الشَّهادة بِحَدِيث الغَدِير أَنْ يَضربه الله بَيْضَاءَ لاَمِعَةً لاَ تُوَارِيهَا الْعِمَامَةُ، رَوىٰ عَنْه أَصْحَاب الصِّحاح (٢٢٨٦) حَدِيثاً. (أُنظر، تَرجمته فِي أُسد الغَابة، جَوامع السِّيرَة: ٢٧٦، كَنز العُمَّال: ٧ / ١٤٠ طَبعَة ١).

(٤) أُنظر، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة: ٤/٧٤.

وٱخذُل من خَذلهُ»[١]. فقَام رِجَال فشَهدوا بِذَلِكَ، فقَال عَليّ لِأَنس بن مَالك: لَقَد حَضرتَها فمَا بَالك؟. فقَال: يَا أَمِير الْمُؤْمِنِين كَبرتْ سِني، وَصَار مَا أَنْسَاه أَكْثَر مِمَّا أَذكره؛ فقَال الْإِمَام: «إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَضَرَبَكَ اللهُ بِهَا بَيْضَاءَ لاَمِعَةً لاَ تُوَارِيهَا الْعِمَامَةُ». فمَا مَات حَتَّىٰ أَصَابه البَرَص[٢]... وَقَد ذَكر ٱبن قُتَيْبَة حَدِيث البَرَص،

(١) تَقَدَّمَت أستخرَاجَاته، وأُنظر، مُسْنَد أحمَد: ١/١١٨ و ١١٩، و: ٤/٢٨١، سُنَن ٱبن مَاجه: ١/٤٣/١١٦، تَأرِيخ ٱبن كَثير: ٢٠٩ و ٢١٠، تَأرِيخ ٱبن عساكر: ٢/١٣/٥٠٨ و ٥١٣ ـ ٥١٦ و ٥٢٣ و ٥٤٤ و ٥٦٢ و ٥٦٩ الطَّبعة الأُولَىٰ بَيروت، ينَابيع المَوَدَّة: ٢٤٩ طَبعة أسلامبول: ٢٩٧ طَبعة الحَيدرِية، كفَاية الطَّالب: ٦٣ طَبعة الحَيدرِية: ١٧ طَبعة الغري، المناقب للخوَارزمي: ٨٠ و ٩٤ و ١٣٠، نُظم دُرر السّمطين: ١١٢، كَنز العُمَّال: ٦/٤٠٣ الطَّبعة الأُولَىٰ، و: ١٥/١١٥/٣٣٢ و ٤٠٢ الطَّبعة الثَّانِيَة، أَنْسَاب الأَشْرَاف لِلبَلاذُري: ٢/١١٢، شوَاهد التَنزِيل: ١/١٥٧/٢١١ و ١٩٢/٢٥٠. بِشَارة المُصْطَفَىٰ: ٣٢٨، شوَاهد التَنزِيل: ١/٢٠٣، تذكرة الخواصّ لسبط ٱبن الجَوزي: ٣٠، السِّيرَة الحَلَبية: ٣/٢٥٧، السِّيرَة النَّبويَّة لزين دَحلان بهَامش السِّيرَة الحَلبية: ٣/٣، الطَّبقات الكُبرىٰ: ٣/٢٢٥، إِمْتَاع المقريزي: ٥١٠، إرشَاد السَّاري: ٦/٤٢٩، تَأرِيخ الخُلَفَاء لِابْن الجَوزي: ٤/١٨، دَائرة المعَارف لفريد وجدي: ٣/٥٤٢، مَجْمَع الزَّوائد: ٩/١٥٦، ثمَار القلُوب: ٥١١، أسْبَاب النّزول للوَاحدي: ١٣٥ الدُّر المَنْثور: ٢/٢٩٨، فَتح القَدِير: ٢/٥٧، تَفسِير النَّيسابوري: ٦/١٩٤، مَجْمَع الزَّوائد: ٩/١٠٥ و ١٦٣ ـ ١٦٥، البِدَاية والنّهاية لِابْن كَثير: ٢٠٩ ـ ٢١٣، رَبيع الأبرَار للزَّمخشري: ١/٨٤ طَبعة بَغداد).

شَرح النَّهج لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ١/٢٠٩ و ٢٨٩ الطَّبعة الأُولَىٰ بِمصر، و: ٢/٢٨٩، و: ٣/٢٠٨ طَبعة مِصر تَحقِيق مُحَمَّد أَبُو الْفَضْل، إسعَاف الرَّاغِبِين المَطبوع بهَامش نُور الأَبْصَار: ١٥١ طَبعة السَّعيدِيَة: ١٣٧ طَبعة العُثمَانِية، خصَائص أَمِير الْمُؤْمِنِين للنَّسَائي: ٩٦ طَبعة الحَيدرِية: ٢٦ و ٢٧ طَبعة مِصر، المِلل والنّحل للشّهرستاني: ١/١٦٣، بَيروت.

(٢) أُنظر، إِحتجَاج أَمِير الْمُؤْمِنِين عَليّ بن أَبي طَالبعليه السلام، وَمُنَاشدته لِلجَمَاعَة يَوْم الشُّورَىٰ، وَأَيَّام عُثْمَان، وَيَوْم الرُّحبة فِي الْكُوفَة، ويَوْم الجَمَل، وصِفِّين.

وَرَغم كُلّ ذَلِكَ فَإِنّ بَعْض الَّذين سَمِعوا وَحَضروا يَوْم الغَدِير عِند مُنَاشدة أَمِير الْمُؤْمِنِينعليه السلام لَهُم أَقْعَدهم الحِقد، وَالبُغض، وَالحَسد، وَرُبَّمَا التَّقِية، أَو الخَوف عَن القِيَام بوَاجب الشَّهادة. كَأَنس ٱبن مَالك حَيْث قَال ⟸

وَالدَعْوَة الَّتي دَعا بِها أَمِير الْمُؤْمِنِين عليه السلام عَلىٰ أَنَس، ذكَر ذَاكَ فِي «كتَاب المـعَارف» بَاب «البَرَص» مِن أَعيَان الرِّجال، وَٱبن قُتَيْبَة غَيْر مُتَّهم فِي حَقّ عَلِيّ عَلىٰ المَشهور مِن ٱنْحِرَافِهِ عَنْهُ»(١).

وَسَواء أَكَان السَّبب المُوجب لِدَعْوَة الإِمَام عَلىٰ أَنس هُو حَدِيث حَرْب الْجَمَل أَم حَدِيث مَنْ كُنتُ مَوْلاَه ـ فَإِنَّ الله سُبْحَانَه قَد ٱستجَاب دَعـوَته بِٱتـفَاق الرّوَاة، وَمَعْنَىٰ هَذا إِنَّ أَحد الحَدِيثين ثَابت بِشهادَة الله، وآيَته السَّاطعة فِي جَبهَة أَنَس بن

⇐ لهُ الإِمَام عَلِيّ عليه السلام: مَالَك لاَ تَقوم مَع أَصْحَاب رَسُول الله فَتَشهد بِمَا سَمِعته يَوْمَئِذٍ مِنهُ؟ فَقَال: يَا أَمِير الْمُؤْمِنِين، كَبرت سِني وَنَسِيت. فَقَال عليه السلام: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَضَرَبَكَ اللهُ بِهَا بَيْضَاءَ لاَمِعَةً لاَ تُوَارِيهَا الْعِمَامَةُ. فَمَا قَام حَتَّىٰ أَبيض وَجْهه بَرصاً فَكَان بَعد ذَلِكَ يَقول: أَصَابَتني دَعْوَة العَبد الصَّالِح.

أَمّا البَرَاء بن عَازب: فَقَد عمي؛ لأَنّه أَصَابته أيضاً دَعْوَة العَبد الصَّالح كمَا ذَكر أَحْمَد فِي مُسْنَده بِلَفظ: فقَاموا إِلّا ثَلاَثة لَم يَقوموا فَأَصَابتهُم دَعْوَته ـ دَعْوَة العَبد الصَّالح وَهو الإِمَام عَلِيّ عليه السلام.

وَأَمّا زَيد بن أَرقم فَكَتم الحَدِيث وَلَم يَشهد، فَأَصَابه العَمىٰ أَيضاً كمَا جَاء فِي مَناقب الإِمَام عَلِيّ عليه السلام لِابْن المغَازلِيّ الشّافعيّ: ٢٣ ح٣٣، طَبعة ١ طَهران، شَرح النّهج: ١/٣٦٢ و٤: ٧٤، طَبعة مِصر تَحقيق مُحَمّد أبو الْفَضْل، و: ١٩/٢١٧، نَهج الْبَلاَغة تَنظِيم الدّكتور صُبحي الصَّالح: ٥٣٠ حِكْمَة ٣١١، السِّيرَة الحَلبِية: ٣/٣٣٧، عَبقات الأَنْوَار: ٢/٣١٢، مَجْمَع الزَّوائد: ٩/١٠٦، الخرَائج: ١/٢٠٨، العُمدة: ١١٠/ح١٥٣.

وَأَمّا الرَّابع فَهُوَ جَرير بن عبدالله البَجليّ فَقد رَجع أَعرابياً بَعد أَنْ دَعا عَلَيْهِ أَمِير الْمُؤْمِنِين عليه السلام، كمَا جَاء فِي أَنْسَاب الأَشْرَاف: ٢/١٥٦، عَبقات الأَنْوَار: ٢/٣١٣. (أنظر، تَرجـمته هَؤُلاَء فِي أُسد الغَابَة، جـوَامـع السِّيرَة: ٢٧٦، كَنز العُمّال: ٧/ ١٤٠ طَبعة ١)، المَعَارف لِابْن قُتَيْبَة: ١٩٤ و٣٩١ و٥٨٠، شَرح النّهـج: ١/٣٦٢ و٤: ٣٨٨ و١٩: ٢١٧، عَبقَات الأَنْوَار: ٢/٣٠٩، مُسْنَد أَحمد بن حَنبل: ١/١٩، أَرْجَح المطالب للشَّافعيّ: ٥٨٠، طَبعة لاهور، أَنْسَاب الأَشْرَاف: ١ تَرجمه البَرَاء، و: ٢/١٥٦، البحار: ٣٧/١٩٧، إِحقَاق الحَقّ: ٦، تَرجمة البَرَاء، المسترشد فِي الإِمَامة: ٦٧٤، مِئة مَنقبَة: ٦٤، عُيُون الحِكَـم وَالمـوَاعـظ: ١٦٤، المعَارف لِابْن قُتَيْبَة: ٢١٥، الأَعْلاَق النّفسية: ١٢٢، أَنْسَاب الأَشْرَاف: ٢/١٥٦ ح ١٦٩، الإِرْشَاد للشّيخ المُفيد: ١/٣٥١، حلية الأَوْلياء: ٥/٢٧، كَشف اليَقين: ١١٠.

(١) أنظر، المعَارف: ٥٨٠.

مَالك... هَذا، إِلىٰ أَنَّ الحَدِيثين ثَابتَان بِالتَّواتر[1].

٣١٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالاً، وَ إِدْبَاراً، فَإِذَا أَقْبَلَتْ فَاحْمِلُوهَا عَلَىٰ النَّوَافِلِ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَىٰ الْفَرَائِضِ».

● الْمُرَاد بِالإِقْبَال هُنا حضُور القَلْب، وَتصوُّر الْموْت وَسكرَاته، وَالقَبْر وَوَحْشَتِه، وَهَول المُوقف غَداً وَحِسَابه، وَالْخَوْف مِن الله وَعَظمته، وَالْهَيْبَة مِن مُخَاطبته، وَالْمُرَاد بِالإِدْبَار الذّهول عَن ذَلِكَ، وَالاِنْصرَاف إِلىٰ دُنيا شَاغلة لاَهِية.

وَفِي المُنَاجاة وَالْعِبَادَة نَكْهَة وَحَلاوة لاَ يَحسها أَحد كَائِناً مَن كَان إلّا مَع هَذا الإِقْبَال تَمَاماً كَالطَّعام الطَّيب لاَ تَشعر بِلَذته إلّا مَع الْهَوَىٰ فيهِ. وَيَقول الْإِمَام: إِذَا صَادفتك سَاعة رَحْمَانية، تَصورت فِيها مَصيرك وَآخِرَتك، وَخفتَ مِن عَذَاب الله، وَرَجوت ثَوابه ـ فَاغْتَنم هَذِه الْفُرْصَة الذَّهبِية، وَأَكْثِر مِن ذِكر الله، وَادعُه وَنَاجِه، وَاتلُ مِن آيَاته، وَصلِّ النَّوافِل وَعقّب وَسبّح، وَلا تَقتَصر عَلىٰ الفَرِيضَة وَحْدَها... وَإِذا كُنت فِي مَشغلة شَاغلة عَن الله وَنَاره وَجَنَّته فَلا تَتعب نَفْسك بِحَركات جَافَة جَامدة لاَ تَدفع عَنك ضُرّاً، وَلاَ تَجْلب لَك نَفْعاً... وَلكن إِيَّاك وَالتَّهاون فِي الفَرِيضة مُقبلاً كُنت أَم مُدبراً، لأَنَّ الله أَمر بِها بِلا قَيد الإِقْبَال، وَلاَ بُدَّ مِن الطَّاعَة عَلىٰ كُلّ حَال. ويَتَفق هَذا مَع قَول الْفُقَهَاء بِأَنَّ الْعِبَادَة عَلىٰ قِسمين: عِبَادَة تُؤَدِّيها عَلىٰ شَرطها، وَلكن بِلا إِقْبَال، وَهَذِه صَحِيحة مُجزِية كَافِية، وَلكنَّها غَيْر مَقبُولة أَي تَسقط عَنك التَّكلِيف، وَتُحررك مِن الْعِقَاب، وَالْمَسؤولِيَة، وَلكنْ لاَ

(١) أُنظر، كتَاب فَضَائِل الخَمسَة مِن الصّحاح السّتة، الفَصل (٣٨ و ١٥٢) مِن المَقصد الثّاني).

تَستحق الثَّوَاب عَلَيْهَا.

وَعِبَادَة تَجمع مَا يُعتبر فِيها مَع الإِقْبَال التَّام، وَهَذِه صَحِيحَة، وَمُجزية، وَمَقبُولة أيضاً أي تَستحق عَلَيْهَا الأَجْر وَالثَّوَاب مِن الله تَعَالىٰ.

٣١٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «فِي الْقُرْآنِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَ خَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَ حُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ».

● يُرِينا الْقُرْآن صور الكَائِنَات أَمْثَالاً، وَأَضْدَاداً، وَيُخبرنا عَن الأُمم المَاضِية، وَالقرُون الخَالِية، وَعن مَصيرنا وَعَاقبة أَمرنا... وَأيضاً فِيه تَفصِيلٌ لأحْكَام مَا نَحتَاجه فِي سلُوكنا وَحَياتنا. وَسَبق الكَلاَم عَن ذَلِكَ فِي العَدِيد مِن المَوَارد، مِنْهَا فِي ٱلْخُطْبَة (١٨٢) وَٱلرِّسَالة (٤٧).

٣١٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «رُدُّوا الْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ، فَإِنَّ الشَّرَّ لاَ يَدْفَعُهُ إِلَّا الشَّرُّ».

● الْمُرَاد بِالْحَجَر هُنا الشَّرّ بِدَلِيل قَوْله: (فَإِنَّ الشَّرَّ لاَ يَدْفَعُهُ إِلَّا الشَّرُّ) وَالْمَعْنىٰ ٱقضُوا عَلىٰ الْعُنْف، بِالْعُنْف، قَالَ سُبْحَانَه: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَاتَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1]. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّاتَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[2].

٣١٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام لِكَاتِبِه عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ: «أَلِقْ دَوَاتَكَ، وَ أَطِلْ جِلْفَةَ قَلَمِكَ، وَ فَرِّجْ بَيْنَ السُّطُورِ، وَ قَرْمِطْ بَيْنَ الْحُرُوفِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْدَرُ بِصَبَاحَةِ الْخَطِّ».

(١) ٱلأَنفَالِ: ٣٩.
(٢) ٱلأَنفَالِ: ٧٣.

● قَالَ الشَّيخ القُمي فِي كتَاب «الكُنىٰ وَالأَلقَاب»(١): كَان أَبُو رَافع مَولىً لِرَسُول الله ﷺ فَأَعْتَقه(٢)، وَقَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبيّ أَمِيناً، وَأَبو رَافع أَمِيني»(٣). وَلَزِم الإِمَام بَعد النَّبيّ ﷺ، وَكَان صَاحب بَيْت مَاله بِالْكُوفَة، وَلَه كتَاب «السُّنَن وَالقَضَايا»، وَهـو أَوَّل مَن جَمع الحَدِيث، وَكَان ٱبنَاه عُبيد الله، وَعليّ كَاتِبين عِند الإِمَام.

(١) أُنظر، الكُنىٰ والأَلقَاب: ١/٧٧.

(٢) أَبُو رَافع: هو مَوْلىٰ رَسُول الله ﷺ، أُختُلف فِي ٱسمه، فقِيل: ٱسمه إبرَاهِيم، وقيل: أسْلَم، وقِيل: ثَـابت، وقِيل: هُرمز، وصَالح.

يُعدُّ فِي الطَّبقة الأُولىٰ مِن الشِّيعة، كَان قِبطيّاً عِند العبَّاس بن عَبدالمُطَّلب، فَوهبَه لرَسُول الله ﷺ، فَلمَّا بُشّر ﷺ بإسْلامِ العبَّاس أَعْتَقه.

هَاجر مِن مكَّة إِلىٰ المَدِينَة، وَشارك مَع المُسْلِمِين فِي غَزوَات رَسُول الله ﷺ.

لَزِم أَمِير المُؤمِنِين عَليّ بن أَبي طالب ﷺ، وشَهِد مَعهُ حُرُوبَه، وبَعد ٱستشهَاد الإِمَـام ﷺ رَجـع إِلىٰ المَدِينَة مَع الإِمَام الحَسَن ﷺ، حَيْث أَعْطَاه قِسماً مِن بَيت عَليّ ﷺ، لأَنَّه بَاع دَاره عِند خرُوجِه مَع الإِمَام عَليّ ﷺ إِلىٰ الكُوفَة.

أُنظر، تَرجَمته فِي: الكُنىٰ والأَلقَاب: ١/٧٧، طَبقَات ٱبن سَعد: ٤/٧٣ ق ٤، وأُسد الغَـابَة: ١/٥٢، وتَهذِيب التَّهذِيب: ١٢/١٠٠، وتَذهِيب التَّهذِيب: ٤/٢١٢/٢، والإِصَابَة: ١١/١٢٨، رِجَال النَّجَاشي: ٤/١، وتَنقِيح المقَال: ٣/١٦ (بَاب الكُنىٰ)، وتَأسِيس الشِّيعة: ٣١٩ و ٣٤١، وأَعْيَان الشِّيعة: ٢/٣٥٠، وسِير أَعلام النُّبلاء: ٢/١٦/٣، والجَرح والتَّعدِيل: ٢/١٤٩، وتَأريخ ٱبن مُعِين: ٧٠٤.

وعَليّ بن أَبي رَافع، عَدَه الشَّيخ مِن أَصْحَاب أَمِير المُؤمِنِين ﷺ، وكَان كَاتِباً لهُ، ومِن خوَاص أَصْحَابه، وَلهُ كتَاب فِي قضَايا أَمِير المُؤمِنِين ﷺ، وكتَاب فِي مَنْ شَهِـد مَـع أَمِـير المُـؤمِنِين ﷺ، الجَـمَل، وصِـفِّين، والنَّهرَوَان مِن الصَّحَابَة. أُنظر، رِجَال النَّجاشي: ٣، رِجَال البَرقِي: ٤، رِجَال الطُّوسي: ٤٧، أُسد الغَـابَة: ٢/١٥٥، الإِصَابَة: ١/٤٨٥.

(٣) أُنظر، الإِستِيعَاب المَطبوع بهَامش الإِصَابَة: ١/٨٥، بَاب أَسْلم، و: ٤/٦٨، بَاب الكُنىٰ، الإِصَابَة: ١/٣٨ و ٦٧٤، حلية الأَولِيَاء: ١/١٨٣، الطَّبقات الكُبرىٰ: ٤/٧٣، نَضد الإِيْضَاح: ٣٧٣، أَمَالي الشَّيخ الطّوسي: ١/٥٩، رِجَال النَّجاشي: ١/٥، بحَار الأَنْوَار: ٢٢/١٠٣.

(أَلِقْ دَوَاتَكَ) أي أَصْلح مِدَادها. يُقَال: لاَقَ الدَّوَاة يُلِيقها إذا أَصلح مِدَادَها، كمَا فِي قوَامِيس اللُّغَة (وَ أَطِلْ جِلْفَةَ قَلَمِكَ) الجِلْفَة ـ بِكَسر الجِيم ـ فَتْحَة اَلْقَلَمِ الَّتِي بِهَا يُستَمد المِدَاد (وَ فَرِّجْ بَيْنَ السُّطُورِ) وَسّع بَيْنَهَا (وَ قَرْمِطْ بَيْنَ الْحُرُوفِ) ضَيّق بَيْنَهَا، وَصَبَاحة الشَّيء جَمَاله. وَهَكذا كَان الإِمَام، يَتَفقد العُمَّال وَعُمَّال العُمَّال، وَيُرَاقب حَرَكاتهم الكَبِيرة مِنْهَا وَالصَّغِيرة، وَيَنْصح وَيَرشد.

٣١٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «أَنَا يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَ الْمَالُ يَعْسُوبُ الْفُجَّارِ».

قَالَ الرَّضِيّ: وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنِين يَتَّبِعُونَنِي، وَاَلْفُجَّارَ يَتَّبِعُونَ المَالَ، كَمَا تَتْبَعُ النَّحْلُ يَعْسُوبَهَا، وَهُوَ رَئِيسُهَا.

● اليَعْسُوب: الرَّئِيس الكَبِير، وَالْمُرَاد بِيَعْسُوب الْفُجَّار هُنا مُعَاوِيَة الَّذي اَشترىٰ بِالمَالِ دِين الرِّجَال وَضَمَائرهم.

وَنَقل صَاحب «فَضَائِل الخَمْسَة مِن الصِّحَاح السِّتة» فِي الجُزْء الثَّانِي ـ عَن اَبن حَجر فِي إِصَابته: ٧ / ١٦٧ طَبْعَة سَنَة (١٨٥٣ هـ) بِكلكتا وَ«الإِسْتِيعَاب» لِابْن عَبد البر: ٢ / ٦٥٧ طَبْعَة سَنَة (١٣٣٦ هـ) بِحَيدر آبَاد وَ«أُسد الغَابَة لِابْن الأَثِير: ٥ / ٢٨٧ طَبْعَة سَنَة (١٢٨٥ هـ) بمصر، نَقَل عَنْهُم وَعَن غَيْرهم: «إنَّ رَسُول الله صلى الله عليه وآله قَالَ: «عَليٌّ يَعْسُوب الْمُؤْمِنِين، وَالْمَال يَعْسُوب الْمُنَافِقِين»[1].

(١) أُنظر، الْمُعْجَم الكَبِير: ٢٦٩/٦ ح ٦١٨٤، تَأْرِيخ مَدِينة دِمشق: ٤٣/٤٢، شَرح النَهج لِابْن أَبي اَلْحَدِيد: ٢٢٨/١٣، بِشَارة الْمُصطفىٰ: ١٤٠، كَشف الغُمة: ١٤٠، لِسَان المِيزَان: ٢٨٣/٣، يَنَابِيع المَوَدَّة: ٨٢ و ١٢٩، الإِصَابَة: ٢٩٤/٧ و ٣٥٤ ح ١٤٠٧٨، كَنز العُمَّال: ٦١٦/١١ ح ٣٢٩٩٠، مِيزَان الإِعتدَال: ٢١٢/٢،

↔ أرْجَح المطَالب لعُبيد الله الأمرتسري: ٢٣، مجمَع الزّوائد: ١٠٢/٩، المُصَنَّف: ٥٠٣/٧ و: ٣٥٠/٨، الأحَاد وَالمثاني: ١٤٩/١، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلْحَدِيد: ١١٧/٤، نُظم دُرر السّمطين: ٨٢، إكمَال الكمَال: ١٢٧/٧، كَنز العُمّال: ١٤٤/١٣، أسد الغَابَة: ١٨/٤، تَهذِيب الكَمَال: ٤٨٠/٢٠، جواهر المطَالب فِي مناقب عَليّ بن أَبِي طَالب لِابْن الدِّمَشْقِي: ٣٨/١، المُسترشد فِي الإِمَامة لمحمّد بن جَرير الطَّبَرِيّ: ٣٥٤، مناقب أمِير المُؤْمِنِين لمحمّد بن سُليمان الكُوفي: ٢٦٣/١ و ٢٩٤، مناقب آل أَبِي طَالب: ٢٥/٣، ذَخَائِر العُقْبَىٰ: ٥٨، مناقب أَهْل ٱلْبَيْت: ٤٠، الاِسْتِيعَاب بَهامش الإِصَابَة: ٤٦/٣، و: ١٧٤٤/٤ ح ٣١٥٧، مُسْنَد البَزار: ٣٤٢/٩ ح ٣٨٩٨، أمثال الحَدِيث: ٦٨/١، الْبَيَان وَالتَّعرِيف: ١١٠/٢ و ١١١، فَيض القَدِير: ٣٥٨/٤، سَير أَعْلاَم النُّبلاء: ٧٩/٢٣، مِيزَان الاِعْتدَال فِي نَقد الرِّجَال: ٤/٣ ح ٢٥٩ و ٩٣ ح ٤٣٠٠، لِسَان المِيزَان: ٤١٣/٢ ح ١٧٠٤ و: ٢٨٢/٣ ح ١١٩٠، العِلَل المُتَنَاهِية: ٢٤٠/١ ح ٣٨٣، كَشف الخفَاء: ٢٨٨/١ ح ٥٩٦.

فَهُو أمِير المُؤْمِنِين، وَيَعْسُوب الدّين وَالمُسْلمِين، وَمُبِير الشّرك وَالمُشركِين، وَقَاتِل النّاكِثِين وَالقَاسطِين وَالمَارقِين، وَمولىٰ المُؤْمِنِين، وَشَبه هَارون، وَالمُرتضىٰ، وَنَفس الرّسول، وأخوه، وَزَوج البَتُول، وَسَيف الله المَسلُول، وَأبُو السّبطين، وَأَمِير البَرَرة، وَقَاتِل الفجرة، وَقَسِيم ٱلْجَنَّة وَالنّار، وَصَاحب اللّواء، وَسيّد العَرب، وَخَاصف النّعل، وَكَاشف الكُرب، وَالصّدّيق الأَكْبَر، وَأبُو الرّيحَانتين، وَذو القَرنين، وَالهَادي، وَالفَاروق، وَالدّاعي، وَالشّاهد، وَبَاب المَدِينة، وَالوَلي، وَالوَصي، وَكَشّاف الكُرب، وَقاضي دَين الرّسُول، وَمُنجز وَعده....إلخ.

أورد هٰذِه الأَلقَاب العَلاّمة الإربلي فِي كَشف الغُمّة: ٩٣/١، بِالإِضَافَة إِلىٰ المصَادر السّابقة.

وَقَال الخوَارزمي: وَأنَا أقول فِي ألقَابه عليه السلام: هُو أمِير المُؤْمِنِين، ويَعْسُوب المُسْلمِين، وَغُرّة المُهاجرِين، وَصَفوة الهَاشِميِين... الكرّار غَيْر الفرّار....أبو تُراب، مجدّل الأترَاب، مُعفّرين بِالتُّراب، رَجُل الكَتيبة وَالكتَاب، وَالمحرَاب وَالطّعّان وَالضّرّاب....إلخ. (المنَاقب للخوَارزمي: ٤٠ طَبْعة جَمَاعَة المُدرّسين فِي قُم).

ثُمّ قَالَ الخوَارزمي: وَأنا أقول فِي ألقَابه عليه السلام: هُو أمِير المُؤْمِنِين، وَيَعْسُوب المُسْلمِين، وَغُرّة المُهَاجرِين، وَصَفوة الهَاشِميِين، وَقَاتِل الكَافرِين وَالنّاكثِين وَالقَاسطِين وَالمَارقِين، الكرّار غَيْر الفرّار، فصّال فقَار كلّ ختّار بِذي الفقّار، صنُو جَعفر الطيّار، قَسِيم الجنّة وَالنّار، مُقعِص ـ مُميت ـ الجَيش الجرّار، لاَطم وجُوه اللّجين وَالنُّضار بِيد الاحتقَار، أبُو تُراب، مُجدّل الأترَاب، مُعفرّين بِالتُّراب، رَجُل الكتِيبة وَالكتَاب، ↔

وَقَالَ ٱبن أَبِي ٱلْحَدِيد: «هَذِهِ كَلِمَةٌ قَالهَا رَسُول الله صلى الله عليه وآله، بِلَفظِين مُخْتَلِفِين، تَارةً: «أَنْتَ يَعْسُوبُ الدِّين»، وَتَارةً: «أَنْتَ يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ»، وَالكُلّ رَاجع إِلىٰ مَعنىً وَاحد، كَأَنَّه جَعله رَئِيس الْمُؤْمِنِينَ وَسيِّدهُم، أَو جَعَل الدِّين يَتْبَعه، وَيَقفُو أَثَره حَيْث سَلك كَمَا يَتبع النَّحْل اليَعسُوب، وَهَذَا نَحو قَوله: «أَدِرِ الْحَقَّ مَعهُ كَيف دَارَ»»(١).

⟸ وَالمحرَاب (وَالحِرَاب ـ خ ل)، وَالطَّعن وَالضِّراب، وَالخَير وَالحسَاب بِلا حسَاب، مُطعم السّغاب بِجفَان كَالجوَاب ـ الحِياض، رَادّ المُعضلات بِالجوَاب الصّواب، مُضيف النُّسور وَالذِّئاب، بِالبَتار المَاضي الذّبَاب ـ ذُبَاب السّيف: طَرفه ـ هَازم الأحزَاب، قَاصم الأصلاَب، قَاسم الأسلاَب، جَزّاز الرِّقاب باين القرَاب، مَفتوح البَاب إِلىٰ المحرَاب عِند سَدّ أبوَاب سَائر الأصحَاب، جَدِيد الرَّغبات فِي الطَّاعات، بَالي الجِلبات، رَثّ الثِّياب، رَوّاض الصِّعاب، مَعسول الخِطَاب، عَديم الجوَاب، ثَابت اللُّبّ فِي مَدحض ـ مُبطل ـ الألبَاب، شَقِيق الخَير، رَفِيق الطَّير، صَاحب القرَابة وَالقُربة، وَكَاسر أصنَام الكَعبَة، مُناوش ـ مُتناول ـ الحتُوف، قَتّال الألوف، المُخرق الصّفوف، ضُرغام ـ أسد ـ يَوْم الجَمل، المَردود لهُ الشَّمس عِند الطّفل ـ العَصر ـ ترَاك السَّلب، ضَرّاب القلل ـ الرُّؤوس ـ، حَلِيف البِيض ـ جَمع الأبيَض وَهُو السّيف ـ وَالأسَل ـ أي الرُّمح ـ، شُجاع السّهل وَالجَبل، زَوج فَاطِمَة الزّهراء سَيّدة النِّساء، مُذلّ الأعدَاء، مُعزّ الأَوْلِيَاء، أخطب الخُطباء، قُدوة أَهْل الكِساء، إِمَام الأَئِمّة الأَتْقِيَاء، أبُو الشُّهداء، وَأشهَر أَهْل البَطحَاء، مُضمّخ ـ أي المُلطّخ ـ مَردة الحرُوب بِالدِّماء، الخَارج مِن بَيت المَال صِفر اليَدين عَن الصّفراء وَالحمرَاء وَالبَيْضَاء، مُثكل أُمّهات الكَفرة، وَمفلّق هَامات الفَجرة، وَمقوّي أَعضَاد البَررة، وَثمرة بَيْعَة الشَّجرة، وفَاقئ ـ مُخرج ـ عُيُون السّحرة، وَدَاحي ـ بَاسط ـ أرْض الدِّماء، وَمطلع شُهب الأسنّة فِي سمَاء القَترة ـ الغَبرة ـ المُسمّي نَفسه يَوْم الغَبرة بِحَيدرة... إلخ، وَلهُ عَدا ذَلِكَ مِن الألقَاب مَا لاَ يبلغه الحَصر.

مُلاحظه: أخذنا مَا بَيْن الشَّارحتِين مِن المصَادر اللّغوية كَلسَان العَرب، وَالقَامُوس وَغَيْرهما.

وأُنظر، هَذِه الألقَاب فِي أعيَان الشّيعة: ١ / ٣٢٥، وَيَنابِيع المَوَدّة: ٢٣٨ الطّبعة الحِيدرية فِي النَّجف الأشرف وَالطّبعة السَّابعة مَنشورَات الشَّريف الرَّضِيّ، و: ٢ / ٦٩ وَمابَعدها بَاب ٥٦ طَبعة أُسوة.

(١) أُنظر، شَرح نَهْج ٱلبَلاَغَة لاِبن أَبِي ٱلْحَدِيد: ١٩/ ٢٢٤، وَتَقَدَّمت ٱستخرَاجَاته، وأُنظر، صَيد الخَاطر: ⟸

٣١٧ ـ (وَ قَالَ لَهُ بَعْضُ الْيَهُودِ: مَا دَفَنْتُمْ نَبِيَّكُمْ حَتَّىٰ ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ).

فَقَالَ عليه السلام لَهُ: «إِنَّمَا ٱخْتَلَفْنَا عَنْهُ لَا فِيهِ، وَ لَكِنَّكُمْ مَا جَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّىٰ قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[1]».

● لاَ يَخْتلف ٱثنَان مِن الْمُسْلِمِين فِي أَنَّ الله وَاحداً، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوله، وَأَنَّ الله يَبْعث مَن فِي الْقبُور، وَلكنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله كَان يُحدّث فيسمَعه مَن حَضَر، وَيَنْتَهِي حَدِيثه إِلىٰ مَن غَاب دُونَ بَعْض. فَيَقول هَذا: مَا بَلَغنِي ذٰلِكَ، وَيقول ذَاكَ: بَلَغني، وَإِذْن فَالخِلاَف فِي النَّقل عَن النَّبيّ لاَ فِي نبُوته. وَتَقَدَّم مَع الشَّرح تَقسِيم الحَدِيث فِي ٱلْخُطْبَة (٢١٠).

أَمَّا الْيَهُود فَقَد شَاهدُوا بِأَعْيُنِهِمْ المُعْجزَات البَاهِرَة فِي ٱنْفلاَق البَحر بِضَربة مِن عَصا مُوسىٰ، وَكَيف ٱنشَق فِيهِ (١٢) طَرِيقاً يَبساً بِعَدد الأَسبَاط، وَكَيف ٱنطَبق عَلىٰ فِرعُون وَجنُوده... وَبِرَغم ذٰلِكَ كُلّه وَقبل أَنْ تجف أَقْدَامهم كَفروا بِالله عَن

← ٣٨٥. طَبعَة دَار الفِكْر دِمشق، وَالتِّرمِذي فِي صَحِيحهِ: ٢/ ٢٩٨ طَبْعَة بُولاق سَنَة (١٢٩٢ هـ) وَالفَخر الرَّازي فِي آخر تَفسِير البَسْمَلة المَطبُوع بِدَار العَامِرة، وَغَيْرهما مِن كُتب الْحَدِيث، مَجْمَع الزَّوائد: ٢٣٥/٧، تَأرِيخ بَغدَاد: ٣٢٠/١٤ ح ٧٦٤٢، الإِمَامَة وَالسِّيَاسَة: ١/ ٧٨، فَرَائِد السِّمطِين: ١/ ١٧٧، المَناقب لِابْن المَغَازلي: ١١٧ و ٢٤٤، وَالْمُستَدرَك: ٣/ ١٩ و ١٢٤، التَّفسِير الْكَبِير للرَّازي: ٢٠٥/١، شَرح الأَخْبَار للمغربي: ٥٢٥/٢، سُنَن التِّرمِذي: بَاب مَناقب عَليّ، ح ٣٧١٤، جَامع التِّرمِذي: ٢١٣/٢، كَنْز الْعُمَّال: ١٥٧/٦، الصَّوَاعِق المُحْرِقَة: ١٢٤، يَنَابِيع المَوَدَّة: ٩٠، المَطَالب العَالِية: ٦٦/٤، المَحصُول للرَّازي: ١٣٤/٦، وفِي بَعْض المَصَادر بِلَفظ: «رَحمَ الله عَلِيّاً أَدِرْ الْحَقّ مَعَه حَيثُ دَارَ». أُنظر أَيضاً، المُعْجَم الأَوسَط: ٩٥/٦ ح ٥٩٠٦، تُحْفَة الأَحْوَذي: ١٤٩/١٠، فَيض القَدِير: ١٩/٤، تَهذِيب الكَمَال: ٤٠٢/١٠ ح ٢٢٥٦، الرِّيَاض النَّضرة: ٢٤٣/١ ح ٨٧.

(١) ٱلْأَعْرَاف: ١٣٨.

عِلم، وَطَلبوا بِكُلِّ وَقَاحة وَصَلافة مِن نَبِيّ الله بِالذَّات أَنْ يَجْعَل لَهُم صَنماً يَعْبدُونه مِن دُونَ الله!.. وَإِذْن فَلا عَجبَ إِذَا ٱعْتَدت إِسرَائِيل وَٱشْتَكت مِن الْإِعْتدَاء، وَٱنْتَهكت قَرَارات «الْأُمم المُتحدة» بِحُجَّة المُحافظة عَلىٰ شعُور الرَّأي العَام، وَقَتَلت وَهَدَّمت وَشَرَّدت بِزَعم الْحِرْص عَلىٰ السَّلام...

وَلاَ أَبقىٰ الله عَربِياً وَاحداً عَلىٰ وَجْه الْأَرْض هَذِه الْحيَاة الَّتِي نَحيَاها... حتَّىٰ أَنا.

٣١٨ ـ (وَ قِيلَ لَهُ بِأَيِّ شَيْءٍ غَلَبْتَ الْأَقْرَانَ؟) فَقَالَ عليه السلام: «مَا لَقِيتُ رَجُلًا إِلَّا أَعَانَنِي عَلَىٰ نَفْسِهِ».

قَالَ الرَّضِيُّ: يُومِئُ بِذَلِكَ إِلىٰ تَمَكُّنِ هَيْبَتِهِ فِي ٱلْقُلُوب.

● الْخَوْف يُرَافق الْإِنْسَان وَيُلاَزمه مُنذ وِلاَدته حتَّىٰ يَوْم الأخيْر، فَهُوَ يَخَاف مِن الْمَوْت وَمِن الْفَقْر وَالْمَرض وَغيْر ذَلِكَ، وَمَتىٰ سِيطر عَلىٰ الْإِنْسَان الْخَوْف مِن شَيْء أَعْمَاه عَن غيْره حَتَّىٰ لاَ يَكَاد يَتَصور مَعه شَيْئاً آخر... وَقَد شَاع وَذَاع عَن الْإِمَام أَنَّه مَا بَارز بَطَلاً إِلّا وَأَرْدَاه قَتِيلاً، وَمِن هُنا كَان البَطل إِذَا برز لِلْإِمَام وَجْهاً لِوَجه أَخَذ الجَزع قَلْبه، وَلاَ شَيْء أَقسىٰ عَلىٰ الْإِنْسَان وَأَشد وِطءاً مِن شعُوره بِأَنَّه مَقتُول لاَ مَحَالَة، فَكَان هَذا الشّعور المُدمر القَاتِل عَوناً لِلْإِمَام عَلىٰ خَصْمِهِ.

٣١٩ ـ وَقَالَ عليه السلام لِابْنِهِ مُحَمَّدِ ٱبْنِ الْحَنَفِيَّةِ:

«يَا بُنَيَّ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْفَقْرَ، فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْهُ، فَإِنَّ الْفَقْرَ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ، مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْلِ، دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ».

● أُنظر، شَرح قَوْله: «الْغِنَىٰ فِي الْغُرْبَةِ وَطَنٌ، وَالْفَقْرُ فِي الْوَطَنِ غُرْبَةٌ»[1]،

---

(١) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٥٥).

وَقَوْلَه : «الْفَقْرُ الْمَوْتُ الأَكْبَرُ»[١].

٣٢٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام لِسَائِلٍ سَأَلَهُ عَنْ مُعْضِلَةٍ[٢]:
«سَلْ تَفَقُّهاً، وَ لَا تَسْأَلْ تَعَنُّتاً؛ فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْمُتَعَلِّمَ شَبِيهٌ بِالْعَالِمِ، وَ إِنَّ الْعَالِمَ الْمُتَعَسِّفَ شَبِيهٌ بِالْجَاهِلِ الْمُتَعَنِّتِ»[٣].

● المُعْضِلَة: الْمُشْكِلَة، وَتَفَقُّهاً: تَعَلُّماً، وَتَعَنُّتاً: طَلباً لِلغَلَبَة وَإِظهَار الخَطأ، وَالْمُتَعَسِّف: السَّاعِي عَلىٰ غَيْر هُدىً. يُومِيء هَذا الجَواب مِن الْإِمَام إِلىٰ أَنَّ السَّائِل سَأَلَه مُمتَحِناً لاَ مُسْتَفهِماً، وَفَرقٌ كَبِير مَن يَسْأَل لِيَعلم وَيَعمل، وَبَيْنَ مَن يَسْأَل لِيتعَاظم بِالصَّلف وَالوقَاحة... ذَاكَ يَنشد طَرِيق الْهُدَىٰ وَالنَّجاة، وَهَذا يَنْحَرف عَنْهُ إِلىٰ التِّيه وَالظُّلمات.

٣٢١ ـ وَ قَالَ عليه السلام لِعَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ وَ قَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ فِي شَيْءٍ لَمْ يُوَافِقْ رَأْيَهُ:
«لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وَ أَرَىٰ، فَإِنْ[٤] عَصَيْتُكَ فَأَطِعْنِي».

● كَان ٱبن عَبَّاس قَد أَشَار عَلىٰ الْإِمَام بِمَا يَأتِي فَأَجَابه بِأَنَّ لَكَ الْحُرِّيَّة التَّامة بِكُلِّ مَا تُشِير، وَلِي أَنْ أَنظر وَأَرىٰ، فَإِنْ ٱتفق الرَّأْيَان فَذاك، وَإِلاّ فَعَلَيْكَ الطَّاعَة لإِمَامك.

---

(١) أنظر، نَهج ٱلبَلاغَة: ٱلحِكمَة (١٦٢).
(٢) وَفِي نُسخَة أُخرىٰ: مَسْأَلة.
(٣) وَفِي نُسخَة أُخرىٰ: وَإِنَّ العَالِمَ المُتَعَنِّتَ شَبِيهٌ بِالجَاهِلِ».
(٤) فِي نُسخَة أُخرىٰ: فَإِذَا...

قَالَ الْعَقَّاد فِي كتَاب «عَبْقَرِيَّة الإِمَام»[١]: أَشَار ٱبن عَبَّاس وَغَيْره عَلَىٰ الإِمَام أَنْ يقر مُعَاوِيَة فِي الشَّام، وَيَكتُب لِطَلْحَة بِوِلاَيَة الْبَصرة، وَلِلزُّبَيْر بِوِلاَيَة الْكُوفَة. فَقَالَ الإِمَام: «لاَ أُداهن فِي دِيني، وَلاَ أُعطي الدَّنِيَّة مِن أَمري»[٢]. ثُمَّ أَطَال

(١) أنظر، عبْقَرية الإِمَام: ٨٩ (مِنْهُ ﷺ).

(٢) عَنْ ٱبن عَبَّاس ﷺ قَالَ: أَتيت عَليّاً ﷺ بَعد مُبايعة النَّاس لهُ فَوجدت عِنده: الْمُغِيرَة بن شُعْبَة مُستَخلياً بِهِ، فَقُلت لهُ بَعد أَنْ خَرج مِن عِنده: مَا كَان يَقول لَكَ هَذا؟ فَقال: قَالَ لِي قَبل يَومه: إِنَّ لَكَ حَقّ الطَّاعة وَالنَّصِيحة، وَأَنْت بَقِية النَّاس، وَإِنَّ الرَّأي اليَوم يَحرز مَا فِي غَدٍ وَإِنَّ الضَّياع اليَوم يَضيع بِهِ مَا فِي غَدٍ، وَأشِير عَلِيك بِشَور وَهُو: أَنْ تقرر مُعَاوِية، وَٱبن عَامر، وَعُمَّال عُثْمَان عَلىٰ عَمَلهم حَتَّىٰ تَأتِيك بَيْعَتهم وَتَسكين النَّاس، ثُمَّ ٱعزل مَن شِئت مِنْهم وَأَبقِ مَن شِئت، فَأَبَيت عَلَيْهِ ذَلِكَ وَقُلت: لاَ أُداهن فِي دِيني، وَلا أُعطي الدَّنِيَّة فِي أَمري، قَالَ: فَإِنْ كُنت أَبِيت عَليّ فَانزع مَن شِئت، وَٱترك مُعَاوِيَة فَإِنَّ لِمُعَاوِية جُراْة وَهُو فِي أَهْل الشَّام يَطِيعُونه وَيَسمعُون مِنهُ، وَتِلك حُجَّة فِي إِبقَائه فَإِنَّ عُمر بن الخَطَّاب وَلاه الشَّام فِي خِلاَفته. فَقُلت: لاَ وَالله لاَ أَستَعمل مُعَاوِيَة يَومين، فَٱنصَرف مِن عِندي وَأَنا أَعرف مِنه أَنَّه يَرىٰ أَنِّي مُخطئ، ثُمَّ عَاد إِليَّ الآنْ فَقَال: إِنِّي أَشرتُ إِليكَ أَوَّل مَرَّة بِالَّذي أَشرت وَخَالفتَني فِيهِ ثُمَّ رَأَيت بَعد ذَلِكَ أَنْ تَصنع الَّذي رَأَيت أَنْ تَعزل مَن تَختَار وَتَستعِين بِمَن تَثق بِهِ فَقَد كَفىٰ بِالله تَعالىٰ وَهُو أَهون شَوكة وَأَقلّ عَدداً. قَالَ ٱبن عَبَّاس٢: فَقُلت لِعَليّ٧: إِنَّما المَرّة الأُولىٰ فَقَد نَصحك، وَأَمّا المَرّة الثَّانِيَة فَقَد غَشّك.

ذَكَر هَذِه القِصّة الطَّبَرِي فِي تَأرِيخه: ٣/٤٥٩ مَنْشُورات مُؤسّسة الأَعلمي بَيروت: قَالَ جَاءَني أَمس بِذيَّة وَذيَّة، وَجَاءَني اليَوم بِذيَّة وَذيَّة...

وَنَقل الطَّبَرِي أيضاً فِي: ٣/٤٦٠ قَالَ ٱبن عَبَّاس:.... فَوجَدت الْمُغِيرَة مُسْتَخلياً بِهِ فَحَبسني حَتَّىٰ خَرج مِن عُنده فَقُلت: مَاذَا قَالَ لَكَ هَذَا؟ فَقَال: قَالَ لِي قَبل مَرّته هَذِه: أَرسل إِلىٰ عَبدالله بن عَامر وَإِلىٰ مُعَاوِيَة وَإِلىٰ عُمّال عُثْمَان بِعهُودهم تَقرّهم عَلىٰ أَعْمَالهم وَيُبَايعون لَكَ النَّاس فَإِنَّهم يُهدّئون البِلاد وَيُسكنون النَّاس، فَأَبيت ذَلِكَ عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ، وَقُلت لهُ: وَالله لَو كَان سَاعة مِن نَهار لاجْتَهدت فِيهِ رَأيـي وَلا وَليت هَؤُلاَء وَلاَ مِثلهم يُولي... وَمِثل ذَلِكَ جَاء فِي كتَاب الإمامة والسياسية لاِبْن قُتيبة فِي: ١/٦٧ مَع ٱختلاَف بَسِيط.

قَالَ: وَكَيف نُصحُه لِي؟ قُلت: لأَنَّ مُعَاوِيَة وَأَصْحَابه أَهْل دُنيا فَمَتىٰ أَثبتَهُم وَأَبقَيتهم عَلىٰ عَملهُم لاَ
↔

↔ يبالون مَن وَلّي هَذا الأَمر، وَمتىٰ تَعزلهُم يَقولُون أَخذ هَذا الأَمر بِغَير شُورَىٰ، وَهُو قَتَل صَاحبنا، وَيُؤلبُون عَلِيك فَيَنتقض عَليك أَهْل الشَّام، وَأَهْل العراق مَع أَنِّي لاَ آمن طلحة والزبير أَنْ يَكرّا عَليك، وَأَنا أُشِير عَليكَ أَيضاً أَنْ تُثبت مُعَاوِيَة فَإِنْ بَايَعَ فَلَك عَلَيَّ أَنْ أُقلعه مِن مَنزله. فَقَال عَليٌّ عليه السلام: لاَ أُعطِيه إِلاَّ السَّيف.

أنظر، فِي تَأرِيخ الطَّبَري: ٣ / ٤٦٠.

ثُمّ تَمَثّل بِقَول القَائِل:

وَمَا مِيتة إِنْ مُتُّها غَيرُ عَاجِزٍ ... بِعارٍ إِذَا مَا غالَتِ النَّفسَ غَولُها

أُنظر، الطَّبَري فِي تَأريخه: ٣ / ٤٦٢.

فَقُلت: يَا أَمِير المُؤمِنِين أَنْت رَجُل شُجاع لَست بِصَاحب رَأي فِي الحَرب، أَمَا سَمِعت قَول رَسُول الله صلى الله عليه وآله يَقول: الحَرب خُدعَة؟ فَقَال عَليّ: بَلىٰ، فَقُلت فَقَال ابن عَبَّاس: وَأَيم الله، لئِن أَطَعتَني لأَصدُرنّ مِنهم بَعد الوِرُود عَلىٰ مَا فِي نَفسك، وَلأَتركنّهم يَنظرُون فِي أَدبَار الأُمور وَلا يَعرفُون مَا كَان وَجهها فِي غَيْر نُقصان عَليك وَلا إِثم لَك. فَقَال: يَابن عَبّاس لَست مِن هُنيهاتك وَلا مِن هُنيهات مُعَاوِيَة فِي شَيء، فَقَال ابن عَبّاس رضي الله عنه: فَقُلت لهُ: أَطعْني فِي شَيء، إِلحَقْ بِمالك بِيَنبُع وَأَغلق بَابك عَليك فَإِنَّ العَرب تَجُول جَولة وَتَضطرب فَلا تَجد غَيْرك، وَلا تَنهض مَع هَؤُلآء القَوم، فَلئِن نَهضت مَعهم لِيحملنّك دَم عُثْمَان غَداً، فَأَبىٰ ذَلِكَ مِنّي. وَقالَ: لَكَ أَنْ تُشير عَليَّ وَأرىٰ فَإِذَا عَصيتك فَأطعني. قَالَ: فَقُلت لهُ: أَفعل فَإِنَّ أَيسر مَا لَكَ عِندي الطَّاعة وَإِنّي بَاذلها لَك، فَقَال لهُ عَليّ عليه السلام: أُريد مِنك أَنْ تَسِير إِلىٰ الشَّام فَقَد وَلّيتكها، فَقَال ابن عَبّاس: مَا هَذا بِرأيٍ، مُعَاوِيَة رَجُل مِن بَني أُميَّة، وَهُو ابن عَمّ عُثْمَان وَعَامله، وَلَستُ آمن أَنْ يَضرب عُنقي بِعُثْمَان، وَأَنّ أَدنىٰ مَا هُو صَانع بِيّ وَإِنْ أَحسَن إِليَّ أَنْ يَحبسني وَيَحتكم فِيَّ لِقَرابتي مِنك، وَكُلّما حَمل عَليك حَمل عَليَّ، وَلَكن أَرسل إِليهِ الكِتَاب الَّذي كَتبته تَستقدمه فِيهِ وَأُنظر مَاذا يُجيب. قَالَ: فَأَرسل إِليهِ عَليٌّ الكِتَاب مَع بِشير الجَهَني، فَلمَّا قَدِم عَلىٰ مُعَاوِيَة بِالكِتَاب فَأَخذه مِنْهُ وَوَقف عَلىٰ مَا فِيهِ، وَلَم يُجِب عَلَيْهِ بِشيء. وَكُلّما تَنجز جَوابه لَم يَزِده عَلىٰ قَوله:

أَدِم إِدامــةَ حِــصن أَو جِـداً بِـيدي ... حَرْباً ضَروساً تَشبّ الجَزل وَالضَّرما

فِي جَــاركم وَابـنكم إِذ كَـان مَـقتله ... شَــنعَاء شِــيّبت الأَصـداغ وَاللِّـمَما

أَعـيىٰ المَسـودُ بِهـا وَالسَّيّدون فَـلم ... يُوجد لهَا غَـيْرنا مَـولىً وَلاَ حَـكَما

أُنظر، تَأريخ الطَّبَري: ٣ / ٤٦٤، ابن أَعثَمْ فِي الفُتُوح: ١ / ٥٠٤، الإِمَامة وَالسياسة: ١ / ٦٨.

↔

الْعَقَّاد فِي الجوَاب عَن ذَلِكَ، وَيَتلخَص بِأَنَّ الإِمَام قد أَشَار عَلىٰ عُثْمَان أَكْثَر مِن مَرَّة بِعَزل مُعَاوِيَة، فَكيف يُنَاقض نَفْسه بِنَفسه؟ وَإِذا نَاقض رَأيه الأَوَّل وَأَقر مُـعَاوِيَة فَهَل يَسْكت عَنهُ الَّذِين قَتَلوا عُثْمَان مِن أَجْل مُعَاوِيَة وَأَمثَاله؟.

وَإِذا هُو أَعطىٰ الْعِرَاقِين: الْكُوفَة وَالْبَصرة لِـطَلْحَة وَالزُّبَـيْر ـ تَمَـلكا الرِّقَـاب،

⇐ حَتَّىٰ إِذا كَان الشَّهر الثَّالث مِن مَقتل عُثْمَان وَفِي أَوَاخِر صَفر دَعا مُعَاوِيَة بِرَجُل مِن بَني عَبس، فَدفع إِليهِ طُوماراً مَختُوماً عَلىٰ غِير كتَابة لَيس فِي بَاطنِهِ شَيء وَعنوَانه: مِن مُعَاوِيَة بن أَبي سُفيان إِلىٰ عَليّ بـن أَبي طَالب، وَقَالَ لِلعَبسي: إِذَا دَخلت بِالمَدِينة فَادخلها نَهاراً وَاعط عَلِيّاً الطُّومار عَلىٰ رُؤوس النَّاس، فَإِذا فَضّه وَفَتحه إِلىٰ آخِره وَلَم يَجد فيهِ شَيْئاً فَتَرَاه يَقول لَكَ: مَا الخَبر؟ فَقل لهُ كَيت وَكَيت بِكَلام أَسرّه إِلىٰ الرَّسول.

ثُمّ دَعا مُعَاوِيَة بِشير الجهني رَسُول عَليّ فَجهّزه مَع رَسُوله فَخرجا جَمِيعاً فَقدما المَدِينة فِي اليَوم الثَّامن مِن شَهر رَبِيع الأَوّل، فَرفَع رَسُول مُعَاوِيَة الطُّومار عَلىٰ يَده عِند دخُوله المَدِينة، وَتبعه النَّاس يَنْظرُون مَا أَجَاب بِهِ مُعَاوِيَة، وَعَلموا أَنَّه يَتعرّض وَيَتشغّب، فَدخل الرَّسول عَلىٰ عَليّ بن أَبي طَالب، وَأَعطَاه الطُّومار فَفضّ خَاتمه وَفَتحه إِلىٰ آخِره فَلم يَجد فيهِ كتَابة، فَقَال لِلرَّسُول: مَا وراءك؟ قَالَ: آمن أَنا؟ قَالَ: نَعم إِنَّ الرَّسول لاَ يُقتل، قَالَ: إِنّي تَركت وَرَائِي قَوماً يَقُولون: لاَ نَرضىٰ إِلاّ بِالقوَد. قَالَ: مِمّن؟ قَالَ: يَقُولون: مِن خَيط رَقَبة عَليّ، وَتَركتُ ستِين أَلف شَيخ يَبكي تَحت قَميص عُثْمَان، وَهُو مَنْصُوب لَهم قَـد أَلبسُـوه مِـنبر مَسجد دِمشق، وَأَصَابع زَوجته نَائِلة مُعلّقة فيهِ، فَقَال عَليّ عليه السلام: أَمنّي يطلبُون دَم عُثْمَان؟! أَللَّهُمَّ إِنّي أَبـرأ إِلَيكَ مِن دَم عُثْمَان، مَا نَجا وَالله قَتلَة عُثْمَان إِلاّ أَنْ يَشَاء الله، فَإِنّه إِذَا أَرَاد أَمراً بَلغه، أُخْرُج، قَالَ: وَأَنا آمن؟ قَالَ: وَأَنتَ آمن، فَخَرج العَبْسي، وَأَرَاد النَّاس أَنْ يَقْتلُوه فَقَالُوا: مَا لِهذا الكَلب رَسُول الكِلاَب يَتكلّم بِمثل هَذا، وَلَولا أَمَان عَليّ عليه السلام لِقتلناه. ثُمّ أَحبَّ أَهْل المَدِينة بَعد ذَلِكَ أَنْ يَعلموا مَا رَأي عَليّ فِي مُعَاوِيَة هَـل يُقَاتله أَو يَنْكل عَنه.

أُنظر، الطَّبَري فِي تَأرِيخه: ٥ / ١٥٢، و: ١ / ٣٠٦٦ طَبْعة أُوربا، كَنْز العُمَّال: ٣ / ١٦١ ح ٢٤٧١، أبن أَعْثَمْ فِي تَأرِيخه: ١٦٠، و: ٢ / ٢٥٩ طَبْعة حَيدر آباد، و: ١ / ٤٣١ ـ ٤٥٠ دَار الكُتب العِلمية بَيروت، أَنْسَاب الأَشْرَاف: ٥ / ٧٠، الحَـاكِم فِي المُسْتَدرَك: ٣ / ١١٤، تَأرِيخ اليَعقُوبِي: ٢ / ١٧٨، ٢ / ٢٥٩، فَـتح البَاري: ١٣ / ٧٢، الإِصَابَة: ٦ / ٢٧٦، الإِمَـامَة وَالسِّـيَاسَة لاِبْـن قُـتَيْبَة: ١ / ٦٥ و ٧٠، تَأْرِيخ دِمشـق: ٤٤ / ٣٧٠، البدَاية وَالنّهاية: ٧ / ٢٥٥.

وَاسْتَمالا السَّفِيهَ بِالْمَال، وَضَربا الضَّعِيف بِالبَلاء، وَقوِيَا عَلىٰ الإمَام وَانـقَلبا عَـلَيْهِ أقوىٰ مِمَّا كَانا بِغَير وِلايَة... فَرأيُ الإمَام الَّذي ارْتَضَاه هُو الأسْلَم وَالأصوَب مِن رَأي مُخَالِفيه.

٣٢٢ ـ وَ رُوِيَ أَنَّهُ عليه السلام لَمَّا وَرَدَ الْكُوفَةَ قَادِماً مِنْ صِفِّينَ مَرَّ بِالشِّبَامِيِّينَ، فَسَمِعَ بُكَاءَ النِّسَاءِ عَلَىٰ قَتْلَىٰ صِفِّينَ، وَ خَرَجَ إِلَيْهِ حَرْبُ بْنُ شُرَحْبِيلَ الشِّبَامِيِّ؛ وَكَانَ مِنْ وُجُوهِ قَوْمِهِ، فَقَالَ عليه السلام لَهُ: «أَ تَغْلِبُكُمْ نِسَاؤُكُمْ عَلَىٰ مَا أَسْمَعُ أَلَا تَنْهَوْنَهُنَّ عَنْ هَـذَا الرَّنِينِ!
وَ أَقْبَلَ حَرْبٌ يَمْشِي مَعَهُ وَ هُوَ عليه السلام رَاكِبٌ، فَقَالَ عليه السلام لَهُ: ارْجِعْ فَإِنَّ مَشْيَ مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِي فِتْنَةٌ لِلْوَالِي وَ مَذَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ».

● الشِّبَامِيِّين: جَمْع شِبَامي، وَالشِّبَام ـ بِكَسر الشِّين ـ عُود يُوضع فِي فَم الجَدي كِيلا يَرضع حَلِيب أُمّه[1]. والشِّبَامِيُّون: حَي مِن الـعَرَب، والْمُـرَاد بِـالرَّنِينِ هُـنا الصّوت[2].

(١) وَقَالَ صاحب لِسَان العرب فِي: ١٠/٤١٢ و: ١٢/٣١٧، «الشِّبَامُ: عُود يعرّض فِي فَم الجَدِي ـ السَّخْلَة ـ وَيُشد ـ يُوثقُ بِهِ مِن قِبَل قَفاه لِئلاَ يَرضَع ـ يَمْنعه مِن الرِّضَاع ـ فَهُو مَشْبُوم.

(٢) أنظر، تَاريخ الطَّبَري: ٤ / ٤٥، وَقْعَة صِفِّين: ٥٣١. وَفِيهِمَا: ثُمَّ مَضىٰ حَتَّىٰ مَرَ بِالنَّاعطيِّين ـ حَيَ مِن هَمَدان، نِسْبَة إِلىٰ جَبل لَهُم يُسمىٰ «نَاعِط» ـ فَسَمِع رَجُلاً مِنْهُم يُقَال لهُ عَـبدالرَّحـمن بـن مَـرثد ـ وَفِي الطَّـبَري عَبدالرَّحمن بن يَزيد مِن بَني عبيد مِن النَّاعطيِّين ـ فَقَال: مَا صَنع عَليٌّ وَالله شَيْئاً. ذَهَب ثُمَّ انصَرف فِي غَيْر شَيء. فَلمّا نَظر أَمِيرَ المُؤْمِنِين أبلِس. فَقَال عَليّ: وجُوهُ قَوم مَا رَأوا الشَّامَ العَامَ. ثُمَّ قَالَ لأصْحَابه: قَـومٌ فَارقتهُم آنفاً خَيرٌ مِن هَؤُلاَء. ثُمَّ قَالَ:

وَالْفُقَهَاء يُجِيزُون البُكَاء عَلَىٰ المَيِّت حتَّىٰ وَلَو كَان مَع الصَّوت، شَرِيطة أَنْ لاَ يَتنَافىٰ مَع الرِّضا بِقَضاء الله، بَل قَالُوا: يُسْتَحب البُكَاء عَلَىٰ المَيِّت المُؤْمِن، وَقَد بَكىٰ رَسُول الله صلى الله عليه وآله عَلَىٰ وَلَده إِبْرَاهِيم، وَعَلَىٰ بَعْض أَصْحَابه[(١)]. وَأيضاً يَجُوز النَّوح عَلَىٰ المَيِّت نَثْراً إِذَا لَم يَكُن مَعهُ كِذب[(٢)].

⇔ أَخُـوكَ الَّـذي إِنْ أَجـرَضَتك مُـلِمَّة ... مِن الدَّهرِ لَمْ يَبرح لِـبَثِّك وَاجِمـا

وَليس أَخُوك بِالَّذي إِنْ تَشعَّبت ... عَليكَ الأُمور ظَلَّ يَـلحَاكَ لاَئِمـا

أنظر، الاشتقاق: ٢٥١، مُعْجَم البُلدان، والطَّبَري: ٤ / ٤٥، وَقْعَة صِفِّين: ٤٩٢ مَع اختلاَف يَسِير فِي لفَظ الشِّعر، الأَخْبار الطِّوال: ١٩٧.

(١) تَقدَّمَت اسْتخرَاجَاته.

(٢) أُنظر، مصَادر قَتل حَمْزَة والتَّمثِيل بِهِ:

(الكَامِل فِي التَّأريخ: ٢ / ١١١، الدَّرجَات الرَّفِيعة: ٦٦ ـ ٦٩، السِّيرَة النَّبَوِيَّة لِابْـن هُشـام: ٣ / ٩٦، السِّيرَة الحَلبِية: ٢ / ٢٤٦، كشف اليَقِين لِابْن المُطهَّر الحلِّي: ١٢٨).

وذَكر أَهْل السِّيَر والأَخْبار كابْن جَرير، وابن الأثير، وابن كثير، وصَاحب العِقد الفَرِيد وغيْرهم مَا قَد أخرجه أَحمد بن حنبل: ٢ / ٤٠ عن ابن عُمَرَ أنّ رَسُول الله صلى الله عليه وآله لمَّا رَجع من أُحُد جَعلت نسَاء قُـرَيْش يَبكِين عَلىٰ مَن قُتل من أزوَاجهن. قَالَ: فقَال رَسُول الله صلى الله عليه وآله: ولكن حَمْزَة لا بوَاكِي لهُ، قَالَ: ثُمّ نَام فأنتبه وهُنّ يَبكِين، قَالَ فهنّ اليوم إذَا يَبكِين يَندبن حَمْزَة.

وفِي ترجمة حَمْزَة من الاِسْتِيعَاب نَقلاً عَن الوَاقدي بهامش الإِصَابَة: ١ / ٢٧٥ وَقَالَ: لَم تَبك امْرَأة من الأَنْصار عَلىٰ مَيت ـ بَعد قول رَسُول الله صلى الله عليه وآله لكن حَمْزَة لا بوَاكي لهُ ـ إِلىٰ اليوم إلّا بَدأنّ بالبُكاء عَلىٰ حَمْزَة. (أُنظر للمزيد أُسد الغَابَة، والطَّبَقات الكُبْرَىٰ: ٢ / ٤٤، و: ٣ / ١١ و١٧ ـ ١٩، ذَخَـائِر الـعُقْبَىٰ: ١٨٣، والسِّيرَة النَّبَوِيَّة لِابْن هُشام: ٣ / ١٠٤، شرح النَّهج لِابْـن أَبِي الحَـدِيد: ١٥ / ٤٢، الكَـامِل فِي التَّأريخ: ٢ / ١١٣، الغَدِير: ٦ / ١٦٥، مَجْمَع الزَّوائد: ٦ / ١٢٠، وَسَائِل الشِّيعة: ٢ / ٩٢٢ كتاب الطَّهارة ب ٨٨ من أبواب الدَّفن ح ٣.

ولِذَا وَرد فِي السِّيرَة الحَلبِية عن ابن مسعود: ٢ / ٢٤٦ وَقَالَ: مَا رَأينا رَسُول الله صلى الله عليه وآله بَاكِياً أشدّ من بُكائه عَلىٰ حَمْزَة عليه السلام وَوَضعه فِي القِبلة، ثُمّ وَقف عَلىٰ جنَازته وانْتَحب حَتَّىٰ نَشق ـ أي شَهق ـ حَتَّىٰ بَلغ بِهِ

⇔

⇔ الغَش، يَقُول ﷺ: يَا عَمّ رَسُول الله، وأَسد الله، وأَسد رَسُول الله، يَا حَمزَة فَاعِل الخَيْرَات، يَـا حَمْـزَة يَـا كَاشف الكُرَبات، يَا حَمزَة يَا ذَابّ عن وَجه رَسُول الله. وَقَالَ ﷺ: جَاءنِي جِبْرِيل ﷺ وأَخْبَرَنِي بأَنّ حَمزَة مَكتُوب فِي أَهْل السَّمَاوَات السَّبع: حَمزَة بن عبدالمُطّلب أسد الله وأسد رَسُوله. وأمرَ رَسُول الله ﷺ الزُّبَيْر أَنْ يَرجع أُمّه صَفِيّة أُخت حَمزَة ﷺ عَن رُؤيته، فقَال لهَا: يَا أُمّه، إنّ رَسُول الله ﷺ يَأمرك أَنْ تَرجعي، فدَفَعَت فِي صَدره وقَالت: لِمَ وقَد بَلغنِي أَنّه مُثّل بَأخي، وذَلِكَ فِي الله قَلِيل فمَا أَرضَانِي بمَا كَـان فِي الله مِـن ذَلِكَ، لأَحْتسبَنّ ولأَصْبِرَنّ إِنْ شَاء الله تَعَالىٰ، فجَاء الزُّبَيْر فأَخْبَره ﷺ بِذَلِكَ؟ فَقَالَ ﷺ: خلّ سَبِيلها، فجَاءت وٱستَرجَعت وٱستغفَرت لهُ.

أُنظر، الإمتَاع للمَقْرِيزي: ١٥٤، والكَامِل فِي التَّأرِيخ: ٢ / ١٧٠، ومَجْمَع الزّوائد: ٦ / ١٢٠، والصَّحِيح من سِيرة النَّبِيّ الأَعْظم: ٤ / ٣٠٧ و٣١٠، وذَخَائِر العُقْبَىٰ: ١٨٠، وسِيرة ٱبن هُشَام: ٣ / ١٠٥، والسِّيرَة الحَلبِية: ٢ / ٢٤٦، وشَرح النّهج: ١٥ / ٣٨٧ و١٧.

ولَسْنَا بِصدد بَيان جُواز أو حُرمة البُكاء عَلىٰ المَيت ولكن نَترك للقارئ الكَرِيم مَجَـال التّـفكِير عِـند مُرَاجعة المصَادر التَالية عَلىٰ سَبِيل المثَال لا الحَصر مُنذ بُكاء آدَم ﷺ عَلىٰ ٱبْنِهِ هَابِيل إِلىٰ اليَوم لأنّ البُكاء سُنّة طَبِيعية.

أُنظر، العَرائس للثّعالبي: ٦٤ ط بمبي و١٣٠ و١٥٥، الطَّبَقَات الكُبْرَىٰ لِابْن سعد: ١/١٢٣، و: ٢ / ٦٠ الطّبعة الثّانِيَة ط بيروت، فرائد السّمطِين: ١/١٥٢ ح ١١٤، و: ٢/٣٤ ح ٢٧١، والمُصَنَّف لِابْن أَبِي شَيبة: ٦و١٢، كنز العُمّال: ١٣/١١٢ الطّبعة الثّانِيَة، و: ١٥/١٤٦، و: ٦ / ٢٢٣ الطّـبعة الأُولىٰ، تَأريخ دمشـق: ٢ / ٢٢٩ ح ٣٦٧ و٣٢٧ ح ٨٣١، مَجْمَع الزّوائد: ٩ / ١١٨ و١٧٩ و١٨٩ الفضائل لأَحْمَـد بـن حـنبل: ح ٢٣١، المُستَدرَك لِلحَاكِم: ٣ / ١٣٩، و: ٤ / ٤٦٤، تأريـخ بـغداد: ١٢ / ٣٩٨، و: ٧ / ٢٧٩، المـنَاقب للخوارزمي: ٢٦، يَنابيع المَوَدَّة: ٥٣ و١٣٥.

أُنظر، سُنَن البَيْهَقِيّ: ٤ / ٧٠، سُنَن ٱبن ماجه: ٢ / ٥١٨، ذَخَائِر العُقْبَىٰ: ١١٩ و١٤٧ و١٤٨، دَلاَئِـل النُّبوّة للبيهقي فِي تَرجمة الإمَام الحُسَيْن ﷺ من تَأريخ دمشق: ح ٦٢٢ و٦١٢ ـ ٦١٤ و٦٢٦ ـ ٦٣٠، المُعْجَم الكَبِير للطّبَرَاني حيَاة الإمَام الحُسَيْن ﷺ: ١٢٢ ح ٤٥ و٤٨ و٩٥، كفَاية الطّالب: ٢٧٩، أعـلاَم النُّـبوّة للمَاوردي: ٨٣ بَاب ١٢، نُظم دُرر السِّمطِين: ٢١٥، البداية والنّهاية لِابْن كَثِير: ٦ / ٢٣٠، و: ٨ / ١٩٩، الرّوض النّضير: ١ / ٨٩ و٩٢ و٩٣، و: ٣ / ٢٤، مرُوج الذّهب: ٢ / ٢٩٨، أُسد الغَابَة: ١ / ٢٠٨، معراج ⇔

أَمَّا نَهي الإِمَام هُنا فَلهُ أَسْبَابه الخَاصة كَشِمَاتة المُنَافقِين، أَو تَثبِيط المُجَاهدِين، أَو عَدم الرِّضا بِقَضاء الله وَقدره، وَمَا إِلىٰ ذَٰلِكَ مِمَّا لاَ نَعلم... أَمَّا أَمره شَرحبِيلَ بِالرّجوع فَلأَنَّ الإِمَام كَان يَكرَه كُلّ سَبب مِن أَسْبَاب العِزَّة إِلّا التَّقْوىٰ. وَيَأتِي قَوْلَه: «لاَ عِزَّ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوىٰ»(١).

٣٢٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام وَ قَدْ مَرَّ بِقَتْلَىٰ الْخَوَارِجِ يَوْمَ النَّهْرَوَانِ:
«بُؤْساً لَكُمْ! لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ.
فَقِيلَ لَهُ: مَنْ غَرَّهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟

الوصول للزرندي، حلية الأَوْلِيَاء: ٣/ ١٣٥، الرّياض النّضرة: ٢/ ٥٤ الطّبعة الأُولىٰ.

واَسْتُشْهِدَ من المُهَاجِرينَ يُوم أُحُد مع حَمْزَة أسد الله وأسد رَسُوله: عبدالله بن جَحش، ومُصْعَب بن عُمير، وشمأس بن عُثْمَانَ بن الشّرِيد، واَسْتُشْهِدَ من الأَنْصَار واحد وستُون رَجُلاً. (أُنظر، المعَارف لِإبْن قُتَيْبَة: ١٦٠).

أُنظر، الكَامِل في التَّأريخ لِإبْن الأثير: ٢/ ١٠٨ و١٤٨، السِّيرَة الحَلبية: ٢/ ٢٢٧، تَأريخ الطَّبَرِيّ: ٢/ ٢٠٣، الدُّر المنثُور: ٢/ ٨٠ و٨٨ و٨٩، شَرح النَهج لِإبْن أَبِي الحَدِيد: ١٥/ ٢٠ و ٢٢ و ٢٤ و٢٥، و: ١٣/ ٢٩٣، و: ١٤/ ٢٧٦، البداية والنّهاية لِإبْن كثير: ٤/ ٢٨ و٢٩، السِّيرَة النَّبَوِيَّة لِإبْن كثير: ٣/ ٥٥ و٥٨، السِّيرَة النَّبَوِيَّة لِإبْن هشام: ٤/ ٨٥، دَلاَئِل الصِّدْق: ٢/ ٣٥٨ و٣٥٩، و: ٣/ ٣٢٦، لُبَاب الآدَاب: ١٧٩، مَجْمَع البَيَان: ٢/ ٥٢٤، الإِرْشَاد للشّيخ المُفِيد: ٤٨، البحار: ٢٠/ ٥٣ و٨٤ و٢٤، حياة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله لهيكل: ٢٦٥.

أُنظر، تَفْسِير الرّازي: ٩/ ٥٠ و٦٧، كنز العُمَّال: ٢/ ٢٤٢، و: ١٠/ ٢٦٨ و٢٦٩، حيَاة الصَّحَابَة: ١/ ٢٧٢، و: ٣/ ٤٩٧، المغازي للوَاقدي: ٢/ ٦٠٩ و٩٩٠، منحة المعبُود في تَهذيب مُسْنَد الطَّيَالِسِي: ٢/ ٩٩، طَبقَات اَبن سعد: ٣/ ١٥٥، و: ٢/ ٤٦ و٤٧ الطّبعة الأُولىٰ، تَأريخ الخَميس: ١/ ٤١٣ و٤٣١ ط آخر، مُسْتَدرَك الحَاكِم: ٣/ ٢٧، مَجْمَع الزّوائد: ٦/ ١١٢.

(١) أُنظر، نَهج البَلاَغَة: الحِكْمَة (٣٦٩).

فَقَالَ:

الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ، وَ الأَنْفُسُ الأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ؛ غَرَّتْهُمْ بِالأَمَانِيِّ، وَ فَسَحَتْ لَهُمْ بِالْمَعَاصِي، وَ وَعَدَتْهُمُ الإِظْهَارَ؛ فَاقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّار».

● البؤسىٰ: الْفقْر وَالشِّدَّة ضِدّ النِّعمىٰ، وَالْمُرَاد بِالشَّيْطَان والأَنْفُسُ الأَمَّارَةُ الأَهوَاء الَّتي أَعْمت الْخَوَارِج عَن الله وَعَن أَنْفُسهم... وَمَع هَذا كَانُوا لاَ يَرون صَالحاً عَلىٰ وَجْه الأَرْض غَيْرهم، أَمَّا أَمَانِيهم الَّتي أَشَار إِلَيْهَا الإِمَام فَهي الحُكم وَالسَّيطرَة (وَ وَعَدَتْهُمُ الإِظْهَارَ) عَطف تَفْسِير عَلىٰ غَرَّتْهُمْ الأَمَانِيِّ، وَسَبق الكَلاَم عَن الْخَوَارِج مَرَّات[1].

٣٢٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللهِ فِي الْخَلَوَاتِ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ».

● كُلّ حَاكِم لاَ بُدَّ وَأَنْ يَعْتَمد فِي حُكْمه عَلىٰ أَمرين: نَصّ مِن الشَّارِع، وَبَيِّنَة مِن الخَارج كَوسِيلة إِلىٰ العِلم بِالمحقّ وَالمُبطل، وَالله سُبْحَانَه مَصْدَر النَّص، وَهُو بِكُلِّ شَيء عَلِيم سِرّاً كَان أَم عَلاَنية، وَإِذْن فَلا أَمَان مِن الحِسَاب وَالْعِقَاب لِمن يَعْصي الله فِي الخَفَاء[2].

٣٢٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام لَمَّا بَلَغَهُ قَتْلُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ:

«إِنَّ حُزْنَنَا عَلَيْهِ عَلَىٰ قَدْرِ سُرُورِهِمْ بِهِ، إِلَّا أَنَّهُمْ نَقَصُوا بَغِيضاً؛ وَ نَقَصْنَا حَبِيباً».

---

(١) أنظر، شَرح النَهج: الخُطبَة (٤٠).

(٢) قَال ابن أَبي الحَديد فِي شَرح النَهج: ١٩/٣١٧. إذَا كَان الحَاكِم هُو الشَّاهد استغنىٰ عَمّن يَشْهد عِنده؛ فَالإنسَان إِذن جَدير أَنْ يَتّقي الله حَقّ تُقاته. لأَنّه تَعالىٰ الحَاكِم فِيه وَهُو الشَّاهِد عَلَيْه.

● إذاكَان مَوْت الأَبْرَار يُحزن الْمُتَّقِين فَمِن الطَّبِيعي أَنْ يَسُر الْمُنَافقِين. وَفِي ٱلْرِّسَالة (٣٥) أَثْنىٰ الْإِمَام عَلىٰ مُحَمَّد بن أَبي بَكْر لَمَّا بَلَغه قتله، وَوَصَفه بِأَنَّه كَان وَلَداً نَاصِحاً، وَعَامِلاً كَادِحاً، وَسَيفاً قَاطِعاً. وَسَبق الكَلاَم عَنْه وَعَن مَقْتله[1].

٣٢٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «الْعُمُرُ الَّذِي أَعْذَرَ اللهُ فِيهِ إِلَىٰ ٱبْنِ آدَمَ سِتُّونَ سَنَةً».

● أَبَداً لاَ عُذْر لِمَن يَتجرأ عَلىٰ الْحَرَام وَمَعْصِيَة الله، لاَ بَعد السِّتِّين وَلاَ قَبْلها... وَمَا أَرَاد الْإِمَام بِقَوْله هَذا إِلّا تَوبِيخ العَاصي إِذَا بَلغ السِّتِّين... وَإِنْ تَعَلل قَبْلها بِالْهَوىٰ وَالشَّباب فَبِماذا يَتَعلل بَعد أَنْ وَهَنَ ٱلْعَظْمُ، وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً؟ قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وآله: «إِنَّ الله تَعَالىٰ يَنْظُر فِي وَجْه الشَّيخ الْمُؤْمِن صَبَاحاً وَمَساءً، فَيَقُول لهُ: يَاعَبدي كَبُر سِنُك، وَدَقَّ عَظمُك، وَرَقَّ جِلدُك، قَرُب أَجَلُك، وَحَان قدُومك عَليَّ فَٱسْتَحِ مِنِّي، فَأنا أَسْتَحي مِن مَشيتك أَنْ أُعذبَك بِالنَّار»[2].

٣٢٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَا ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ الْإِثْمُ بِهِ، وَ الْغَالِبُ بِالشَّرِّ مَغْلُوبٌ».

● هَذِه ٱلْحِكْمَة تَحْمل بُرهَانها مَعَهَا، وَتَدل عَلىٰ ذَاتِها بِذَاتِها... إِثْم وَظَفر!. وَشَرّ وَنَصر! «عَمَّرك الله كَيف يَجْتَمعَان؟».

٣٢٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ، فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ، وَ اللهُ تَعَالَىٰ سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ».

---

(١) تَقدم الكَلاَم عَن ٱسْتشهَاده عليه السلام، فِي الجُزء الثَّالِث وَالرَّابع.

(٢) أُنظر، بِحَار الأَنْوَار: ٧٠/٣٩٠ ح ١٢.

● وَقَف الإِسْلاَم فِي جَانب الْفُقَرَاء ضِدّ الإِسْتغلاَل وَالمُسْتغلّين، وَأَنْصَفهم مِن الأَغْنِيَاء وَالمُتْرَفِين، وَجَعل الْفَقِير شَرِيك الْغَنِيّ فِي أَمْوَاله: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾[1]. وَهَذا الحَقّ هُو الَّذي عَناه الإِمَام بِقَوْله: (إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاء).

وَفِي الحَدِيث: «لَوْ أَنَّ النَّاس أَدّوا زَكَاة أَموَالهم مَا بَقِي فَقِير» وَبِهِ نَجد تَفْسِير قَول الإِمَام: (فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ) وَالمَعنىٰ المُحصل مِن الآيَة الكَرِيمة، وَالحَدِيث الشَّرِيف، وَقَول الإِمَام ـ إِنَّ الْغَنِيّ الَّذي مَنع الحَقّ عَن أَهْلِهِ هُو الَّذي سَلَب لُقمة الجَائع، وَسَرق ثَوب العَاري، وَٱغْتَصب مَأوىٰ مَن لاَ مَأوىٰ لهُ، وَأيضاً هُو السَّبب المُوحب لِكُلِّ جَرِيمَة فِي شَرق الأَرْض وَغَربها تَحدث بِسَبب البُؤس وَالعوز... وَمِن هُنا كَان عَذَاب الَّذِين يَكْنِزُون الأَموَال أَنْ تُكوىٰ بِهَا: ﴿جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[2].

وَقَالَ الإِمَام جَعْفر الصَّادق عليه السلام: «إِنَّ الله جَعَل لِلفُقَرَاء فِي أَموَال الأَغْنِيَاء مَا يَكفِيهم، وَلَولا ذَلِكَ لزَداهُم، وَإِنَّما يُؤتُون ـ أَي الْفُقَرَاء ـ مِن مَنْع مَن منَعهم»[3]، وَهُم الأَغْنِيَاء. سَبَق الكَلاَم عَن ذَلِكَ مَرَّات، مِنْهَا فِي شرح ٱلخُطْبَة (١٢٩) وَٱلحِكْمَة (١٦٣).

وَتَجدر الإِشَارَة إِلىٰ أَنَّ الإِمَام قَالَ هَذا حَيْث لاَ رَأس مَال وَشركَاته الاِحتكَارِية تُسيطر عَلىٰ شَرايِين الإِقْتصَاد فِي شرق الأَرْض وَغَربها، وَلاَ دَولة أَو دول كُبرىٰ

(١) ٱلذَّارِيَاتِ: ١٩.
(٢) ٱلتَّوْبَةِ: ٣٥.
(٣) أنظر، الكَافِي: ٣/٤٩٧ ح ٤، وَسَائِل الشِّيعة: ٩/١٣ ح ٩، مُستَند الشِّيعة: ٩/٢١٨.

تحميها وتُنشيء لها قواعد عسكرية بإسم دويلات أو حكومات تقوم علىٰ جماجم الشّعوب، وتحرم البقية الباقية من أبسط حقوق الآدميين[١].

٣٢٩ ـ وَ قالَ عليه السلام: «الإستِغْنَاءُ عَنِ الْعُذْرِ، أعَزُّ مِنَ الصِّدْقِ بِهِ».

● ضمير «بِهِ» يعود إلىٰ العُذْرِ، وَالْمَعْنَىٰ تجنبْ فِعلَ مَا يُوجب طَلَب المَعْذَرة وَالْتماسها حَتَّىٰ وَلَو كُنْتَ مُخلصاً فِي طَلَبك، لأنَّه يُشكل اعترافاً لِعَجلتك وَنزقك وَالنَّدامة عَلىٰ مَا سَبق، وَهَذا ذُلٌّ وَهَوَان[٢].

---

(١) قالَ ابن أبِي الحَدِيد فِي شَرح النّهج: ١٩/٢٤٠، وَرَد فِي الأخبَار الصّحِيحة أنَّ أبا ذرّ قَالَ: «انتهيتُ إلىٰ رَسُول الله صلى الله عليه وآله وهُو جَالِس فِي ظِلّ الكَعْبَة، فلمّا رَآني قَالَ: هُم الأخسرُون وَربّ الكَعْبَة! فَقُلتُ: مَنْ هُم؟ قَالَ: هُمُ الأكثرُون أموالاً، إلاّ مَنْ قَالَ هَكذا وَهَكذا مِن بَيْن يَديه وَمِن خَلفه وَعَن يَمِينه وَعَن شِماله، وَقَلِيلٌ مَا هُم، مَا مِن صَاحب إبلٍ، وَلاَ بَقرٍ، وَلاَ غنمٍ لاَ يُؤدي زَكَاتها إلاّ جَاءت يَوم القِيَامة أعْظمَ مَا كَانَتْ وَأسمَنَه، تَنْطَحُه بِقُرونها، وَتطأه بِأظْلاَفها، كُلَّما نَفِدَتْ أُخرَاها عَادَت عَلَيْهِ أُولاَها حَتَّىٰ يَقْضِيَ الله بَيْن النَّاس...».

أنظر، مُسْنَد أحمَد: ٢/٢٧٧ و: ٥/١٥٨، المُغْنِي لاِبْن قُدامة: ٢/٤٦٧، سُنَن الدَّارمي: ١/٣٨٠، صَحِيح مُسْلِم: ٣/٧١، سُنَن النّسائي: ٥/٢٩، السُّنَن الكُبرىٰ: ٤/٩٧، المُصَنَّف لِعبدالرَّزاق: ٤/٢٩، صَحِيح ابن خُزيمة: ٤/٩، صَحِيح ابن حبَّان: ٨/٤٨، رِياض الصَّالحِين: ٥٠٣، كَنز العُمَّال: ٦/٣٠١، كَشف الخَفاء: ١/٢١٩، المُحلىٰ لاِبْن حزم: ٦/٨، كَشف القنَاع: ٢/٢٢٠.

(٢) قالَ ابن أبِي الحَدِيد فِي شَرح النّهج: ١٩/٢٤١، كَانَ يُقَال: إيَّاك أنْ تَقومَ فِي مَقَامِ مَعْذِرة، فَرُبَّ عُذرٍ أشجَل بِذنب صَاحِبه.

اعتذَر رَجُلٌ إلىٰ يَحيىٰ بن خَالد، فَقَال لهُ: ذَنْبك يَسْتَغِيثُ مِن عُذْرك.

وَمِن كَلاَمِهم: مَا رَأيتُ عُذْراً أشْبَه بِذَنْب مِن هَذا.

وَمِن كَلاَمِهم: أضرِبُه عَلىٰ ذَنْبه مِئةً، وأضربُهُ عَلىٰ عُذْره مِئَتين، قَالَ شَاعرهم:

إذَا كَانَ وَجْهُ العُذْر لَيس بِوَاضِحٍ ... فَإنَّ إطرَاحَ العُذْر خَيرٌ مِن العُذْرِ

↔

٣٣٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «أَقَلُّ مَا يَلْزَمُكُمْ للهِ أَلَّا تَسْتَعِينُوا بِنِعَمِهِ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ».

● الْقُدْرَة عَلىٰ الفِعْل هِبَة وَنِعْمَة مِن الله سُبْحَانَه، فَإِذا مَا عَصِيت الله بِهَا فَقد آستَعنت عَلىٰ غَضَبه ومَعْصِيَته بنِعْمَته وَهِبَته.. وَهَذا مُنْتَهىٰ الْغَدْر وَاللُّوم. وَأَحْسب أنَّ المَقصُود بِهَذا الكَلاَم قَبل غَيْره ـ مَن يَتصور نَفْسه بِنعْمَة الله كَبِيراً جَدّاً، وَبَاقي النَّاس كُلّهم تُرَاب، وَأَيضاً مِن يَعْتدي بِقوته عَلىٰ حقُوق النَّاس وَحُرِّيَّتهم... وَكَان الأُولىٰ بِذَاك أَنْ يَتوَاضع، وَبِهذا المُعتدي أَنْ يَخدم عِبَاد الله وَعِياله شُكراً عَلىٰ أَفْضَاله وَإِنْعَامه.

٣٣١ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الطَّاعَةَ غَنِيمَةَ الْأَكْيَاسِ عِنْدَ تَفْرِيطِ الْعَجَزَةِ».

● الْمُرَاد بِالأَكْيَاس الَّذِين يَعْرِفُون فَوائِد الْفُرْصَة، وَيَغْتنمُونها لِعَمل الْخَيْرَات، أَمَّا الْعَجْزَة فَهُم الَّذِين يَهْملُون، وَلاَ يَنْتَهزُون الْفُرْصَة حِين تَمُرُّ وَتَسْنَح، وَالْمَعْنىٰ إنَّ تَقصِير المُقصِّرِين فِي بَعْض الحَالاَت رِبح وَغَنِيمَة لأَصحَاب الهِمَم العَالِية، وَمِثَال ذَلِكَ، أَنْ يَسْتَعِين بِالمُقصر ذُو حَاجة فَيتثَاقل وَيَتقَاعس، فَيُبَادر صَاحِب الهِمّة إِلىٰ قَضَائها، فَيَكون لهُ الثَّناء وَالكَرَامة، وَلاَ شَيء لِلمُقصر إِلَّا اللَّوم وَالنَّدَامة.

٣٣٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «السُّلْطَانُ وَزَعَةُ اللهِ فِي أَرْضِهِ».

⇐ أُنظر، سير أعلام النُّبلاء: ١١/٤٦١، الإِخوَان لابْن أَبي الدُّنيا: ٢٥.

كَانَ النَّخعيّ يَكْرَه أَنْ يُعْتذَر إِلَيْهِ وَيَقول: اسكُت مَعْذُوراً، فَإنَّ المَعَاذِير يَحضُرها الكَذِب.

● الأَلْف وَاللاَّم فِي السُّلْطَان لِلعمُوم، وَلِـذا صَـحَّ الإِخْـبَار عَـنْه بِـالجَمع أَي بِالْوَزَعَة جَمع الوَازع، وَهُو الزَّاجر الرَّادع، وَالْمَعْنىٰ لاَ بُدَّ لِلمُجتَمع مِن سُلطة عَادِلة أَو جَائِرة وَإِلّا آخْتَل النِّظام وَعمَّت الفُوضىٰ. وَقَالَ مِيْثَم: «أَرَاد الإِمَـام السُّـلْطَان العَادل»[1]. وَلاَ يَتفق هٰذا القَول مَع مَا جَاء فِي آلخُطْبَة: «وَإِنَّهُ لاٰ بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ، أَوْ فَاجِرٍ يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيُبَلِّغُ اللهُ فِيهَا الْأَجَلَ، وَ يُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ، حَتَّىٰ يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ»[2].

٣٣٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام فِي صِفَةِ الْمُؤْمِنِ:

«الْمُؤْمِنُ بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ، وَ حُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ. أَوْسَعُ شَيْءٍ صَـدْراً، وَ أَذَلُّ شَـيْءٍ نَفْساً، يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ، وَ يَشْنَأُ السُّمْعَةَ. طَوِيلٌ غَمُّهُ، بَعِيدٌ هَمُّهُ، كَثِيرٌ صَمْتُهُ، مَشْغُولٌ وَقْتُهُ، شَكُورٌ صَبُورٌ. مَغْمُورٌ بِفِكْرَتِهِ، ضَنِينٌ بِخَلَّتِهِ. سَهْلُ الْخَلِيقَةِ، لَيِّنُ الْعَرِيكَةِ؛ نَفْسُهُ أَصْلَبُ مِنَ الصَّلْدِ؛ وَ هُوَ أَذَلُّ مِنَ الْعَبْدِ».

● وَتَقَدَّم الكَلاَم عَن الْمُؤْمِن وَصِفَاته فِي العَدِيد مِن المُنَاسبَات، مِـنْهَا فِي شَرح آلخُطْبَة (١٩٣)، وَآلحِكْمَة (٢٨٩)، وَلِذا نُوجز فِي الشَّرح مَا أَمْكَن.

١ ـ (بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ، وَ حُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ) يَحْمل نَفْسه عَلىٰ الصَّبْر، وَيُروضهَا عَلىٰ آحتمَال المكَاره، وَلاَ يَشكو حَاجته لِغير الله.

٢ ـ (أَوْسَعُ شَيْءٍ صَدْراً) يَعْفُو عَمَّن ظَلمه، وَيُعطِي مَن حَرَمه.

(١) أُنظر، آبن مِيثَم فِي شَرح مِئة كَلِمَة: ١٩٤.

(٢) أُنظر، شَرح النَّهج: آلخُطْبَة (٤٠). (مِنْهُ).

٣ ـ (وَ أَذَلُّ شَيْءٍ نَفْساً) لِلحَقِّ وَالمُسْتَضْعَفِين.

٤ ـ (يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ ، وَ يَشْنَأُ السُّمْعَةَ) لاَ يَعْتَزّ إِلَّا بِالله وَالتَّقْوَىٰ.

٥ ـ (طَوِيلٌ غَمُّهُ) خَوفاً مِن غَضب الله.

٦ ـ (كَثِيرٌ صَمْتُهُ) دَائِم التَّفكِير فِيما عَلَيْهِ مِن وَاجبَات ، وَالقِيَام بِها عَلىٰ الوَجه الأَكمل.

٨ ـ (مَشْغُولٌ وَقْتُهُ) يَعْمل فِي اللَّيْل وَالنَّهار تَمَاماً كما يَعْملان فِيهِ.

٩ ـ (شَكُورٌ صَبُورٌ) شَكُور عِند الرَّخاء ، وَصَبُور عِند البَلاَء.

١٠ ـ (مَغْمُورٌ بِفِكْرَتِهِ) : مِن غَمرَه المَاء إِذا غَطَّاه ، كِنَايَة عَن شُغله فِيما هُو مَسؤول عَنْه أَمَام الله وَالنَّاس.

١١ ـ (ضَنِينٌ بِخَلَّتِهِ) الضَّنِين : البَخِيل ، وَالخِلَّة : الحَاجَة ، أَي لاَ يَظْهر فَقْرَه لِلنَّاس.

١٢ ـ (سَهْلُ الْخَلِيقَةِ ، لَيِّنُ الْعَرِيكَةِ) يَأْلَف وَيُؤلَف ، وَالخَلِيقَة : الطَّبِيعَة ، وَمِثلها العَرِيكَة.

١٣ ـ (نَفْسُهُ أَصْلَبُ) فِي الْحَقِّ (مِنَ الصَّلْدِ) مِن الحَجر الصَّلب ، وَفِي ٱلْخُطْبَة ١٩٣ : «تَرَىٰ لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ ، وَ حَزْماً فِي لِينٍ ، وَ إِيمَاناً فِي يَقِينٍ ».

١٤ ـ (وَ هُوَ أَذَلُّ مِنَ الْعَبْدِ) كِنَايَة عَن خشُوعِهِ وَتوَاضعه.

٣٣٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «لَوْ رَأَىٰ الْعَبْدُ الْأَجَلَ وَ مَصِيرَهُ ، لَأَبْغَضَ الْأَمَلَ وَ غُرُورَهُ ».

● السَّبب الأَوَّل لِلعَمل فِي الحَيَاةِ الدُّنْيا ، وَالاغْتِرَار بِها ، وَالتَّنافس عَلَيْهَا هُو الأَمَل... وَمِن البَدَاهة لَو أَنَّ الإِنْسَان يَعْلم مَتىٰ يَمُوت ، وَمَاذَا يَحدث لهُ بَعد المَوْت ـ

لاَ نَقْطَع مِنْهُ الرَّجَاء وَالأَمَل، وَبِالتَّالِي فَلا عِلم وَلاَ عَمل، وَلاَ تجارة وَشطَارة، وَلا غُرور وَخُداع... فَسُبْحَان الَّذي خَلق كُلّ شَيء فَقَدّره تَقدِيراً[١].

٣٣٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «لِكُلِّ آمْرِئٍ فِي مَالِهِ شَرِيكَانِ: الْوَارِثُ وَ الْحَوَادِثُ».

● كُلّ النَّاس يُحِبُّون المَال وَالثَّرَاء، وَهُم عَلىٰ عِلمِ اليَقِين بِأَنَّ لَهُم فِيهِ شَرِيكِين: الْوَارِث وَالْحوَادِث، أَيضاً الإِمَام يَعْلَم بِأَنَّهم عَلىٰ عِلم وَيَقِين مِن ذٰلِكَ، وَلكنَّه أَرَاد أَنْ يُلفت أَنْظَارهم إِلىٰ الشَّرِيك الثَّالِث، وَهُو السَّائِل وَالمحرُوم[٢].

٣٣٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «الدَّاعِي بِلَا عَمَلٍ كَالرَّامِي بِلَا وَتَرٍ».

● الوَتَر: أَحْد أَجزَاء القَوس، وَلاَ يُصِيب السَّهم بِدونه، وَنسبَة العَمل إِلىٰ آستجَابه الدُّعَاء الَّتي تَماماً كَنِسبَة الوَتَر إِلىٰ السَّهم. وَقَالَ سُبْحَانَه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ

(١) قَالَ آبن أَبي آلحَدِيد فِي شَرح النَّهج: ١٩/٢٥٠، «وَاعَجبا لِصَاحِبِ الأَمَل الطَّوِيل! وَرُبَّما يَكُون كَفَنُه فِي يَد النَّسَاج وَهُو لاَ يَعلم».

(٢) قَالَ آبن أَبي آلحَدِيد فِي شَرح النَّهج: ١٩/٢٥٠، أَخَذه الشَّرِيف الرَّضِيُّ فَقَال:

خُذْ مِن تُرَاثِك مَا آستَطعتَ فَإِنَّمَا ... شُركَاؤك الأَيَّامُ وَالوُرَّاثُ
لَمْ يَقضِ حَقَّ المَالِ إِلاَّ مَعشَرٌ ... نَظَروا الزَّمَانَ يَعِيثُ فِيهِ فَعَاثُوا

أُنظر، دِيوَان الشَّرِيف الرَّضِيّ: ١/١٧٨.

وَقَالَ عليه السلام فِي مَوضعٍ آخَر: «بَشِّرْ مَالَ البَخِيل بِحَادِثٍ أَو وَارِثٍ».

أُنظر، مَطلُوب كُلّ طَالب: ٧، شَرح مِئة كَلِمة لِلبَحراني: ٩٣، شَرح كَلِمَات أَمِير المُؤْمِنِين لعَبدالوهَاب: ١١، عُيُون الحِكَم والمَواعِظ: ١٩٥، آبن أَبي آلحَدِيد فِي شَرح النَّهج: ١٩/٢٥١، المَناقب للخوَارزمي: ٣٧٥، جوَاهر المطَالب فِي مَناقب الإِمَام عَليّ لِابْن الدِّمَشقِي: ٢/١٥٠، يَنابيع المَوَدَّة: ٢/٤١٣.

عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا﴾[1].
وَسَبق الكَلاَم عَن الدُّعَاء مِرَاراً، مِنْهَا فِي شَرح ٱلْحِكْمَة (١٣٥).

٣٣٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «الْعِلْمُ عِلْمَانِ: مَطْبُوعٌ وَ مَسْمُوعٌ، وَ لَا يَنْفَعُ الْمَسْمُوعُ، إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَطْبُوعُ».

● الْعِلْم نَوْعَان: عِلْم بِالطَّبع، وَالوِجدَان، كَعِلم الْإِنْسَان بِأَنَّه يُفكر، وَإِنَّه مَوجُود، وَعِلم بِالْبَحْثِ، وَالنَّظر، كَجَمِيع العلُوم بِشَتىٰ أنوَاعها، وَمِن أَجْلِها تَأَسَّست الجَامِعَات، وَالْمُختبرَات. وَيَقول الْإِمَام: إِنَّ الْبَحْث وَالنَّظر يَذهَب سُدىً إِلّا مَع الغَرِيزَة الْمُدرِكه، وَقُوتها، وَسَلاَمتها... وَهَذا عَين الصَّواب، فَكُلّ الْعُلَمَاء، وَالفَلاَسِفة الكبَار، وَالْمُختَرِعِين، وَأَهْل الفَن الخَالِدِين هُم عَبَاقِرة مُتفوقُون فِي القَابلِية، وَالْإِسْتعدَاد، وَفِي الْعَقْلِ، وَالذَّكَاء.

٣٣٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «صَوَابُ الرَّأْيِ بِالدُّوَلِ يُقْبِلُ بِإِقْبَالِهَا، وَ يَذْهَبُ بِذَهَابِهَا»[2].

● الْمُرَاد بِالدُّوَلِ هُنا الْأَيَّام، وَالْمَعْنَىٰ إِنَّ النَّاس يَكتَشفُون مِن غِنىٰ الْمَرْء إِقبَال الدُّنْيَا عَلَيْهِ، وَمِن فَقْرِه إِدْبَارِها عَنْهُ، وَلَو تَأملُوا قَلِيلاً لْاكتَشفُوا إِقبَال الدُّنْيَا عَلَيْهِ مِن صَواب رَأيه وَبُعد نَظره، وَاكْتَشفُوا إِدْبَارِهَا عِنده مِن جهلِهِ، وَكَثْرة أَخْطَائه، لأَنَّ صَواب الرَّأي، وَحُسن التَّصرف بِلا مَال ـ خَيْر مِن الْحُمْقِ، وَسُوء التَّدبِير مَع

(١) ٱلبَقَرة: ١٨٦.
(٢) وَفِي نُسْخَة أُخرىٰ: «بِإِدْبَارِهَا».

الثَّراء وَالكَثرَة[١].

٣٣٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «الْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ، وَ الشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنَىٰ».

● الْفَقْر دَاعِيَة لِلمَقْتِ، كَمَا قَالَ الإِمَام لِوَلده مُحَمَّد بن الْحَنْفِية فِي ٱلْحِكْمَة السَّابِقَة: «يَا بُنَيَّ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْفَقْرَ، فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْهُ، فَإِنَّ الْفَقْرَ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ، مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْلِ، دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ!»[٢]. وَالْعِفَة دَاعِيَة لِلحُبّ. وَالْحَسَنَات يُذْهِبن السَّيِّئَات ـ وَعَلىٰ الأَقل ـ خَلطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخر سَيِّئاً، أَمَّا الشُّكْر وَالتَّوَاضع مَع الْغِنَىٰ فَخَيْر عَلىٰ خَيْر.

٣٤٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «يَوْمُ الْعَدْلِ عَلَىٰ الظَّالِمِ، أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الْجَوْرِ عَلَىٰ الْمَظْلُومِ».

---

(١) قَالَ ٱبن أَبي ٱلْحَدِيد فِي شَرح النَّهج: ٢٥٤/١٩، قَالَ الصُّوليُّ: اجْتَمع بَنو بَرمَك عِند يَحيىٰ بن خَالد فِي آخر دَوْلَتهم، وَهُم يَوْمَئِذٍ عَشرَة فَأَدارُوا بَيْنَهم الرَّأيَ فِي أَمرٍ فَلَم يَصلُحْ لَهُم، فَقَالَ يَحيىٰ: إِنَّا لله! ذَهَبتْ واللهِ دَولَتُنا! كُنَّا فِي إِقبَالنا يُبرِم الوَاحدُ مِنَّا عَشرَة آرَاء مُشكلة فِي وَقتٍ وَاحد، وَالْيَوْمَ نَحنُ عَشرَة فِي أَمرٍ غَيرِ مُشكل، وَلاَ يَصِحُ لَنَا فِيهِ رَأْي! نَسْأَل الله حُسنَ الْخَاتِمَة.

أَرْسَل الْمَنْصُور لَمَّا هَاضَه أَمرُ إِبْرَاهِيم إِلىٰ عَمِّه عَبدِالله بن عَلِيّ، وَهُو فِي السِّجن يَسْتَشِيره مَا يَصْنَع! وَكَان إِبْرَاهِيمُ قَد ظَهر بِالْبَصْرَة، فَقَالَ عبدالله: أَنَا مَحْبُوس، وَالْمَحْبُوس مَحْبُوس الرَّأْي، قَالَ لَهُ: فَعَلىٰ ذَاكَ؟ قَال يُفرِّق الأَموَال كُلَّها عَلىٰ الرِّجَال وَيلْقَاه، فَإِنْ ظَفِر فَذَاك، وَإِلاَّ يَتوجَّه إِلىٰ أَبِيهِ مُحَمَّد بِجرجَان، وَيَتركه يَقدُم عَلىٰ بُيُوت أَموَال فَارغة، فَهُوَ خَيرٌ لهُ مِن أَنْ تَكُون الدَّبرَة عَلَيْهِ، وَيقدم عَدوّه عَلىٰ بُيُوت أَموَال مَملوَة.

قَالَ سُليمَانُ بن عَبدالملك لِيزِيد بن أَبي مُسْلم صَاحِب شُرْطَة الحَجَّاج يَوْماً: لَعَن اللهُ رَجُلاً أَجرَّك رَسَنه، وَخَرَب لَكَ آخِرته، قَالَ: يَاأَمِير الْمُؤمِنِين، رَأَيتَنِي وَالأَمرُ عَنِيّ مُدبر وَلَو رَأَيتَنِي وَالأَمر عَليَّ مُقْبِل لاِسْتَكْبَرتَ مِني مَا ٱسْتَصْغَرتَ، وَلاِسْتَعْظمتَ مِني مَا ٱسْتَحْقَرتَ.

(٢) أُنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلْحِكْمَة (٣١٩)، مِنْهُ (ﷺ).

● تَقَدَّم فِي ٱلحِكْمَة (٢٤١)[1].

٣٤١ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «الْغِنَىٰ الأَكْبَرُ الْيَأْسُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ».

● مَالَكَ وَلِلتَعرُض لأَوْسَاخ النَّاس، وَطَلب الصَّدقَات؟. أَلَست إِنسَاناً؟. وَكَيف تَصْبر عَلىٰ الهَوَان وَلاَ تَصْبر عَلىٰ العوز؟ أَتقُول: أَنَا فَقِير؟. اكْتَسبْ وَلَو ثَمَن الرَّغِيف مِن أَي عَمَل، فَالْقَنَاعَة بِقوت مَن لاَ يَمُوت مَع الكَرَامة وَالإبَاءِ خيرٌ ألف مَرَّة مِن التَّذَلُل وَالتَّسول، وَالْيَأْس يُغْنِيك عَن المَذَلةِ، وَالخِسةِ، وَالدَّنَاءة. وَهَذا هُو الْغِنَىٰ الأَكْبَر بِشَهادة الإِمَام. وَسَبَق الكَلاَم عَن ذَلِكَ فِي شَرح ٱلحِكْمَة (٥٧)، وَيَأْتي قَول الإِمَام مَرَّة ثَالِثة أَو أَكْثَر: «لاَ كَنْزَ أَغْنَىٰ مِنَ الْقَنَاعَةِ»[2].

٣٤٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «الأَقَاوِيلُ مَحْفُوظَةٌ، وَ السَّرَائِرُ مَبْلُوَّةٌ، وَ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[3]، وَ النَّاسُ مَنْقُوصُونَ مَدْخُولُونَ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ، سَائِلُهُمْ مُتَعَنِّتٌ، وَمُجِيبُهُمْ مُتَكَلِّفٌ، يَكَادُ أَفْضَلُهُمْ رَأْياً يَرُدُّهُ عَنْ فَضْلِ رَأْيِهِ الرِّضَىٰ وَ السُّخْطُ، وَ يَكَادُ أَصْلَبُهُمْ عُوداً تَنْكَؤُهُ اللَّحْظَةُ، وَ تَسْتَحِيلُهُ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ».

● (الأَقَاوِيلُ مَحْفُوظَةٌ): ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[4]، يُسَجل

(١) قَالَ ٱبن أَبي ٱلحَدِيد فِي شَرح النَهج: ٢٥٦/١٩، شَيْئَان مُوَلمان: أَحَدهُما يَنْقَضي سَرِيعاً، وَالآخـر يَدُوم أَبداً، فَلاَ جَرَم، كَان اليَوْمُ المَذْكُور عَلىٰ الظَّالِم، أَشَدّ مِن يَوْم الجَور عَلىٰ المَظْلُوم.

(٢) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٣٧٠).

(٣) ٱلمُدَّثِر: ٣٨.

(٤) سُورَةُ قٓ: ١٨.

لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاء (وَ السَّرَائِرُ مَبْلُوَّةٌ): ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾(١) حَيْث يَتميز الْخَبِيث مِنْهَا مِن الطَّيِّب: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾(٢) أي مَرْهُونة بِعَملها إِنْ خَيْراً فَخَير وَإِنْ شَرّاً فَشرّ (وَ النَّاسُ مَنْقُوصُونَ) أَصَابَهم النَّقص فِي الْعَقْل وَالدِّين (مَدْخُولُونَ) دَخَلْت فِيهِمْ الْعُيُوب وَالرَّذَائِل (سَائِلُهُمْ مُتَعَنِّتٌ) لاَ يَسأل طَلَباً لِلعَمل، بَل لِلمُصَارعة وَالمُلاَكمة.

(مُجِيبُهُمْ مُتَكَلِّفٌ) يَدَّعي مِن الْعِلْم مَا لَيْسَ فيهِ، وَيَتعَرض لمَا لاَ يَعْنِيه (يَكَادُ أَفْضَلُهُمْ رَأْياً يَرُدُّهُ عَنْ فَضْلِ رَأْيِهِ الرِّضَىٰ وَ السُّخْطُ) العَالم فِيهِمْ مُنْحَرف عَن قَصد السَّبِيل يُعطي لِمَن يَرضىٰ عَنْه حَقّ الآخَرين، وَيَبخَس حَقّ مَن غَضِب عَلَيْهِ (وَ يَكَادُ أَصْلَبُهُمْ عُوداً تَنْكَؤُهُ اللَّحْظَةُ، وَ تَسْتَحِيلُهُ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ). نَكَأَ القَرحَة: قَشَرَّها قَبل أَنْ تَبرَأ، وَالْمُرَاد هُنا عَدَم الثَّبَات وَالاِسْتقرَار، وَتَسْتَحِيلُهُ الْكَلِمَةُ: تُغيِّره مِن حَالٍ إِلىٰ حَال، وَالْمَعْنَىٰ إِنَّ أَحْسن مَن فِيهِمْ يَتَقلب مَع أَهْوَائه، أَو خَوفاً مِن النَّاس أي لاَ صَالح فِيهِمْ إِطْلاَقاً.

١٤٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَعَاشِرَ النَّاسِ، ٱتَّقُوا اللهَ، فَكَمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ مَا لَا يَبْلُغُهُ، وَ بَانٍ مَا لَا يَسْكُنُهُ، وَ جَامِعٍ مَا سَوْفَ يَتْرُكُهُ، وَ لَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ، وَ مِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ، أَصَابَهُ حَرَاماً، وَ ٱحْتَمَلَ بِهِ آثاماً، فَبَاءَ بِوِزْرِهِ، وَ قَدِمَ عَلَىٰ رَبِّهِ آسِفاً لَاهِفاً، قَدْ: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَ ٱلْأٓخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾(٣).

---

(١) ٱلطَّارِق: ٩.
(٢) ٱلْمُدَّثِّر: ٣٨.
(٣) ٱلْحَجّ: ١١.

● كُلُّ مَا جَاء فِي هَذِه ٱلحِكْمَة تكَرَّر مَرَّات بِلَفظه أَو بمِعنَاه، وَيتلخص بِأَنَّ أَكْثَر آمَال الإِنْسَان فِي هَذِه الْحيَاة أَوْهَام وَسرَاب، وَأيضاً هُو يُكَافح وَيَبني وَيَجمع مِن حِلٍ وَحَرَام، ثُمَّ يَذْهَب إِلىٰ رَبّه لاَ مَالَ حَمل، وَلاَ بنَاء نَقل... تَارِكاً كُلّ شَيء، فَالمَهْنَأ لِغَيره، وَالعِبء عَلىٰ ظَهْره (أُنظر، ٱلخُطْبَة (١٠٩ و ١١٤)، وَٱلحِكْمَة (١٩١).

٣٤٤ ـ وَ قَالَ ﷺ: «مِنَ الْعِصْمَةِ تَعَذُّرُ الْمَعَاصِي».

● أَبَداً لاَ فَرْق مِن حَيْث عَدم المُؤَاخَذة وَالْعِقَاب بَيْنَ مَن تَرَك القَبِيح وَالحَرَام عَجزاً عَنْه مَع الرَّغبَة فِيهِ، وَبَيْنَ مَن تَركه تَنَزُّهاً عَنْه، وَهُو قَادر عَلَيْهِ. وَلَكنْ لِهَذا ثَواب الطَّاعَة دُونَ ذَاكَ.

٣٤٥ ـ وَ قَالَ ﷺ: «مَاءُ وَجْهِكَ جَامِدٌ، يُقْطِرُهُ السُّؤَالُ، فَانْظُرْ عِنْدَ مَنْ تُقْطِرُهُ».

● الْمُرَاد بِمَاء الوَجْه هُنا الْكَرَامَة، أي ٱحفظ عَلَيْكَ كَرَامتُك بِالكَّف عَن السُّؤَال وَطَلَب الْعَون إِلَّا مِن الله سُبْحَانَه.. فَإِنْ أَحوَجكَ الدَّهر إِلىٰ مَخلُوق فَاسأَل أَهْل المُروءَات وَالنَّجدَة، وَإِيَّاك وَسُؤَال اللَّئِيم فإِنَّه لاَ يَتعَامل إِلاّ عَلىٰ أَسَاس الرَّغْبَة وَالرَّهْبَة[1].

(١) تُنسَب هَذِه الأَبيَات إِلىٰ أَبِي الحَسن النُّعِيمي البَصْرِي، الَّذي سَكَن بَغْدَاد. وَكَان حَافِظاً، عَارِفاً، مُتَكلِماً، شَاعِراً، دَرَس شَيْئاً مِن فَقهِ الشَّافعي، وَقَد أَخَذ الشَّاعر هَذِه ٱلحِكْمَة وَقَال:

إِذَا أَظْمَأَتك أَكُفُّ اللِّئَامِ ... كَفَتْك الْقَنَاعةُ شِبْعاً وَرِيّا
فَكُنْ رَجُلاً رِجْلُه فِي الثَّرىٰ ... وَهَامَةُ هِمَّته فِي الثُّرَيَّا
فَإِنَّ إِرَاقَة مَاءِ الْحَيَا ... ةِ دُون إِرَاقَةِ مَاءِ المُحَيَّا

٣٤٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «الثَّنَاءُ بِأَكْثَرَ مِنَ الاِسْتِحْقَاقِ مَلَقٌ ، وَ التَّقْصِيرُ عَنِ الاِسْتِحْقَاقِ عِيٌّ أَوْ حَسَدٌ » .

● المُرَاد بِالمَلَق هُنا الرِّيَاء ، وَالعِيّ : الْعجْز عَن الكَلَام ، وَالْمَعْنىٰ لاَ تخْرُج فِي المَدِيح عَن حَدّ الاِعْتدَال ، لأنَّك إِنْ أَسْرَفت فِيهِ فَأنتَ مُراءٍ ، وَإِنْ قَصَّرْت فَأنتَ عَاجِز عَن الإِفْصَاح ، أَو إِنَّ الْحَسَد قَد أَكَل قَلْبك ، وَأَخْرَس نُطْقك .

٣٤٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اَسْتَهَانَ بِهِ صَاحِبُهُ » .

● كُلّنا يَذْنِب وَيُخطىء ، وَمَن اَدْعىٰ غَيْر ذَلِكَ فَقَد أَقَام الدَّلِيل مِن نَفْسه عَلىٰ ذَنْبِهِ وَخَطَئه ، وَمَن اَقْتَرف ذَنْباً وَقَالَ : هَذَا هَيِّن وَبَسِيط فَقَد أَضَاف ذَنْباً إِلىٰ ذَنْب . وَالْمُؤْمِن الْحَقّ يخَاف مِن ذَنْبِهِ ، وَيَطلب الصَّفح مِن رَبّه .

٣٤٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اَشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ ، وَ مَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَىٰ مَا فَاتَهُ ، وَ مَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ ، وَ مَنْ كَابَدَ الْأُمُورَ عَطِبَ ، وَ مَنِ اَقْتَحَمَ اللُّجَجَ غَرِقَ ، وَ مَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ اَتُّهِمَ ، وَ مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ خَطَؤُهُ ، وَ مَنْ كَثُرَ خَطَؤُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ ، وَ مَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ ، وَ مَنْ قَلَّ وَرَعُهُ

⇔ وَقَال شَاعِر آخر :

رَدَدتَ لِي مَاءَ وَجْهي فِي صَفِيحَتِه	رَدَّ الصِّقال بَهاءَ الصَّارِم الجَذِمِ
وَمَا أُبالي وَخَيرُ القَول أَصْدَقه	حَقَنت لِي مَاءَ وَجْهي أو حَقَنْتَ دَمِيَ

أُنظر ، سير أَعْلَام النُّبلَاء : ١٧/٤٤٧ ، تبيين كَذب المُفتَري : ٥/٢٥١ ، تَأريخ بَغْدَاد : ١١/٣٣٠ ، طَبقَات السُّبكي : ٥/٣٣٨ ، النّجُوم الزَّاهِرة : ٤/٣٩٦ ، لِسَان المِيزَان : ٤/٢٠٣ ، الأَنْسَاب لِلسَّمعَاني : ٥/٥١١ ، البِدَاية وَالنّهاية : ١٢/٤٢ ، اَبن أَبي اَلحَدِيد فِي شَرح النَّهج : ١٩/٢٦١ .

مَاتَ قَلْبُهُ، وَ مَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ، وَ مَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ غَيْرِهِ[١] فَأَنْكَرَهَا ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ فَذَلِكَ الْأَحْمَقُ بِعَيْنِهِ.

وَ الْقَنَاعَةُ مَالٌ لاَ يَنْفَدُ، وَ مَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ، وَ مَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلاَمَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلاَمُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ».

● مَن عَرَف نَفْسه وَعِيوبهَا، وَحَاول التَّخلُص مِنْهَا ـ يَسْتَحِيل فِي حَقّه أَنْ يَذكر عِيُوب غَيْره، وَيُعيّره بِمَا هُو فِيهِ، وَمَن تَنَازل عَن الطَّمع وَالشَّرَه فَقَد أَرَاح نَفْسه مِن الهمُوم وَالمتَاعِب، وَوَقاهَا شَرّ الرَّذَائل وَالمآثِم، أَمَّا الظَّالم فَلَه يَوْم وَلَو بَعد حِين، وَمَن أَثَار الْفِتَن وَالشَّغب وَالحرُوب ـ أَحْرَقته بِنَارها، وَمَن وَضَع نَفْسه مَواضع التُّهمة فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاّ نَفْسه.

(وَ مَنْ كثُرَ كَلاَمُهُ كثُرَ خَطَؤُهُ) سَبَب الْخَطَأ الْحرَكة، وَمَن لاَ يَقول وَلاَ يَفْعَل لاَ يُخْطىء بَطَبِيعَة الحَال، وَمَعْنَىٰ هَذَا إِنَّ كَثْرَة الخَطأ فِي الكَلاَم تُقَاس بِكَثْرَة دَورَان اللِّسَان وَثَرثَرته، وَإِنَّ كَثْرَة الخَطأ فِي الأَفْعَال تُقَاس بِكَثْرَة الحرَكَات وَالْاِنْدفَاعَات بِلا وَعِيٍّ (وَ مَنْ كثُرَ خَطَؤُهُ) اَعتَاد عَلَيْهِ، وَصَار لهُ طَبِيعَة ثَانِيَة، وَمَن كَان كذَلِكَ (قَلَّ حَيَاؤُهُ) حَيْث لاَ ضَمِير يُحَاسبه عَلىٰ شَيء (وَ مَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ) لأَنَّ الْحيَاء مِن الْإِيمَان، وَلاَ إِيمَان لِمَن لاَ حَيَاءَ لهُ، وَالْعَكس بِالعَكس[٢] (وَ مَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ

(١) فِي نُسْخَة أُخرىٰ: النَّاس.

(٢) مَأخُوذ مِن الْحَدِيث الوَارد عَن النَّبي ﷺ: «الْحَيَاء مِن الإِيمَان، وَلاَ إِيمَان لِمَن لاَ حَيَاء لهُ». اُنظر، الأَحكام لِلإِمَام يَحيىٰ اَبن الحُسين: ١/٣٤٧، الكَافِي: ٢/١٠٦ ح ٥ و: ٥/٣١٧ ح ٥٢، وَسَائِل الشِّيعة: ٥/٥٣ ح ٢، مكَارِم الأَخلاق لِابْن أَبِي الدُّنْيَا: ٤٢ ح ١٠١، الْعُهود الْمُحَمَّدِية: ٤٦، كَشف الخَفَاء: ٢/٣٧٥ ح ٣١٢٨، شَرح نَهْج الْبَلاَغَة لِابْن أَبِي الْحَدِيد: ١٩/٤٧.

قَلْبُهُ) . مَن لاَ يَتوَرع عَن شَيء لاَ يَشعر بِالْمسؤولِيَة ، وَهَذا هُو مَوْت القَلْب بِالذَّات .

وَبَعد ، فَقَد عَلّمتنا التَّجرُبة إنَّ الَّذِين يَتكلمُون كَثِيراً لاَ يَفْعلُون شَيْئاً ، وَإِنَّه حَيْث يُوجد الضَّعف وَالفرَاغ تُوجد الثَّرثَرة وَالكَلاَم الفَارِغ ، وَمَن أَرَاد شَاهِداً عَلىٰ ذَلِكَ فَلْيَستَمع إِلىٰ قَادَة الْعَرَب وَأَقْوَاهم وَإِذاعَاتهم ، وَمَا يَقولُون وَيُقررُون فِي المُؤتمرَات ، وَالحَفلاَت .

(وَ مَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ) حَيْث لاَ وَازع لهُ ، وَلاَ رَادع عَن الأَسوَاء وَالأَوبَاوء (وَ مَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ غَيْرِهِ) . مَن فَعَل مَا يُنْكِره عَلىٰ غَيْرِه فَقَد أَقَام الدَّلِيل مِن نَفْسهِ عَلىٰ أنَّه مُجرِم . وَهَذا هُو الجنُون بِعينهِ (وَ الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ) تَقَدَّم بِالحَرف الوَاحد فِي الْحِكْمَة (٥٧) ، وَتَكرَّر فِي الْحِكْمَة (٢٨٩ و ٣٤٨) وَغَيْرها (وَ مَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ) لأنَّ ذِكْره يُميت بَجاسة السَّمع ، وَكُلّ مَا يُدرَك بِإِحدىٰ الحَوَاس الخَمس فَهُو مَادة حَتّىٰ النُّور ، وَإِذْن فَلاَ فَرق بَيْنَ الكَلاَم وبَيْنَ سَائِر الأَعْمَال مِن حَيْث نِسْبَتها إِلىٰ الفَاعِل ، وَمِن حَيْث الثَّوَاب والْعِقَاب . وَقَالَ كَاتِب وَعَالِم فَرنسِي : «إنَّ أُسلُوب الإِنْسَان هُو الإِنْسَان»[1] . (إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ) أي يَنْفَعه كَمَا أنَّه لاَ يَعْمَل إلاّ مَا يَعُود عَلَيْهِ بِالْخَيْر وَالصَّلاح . وَكُل ذَلِكَ تَقَدَّم أَكْثَر مِن مَرَّة .

٣٤٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «لِلظَّالِمِ مِنَ الرِّجَالِ ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ :

(١) أُنظر ، مُحاوَلة فِي تَأرِيخ العَرب قَبل الإِسلام لِلكَاتب الفَرنسي : آرمَان بِيير كُوسَان دِي بِرسفال.
(Essair sar 1_histohre des Arabes auant 1_Islamisme)
(Armand Pierre Caussin deperceval).

يَظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَ مَنْ دُونَهُ بِالْغَلَبَةِ، وَ يُظَاهِرُ الْقَوْمَ الظَّلَمَةَ».

● الظُّلم: وَضع الشَّيء فِي غَيْر مَوْضِعه مَادياً كَان أَم مَعْنَوياً، وَلاَ يَخْتَص بِالضَّرب وَالسَّلب، وَمِن هُنا صَحَّ إِطْلاَق كَلِمة الظَّالم عَلىٰ مَا خَالف، وَٱعتَدىٰ، وَٱفْتَرىٰ، فَمَن عَصىٰ الخَالق، أَو نَسَبَ إِلىٰ المَخْلُوق قَولاً، أَو فِعلاً بِغَير عِلمٍ، أَو حَقَّر مُحْتَرماً، أَو قَسَا عَلىٰ ضَعِيف فَهُو ظَالم. وَالعَادل المُلْتَزم يَحْتَرم مَن فَوقه، وَيَرحم مَن دُونه، وَيتعَاون مَع نَظِيره عَلىٰ الخَيْر، أَمَّا الظَّالم المُسْتَهتر فَيَحْتَقر مَن فَوقه، وَيَقسُو عَلىٰ مَن دُونه... وَلكنَّه يَتْعَاون مَعَ ظَالم عَلىٰ شَاكِلته لِلقَاسم المُشترك بَيْنَ الاثْنَيْن، وَهُو الإِثْم وَالعُدْوَان.

٣٥٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «عِنْدَ تَنَاهِي الشِّدَّةِ تَكُونُ الْفَرْجَةُ، وَ عِنْدَ تَضَايُقِ حَلَقِ الْبَلاَءِ يَكُونُ الرَّخَاءُ».

● وَقَالَ سُبْحَانَه: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[1].

وَقَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وآله: «أَضْيَق الأَمْر أَدْنَاه مِن الفَرَج»[2] وَالْغَرض مِن هَذِه الإِطلاَقَات أَنْ لاَ نَيأَس عِند الشِّدَّة، وَنَجْتَهد فِي السَّعي مَع التَّوكل عَلىٰ الله وَالإِعْتصام بِهِ... هَذا، إِلىٰ أَنَّ الفَرَج يَأتي ـ فِي الغَالب ـ بَعد الشِّدَّة، كَما هُو المُشاهد، وَلِذَا قِيل: «تَضايَقِي تَنفَرجِي»[3].

(١) ٱلشَّرح: ٥.
(٢) أنظر، عَوالي اللَّئالي: ١/٢٩١ ح ١٦١، بحَار الأَنوَار: ٧٤/١٥٦ ح ٢.
(٣) أُنظر، الفَرج بَعد الشِّدة: ١/٣٧، المُجتَبىٰ مِن دُعَاء المُجْتَبىٰ لِابن طَاووس: ٤٩، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابن أَبي ٱلحَدِيد: ١٩/٢٦٧.

٣٥١ ـ وَ قَالَ عليه السلام لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ : «لَا تَجْعَلَنَّ أَكْثَرَ شُغُلِكَ بِأَهْلِكَ ، وَ وَلَدِكَ ، فَإِنْ يَكُنْ أَهْلُكَ ، وَ وَلَدُكَ أَوْلِيَاءَ اللهِ فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَوْلِيَاءَهُ ، وَ إِنْ يَكُونُوا أَعْدَاءَ اللهِ فَمَا هَمُّكَ ، وَ شُغُلُكَ بِأَعْدَاءِ اللهِ » .

● الْاهْتِمام بِالوَلَد غَرِيزَة فِي الإِنْسَان وَالْحَيَوان عَلىٰ السَّواء... حَتَّىٰ نُوح نَادَىٰ رَبَّهُ حِينَ خَاف الغَرق عَلىٰ ابنهِ ، وَقَالَ : ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[1] ، بَل يُحرم شَرعاً التَّقْصِير فِي السَّعي مِن أَجل الأَهْل وَالوَلد ، وَلِذا نَهىٰ الإِمَام عَن كَثْرَة الشّغل لاَ عَن أَصْله ، أَمَّا قَوْلَه : (فَإِنْ يَكُنْ أَهْلُكَ ، وَ وَلَدُكَ أَوْلِيَاءَ اللهِ فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَوْلِيَاءَهُ... إلخ) . فَمعنَاه اعمَل مَا يَجب عَلَيْكَ لِلعِيال وَالأَطْفَال ، وَدَع الأَمْر فِيما زَاد عَلىٰ الوجُوب إِلىٰ الحَكِيم المُدبر .

٣٥٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «أَكْبَرُ الْعَيْبِ أَنْ تَعِيبَ مَا فِيكَ مِثْلُهُ » .

● لاَ وَاحد مِنَّا إِلّا وَفِيهِ عَيب... وَإِنْ كَان لهُ شَبه الْعُذر فِي عَيبه لِلآخرين بِمَا لَيْسَ فِيهِ فَأي عُذر فِي عَيبٍ مَا فِيهِ مِثْله أَو أَكْثَر ؟ وَلاَ أعْرف أَحداً أَحَقّ بِاللَّوم مِن هَذا . وَتَقَدَّم مِرَاراً .

٣٥٣ ـ وَ هَنَّأَ بِحَضْرَتِهِ رَجُلٌ رَجُلًا بِغُلَامٍ وُلِدَ لَهُ فَقَالَ لَهُ : «لِيَهْنِئْكَ الْفَارِسُ ! فَقَالَ عليه السلام : لَا تَقُلْ ذَلِكَ ، وَ لَكِنْ قُلْ : شَكَرْتَ الْوَاهِبَ ، وَ بُورِكَ لَكَ فِي الْمَوْهُوبِ ، وَ بَلَغَ أَشُدَّهُ ، وَ رُزِقْتَ بِرَّهُ » .

---

(١) هُود : ٤٥.

● بَلَغَ أَشُدَّهُ أَي صَار رَجُلاً، وَرُزِقْتَ بِرَّهُ أَي طَاعته، وَحُسن مُعَامِلته، وَهَذا تَعلِيم وَإِرْشَاد إِلىٰ خُلق الإِسْلاَم وَآدابه، وَقَالَ ٱبن أَبِي ٱلحَـدِيد: هَـذِهِ الكَـلِمَة ـ لِيَهْنِئْكَ الْفَارِسُ ـ كَانَتْ مِن شِعَار الجَاهِلِيَّة، فَنُهِيَ عَنْهَا ـ الإِمَام ـ كَمَا نُهِيَ عَن تَحِيَّة الجَاهِلِيَّة: «أَبَيْتَ اللَّعن»، وَجُعِلَ عِوَضها «سَلاَمٌ عَلَيكُم»[1].

٣٥٤ ـ وَ بَنَىٰ رَجُلٌ مِنْ عُمَّالِهِ بِنَاءً فَخْماً فَقَالَ ﷺ:
«أَطْلَعَتِ الْوَرِقُ رُءُوسَهَا؛ إِنَّ الْبِنَاءَ يَصِفُ لَكَ الْغِنَىٰ».

● الْوَرِق ـ بِفَتح الوَاو، وَكَسر الرَّاء ـ الْفِضَة أَو الدَّرَاهم، وَالْمُرَاد بِهَا هُنا الْغِنَىٰ لِقَوْلَه: (إِنَّ الْبِنَاءَ يَصِفُ لَكَ الْغِنَىٰ) بَل أَبْلَغ وَاصفٍ، وَأَقْوىٰ دَلِيل عَلَيْهِ، وَكُلّ مَن يَرىٰ بِنَاءً فَخْماً، يَقول: صَاحِبه مِن الأَغْنِيَاء... وَيُومىء قَول الإِمَام إِلىٰ أَنَّ غِـنىٰ العَامِل كَان عَلىٰ حِسَاب المُسْتَضْعَفِين.

٣٥٥ ـ وَ قِيلَ لَهُ ﷺ: «لَوْ سُدَّ عَلَىٰ رَجُلٍ بَابُ بَيْتٍ[2]، وَ تُرِكَ فِيهِ، مِنْ أَيْنَ كَانَ يَأْتِيهِ رِزْقُهُ؟ فَقَالَ ﷺ: مِنْ حَيْثُ يَأْتِيهِ أَجَلُهُ».

● كُلّ حَي يَحْمل مَعه سَبب مَوته أَينَما كَان وَيَكُون، وَلاَ يَحمل الغذَاء الَّذي فِيهِ قِوَامه فَكَيف صَحَّ قِيَاس ذَاكَ عَلىٰ هَذا؟. الجَوَاب: يُرِيد الإِمَام أَنَّ الأَجَل وَالْمَوْت يَقع مِن حَيْث لاَ نَعْلَم، وَكَذلِكَ الرِّزْق قَد يَأتِي مِن حَيْث لاَ تَحْتَسب، فَإِذا أَرَاد الله بَقَاء المَسْجُون فِي قَيد الحَيَاة ـ هَيأ لَهُ أَسْبَاب الرِّزْق مِن كُلِّ طَرِيق وَلَو كَـان غَـيْر

(١) أنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلحَدِيد: ١٩/ ٢٧٠.
(٢) في نسخة أُخرىٰ: بَابُ بَيْتِهِ.

مَألُوف وَلاَ مَعْرُوف، وَكَنُزُول مَائِدَة مِن ٱلسَّمَاء... إنَّه عَلىٰ كُلّ شَيء قَدِير: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

٣٥٦ ـ وَ عَزَّىٰ قَوْماً عَنْ مَيِّتٍ مَاتَ لَهُمْ فَقَالَ عليه السلام:
«إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَيْسَ لَكُمْ بَدَأَ، وَ لَا إِلَيْكُمُ ٱنْتَهَىٰ، وَ قَدْ كَانَ صَاحِبُكُمْ هَذَا يُسَافِرُ؟ فَقَالُوا: نَعَم؛ قَالَ: فَعُدُّوهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ[2]، فَإِنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ وَ إِلَّا قَدِمْتُمْ عَلَيْهِ».

● الْمُرَاد بِالْأَمْر هُنا الْمَوْت لَيْسَ الْمَوْت بِالشَّيء الغَرِيب الجَدِيد، فَقَد كَانَ قَبْلكُم، وَيَبقىٰ بَعْدكُم، وَإِذا لَم يَعد هَذَا الْمَيِّت فَأَنْتُم عَلَيْهِ قَادِمُون لاَ محَالَةَ.

٣٥٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ، لِيَرَكُمُ اللهُ مِنَ النِّعْمَةِ، وَجِلِينَ، كَمَا يَرَاكُمْ مِنَ النِّقْمَةِ فَرِقِينَ. إِنَّهُ مَنْ وُسِّعَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ، فَلَمْ يَرَ ذَٰلِكَ ٱسْتِدْرَاجاً، فَقَدْ أَمِنَ مَخُوفاً، وَ مَنْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ، فَلَمْ يَرَ ذَٰلِكَ ٱخْتِبَاراً، فَقَدْ ضَيَّعَ مَأْمُولًا».

● وَجِلِين وَفَرِقِين أَي خَائِفِين، وَالْمُرَاد بِالْمَأمُول هُنا الْأَجْر وَالثَّوَاب، والْمَعْنَىٰ إنْ كُنْتُم فِي نِعْمَةٍ فَٱحذَروا أَنْ تَزول عَنْكُم مِن حَيْث لاَ تَعلمُون، وَقُولوا فِي أَنْفسكُم: بِمَا كَانَتْ هَذِه النِّعْمَة عَارِية لِمُجَرد الإِمْلاَء وَالإِمْهَال، وَمَن أَمِن الْمخبآت فَقَد أَمِن الغَوَائل، وَأيضاً مَن كَان فِي شِدَّةٍ، وَنَكبةٍ فَعَلَيهِ أَنْ يَنظُر إِلَيْها كَٱمْتِحَان مِن الله: هَل

---

(١) آلِ عِمْرَانَ: ٣٧.
(٢) فِي نُسْخَة أُخرىٰ: وَقَدْ كَانَ صَاحِبُكُمْ هَذَا يُسَافِرُ فَعُدُّوهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ.

يَصْبِر أَو يَكفر ؟ وَمَن كَان كذَلِكَ التَزَم بِحدُود الله وَقيُوده ، وَمَن جَهل أَو تجَاهل هَذا الاِمْتِحَان فَلا يُؤجر عَلىٰ بَلاَءٍ وَمُصَاب .

٣٥٨ ـ وَ قَالَ ﷺ : «يَا أَسْرَىٰ الرَّغْبَةِ ، أَقْصِرُوا ، فَإِنَّ الْمُعَرِّجَ عَلَىٰ الدُّنْيَا لَا يَرُوعُهُ مِنْهَا إِلَّا صَرِيفُ أَنْيَابِ الْحِدْثَانِ ، أَيُّهَا النَّاسُ ؛ تَوَلَّوْا مِنْ أَنْفُسِكُمْ تَأْدِيبَهَا ، وَ اعْدِلُوا بِهَا عَنْ ضَرَاوَةِ عَادَاتِهَا» .

● أَقْصِرُوا : كُفُوا ، وَالْمُعَرِّج : المَائِل ، وَالحِدْثَان ـ بِكَسر الحَاء ـ الْمَصَائِب ، وَالصَّرِيف : صَوت الأَسْنَان ، وَالضَّرَاوَة : الاِنْدفَاع . وَالْمَعْنَىٰ تَحرَرُوا مِن الأَهوَاء ، وَلاَ تَثِقُوا بِالدُّنْيَا : وَاحْذَرُوا كَآبَة المُنْقَلب ، وَاملكُوا أَنْفسكُم ، وَارْدَعُوها عَن قَبِيح العَادَات وَالتَّقالِيد . . . وَتكَرَّرت هَذِه الوَصَايا مَرَّات . وَالمُهم أَنْ نَعرف سَبِيل التَّوازن وَالاِعتدَال بَيْنَ الْهَوَىٰ وَالمَصلَحة . . . وَعَلىٰ أَيَّة حَال فَإِنَّ لِلوَعي أَثـَره فِي حِفظ التَّوازن ، وَالمَقصُود مِن الوَصَايا وَالموَاعظ التَّوعِية وَالتَّذكِير .

٣٥٩ ـ وَ قَالَ ﷺ : «لَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَحَدٍ سُوءاً وَ أَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلًا» .

● لاَ تَتَهم أَحداً بِسُوء مَا دَام لِكُلِّ ظَاهر بَاطن ، فَإذاكَان ظَاهر الكَلاَم أَو الفِعْل حَسَناً أَو لاَ قَبح فِيهِ فَخُذ بِهِ اعتَمد عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَثْبُت العَكس ، وَإنْ كَان سَيِّئاً فَاحْجِم وَلاَ تَأخذ بِهذا الظَّاهر ، فَرُبَما كَان الوَاقع عَلىٰ خِلاَفِهِ إلاّ إِذْ انْكَشف كَالشَّمس ، وَلاَ سَبِيل لِلتَّأويل . وَتَقدَّم الكَلاَم عَن ذَلِكَ فِي الْحِكْمَة (١١٤)[١] .

(١) يُنْسَب هَذَا الشِّعر إلىٰ (سَالِم) مُسْلِم بن وَابصَة :

٣٦٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ حَاجَةٌ فَابْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّلَاةِ عَلَىٰ رَسُولِهِ صلى الله عليه وآله ، ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ ؛ فَإِنَّ اللهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ ، فَيَقْضِيَ إِحْدَاهُمَا وَ يَمْنَعَ الْأُخْرَىٰ » .

● مَعْنَىٰ صَلَاة الله عَلَىٰ نَبيِّه الكَرِيم أَنْ يَرفَعه إِلىٰ الدَّرجَة العُليا فَوق الْأَنْبِيَاء وَالمَلَائِكَة ، وَلاَ شَكَّ أَنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله فِي هَذِه الدَّرجَة صَلينَا عَلَيْهِ أَم لَمْ نُصلِ ، وَالغَرض مِن صَلاتنا عَلَيْهِ وَدُعائنا لهُ بِعلو المَنْزِلة عِند الله هُو مُجَرد الشُّكْر لِفَضلِهِ عَلينا بِالهدَاية ، وَلِتَعظِيم ذِكره تَمَاماً كَمَا نَعبد الله شُكراً وَتَعظِيماً ، وَهُو غَني عَن العَالمِين .

وَيَقول الإِمَام : صَلِّ عَلىٰ النَّبِيّ ، ثُمَّ سَل حَاجَتك مِن الله ، فَإِنَّ الصَّلَاة عَلىٰ نَبيِّهِ مَحْبُوبَة لهُ تَعَالىٰ : وَأَمرنَا بِهَا فِي الآيَة : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[1] . وهَذِه الصَّلَاة خَيْر لِقَضاء الحَاجَات ، لأَنَّ الله ـ كَمَا أَشرنا ـ يُحِبها ، وَمِن أَجْلها يُحبّ مَا يَتْبَعها وَيَقترن بِهَا ، وَلاَ مَعْنَىٰ لِحُبِّه حَاجَاتنا إِلّا قَضَاؤها وَلَو بَعد حِين ، أَو يُعوضنا عَنْهَا مَا هُو خَيْر وَأَبقىٰ .

٣٦١ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «مَنْ ضَنَّ بِعِرْضِهِ فَلْيَدَعِ الْمِرَاءَ » .

● ضَنَّ : بَخَلَ ، وَالعِرْض ـ بِكَسر الْعَيْن وَسكُون الرَّاء ـ مَا يصُونه الْإِنْسَان مِن نَفْسِهِ ، يُقَال : هُو نَقِي العِرْض أي لاَ شَيء فِيهِ يُوجب الذَّم ، وَالْمُرَاد بِالْمِرَاءِ هُنا

⇐ إِذَا مَا أَتَتْ مِن صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالاً لِزَلَّتِهِ عُذْراً

أُنظر ، أَمَالي القَالي : ٢/٢٢٤ ، أُنظر ، شَرح نَهْج ٱلبَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلحَدِيد : ٨/٢٦٢ و : ١٩/٢٧٨ ، كَنز الفوَائِد : ٣٤ ، نَهْج السَّعَادة : ٧/٤١٥ .

(١) ٱلْأَحْزَاب : ٥٦ .

الخُصُومَة وَالمَلاَحَاة، وَالْمَعْنَىٰ وَاضح: لاَ تُخَاصم النَّاس إنْ كُنت حَرِيصاً عَلىٰ حُسن السُّمعة وَالسِّيرَة، فَإنَّ الخُصُومَة تُظهر الْعُيُوب. وَتَقَدَّم الكَلاَم عَـن الخُـصُومَة فِي ٱلحِكْمَة (٣ و ٢٩٨)[١].

٣٦٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مِنَ الْخُرْقِ الْمُعَاجَلَةُ قَبْلَ الإِمْكَانِ، وَ الأَنَاةُ بَعْدَ الْفُرْصَةِ».

● الْخُرْق ـ بِضَم الخَـاء، وَسكُون الرَّاء ـ الحُـمْق، وَالْمَـعْنَىٰ: الأُمُـور مَـرْهُونة بِأوقَاتها[٢]، فَمَن تَعجّلها قَبل الأَوَان، أَو تَوانىٰ حِين تَسْنح الْفُرْصَة فَهُو أَحْمَق. وَقَالَ حَكِيم خَبِير: «الإِنْسَان النَّاجح هُو الَّذي يَعْرِف كَيف يَنْتَهز الْفُرْصَة حِين تَمُرُّ، وَإذا ذَهَبت فَمِن الصَّعب أَنْ تَعُود».

٣٦٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «لَا تَسْأَلْ عَمَّا لَمْ يَكُنْ، فَفِي الَّذِي قَدْ كَانَ لَكَ شُغُلٌ».

● دَع مَا لاَ تَقدَر عَلَيْهِ إلىٰ مَا تَقدَر عَلَيْهِ، وَمَن تَكَلف يَعْجز عَنه فَاته مَا يَقدَر عَيَليْهِ، وَخَسِر الأَمرين مَعاً.

---

(١) قِيلَ لِمِيمُون بن مِهْرَان: مَالَكَ لاَ تُفَارِقُ أَخاً لَكَ عَن قِلىً؟ قَالَ: لأَنِّي لاَ أُشارِيه، وَلاَ أُمارِيه، وَكَانَ يُقَال: مَا ضَلَّ قَومٌ بَعدَ إذْ هَدَاهُم الله تَعَالىٰ إلاَّ بِالْمِرَاءِ وَالإِصْرَار فِي الجِدَال عَلىٰ نُصْرَة البَاطِل.

وَقَالَ سُفيان الثَّوْري: إذَا رَأَيتُم الرَّجُل لَجُوجاً مُمَارِياً مُعْجباً بِنَفْسِهِ فَقد تَمَّتْ خَسَارَتُه.

أُنظر، شَرح النَّهج لِابن أَبِي ٱلحَدِيد: ١٠/١٣٩ و: ١٩/٢٨٠، فَيض القَـدِير شَرح الجَـامع الصَّـغِير: ٢/٧٣٠، تَأرِيخ دِمشق: ١٠/٥٠٢ و: ١٤/٤٢٢ و: ١٦/٣١٢، أَبن العَدِيم: ٧/٣١٨٩، سِير أَعْلاَم النُّبلاَء: ٤/٣٨٤، تَهذِيب الكَمَال: ١٨/٥٤٤.

(٢) أُنظر، إيضَاح الفوَائِد: ١/٧، شَرح أُصول الكَافِي: ٦/٣١٠، كتَاب الْغَيْبَة لِـلنُّعماني: ٩، عـوَالي اللّـئالي: ٢/٢٩٣.

٣٦٤ ـ وَ قَالَ ﷺ : «الْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ ، وَ الِاعْتِبَارُ مُنْذِرٌ نَاصِحٌ ، وَكَفَىٰ أَدَباً لِنَفْسِكَ تَجَنُّبُكَ مَاكَرِهْتَهُ لِغَيْرِكَ».

● الْمُرَاد بِالْفِكْرِ الْعَقْل السَّلِيم الَّذي يَنْتَقل بِالْإِنْسَانِ مِن مَعْلُومٍ إِلىٰ مَجْهُولٍ ، مِن شَاهِدٍ إِلىٰ غَائِبٍ ، كَالْعِلْم بِالتَّناسق وَالْإِنْسجَام العَجِيب بَيْنَ قَوَانِين الكُون ، فَإِنَّه يَنقلنا إِلىٰ الْعِلْم بِوجُود المكُوِّن ، وَتَقدَّم فِي ٱلْحِكْمَة : «وَلَا يَغُشُّ الْعَقْلُ مَنِ ٱسْتَنْصَحَهُ»[١] ، تَترك مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ . وَتَقَدَّم فِي ٱلرِّسَالة : «وَٱسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ»[٢] .

٣٦٥ ـ وَ قَالَ ﷺ : «الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ ، فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ ، وَ الْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَ إِلَّا ٱرْتَحَلَ عَنْهُ».

● الْعِلْم تَنْوِير الْأَرْض بِالكَهْربَاء ، وَطَائِرات ، وَسُفن فَضَاء ، وَتَحوِيل البَحر إِلىٰ عَذب فُرَات ، وَالصَّحرَاء إِلىٰ جَنَّاتٍ ، وَعَمليات جرَاحِية ، وَعقُول الكترُونية ، وَأَنَابِيب يَتَدفق مِنْهَا نَفط الشَّرق إِلىٰ الغَرب أَبحُراً ، وَكُلّ أَسبَاب الحَضارة ، وَأدوَات الْإِنْتَاج وَالرَّاحة وَمَا يَهدي إِلَيْهَا هِي عِلم ، وَدِين ، وَأَخلاَق أيضاً ... هَذَا وَكُلّ مَا يُرضي الله سُبْحَانَه وَيُقربنا إِلَيْهِ هُو عِلم عِند الْإِمَام أَمِير الْمُؤْمِنِينَ ﷺ ، وَهُو الَّذي أَرَاده وَعَناه بقَوْلَه : (الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ ... إلخ) . وَمَا ٱهتَدت الْعُقُول إِلىٰ هَذِه الْحَقِّيقة إِلّا بَعد التَقدَّم الْعِلْمي وَالمُذهل ، وَعَلىٰ أَسَاسها تَمّ تصحِيح الكَثِير مِن

(١) أُنظر ، نَهج ٱلبَلاَغَة : ٱلحِكْمَة (٢٨١).
(٢) أُنظر ، نَهج ٱلبَلاَغَة : ٱلرِّسَالَة (٣١).

الفَلسفَات، وَالنَّظريات القَدِيمة.

وَقَبل أَنْ يَموت الرِّيَاضي الكَبِير إِينشتَاين أَوصَىٰ بِتَشرِيح مُخه لِيَعْرِف العَالم كُلّه: هَل يَختَلف مُخ العَالم عَن مُخ الجَاهِل، وَبَعد التَّشرِيح الدَّقِيق تبينَ أَنَّ مُخ الأَحْمَق تَمَاماً كَمُخ العَبقَري المُبدع، وَمَعْنَىٰ هَذَا أَنَّ الفَرق الأَوَّل، وَالأَخِير بَيْنَ الاثنَيْن هُو العَمل وَمَا يَهدي إِلَيْهِ.

وَتَسْأَل: وَلَكنَّ الله قَالَ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[1] وَلَمْ يَقل: الَّذِين يَعملُون وَالَّذِين لاَ يَعملُون؟

الجَوَاب:

وَأَيضاً قَالَ سُبحَانَه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[2].

وَالمُرَاد بِخَشية الله هُنا العَمل بِطَاعته، وَعَلَيْهِ تَكُون هَذِه الآيَة بَياناً، وَتَفْسِيراً لآيَة ٱلزُّمر، وَإِنَّ المُرَاد بِالعِلْم فِيها هُو العَمل بِالذَّات... هَذَا إِلَىٰ آيَات كَثِيرة تَدل بِصَرَاحة إِنَّ الحِسَاب، وَالجَزَاء غَداً عَلَىٰ العَمل لاَ عَلَىٰ مُجَرد الْعِلْم، مِنْهَا: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[3]. ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[4]. وَقَالَ الرَّسُول

---

(١) ٱلزُّمَر: ٩.

(٢) مِن سُورَة فَاطِر: ٢٨.

(٣) آلِ عِمْرَان: ٣٠.

(٤) ٱلنَّحْل: ١١١.

الأَعْظم عليه السلام : «وَالَّذي بَعَثني بِالْحَقّ نَبيًّاً لاَ يُنْجِي إِلاّ عَمل مَع رَحْمَـة»[١] ، أَي مَـع مَصْلَحة وَمَنْفَعة ، وَيَدلنا هَذَا عَلىٰ أَنَّ الْعِلْم بِلاَ عَمَل لاَ يُجدي شَيْئاً ، كَما يَدُلنا أَيضاً إِنَّ كُلّ عَمَل فَهُوَ هَبَاء إِلّا مَا يَخدم الْحَيَاة ، وَيَجعلهَا أَكْثر خِصْباً وَعَدلاً وَأَمناً .

فَالْعِلْم عِند الله سُبْحَانَه هُو الْعَمل النَّافع ، وَعَنْه أَخَذ الرَّسُول صلى الله عليه وآله وَأَخذ الإِمَام جَمِيع مُعْتقدَاته وَآرَائه عَن رَسُول الله ... حَتَّىٰ رَأيه فِي ٱلْمَرْأَة ، وَأَثبتنا ذَلِكَ فِي شَرح ٱلْخُطْبَة (٨٠) فِقْرَة «عَلِيٌّ وَٱلْمَرْأَة» ، وَفِي شَرح قَوْله : «ٱلْمَرْأَةُ شَرٌّ كُلُّهَا ، وَشَرُّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لاَ بُدَّ مِنْهَا !»[٢] ، وَقَد تَبين مَعنا الآنْ ، وَنَحْنُ نَشرَح قَول الإِمَام : (الْعِلْمُ مَـقْرُونٌ بِالْعَمَلِ ... إلخ) . إِنَّ مَصْدَر هَذا القَول هُو كتَاب الله وَسُنّة نَبيِّه مَع الْعِلْم بِأَنَّه تَمَاماً مَع قَول سُقْرَاط : «مَن عَرَف الْخَيْر يَتجه إِلىٰ عَمله حَتماً ، وَمَن وَقَع فِي الشَّرّ فَرَدَّه إِلىٰ الْجَهْل بِهِ»[٣] . فَإِنْ كَان نَهْج ٱلْبَلاَغَة مَنْحُولاً ـ كَمَا زَعَم الْمُشككُون ـ لأَنَّ بَعْض مَا فِيهِ يَتَفق مَع الفَلْسَفَة اليُونَانِيَّة الَّتي عَرَفها الْمُسْلِمُون فِي عَـصر مُـتأخر عَـن عَـهد الإِمَام ، إِنْ كَان الْنَهْج مَنْحُولاً لِهَذا السَّبب فَعَلىٰ مَن ٱرتَاب فِيهِ أَنْ يَرتَاب أَيضاً فِي كتَاب الله وَسُنّة نَبيِّه ، لأَنَّ بَعْض مَا فِيهِمَا يَتَفق مَع الفَلْسَفَة اليُونَانِيَّة ، وَمِن ذَلِكَ أَنَّ الْعِلْم بِلا عَمَل لَيْسَ بِشَيء .

٣٦٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ مُوبِئٌ ، فَتَجَنَّبُوا مَرْعَاهُ قُلْعَتُهَا أَحْظَىٰ مِنْ طُمَأْنِينَتِهَا ، وَ بُلْغَتُهَا أَزْكَىٰ مِنْ ثَرْوَتِهَا ، حُكِمَ عَلَىٰ مُكْثِرٍ مِنْهَا بِالْفَاقَةِ ، وَ

(١) الإِرْشَاد للشَّيخ المُفيد : ١/١٨٢ ، التعجب لأَبِي الْفُتُوح الكَرَاجكي : ٣١ ، بحَار الأَنْوَار : ٢٢/٤٦٧ ، إِعـلاَم الوَرىٰ : ١/٢٦٤ ، شَرح النَهج لِابْن أبي ٱلْحَدِيد : ١٠/١٨٤ ، قِصص الأَنْبِيَاء لِلرَّاوندي : ٣٥٥ .

(٢) أُنظر ، ٱلْحِكْمَة : (٢٣٨) .

(٣) أُنظر ، الْعُهُود الْمُحَمّدِية : ٨٥٠ .

أُعِينَ مَنْ غَنِيَ عَنْهَا بِالرَّاحَةِ، مَنْ رَاقَهُ زِبْرِجُهَا أَعْقَبَتْ نَاظِرَيْهِ كَمَهاً، وَ مَنِ ٱسْتَشْعَرَ الشَّغَفَ بِهَا مَلأَتْ ضَمِيرَهُ أَشْجَاناً، لَهُنَّ رَقْصٌ عَلَىٰ سُوَيْدَاءِ قَلْبِهِ، هَمٌّ يَشْغَلُهُ، وَ غَمٌّ يَحْزُنُهُ، كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ فَيُلْقَىٰ بِالْفَضَاءِ، مُنْقَطِعاً أَبْهَرَاهُ، هَيِّناً عَلَىٰ اللهِ فَنَاؤُهُ، وَ عَلَىٰ الإِخْوَانِ إِلْقَاؤُهُ.

وَ إِنَّمَا يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَىٰ الدُّنْيَا بِعَيْنِ الاِعْتِبَارِ، وَ يَقْتَاتُ مِنْهَا بِبَطْنِ الاِضْطِرَارِ، وَ يَسْمَعُ فِيهَا بِأُذُنِ الْمَقْتِ وَ الإِبْغَاضِ، إِنْ قِيلَ أَثْرَىٰ قِيلَ أَكْدَىٰ، وَ إِنْ فُرِحَ لَهُ بِالْبَقَاءِ حُزِنَ لَهُ بِالْفَنَاءِ، هَذَا وَ لَمْ يَأْتِهِمْ يَوْمٌ فِيهِ يُبْلِسُونَ».

● الحُطَام: مَا يَتَكسر مِن اليَابس، وَمُوبِئٌ: مِن الوَبَاء أي المَرض العَام، وَالقُلْعَة ـ بِضَم القَاف ـ الرِّحلَة، يُقَال: هَذَا مَنْزِل قُلْعَة أَو هُو لِلرَّحِيل لاَ لِلبقاء، وَأَحْظَىٰ: أَسْعَد، وَالبُلْغَة: الكَفَاف، وَالمُكْثِر: الغَنِيّ، والفَاقَة: الفَقر، وَغَنِيَ عَنْهَا ٱسْتَغْنَىٰ عَمَّا زَاد عَلَىٰ الكَفَاف، وَرَاقَهُ: أَعْجبهُ، وَالزِّبرج: الزِّينَة، وَالكَمَه: العَمَىٰ مُنذ الوِلاَدَة، وَالمُرَاد بِالرَّقص هُنا الحَرَكة، وَسُوَيْدَاءِ القَلْب حَبَته وَقَوامه، وَالكَظَم: مَخْرَج النَّفَس، وَالأَبْهَرَان: عِرْقَان مُتَّصلاَن بِالقَلب وَمِنْهُما تَتَشعب كُلّ الشَّرَايين، تَتَشَعب كُلّ الشَّرَايين، وَإِلقَاؤُهُ: طَرحه فِي القَبْر، وَبَطْنِ الاِضْطِرَارِ: يُعطي البَطْن عَلَىٰ قَدر الضَّرُورة، وَأَثْرَىٰ: ٱسْتَغنَىٰ، وَأَكْدَىٰ: بَخَل فِي العَطَاء، وَيُبْلِسُونَ: يَيأَسُون.

عَادَ الإِمَام إِلَىٰ الدُّنْيَا وَشَرِّهَا وَغَدرها، وَإِثمهَا وَسَمِّهَا، وَبَطشهَا وَفَتكهَا، وَهَدف الإِمَام التَّأكِيد عَلَىٰ أَنَّ الدُّنْيَا لاَ تُطلب لِذَاتها، بَل كَوَسِيلة إِلَىٰ الآخِرة، وَإِنَّ الإِنْسَان خُلق لِهَذا لاَ لِتلك... وَلَكِنْ مَا هُو السَّبِيل الَّذي يَجْعَل الإِنْسَان يَنْظر إِلَىٰ الدُّنْيَا كَوَسِيلة لاَ غَايَة؟. وَلاَ جوَاب عِند الإِمَام إِلَّا الوَاقع فَهُو بِطَبْعه يَدعو الإِنْسَان

وَيفرض عَلَيْهِ أَنْ يَنْظر مِن خِلاَله إلىٰ كُل شَيء. وَإذَا سَأله مَرَّة ثَانِيَة: وَأي شَيء يُلزم الإنْسَان بِذَلِكَ؟ وَكرَّر الجَوَاب بحرُوفه حَيْث لاَ شَيء عِند الإمَام إلَّا الوَاقع، وَيَطلب مِن النَّاس أَنْ يَكُونوا عَلىٰ طِرَازه، وَهُم يَأبُون إلَّا العَيش فِي عَالم آخر، وَلاَ يَسْتَجِيبُون لِدَعْوَته، وَيَصر هُو عَلَيْهَا، وَلِهذا الإصْرَار اغْتَالُوه غَيظاً وَحِنقاً[1].

(١) نَقل ابن أَبي الحَدِيد فِي شَرح النَّهج: ٢٨٧/١٩، تحتَ عنوان «بَعْض مَا قِيل فِي حَالِ الدُّنْيا وَأهلهَا».

فَمِن كَلاَم الحُكَمَاء: وَيلٌ لِصَاحِب الدُّنْيا، كَيفَ يَموت وَيتركهَا، وَتَغرّه وَيَأمنهَا، وَتَخذُله وَيَثق بِهَا! وَيلٌ لِلمُغتَرِّين، كَيفَ أرتهم مَا يَكرهُون، وَفَاتهم مَا يُحِبّون، وَجَاءهُم مَا يُوعدون! وَيلٌ لِمَن الدُّنْيا همّه، وَالخَطَايا عَمَله، كَيفَ يَفتَضح غداً بِذَنبه.

أُنظر، عِدّة الدَّاعِي: لابن فَهد الحِلي: ٩٦، بِحَار الأَنْوَار: ٣٢٨/١٤ ح ٥٤، تَنْبِيه الخَوَاطِر: ١٣٢/١، الزُّهد وَصِفَة الزَّاهِدِين لأَحْمَد بن مُحَمَّد بن زِيَاد: ٧٢، تَأرِيخ دِمشق: ٤٦٢/٤٧.

وَقَالَ بَعْض الحُكَمَاء: مَنْ ذَا الَّذي يَبْنِي عَلىٰ مَوْج البَحر دَاراً! تِلكُم الدُّنْيا، فَلاَ تَتَّخِذُوها قَرَاراً.

أُنظر، أَمَالِي المُفِيد: ٤٣، تَنْبِيه الخَوَاطِر: ١٣٣/١، بِحَار الأَنْوَار: ٣٢٦/١٤ ح ٤٢، شَرح النَهج لابن أَبي الحَدِيد: ٢٨٧/١٩، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٧٢٩/٣، تَأرِيخ دِمشق: ٤٣٠/٤٧.

وَقِيل لِحَكِيم: عَلِّمنا عَمَلاً وَاحِداً إذَا عَمِلنَاه أَحبّنا الله عَلَيْهِ، فَقَال: أبغضُوا الدُّنْيا يُحبِبْكُم الله.

أُنظر، المُحلىٰ: ٢٥٩/٣، تَنْبِيه الخَوَاطِر: ١٣٤/١، شَرح النَهج لابن أَبي الحَدِيد: ٢٨٨/١٩.

وَقَالَ حَكِيم لأَصْحَابه: ارْضُوا بِدَنِي الدُّنْيا مَع سَلاَمة الدِّين، كَمَا رَضِيَ أَهْل الدُّنْيا بِدَنِي الدِّين مَع سَلاَمة الدُّنْيا.

أُنظر، شَرح النَهج لابن أَبي الحَدِيد: ٢٨٨/١٩، الدُّر المَنْثُور: ٣١/٢، تَأرِيخ دِمشق: ٤٤١/٤٧، البِدَاية وَالنِّهاية: ١٠٦/٣، قِصص الأَنْبِيَاء لِلرَّاوندي: ٤٤٤/٢.

أَرَىٰ رِجَالاً بِأَدنَىٰ الدِّين قَد قَنِعوا ... وَلاَ أَرَاهُمْ رَضُوا فِي العَيْش بِالدُّونِ
فَاسْتَغْن بِالدِّين عَن دُنْيا المُلُوكِ كَمَا اسْـ ... ـتَغْنَىٰ المُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَن الدِّين

أُنظر، الجِهَاد لِعَبد الله بن المُبَارك: ٣٠، كَنْز الفَوَائد: ٢٨٩، شَرح النَهج لابن أَبي الحَدِيد: ٢٨٩/١٩، تَأرِيخ دِمشق: ٣٤١/٦ و: ٤١٨/٢٥ و: ٤٤١/٤٧، المُستَطرف: ٩٠/١، عُيُون الأَخْبَار: ٣٧٢/٢، تَهذِيب الكَمَال: ٣٦/٢، البِدَاية وَالنِّهاية: ١٠٦/٢، قَصَص الأَنْبِيَاء: لابن كَثِير ٤٤٤/٢.

٣٦٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَضَعَ الثَّوَابَ عَلَىٰ طَاعَتِهِ، وَ الْعِقَابَ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ، ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَ حِيَاشَةً لَهُمْ إِلَىٰ جَنَّتِهِ».

● ذِيَادَةً: دَفْعاً، وَحِيَاشَةً: جَذْباً. إنَّ الله سُبْحَانَه وَهَب لِعَبدِهِ الْقُدْرَة، وَالْعَقْل، وَالإِرَادَة، وَأَمرَه وَنَهاه، وَوَعَده بِالْجَنَّة إنْ أَطَاع، وَتوعدَه بِالنَّار إنْ عَصىٰ. وَالعَبد بِالْقُدْرَة يَفعَل، وَبِالْعَقْل يُمِيز، وَبِالْإِرَادة يَخْتَار، وَالطَّمع فِي الْجَنَّة يَجذِبه إِلىٰ الطَّاعَة، وَالْخَوْف مِن النَّار يَدْفَعه عَن المَعْصِية.

٣٦٨ ـ (وَ رُوِيَ أَنَّهُ عليه السلام قَلَّمَا اعْتَدَلَ بِهِ الْمِنْبَرُ إِلَّا قَالَ أَمَامَ الْخُطْبَةِ):
«أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ فَمَا خُلِقَ امْرُؤٌ عَبَثاً فَيَلْهُوَ، وَ لَا تُرِكَ سُدىً فَيَلْغُوَ، وَ مَا دُنْيَاهُ الَّتِي تَحَسَّنَتْ لَهُ بِخَلَفٍ مِنَ الْآخِرَةِ الَّتِي قَبَّحَهَا سُوءُ النَّظَرِ عِنْدَهُ، وَ مَا الْمَغْرُورُ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الدُّنْيَا بِأَعْلَىٰ هِمَّتِهِ كَالْآخَرِ الَّذِي ظَفِرَ مِنَ الْآخِرَةِ بِأَدْنَىٰ سُهْمَتِهِ».

● الله عَزَّ وَجَلّ عَلِيم حَكِيم، وَالحَكِيم مُنَزَّهٌ عَن اللَّغو وَالعَبَث... وَلَيْسَ المُهم أَنْ

⟸ وَقَالَ لَبِيد بن رَبِيعة العَامري:

وَمَا المَالُ وَالأَهلُون إلاّ وَدِيعَةٌ ... وَلاَ بُدَّ يَوماً أَنْ تُرَدَّ الوَدَائعُ

أُنظر، مَعَانِي الأَخْبَار لِلشَّيخ الصَّدُوق: ١٩٤، دِيوَان لَبِيد: ١٧٠، تَفْسِير مَجمَع الْبَيَان: ٤/ ١٢٠، خِزانَة الأَدب: ٥/ ١١٧، شَرح النَّهج لابْن أَبِي الْحَدِيد: ١٩/ ٩٠.

وَقِيل لإبْرَاهِيم بن أَدْهَم: كَيفَ أَنْتَ؟ فَأَنشدَ:

نُرَقِّعُ دُنْيَانا بِتَمزِيق دِيننا ... فَلاَ دِينُنا يَبقىٰ وَلاَ مَا نُرَقِّعُ

أُنظر، مُسْنَد إِبْرَاهِيم بن أَدْهَم: ٤٩، المَحَاسِن: ١/ ٢٢٨، شَرح النَّهج لِابْن أَبِي الْحَدِيد: ١٩/ ٩٠، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٤/ ٣٦٨ ح ٥٣٠٠، تَأرِيخ دِمشق: ٦٧/ ٤٤، تَأرِيخ أَبن خلدُون: ١/ ٢٠٨، تَهذِيب الكَمَال: ٢/ ٣٦، البِدَاية وَالنِّهاية: ١٠/ ١٥٠.

يَعْرِف لِمَاذَا خُلق وَوُجد، وَلَكنَّ المُهم أَنْ يَعْرِف مَا يَجب عَلَيْهِ مِن العَمَل لِحَاضِرِهِ وَمُسْتَقبلِهِ، وَنَعِيم ٱلدُّنْيَا مَهمَا عَظُم فإِنَّه لَيْسَ بِشَيْء إِذَا قُورن بِأَدْنَىٰ شَيْء مِن نَعِيم الْآخِرَة، وَأي إِنْسَان يَظفر بِالقَلِيل مِن خَيرها فَهُو أَغْنَىٰ وَأَسْعَد مِمَّن مَلَكَ ٱلدُّنْيَا بِكَاملها وَحُرم مِن نَعِيم ٱلْآخِرَة، وَلَكنَّ الدُّنْيَا تَتَحَبَب لِلمَغرُور فِيهَا بِالعَاجِلة، وَتَعْمِيه عَن مَصِيرِهِ وَآخِرَته[1]».

٣٦٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «لَا شَرَفَ أَعْلَىٰ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَ لَا عِزَّ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوَىٰ، وَ لَا مَعْقِلَ أَحْسَنُ مِنَ الْوَرَعِ، وَ لَا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ، وَ لَا كَنْزَ أَغْنَىٰ مِنَ الْقَنَاعَةِ، وَ لَا مَالَ أَذْهَبُ لِلْفَاقَةِ مِنَ الرِّضَىٰ بِالْقُوتِ.

وَ مَنِ ٱقْتَصَرَ عَلَىٰ بُلْغَةِ الْكَفَافِ فَقَدِ ٱنْتَظَمَ الرَّاحَةَ، وَ تَبَوَّأَ خَفْضَ الدَّعَةِ. وَ الرَّغْبَةُ مِفْتَاحُ النَّصَبِ، وَ مَطِيَّةُ التَّعَبِ، وَ الْحِرْصُ وَ الْكِبْرُ وَ الْحَسَدُ دَوَاعٍ إِلَىٰ التَّقَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ، وَ الشَّرُّ جَامِعُ مَسَاوِئِ الْعُيُوبِ».

● فِي ٱلْخُطْبَة (١٥٢) حَدَد الْإِمَام أَمِير الْمُؤْمِنِين الْإِسْلَام بِأَنَّه: «ٱسْمُ سَلَامَةٍ، وَجِمَاعُ كَرَامَةٍ». وَالسَّلَامَة هِي العَيش بِلا مِشْكلات، وَالكَرَامَة هِي حصَانَة الْحُرِّيَّة وَصِيَانتها مِن الْإِعْتدَاء، وَلَا شَرف فَوق ذَلِكَ... وَأَيضاً لَا عِزَّ وَلَا ذُلّ إِلّا بَعد العَرض عَلَىٰ الله، وَهُو سُبْحَانَه لَا يَتَقبل إِلّا مِن الْمُتَّقِين، وَلَا حِصن مِن عَذَابه إِلّا لِأَهل الوَرَع عَن حَرَامه، وَلَا وَسِيلة لِلعَفو عَن الذُّنُوب إِلّا ٱلتَّوْبَة.

(وَ لَا كَنْزَ أَغْنَىٰ مِنَ الْقَنَاعَةِ) تَقَدَّم مَع الشَّرح فِي ٱلْحِكْمَة (٥٨)، وَالْجُملَة بَعده

(١) قَالَ ٱبن أَبِي ٱلْحَدِيد فِي شَرح النَهج: ١٩/٣٠٠، وَمِن ٱلْكَلِمَات النَّبَوِيَّة: «إِنَّ المَرء لَمْ يُتْرَك سُدىً، وَلَمْ يُخلق عَبَثاً».

عَطف تَفسِير... وَالخَفْض مِن العَيش هُو الوَاسع الهَنِيء، وَالدَّعَةِ ـ بِفَتح الدَّال مَع التَّشدِيد ـ الرَّاحَة وَالإِطْمِئنَان، وَالْمُرَاد بِالرَّغْبَةِ هُنا الطَّمع، وَعَطف التَّعَب عَلَىٰ النَّصَب لِلبَيان وَالتَّفْسِير.

(وَ الْحِرْصُ وَ الْكِبْرُ وَ الْحَسَدُ دَوَاعٍ إِلَىٰ التَّقَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ). الْحَرِيص يَكْنز الْمَال وَلاَ يُنْفقُه فِيمَا يجدِيه، وَيجدي النَّاس، وَالْحَاسد يَفْتَري وَيحقد عَلَىٰ الْمَحْسُود وَٱلْمُتَكَبِّر يَتعالىٰ بِغَير الْحَقّ، وَكُلّ أوْلاَء رَذائِل وَآثَام. وَقَالَ كُونفُوشيُوس: «لاَ تَتَصور كَبِيراً حَتَّىٰ لاَ تَرىٰ النَّاس صِغَاراً». وَبِالتَّالي كُلّ عَيب رَذِيلة تُسمىٰ شَرّاً، وَلِذا كَانَتْ كَلِمَة الشَّرّ جَامِعَة لِكلّ رَذِيلة، مَانِعَة لِكُلّ فَضِيلة. وَكُلّ مَا فِي هَـٰذِه ٱلْحِكْمَة تَقدَّم مَرّات.

٣٧٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام:

«يَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَىٰ فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ، وَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا ٱسْمُهُ، وَ مَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ الْبِنَاءِ، خَرَابٌ مِنَ الْهُدَىٰ، سُكَّانُهَا وَ عُمَّارُهَا شَرُّ أَهْلِ الْأَرْضِ، مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ، وَ إِلَيْهِمْ تَأْوِي الْخَطِيئَةُ، يَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ عَنْهَا فِيهَا، وَ يَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا، يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ فَبِي حَلَفْتُ لَأَبْعَثَنَّ عَلَىٰ أُولَئِكَ فِتْنَةً تَتْرُكُ الْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانَ، وَ قَدْ فَعَلَ، وَ نَحْنُ نَسْتَقِيلُ اللهَ عَثْرَةَ الْغَفْلَةِ».

● (لَا يَبْقَىٰ فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ) كَالتِّلاَوة وَالطِّبَاعة الجَيِّدَة، أَمَّا سَلاَمة القَلْب وَصَلاح العَمَل فَشَيء آخَر لاَ يَهم أَبداً... وَلاَ تَدعو إِلَيْهِ الحَاجَة، وَتَقَدَّم مِثْله فِي ٱلْخُطْبَة (١٤٧) (وَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا ٱسْمُهُ) وَهُو الإِقْرار بِاللِّسَان دُونَ العَمل بِالتَّعالِيم وَالأَرْكَان كَالجِهَاد مِن أَجلِ الدِّين، وَالوَطن، وَالحُرِّيَّة، وَالكَرَامة!..

إنَّ الْإِسْلاَم عِزَّة وَمِنْعَة ، وَقَالَ سُبْحَانَه : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]. فَأي مُجْتَمع يدعي الْإِسْلاَم ، ثُمَّ يَعِيش فِي الوَهـنِ ، وَالتَّخلف ، وَالذُّل ، وَالْإِنحطَاط فمَا هُو مِن الْإِسْلاَم فِي شَيء. لَقَد كَان المُسْلِمُون يَبْذلُون المُهج ، وَالْأَرْوَاح فِي سَبِيل دِيْنهُم وَحُرِّيَّتهم ، وَلاَ أَعرف اليَوْم مُجْتَمعاً أَو بَلداً مُسْلِماً يَحْمل هَذِه الرُّوح مَع أنَّ فِيهِ الكَثِير مِن المسَاجد وَالمآذن وَالمرَاسم وَالعمَائِم. وَتَقدَّم مِثْله فِي ٱلْخُطْبَة (١٠٣).

(وَ عُمَّارُهَا شَرُّ أَهْلِ الْأَرْضِ) لأَنَّهُم يَسِيرُون مِن ذُلٍّ إِلىٰ ذُلٍّ ، وَمِن ضَعفٍ إِلىٰ ضَعف وَلاَ يُجَاهدُون فِي سَبِيل الْحَقّ وَإِعْلاَء كَلمته. فَالزُّعمَاء يَتنَاحرُون عَلىٰ الكَرَاسي ، وَيَشترُونها بِدِينهم وَأُمتهم. وَالْعُلَمَاء مِنْهُم مَن يَتلَهف عَلىٰ الرِّيَّاسة ، وَآخر عَلىٰ وَظِيفة الْقَضَاء وَالْإِفتَاء. وَثَالِث يَتَلقىٰ الوَحي مِن مكَاتب الْإِسْتخبَارَات ، وَيَشترِي بِعَهد الله ثَمَناً قَلِيلاً. وَرَابع لاَ يَشعر بِالمَسؤولِيَة تَارِكاً جَمَاعَة الْمُسْلِمِين جَاهِلة بِأَهم أَحْكَام الْإِسْلاَم ، غَافِلة عمَّا يُرَاد بِها وَبِدينها وَوَطنها. وَأَتحدىٰ أنْ يُذكر اَسم عَالِمٍ وَاحد فِي هَذَا العَصر نَهىٰ طَاغِية عَن مُنكر ، وَجَابهه بِكَلِمة حَقّ.

(مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ ، وَ إِلَيْهِمْ تَأْوِي الْخَطِيئَةُ) ضَمِير «مِنْهُمْ وَإِلَيْهِمْ» يَعُود إِلىٰ قَادَة السُّوء مِن رِجَال الدُّنْيَا ، كَمَا هُو المَفهُوم مِن قَرِينة السِّيَاق وَطَبِيعَة الوَضع وَالحَال ، وَالْمُرَاد بِالْفِتْنَة هُنا ظهُور الْفَسَاد وَالضَّلال فِي البَرِ وَالبَحر ، وَالْمَعْنَىٰ إنَّ قَادَة السُّوء هُم سَبَب البَلاَء ، وَأَصل الدَّاء (يَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ عَنْهَا فِيهَا ، وَ يَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ

---

(١) ٱلْمُنَافِقُونَ : ٨.

عَنْهَا إِلَيْهَا).

يُنَكِّلُون بِمَن يَأبىٰ السَّير فِي رِكَابِهم ، وَيُحملُونه بِشتىٰ أَسَالِيب الضَّغط عَلىٰ أَنْ يَكُون لَهُم مِن الأَذْنَاب وَالْأَتْبَاع .

(يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ فَبِي حَلَفْتُ لأَبْعَثَنَّ عَلَىٰ أُولَئِكَ فِتْنَةً تَتْرُكُ الْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانَ) . الْمُرَاد بِالْفِتْنَة هُنا العَذَاب ، وَالْمَعْنَىٰ إِنَّ الله سُبْحَانَه كَتَب عَلىٰ نَفْسه أَنْ يَسُوم قَادة الضَّلاَل وَالْفَسَاد سُوء العَذَاب ، وَلاَط يَجدُون وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً (وَ قَدْ فَعَلَ) ذَلِكَ بِالْأُمَم المَاضِية ، وَعَلِينا أَنْ نَتخذ مِنْهُم العُبْرَة (وَ نَحْنُ نَسْتَقِيلُ اللهَ عَثْرَةَ الْغَفْلَةِ) عَن طَاعَته لِأَنَّهَا سَبب لِسَيطرة الْهَوىٰ عَلىٰ الْعَقْلِ ، وَالقَلب ، وَلِكُلّ ضَلاَل وَانحطَاط . وَتَقدَّم الكَلاَم عَن ذَلِكَ فِي ٱلخُطْبَة (١٠٣ و ١٤٧) وَفِي ٱلحِكْمَة (١٠٢) .

٣٧١ ـ وَ قَالَ عليه السلام لِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ :

«يَا جَابِرُ ، قِوَامُ الدِّينِ وَ الدُّنْيَا بِأَرْبَعَةٍ : عَالِمٍ مُسْتَعْمِلٍ عِلْمَهُ ، وَ جَاهِلٍ لَا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ ، وَ جَوَادٍ لَا يَبْخَلُ بِمَعْرُوفِهِ ، وَ فَقِيرٍ لَا يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ ، فَإِذَا ضَيَّعَ الْعَالِمُ عِلْمَهُ ٱسْتَنْكَفَ الْجَاهِلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ ، وَ إِذَا بَخِلَ الْغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ بَاعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ . يَا جَابِرُ ، مَنْ كَثُرَتْ نِعَمُ اللهِ عَلَيْهِ[(١)] ، كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ ، فَمَنْ قَامَ للهِ فِيهَا بِمَا يَجِبُ فِيهَا عَرَّضَهَا لِلدَّوَامِ ، وَ الْبَقَاءِ[(٢)] ، وَ مَنْ لَمْ يَقُمْ فِيهَا بِمَا يَجِبُ عَرَّضَهَا لِلزَّوَالِ ، وَ الْفَنَاءِ»[(٣)] .

---

(١) فِي نسخة أُخرىٰ : نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ .

(٢) فِي نُسْخَة أُخرىٰ : عَرَّضَ نِعْمَةَ اللهِ لِدَوَامِهَا .

(٣) فِي نُسْخَة أُخرىٰ : وَمَنْ ضَيَّعَ مَا يَجِبُ للهِ فِيْهَا عَرَّضَ نِعْمَتَهُ لِزَوَالها .

● الْمُرَاد بِالدُّنْيَا الْحَيَاة الدُّنيا، وَهِي لاَ تَسْتَقِيم وَتَنْتَظم إلاَّ بِعُنصرين:

١ ـ العِلْم الَّذي يهدِي إلىٰ العَمَل بالحَقّ وَالخير وَالعَدل، وَيَقِي الحيَاة مِن الشُّرورِ وَالمشكلاَت، وَقوَام العِلم بجهُود العَالِم وَالمُتعلم، وَلاَ يَتحقق الغَرض المَقصُود مِنْهُ إلاَّ إذَا عَمِل العَالِم بمُوجب عِلْمه، وَوَضَعه فِي مَكانِهِ اللاَئِق... وَإذا ٱتخذَ العَالِم مِن عِلمِهِ أَدَاة لِلصُّوصِية، وَالإعْتدَاء وَالإِسْتعلاَء ـ عَمَّت الفُوضَىٰ وَٱنْتَشر الْفَسَاد، وَتَخَلّفت الأُمَّة، وَٱستَنكَف الجَاهِل أَنْ يَأخذ الْعِلْم مِن هَذَا الضَّال المُضِل.

٢ ـ المَال الَّذي يَخْدِم الحَيَاة، وَيَسدُ حَوَائج الْمُحْتَاجِين، وَتَتدَاوله الأَيدِي فِي الصَّالح العَام، أَمَّا المَال الَّذي يُمسَك فِي البنُوك وَالمَصَارف، أَو يُنْفَق عَلىٰ الإِسرَاف وَالتَّبذِير، أَو أَسْلِحة الخَرَاب، والدَّمار فَهُو شُرٌّ وَوبَال عَلىٰ الإِنْسَانِيَّة وَمَصِيرها (وَإذَا بَخِلَ الْغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ بَاعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ) حَيْث يَدْفَعه العَوز وَالحرمَان إلىٰ ٱرْتكَاب الجرَائِم... وَمَا وَجدَتْ الشُّيُوعِية وَالإِشْترَاكية تَربية أَخْصَب مِن بِيئَة البُؤس وَالْفقْر، وَمِن هُنا يَصحّ القَول: إنَّ المُتْرَفِين الَّذِين يَسْرفُون أَو يَكنزُون وَلاَ يَبْذلُون فِي سَبِيل الله وَالصَّالح العَام، ثُمَّ يُحَارِبُون الشُّيُوعِية وَالإِشْترَاكِية هُم السَّبب لوجُودها وَٱنْتشَارها.

(مَنْ كَثُرَتْ نِعَمُ اللهِ عَلَيْهِ، كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ). إنَّ مَسؤولية الإِنْسَان تُقَاس بِطَاقتهِ وَمَقدَرته، فَمسؤولِية القَادَة غَيْر مَسؤولِية الأَتبَاع، وَوَاجب الأَغْنِيَاء غَيْر وَاجب الْفُقَرَاء، وَوَظِيفة الْعُلَمَاء غَيْر وَظِيفة الجُهلاء... فَعلىٰ القَادَة أَنْ يَعْملُوا جَاهدِين عَلىٰ تَحقِّيق مَا يَتطلبَه المُسْتَضعَفُون مِن حَياةٍ عَادِلة، وَعِيشَة رَاضِية، وَعَلىٰ الأَغْنِيَاء أَنْ يَبذلُوا لِخدمَة الحَيَاة وَتَقَدّمها، وَعَلىٰ الْعُلَمَاء أَنْ يَنْكرُوا الْمُنْكَر مِن أُولاَءِ وَأُولَئِكَ.

(فَمَنْ قَامَ للهِ فِيهَا بِمَا يَجِبُ فِيهَا عَرَّضَهَا لِلدَّوَامِ، وَ الْبَقَاءِ.. إلخ). إذَا عَمِل الرَّاعي بِالْعَدْل وَالمُسَاوَاة أَحبَته الرَّعِيَّة، وَكَانَتْ أَطوع لهُ مِن بَنَانِه، وَدَافعت عَنْه وَعَن سُلطانه دِفَاعها عَن نَفْسها وَمَصالحها، وَبِهذَا يَثبُت حُكْمه وَيَستَقر، وَإِلاَّ ثَارت عَلَيْهِ وَاقتَلعته مِن الجذُور حِين تَسْنَح الْفُرْصَة... وَكَذَلِكَ العَالِم يَثق النَّاس بِهِ، وَيُقدسُون مَقَامه إِذَا نَفعهُم بِعلمهِ وَإِلَّا انصَرفُوا عَنْه، وَنَعتُوه بِكُلِّ قَبِيح.

٣٧٢ ـ (وَ رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ فِي تَأرِيخِهِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَىٰ الْفَقِيهِ، وَكَانَ مِمَّنْ خَرَجَ لِقِتَالِ الْحَجَّاجِ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ، أَنَّهُ قَالَ فِيمَا كَانَ يَحُضُّ بِهِ النَّاسَ عَلَىٰ الْجِهَادِ: إِنِّي سَمِعْتُ عَلِيّاً رَفَعَ اللهُ دَرَجَتَهُ فِي الصَّالِحِينَ. وَ أَثَابَهُ ثَوَابَ الشُّهَدَاءِ، وَ الصِّدِّيقِينَ، يَقُولُ يَوْمَ لَقِينَا أَهْلَ الشَّامِ):

«أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، إِنَّهُ مَنْ رَأَىٰ عُدْوَاناً يُعْمَلُ بِهِ، وَ مُنْكَراً يُدْعَىٰ إِلَيْهِ، فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَ بَرِئَ، وَ مَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ، وَ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ، وَ مَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَىٰ، فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَىٰ، وَ قَامَ عَلَىٰ الطَّرِيقِ، وَ نَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينُ».

● هَل يُوجَد إِنسَان عَلىٰ وَجه الأَرْض يَرىٰ ظُلماً وَعُدْوَاناً يُعمل بِهِ فَيقرّه وَلاَ يَشعُر بِقُبحهِ وَشنَاعته؟ وَقَد يَبدُو هَذا السُّؤال غَرِيباً لِلوَهلَة الأُولَىٰ، لأَنَّ المَفرُوض وقُوع الظُّلم وَالْعُدْوَان، وَالوقُوع بِذَاته دَلِيل قَاطع عَلىٰ الإِمْكَان، لأَنَّه فَرع عَنْه... وَغَرضنا مِن هَذَا السُّؤال هُو الإِشَارَة إِلىٰ أَنَّ الإِنسَان بِفطرَته يَستَنكر الظُّلم، فَإِنْ اقتَرفه فَبِسَبب الخَارج عَن الذَّات، وَقَول الإِمَام: (فَقَدْ سَلِمَ وَ بَرِئَ) مَعْنَاه: مَن عَجَز عَن دَفع المُنْكَر بِيَده وَلِسَانه، وَلَكنْ مَقتَه بِتَحرِيمِه فَهُوَ إِنْسَان طَيِّب، وَلاَ مُبرر

لمُؤاخذَته، وَيَأتي فِي ٱلْحِكْمَة التَّالية، لِأَنَّهَا أَشْبَه بِالشَّرح وَالتَّفصِيل لِهَذِه ٱلْحِكْمَة، وَلِذا قَدَمها الشَّرِيف الرَّضِيّ كَالتَّالِي:

٣٧٣ ـ وَ فِي كَلَامٍ آخَرَ لَهُ عليه السلام يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَىٰ:

«فَمِنْهُمُ الْمُنْكِرُ لِلْمُنْكَرِ بِيَدِهِ وَ لِسَانِهِ وَ قَلْبِهِ، فَذَلِكَ الْمُسْتَكْمِلُ لِخِصَالِ الْخَيْرِ، وَمِنْهُمُ الْمُنْكِرُ بِلِسَانِهِ وَ قَلْبِهِ وَ التَّارِكُ بِيَدِهِ، فَذَلِكَ مُتَمَسِّكٌ بِخَصْلَتَيْنِ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ، وَ مُضَيِّعٌ خَصْلَةً، وَ مِنْهُمُ الْمُنْكِرُ بِقَلْبِهِ، وَ التَّارِكُ بِيَدِهِ وَ لِسَانِهِ، فَذَلِكَ الَّذِي ضَيَّعَ أَشْرَفَ الْخَصْلَتَيْنِ مِنَ الثَّلَاثِ، وَ تَمَسَّكَ بِوَاحِدَةٍ، وَ مِنْهُمْ تَارِكٌ لِإِنْكَارِ الْمُنْكَرِ بِلِسَانِهِ وَ قَلْبِهِ وَ يَدِهِ، فَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ، وَ مَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ إِلَّا كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ، وَ إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ وَ لَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ، وَ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ».

● مَنْ حَضَر وَشَاهد فِعلاً تَتَفق الْعُقُول عَلىٰ قُبْحه وَتَحرِيمه لاَ بُدَّ أَنْ يَتَّخِذ لِنَفسه مَوقفاً مِنْهُ سَلبِياً أَو إِيجَابِياً، وَالْمُرَاد بِالمُوقف السَّلبي أَنْ يَتجَاهل مَا يَرىٰ، كَأَنَّه لَم يَكُنْ شَيء، أَو لاَ عِلاَقة لهُ بِمَا كَان قَرِيب أَو بَعِيد... وَلَيْسَ مِن شَكٍّ أَنَّ هَذا مُجرم خَارج عَلىٰ الدِّين وَالْعَقْل وَالعُرف، بَل لاَ يَسْتَحق ٱسم الْإِنْسَان بِمَعْنَىٰ الكَلِمة، وَقَد نَعته الْإِمَام فِي هَذِه ٱلْحِكْمَة بِمِيِّت الْأَحْيَاء. وَأَكثَرُ عُلَمَاء هَذَا العَصر أَو الكَثِير مِنْهُم يَرون البَاطِل وَلاَ يشْعرُون، وَالسّر مَا أَشَار إِلَيْهِ الْإِمَام مِن أَنَّهم موتىٰ بَيْنَ أَحْيَاء: كَمَا قَالَ الشَّاعر:

مَن يَهُنْ يَسْهَل عَلَيْهِ الهَوَان ... مَا لِجُرحٍ بِمَيتٍ إِيلاَم.

وَأَسوَأ مِن هَذا وَأَعْظَم جُرمَاً مَن يَرضىٰ بِالْمُنْكَر وَيُشَجعه، لأَنَّ العَامل بِالظُّلم، وَالمُعِين عَلَيْهِ، وَالرَّاضي بِهِ ـ شُركَاء. أَمَّا إِذَا وَقف مِنْهُ مَوقف الغَاضب الْمُنْكَر فَينظر: هَل أَنْكَر بِكُلِّ مَا لَدِيه مِن طَاقة، أَو بِبَعْضهَا. وَإِلَيْكَ التَّفصِيل:

١ ـ (**الْمُنْكِرُ لِلْمُنْكَرِ بِيَدِهِ وَ لِسَانِهِ وَ قَلْبِهِ، فَذَلِكَ الْمُسْتَكْمِلُ لِخِصَالِ الْخَيْرِ**) أي أَدّىٰ مَا عَلَيْهِ كَامِلاً وَافِياً، وَقَام بِالوَاجبَات الثَّلاَثة، وَلَم يَترُك وَاحِداً مِنْهَا، وَلَم يُشر الإِمَام إِلىٰ دَفع الْمُنْكَر بِالمَال إِذَا دَعَت إِلَيْهِ الحَاجَة، وَكذَلِكَ فَعل رَسُول الله ﷺ حِين قَالَ: «مَن رَأىٰ مِنْكُم مُنْكرَاً فَليُغيره بِيدَه، فَإنْ لَمْ يَسْتَطِيع فَبِلسَانه، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِع فَبِقَلبه، وذَلِكَ أَضْعَف الإِيمَان؟»[1]. وَالسَّبَب المُوجب لِتَرك الإِشَارَة إِلىٰ الْمَال فِي بَاب الأَمْر بِالْمَعْرُوف هُو أَنَّ بَذل الْمَال يَدخُل فِي بَاب الأَخمَاس وَالزَّكوَات، وَأَيضَاً يُذكر فِي آيَات الجِهَاد كقَوْلَه تَعَالىٰ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2]. وَقَول الرَّسُول الأَعظم ﷺ: «مَن جَهَز غَازِياً فِي سَبِيل الله فَقَد غَزَا، وَمَن خَلفَه فِي أَهْلِهِ بِخَير فَقَد غَزَا»[3]. فَأَغْنَىٰ

(١) أُنظر، صَحِيح مُسْلِم: ٦٩/١ ح ٤٨، صَحِيح اَبن حِبَّان: ٥٤٠/١ ح ٣٠٦، تَفْسِير القُرطُبي: ٤٩/٤، تَفْسِير اَبن كَثِير: ٣٩١/١ و: ٨٤/٢، مُسْنَد أَبي عوانة: ٤٣/١ ح ٩٧، سُنَن البَيْهَقِيّ الكُبرىٰ: ٩٤/٦ ح ١١٢٩٣، سُنَن أَبي دَاود: ٢٩٦/١ ح ١١٤٠ و: ١٢٣/٤ ح ٤٣٤٠، السُّنَن الكُبرىٰ: ٥٣٢/٦ ح ١١٧٣٩، سُنَن النَّسائي: ١١١/٨ ح ٥٠٠٨، سُنَن اَبن مَاجه: ٤٠٦/١ ح ١٢٧٥، مُسْنَد أَحمد: ١٠/٣ ح ١١٠٨٨ و ١١١٦٦ و ١١٤٧٨، مُسْنَد أَبي يَعلىٰ: ٢٨٩/٣ ح ١٠٠٩، الفِردَوْس بِمأثُور الخِطَاب: ٥٤٤/٣ ح ٥٦٩٨، التَّمهيد لِاَبن عَبدالبر: ٢٥٩/١٠، كَشف الخَفاء: ٣٢٨/٢ ح ٢٤٨٥، المُحلىٰ: ٢٧/١ ح ٤٨، نَيل الأَوطَار: ٣٣١/٦.

(٢) اَلتَّوْبَة: ٤١.

(٣) أُنظر، صَحِيح مُسْلِم: ١٥٠٦/٣ ح ١٨٩٢ و ١٨٩٦، صَحِيح البُخَاريّ: ١٠٤٥/٣ ح ٢٦٨٨، صَحِيح اَبن

⇔

ذِكْرَه هُناك عَن ذِكرهِ فِي بَاب الْأَمْر بِالْمَعْرُوف وَالنَّهي عَن الْمُنْكَر.

٢ ـ (الْمُنْكِرُ بِلِسَانِهِ وَ قَلْبِهِ وَ التَّارِكُ بِيَدِهِ، فَذَلِكَ مُتَمَسِّكٌ بِخَصْلَتَيْنِ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ، وَ مُضَيِّعٌ خَصْلَةً). قَامَ هَذَا بوَاجِبين مِن الثَّلاَثَة، وَعَلَيْهما يُثَاب، وَأَهمَل الثَّالث وَهُو الْإنْكَار بِاليَد، فَيُلاَم عَلَيْهِ وَيُؤَاخذ، حَيْث تَركه مَع الْقُدْرَة عَلَيْهِ، كمَا هُو الغَرض المَفْهُوم مِن قَول الْإمَام: «وَمُضَيِّعٌ خَصْلَةً» لأنَّ مَعْنَىٰ مُضَيِّع مُقصِّر لاَ قَاصر، وَقَادِر لاَ عَاجِز.

٣ ـ (الْمُنْكِرُ بِقَلْبِهِ، وَ التَّارِكُ بِيَدِهِ وَ لِسَانِهِ، فَذَلِكَ الَّذِي ضَيَّعَ أَشْرَفَ الْخَصْلَتَيْنِ مِنَ الثَّلَاثِ). أَدّىٰ وَاجِباً وَاحِداً، وَأَهمَل اثْنَيْن... وَهَذا هُو الْإِيمَان الضَّعِيف، أَو الْأَضعَف، أَو لاَ إِيمَان إِطلاَقاً بِمَعنَاه الصَّحِيح، وَإِنَّما هُو خَطرَات وَتَصورَات. وَسَبق أَنْ نَقْلنَا عَن أُصول «الكَافِي» عَن حَفِيدَه الصَّادق عليه السلام: «الْإِيمَان عَمَل كُلّه، وَلاَ إِيمَانَ بِلاَ عَمَلٍ»[1]. وَقَال أَيضاً الْإِمَام جَعْفَر بن مُحَمَّد الصَّادِق عليه السلام: «الْإِيمَان عَمَل كُلّه، والقَوْل بَعْض ذَلِكَ العَمَل»[2]. أَي لاَ أَجر وَثَواب عَلىٰ إِيمَان مُجرد عَن عَمل مَحْسُوس مَلمُوس.

⇐ حِبَّان: ١٠/٤٨٩ ح ٤٦٣٠ و ٤٦٣٢ و ٤٦٣٣، سُنن التِّرمِذي: ٤/١٦٩ ح ١٦٢٨ و ١٦٢٩ و ١٦٣١، سُنن الدَّارمي: ٢/٢٧٥ ح ٢٤١٩، سُنن البَيْهَقِيّ الكُبْرىٰ: ٤/٢٤٠ ح ٧٩٢٨، سُنن أَبي دَاود: ٣/١٢ ح ٢٥٠٩، سُنن ابن مَاجه: ٢/٩٢١ ح ٢٧٥٨ و ٢٧٥٩، المُعْجَم الأَوسط: ٨/٣٦ ح ٧٨٨٣، مُسْنَد أَحمد: ٤/١١٥، تلخِيص الحَبِير: ٤/٨٩ ح ١٨٢٥، تَفْسِير القُرطُبي: ٨/١٥٢.

(١) أُنظر، الكَافِي: ٢/٣٤ ح ١ و ٧، دَعَائِم الإِسْلاَم: ١/٤، وَسَائِل الشِّيعة: ١١/١٢٤ ح ١، مَجمَع الزَّوائد: ١/٣٥، الجَامِع الصَّغِير: ٢/٧٥٨ ح ٩٩٨٠، كَنز العُمال: ١/٦٨ ح ٢٦٠، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٦/٥٨٦ ح ٩٩٨٠.

(٢) أُنظر، الكَافِي: ٢/٣٤ ح ١ و ٧، دَعَائِم الإِسْلاَم: ١/٤، وَسَائِل الشِّيعة: ١١/١٢٤ ح ١.

(وَ مِنْهُمْ تَارِكٌ لِإِنْكَارِ الْمُنْكَرِ بِلِسَانِهِ وَ قَلْبِهِ وَ يَدِهِ . . إلخ). وَأَشرنا إِلَيه فِي صَدر هَذا الكَلَام (وَ مَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ إِلَّا كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ). الأَمْر بِالْمَعْرُوف وَالنَّهي عَن المُنْكَر جَامع لِخصَال الخَيْر بِكَاملها بِمَا فِيها خِصلَة الجِهَاد، وَمَانِع مِن خِصال الشَّرّ بِأسرهَا إِذَا توَافَرت فِي صَاحبِهِ الصِّفَات الَّتي ذكرهَا الإِمَام جَعْفَر الصَّادِق عليه السلام بِقَوْلَه: «وَصَاحب الأَمْر بِالْمَعْرُوف يَحتاج إِلىٰ أَنْ يَكُون عَالِماً بِالْحَلاَل وَالحَرَام، فَارِغاً مِن خَاصة نَفْسه عَمَّا يَأمرهُم بِهِ وَينهَاهُم عَنْه، نَاصِحاً لِلخَلق، رَحِيماً بِهِمْ، دَاعِياً لَهُم بِاللُّطف وَحُسن الْبَيَان، عَارِفاً بِتَفاوت أَخْلاَقهم لِيُنزل كُلاً مَنزِلته، بَصِيراً بِمكر النَّفس، وَمَكَائِد الشَّيطان، صَابِراً عَلىٰ مَا يُلحقه، لاَ يُكَافئهُم بِهَا، وَلاَ يَشكُو مِنْهُم، وَلاَ يَستَعمل الحَمِيّة، وَلاَ يَغْتَاظ لِنفسِهِ، مُجَرَّداً نِيَّته للهِ وَحدَه، مُسْتَعِيناً بِهِ، وَمُبتَغِياً لِوَجهه، فَإِنْ خَالفُوه وَجفُوه صَبَر، وَإِنْ وَافقُوه وَقَبلُوا مِنه شَكَر، مُفوضاً أَمرَه إِلىٰ الله، نَاظِراً إِلىٰ عَيبِه»[1].

وَلَيْسَ مِن شَكٍّ أَنَّ الأَمْر بِالمَعْرُوف مَع هَذِه الصِّفَات يَأتِي بِخَير الثِّمار، وَلاَ يُعادله شَيء إِلَّا (كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ) لأَنَّ قَائِلها مَا أَبقىٰ عُذراً لِمتخوف وَمُتهاون بِصَرَاحتِهِ وَجَهرِهِ بِكَلمة الحَقّ مَهما كَان ثَمنُهَا. وَأَبلغُ مَا قَرأت عَن هَذِه الجُرأة وَالتَّضحِية: إِنَّ الأَدِيب العَالِم المَعْرُوف بِابن السِّكِّيت كَان يَوْمَاً فِي مَجلس المُتوكل المُبْغض المُعلن بِالعَدَاء لِلإِمَام أَمِير المُؤْمِنِين، فَقَال لِابْن السِّكِّيت: هَل وَلَدَاي: المُعْتَز، وَالمُؤيد أَحبّ إِلَيْكَ أَم الحَسَن وَالحُسين، فَقَال لَهُ: «إِنَّ قَنبَراً خَادِم عَليّ بن

(١) أُنظر، مُصبَاح الشَّرِيعة: ١٩ و ٣٦٢، مُستَدرك الوَسَائِل: ١٢/٢١٤ (١٣٩١٦) ١، بِحَار الأَنْوَار: ٩٧/٨٣ ح ٥٢.

أَبِي طَالب خَيْرٌ مِنْكَ وَمِن وَلَدِيك... فَأَمر المُتوكل بِسَل لِسَانه مِن قَفَاه فَسُل، وَمَات فِي سَاعتهِ، وَٱبن السِّكِّيت هَذَا هُو القَائِل[1]:

يُصَاب الفَتىٰ مِن عَثْرَة بِلسَانِهِ ... وَلَيْسَ يُصَاب الْمَرْء مِن عَثْرَة الرِّجل
فَعَثْرَته فِي القَول تُؤَدِّي بِرَأسه ... وَعَثْرَته فِي الرِّجل تَبْرا عَلىٰ مَهْل

وَهَكَذَا تفْعَل الْعَقِيدَة بِصَاحِبها: لاَ يَقف فِي وَجهِها حَاجز إِذَا بَلْغَت أَشُدها.

وَقَالَ غُوستَاف لُوبُون: «هَؤُلآء قَلِيلُون، وَلَو كَثُرُوا لِقَلبُوا العَالَم»[2]. وَتَكلمنَا حَول الأَمْر بِالْمَعْرُوف فِي شَرح ٱلْخُطْبَة (١٥٦).

٣٧٤ ـ وَ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ:

«إِنَّ أَوَّلَ مَا تُغْلَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ، الْجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ، ثُمَّ بِأَلْسِنَتِكُمْ، ثُمَّ بِقُلُوبِكُمْ؛ فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفاً، وَ لَمْ يُنْكِرْ مُنْكَراً، قُلِبَ فَجُعِلَ أَعْلاَهُ أَسْفَلَهُ، وَ أَسْفَلُهُ أَعْلاَهُ».

---

(١) هُو الشَّيخ الأَدِيب يَعْقُوب بن إِسْحَاق الدُّورَقِي، الأَهوَازي الشَّهِير بِٱبن السِّكِّيت، وَكَان عَالِماً بِنَحو الكُوفِيين، وَعِلم الْقُرآن، وَاللُّغة، وَالشِّعر، رَاوِية ثِقَة، أَخذ عَن البَصريين وَالكُوفِيين، كَالفَراء، وَأَبِي عَمرو الشِّيبَاني، وَالأَثرَم، وَٱبن الأَعرَابي، لَهُ تَصانِيف كَثِيرة فِي النَّحو، وَمَعَانِي الشِّعر، وَتَفسِير دَوَاوِين الشِّعر، مِنْهَا تَهذِيب الأَلفَاظ، وَإِصلاَح المَنطق. وَكَان مُؤدباً لأَولاَد المُتوكل العبَّاسي، قَتَله المُتوكل بَعدَ أَنْ سَل لِسَانه مِن قَفَاه فَمَات رَحمه الله يَوْم الاِثْنَيْن لِخَمس خَلَون مِن رَجَب سَنَة أَربع وَأَربَعين وَمِئتين، بَعد إِنْ كَانَتْ وِلاَدته سَنَة (١٨٦ هـ).

أُنظر، بُغية الوعَاة: ٤١٨، وَبُغية الطَّالب لاِبْن العَدِيم: ٣٧٦٨/٨، شَذرات الذَّهب: ١٠٦/٢، تَأرِيخ دِمشق: ٣١٧/١٨، ذَيل تَأرِيخ بَغدَاد: ٦/٥، البِدَاية وَالنِّهاية: ٢٣/١١، سير أَعْلاَم النُّبلاء: ١٩/١٢، وَفِيات الأَعْيَان: ٣٩٩/٦.

(٢) أُنظر، حضَارة الْعَرَب. نَقَله إِلىٰ اللُّغَة العَرَبِية عَادل زعيتر، طَبع مِصْر سَنَة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

● يَنْطَبق هٰذَا وَيَصح فِي حَقِّ الْعَرَب، والْمُسْلِمِين فِي عَصرنا، أَنَّهم يُغلَبون عَلىٰ أَمْرهم، وَلاَ يَجِدُون حِيلَة، وَلاَ وَسِيلة لِلدِّفَاع عَن أَنْفُسهم بِالسِّلاح، أَو الْإِحْتِجَاج بِاللِّسَان، وَوَسَائِل الْإِعلان عَلىٰ الْمُسيطرِين، وَالغَالِبِين، وَبالتَّالِي يَتَبَخر الْإِيمَان مِن الْقُلُوب، وَيَعِيش الجَمِيع فِي هَاوِية الوَهن وَالهَوَان.

وَلَم يُشر الْإِمَام إِلىٰ هَوية الغَالِبِين وَتَحدِيد شَخصِيتهم. وَقَالَ بَعْض الشَّارِحِين: هُم الْمُستَعمرُون الْأَجنَانب!... وَالصَّحِيح أَنَّهم قَادَة السُّوء الَّذِين يَسِيرُون فِي رِكَاب كُلّ طَامع وَغَاصب حِرصاً عَلىٰ كُرسي الحُكم، وَلو بِالْإِسم وَالرَّسم... وَمِن البدَاهة أَنَّ أَيَّة جَمَاعَة لاَ يُمكن أَنْ تَخُوض مَعرَكة مِن المَعَارك إِلّا بقيادَة أَمِين مُخْلص، وَلاَ سَبِيل إِلىٰ الجِهَاد بِالْقلَم، وَاللِّسَان، لأَنَّ الطُّغاة هُم الْمُسيطرُون عَلىٰ وَسَائِل الدِّعَاية وَالْإِعلاَم، وَمَتىٰ تُرك الْجِهَاد يَداً، وَبَياناً لِسَبب أَو لآخر يَذهب عَلىٰ مدىٰ الْأَيَّام الْإِيمَانُ مِن الْقُلُوب، وَلاَ يَبقىٰ لإِنكَار الْمُنْكَر بِشتىٰ أَنوَاعه أَثـر وَلاَ عَـين... تَمَاماً كَما يَنْسىٰ صَاحِب المِهنَة بِالتَّرك وَالهِجْرَان.

٣٧٥ ـ قَالَ ﷺ: «إِنَّ الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ، وَ إِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَبِيءٌ».

● مَرِيءٌ: هَنِيءٌ، وَوَبِيءٌ: مِن الوَبَاء، وَهُو المَرض العَام... وَطَرِيق الْحَقّ شَائِك جِدّاً، مَا فِي ذَلِكَ رَيب، وَلَكنَّه يَنْتَهِي بِسَالِكه إِلىٰ الرَّاحة وَالْأَمان، وَطَرِيق البَاطِل وَردٌ وَرَيحَان، وَلَكنَّه يُؤدي بِصَاحبه إِلىٰ الهَاوِية. وَإِلَيْكَ هَـذِه الشَّـذرَات الَّـتي ٱلتَقطناها مِن كتَاب «هٰذَا مَذْهَبِي» لِغَاندي:

«طَرِيق الْحَقّ يَتطَلب مِن التَّركِيز أَكْثَر مِمَّا يَتطَلبه السَّير عَلىٰ الحَبل، فَأَقل سَهوَة تَهوي بِالْإِنْسَان إِلىٰ الحَضِيض... وَلاَ أَحد يَسْتَطِيع أَنْ يَدرك الحَقّ إِلّا بِالكفَاح

الَّذي لاَ يَنْقَطع... إنَّ سَبِيل الْخَيْر عَلىٰ عَذَاب مُستمر، وَيَتطَلب أصطبَاراً لاَ نهَاية لهُ... إنَّ الْخَيْر يَسِير بِخُطوات السُّلحفَاة، وَالَّذِين يَرِيدُونه لَيسوا عَلىٰ عَجَلة لأنَّهم يَعرفُون إنَّ تَطعِيم النَّاس بِالْخَيْر يَتطلب وَقْتاً طَوِيلاً».

٣٧٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «لَا تَأْمَنَنَّ عَلَىٰ خَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَذَابَ اللهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾[1]، وَ لَا تَيْأَسَنَّ لِشَرِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ رَوْحِ اللهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[2]».

● دَوَام الحَال مِن المحَال خَيْراً كَان أَم شَرّاً. وَقَالَ سُبْحَانَه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[3] بِالإِضَافَة إِلىٰ الآيَتِين الكَرِيمَتِين اللَّتِين أستَشهد بِهما الإِمَام، فَمَن كَان فِي سِعَة فَلا يَأمن الدَّهر وَضَربَاته، وَالدُّولاب وَدَورَاته، وَمَن كَان فِي ضِيق وَشِدة فَلا ييأس مِن الفَرج وَالخَلاَص.

وَتَقَدَّم الكَلاَم عَن ذَلِكَ مَرَّات، اُنظر شَرح ٱلْخُطْبَة (١٣٢) فِقْرَة «فَلْسَفَة الأَمَل»، وَشَرح ٱلْخُطْبَة (١٦٠) فِقْرَة «فَلْسَفَة الْخَوْف والرَّجَاء».

٣٧٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «الْبُخْلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِئِ الْعُيُوبِ، وَ هُوَ زِمَامٌ يُقَادُ بِهِ إِلَىٰ كُلِّ

(١) ٱلْأَعْرَافِ: ٩٩.

(٢) يُوسُفَ: ٨٧.

(٣) آلِ عِمْرَانَ: ١٤٠.

سُوءٍ».

● الْبَخِيل فِي شقَاء دَائِم، يَسْعىٰ لِغَيره، وَيُلام عَلىٰ بُخله، وَلاَ يَنْتَفِعُ هُو وَلاَ غَيْره بِمَاله. هَذِه حَاله فِي الدُّنْيا، وَلَه فِي الْآخِرَة عَذَاب الحَرِيق، وَلاَ قُبح، وَشرّ، وَسُوء وَرَاء هَذَا الخُسرَان المُبِين. وَتَقَدَّم الكَلاَم عَن البُخل، وَالْبَخِيل فِي الْخُطب، وَالرَّسَائل وَالحِكَم(١).

---

(١) الْبُخلُ عَلىٰ ثَلاَثة أَضْرُب: بُخلُ الإِنْسَان بِمَالِهِ عَلىٰ نَفسِهِ، وَبُخلُه بِمَالِهِ عَلىٰ غَيْره، وَبُخلُه بِمَال غَيْره عَلىٰ نَفسه أَو عَلىٰ غَيْره، وَأَفْحَشُها بُخلُه بِمَال غَيْره عَلىٰ نَفسه، وَأَهونُها - وَإِنْ كَان لاَ هَيِّنَ فِيها - بُخلُه بِمَاله عَلىٰ غَيْره.

أنظر، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلْحَدِيد: ٣١٧/١٩، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٤٩٦/٥.

قَالت الفَلاَسفةُ: الجُود عَلىٰ أَقسَام: مِنْهَا الجُود الأَعظم، وَهُو الجُود الإِلٰهيّ، وَهُو الفَيْض العَامّ المُطلَق، وَإِنَّما يَختَلف لِاختِلاَف المَوادّ وَاستعدَادَاتِها، وَإِلاّ فَالفَيْض فِي نَفْسه عَامٌّ غَيْر خَاصّ، وَبَعدَه جُودُ المُلوك، وَهُو الجُود بِجُزء المَال عَلىٰ مَن تدعُوهم الدّواعي وَالأَغْرَاض إِلىٰ الجُود عَلَيْهِ، وَيَتلوه جُودُ السّوَقة، وَهُو بَذْل المَال لِلعُفَاة أَو النَّدامىٰ وَالشَّرب وَالمُعاشرِين وَالإِحْسَان إِلىٰ الأَقَارب.

أُنظر، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلْحَدِيد: ٣١٨/١٩.

وَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: «الجُود شَجَرةٌ مِن أَشجَار الجَنَّة، مَن أَخَذ بِغُصْن مِن أَغْصَانها أَدّاه إِلىٰ الجَنَّة، وَالبُخلُ شَجَرةٌ مِن أَشجَار النَّار مَن أَخَذ بِغُصْن مِن أَغْصَانِها أَدّاه إِلىٰ النَّار».

أُنظر، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلْحَدِيد: ٣١٧/١٩، فِقه الرِّضا: ٣٦٢، الإِخْتصَاص: ٢٥٢، أَمَالي الطُّوسي: ٨٩/٢، شَرح الأَخْبَار: ٢٢٣/١، كَنز العُمَّال: ٣٣٧/٦ ح ١٥٢٩، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ١٨١/٤، مُستَدرك الوَسَائِل: ١٤/٧ ح ٦.

وَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: «وَأَيّ دَاءٍ أَدْوَأ مِن البُخْل».

أُنظر، مُسْنَد أَحمد: ٣٠٨/٣، مَجْمَع الزَّوَائِد: ٣١٥/٩، فَتح البَاري: ١٧٢/٦، المُصَنَّف لِعبدالرَّزاق الصَّنعاني: ٣٣٨/١١، المُصَنَّف لِلكُوفي: ٢٥٣/٦، مُسْنَد الشّهاب: ١٩٢/١ ح ٢٨٥ و٢٨٦ و٢٨٧، المُعْجَم
⇔

حَدِيث مَوْضُوعِي عَنْ الرِّزْقِ:

٣٧٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «يَا ٱبْنَ آدَمَ، الرِّزْقُ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَ رِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ. فَلَا تَحْمِلْ هَمَّ سَنَتِكَ عَلَىٰ هَمِّ يَوْمِكَ! كَفَاكَ كُلُّ يَوْمٍ عَلَىٰ مَا فِيهِ؛ فَإِنْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ سَيُؤْتِيكَ فِي كُلِّ غَدٍ جَدِيدٍ مَا قَسَمَ لَكَ؛ وَ إِنْ لَمْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فَمَا تَصْنَعُ بِالْهَمِّ فِيمَا لَيْسَ لَكَ؛ وَ لَنْ يَسْبِقَكَ إِلَىٰ رِزْقِكَ طَالِبٌ، وَلَنْ يَغْلِبَكَ عَلَيْهِ غَالِبٌ، وَ لَنْ يُبْطِئَ عَنْكَ مَا قَدْ قُدِّرَ لَكَ».

وَقَالَ الرَّضِيّ: وَقَد مَضىٰ هَذَا الكَلَامُ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ هَذَا البَاب، إلاَّ أَنَّه هَاهُنا أَوْضَحُ وَأَشرحُ، فَلِذَلكَ كَرَّرْنَاهُ عَلىٰ القَاعِدَة المُقَرَّرَةِ فِي أَوَّلِ الكتَاب.

● تَكَلمنَا عَن الرِّزْق مَرَّات فِي «التَّفْسِير الكَاشف» تبعاً لِلآيَات الكَرِيمَة، وَأَيضاً تَحدثنَا عَنْه مِرَاراً فِيما سَبق مِن هَذا الكتَاب تَبعاً لِمقَالة الإِمَام وَإِشَارته... وَبَنِينا الكَلَامَ عَنْه هُنا وَهُناك عَلىٰ أَنَّ الرِّزْق يَرتبط بِالسَّعي عَملاً بِظَاهر الآيَة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[1]، وَحِين بَلغتُ بِالشَّرح إِلىٰ قَول الإِمَام: (الرِّزْقُ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَ رِزْقٌ يَطْلُبُكَ) أَنْعَمتُ الفِكر مِن جَدِيد، وَلَم أَعْطف عَلىٰ مَا سَبق، فَٱهتَدِيت الطَّرِيق ـ بِتوفِيق الله وَبَركة الإِمَام ـ إِلىٰ مَا يَلي:

لِكُلِّ شَيء دَاعِية وَسَبب، رِزْقاً كَان أَمْ غَيْر رِزْق؛ لأَنَّ الله سُبحَانَه أَبىٰ إِلّا أَنْ

↩ الصَّغِير: ١١٥/١، المُعْجَم الأَوسَط: ٧٥/٤، المُعْجَم الكَبِير: ٣٥/٢، الدُر المَنْثُور: ١٩٧/٦، كَنز العُمَّال: ٤٤٩/٣ ح ٧٣٨٩.

(١) ٱلْمُلْكِ: ١٦.

يَربط الأَشْيَاء بِأسبَابها، وَالنَّتَائج بِمُقدمَاتها، وَالفرقُ بَيْنَ الرِّزْق وَغيره يَعُود إِلىٰ أَنَّ غَيْر الرِّزْق قَد يُمكن ضَبْطه وَتَحدِيده مِن خِلال العِلْم بِأسبَابه: أَمَّا الرِّزْق فَلاَ يُمكن ضَبْطَه وَتَحدِيده بِحَال حَتَّىٰ مِن خِلال العِلْم بِأسبَابه. هَذَا هُـو الفَـرق لاِ مَـا قَـاله الشَّارِحُون: إِنَّ الرِّزْق بِيد الله وَحـده وَبِـلا سَـبب عَـلىٰ الإِطـلاق... كَـلا وَأَلف كَلا... أَبَداً لاَ رِزْق إِلاّ بِسَبب مَع تَوفِيق الله وَعِنَايته سوىٰ أَنَّه لاَ يُقدر بِسَببه، أَمَّا غَيْره فَيُمكن تَقدِيره بِسَببه المُوجب لهُ.

ـ مَثَلاً ـ أَسْتَطِيع أَنْ أُحدد مِن طَبِيعَة المَوْضُوع أَنَّ الكِتَابة عَنه سَوف تَسْتَغرق صَفْحة أَو صَفحتِين، وَإِنَّ لَدي مِن المَال مَا يَكفِي لِبنَاء غُرفة أَو غُرفتِين، أَمَّا الرِّزْق فَلا يُمكنم ضَبْطَه وَتَحدِيده حَتَّىٰ مَـع مُـبَاشرة أَسْـبَابه. فَـالفَلاَّح يَـزْرَع، وَيَـنْتَظر الحَصاد، وَالأَمْر بِيد الله، فَقَد تَكُون النَّتِيجة الخِصب أَو الجَدب، وَالتَّاجر يَـعرض السِّلعة فِي حَانُوته، وَقَد تَكْسد أَو تَرُوج، وَأَيضاً قَد يَرتفع ثَمَناً أَو يَنْخَفض لِسَبب أَو لآخر... وَكَذلِكَ الحَلاَّق وَصَاحب «التَّكسي» وَغَيْرهما مِـن أَربَـاب الصِّـناعة ـ تَخْتَلف أَرزَاقهم مِن يَوْمٍ إِلىٰ يَوْم... حَتَّىٰ المُـوظف وَالعَـامل الدَّائم مَـظنَّة الفَـصل وَالطَّرد، وَلَو بِإِفلاَس رَبّ العَمل، أَو إِنْهِيَار الدَّولة مِن الأَسَاس، وَأَيـضاً رِزْقـها مَظنَّة الزِّيَادة بِإِرتفَاع الأجُور وَالرَّوَاتب، أَو بسَاعَات إِضَافِية، وَغَـيْر ذَلِكَ مِمَّـا لَم يَكُـنْ فِي الحُـسبَان... وَأي خَـبير يَسْـتَطِيع أَنْ يُـقدّر وَيُحـدد أَرْبَـاح المُـهربِين وَالمُغَامرِين؟.

وَبِهَذا يَتبَيَّن مَعنا التَّفسِير الصَّحِيح لِقَول الإِمَام: «الرِّزْقُ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ» وَهُو الَّذي صَممتُ عَلَيْهِ، وَسَعيتُ إِلَيْهِ، وَجَعلتهُ نُصب عَينيك، وَبَذلْتُ فِي سَـبِيله كُلّ جُهد (وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ) وَهُو الَّذي لَمْ يَكُن فِي الحُسبَان، وَلاَ مَرَّ بِالخَيَال وَالبَال،

كَالفَلاَّح يُفَاجأ بِالخِصب، وَالتَّاجر بِآرْتفَاع أَثمَان مَا يَملك مِن السِّلع، وَالوَظِيفة تَطرق البَاب بِلا عِلم وَسَعي سَابق. وَكَم مِن وَزِير، وَمُدِير، وَمُحافظ، وَسَفِير قَرأوا خَبَرَ تَوظِيفهم فِي الصُّحف، أَو سَمعُوه مِن الإِذَاعة فُجأة، وَحِين اليَأْس وَالقنُوط.

(فَلَا تَحمِلْ هَمَّ سَنَتِكَ عَلَىٰ هَمِّ يَوْمِكَ! كَفَاكَ كُلُّ يَوْمٍ عَلَىٰ مَا فِيه). لاَ تَتعجَل الهَّم وَالغَّم لِرزق مُقبل، فَإِنَّ يَوْمِك الآتي تَمَاماً كيَوْمِك المَاضي تَجد فِيهِ مَا يَكفِيك، إنْ بَقِيت مَع الأَحيَاء... وَإِلّا فَمَا هَمّك وَشغلك بِمَا لَيْسَ لَكَ، وَلاَ أَنت مِنْهُ فِي شَيء.

٣٧٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «رُبَّ مُسْتَقْبِلٍ يَوْماً لَيْسَ بِمُسْتَدْبِرِهِ، وَ مَغْبُوطٍ فِي أَوَّلِ لَيْلِهِ، قَامَتْ بَوَاكِيهِ فِي آخِرِهِ».

● قَد نُشَاهد حَيَّاً مُعَافىٰ عِند طلُوع الشَّمس نَشوَان مِن رَوعة الْحَيَاة وَبَهجتها، وَقَبل المَغيب ذَهَب بِهِ الْمَوْت إِلىٰ حُفرته، فَشُيّع بِالبُكَاء وَالعَوِيل. فَهَل من يَعْتَبر؟[1].

٣٨٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «الْكَلَامُ فِي وَثَاقِكَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ؛ فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ فِي

---

(١) قَالَ الشَّاعر:

يَا رَاقدَ اللَّيل مَسرُوراً بِأَوّله   إنَّ الحَوَادث قَد يَطرُقن أَسحَارا

أُنظر، شَرح نَهج البَلاَغة لِابن أَبِي الحَدِيد: ١٦٦/٥ و: ٣٢١/١٩، كتَاب الحَيوان: ٥٠٨/٦ طَبع مَطبَعة الحَلبي، إِحْيَاء علُوم الدِّين: ١٨٠/٣، تَفسِير القُرطُبي: ٢/٢٠، وَقَد نَسَب الشِّعر إِلىٰ آبن الرُّومي.

وَقَالَ آخَر:

لاَ يَغرَّنَّك عِشَاءٌ سَاكِنٌ   قَد يُوَافي بِالمَنِيَّات السَّحَرْ

أُنظر، شَرح نَهج البَلاَغة لِابن أَبِي الحَدِيد: ٧١/٢٠، تَفسِير القُرطُبي: ٣١٩/٤، كَنز العُمَّال: ٨١٨/٣، وَقَد نَسَب الشِّعر إِلىٰ عَبدالله بن الحَسَن، المُنتَخَب مِن ذَيل المُذَيل للطَّبري: ١٤٣.

وَثَاقِهِ ، فَٱخْزُنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزُنُ ذَهَبَكَ وَ وَرِقَكَ ؛ فَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً وَ جَلَبَتْ نِقْمَةً » .

● لَكَ أَنْ تقول مَا شِئت قَبل أَنْ تَتكَلَّم ، فَإِذَا تكَلَّمتَ فَعَلَيْكَ أَنْ تَنْسَجم مَع أَقوالك وَإِلّا نَاقضتَ نَفْسك ، وَأَقمتَ الحُجَّة مِنْهَا عَلَيْكَ (فَٱخْزُنْ لِسَانَكَ) إِلّا عَمَّا يَجْلب خَيْراً أَو يَدفَع شَرّاً (كَمَا تَخْزُنُ ذَهَبَكَ وَ وَرِقَكَ) بِكَسر الرَّاء أَي نقُودك ، وَالْمَعْنَىٰ : لاَ فَرق بَيْنَ الكَلاَم وَالنّقود ، كُلّ مِنْهَا يَجب أَنْ يَملأ أي فَرَاغاً وَيَسد حَاجة (فَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً وَ جَلَبَتْ نِقْمَةً) وَهِي كَلِمَة الجَهْل ، وَالحُمْق ، وَالغَضَب ، وَالعَجَلة ، يَطلقها المُسترع بِلا تَقدِير ، وَرَوِية إِلىٰ أين تَنْتَهِي مَاذَا تَهدم وَتُدمر .
وَتَقَدَّم الكَلاَم عَنْه ذَلِكَ مَرَّات . أنظر ٱلخُطْبَة (٩٦) فِقْرَة : «السُّكُوت » .

٣٨١ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «لاَ تَقُلْ مَا لاَ تَعْلَمُ ؛ بَلْ لاَ تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ ، فَإِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَىٰ جَوَارِحِكَ كُلِّهَا فَرَائِضَ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

● الْعَاقِل ـ بِالْمَعْنَىٰ الْحَقِيقِي لِهَذِه الكَلِمَة ـ لاَ يَقول مَا يَجْهَل ، وَمَا لاَ يَفْعَل ، وَيَكتُم عِلْمه إِذَا لَمْ يَجد لهُ مَوضعاً ، فَإِنَّ الْعِلْم خَيْر مِن وَضعه فِي غَيْر مَوْضِعه ... وَأَيضاً الْعَاقِل لاَ يَتَحدث عَن نَفْسه ، وَلاَ يَدخل فِي جِدَال بِلا جَدوىٰ ، وَيُحَاول أَنْ يَكُون أَقل كَلاَماً ، وَأَكْثَر عَملاً وَفَهماً .
(فَإِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَىٰ جَوَارِحِكَ كُلِّهَا فَرَائِضَ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) . لِكُلِّ عُضو مِن أَعْضَاء الإِنْسَان حَدٌّ لاَ يَتعدَاه ، وَعَمل خَاص يَعُود عَلَىٰ العَامل وَمُجتَمعه بِالنَّفع وَالصَّلاح ، فَإِذا أَسَاء وَتجاوز الحَدّ ، وَٱشتَغل طَاقته وَأَعضَاءه فِي الإِيذَاء

وَالْإِضرَار بِالْآخَرين ـ كَان مَسؤولاً أَمَام الله ، وَحقَّت عَلَيْهِ كَلِمَة العَذَاب ، وَقَالَ سُبْحَانَه : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾(١) . وَقَالَ : ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(٢) .

٣٨٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «اَحْذَرْ أَنْ يَرَاكَ اللهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ ؛ وَ يَفْقِدَكَ عِنْدَ طَاعَتِهِ ، فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ؛ وَ إِذَا قَوِيتَ فَاَقْوَ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ ، وَ إِذَا ضَعُفْتَ فَاَضْعُفْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ » .

● حَثَّ الْإِمَام عَلىٰ طَاعة الله ، وَحَذَّر مِن مَعْصِيَته ، وَلاَ أعرف شَيْئاً يُطاع بِهِ الله سُبْحَانَه فِي عَصرنا مِن جِهَاد البَغي وَأَهله ، وَلاَ شَيْئاً يُعصىٰ الله بِهِ أَشَد مِن التَّثَاقل وَالتَّكاسل عَن هَذا الجِهَاد المُقَدس . . . أَبَداً لاَ بِرَّ اليَوْم وَلاَ إِحْسَان وَلاَ خَيْر عِند الله يُعَادل جِهَاد أَعْدَائه وَأَعْدَاء أُمَّة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله الَّذِين آحتلُوا جُزءاً مِن أَرْضنا ، وَيُخططُون مَع قَادة الْإِستعمَار الحَدِيث لإِذْلاَلنا وَآستعبَادنا نَحنُ الْمُسْلِمِين . . . وَهَل لِلْإِسْلاَم مِن عِزَّة ، وَكَرَامة إِذَا كَان أَهْله أَذلاَء مَنكُوبِين ، وَضُعفَاء مُحْتَقرِين ؟ .

٣٨٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «الرُّكُونُ إِلَىٰ اَلدُّنْيَا مَعَ مَا تُعَايِنُ مِنْهَا جَهْلٌ ، وَ التَّقْصِيرُ فِي حُسْنِ الْعَمَلِ إِذَا وَثِقْتَ بِالثَّوَابِ عَلَيْهِ غَبْنٌ ، وَ الطُّمَأْنِينَةُ إِلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَ الاِخْتِبَارِ لَهُ عَجْزٌ» .

● الْمُرَاد بِالرُّكُون هُنا العَمل لِلدُّنيَا دُونَ الْآخِرَة ، وَهَذا عَين الْجَهْل ، لأَنَّه عَمل

---

(١) ٱلإِسْرَاء : ٣٦.

(٢) سُورَة ق : ١٨.

يَزُول وَيَفنىٰ، وَإِهْمَال لمَا يَدُوم وَيَبقىٰ... وَمَن أَيقَن وَأَحجم عَنْه فَهُو مِن الخَاسِرين... وَمِن الجَهْل وَالحُمْق أَنْ تَثق بِإخوَان العَلاَنِيَة، وَأَنْتَ تجهل حَقِيقَتهم. وَكُلّ ذَلِكَ تَقدَّم مِرَاراً.

٣٨٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَىٰ اللهِ أَنَّهُ لَا يُعْصَىٰ إِلَّا فِيهَا، وَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا».

● كُلّ الآثَام وَالمُوبقَات مِن الْكُفْرِ، وَالزَّندقة، وَالغُش، وَالْكَذِب، وَالرِّيَاء، وَالحَسَد، وَالحِقد، وَالفجُور، وَالْفَسَاد، كُلّ أُولاَء وَمَا إِلَيْهَا لاَ تَكُون وَلَنْ تَكُون إِلّا فِي الدُّنْيَا، وَلاَ مَقر لِلشَّيطان وَحِزبه فِي غَيْرِها، وَكَفَاها بِذَلِكَ سُوءاً وَقُبحاً. وَالْمرَاد بِتَرْكِهَا المُحَرَّمَات(١).

(١) فِي الحَدِيث المَرفُوع: «إِنَّ رَسُول اللهِ صلى الله عليه وآله مَرَّ عَلىٰ شَاةٍ مَيِّتَةٍ، فَقَال: أَترون أَنَّ هَذِه الشَّاة هَيِّنَةٌ عَلىٰ أَهلها: قَالُوا: نَعم، وَمِنْ هَوانها أَلقوْها، فَقَال: وَالَّذي نَفسِي بِيده للدُّنيا أَهوَن عَلىٰ الله مِن هَذِه الشَّاة عَلىٰ أَهلِها، وَلَو كَانَتْ الدُّنيا تَعدل عِند الله جَنَاحَ بَعُوضة لمَا سَقىٰ كَافراً مِنْهَا شِربَة مَاء». أُنظر، المُعْجَم الكَبِير: ١٥٧/٦، أُسد الغَابَة: ١٥٦/٣، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغة لِابْن أَبِي ٱلْحَدِيد: ٣٣٠/١٩.

وَقَالَ صلى الله عليه وآله: «الدُّنْيا سِجن المُؤمِن، وَجَنَّة الكَافر». أُنظر، تُحف العقُول: ٣٦٣، فَيض القَدِير شَرح الجَامع الصَّغِير: ٦٧١/١، كَشف الخَفَاء: ٤١١/١، تَارِيخ بَغدَاد: ٣٤٨/١١، المَجمُوع: ١٩/١، مُستدرَك الوَسَائِل: ٣٨/١٢، أَمَالي الشَّيخ الطُّوسي: ٥٣١، سُنَن ابن مَاجه: ١٣٧٧/٢ ح ٤١١٢، مكَارِم الأَخْلَاق لِلطَّبرسي: ٤٥٣، سُنَن التِّرمذي: ٣٨٤/٣ ح ٢٤٢٤، مجمَع الزَّوائد: ٢٢٢/١٠، الزُّهْد وَصِفَة الزَّاهِدِين: ٤٥، كَنز العُمَّال: ١٨٥/٣ ح٦٠٨٣، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٧٣٣/٣ ح ٤٤٨٠، تَهذِيب الكَمَال: ٣٠٥/١٩ ح ٣٧٧٢، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغة لِابْن أَبِي ٱلْحَدِيد: ٣٣٠/١٩.

وَقَالَ أيضاً: «الدُّنْيا مَلعُونة، مَلعُون مَا فِيها، إِلاَّ مَا كَان لله مِنْهَا».

وَقَال أيضاً: «مَنْ أَحَبَّ دُنيَاه أَضَرَّ بآخِرَته، وَمَن أَحبّ آخِرته أَضرَّ بِدُنيَاه، فَآثِرُوا مَا يَبقىٰ عَلىٰ مَا

٣٨٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «مَنْ طَلَبَ شَيْئاً نَالَهُ أَوْ بَعْضَهُ» .

● مَنْ جَدّ وَٱجْتَهد فِي طَلَب شَيْء مُمكِن الوقُوع وَالحصُول بِالنِّسبة إِلىٰ طَالبه ـ فَلاَ بُدَّ أَنْ يَنَاله كُلّه أَو بَعْضه ، إِنْ ٱستَمر فِي جِهَاده وَصَبرَ صَبْرَ الأَحـرَار عَـلىٰ مَـا يَعْتَرِضه مِن عَقبَات .

٣٨٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «مَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ ، وَ مَا شَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ ؛ وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْجَنَّةِ فَهُوَ مَحْقُورٌ ، وَكُلُّ بَلاَءٍ دُونَ النَّارِ عَافِيَةٌ» .

● هَذَا هُو المقيَاس لِلخَير وَالشَّرّ عِند الإِمَـام ، فَكُـلّ مَـا يُـؤدي إِلىٰ جَـنَّة الله وَرِضوَانه فَهُو خَيْر ، وَكُلّ مَا يُؤدي إِلىٰ غَضبِه وَعَذابه فَهُوَ شَرّ . وَتَقدَّم فِي ٱلْخُطْبَة قَوْلَه : «فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةُ»[١] ، وَيَأْتِي قَوْلَه : «الْغِنَىٰ وَالْفَقْرُ بَعْدَ الْعَرْضِ عَلَىٰ الله»[٢] . وَمِن أَجل هَذا وَحده طَلّق الدُّنْيَا ثَلاَثاً ، حِين قَالَ : «يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا ، إِلَيْكِ عَنِّي ، أَبِي

⇐ يَفْنَىٰ» . أنظر ، مَجمَع الزَّوائد : ١٠/٢٤٩ ، مُنْتَخَب مُسْنَد عَبد بن حُمَيد : ١٩٨ ، مُسْنَد أَحمد : ٤/٤١٢ ، صَحِيح أبن حبّان : ٢/٤٨٦ ح ١٧٠٨٠ ، المُعْجَم الكَبِير : ٩/١٥١ ، مُسْنَد الشّهاب : ١/٢٥٨ ح ٤١٧ ، العهُود المُحَمدية : ٥٤٨ ، موَارد الظَّمآن : ٦١٢ ، الجَامِع الصَّغِير : ٢/٥٥٣ ح ٨٣١٣ ، كَنز العُمّال : ٣/١٩٧ ح ٦١٤٦ ، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير : ٦/٤٠ ، كَشف الخَفَاء : ١/٤٠٨ .

وَقَالَ أيضاً : «حُبّ الدُّنْيا رَأْس كُلّ خَطِيئَة» . أنظر ، البَحر الرَّائق : ٧/٤٨٣ ، الدُّر المُختار : ٦/٢٥٥ ، الكَافِي : ٣/١٣١ ح ١١ ، الخِصَال لِلشَّيخ الصَّدوق : ٢٥ ح ٨٧ ، وَسَائِل الشِّيعة : ١٦/٩ ح ٢ ، عُيون الحِكم وَالمواعظ : ٢٣١ ، تُحفَة الأَحوَذي : ٦/٨٢ ، الجَامِع الصَّغِير : ١/٥٦٦ ح ٣٦٦٢ ، كَنز العُمّال : ٣/١٩٢ ح ٦١١٤ ، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير : ٣/٤٨٧ ح ٣٦٦٢ ، كَشف الخَفَاء : ١/٣٤٤ ح ١٠٩٩ ، شَرح نَهج البَلاَغة لِابْن أَبي الحَدِيد : ١٩/٣٣١ .

(١) أنظر ، نَهج البَلاَغَة : الخُطْبَة (١٩٠) .

(٢) أنظر ، نَهج البَلاَغَة : الحِكمَة (٤٤٥) .

تَعَرَّضْتِ ؟ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتِ ؟ لَا حَانَ حِينُكِ ! هَيْهَاتَ ! غُرِّي غَيْرِي ، لَا حَاجَةَ لِي فِيكِ ، قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلَاثاً لَا رَجْعَةَ فِيهَا ! فَعَيْشُكِ قَصِيرٌ ، وَخَطَرُكِ يَسِيرٌ ، وَأَمَلُكِ حَقِيرٌ . آهِ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ ، وَطُولِ الطَّرِيقِ ، وَبُعْدِ السَّفَرِ ، وَعَظِيمِ الْمَوْرِدِ ! »[1] . وَأَخرجَها مِن قَلْبه ، وَلَو كَان فِي قَلْبه شَيء مِنْهَا لنَعَته أَبْنَاؤها بِالمُعلم الأَوَّل فِي السِّيَاسَة .

٣٨٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «أَلَا وَ إِنَّ مِنَ الْبَلَاءِ الْفَاقَةَ ، وَ أَشَدُّ مِنَ الْفَاقَةِ مَرَضُ الْبَدَنِ ، وَ أَشَدُّ مِنْ مَرَضِ الْبَدَنِ مَرَضُ الْقَلْبِ ؛ أَلَا وَ إِنَّ مِنَ النِّعَمِ سَعَةَ الْمَالِ ، وَأَفْضَلُ مِنْ سَعَةِ الْمَالِ صِحَّةُ الْبَدَنِ ، وَأَفْضَلُ مِنْ صِحَّةِ الْبَدَنِ تَقْوَىٰ الْقَلْبِ » .

● الْفَاقَة : الْفَقر ، وَهُو مَرض ، بَل «الْفَقْرُ الْمَوْتُ الأَكْبَرُ»[2] كَمَا قَالَ الإِمَام عليه السلام ، وَمَع هَذَا فَإِنَّ مَرض البَدن أَشَد مِنْهُ آلاَماً وَأَوْجَاعاً ... وَأيضاً يَمنع عَن الحَركَةِ وَالعَمَل بِخلَاف الْفَقر فإِنَّه يَبْعَث عَلىٰ الكفَاح وَالنّضال ، وَرُبَّما كَان خَيْراً فِي عَاقبتِهِ ، فَأَكْثَر العبَاقِرة مِن البَائسِين وَالمُعدَمِين ... وَكُلّ إِنْسَان يُؤثْر الصِّحة مَع الْفَقْر عَلىٰ الْغِنَىٰ مَع المَرض ، وَأَشد الأَمرَاض عَلىٰ الإِطلاَق أَمرَاض القَلب ، وَهِي كَثِيرَة مُتنوعة كَأَمرَاض البَدن ، وَمِنْهَا الضَّلال وَالنِّفَاق ، وَالحِقد وَالْكِبْرِيَاء ، وَلكنَّ النَّاس لاَ يَحسُون بِأدوَاء القَلب ، لِأَنَّهَا مُغلَّفة بِالشَّهوَات تَمَاماً كَالسُّم بِالعَسل .

وَبِالقَلب يَناط صَلاح الجَسَد كَمَا فِي الحَدِيث الشَّرِيف : «أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَد مُضْغَة

(١) أنظر ، نَهج ٱلبَلاَغَة : ٱلحِكْمَة (٧٥).
(٢) أنظر ، نَهج ٱلبَلاَغَة : ٱلحِكْمَة (١٦٢).

إِذَا صَلُحت صَلُح الجَسد كُلّه، وَإِذ فَسدَت فَسَد الجَسَد كُلّه»(١).

وَتَسْأَل: إنَّ الكَثِير مِن مَرضىٰ الْقُلُوب كَالمُجرِمِين أَبْدَانهُم سَلِيمة مِن الأَمرَاض، فَمَا هُو المُبَرر لِقَول الرَّسُول ﷺ: «إِذَا صَلُح القَلْب صَلُح الجَسَد»؟.

الْجَوَاب:

مُرَاد الرَّسُول ﷺ بِصَلاح الجَسَد أَنَّ أَعْضَاءه لاَ تَجْتَرِح المَآثِم وَالمُحَرَّمَات كَالزِّنا، وَالسَّرِقة، وَالقَتل، وَالضَّرب، وَالْكَذِب، وَالْغِيْبَة، وَمَا إِلىٰ ذَلِكَ مِمَّا تَنبع أَسْبَابه مِن مَرض القَلب وَشَهوَاته، وَلِذا قَالَ الرَّسُول ﷺ: «صَلُح الجَسَد، وَلَمْ يَقُل صَحَّ أَو سَلم».

وَبَعد أَنْ أَشَار الإِمَام إِلىٰ النِّقمَة وَمَراتبها الثَّلاث قَالَ: «إِنَّ مَراتب النِّعْمَة أَيضاً ثَلاَث: عُليا، وَهِي التَّقْوىٰ، وَدُنْيا وَهِي سِعَة الرِّزْق، وَوسطىٰ وَهِي صِحَّة الجَسَد عَلىٰ العَكس مِن النِّقمة بِشَتىٰ أَقْسَامها».

٣٨٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «لِلْمُؤْمِنِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ: فَسَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَ سَاعَةٌ

---

(١) أُنظر، صَحِيح البُخَاريّ: ١/٢٨ ح ٥٢، صَحِيح مُسْلِم: ٣/١٢١٩ ح ١٥٩٩، مُسْنَد أَبِي عوَانه: ٣/٣٩٧ ح ٥٤٦٠، سُنَن الدَّارمي: ٢/٣١٩ ح ٢٥٣١، سُنَن أبن مَاجه: ٢/١٣١٨ ح ٣٩٨٤، سُنَن البَيْهَقِيّ الكُبرىٰ: ٥/٢٦٤ ح ١٠١٨٠، مُسْنَد أَحمد: ٤/٢٧٠، شُعب الإِيمَان: ١/٤٧٥ ح ٧٥٨، كِتَاب الزُّهْد الكَبِير: ٢/٣١٩ ح ٨٦٢، التَّرغِيب وَالتَّرهِيب: ٢/٣٥٠ ح ٢٦٨١، نوَادر الأُصُول فِي أَحَادِيث الرَّسُول: ٣/٥٠، الْبَيَان وَالتَّعرِيف: ٢/٣٠، الإِحْكَام لِابن حَزم: ٥/١٣١، شَرح النَّووي عَلىٰ صَحِيح مُسْلِم: ١١/٢٨، الدِّيبَاج: ٤/١٩٠ ح ١٥٩٩، فَيض القَدِير: ٥/٥٢، كَشف الخَفَاء: ١/٤٣٨ ح ١١٦٧، سُبل السَّلام: ٤/١٧١، المُدونَة الكُبرىٰ: ٨/٤٤١.

يَرُمُّ مَعَاشَهُ ، وَ سَاعَةٌ يُخَلِّي بَيْنَ نَفْسِهِ وَ بَيْنَ لَذَّتِهَا فِيمَا يَحِلُّ وَ يَجْمُلُ . وَ لَيْسَ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ شَاخِصاً إِلَّا فِي ثَلَاثٍ : مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ ، أَوْ خُطْوَةٍ فِي مَعَادٍ ، أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ » .

● لاَ شَيء أَعَزّ مِن الْعُمُر ، وَيُحدَّد الْعُمُر بِالوَقت ، وَالوَقت بِالسَّاعَات ، وَإِذْن فَلا شَيء أَعَزّ وَأَغْلىٰ مِن السَّاعَات ، وَمِن هُنا وَجَب تَقْنِينها وَتَنظِيمها ، وَقسَّمها الْإِمَام عَلىٰ الوَجه التَّالي :

١ ـ (سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ) لَيسَ الْمُرَاد بِالمُنَاجَاة هُنا الصَّلوَات وَالدَّعوَات ، كَمَا قَالَ الشَّارِحُون : بَل الْمُرَاد ـ عَلىٰ مَنطق الإِمَام ـ أَنْ يَتخَلىٰ الْإِنْسَان عَنْ أَهوَائِهِ وَأَوْهَامه ، وَيُجَابه الْحَقِّيقة بِجُرأَة وَشَجَاعة وَيُحاسِب نَفْسه قَبل أَنْ يُحَاسَب ، كَمَا قَالَ الْإِمَام فِي ٱلْخُطْبَة (٩٠ و ٢٢٢) فَيذكّرها بِالله وَأيَّامِهِ ، وَأَنَّهَا قَادِمة عَلَيْهِ ، وَمَاثِلة بَيْنَ يَدِيه لِلْحِسَابِ ، وَالْجَزَاء ، وَأَنَّه لاَ نَجَاة لَهَا إِلّا بِتقوىٰ الله وَالْعَمل الَّذي يَعُود عَلىٰ العَامل وَسِواه بِالْخَيْر وَالصَّلاح .

٢ ـ (وَ سَاعَةٌ يَرُمُّ مَعَاشَهُ) يَرمّ : يُصْلِح ، وَالْمَعْنىٰ عَلىٰ الْإِنْسَان أَنْ يَعْمل عَلىٰ لِمطَالب الْحَيَاة ، وَحَاجَاتها بِالوَسَائِل المَشرُوعة كِي تَسْتَقِيم فِي طَرِيقها القَوِيم ، وَقَالَ الْعُلَمَاء : إِنَّ الْإِنْسَان خَلِيفَة الله فِي أَرْضِهِ لِعمَارتها وَإِصْلاَحها وَالعَيش مِن خَيْراتها ، قَالُوا هَذَا فِي تَفْسِير الآيَة : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] .

(١) ٱلْبَقَرَة : ٣٠ .

٣ ـ (وَ سَاعَةٌ يُخَلِّي بَيْنَ نَفْسِهِ وَ بَيْنَ لَذَّتِهَا فِيمَا يَحِلُّ وَ يَجْمُلُ) . هَـذِهِ السَّـاعَة لِلتَّنفِيس بِالْمُتْعَة وَالرَّاحة ، وَهِي آستجمَام لِلقَلب ، وَنَشاط وَقُوّة مُـنْعِشة لِـلسَّاعة الْأُولىَ وَالثَّانِيَة . . وَأَنا مَحرُوم مِن هَذِه السَّاعَة ، وَمَا لِي إِلَيْهَا مِن سَبِيل ، وَلَكنْ طَبِيعَة عَملي ، وَهُو التَّأْلِيف وَبِخَاصَة «التَّفْسِير الكَاشف» و «وَفِي ظِلاَل نَهْج اَلْبَلاَغَة» ـ قَد جَمَع بَيْنَ السَّاعة الْأُولىَ وَالثَّانِيَة ، وَأَدخل إِحدَاهما فِي الأُخرىٰ ، وَإِذا كَان فِي الشَّاي وَالتَّدخِين رَاحَة وَمُتعة تَدَاخلت السَّاعَات الثَّلاَث ، وَأَصْبَحت كَالسَّاعَة الوَاحِدة مُنَاجَاةً وَتَأْلِيفاً وَتَروِيحاً .

(وَ لَيْسَ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ شَاخِصاً) . أَي مُشْتَغلاً وَمُهتَماً (إِلَّا فِي ثَلَاثٍ . . . إلخ) وَهِي السَّاعَات الَّتِي سَبَق ذِكرهَا : «السَّعِي مِـن أَجـل الدُّنْـيَا ، وَالتَّزوُّد لِـلمَعَاد ، وَالتَّروِيح عَن النَّفس فِي نطَاق حَلال الله ، وَحَرَامه» .

٣٨٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «اِزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُبَصِّرْكَ اللهُ عَوْرَاتِـهَا ، وَ لَا تَـغْفُلْ فَـلَسْتَ بِمَغْفُولٍ عَنْكَ» .

● رَغْبَة الْإِنْسَان فِي الشَّيء تَعْمِيه عَن مَعَائِبِه ، وَزُهده فِيهِ يُكشّفه عَلىٰ حَقِيقَته . . أَنْتَ إِذَا زَهَدت فِي الدُّنْيَا عَرفت أَخْبَارها وَأَوْضَارَها ، وَمَصِيرها وَتَحـذِيرها ، وَإِنْ صَحبتَها رَاغِباً فِيْهَا جَهلتَ حَقِيقَتها وَكَان مَآلك النَّدم وَالخُسْرَان .

٣٩٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا ، فَإِنَّ الْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ» .

● (تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا) إِنْ كُنْتُم مِن أَهْل الْفَضْل وَالمَـعْرِفَة وَإِلاّ فَـالسّكُوت خَـيْر وَأَفْضَل ، وَفِي مُسْتَدرك نَهْج اَلْبَلاَغَة إِنَّ الْإِمَام عليه السلام قَالَ : «تَكَلَّمُوا فِي الْـعِلْم تُـعْرَف

أَقْدَاركُم»[1]، وَوَاضح إنَّ العالِمِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلَّم إِذَا وَجَد الرَّاغبَ الفَاهِم وَإلّا «مَنْ بَاع دُرّاً عَلىٰ الفَحَّام ضَيعَه»[2]. وَتَقَدَّم مَع الشَّرح فِي ٱلحِكْمَة (١٤٧): «المَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ».

٣٩١ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ، وَ تَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّىٰ عَنْكَ؛ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبِ».

● الحَلاَل الطَّيب كَثِير فِي هَذِه الحَيَاة، فَخُذ مِنْهُ مَا تَيَسَّر فَهُو قَسْمتك وَنَصِيبك، وَإنْ رَغِبت فِي المَزِيد فَٱسعَ إِلَيْهِ فِي حدُود حَلاَل الله وَحَرامه، وَلاَ تَعْتَد إِنَّ ٱللهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ.

٣٩٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «رُبَّ قَوْلٍ، أَنْفَذُ مِنْ صَوْلٍ».

● رُبَّ كَلِمَة خَبِيثَة أَثَارت حَرْباً، وَأَهْلَكت البِلاد وَالعبَاد، وَرُبَّ كَلِمَة طَيبَة أَلاَنت القُلُوب، وَمَهدَت سُبل الخَيْر وَالسَّلام. وَقَالَ سُبْحَانَه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[3].

---

(١) أنظر، الكَافِي: ١/٥١ ح ١٤ وَلَكنْ بِلَفظ «تُبِين أَقْدَاركُم»، تُحف العقُول: ٢٠٨، الإِخْتِصَاص لِلشَّيخ المُفِيد: ٢، البحَار: ٧٥/٤٦ ح ٥٨.

(٢) أُنظر، حَواشِي الشّروَاني: ٤/٤٣٦.

(٣) إبْرَاهِيم: ٢٤ ـ ٢٦.

٣٩٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «كُلُّ مُقْتَصَرٍ عَلَيْهِ كَافٍ».

● مَن اَقْتَصر عَلىٰ مَا أَصَاب مِن سَعيه وَرَضي بِهِ فَقَد كَفَاه، لأَنَّ مَعْنَىٰ الكفَايَة اَطمئنَان النَّفس وَالرِّضا بِالمَكتُوب، فَلاَ تَتشوّف النَّفس إِلىٰ سوَاه، وَكُلّ مَن وَثق بِاللهِ، وَأَدرَك الدُّنْيا حَقِّيقة، وَإِنَّـه تَـاركها إِلىٰ غَـيْرِهِ لاَ مَحَـالَةَ ـ يَـصل إِلىٰ البُـلْغَة وَالكفَايَة. وَمِن دُعَاء نَـبِيّ الرَّحْمَـة صلى الله عليه وآله : «أَللَّـهُمَّ اَجْـعَل رِزْق آل مُحَـمَّد كـفَافاً ـ قُوتَاً ـ»(١).

٣٩٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «الْمَنِيَّةُ وَ لَا الدَّنِيَّةُ ! وَ التَّقَلُّلُ وَ لَا التَّوَسُّلُ. وَ مَنْ لَمْ يُعْطَ قَاعِداً لَمْ يُعْطَ قَائِماً، وَ الدَّهْرُ يَوْمَانِ : يَوْمٌ لَكَ، وَ يَوْمٌ عَلَيْكَ ؛ فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطَرْ، وَ إِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ !».

● الْمَنِيَّة : الْمَوْت، وَالدَّنِيَّة : العَار، وَالْمَعْنَىٰ : الْمَوْت أَوْلَىٰ مِـن ركُـوب العَـارِ(٢)،

---

(١) أنظر، كَنز العُمَّال: ٦/٤٩٠ ح ١٦٦٧٣ و ١٧٠٩٩، كَشف الخَفَاء: ١/١٩٠ ح ٥٦٨ وص ٣٩٢ح ١٢٥٠، صَحِيح اَبن حَبَّان: ١٤/٢٥٤، تَفسِير الثَّعالبي: ١/٥٣١، تَأريخ دِمشق: ٥٦/٣٣٨، الصِّحاح: ٤/١٤٢٣، لِسَان العَرب: ٩/٣٠٦، مُختار الصِّحاح: ٢٩٥، تَاج العَرُوس: ٦/٢٣٦، بِحَار الأَنْوار: ٦٩/٦٠ ح ٣، مَجمَع البَحرين: ٤/٥٥.

(٢) لَقَد أَنشَأ الإِمَام الحُسين عليه السلام يَوْم اَستشهَاده:

الْمَوْت خَـير مِـن رُكُـوب العَـار ... وَالعَـار أَوْلَىٰ مِـن دخُـول النَّـار

أُنظر، كَشف الغُمَّة: ٢/٢٤٢، مَنَاقب آل أَبي طَالب: ٣/٢٢٤، مُثِير الأَحـزَان: ٥٤، بِحَـار الأَنْـوار: ٤٤/١٩٢ ح ٤، تَأريخ اَبن عسَاكر تَرجَمة الإِمَام الحُسين عليه السلام : ١٧٧.

وَقَال شَاعر:

يَرىٰ المَوت أَحلىٰ مِـن رُكُـوبِ دَنِّـيَة ... وَلاَ يَـقْتَدي لِـلنَّاكـصِين عَـلِيلا

↔

وَالتَّقَلُّل: الإكْتفَاء بِالقَلِيل، وَالتَّوسُّل إِلىٰ النَّاس التَّقرُب إِلَيْهِمْ بِمَا يُرضِيهم وَالطَّلب مِنْهُم، وَلَيْسَ مِن شَكٍّ إِنَّ القَلِيل مَع العِفَة وَالكَرَامة خَيْرٌ مِن الكَثِير مَع الدَّنَاءة وَالمَذَّلة (وَ مَنْ لَمْ يُعْطَ قَاعِداً لَمْ يُعْطَ قَائِماً) الْمُرَاد بِالقَاعِد هُنا هُو السَّاعي وَالطَّالب برفق، وَالْمُرَاد بِالقَائِم السَّاعِي وَالطَّالب بِعُنف، وَالْمَعْنَىٰ آرفق فِي السَّعي وَالطَّلب، فَإِنْ لَم تَدرك حَاجتك مِن هَذِه السَّبِيل فَإِنَّك لَنْ تَدركها مِن سَبِيل الْعُنْف.

(وَ الدَّهْرُ يَوْمَانِ) لَوْنَان: شِدَّة وَلِين، فَإِنْ آشتَد وَقَسا فَلا تَمُوتن حُزناً وَأَسفاً، وَإِنْ هَان وَلاَن فَلا تَنْتَفخ كِبراً وَعُجباً... وَخُذ مِن الضِّيق وَالشِّدَّة دَرسَاً وَعِظَةً تَنْتَفع بِها فِي حَيَاتك، وَكُنْ عِند السِّعة شَاكِراً مُتوَاضِعاً، وَحَذِراً مِن الْمُخبِئات وَالمُفَاجآت[1].

⇐ وَيَسْتَعذب التَّعذِيب فِيما يُفيده ... نَزَاهته عَن أنْ يُقاد ذَلِيلا

أنظر، مطَالب السّؤول فِي منَاقب آل الرّسُول: ٢٥٣، وَزُبدَة المقَال فِي فَضَائِل الآل (مَخْطُوط): وَرَق (١٢٥)، وَكِلاَهما لِكمَال الدِّين مُحَمَّد بن طَلحَة الشّافِعي المُتوفَّىٰ سَنَة (٦٥٤ هـ. ق).

(١) يُنْسَب هَذا الشّعر إلىٰ بِشر الحَافِي تَارَةً، وَإِلىٰ الأَصْمَعي تَارة أُخرىٰ، وَإِلىٰ أَبي هَفان البَصري تَارَة ثَالثة:

أُقسِم بِاللهِ لِمَصُّ النَّوىٰ ... وَشُربُ مَاءِ القُلُبِ المَالِحَةْ
أَحْسَنُ بِالإنْسَان مِن ذُلِّهِ ... وَمِن سُؤال الأَوجهِ الكَالِحَةْ
فَآستَغنِ بِاللهِ تَكُن ذَا غِنىً ... مُغتَبطاً بِالصَّفقَة الرَّابِحَةْ
فَالزُّهد عِزٌّ وَالتُّقىٰ سُؤددٌ ... وَذُلَّة النَّفس لَهَا فَاضِحَةْ
كَمْ سَالِمٍ صِيح بِهِ بَغْتَةً ... وَقَائِلٍ عَهْدِي بِهِ البَارِحَةْ
أَمْسىٰ وَأَمسَتْ عِندَه قَيْنَةٌ ... وَأَصْبحَتْ تَنْدُبه نَائِحَةْ
طُوبَىٰ لِمَن كَانَتْ موَازِينُه ... يَوْمَ يُلاَقِي رَبَّه رَاجِحَةْ

وَقَالَ أيضاً:

لَمَصُّ الثِّمَاد وَخَرْطُ القَتَادِ ... وَشُربُ الأُجَاج أَوَان الظَّمَا

⇐

٣٩٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «مُقَارَبَةُ النَّاسِ فِي أَخْلَاقِهِمْ أَمْنٌ مِنْ غَوَائِلِهِمْ».

● الغَوَائِل: جَمْع الغَائِل أَو الغَائِلة أَي الشَّرّ... وَالْمَعْنَىٰ أَنَّ النَّاس يُرِيدُون مِنْكَ مَا تُرِيده مِنْهُم، وَهُو كَفُّ الْأَذَىٰ عَنْهُم، فِي المُعَامَلاَت عَلَىٰ أَخْلاَقهم وَعَاداتهم، وَمَن أَلزَم نَفْسه بِذَلِكَ أَمِن شَرّ النَّاس وَغَدرهم... وَمِن البدَاهَة أَنَّ الإِمَام يُرِيد مُدَارَاة النَّاس، وَمُوَافقتهم فِيمَا يُجِيزه الشَّرع وَلاَ يَأْبَاه الْعَقْل (١).

٣٩٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام لِبَعْضِ مُخَاطِبِيهِ وَ قَدْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يُسْتَصْغَرُ مِثْلُهُ عَنْ قَوْلِ

↩ عَلَىٰ المَرء أَهوَن مِن أَنْ يُرَىٰ ذَلِيلاً لِخَلْقٍ إِذَا أَعْدَمَا
وَخَيرٌ لِعَينيك مِن مَنْظَرٍ إِلَىٰ مَا بِأَيدِي اللِّئَام العَمَىٰ

أُنظر، تَفسِير أَبِي الفُتُوح: ٣٩١/٢، طَبعَة الإِسْلاَمي، نَهج السَّعادة: ٣٠٠/٨، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبِي الحَدِيد: ٢١٢/١٨ و: ٣٦٢/١٩، الكُنىٰ وَالأَلقَاب: ١٦٩/٢.

(١) قَالَ المُتَنَبِّي:

وَخِلَّةٍ فِي جَلِيسٍ أَتَّقِيه بِهَا كَيمَا يَرىٰ أَنَّنا مِثْلاَن فِي الوَهَنِ
وَكَلِمَةٍ فِي طَرِيقٍ خِفْتُ أُعْرِبُها فَيُهتَدَىٰ لِي فَلَم أَقدِرْ عَلَىٰ اللَّحَنِ

أُنظر، الدِّيوَان: ٢١٢/٤، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبِي الحَدِيد: ٣/٢٠.

وَقالَ الشَّاعر لَبِيد:

وَمَا أَنَا إِلاَّ كَالزَّمَان إِذَا صَحَا صَحوتُ وَإِنْ مَاقَ الزَّمَانُ أَمُوقُ

أُنظر، الأَغَاني: ٢٢٥/٣، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبِي الحَدِيد: ٣/٢٠.

وَكَانَ يُقَال: إِذَا نَزَلتَ عَلَىٰ قَومٍ فَتَشَبَّه بِأَخلاقهم، فَإِنَّ الإِنْسَان مِن حَيث يُوجَد، لاَ مِن حَيث يُولَد. وَفِي الأَمثَال القَدِيمَة: مَنْ دَخَل ظَفَارِ حَمَّرَ ـ أَي تَكَلَّم بِالحِميَرية ـ.

أُنظر، فَتح البَاري: ٣٤٧/٨، الفَايق فِي غَرِيب الحَدِيث: ٣٤٥/٣، الأَنْسَاب: ٢٧٠/٢، مُعجَم البُلدان: ٦٠/٤، تَرتِيب إِصْلاَح المَنطق: ٢٤٧، غَرِيب الحَدِيث: ٨٥/١، الصِّحاح لِلجَوهَري: ٢٣١/١، مُعجم مَا اَستَعجم: ٩٠٥/٣، النِّهاية فِي غَرِيب الحَدِيث: ١٥٨/٣، لِسَان العَرب: ٧٩٢/١، القَامُوس المُحِيط: ١٤/٢، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبِي الحَدِيد: ٣/٢٠.

مِثْلِهَا: «لَقَدْ طِرْتَ شَكِيراً، وَ هَدَرْتَ سَقْباً».

وَقَالَ الرَّضِيّ: وَالشَّكِيرُ هَاهُنا: أَوَّلُ مَا يَنْبُتُ مِنْ رِيشِ الطَّائِرِ قَبْلَ أَنْ يَقْوَىٰ، وَيَسْتَحْصِفَ. وَالسَّقْبُ: الصَّغِيرُ مِنْ الإِبِلِ، وَلاَ يَهْدِرُ إِلاَّ بَعْدَ أَنْ يَسْتَفْحِلَ.

● كَان هَذا المُتكَلِم مِن أَهْل الجَهْل، وَلكنَّه ظَهر أَمَام سَيِّد الكَونين بَعد رَسُول الله ﷺ، بِمَظهَر العُلَمَاء، فَأَدبه الإِمَام بِهَذِه الكَلِمَة، وَلاَ أَعرف جَرِيمَة تَحمل مَعَهَا العُقُوبَة عَلَيْهَا إِلّا جَرِيمَة الدَّعوىٰ بِغَير الحَقّ... فَلَقد طَلب هَذا المُدعي الإِحتَرَام بِالدُّعَاء الكَاذِب، فَعُوقِب بِالإِزدرَاء وَالإِحتقَار، وَأَوَّلُ مَن آدعىٰ بِالبَاطِل إِبْلِيس فَكَان نَصِيبه اللَّعنَة إِلىٰ يَوْم الدِّين. وَقَالَ بَعْض ٱلحُكَمَاء: «الدَّعْوَىٰ رعُونَة لاَ يَحتَمل القَلْب إِمْسَاكها، فَيُلقِيها إِلىٰ اللِّسَان فَتَنطق بِهَا إِلىٰ أَلسُنَة الحَمْقىٰ، وَلاَ يَعرف الأَعْمىٰ مَا يُبْصِره البَصِير مِن مَحَاسنِه وَقبَاحه»[1].

٣٩٧ ـ وَ قَالَ ﷺ: «مَنْ أَوْمَأَ إِلَىٰ مُتَفَاوِتٍ خَذَلَتْهُ الْحِيَلُ».

● أَوْمَأَ: أَشَار، ومُتَفَاوِت: مُتَنَاقضَات، وَفِي تَفْسِير هَذه ٱلحِكْمَة أَقْوَال ذَكَرهَا آبن أَبِي ٱلحَدِيد، وَأَرْجَحها مَا ذَهب إِلَيْهِ مِيثَم، وَالشَّيخ مُحَمَّد عَبْدَه[2]، وَيَتلخَص بِأَنَّ مَن حَاول التَّأْلِيف بَيْنَ المُتَنَاقضَات كَالجَمع بَيْنَ رِضوَان الله وَمَعْصِيَته، وَبَيْنَ الإِعْتدَاء عَلىٰ الآخرِين وَالفُوز وَثِقَتهم ـ فَقَد حَاول المُحَال.

---

(١) أنظر، صَفوَة الصَّفوة لِابن الجَوزي: ٢٨٤/٤، تَأريخ دِمشق: ١٦٢/٦٦.

(٢) أنظر، شَرح النَّهج لِمُحَمَّد عَبْدَه: ٩٥/٤، شَرح النَّهج لِابن أَبِي ٱلحَدِيد: ٥/٢٠، تُحف العقُول: ٢٠٢، بِحَار الأَنوَار: ٣٨/٧٥ ح ١٣.

٣٩٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام ـ وَ قَدْ سُئِلَ عَنْ مَعْنَىٰ قَوْلِهِمْ: «لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»:
«إِنَّا لَا نَمْلِكُ مَعَ اللهِ شَيْئاً، وَ لَا نَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَّكَنَا؛ فَمَتَىٰ مَلَّكَنَا مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنَّا كَلَّفَنَا، وَ مَتَىٰ أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَنَّا».

● الحَوْل: الحَرَكَة وَالتَّصرف. وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ. ثلَاث كَلِمَات تحمل أَضْخَم الْمَعَانِي، وَإِنَّه لاَ مُلك إِلّا لله، وَلاَ عَون مِنْهُ، وَلاَ حَرَكَة إِلاَّ بِعنَايته... وَعَلَيْهِ فَإِذَا قَالَ قَائِل: أَنَا أَملك هَذا، أَو فَعلته، أَو أَعْطَاني إِيَّاه فُلاَن ـ كَان قَوْلَه مجَاز لاَ حَقِّيقة، لأَنَّ الكُون بِمَا فِيهِ، وَمَن فِيهِ لله وَحده... حَتَّىٰ أَنْفسنا هِي فِي قَبْضَته مَوتَاً وَحَياةً وَنَفْعَاً وَضَرَّاً، وَإِلَيْهِ تَعُود... فَمَن أَعطىٰ شَيْئَاً فَإِنَّما يُعطي مِن مَال الله، وَمَن مَنَع فَقَد مَنَع مَالَ الله لاَ إِله إِلّا هُو وَحدَه لاَ شَرِيكَ لَهُ.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

٣٩٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ؛ وَ قَدْ سَمِعَهُ يُرَاجِعُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ كَلَاماً:
«دَعْهُ يَا عَمَّارُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ مِنَ الدِّينِ إِلَّا مَا قَارَبَهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَ عَلَىٰ عَمْدٍ لَبَسَ عَلَىٰ نَفْسِهِ، لِيَجْعَلَ الشُّبُهَاتِ عَاذِراً لِسَقَطَاتِهِ».

● لاَ يَلتَزم الْمُغِيرَة بِشَيء مِن الدِّين إِلاّ مَا كَان وَسِيلة لمآربه، وَمِن أَجل هَذا يخْتَلق لِنَفسه الشُّبهَات عَن عَمدٍ يتَعلل بِهَا لِمَرامه وَآثَامه. وَقَالَ ٱبن أَبي ٱلحَدِيد،

(١) آلِ عِمْرَانَ: ٢٦.

وَهُو يَشرح هَذَا الكَلاَم عَن ٱبن شُعْبَة: إِنَّ جَمَاعَة مِن الْمُسْلِمِين قَد فَسَّقُوا الْمُغِيرَة[1]، لأَنَّه مَالأَ الْفَاسِقِين، وَأَعْطَىٰ البَطن وَالفَرج مَا سَأَلا، وَصَرف الوَقت فِي غَيْر طَاعة الله، وَلَعَن عَلِيّاً عَلَىٰ المَنَابر حَتَّىٰ مَات... وَأيضاً نَقل ٱبن أَبِي ٱلْحَدِيد عَن الأَغَانِي لأَبِي الفَرج: إنَّ الْمُغِيرَة مَا أَسلَّم إلاّ خَوفاً مِن القَتل. فَقَدكَان مَع جَمَاعَة فِي سَفرٍ حَتَّىٰ عَمَلت فِيهِمْ الكَأس فَقَتلهم جَمِيعاً طَمَعاً بِأموالهم، ثُمَّ ذَهَب إِلَىٰ الْمَدِينَة فَأسلَّم عَلىٰ يَد النَّبِيّ ﷺ، وَكَان لاَ يَردّ عَلىٰ أَحد إِسلاَمه، فَٱعْتَصم الْمُغِيرَة بِالإِسْلاَم مِن القَتل[2].

٤٠٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعَ الْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَباً لِمَا عِنْدَ اللهِ! وَ أَحْسَنُ مِنْهُ تِيهُ الْفُقَرَاءِ عَلَىٰ الْأَغْنِيَاءِ ٱتِّكَالاً عَلَىٰ اللهِ».

● التِّيه: التَّكَبُّر، وَإِذَاكَان التَّوَاضع فَضِيلة لأَنَّه خضُوع وَٱنقِياد لِلحَقّ فَالتَّكَبُّر عَلىٰ البَاطِل، وَالطُّغيان أَيضاً فَضِيلة، بِحُكم التَّلازم الْعَقْلي وَالوَاقعي... هَذا، إِلىٰ أَنَّ

(١) الْمُغِيرَة بْن شُعْبَةَ بن أَبِي عَامر بن مَسعُود الثَّقفِي. أُمه ٱمْرَأَة مِن بَنِي نَصر بن مُعَاوِيَة، أَسلَّم عَام الخَنْدَق، وَكَان إِسْلاَم الْمُغِيرَةَ مِن غَيْر ٱعتقَاد صَحِيح، وَلاَ إِنَابة وَنِيَّة جَمِيلة، وَقَالُوا فِيهِ مَا يُقَال فِي الْفَاسِق؛ وَلَمَّا جَاء عُرْوَة بن مَسعُود الثَّقفِي إِلىٰ رَسُول الله ﷺ عَام الحُدَيْبِيَة نَظر إِلَيهِ قَائِماً عَلىٰ رِأس رَسُول الله مُقلَّداً سَيفاً، فَقِيل: مَن هَذا؟ قِيل: ٱبن أَخِيك الْمُغِيرَة قَالَ: وَأَنتَ هَا هُنا يَا غُدَر! وَالله إِنِّي إِلىٰ الأَن مَا غَسِلتُ سَوءتَك. وَهَاجر إِلىٰ المَدِينة، وَشَهد الحُدَيْبِيَة. وَأَرسَله الرَّسُول مَع أَبِي سُفيَان لِهَدم صَنَم ثَقِيف بِالطَّائف، وَأُصِيبت عَيْنه يَوْم اليَرمُوك، وَلاّه عُمر البَصْرَة، وَعَزله عَنْهَا لَمَّا شَهدوا عَلَيْهِ بِالزِّنا، ثُمَّ وَلاّه الكُوفَة، وَتُوفِّي أَمِيراً عَلَيْهَا مِن قِبل مُعَاوِيَة سَنَة (٥٠ ه) بَعد أَنْ أَحْصَن (٣٠٠) ٱمْرَأَة فِي الإِسلاَم، وَقِيل بَل أَلف ٱمْرَأَة. (أُنظر، الإِصَابَة: ٣/ ٤٣٢، الاِسْتِيعَاب بِهَامش الإِصَابَة: ٣/ ٣٦٨، أُسد الغَابَة: ٤/ ٤٠٦، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلْحَدِيد: ٢٠/ ٨).

(٢) أُنظر، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلْحَدِيد: ٢٠/ ٨، الأَغَانِي: ١٦/ ٨٠ ـ ٨٢، طَبعَة دَار الكُتب.

تَكبُّر الْفُقَرَاء عَلىٰ الأَغْنِيَاء يَنْطَوي عَلىٰ التَّوكل وَالْقَنَاعَة وَالرِّضا بِمَا يَسّر الله ، أَمَّا تَوَاضع الأَغْنِيَاء لِلفُقَرَاء فَهُو حَسن ، مَا فِي ذَلِكَ رَيب ، لأنَّ الْغِنىٰ يَبْعَث القَسوة فِي الْقُلُوب ، كَمَا يَشهد العَيان ، وَقَول الله وَرَسُوله وَأَهْل بَيْتَه ، فَإِذا شَذَّ غَني عَن هَذِه القَاعِدة فَمعنىٰ ذَلِكَ أَنَّه يَسع النَّاس بِأخلاَقه ، وَأَنَّه تَغلب عَلىٰ هَوىٰ القَلْب وَمَيُوله... وَمَع هَذا فَإنَّ تِيه الْفُقَرَاء عَلىٰ الأَغْنِيَاء أَفْضَل وَأَكمَل ، لِمَا أَشرنا إِلَيْهِ مِن أَنَّ هَذا التِّيه يَدل عَلىٰ الإِبَاءِ ، وَالْقَنَاعَة وَالتَّوكل عَلىٰ الله تَعَالىٰ(١).

٤٠١ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «مَا ٱسْتَوْدَعَ اللهُ ٱمْرَأً عَقْلًا إِلَّا ٱسْتَنْقَذَهُ بِهِ يَوْماً مَا».

● بِالْعَقْل نُمِيز الخَطأ عَن الصّواب ، وَالضَّار عَن النَّافع ، وَالْحَق عَن البَاطِل... وَإِذا ظَفَر الْهَوىٰ بِالْعَقْل حِين الْقُدْرَة عَلىٰ المَلذَات وَالطِّيبات ـ فَإِنَّ الْعَقْل يَنْتَصر ، لاَ مَحَالَةَ ، حِين تَبرز العَيَان البَلِية النَّازلة العَاجِلة . وَإِذْن فَالْعَقْل مُنْجِد وَمُنْقِذ فِي سَاعَة مِن السَّاعَات ، وَإِنْ ٱكتَنَفته الأَهوَاء وَالشَّهَوات فِي أَكْثَر الأَحيَان .

٤٠٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «مَنْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَعَهُ».

---

(١) قَالَ الشَّاعر :

قَنعتُ فَأعتَقتُ نَفسِي وَلَنْ ... أُملّك ذَا ثَروةٍ رِقَّهَا
وَنَزهتُهَا عَن سُؤالِ الرِّجَالِ ... وَمِنَّةِ مَن لاَ يَرىٰ حَقَّهَا
وَإِنَّ القَنَاعة كَنزُ اللَّبِيب ... إِذَا ٱرْتَفعتْ فَتقتْ رِتقهَا
سَيَبعثُ رِزْق الشِّفَاهِ الغِرَاثِ ... وَخمص البطُونِ الَّذي شَقَّهَا
فَمَا فَارقتْ مُهجَةٌ جِسْمَهَا ... لَعمرك أَو وُفِّيتْ رِزْقَهَا
مَواعِيدُ رَبِّك مَصدُوقةٌ ... إِذَا غيرُها فَقَدَتْ صِدقهَا

أُنظر ، أُنظر ، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد : ٣٩/٢٠.

● وَمِثله فِي ٱلحِكْمَة (١٨٨): «مَنْ أَبْدَىٰ صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَـلَكَ». وَفِي ٱلحِكْمَة (٣٢٧): «مَا ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ الإِثْمُ بِهِ، وَالْغَالِبُ بِالشَّرِّ مَغْلُوبٌ». دُنْيَاً وَآخِرة، أَمَّا فِي الآخِرَة فوَاضح، وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَهُوَ مَغْلُوب أَوَّلاً بِالحُجَّة، وَثَانِياً أَنَّه مَلعُون عَلىٰ كُلِّ لِسَان حَتَّىٰ تَقُوم السَّاعة... وَشَهد التَّأرِيخ مَذَلة الضّعفَاء المحقِين، وَجَبرُوت الطُّغاة المُبطِلِين، وَلَكنْ سرعَان مَا كَشَف التَّأرِيخ نَفْسه عَن عَورات هَـؤُلاَء، وَأَخـذَت الحَقِّيقة مَكَانها.

وَهَذا، إِلىٰ أَنَّ البَاطِل لاَ يَنْتَصر إِلّا فِي بِيئَة الْفَساد وَالبَاطِل، وَإلّا فِي مُجْتَمع كَسُول مُتخَاذل، يَنَام عَلىٰ الضَّيم وَالْعُدْوَان وَيَرضخ لِلهَون وَالهَوَان، وَالشَّاهد الْعَدْل وَضعُ الْعَرَب مَع إِسْرَائِيل... وَبِالمُنَاسبة قَرَأتُ اليَوْم (١٦/ ٤/ ١٩٧٣م) مقَالاً فِي بَعْض الصُّحف، وَقَالَ فِيهِ كَاتبه مِن جُملة مَا قَالَ: «نَحنُ الْعَرَب كَقبَائِل الهـنُود الحُـمر فِي أمرِيكا حَيْث ٱستطَاع غُزَّاة أُوروبا أَنْ يَكسبُوا إِلىٰ جَانبهم بَعْض هَـؤُلاَء القَبَائِل الأُخرىٰ مِن الهنُود، ثُمَّ قَضىٰ الغُزَاة عَلىٰ حُلفَائِهم، وَٱستَولوا عَلىٰ القَارة الأَمرِيكِية كُلّها».

٤٠٣ ـ وَقَالَ ﷺ: «الْقَلْبُ مُصْحَفُ الْبَصَرِ».

● المُرَاد بِالمُصْحَف هُنا مَا يَرتَسم فِي القَلب مِن صُور الكَائِنَات الَّتي تُدرَك بِالحِس، وَالمَعْنَىٰ. إِنَّ القَلب يَستَقي مَعلُوماته مِن مصَادر شَتىٰ، مِنْهَا العَيَان وَالمُشَاهدة. وَكَلِمَة مُصْحَف تُومِىء إِلىٰ أَنَّ رُؤيَة الْعَيْن حَقّ. اُنظر، شَرح قَوْله فِي ٱلخُطْبَة (١٤١): «وَالحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ!».

٤٠٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «التُّقَىٰ رَئِيسُ الْأَخْلَاقِ».

● وَقَالَ ٱبن أَبي ٱلْحَدِيد مَا مَعْنَاه: «المُرَاد بِالْأَخْلَاق هُنا الْأَخْلَاق الدِّينيَّة الحَمِيدَة الشَّرْعِيَّة لاَ الْعَقْلِيَّة، لأنَّ مَعْنَىٰ التُّقىٰ طَاعة الله فِي تكَالِيفه الشَّرْعِيَّة... وَصِفَة الجُود وَالشَّجَاعَة، وَالحِلْم، وَالعِفَّة تَكُون فِي المُتَّقِين، وَفِي الَّذِين لاَ يُؤْمِنُون بِشَرع، وَلاَ دِين»(١).

وَيُلاَحظ بِأَنَّ الدِّين يُقدس الفضَائِل بِشَتىٰ أَنوَاعها، وَقَد نَصَّ عَلىٰ الصِّدْق وَالْإِيثَار، وَالصَّبْر، وَالْجِهَاد، وَالنَّجدَة، وَالتَّعاون... هَذا، إِلىٰ أَنَّ كُلّ مَا يَحكُم بِهِ الْعَقْل يَحْكُم بِهِ الشَّرع، وَإِنّ حُكم الشَّرع يُستَكشف مِن حُكم الْعَقْل، وَنَجْزم بوجُوده عَن هَذا الطَّرِيق، وَإِنْ لَم يَثبُت النَّص عَن الشَّارع بِالسّماع مِنْهُ مُباشرة أَو بوَاسطة النَّقل.

٤٠٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «لَا تَجْعَلَنَّ ذَرَبَ لِسَانِكَ عَلَىٰ مَنْ أَنْطَقَكَ، وَ بَلَاغَةَ قَوْلِكَ عَلَىٰ مَنْ سَدَّدَكَ».

● ذَرَابَة اللِّسَان: فُحْشه وَبَذَاءته، وَتَكُون لِلفصَاحة أيضاً، وَالْمَعْنَىٰ: أَنتَ تَتقلب بِنعَم الله تَعالىٰ، فَلا تَتخذ مِنْهَا ذَرِيعَة إِلىٰ مَعْصِيَته. وَتَقَدَّم مَع الشَّرح قَوْله فِي ٱلْحِكْمَة (٣٣٠): «أَقَلُّ مَا يَلْزَمُكُمْ للهِ أَلَّا تَسْتَعِينُوا بِنِعَمِهِ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ».

٤٠٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «كَفَاكَ أَدَباً لِنَفْسِكَ ٱجْتِنَابُ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ».

---

(١) أُنظر، شَرح ٱلنّهج: ٢٠/٤٠.

● مَن ٱنسَجم مَع نَفْسه، وَأَنْصَف النَّاس مِنْهَا فَهُوَ الأَدِيب المُهَذب، وَلَيْسَ مِن الآدَاب وَالأَخْلاَق فِي شَيء أَنْ تَطلب مِن غَيْرك مَا تَركتَه أَنت عَن تَقصِيرٍ، وَعَمدٍ. وَتكَرَّر هَذا بِأَسَاليب شَتىٰ، مِنْهَا فِي ٱلْحِكْمَة: «أَكْبَرُ الْعَيْبِ أَنْ تَعِيبَ مَا فِيكَ مِثْلُهُ»(١).

٤٠٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام يُعَزِّي قَوْماً: «مَنْ صَبَرَ صَبْرَ الْأَحْرَارِ، وَ إِلَّا سَلَا سُلُوَّ الْأَغْمَارِ».

● الأَغْمَار: جَمع غِمْر، وَهُو الجَاهِل، كُلّ مَن نَزلَت بِهِ نَازِلة فَلا بُدَّ أَنْ يَسْلُوها وَيَنصرف عَنْهَا مَع مرُور الزَّمن تَمَاماً كَمَا يَنْصَرف الجَاهِل عَن الشَّيء الَّذي يَجْهَله، وَمَا دَام هَذَا هُو الوَاقع فَعَلام الجَزَع وَالهَلع؟. أَلَيْسَ الأُولىٰ بِمَن نَزَلت بِهِ مُصِيبة أَنْ يَملك نَفْسه وَيَحملها عَلىٰ يَقِينه بِأَنَّ الجَزع نَفْعاً، وَلاَ مَصدَر لهُ إلّا الوَهم وَالخَيال.

٤٠٨ ـ وَ فِي خَبَرٍ آخرَ أَنَّهُ عليه السلام قَالَ لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ مُعَزِّياً عَنِ ٱبْنٍ لَهُ:
«إِنْ صَبَرْتَ صَبْرَ الْأَكَارِمِ، وَ إِلَّا سَلَوْتَ سُلُوَّ الْبَهَائِمِ».

● لاَ تَخْتَلف هَذِه الكَلِمَة عَن سَابقتهَا فِي الْمَعْنَىٰ، وَتَقَدَّم فِي ٱلْحِكْمَة (٢٩١) قَوْلَه مُعَزِّياً لِهَذا الأَشْعَث الأَغْبَر: «إِنْ صَبَرْتَ جَرَىٰ عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْجُورٌ، وَإِنْ جَزِعْتَ جَرَىٰ عَلَيْكَ الْقَدرُ وَأَنْتَ مَأْزُورٌ».

٤٠٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام فِي صِفَةِ الدُّنْيا:
«تَغُرُّ وَ تَضُرُّ وَ تَمُرُّ؛ إِنَّ اللهَ تَعالَىٰ لَمْ يَرْضَهَا ثَوَاباً لِأَوْلِيَائِهِ، وَ لَا عِقَاباً لِأَعْدَائِهِ، وَ

(١) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٣٥٢).

إِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ، بَيْنَا هُمْ حَلُّوا إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ فَارْتَحَلُوا».

● تَمُرُّ: مِن المَرَارَة، وَالْمَعْنَىٰ الدُّنْيَا دَار عَمَل وَجِهَاد، وَامتحَان بِالبَأْسَاء وَالضَّراء... بَل بِالنَّعمَاء أيضاً، وَمَا هِيَ لِلْحِسَابِ، وَالْجَزَاء: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾[1] أَي حَتَّىٰ تَظهَر الأَفعَال الَّتِي تُميز العَامل مِن العَاطل عَن العَمل بِتقصِير مِنْهُ وَتهاون، وَأيضاً تُميز الصَّابر عَن الْحَقّ مَهمَا كَانَتْ الظّروف وَالصَّدمَات، تُميزه عَن الَّذي يَعطف الْحَقّ عَلىٰ شَهوَاته، وَالدِّين عَلىٰ رَغبَاته. وَمِن البَدَاهة أنَّ الْجَزَاء لاَ يَكُون إِلّا بَعد الإِمْتِحَان وَالإِخْتبَار. وَتَقَدَّم ذَلِكَ مِرَاراً، مِنْهَا ٱلْخُطْبَة (٤٢): «وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَ لاَ حِسَابَ، وَغَداً حِسَابٌ وَلاَ عَمَلَ»، وَٱلْخُطْبَة (١١١): «غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ، نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ» أَي الدُّنْيَا[2].

---

(١) مُحَمَّدٍ: ٣١.

(٢) قَالَ ٱبن أَبِي ٱلْحَدِيد فِي شَرح النَّهج: ٢٠/٥١، وَقَرأتُ فِي بَعْض الآثَار أَنَّ عِيسَىٰ عليه السلام مَرَّ بِقَريةٍ وَإِذا أَهْلها مَوْتَىٰ فِي الطُّرق وَالأَفنِية، فَقَال لِلتَّلامِذة: إِنَّ هولاء مَاتُوا عَن سَخْطَة، وَلَو مَاتُوا عَن غَيْر ذَلِكَ لِتدَافنُوا، فَقَالُوا يَاسيِّدَنَا، وَدِدْنَا أَنَّا عَلمْنَا خَبرَهُم، فَسَأَلَ الله تَعَالىٰ، فَقَال لَهُ: إِذَا كَان اللَّيلُ فَنَادِهم يُجِيبُوك؛ فَلمَّا كَان اللَّيْلُ أَشرَف عَلىٰ نَشزٍ ثُمَّ نَادَاهم، فَأَجَابه مُجِيب، فَقَال: مَا حَالكُم، وَمَا قِصَّتُكم؟ فَقَال: بِتْنا فِي عَافِية، وَأَصْبَحْنا فِي الهَاوِية، قَال: وَكَيف ذَلِكَ؟ قَالَ: لِحُبِّنا الدُّنْيَا، قَالَ: كَيفَ كَان حُبّكم لَهَا؟ قَال: حُبّ الصَّبِيّ لأُمّه، إِذَا أَقْبلتْ فَرِحَ بِها، وَإِذا أَدْبرتْ حَزِن عَليهَا وَبَكىٰ، قَالَ: فَمَا بَالُ أَصْحَابك لَم يُجِيبُوني؟ قَالَ: لأَنَّهم مُلْجَمُون بِلُجُم مِن نَارٍ بِأيدِي مَلاَئِكة غِلاَظٍ شِدَاد؛ قَالَ: فَكَيف أَجَبْتني أَنتَ مِن بَيْنهم؟ قَالَ: لأَنِّي كُنتُ فِيهم، وَلَم أَكُن مِنْهُم، فَلمَّا نَزَل بِهِمْ العَذَابُ أَصَابنِي مَعهم، فَأَنَا مُعلَّق عَلىٰ شَفِير جَهَنَّم لاَ أَدرِي أَنْجُو مِنْهَا أَم أُكَبْكب فِيها؟ فَقَال المَسِيح لِتلاَمِذته: لأَكْل خُبز الشَّعِير بِالملح الجَرِيشِ وَلبْس المُسُوح، وَالنَّوم عَلىٰ المزَابل، وَسِبَاخِ الأَرْض فِي حَرّ الصَّيف، كَثِيرٌ مَع العَافِية مِن عَذَاب الآخِرَة.

٤١٠ ـ وَ قَالَ لِابْنِهِ الْحَسَنِ عليه السلام :

«لَا تُخَلِّفَنَّ وَرَاءَكَ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ تَخْلُفُهُ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ : إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةِ اللهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ ، وَ إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ ؛ فَكُنْتَ عَوْناً لَهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ ؛ وَ لَيْسَ أَحَدُ هٰذَيْنِ حَقِيقاً أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَىٰ نَفْسِكَ .

قَالَ الرَّضِيُّ : (وَ يُرْوَىٰ هٰذَا الْكَلَامُ عَلَىٰ وَجْهٍ آخَرَ ، وَ هُوَ) :

«أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الَّذِي فِي يَدِكَ مِنَ الدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ ، وَ هُوَ صَائِرٌ إِلَىٰ أَهْلٍ بَعْدَكَ ، وَ إِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ : رَجُلٍ عَمِلَ فِيمَا جَمَعْتَهُ بِطَاعَةِ اللهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ ، أَوْ رَجُلٍ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللهِ فَشَقِيتَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ ؛ وَ لَيْسَ أَحَدُ هٰذَيْنِ أَهْلًا أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَىٰ نَفْسِكَ ، وَ لَا أَنْ تَحْمِلَ لَهُ عَلَىٰ ظَهْرِكَ ؛ فَارْجُ لِمَنْ مَضَىٰ رَحْمَةَ اللهِ وَ لِمَنْ بَقِيَ رِزْقَ اللهِ » .

● يَنْتَقِل الْمَال من يَدٍ إِلَىٰ يَد ، نَقداً كَان أَم غَيْر نَقد . . . كَان هَذَا القَصر وَالحَدِيقة لِزَيد ، وَهُما الآنْ لِعَمرو ، وَغَداً لِبَكر . . . وَهَكذا كُلّ مَتَاع ، وَحطام تَتَداوله الأَيدِي ثُمَّ تَتركه إِلىٰ غَيْرها ، وَتَنْتَقل إِلىٰ قَبرها ، وَلاَ تَأْخذ مَعَهَا شَيْئاً ، وَيَقول الإِمَام لِكُلِّ ذَاهِب تَارك : أَنْتَ تَكْدَح وَتَجْمَع لِغَيرك ، وَهُو بِدوره يَتَصرف فيهِ كَمَا يَشَاء ، فَإِنْ أَنْفَقه فِيمَا يُرضي الله كَان هُو الرَّابح المَشكور عِند الله ، وَالنَّاس عَلىٰ شَيء مَا تَعِب فيهِ وَلاَ أَجهَد نَفْسه ، وَكُنتَ أَنتَ الخَائِب الخَاسر ، لأَنَّك زَرعتَ وَغَيْرك حَصَد ، وَبَنِيت وَسِوَاك سَكَن . . . وَإِنْ أَنْفَقه فِيمَا يَغضب الله كُنتَ المُعِين لهُ عَلىٰ الإِثم وَالْعُدْوَان .

فَأَنتَ عَلىٰ كُلِّ حَال فِي شقَاء وَعَذَاب ، سوَاء أَسعُد غَيْرك بِمَا تَركتَ أَم شَقِي بِهِ ، وَكَان الأَلِيق بِكَ وَالأَجدَر أَنْ تُنفق بِيدك مَا جَمعت فِيمَا يَبقىٰ لَك خَيْره وَأَجرهُ ، وَتَدع

غَـــيْرِك إِلىٰ رِزقِ الله وَرَحمــته. وَتَـقَدَّم هَـذا مَـرَّات، مِـنْهَا فِي الْخُـطْبَة (١٠٩): «وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا، فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ، وَالعِبْءُ عَلَىٰ ظَهْرِهِ»، وَفِي الْحِـكْمَة (١٢١): «عَمَلٍ تَذْهَبُ لَذَّتُهُ وَتَبْقَىٰ تَبِعَتُهُ، وَعَمَلٍ تَذْهَبُ مَئُونَتُهُ وَيَبْقَىٰ أَجْرُهُ». وَأَيضاً يَأْتِي.

٤١١ ـ وَ قَالَ عليه السلام لِقَائِلٍ قَالَ بِحَضْرَتِهِ: «أَسْتَغْفِرُ اللهَ»: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! أَ تَدْرِي مَا الْاِسْتِغْفَارُ؟ الِاسْتِغْفَارُ دَرَجَةُ الْعِلِّيِّينَ، وَ هُوَ اسْمٌ وَاقِعٌ عَلَىٰ سِتَّةِ مَعَانٍ:
أَوَّلُهَا النَّدَمُ عَلَىٰ مَا مَضَىٰ، وَ الثَّانِي الْعَزْمُ عَلَىٰ تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَداً، وَ الثَّالِثُ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَىٰ الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّىٰ تَلْقَىٰ اللهَ أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ، وَ الرَّابِـعُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَىٰ كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعْتَهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا، وَ الْخَامِسُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَىٰ اللَّـحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَىٰ السُّحْتِ فَتُذِيبَهُ بِالْأَحْزَانِ حَتَّىٰ تُلْصِقَ الْجِلْدَ بِالْعَظْمِ، وَ يَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ، وَ السَّادِسُ أَنْ تُذِيقَ الْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلَاوَةَ الْمَعْصِيَةِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقُولُ: «أَسْتَغْفِرُ اللهَ».

● مَعْنَىٰ الاِسْتِغْفَار طَلَبُ الْمَغْفِرَة... وَلكلِّ مُذنب أَنْ يَسأَل الله الْعَفْو، وَالْمَغْفِرَة بِلا قَيد وَشَرط تَمَاماً كَمَا نَقُول: لاَ إِله إِلَّا الله مُحَمَّد رَسُول الله طَـائِعِين وَعَـاصِين لله وَرَسُوله، بَل لاَ مَانِع مِن الْعَقْل وَالشَّرع أَنْ يَغفر الله بَعْض الذُّنُوب لِسَبب آخر غَيْر التَّوْبَة، وَطَلَب الْمَغْفِرَة، لأنَّ رَحمته وَسِعت وَتَسع كُلّ شَيء، وَلأَنَّه تَعَالَىٰ أَمر عِبَاده بِالْعَفْو عَمَّن أَسَاء إِلَيْهِمْ بِلا طَلَبٍ مِن المُسيء، وَأَمر بِـالْإِحْسَان إِلىٰ المَحَـاوِيج بِـلا سؤَال مِن المُحتاج... وَمَا أَمرهُم بذَلِكَ إِلّا لأَنَّه أَهلُ الْعَفْو، وَالْجُود.
وَالْمَعَانِي السِّتَّة الَّتِي ذَكرها الإِمَام هِي شروط لِلمُسْتَغفر الَّذي يَطمح إِلىٰ الدَّرجَة العُليا عِند الله بِدَليل قَوْله: (الِاسْتِغْفَارُ دَرَجَةُ الْعِلِّيِّينَ، وَ هُوَ اسْمٌ وَاقِعٌ عَـلَىٰ سِـتَّةِ

مَعَانٍ).

١ ـ (النَّدَمُ عَلَىٰ مَا مَضَىٰ). أي الشّعور وَالْخَوْف مِن عَاقبتهِ وَآثاره، وَتَأنِيب النَّفس عَلىٰ فِعْلِهِ، وَيُعبرّ عَن هَذا المَعْنَىٰ أُدبَاء العَصر بنَقد الذَّات.

٢ ـ (الْعَزْمُ عَلَىٰ تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَداً). هَذَا هُو العِلاج الشَّافي وَالدَّواء الكَافِي لاِستئصَال الدَّاء مِن الجذُور، وَبَقِية الشّروط لِدَرجَة العِلّيّين.

٣ ـ (أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَىٰ الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّىٰ تَلْقَىٰ اللهَ أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ). لأنَّ عَلىٰ اليَد مَا أَخَذت حَتَّىٰ تُؤَدِّي الشَّيء الَّذي أَخذَته[1] إِمَّا بِعَينه إنْ كَان لاَ يَزَال قَائِماً، وَإمَّا بِمثلِهِ، أَو قِيمته مَع التَّلف، وَلاَ يَسقط بِمُجرد العَزم عَلىٰ تَرك العَودَة كَبَعض الْحقُوق الإِلٰهِية.

٤ ـ (أَنْ تَعْمِدَ إِلَىٰ كُلِّ فَرِيضَةٍ عليْكَ ضَيَّعْتَهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا). إِذَا فَاتك شَيء مِن العِبَادات الوَاجِبة كَالصَّلاة، وَالصِّيام فعَلَيْكَ أَنْ تَقضِيه كَمَا فَات، سوَاء تُبتَ مِن ذنُوبك، أَمْ لَم تَتُب، وَالفَرق أَنَّك إِذَا قَضِيت بِلا توْبَة تُعاقب عَلىٰ تَهاونك بِتَأخِير الفَرِيضة عَن وَقتهـا، وَأَيضاً تُعاقب عَلىٰ تَرك ٱلتَّوْبَة، أَمَّا إِذَا قَضِيت مَع ٱلتَّوْبَة فلا حِسَاب عَلَيْكَ وَلاَ عِقَاب إطلاَقاً.

٥ ـ (أَنْ تَعْمِدَ إِلَىٰ اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَىٰ السُّحْتِ فَتُذِيبَهُ بِالأَحْزَانِ حَتَّىٰ تُلْصِقَ الْجِلْدَ بِالْعَظْمِ، وَ يَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ). وَهُو الْمَال الحَرَام... وَمَن أَكَل مِنْهُ حَتَّىٰ ٱشتَد العَظم، وَنَبت اللَّحْم فَيَنبغي لهُ أَنْ يُخَفف وَزنَه بِطَرِيقٍ، أو بِآخر حَتَّىٰ لاَ يَبقَىٰ

(١) أُنظر، الحَدِيث المَروي عَن النَّبيِّ ﷺ: «عَلىٰ اليَد مَا أَخَذت حَتَّىٰ تُؤَدِّيه». أُنظر، سُنَن ٱبن مَاجه: ٢/ ٨٠٢ ح ٢٤٠٠، سُنَن البَيْهَقِيّ: ٦/ ٩٠ و ٩٥، سُنَن أَبي دَاود: ٣/ ٢٩٦، سُنَن الدَّارمي: ٢/ ٢٦٤، مُسْنَد أَحمد: ٥/ ٨ و ١٢ و ١٣، مُستَدرك الحَاكِم: ٢/ ١٣، سُنَن التِّرمِذي: ٣/ ٥٦٦ ح ١٢٦٦.

سِوىٰ جِلدَه، وَعَظمه فَقط. أَمَّا مَن أَكَل لُقمَة وَاحِدة مِن الحَرَام أَو أَكثَر فَيُخَفف وَزنَه بِمقدَار مَا أَكَل مِن الحَرَام. وَعَن رَسُول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ أَكَل لُقْمَة مِن حَرَام لَمْ تُقبل لهُ صَّلاة أَرْبَعِين لِيلَة، وَلَمْ يستَجب لهُ دَعْوَة أَرْبَعِين صَبَاحاً، وَكُلّ لَحم يَنبُتهُ الحَرَام فَالنَّار أَوْلىٰ بِهِ، وَإنَّ اللُّقمَة الوَاحِدة مِن الحَرَام لِتَنبت اللَّحْم»[1].

وَإِذَا كَان لِلُّقْمَة الوَاحِدة مِن الحَرَام هَذا الأَثر البَالِغ فَكَيف بِمَن يَسْعىٰ سَعيه المَحمُوم لِيَنهب وَيُسيطر عَلىٰ أَقوَات العِبَاد فِي شَرق الأَرْض وَغَربها، كَما حَوّل مُعظَم الإِنتَاج إِلىٰ الصِّنَاعة العَسكرِية لِلغَاية نَفْسها!!

٦ ـ (أَنْ تُذِيقَ الْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلاَوَةَ الْمَعْصِيَةِ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَقُولُ: «أَسْتَغْفِرُ اللهَ). كَفّر عَن سَيِّئَاتك بِفعل الحَسَنَات، وَعَن تَقصِيرك بِالجِدّ، وَالإِجتهَاد فِي خِدمَة النَّاس، وَمُغَالبة النَّفس وَأَهوَائها الشَّيطَانِيّة.

٤١٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «الْحِلْمُ عَشِيرَةٌ».

● إِذَا حَلِمتَ عَن السَّفية كَثُر أَنْصَارك عَلَيْهِ، كَما قَالَ الإِمَام فِي الْحِكْمَة (٢٢٤): «وَبِالْحِلْمِ عَنِ السَّفِيهِ تَكْثُرُ الأَنْصَارُ عَلَيْهِ».

وَالأَنْصَار عَشِيرَة، بَل لاَ خَيْر فِي العَشِيرَة إِذَا لَمْ تُوَازِر وَتُنَاصر[2].

---

(١) أنظر، الفِردَوس بمأثور الخِطَاب: ٥٩١/٣ ح ٥٨٥٣، لِسَان المِيزَان: ٤٤٤/٤ ح ١٣٥٩، كَنز العُمَّال: ١٥/٤ ح ٩٢٦٦، بِحَار الأَنْوَار: ٣١٤/٦٣ ح ٧.

(٢) كَانَ يُقَال: الحِلْم جنُودٌ مُجَنَّدة لاَ أَرزاق لهَا.

أَنظر، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبِي الحَدِيد: ٦١/٢٠.

وَقَالَ عليه السلام: «وَجَدتُ الاِحتِمَالَ أَنصَرَ لِي مِن الرِّجَال».

٤١٣ ـ وَ قَالَ ﷺ : «مِسْكِينُ ٱبْنُ آدَمَ! مَكْتُومُ الْأَجَلِ، مَكْنُونُ الْعِلَلِ، مَحْفُوظُ الْعَمَلِ، تُؤْلِمُهُ الْبَقَّةُ، وَ تَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ، وَ تُنْتِنُهُ الْعَرْقَةُ».

● كُلّ كَائِن مُمكن فِيهِ جَانبَان: سَلب وَإِيجَاب، قوَّة وَضَعف، وَأَشَار الإِمَام فِي حِكْمَته هَذِه إِلىٰ بَعْض جوَانب الضَّعف فِي الْإِنْسَان، وَهِي:

١ ـ إِنَّه لاَ يَدرِّي فِي أَي زَمَانٍ، أَو مَكَانٍ يَموت.

٢ ـ إِنَّ عِلَله وَأَمرَاضه النَّفسِّية، وَالجِسمِّية لاَ يُحصىٰ عَدِيدها، وَالكَثِير مِنْهَا مَجْهُول السَّبب وَالدَّواء.

٣ ـ إِنَّه مَسؤول عَن كُلِّ مَا يَفْعَل وَمُجَازىٰ عَلَيْهِ.

٤ ـ إِنَّ أَحْقَر مَخلُوق كَالبَقَّة تُؤْلِمُه وَتُمرِضُه، وَإِنَّه بِالقِيَاس إِلَيْهَا ضَئِيل مِن هَذِه الجِهَة كَما أَنَّهَا ضَئِيلة بِالقِيَاس إِلىٰ عَقْله وَموَاهبه.

٥ ـ إِنَّ المَاء قَد يَخْنق أَنْفَاسه، وَيُودِّي بِحَياته مَع الْعِلْم بِأَنَّ المَاء سَبب الْحَيَاة. وَتَقَدَّم مِثله فِي ٱلْحِكْمَة (٢٧٥): «وَرُبَّمَا شَرِقَ شَارِبُ الْمَاءِ قَبْلَ رِيِّهِ».

٦ ـ إِنَّه إِذَا عَرق أَنْتَن. وَهَذا مُنْتَهىٰ الْعَجْز وَالضَّعف.

وَغَرَض الْإِمَام مِن هَذا الْبَيَان إِنَّ الْإِنْسَان قَد يَأخذه الغُرُور وَيَتعَالىٰ عَلىٰ غَيْرِه

⟵ أنظر، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلْحَدِيد: ١٨/ ٩٩ و: ٢٠/ ٦١.

وَقَال الشَّاعِر:

وَلَلْكَفُّ عَن شَتْمِ اللَّئِيمِ تَكَرُّماً ... أَضَرُّ لهُ مِن شَتْمِهِ حِينَ يَشْتمُ

أَنظر، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلْحَدِيد: ٢٠/ ٦١، تَفْسِير القُرطُبي: ١٥/ ٣٦٢.

وَكَانَ يُقَال: «مَنْ غَرَسَ شَجَرة الحِلْم، اجْتَنَىٰ ثَمَرة السِّلْم».

أَنظر، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلْحَدِيد: ٢٠/ ٦١.

مِن الكَائِنَات لاَ لِشَيء إلّا لأنّه اخترق المجهُول بعَقْله، وَاخْتَرع آلة تُوصله إلىٰ القمر وَالمريخ، وَثَانِية أَطْلَعته عَلىٰ أَسرَار الخَلاَئِق، وَرَابِعة ضَبَطت لهُ الأُلوف فِي ثَانِيَة، وَتَنبأَت بِبَعْض الأحدَاث... إلىٰ مَا لاَ نهَاية... قَد يَتَعالىٰ الإِنْسَان وَيَشمَخ وَيَرىٰ نَفْسه أَعْظَم مِن سَائِر المَخلُوقات لِهَذِه الغَايَة. فَنبهُ الإِمَام إلىٰ أنَّ مَا مِن مَخلُوق حتَّىٰ النَّملَّة وَالبَقَّة إلّا وَفِيهِ جِهة إيجَابِية تجْعَله أَشدّ، وَأقوىٰ المَخلُوقات مِن هَـذِه الجِـهَة. وَقَدِيماً قِيل[1]:

لاَ تَحْقِرَنَّ صَغِيرَاً فِي (عَدَاوَتِه) مُخَاصَمَةٍ

إِنَّ البَـعُوضة تَـدْمِي مُـقْلَة الأَسَـدِ

وَالخُلاَصة: إنَّ الازْدوَاجِية بَيْنَ الضَّعف، وَالقُوَّة تَشمل جَمِيع الكَـائِنَات دُونَ اَستثنَاء وَهِي القَاسم المُشترَك بَيْنَ الجَمِيع.

٤١٤ ـ وَ رُوِيَ أَنَّهُ عليه السلام كَانَ جَالِساً فِي أَصْحَابِهِ فَمَرَّتْ بِهِمُ اَمْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ فَـرَمَقَهَا الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقَالَ عليه السلام:

«إِنَّ أَبْصَارَ هَذِهِ الْفُحُولِ طَوَامِحُ؛ وَ إِنَّ ذَلِكَ سَبَبُ هِبَابِهَا؛ فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَـىٰ اَمْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيُلَامِسْ أَهْلَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ اَمْرَأَةٌ كَامْرَأَتِهِ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ: «قَاتَلَهُ اللهُ كَافِراً، مَا أَفْقَهَهُ»!

قَالَ: فَوَثَبَ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ؛ فَقَالَ عليه السلام:

رُوَيْداً، إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبٍّ، أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ»!

---

(١) أنظر، فَيض القَدِير شَرح الجَامع الصَّغِير: ٤٤٦/٤ ح ٥٥١٦، مَجمَع البَحرين: ٢٢٠/١.

● طَوَالِعُ: جَمع طَالِع، وهِبَابِهَا ـ بِفَتح الهَاء ـ هَيجَانِهَا، وَالْمَعْنَىٰ إنَّ نَظْرَة الرَّجل إلىٰ ٱلْمَرْأَة فِي بَعْض الأَحيَان دَاعِية إلىٰ شَهوتها، وَالشَّهْوَة طَرِيق الْفِتْنَة. وَلِذا قَالَ سُبْحَانَه لِنَبيِّه الكَرِيم: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١]. وَٱعْتَبَرَ الإِمَام قَول الخَارِجي سَبّاً لاَ تَكْفِيراً، لِقَرِينة خَاصة ظَهرت لهُ مِن ظرُوف المَقَام وَمَلاَبسَاته. وَعَفا عَنْه لأَنَّ الْعَفْو أَقْرَب لِلتَّقوىٰ.

وَبِهٰذِه المُنَاسبة نُشِير إلىٰ أَنَّ الْعَقَّاد فِي كتَاب «العَبْقرِيات» قَالَ عَن ثقَافة الْإِمَام فِيمَا قَالَ: «الكَلِم الْجَوَامع الَّتي روِيت عَن الْإِمَام هِي طِرَاز لاَ يَفُوقه طِرَاز فِي حِكْمَة السّلوك عَلىٰ أُسلُوب الأَمْثَال السَّائِرة»، وَقَد قَالَ النَّبيّ ﷺ: «عُلَمَاء أُمَّتي كَأنبِيَاء بَني إِسرَائِيل»[٢]. وَهَذا الحَدِيث الشَّرِيف أَصْدَق مَا يَكُون عَلىٰ الْإِمَام فِي حِكْمَته الَّتي تُقَارن بحِكم الأَنْبيَاء... وَتزِيد عَلَيْهَا أَنَّهَا أَبْدَع فِي التَّعْبِير، وَأَوفَر نَصِيباً مِن ذَوق الجَمَال»[٣].

---

(١) ٱلنُّور: ٣١.

(٢) أنظر، المَحصُول لِلرَّازي: ٥/٧٢، تَأرِيخ أبن خَلدُون: ١/٣٢٥، سُبل الْهُدىٰ وَالرَّشَاد: ١٠/٣٣٧، ينَابِيع المَوَدَّة: ٣/٣٥٣، كَشف الخَفَاء: ٢/٦٤ ح ١٧٤٤، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ١/٢١، مُنيَة المُرِيد: ٢/١٨٢، عوَالي اللّئالي: ٤/٧٧ ح ٦٧.

(٣) أُنظر، عَبقَرِية الإِمَام: ٨٨ (مِنْهُ ﷺ).

٤١٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «كَفَاكَ مِنْ عَقْلِكَ، مَا أَوْضَحَ لَكَ سُبُلَ غَيِّكَ مِنْ رُشْدِكَ».

● قَد يَملك الإِنْسَان عَقلاً يَخْتَرع بِهِ أَدَق الآلاَت، كَسَفِينَة الْفَضَاء وَالْعَقْل الأَلكترُونِي، وَيَتنبأ مِن القَرَائِن الخَفِية بِمَا سَيقع مِن الأَحدَاث، وَيَكْتَشف أَسرَار الطَّبِيعَة وَيُكيّفها حَسبَمَا يَشَاء، وَلَكنْ هَذَا وَحدَه لاَ يَجْعَل الإِنْسَان عَاقِلاً بِالْمَعْنَىٰ الصَّحِيح إِلَّا إِذَا آستعمَل عَقْله وَعِلمه فِيما يَنْفَع وَلاَ يَضر، أَمَّا إِذا آستَغَلَّهما فِي الْكَذِب وَالخِدَاع، وَالتَّخوِيف وَاللُّصوصِية، أَمَا هَذا الْعَقْل وَهَذا الْعِلْم فَهُما شَرّ وَوَبَال، وَفَسَاد وَضَلاَل.

٤١٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «آفْعَلُوا الْخَيْرَ، وَ لَا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئاً، فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ، وَ قَلِيلَهُ كَثِيرٌ، وَ لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنَّ أَحَداً أَوْلَىٰ بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي، فَيَكُونَ وَ اللهِ كَذٰلِكَ. إِنَّ لِلْخَيْرِ وَ الشَّرِّ أَهْلًا، فَمَهْمَا تَرَكْتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمُوهُ أَهْلُهُ».

● كُلّ فِعل يَنْتَفِع بِهِ فَاعله وَلاَ يَضر أَحداً ـ فَهُوَ خَيْر، وَأَفضَل أَفرَاده مَا يَنفَع الآخرِين... وَالفَرق بَيْنَ الْحَقّ وَالْخَيْر إِنَّ الْخَيْر إِشبَاع لِلرَّغبة عَلىٰ أَسَاس الْحَقّ وَالْعَدْل، أَمَّا الْحَقّ يوَافق الرَّغبة، وَقَد يَكُون عَلىٰ ضِدها. وَلِذا قِيل: الْحَقّ مُرّ وَثَقِيل. وَإِذا قُصد بِالعَمل النَّافع وَجه الله سُبْحَانَه فَهُوَ خَيْر عَلىٰ خَيْر.

وَلَمَّا كَان الْخَيْر عَظِيماً بِطَبعه كَان قَلِيله عَظِيماً وَكَثِيراً. وَقَالَ سُبحَانَه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[1]. وَتَقَدَّم قَول الإِمَام فِي الْحِكْمَة (٩٥): «وَكَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَقَبَّلُ؟».

(١) الزَّلْزَلَة: ٦ ـ ٧.

(وَ لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : إِنَّ أَحَداً أَوْلَىٰ بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي ، فَيَكُونَ وَ اللهِ كَذَٰلِكَ) . أَشَار الْإِمَام إِلىٰ مَا هُو شَائِع بَينَنا مِن أنَّ أَحدنا قَد يُدعىٰ لِكَشف مُلِمة أَو قَضَاء حَاجَة ، فَيُجِيب الدَّاعي بِأَنَّ فُلاَناً أَوْلَىٰ مِني بِهَذا الفِعْل . وَقَالَ ٱبن أَبي ٱلْحَدِيد بِلسَان حَال الْإِمَام : «فَيَكُون وَالله كذَلِكَ » أَي أَنَّ الله سُبْحَانَه يُوفّق فُلاَناً هَـذا إِلىٰ الْخَـيْر دُونَ المَدعو إِلَيْه»(١) . وَهَكذا كُلّ مَن يَستَنكف عَن الْخَيْر وَالْمَعْرُوف يُسجل عَلىٰ نَفْسه أَنَّه لَيسَ مِن الْخَيْر فِي شَيء (إِنَّ لِلْخَيرِ وَ الشَّرِّ أَهْلًا ، فَمَهْمَا تَرَكْتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمُوهُ أَهْلُهُ) بَادر إِلىٰ عَمَل الْخَيْر تكُن مِن أَهْله ، وَدَع لِمَن غَـضب الله عَـلَيْهِ وَأَعـدّ لهُ عَـذَاب الحَرِيق .

٤١٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللهُ عَلاَنِيَتَهُ ، وَ مَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ ، كَفَاهُ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ ، وَ مَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ اللهِ ، أَحْسَنَ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ النَّاسِ » .

● الْإِنْفعَالاَت النَّفسية تَنْعَكس عَلىٰ الْأَقوَال وَالْأَفعَال ، بَـل وَعَـلىٰ الْأَجْسَـام أَيضَاً . فَمَن كَان لَئِيماً حَقُوداً عَلىٰ النَّاس دَلَّ قَوْله وَفِعله عَلىٰ سُوء قَصده ، وَخُبث سَرِيرته ، وَمَن كَان طَّيباً يُحب الخَير لِعيَال الله ظَهر أَثَـر ذَلِكَ عَـلىٰ حَـرَكَـاتهِ ، وَتَصرفَاته . وَتَقَدَّم مَع الشَّرح قَوْلَه فِي ٱلْخُطْبَة (١٥٦) : «فَبِالْإِيمَانِ يُسْـتَدَلُّ عَـلَىٰ الصَّالِحَاتِ ، وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَىٰ الإِيمَانِ ، وَ بِالْإِيمَانِ يُـعْمَرُ الْـعِلْمُ ، وَبِـالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ ، وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيا ، وَبِالدُّنْيا تُحْرَزُ الْآخِرَةُ ، وَبِالْقِيامَةِ تُزْلَفُ الْجَنَّةُ ، وَتُبَرَّزُ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ، وَإِنَّ الْخَلْقَ لاَ مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ الْقِيامَةِ مُرْقِلِينَ فِي مِضْمَارِهَا إِلَىٰ

(١) أُنظر ، شَرح النَّهج لِابن أَبي ٱلْحَدِيد : ٦٦/٢٠ .

الْغَايَةِ الْقُصْوَىٰ»[1]، وَفِي الْحِكْمَة (٢٦): «مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ».

(وَ مَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ، كَفَاهُ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ) أَي إِنَّ الدِّين لاَ يفقر الإِنْسَان، وَلاَ يَعُوقه عَن العَمل مِن أَجل الرِّزْق، بَل إِنَّ الله سُبْحَانه يُعِين الْمُؤْمِن وَيُوفقه فِي عَمله مِن أَجل العِيَال وَالأَطْفَال. وَقُلنا مِراراً: إِنَّ كُلّ عَمل تَدعُو إِلَيْهِ الحَاجَة كَالمأكل وَالمَلبس وَالمَسْكَن فَهُوَ لله، وَمِن الدِّين فِي الصَّمِيم. وَمَن أَحسَن فِيمَا بَيْنَه وبَيْنَ الله... بِكَفّ الأَذىٰ عَن عِبَاده، وَبِالعَمل لِمَصلحتهم ـ أَحْبُوه وَأَكبرُوه.

٤١٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «الْحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ، وَ الْعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ، فَاسْتُرْ خَلَلَ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ، وَ قَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ».

● الْحِلْم يَسْتر بَعْض الْعُيُوب، وَجلَّ مَن لاَ عَيب فِيه، فَإِنْ لَم تَحْلَم لِذَات الحِلْم وَفَضلِهِ فَتَحلَّم لِتَستر بَعْض مَا فِيكَ مِن عيُوب، وَتَقَدَّم ذَلِكَ مِراراً، مِنْهَا فِي الْحِكْمَة (١٠٨ و ١١٣)، وَالْعَقْل أَمْضىٰ سِلاَح تَصد بِهِ عَدُوّك، وَالْهَوَىٰ مِن أَعدَائِك الأَلدَاء، فَتَلغب عَلىٰ هوَاك بِعَقلك.

٤١٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «إِنَّ للهِ عِبَاداً يَخْتَصُّهُمُ اللهُ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، فَيُقِرُّهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا؛ فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ، ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَىٰ غَيْرِهِمْ».

● قَوْلَه: (إِنَّ للهِ عِبَاداً يَخْتَصُّهُمُ اللهُ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ). قَضِيَّة جُزْئِيَّة لاَ تَشمل

(١) أنظر، نَهج الْبَلاَغَة: من كلام له عليه السلام لأَهْل الْبَصْرَة رَقم(١٥٦).

كُلّ مَن أَنْعَم الله عَلَيْهِ ، لأنَّ المَوْضُوع نَكِرة فِي إِيجَاب ، وَعَلَيْهِ يَكُون الْمَعْنَىٰ إنَّ حِكْمَة الله سُبْحَانَه قَضَت أَنْ يَتَّخِذ مِن بَعْض عِبَاده وَسِيلة لِلبَذل فِي سَبِيل الْخَيْر ، فَإِنْ فَعَلوا أبقَىٰ النِّعْمَة بِأَيْدِيهم وَإلاّ نَقَلها إِلَىٰ مَن هُو أَوْلَىٰ وَأَجْدَر . وَتَقَدَّم مَع الشَّرح قَوْله فِي ٱلْحِكْمَة (١٣) : «إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النِّعَمِ فَلَا تُنَفِّرُوا أَقْصَاهَا بِقِلَّةِ الشُّكْرِ» . وَقَوْله فِي ٱلْحِكْمَة (٣٧١) : «فَمَنْ قَامَ لِلّٰهِ فِيهَا بِمَا يَجِبُ فِيهَا عَرَّضَهَا لِلدَّوَامِ ، وَالْبَقَاءِ[1] ، وَمَنْ لَمْ يَقُمْ فِيهَا بِمَا يَجِبُ عَرَّضَهَا لِلزَّوَالِ ، وَالْفَنَاءِ»[2] .

٤٢٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «لَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَثِقَ بِخَصْلَتَيْنِ : الْعَافِيَةِ وَ الْغِنَىٰ ، بَيْنَا تَرَاهُ مُعَافىً إِذْ سَقِمَ ؛ وَ بَيْنَا تَرَاهُ غَنِيّاً إِذِ افْتَقَرَ» .

● لاَ تَطِّيب الْحَيَاة الدُّنْيا إلّا بِالمَال وَالصّحة ، وَقَد يَظفر بِهما مَعاً أَو بِأحـدِهما ، وَمَن فَقَدهُما بَعد أَنْ وَجَدهُما وَقَع فِي غَمَّين ، وَإِنْ فَقَد وَاحِداً وَقَع فِي غَمٍّ وَاحِد إلاّ إِذَا

---

(١) فِي نُسْخَة أُخرىٰ : عَرَّضَ نِعْمَةَ اللهِ لِدَوَامِهَا .

(٢) فِي نُسْخَة أُخرىٰ : وَمَنْ ضَيَّعَ مَا يَجِبُ لله فِيْهَا عَرَّضَ نِعْمَتَهُ لِزَوَالها .

وَفِي ذَلِكَ يَقول الشّاعر : مُحَمَّد بن عَبدالله بن مُسْلِم مَولىٰ بَنِي عَمرو بن عوف مِن الأَنـصَار ، شَاعِر مُتَقدِم ، مِن مُخَضرَمِي الدَّولتِين الأُمويَّة وَالعَبّاسِية ، وِلِد وَنَشأ فِي المَدِينَة ، وَمَدح بِها عَبدالملك أبن مَروَان ، وَقثم بن العبّاس (أَمِير اليَمامة) ، وَأتصَل بِالمَهدي العَبّاسي بَعد أَنْ رَحَل إِلىٰ العرَاق ، ثُمّ سَافر إِلىٰ مِصر ، فَأكْثَر فِي مَدح يَزِيد بن حَاتم المهلبي . أنظر ، الأَعلام : ٦/٢٢١ ، الأَغَاني : ٢٨٦ طَبعَة الدّار ، المِرزبَاني : ٤١١ ، شَرح النَّهج لِابن أَبِي ٱلحَدِيد : ٢٠/٧٠ .

وَبِالنَّاس عَاشَ النَّاسُ قِدماً وَلَم يَزَلْ ... مِـن النَّـاسِ مَـرغُوبٌ إِلَيـهِ وَرَاغِبُ

وَقَالَ شَاعِر آخر :

لَمْ يُـعطِكَ اللهُ مَـا أَعْـطَاكَ مِـن نِـعَمٍ ... إلاَّ لِتُـوسِع مَـن يَـرجُوك إِحْسَانَا

فَـإِنْ مَـنَعت فَأَخْـلِقْ أَنْ تُـصَادِفها ... تَـطِير عَـنْكَ زَرَافَـاتٍ وَوِحْـدَانَـا

ٱرْتَقب وَٱنْتَظر المُفَاجآت فيهُون عَلَيْهِ الخَطب بَعْض الشَّيء، وَالدَّرس النَّافع مِن حدُوث السُّقم بَعد الصّحة، وَالْفَقْر بَعد الْغِنَىٰ ـ هُو أَنْ لاَ تَثق إلّا بِاللهِ، وَأَنْ نَتوكَل عَلَيْهِ وَحده، وَنَسْتَغني بِهِ عَمَّن سِوَاه[1].

٤٢١ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَنْ شَكَا الْحَاجَةَ إِلَىٰ مُؤْمِنٍ، فَكَأَنَّهُ شَكَاهَا إِلَىٰ اللهِ؛ وَ مَنْ شَكَاهَا إِلَىٰ كَافِرٍ، فَكَأَنَّمَا شَكَا اللهَ».

● شَكوىٰ الْمُؤْمِن إِلىٰ مِثله لاَ تَسْتَدعي السَّخط عَلىٰ قَضَاء الله وَعَدم الرِّضا

(١) وَفِي هَذَا يَقُول الشَّاعر:

وَبَيْنَا الْمَرءُ فِي الأَحيَاء مُغْتَبِط ... إِذَا صَار فِي اللَّحْدِ تَسْفِيهِ الأَعَاصِيرُ

أُنظر، شَرح نَهْج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ٣/٥٣ و: ٢٠/٧١.

وَقَال شَاعر آخر:

لاَ يَغرَّنْك عِشَاءُ سَاكنٌ ... قَد يُوَافِي بِالمَنِّيات السَّحَرْ

أُنظر، شَرح نَهْج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ١٩/٢٢١ و: ٢٠/٧١، تَفْسِير القُرطُبي: ٤/٣١٩، المُنْتَخب مِن ذَيل المُذِيل: ١٤٣.

وَقَال عُبيدُالله بن طَاهر:

وَإِذَا مَا أَعَارَك الدَّهرُ شَيْئاً ... فَهْوَ لاَ بُدَّ آخِذٌ مَا أَعَارَا

أُنظر، شَرح نَهْج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ٢٠/٧١.

وَقَالَ شَاعر آخر:

يَغُرُّ الْفَتَىٰ مَرُّ اللَّيَالِي سَلِيمةً ... وَهُنَّ بِهِ عَمَّا قَلِيلٍ عَوائِرُ

أُنظر، شَرح نَهْج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ٢٠/٧١.

وَقَالَ شَاعر آخر:

وَرُبَّ غَنِيّ عَظِيم الثَّراءِ ... أَمْسَىٰ مُقِلاً عَدِيماً فَقِيرَا

وَكَم بَاتَ مِنْ مُترفٍ فِي القُصُور ... فَعوِّض فِي الصُّبح عَنْهَا القُبُورَا

أُنظر، شَرح نَهْج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ٣/٣٤٤ و: ٢٠/٧١.

بِقَدَره، لأنَّ كُلاً مِنْهُما مُؤْمِن بذَلِكَ... هَذَا إِلىٰ أنَّ المَشْكُوا إِلَيْهِ يُخَفف عَن الشَّاكي، وَيَأمره بِالصَّبْر، وَيُبشره بِالْأَجْر، وَيَدعُوا لهُ بِالخَيْر، أَمَّا شَكوىٰ الْمُؤْمن إلىٰ كَافرٍ فهِي تَشْبَه الْإِعتِرَاف ضِمناً بِكُفر الْكَافِر وَتَشجِيعه، وَكَأَنَّ الْمُؤْمِن يَقول لِلكَافر: أرَأَيْت مَا صَنع الله بِي عَلىٰ إِيمَاني بِهِ؟. وَأيضاً يَشمُت الكَافِر بِالمُؤْمِن، وَيَقول لهُ بِلسَان الحَال أَو المقَال: أَرَأَيْت إِلىٰ خَطأك وَضَلالك؟. وَمِن هُنا كَانَتْ الشَّكوىٰ لِلكَافر شَكوىٰ عَلىٰ الله.

٤٢٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام فِي بَعْضِ الْأَعْيَادِ: «إِنَّمَا هُوَ عِيدٌ لِمَنْ قَبِلَ اللهُ صِيامَهُ، وَ شَكَرَ قِيَامَهُ، وَكُلُّ يَوْمٍ لَا يُعْصَىٰ اللهُ فِيهِ فَهُوَ عِيدٌ».

● هَذَا هُو مَبدأ الإِمَام وَنَهجه وَقِيَاسه: «مَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ، وَمَا شَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ» كَمَا فِي ٱلحِكْمَة (٣٨٦). «لاَ خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَىٰ» كَمَا فِي ٱلخُطْبَة (١١١)... أَبداً لاَ فَرحَة، وَلاَ ثروَة إِلَّا الزَّحزحَة عَن النَّار[1].

٤٢٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «إِنَّ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالًا فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ، فَوَرِثَهُ رَجُلٌ فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، فَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ، وَ دَخَلَ الْأَوَّلُ بِهِ النَّارَ».

---

(١) وَبِهَذا قَالَ بَعضُ المحدثِين:

قَالُوا أَتىٰ العِيدُ وَالأَيَّامُ مُشرِقةٌ ... وَأنتَ تَبكِي وَكُلّ النَّاس مَسرُورُ
فَقُلتُ: إِنْ وَاصَلَ الأَحْبَابُ كَان لَنَا ... عِيداً وَإِلاَّ فَهَذا اليَومُ عَاشُورُ

أنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابن أَبِي ٱلحَدِيد: ٢٠/٧٣، التِّبيان: ١٠/٣٥٤، قَريب مِنْهُ.

● كَان الْمِسْكِين يَأنَس وَيَفرح بِمَا أَصَاب مِن مَالِ الحَرَام، وَيَحْـزَن وَيَجْـزَع إذَا خَاب سَعيه لهُ، أَو فَقَد شَيْئاً مِنْهُ بَعد نوَاله، ثُمَّ تَرك كُلّ مَا أَصَـاب مِـنْهُ إِلىٰ وَارِثٍ صَالح، فَأنفَقه فِي وَجههِ... وَلَمَّا وَقَف الإِثنَان بَيْنَ يَدي الجَبَار لِلْحِسَابِ، وَالْجَـزَاء أَثَاب الوَارثَ بِلاَ كَدٍّ وَتَعبٍ، وَعَاقب المُورِث عَلىٰ كَدحهِ وَأَتعَابه... وَالنَّـتِيجة إنَّ حَسرَة هَذا توَازي فَرْحَة ذَاك[1].

٤٢٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «إِنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً، وَ أَخْيَبَهُمْ سَعْياً، رَجُلٌ أَخْلَقَ بَدَنَهُ فِي طَلَبِ مَالِهِ، وَ لَمْ تُسَاعِدْهُ الْمَقَادِيرُ عَلَىٰ إِرَادَتِهِ، فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِحَسْرَتِهِ، وَ قَدِمَ عَلَىٰ الْآخِرَةِ بِتَبِعَتِهِ».

● كَدَح فِي طَلَب الْمَال لِغَاية فِي نَفْسه، وَضَحىٰ مِن أَجْلِها بدِينه وَآخرَته، وَلَكنَّ الأَجل حَالَ بَيْنَه وَبَيْنَهَا، فَأنْتَقل مِن حَسرَةٍ إِلىٰ مَا هُو أَشَد، أنْتَقل مِن عَذَاب الدُّنْيَا إِلىٰ عَذَاب الآخِرَة، مِن تَبدِيد الجهُود بِلا جَدوىٰ إِلىٰ بِئس المَصِير... وَتصدُق هَذِه الصُّورة عَلىٰ الكَثِير مِن الفِئَات، يَحْتَكر هَذَا التَّاجر لِيكُون فِي طَلِيعة أَغْنِياء العَالَم، وَيَخُون ذَاك المُرتَزق لِيَصل إِلىٰ الحُكم وَالسُّلطة، فَيخطُفه المَوْت بَعد أَنْ يَدفع الثَّمن، وَقَبل أَنْ يَقْبَض المُثمَن! فَهل مِن مُدَّكِر؟ قُتل الإِنْسَان مَا أَكْفَره!

---

(١) كَان يُقَال لِعُمر بن عَبدالعَزيز بن مَروان: السَّعِيد آبن الشَّقيّ، وَذَلِكَ أَنَّ عَبدالعَزيز بن مَروان مَلَك ضِيَاعاً كَثِيرَة بِمصر، وَالشَّام، وَالعرَاق، وَالمَدِينة مِن غَيْر طَاعة الله، بَل بِسُلطَان أَخِيه عَبدالملك، وَبولاَية عَبدالعَزيز نَفْسه مِصر وَغَيْرها، ثُمَّ تركها لاِبْنه عُمر، فَكَان يُنْفِقُها فِي طَـاعة الله سُبْحَانه وَتَـعَالىٰ، وَفِي وجُـوه البِرّ وَالقُربات، إِلىٰ أَنْ أَفْضَت الخِلاَفَةُ إِلَيْه، فَلَمَّا أَفضَت إِلَيْه أَخرَج سِجِلاَّت عَبدالملك بِها لِـعَبدالعَـزيز فَمزَّقَها بِمَحضَر مِن النَّاس، وَقَال: هَذِه كُتِبتْ مِن غَيْر أَصل شَرعيّ، وَقَد أَعدتُها إِلىٰ بَيْت المَال.
أُنظر، شَرح نَهج البَلاَغة لِابْن أَبِي الحَدِيد: ٢٠/٧٤.

٤٢٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «الرِّزْقُ رِزْقَانِ: طَالِبٌ، وَ مَطْلُوبٌ. فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَهُ الْمَوْتُ، حَتَّىٰ يُخْرِجَهُ عَنْهَا؛ وَ مَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّىٰ يَسْتَوْفِيَ رِزْقَهُ مِنْهَا».

● (طَالِبٌ) أي رِزق مِن غَيْر ٱحتسَاب (وَ مَطْلُوبٌ) وَهُو الَّذي صَمَّمتَ عليه، وَسَعِيتَ إِلَيْهِ (فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا) لاَ يَلوي عَلىٰ شَيء (طَلَبَهُ الْمَوْتُ) وَأَدرَكه قَبل أَنْ يَبلغ مِن الدُّنْيَا حَاجَته، (وَ مَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّىٰ يَسْتَوْفِيَ رِزْقَهُ مِنْهَا). وَسَعىٰ لَهَا سَعياً نَال مِنْهَا مَا أَرَاد، وَمَن قَبل أَخَذ مِن دُنْيَاه مَا كَفَاه، وَتَقدَّم مَع الشَّرح قَوْلَه فِي ٱلْخُطْبَة (٩٩): «وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ، وَعَلَىٰ أَثَرِ الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي»، وَفِي ٱلْحِكْمَة (٣٧٨): «الرِّزْقُ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ»[1].

٤٢٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَىٰ بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَىٰ ظَاهِرِهَا، وَ ٱشْتَغَلُوا بِآجِلِهَا إِذَا ٱشْتَغَلَ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ، وَ تَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَتْرُكُهُمْ، وَ رَأَوُا ٱسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا ٱسْتِقْلاَلاً، وَ دَرَكَهُمْ لَهَا فَوْتاً، أَعْدَاءُ مَا سَالَمَ النَّاسُ، وَ سَلْمُ مَا عَادَىٰ النَّاسُ! بِهِمْ عُلِمَ الْكِتَابُ، وَ بِهِ عَلِمُوا، وَ بِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ، وَ بِهِ قَامُوا، لاَ يَرَوْنَ مَرْجُوّاً فَوْقَ مَا يَرْجُونَ، وَ لاَ مَخُوفاً فَوْقَ مَا يَخَافُونَ».

---

(١) وَقَد قِيلَ: مَثَل ٱلدُّنْيَا مَثَل ظِلّك، كُلّمَا طَلَبته بَعُد عَنك، فَإِنْ أَدبَرتَ عَنهُ تَبِعَك.

أُنظر، شَرح نَهْج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبِي ٱلحَدِيد: ٢٠/٧٦.

● تَقَدَّم الكَلاَم عَن الأَوْلِيَاء، والأَتقِيَاء مُكَرَّراً فِي الخُطَبِ، وَالرَّسَائِل، وَالحِكَمِ السَّابقة، وَعَاد الإِمَام إِلىٰ الحَدِيث عَنْهم، كَمَا هُو أَدَب الدُّعَاة النَّاصِحِين، عَسىٰ أَنْ يُصَادفوا أُذُناً وَاعِية بِالتّكرَار وَالإِعَادة. وَذكر الإِمَام مِن أَوصَافهم مَا يَلي:

١ ـ (هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَىٰ بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَىٰ ظَاهِرِهَا) لِلدُّنْيَا ظَاهِر وَبَاطِن، وَظَاهر خَادع كَاذب مَن نَظَر إِلَيْهِ وَحده شَغل بِهِ قَلْبه، وَٱنْصَرف عَن آخِرَته وَمَصِيره، وَمَن نَظَر إِلىٰ بَاطِنها وَوَاقِعها ٱتخَذها وَسِيلة إِلىٰ سعَادته الأَبدِية تَمَاماً كَمَا فَعَل أَوْلِيَاء الله وَأَحْبَابه.

٢ ـ (وَ ٱشْتَغَلُوا بِآجِلِهَا إِذَا ٱشْتَغَلَ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا). الهَاء فِي آجِلِهَا تَعُود لَفظاً إِلىٰ الدُّنْيَا، وَالْمَعْنىٰ إِلىٰ الآخِرَة، لِأَنَّهَا تَأتِي عَقب الدُّنْيَا، وَالْمَعْنىٰ إِنَّ الصُّلحَاء لاَ يَتنَافسُون عَلىٰ الدُّنْيَا، وَلاَ يُثِيرُون مِن أَجْلِها، بَل يَعْملُون بِالمَثَل السَّائر: «دَع مِئَة زَهرَة تَتفَتح».

٣ ـ (فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ) كَالطَّمع وَالجَشَع، وَالحِقد وَالنِّفَاق.

٤ ـ (وَ تَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَتْرُكُهُمْ) كُلّ مَا زَاد عَن حَاجَتك فَأَنتَ تَاركه لِغَيرك لاَ مَحَالَة، وَهُو أَيضاً تَارِكك بِطَبِيعَة الحَال، لأَنَّك لاَ تُنْفق مِنْهُ شَيْئاً، وَإِذْن فَعَلاَم تَلهث فِي طَلبه؟. أَللَّهُمَّ إِلّا إِذَا أَرَدت بِهِ وَجه الله وَخِدمة عِيَاله وَعِبَاده، ليكُون لكَ ذِخراً وَأجراً كَرِيماً.

٥ ـ (وَ رَأَوُا ٱسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا ٱسْتِقْلاَلاً، وَ دَرَكَهُمْ لَهَا فَوْتاً) عَاينُوا أَنَّ الإِنْسَان ـ فِي الأَغلب ـ كُلَّمَا كَثُر مَاله قَلّ خَيْره، وَكُلَّمَا أَدْرَك شَيْئاً مِن دُنْيَاه فَاته الكَثِير مِن دِينه. وَبِكَلمة كُلَّمَا أَسرَف فِي المَادِيات ٱزْدَاد بُعداً عَن الرّوحِيات.

٦ ـ (أَعْدَاءُ مَا سَالَمَ النَّاسُ، وَ سَلْمُ مَا عَادَىٰ النَّاسُ! بِهِمْ عُلِمَ الْكِتَابُ، وَ بِهِ

عَلِمُوا). المُتْرَفُون يُعَادون الحَقّ، لأنَّه حَرْب عَلىٰ أَطمَاعهم، وَالأَوْلِيَاء يُنَاصرُون الْحَقّ، لأنَّه لاَ نَصِير لهُم سوَاه. وَالمُتْرَفُون يُنَاصرُون البَاطِل وَالضَّلال، لأنّه يُشبع أَهْوَاءهم وَرَغبَاتهم، وَالأَوْلِيَاء حَرْب عَلَيْهِ وَعَلَيْهم.

٧ ـ (بِهِمْ عُلِمَ الْكِتَابُ، وَ بِهِ عَلِمُوا) استَمدُوا عِلْمهم مِن كتَاب الله، وَأَذاعُوه عَلىٰ النَّاس (وَ بِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ) أَي أَقَاموا الدَّلِيل القَاطع عَلىٰ صِدْقِه وَحُجَّته (وَ بِهِ قَامُوا) أَي عَملُوا. وَبِالإِخْتِصَار: إنَّ العَالم حَقّاً وَوَاقِعاً هُو الَّذي تَعلّم وَعَلّم وَعَمل. وَهَذِه هِي خِلَّة الْمُؤْمِن الوَلي، وَالعَالِم التَّقِي.

٨ ـ (لَا يَرَوْنَ مَرْجُوّاً فَوْقَ مَا يَرْجُونَ، وَ لَا مَخُوفاً فَوْقَ مَا يَخَافُونَ). لاَ يَرجُون شَيْئاً إلَّا الصَّفح وَالرَّحْمَة مِن الله وَلاَ يَخَافُون إلَّا مِن سَخَطه وَعَذابه. وَتَقَدَّم فِي الْحِكْمَة (٨٢): «لَا يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ». وَالْخَوْف مِن الله رَقِيب الأَعْمَال، أَمّا رَجَاء الرَّحْمَة مِن الله فَنِعم الشَّفيع إِلىٰ رِضوَانه، وَالوَيل كُلّ الوَيل لِمَن ظَنَّ بِالله ظَنَّ السَّوْء: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[1].

٤٢٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «**اذْكُرُوا انْقِطَاعَ اللَّذَّاتِ، وَ بَقَاءَ التَّبِعَاتِ**».

● تَبِعَة الشَّيء عَاقِبَته، وَالْمَعْنَىٰ مَا تَصْنَع بَعد ثوَانٍ، وَيَبقىٰ حِسَابها وَعِقابها؟. وَوَاضح إنَّ الأُمُور تُقَاس وَمَا يَترَتب عَلَيْها مِن خَيْرٍ أَو شَرٍّ.

(١) الفَتح: ٦.

٤٢٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «أُخْبُرْ تَقْلِهْ» .

وَقَالَ الرَّضِيّ : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَرْوِي هَذَا لِلرَّسُولِ صلى الله عليه وآله . وَمِمَّا يُقَوِّي أَنَّهُ مِنْ كَلاَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مَا حَكَاهُ ثَعْلَبُ قَالَ : حَدَّثَنا ابْنِ الأَعْرَابِيِّ قَالَ : قَالَ الْمَأْمُونُ : لَوْلاَ أَنَّ عَلِيّاً عليه السلام قَالَ : «أُخْبُرْ تَقْلِهْ» لَقُلْتُ أَنا : أَقْلِهْ تَخْبُرْ) .

● أُخْبُرْ ـ بِضَمِ البَاء ـ فِعل أَمر مِن الإِخْتبَار ، وَتَقْلِه ـ بِفَتح التَّاء وَسُكُون القَاف ـ مِن القِلىٰ أَو القَلاَء أَي البُغض وَالمَقت ، فِعل مضَارع مَجْزُوم بِجوَاب الأَمْر ، وَعَلاَمة الجَزْم حَذف حَرف العِلَّة مِن آخره ، وَالهَاء لِلسَّكت . وَمَعْنىٰ قَول المَأمُون إِنَّ حَقِّيقة الشَّخص تَعرفها مِن مُبغضه وَعدوه لاَ مِن مُحِبّه وَصَدِيقه ، لأَنَّ عَين الرِّضا تُرِيك السَّيء حَسَناً ! . وَيُلاَحظ بِأَنَّ عَين البُغض أَيضاً تُرِيك الحُسَن سَيِّئاً . وَلاَ تَعرف حَقِّيقة الشَّخص إِلّا بِالتَّجربَة المُجَردة عَن الرِّضا وَالسَّخط[1] .

---

(١) قَالَ أَبُو العَلاَء المَعَرِّي:

جَرَّبتُ دَهـرِي وَأَهـلِيه فَمَا تَـرَكتْ ... لِيَ التَّجارِبُ فِي وُدّ آمرِىءٍ غَرضَا

أُنظر، سَقط الزَّند: ٦٥٦، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبِي الحَدِيد: ٨١/٢٠.

وَقالَ آخر:

وَكُـنتُ أَرىٰ أَنَّ التَّـجارِبَ عُـدَّةٌ ... فَخَانَتْ ثِقاتُ النَّاسِ حَتَّىٰ التَّجارِبُ

أُنظر، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبِي الحَدِيد: ٣٢٥/١٩ و: ٨١/٢٠.

وَقَالَ عبدُالله بن مُعَاوِية بن عَبدالله بن جَعفَر بن أَبِي طَالب:

رَأَيتُ فُـضَيْلاً كَـان شَـيْئاً مُـلفّفاً ... فَأَبـرَزَه التَّـمحِيص حَـتَّىٰ بَـدالِيا

أَأَنتَ أَخِـي مَـا لَمْ تَكُـن لِي حَـاجَة ... فَإنْ عَرَضت أَيـقَنت أَنْ لاَ أَخَـاً لِـيا

أُنظر، الأَغاني: ٢١٤/١٢، تَأرِيخ دِمشق: ٢٢٠/٣٣، ذِكر أَخبَار إِصْبهان: ٧٦/١، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابْن أَبِي الحَدِيد: ٨١/٢٠.

٤٢٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «مَاكَانَ اللهُ لِيَفْتَحَ عَلَىٰ عَبْدٍ بَابَ الشُّكْرِ، وَ يُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الزِّيَادَةِ، وَ لَا لِيَفْتَحَ عَلَىٰ عَبْدٍ بَابَ الدُّعَاءِ، وَ يُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْإِجَابَةِ، وَ لَا لِيَفْتَحَ لِعَبْدٍ بَابَ التَّوْبَةِ، وَ يُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْمَغْفِرَةِ».

● الشُّكْر أَنْ تَرَىٰ مَا بِكَ نِعْمَة فَمِن الله، وَأَنْ لاَ تَعصِيه فِي أَمرٍ وَنهي، وَهَذَا الشُّكْر سَبَب لِزِّيَادة النِّعْمَة، لأَنَّ الَّذي وَهَبها كَتَب ذَلِكَ عَلَىٰ نَفْسه حَيْث قَالَ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَـئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَـئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾[1]. وَقَوْلَه تَعَالىٰ الصِّدْق، وَوعدَه الْحَقّ. وَالدُّعَاء مَع العَمل بِطَاعة الله سَبَب لِلهدَاية إِلىٰ طَرِيق الفُوز وَالنَّجاح. أَمَّا ٱلتَّوْبَة فَهي أَنْجَح الوَسَائِل لِعَفو الله وَكَرمه. وَتَقَدَّم الكَلاَم عَن ذَلِكَ كُلّه مِرَاراً.

٤٣٠ ـ وَ سُئِلَ عليه السلام : أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ الْعَدْلُ أَوِ الْجُودُ؟ فَقَالَ عليه السلام :

«الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا، وَ الْجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا، وَ الْعَدْلُ سَائِسٌ

⇐ وَقَال شَاعِر آخر:

عَـتَبتُ عَـلىٰ سَـلمٍ فَـلَمَّا فَـقدتُه ... وَجَرَبتُ أَقوَاماً رَجَعتُ إِلىٰ سَلمِ

أُنظر، تَأريخ دِمشق: ١٤٥/٢٢ و: ٣٢٠/٦٢، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبي ٱلحَدِيد: ٨١/٢٠.

وَقَال شَاعر آخر:

ذَمَمْـــتُك أَوَّلاً حَـــتَّىٰ إِذَا مَـــا ... بَـلوْتُ سِـوَاكَ عَـاد الذَّمُ حَمْـدا

وَلَمْ أَحمــدْكَ مِـن خَـيْرٍ وَلَكـن ... وَجَدتُ سِوَاكَ شَرّاً مِنْكَ جِـدّا

فَـعُدْتُ إِلِيكَ مُـضْطَرّاً ذَلِـيلاً ... لأَنِّي لَمْ أَجِــدْ مِــن ذَاكَ بُــدّا

كَـمَجْهُودٍ تَحَامَىٰ أَكـلَ مَـيْتٍ ... فَـلَمَّا اَضْـطُرَّ عَـادَ إِلَـيْهِ شَـدّا

أُنظر، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبي ٱلحَدِيد: ٨١/٢٠.

(١) إِبْرَاهِيم: ٧.

عَامٌّ ؛ وَ الْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ ، فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا ، وَ أَفْضَلُهُمَا ».

● يَفْتَرِق كُلٌّ مِن الْعَدْل وَالْجُود عَن الْآخِرَة فِي أَمْرَين :

الْأَوَّل : إنَّ الْعَدْل ضِدّ الْانْحِرَاف وَالْإِجْحَاف ، فَأَي شَيء وَضَعته فِي مكَانِهِ المُقَرر لهُ فَقَد عَدَلت وَأَنْصفت ، فَإِذا أنْحَرفت بِهِ عَن مَوْضِعه فَقَد جُرتَ وَأَجْحَفت ، أَمَّا الْجُود فَهُو فَضل وَإِحسَان تَمَاماً كَالرَّحْمَة ـ مَثلاً ـ كَانَ لَكَ حَقّ عَلىٰ آخر ، وَاستُوفِيته مِنْهُ بِلا زِيَادة فَهَذا عَدل وَإِنْصَاف ، وَإِنْ سَامحت وَتَنازلت بِلا عِوض فَهُوَ جُود تُمدح عَلَيْهِ وتُشكر كَمَا قَالَ تَعَالىٰ : ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[1].

وَقَول الإِمَام : (وَ الْجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا) أَي يَتجَاوز بِالأَشْيَاء عَن مَواضِعها إِلىٰ جِهَة البِرّ وَالْإِحْسَان ، لاَ إِلىٰ جِهَة البَغي وَالْعُدْوَان .

الثَّانِي : (الْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ) أَي أَسَاس وَنظَام لِلحَيَاة بِشَتىٰ جِهَاتها ، فَالقوَّة بِلا عَدل هِي أستبدَاد ، وَالْحُرِّيَّة بِلا عَدَالة فُوضىٰ ، وَالْعِلْم بِلا إِنْصَاف ضَلال وَفَساد ، وَبالتَّالي فَلا حَيَاة بِلا عَدل (وَ الْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ) لاَ يَشمل جَمِيع نوَاحِي الْحَيَاة ، وَهِي تَتم وَتَستقِيم بِلا جُود .

٤٣١ ـ وَ قَالَ عليه السلام : « النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا » .

● تَقَدَّم بِالحَرف الوَاحد فِي الْحِكْمَة (١٧٢) . أُنظر شَرحها فِي الصَّفحَة (٢٢٦) مِن هَذا المُجَلد[2].

---

(١) الْبَقَرَة : ١٥٨.

(٢) قِيل لأفلاطُون : لِمَ يُبْغِض الجَاهِل العَالِمَ ، وَلاَ يُبْغِضُ العَالِمُ الجَاهِلَ ؟ فَقَال : لأنَّ الجَاهِل يَستَشعِر النَّقص فِي ←

٤٣٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ ؛ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ : ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَـٰكُمْ﴾[1] ، وَ مَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَىٰ الْمَاضِي ، وَلَمْ يَفْرَحْ بِالْآتِي فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ » .

● الزُّهْد هُو الرِّضا بِالمَيسُور ، وَمَعْنَىٰ الكَلْمَتِين فِي الآيَة الكَرِيمَة وَاضح ، تَـقُول الأُولَىٰ : لاَ تَحْزَنُوا لِمَفْقُود ، وَتَقُول الثَّانِيَة : لاَ تَفْرَحُوا بِمَوجُود ، لأَنَّ الفَائِت لاَ يُتَلافَىٰ بِالعَبرة ، وَالآتِي لاَ يُستدَام بِالحَبرَة عَلىٰ حَد تَعبِير حَكِيم قَدِيم[2] . وَقَالَ آخر : «لَئن الحَسن جَمْرَة أَحْرَقت مَا أَحْرَقت ، وَأَبْقَت مَا أَبْقت ، أَحَبّ إلَيَ مِن أَنْ أَقول لِشَيء كَان : لَيْتَهُ لَمْ يَكُن ، أَو لِشَيء لَمْ يَكُن : لَيْتَهُ كَان »[3] . وَتكَرَّر فِيمَا سَبق حَدِيث الزُّهْد .

٤٣٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ » .

● تَقَدَّم بِالنَّص الحَرفِي فِي ٱلخُطْبَة (٢٤١)[4] . وَيَتلَخص المَعْنَىٰ بِأَنَّ لِلنَّوم منَافع ، مِنْهَا إنَّ الإِنْسَان قَد يَعْزِمْ عَلىٰ الشَّيء فَإِذا نَام تَبخَّر العَزْم .

← نَفْسِه ، وَيَظنّ أَنَّ العَالم يَحْتَقِره ، وَيَزْدَرِيه فَيُبغِضه ، وَالعَالِم لاَ نَقص عِنده وَلا يَظُنّ أَنَّ الجَاهِل يَحْتَقِره ، فَلَيس عِنده سَببٌ لِبُغض الجَاهِل .

أُنظر ، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لابن أَبي ٱلحَدِيد : ٨٦/٢٠ .

(١) ٱلحَدِيد : ٢٣ .

(٢) أُنظر ، تَفسِير القُرطُبي : ٢٥٨/١٧ . وَالقَائِل ، هو ، بُزُرْجمهر .

(٣) رُوي ذَلِكَ عَن ٱبن مَسعُود ، كَمَا جَاء فِي مُسكن الفُؤاد لِلشَّهيد الثَّاني : ٨١ ، وَقَرِيب مِنْهُ فِي التِّبيَان لِلشَّيخ الطُّوسي : ٣٥٧/١ ، وَتَفسِير مَجمَع البَيان : ٤٠٠/٩ ، وَمَجْمَع البَحرين : ٢٣٨/٤ .

(٤) أُنظر ، شَرح ٱلخُطْبَة فِي أَوَاخر الجُزء الرَّابع .

٤٣٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «الْوِلَايَاتُ مَضَامِيرُ الرِّجَالِ».

● مَضَامِيرُ: جَمع مِضْمَار، وَهُو المكَان وَالزَّمان اللَّذان تُضمّر فِيهمَا الخَيْل لِلسِّباق، وَبَعد المِضْمَار يُعرَف الجوَاد مِن البِرْذَوْنِ، وَكذَلِكَ تُعرف الرِّجَال بَعد تَولي الرِّئَاسَة وَالسُّلْطَان... وَكَم مِن وَدِيع قَبل أَنْ يحكُم أَصْبَح وَحشاً كَاسِراً حِين الحُكم[1].

٤٣٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «لَيْسَ بَلَدٌ بِأَحَقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ؛ خَيْرُ الْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ».

● لَيسَ المُهم أَنْ تَعِيش فِي هَذَا البَلَد دُونَ ذَاك، فَأي بَلدٍ تَعِيش فِيهِ كَإِنْسَان، لهُ

---

(١) قَالَ الشَّاعر:

سكْرَاتٌ خَمسٌ إِذَا مُني المَر ... ءُ بِهَا صَارَ عُرضَةً لِلزَّمانِ
سَكْرةُ المَالِ وَالحدَاثَةِ وَالعِشـ ... قِ وسُكرُ الشَّراب وَالسُّلطانِ

أُنظر، كَشف الخَفَاء: ٢/٤ ح ١٥٣٠، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبي الحَدِيد: ٩/١٣٩، و: ٢٠/٨٨.

وَقَال آخر:

يَابنَ وَهْبٍ وَالمَرءُ فِي دَوْلة السُّلـ ... طَان أَعْمَىٰ مَا دَامَ يُدعَىٰ أَمِيرا
فَإِذَا زَالتِ الوِلاَيَةُ عَنهُ ... وَاستَوَىٰ بِالرِّجَال عَادَ بَصِيرا

أُنظر، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبي الحَدِيد: ٢٠/٨٨.

وَقَالَ البُحْتري:

وَتَاهَ سَعِيدٌ أَنْ أُعِيرَ رِيَاسَةً ... وَقُلِّدَ أَمراً كَان دونَ رِجَالِهِ
وَضَاقَ عَلىٰ حَقّي بِعقْب اتّسَاعه ... فَأوسَعْتُه عُذراً لِضِيق احْتِمَالِهِ
فَأَدبَر عَنّي عِند إِقْبَال حَظّه ... وَغَيّرَ حَالِي عِندَه حُسنُ حَالِهِ
فَلَيتَ أَبَا عُثْمَانَ أَمسَك تِيهه ... كَإِمساكِه عِند الحقُوقِ بِمَالِهِ

أُنظر، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبي الحَدِيد: ٢٠/٨٨.

حُرِّيته وَكَرامته كَالحَيوَان مُسَخَر لِلطُّغاة وَالمُستَغلِين فَهُوَ بِالقيَاس إِلَيْكَ خَيْر مَقر وَوَطن. وَبِكَلمَة، المُهم كَيف تَعِيش لاَ أَين تَعِيش؟. وَتَقَدَّم مَع الشَّرح فِي ٱلحِكْمَة السَّابقَة: «الْغِنَىٰ فِي الْغُرْبَةِ وَطَنٌ، وَالْفَقْرُ فِي الْوَطَنِ غُرْبَةٌ»[(١)].

٤٣٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام وَ قَدْ جَاءَهُ نَعْيُ الْأَشْتَرِ رَحِمَهُ الله:

«مَالِكٌ وَ مَا مَالِكٌ! وَ اللهِ لَوْ كَانَ جَبَلًا لَكَانَ فِنْداً، وَ لَوْ كَانَ حَجَراً لَكَانَ صَلْداً، لَا يَرْتَقِيهِ الْحَافِرُ، وَ لَا يُوفِي عَلَيْهِ الطَّائِرُ».

وَقَالَ الرَّضِيّ: (وَالْفِنْدُ: الْمُنْفَرِدُ مِنَ الْجِبَالِ).

● الصَّلْدِ: الصَّلب الأَملَس، وَالْحَافِرُ لِلدَّابة بِمَنْزِلة القَدَم لِلإِنْسَان، وَلاَ يَرْتَقِيهِ: لاَ يَصْعَد عَلَيْهِ، وَلاَ يُوفِي عَلَيْهِ: لاَ يَعْلُو عَلَيْهِ، وَالْمَعْنَىٰ إِنَّ الأَشْتَر كَان عَظِيم المَنْزِلة فِي دِينهِ وَخُلقه، عَالِي الهِمَّة فِي شَجَاعَتُهِ، وَمرُوءتهِ، وَفِي جِهَادهِ وَتَضحِيته.

٤٣٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «قَلِيلٌ مَدُومٌ عَلَيْه، خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ».

● ٱقرَأْ فِي كُلِّ يَوْم دَرسَاً وَاحِداً بِفَهم وَرَوِية، وَوَاصب عَلَيْهِ سَنوَات تُصبح عَالِماً مُتَمكِناً مِن الْعِلْم الَّذي دَرَسته، وَإِذا أَكْثَرت، مِن الدّرُوس وَطِي الأَورَاق ٱخْتِصَاراً لِلوَقت فَإِنَّك تَمل وَلاَ تَهضم شَيْئاً مِمَّا قَرَأت وَدَرست، وَفِي النّهايَة تَتسم بِسمَات أَهْل الْعِلْم، وَمَا أَنتَ مِنْهُم فِي شَيء إِلّا الشَّكل. وَتَقَدَّم مَع الشَّرح فِي ٱلحِكْمَة (٢٧٨) قَوْلَه: «قَلِيلٌ تَدُومُ عَلَيْهِ أَرْجَىٰ مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ».

(١) أنظر، نَهج ٱلبَلاَغَة: ٱلحِكْمَة (٥٥).

٤٣٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «إِذَا كَانَ فِي رَجُلٍ خَلَّةٌ رَائِقَةٌ، فَانْتَظِرُوا أَخَوَاتِهَا».

● إِذَا رَأَيْت نَفْحَة خَيْرٍ مِن إِنْسَان فَارْتَقب أَمْثَالها وَنَظائِرها، لأَنَّ تِلك النَّفحَة ثَمَرة مِن شَجرَة، وَفَرع مِن أَصل. وَتَقَدَّم مَع الشَّرح قَوْله فِي الخُطْبَة (١٦): «حَقٌّ وَبَاطِلٌ، وَلِكُلٍّ أَهْلٌ»، وَفِي الحِكْمَة (٤١٦): «إِنَّ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَهْلًا».

٤٣٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام لِغَالِبِ بْنِ صَعْصَعَةَ أَبِي الْفَرَزْدَقِ، فِي كَلَامٍ دَارَ بَيْنَهُمَا:
«مَا فَعَلَتْ إِبِلُكَ الْكَثِيرَةُ؟ قَالَ: ذَعْذَعَتْهَا الْحُقُوقُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ عليه السلام: ذَلِكَ أَحْمَدُ سُبُلِهَا».

● ذَعْذَعَتْهَا: فَرّقَتها، وَالمُرَاد بِالحُقُوق هُنا الزَّكوات، وَالصَّدقَات، وَلَيْس مِن شَكٍّ أَنَّ بَذل المَال فِي هَذِه السَّبِيل أَفْضَل وَأَجدىٰ مِن أَي سَبِيل آخر.

وَقَالَ ابن أَبِي الحَدِيد: كَانَ غَالب هَذَا شيخاً كَبِيراً يَملك الكَثِير مِن الإِبِل، فَوَفَد عَلىٰ الإِمَام أَيَّام خِلاَفته، وَمَعهُ وَلَده الفَرَزْدَق الشَّاعر الشَّهِير، وَهُو غُلاَم يَوْمَئِذٍ، فَسَأله الإِمَام عَن إِبلِهِ، ثُمَّ عَن الغُلاَم؟ وَقَالَ: هُو ابني، وَقَد رَوّيْتَه الشِّعر وَكَلاَم العَرَب. فَقَال لهُ الإِمَام: لَو أَقْرَأته القُرْآن فَهُو خَيْرٌ له، فَكَان الفَرَزْدَقُ بَعدُ يَروي هَذَا الحَدِيث، وَيقول: مَا زَالتْ كَلِمَة الإِمَام فِي نَفْسِي، حَتَّىٰ قيَّد نَفْسه بِقيْد وَآلَىٰ أَلاَّ يَفُكَّه حَتَّىٰ يَحْفظ القُرْآن، فَمَا فكّه حَتَّىٰ حَفِظه[1].

٤٤٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَنِ اتَّجَرَ بِغَيْرِ فِقْهٍ فَقَدِ ارْتَطَمَ فِي الرِّبَا».

---

(١) أنظر، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابن أَبِي الحَدِيد: ٢٠/٩٦.

● ٱرْتَطَمَ: وَقَع. وَالرِّبَا مِن كبائِر الْمُحَرَّمَات أَخْذاً وَعَطاءً، وَيَكُون فِي القَرض وَغَيْره، وَلهُ شرُوط، وَفرُوعه كَثِيرة، يَقع الِالتبَاس فِيها أَو فِي الكَثِير مِنهَا، وَلِذَا أَمَر الإِمَام أَرْبَاب التِّجَارَة أَنْ يَتفقهُوا فِي مسَائِل البَيع وَالدَّين كِيلاَ يَقعُوا فِي الْحَرَام. وَٱستَقصىٰ الْفُقَهَاء كُلّ مَا يَتصل بِالرِّبَا مِن قَرِيب وَبَعِيد. وَمَن أَرَاد التَّوسع فِي مَعْرِفَة الرِّبَا وَفرُوعه فَعَليهِ بِمُلحقَات عُرْوَة الوثقىٰ لِلسَّيد كَاظم اليَزدِي.

٤٤١ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَنْ عَظَّمَ صِغَارَ الْمَصَائِبِ؛ ٱبْتَلَاهُ اللهُ بِكِبَارِهَا».

● مُلك عَظِيم زَال مُلكه، وَرَأىٰ نَفْسه فِي طَرفَة عَين كَأحد السُّوقة، لاَ يَملك شَيْئاً حَتَّىٰ مُقدَار موطىء قَدَمه... فَمَاذا يَصْنع؟ هَل يَبْكِي وَيَنوح؟ وَلنَفْتَرِض أَنّه شَكىٰ فَهْل يَعُود مَا فَات؟ وَمَتىٰ كَان البُكَاء حَلاّل المشَاكل؟ إنَّ الهَّم وَالغَّم يَشل الْعَقْل وَالجِسم، وَيُضَاعف المُصَاب، وَيُحوّله إِلىٰ كَارثة مُهلكة... إنَّ آخر قَيَاصِرة الصِّين كَان أَعْظَم مَلك عَلىٰ وَجه الأَرْض، وَمَا زَال حَيَّاً يُرْزَق، وَحِين ذَهب مُلكه تَناسىٰ كُلّ شَيء، وَعَمل فِي إِحدىٰ الحَدَائِق بِأَجرٍ زَهِيد، يَسْقِي الزّهور، وَيَقتلع الأَعْشَاب الطُّفيلِية بِيَده، وَأَلّف العَدِيد مِن الكُتب عَن حَيَاته كَعِبرَة، وَعِظَة لِكُلِّ مَن يَنْتَفِع بِالعِظَات وَالعِبَر.

وَهَكذا كُلّ عَاقِل يَنْسَجم مَع عَالمه وَوَاقعه وَإلّا ٱنْفَصل عَن هويَته، وَعَاش فِي عَالم الأَسَاطِير وَالخُرَافَات.

٤٤٢ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ، هَانَتْ عَلَيْهِ شَهَوَاتُهُ».

● مُقيَاس الكَرَامة عِند الله وَالنَّاس هُو أَنْ يَملك الإِنْسَان نَفْسه، وَيَعمل بوَحي

مِن دِينه وَعقْله، وَيَصبر عِند المُلمّات صَبر الأَحرَار، أَمَّا مَن أَسلَس قِيَاده لِلشَّهوَات فَقَد أَهدَر كَرَامته بِنفسه. وَقِيل لِحَكِيم: مَا تَشْتَهي؟ قَالَ: أَشْتَهي أَنْ لاَ أَشْتَهي».

٤٤٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَا مَزَحَ آمْرُؤٌ مَزْحَةً، إِلَّا مَجَّ مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةً».

● مَجَّ الشّرَاب: رَمَىٰ بِهِ وَمِن فَمه، وَيُقَال: هَـذَا كَلاَم تَمجّه الأَسْمَاع أي تَسْتَكرهه... وَالمزَاح فِي حدُود الله وَحلاَله جَائِز، وَالحرَام مِنْهُ مَا يُؤدي إِلىٰ الحرَام. وَكَان رَسُول الله يَمْزَح وَلاَ يَقول إِلّا حَقَّاً، وَفِي بَعْض الرِّوايَات: «إِنَّ أَعرَابياً كَان يَأتِي لزِيَارته، فَرَآه يَوْماً فِي السّوق، فَجَاء مِن وَرائِهِ وَغَطىٰ عَينيه، وَقَالَ لهُ: مَن أَنا؟». وَقَالَ لِعَجُوز: «إِنَّ الجنَّة لاَ يَدخلها العَجُوز»[١]. وَلَمَّا بَكت قَرَأ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[٢].

٤٤٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «زُهْدُكَ فِي رَاغِبٍ فِيكَ نُقْصَانُ حَظٍّ، وَ رَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ ذُلُّ نَفْسٍ».

● لاَ تَزْهَد فِي رَاغِبٍ، وَلاَ تَرْغَب فِي زَاهِدٍ، لأَنَّ مَعْنَىٰ زُهْدُك فِي رَاغِب فِيك إِنَّك تَأبىٰ وَتَرفض قَلباً مُخْلِصاً لَكَ، وَإِخْلاَص الْقُلُوب قوَّة وَثَروة يَنْبَغي العَمَل مِن أَجْلِها وَالتَّضحِية فِي سَبِيلها، وَلِذا قَالَ الإِمَام فِي الحِكْمَة (١٢): «أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ

---

(١) أنظر، شَرح كَلمَات أَمِير المُؤْمِنِين لِعَبد الوهَاب: ٤٠، تَأوِيل مُختَلف الحَدِيث لِابن قُتيبَة: ٢٧٢، الدَّرجَات الرَّفِيعة: ٣٦٥.

(٢) الْوَاقِعَة: ٣٥ ـ ٣٧.

عَجَزَ عَنِ ٱكْتِسَابِ الْإِخْوَانِ، وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ». أمَّا رَغْبَتك فِيمَن زَهد فِيكَ فَهُوَانٌ وَصِغَار.

٤٤٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «الْغِنَىٰ وَ الْفَقْرُ بَعْدَ الْعَرْضِ عَلَىٰ اللهِ».

● القُوَّة وَالثَّروَة وَالعِزَّة كُلّها فِي مَرضَاة الله وَالقُرب مِن رَحْمَته، وَالْفَقْر، وَالذُّل، وَالضَّعف كُلّه فِي غَضبه تَعَالىٰ. هَذَا هُو مُقيَاس الْفَضْل، وَالْحَقّ، وَالْخَيْر عِند الْإِمَام. أُنظر شَرح ٱلْحِكْمَة (٤٢٣).

٤٤٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَا لِابْنِ آدَمَ وَ الْفَخْرِ! أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ، وَ آخِرُهُ جِيفَةٌ، وَ لَا يَرْزُقُ نَفْسَهُ وَ لَا يَدْفَعُ حَتْفَهُ».

● أَشرنَا فِيمَا سَبق إِلىٰ أَنَّه مَا مِن شَيء إِلّا وَفِيهِ جَانبَان: سَلب وَإِيجَاب، ضَعف وَقوّة، وَأَشَار الإِمَام فِي العَدِيد مِن أَقْوَاله إِلىٰ جَانِب الضَّعف فِي الإِنْسَان مِن بدَايتهِ، وَفِي أَدوَار حَياته إِلىٰ مَصِيره... فَأَوَّلُهُ نُطْفَةٌ وَعَلَقة، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ وَعِظَام نَخِرَة، وجِيفَة قَذِرة، وَهُو فِي رَيعَان شَبابه وَأَوج قوّته لاَ يَملك لِنَفسه نَفْعاً وَلاَ ضُرّاً.. وَغَرض الْإِمَام مِن ذَلِكَ أَنْ يَعْرِف الإِنْسَان حَدَّه، وَيَقف عِندَه. وَلاَ يَرىٰ نَفْسه كَبِيراً وَالخَلاَئِق صِغَاراً.

٤٤٧ ـ وَ سُئِلَ مَنْ أَشْعَرُ الشُّعَرَاءِ، فَقَالَ عليه السلام:

«إِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَجْرُوا فِي حَلْبَةٍ تُعْرَفُ الْغَايَةُ عِنْدَ قَصَبَتِهَا، فَإِنْ كَانَ وَ لَا بُدَّ فَالْمَلِكُ الضِّلِّيلُ». (يُرِيدُ إِمْرَأَ الْقَيْس).

● الحَلْبَة : الدُّفعَة مِن سِبَاق الخَيْل ، وَالْمُرَاد بِالقَصَبةِ هُنا مَا تُنصب فِي السِّباق ، وَيَأخذها السَّابق كعَلاَمة عَلىٰ أَنَّه الرَّابح الفَائِز . . . وَسُمي آمرؤ القَيْس بِالضِّلِّيل ، لأنَّه كَان إِبَاحِياً يَسْتَحل جَمِيع المُحَرَّمَات كأبي نواس .

وَيَقول الْإِمَام : إِنَّ مِن شَرط التَّفَاضل بَيْنَ شَاعِرين أَنْ يَنظما فِي مَوْضُوع وَاحد تَمَاماً كفَرسي الرِّهَان يَجريَان فِي مَيدَان وَاحد ، أَمَّا إِذَا نَظم أَحدهُما فِي مَعْنَىٰ ، وَالثَّانِي فِي مَعْنَىٰ آخر ، فَيَصعب التَّفاضل بَيْنَهُما . . . وَإِذا نَنظر إِلىٰ هَذَا الشَّرط بِعَين الِاعْتِبَار فَامرؤ القَيْس هُو المُقَدم . هَذَا هُو الْمَعْنَىٰ المَفْهُوم مِن كَلاَم الْإِمَام .

وَلَيْسَ مِن شَكٍّ إِنَّ الشَّرط الَّذي ذكره لاَ بُدَّ مِنْهُ لِلتَّمِييز بَيْنَ شَاعِرين أَو نَاثِرين فِيمَا يَعود إِلىٰ الْفِكْر وَالإِبْدَاع ، وَالإِلهَام وَالِابْتكَار ، أَمَّا التَّفَاضل فِي الْأُسلُوب وَالْبَيَان فَلاَ يَفْتَقِر إِلىٰ هَذا الشَّرط ، لأَنَّ فَن الأَدَاء وَالتَّعبِير يَدل بِنَفسه عَلىٰ نَفْسه أَيْنَمَا كَان . . بِخلاَف الْفِكْر ، وَالْعِلْم . وَبِمِثَال لِلتَّوضِيح : لاَ يُقَال : هَذَا فِي الطِّب أَعْلَم مِـن ذَاك فِي الهندَسَة ، وَيُقَال : هَذَا أَفْصَح بَياناً وَأَحْسن تَعبِيراً مِن ذَاكَ وَلَو كَان أَحدهُما طَبِيبَاً وَالآخَر مُهندساً . وَعَلَيْهِ يَكُون غَرض الْإِمَام التَّفَاضل مِن حَيْث الْفِكْر وَالإِلهَام لاَ مِن حَيْث التَّعبِير وَالْبَيَان .

٤٤٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «أَلاَ حُرٌّ يَدَعُ هَذِهِ اللُّمَاظَةَ لِأَهْلِهَا ؟ إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةَ ، فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا » .

● اللُّمَاظَة ـ بِضَم اللاَّم ـ كمَا فِي مَجْمَع البَحرين لِـلطُّرِيحي هِـي بَـقِية الطَّعام فِي الفَم[١] ، وَالْمُرَاد بِهَا هُنا الدُّنْيَا ، وَالْمَعْنَىٰ لاَ تَعْملُوا لِلدُّنْيَا وَحـدَها ، وَتهـملُوا العَـمل

---

(١) أنظر ، مَجْمَع البَحرين : ٢٩١/٤ ، وَلِسَان العَرب : ٤٦٢/٧ ، وَمِنْهُ قَول الشَّاعر :

لِلجنَّة، وَٱعملُوا لَهُما معاً، وَلاَ تَتَعرضُوا بِمَعْصِيَة الله لِغَضبه، وَٱعْتَصمُوا بِطَاعتهِ يُدْخِلكُم جَنَّاتٍ تَجرِي مِن تَحتها الأَنْهَار.

٤٤٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: طَالِبُ عِلْمٍ، وَ طَالِبُ دُنْيَا».

● لَذَّة الْعِلْم عِند أَهْله تَفُوق لَذَّة الْمَال. وَكَان أَحد الْعُلَمَاء يَقول: أَيـنَ المُـلوك وَأَبْنَاء بِمَّا نَحنُ؟ أَمَّا لَو فَطنُوا لنَا لقَاتلُونا عَلىٰ الْعِلْم بِالسِّيوف... وَاللَّـذَّة تُـوجب العِشق، وَالعَاشق لاَ يَشبَع، وَكُلَّما ٱستَكثَر ٱزدَاد تَلهفاً. أَمَّا مَنْهُوم الْمَال فَقَد صَوّره الرَّسُول الأَعظم بِأَبلَغ صُورة، وَهِي قَوْلَه: «لَو كَان لِابْـن آدَم وَادِيـان مِـن ذَهبٍ لاِبْـتَغىٰ لَهُـما ثَـالِثاً، وَلاَ يَمـلأ عَـين ٱبْـن آدَم إلاَّ التُّرَاب، وَيَـتُوب الله عَـلىٰ مَـن تَاب»[(١)]... وَأَيضاً لَو مَلكَ الثَّالث لَتمنىٰ الرَّابع... لاَ تَشبَعه إلّا حُـفْرَة فِي التُّرَاب: ﴿أَلْهَـٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[(٢)].

٤٥٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْثِرَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ، عَلَىٰ الْكَذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ، وَ أَلَّا يَكُونَ فِي حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ عَمَلِكَ، وَ أَنْ تَتَّقِيَ اللهَ فِي حَدِيثِ غَيْرِكَ».

⇐ لُمَاظَةُ أَيَّامٍ كَأَحْلاَمِ نَائِمٍ   وَقَد يُستَعار لِبَقية الشَّيء القَلِيل

(١) أنظر، مُسْنَد أحمد: ٣٦٨/٤، مَجْمَع الزَّوائد: ١٤١/٧، فَتح البَاري: ٢١٧/١١، مُسْنَد أَبي يَعلىٰ: ٤٣٨/٧، صَحِيح أَبن حبَّان: ٣٠/٨، الْمُعْجَم الكَبِير: ١٨٤/٥، كَنز العُمّال: ٥٦٩/٢ ح ٤٧٤٧، مَوارد الظَّمآن: ٦١٥، المَبسُوط لِلسَّرخسي: ٢٥٧/٣٠، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابْن أَبي الْحَدِيد: ١٧٤/٢٠.

(٢) ٱلتَّكَاثُر: ١ ـ ٨.

● الصِّدْق حَسَن بِالذَّات، والْكَذِب قَبِيح كذَلِكَ. وَمَع هَذا قَد يَجب الْكَذِب، وَيُحرم الصِّدْق دَفعَاً لِلمفسَدة وَجَلباً لِلمَصلَحة، كَما لَو رَأَيْت سَفَاكاً يَعدو خَلف بَريء لِيغتَاله، وَسَألك السَّفاك، هَل رَأَيْت هَذا الرَّجُل ؟. وَأيضاً يُقبل الْكَذِب فِي فَنْ الْحَرْب، وَمِن الطَّبيب لِيطمئِن المَرِيض، وَعَلَيْهِ يَكُون مُرَاد الإِمَام بِالضَّرر هُنا مَا يُمكن تَحمله وَلاَ يَجوز دَفعه وَإِزَالته بِإِضرَار الآخرِين، كَالشَّهادة بِالْحَقّ عَلىٰ الطُّغَاة المُبْطلِين وَإِنْ غَضِبُوا وَشَتمُوا.

(وَ أَلَّا يَكُونَ فِي حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ عَمَلِكَ) الْمُؤْمِن لاَ يَتحدَث عَن نَفْسه، وَإِنْ دَعَت الحَاجَة فَلا يَخْتَلق وَيَتزَيد حَتَّىٰ وَلو كَان فِي الزِّيَادة مَنْفعَة لهُ. وَهَذا أيضاً مِن الصِّدْق وَإِيثَاره عَلىٰ الْكَذِب (وَ أَنْ تَتَّقِيَ اللهَ فِي حَدِيثِ غَيْرِكَ) لاَ تَذكره بِمَا يُؤذِيه، وَلاَ تَنْسب إِلَيْهِ مَا لَيْسَ فِيهِ[1].

٤٥١ ـ وَ قَالَ ﷺ: «يَغْلِبُ الْمِقْدَارُ عَلَىٰ التَّقْدِيرِ، حَتَّىٰ تَكُونَ الآفَةُ فِي التَّدْبِيرِ».
وَقَالَ الرَّضِيّ: وَقَدْ مَضَىٰ هَذا الْمَعْنَىٰ فِيمَا تَقَدَّمَ بِرِوَايَةٍ تُخَالِفُ هَذِه الأَلْفَاظ.

● يُشِير الشَّرِيف الرَّضِيّ بِهَذا إِلىٰ الْحِكْمَة (١٦) «تَذِلُّ الأُمُورُ لِلْمَقَادِيرِ، حَتَّىٰ يَكُونَ الْحَتْفُ فِي التَّدْبِيرِ». أُنظر، شَرحها فِي هَذَا المُجلَّد.

٤٥٢ ـ وَ قَالَ ﷺ: «الْحِلْمُ وَ الأَنَاةُ تَوْأَمَانِ: يُنْتِجُهُمَا عُلُوُّ الْهِمَّةِ».

---

(١) قَالَ الشَّاعر الحَرِيري:

عَليكَ بِالصِّدْق وَلَو أنَّه ... أحرَقَك الصِّدْقُ بِنَارِ الوَعِيد
فَابغِ رِضَا المَولىٰ فَأغبَىٰ الوَرىٰ ... مَن أَسْخَط المَولىٰ وَأَرضَىٰ العَبِيد

أُنظر، شَرح نَهج البَلاغَة لِابن أَبِي الحَدِيد: ٢٠/١٧٥، كَشف الخَفَاء: ١/٤٥ ح ٨٨.

● عَالِي الْهِمَّة هُو الَّذي يَزهد فِي الْحَقِير، وَيَتطَّلع إِلىٰ الخَطِير، وَيَتحمّل المشَاق فِي سَبِيلِه، وَمَن كَان هَذا شَأنَه يَصْبر عَلىٰ أَذىٰ النَّاس، وَيَسعَهم بِأخلاَقِهِ، وَيَعفو عند المَقدرَة.

٤٥٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «الْغِيبَةُ جُهْدُ الْعَاجِزِ».

● الْغِيبَة مِن الْمُحَرَّمَات، وَقَد نَفَّر مِنْهَا سُبْحَانَه بِقَوْلَه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[1].
قَالُوا فِي حَد الْغِيْبَة الْمُحَرَّمَة: أَنْ تَذكر إِنْسَاناً بِفعل الْحَرَام الَّذي تَستَّر بِهِ، وَلَم يَقم عَلَيْهِ حَد. وَفِي رَأينا يَجُوز ذِكر الغَائِب بِكُلِّ مَا فَعل مِن الْمُحَرَّمَات الَّتي نَهىٰ الله عَنْهَا، وَإِنْ تَستَّر وَلَم يُجَاهر، شَرِيطَة أَنْ يَكُون الذَّاكر مُنَزهاً عَمَّا عَاب بِهِ غَيْرِه، وَأَنْ يَكُون غَرَضه بَيان الْحَقّ لِوجه الحَقّ. وَفِي ذَلِكَ رِوَايَة عَن الْإِمَام جَعْفَر بن مُحَمَّد الصَّادق فِي كتَاب «مُصبَاح الشَّرِيعة»[2].
وَقَول الإِمَام: (جُهْدُ الْعَاجِزِ) يُومىء إِلىٰ ذَلِكَ، وَإِنَّ الذَّاكر قَصد الْإِنْتقَاص مِن الغَائِب، وَالتَّنكِيل بِهِ بِكُلِّ سَبِيل، وَلَمَّا لزمْ يَجد إِلَّا سَبِيل الْغِيْبَة التَّجأ إِلَيْهَا[3].

---

(١) ٱلْحُجُرَات: ١٢.
(٢) أنظر، مُصبَاح الشَّرِيعة المَنسُوب لِلْإِمَام الصَّادق عليه السلام، البَاب المِئة، مَنشُورات مُؤسَّسة الأَعلَمي لِلمَطبُوعات سَنَة (١٤٠٠ هـ)، بَيرُوت ـ لُبنَان ـ الطَّبعة الأُولىٰ، وَكَذلِكَ فِي آخر الكِتَاب صَفحَة: ٢٠٤، تَجد هَذا الْمَعْنىٰ.
(٣) أنظر، كتَاب: «الْغِيْبَة هَدْم لاَ بِنَاء»، لِلمُحقِّق.

٤٥٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «رُبَّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ» .

● الْمُرَاد بِالمَفْتُون هُنا المَغْرُور ، وَالْمَعْنَىٰ مَن يَهتَم بِثنَاء النَّاس وَمَدِيحهم فَهُو سَخِيف تَافه لاَ يُعتَمد عَلىٰ جُهده ، وَلاَ يَثق بِكَفَاءته ، وَيَتُوكَأ عَلىٰ السَّراب الخَادع .

٤٥٥ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «الدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا ، وَ لَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَا» .

● وَمِثلَه فِي ٱلْحِكْمَة (١٣٣) «الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ ، لَا دَارُ مَقَرٍّ ، وَ النَّاسُ فِيهَا رَجُلَانِ : رَجُلٌ بَاعَ فِيهَا نَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا ، وَ رَجُلٌ ٱبْتَاعَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا» . وَفِي ٱلْخُطْبَة : «أَلاَ فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلآخِرَةِ»[1] . (وَ لَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَا) وَلَو أَنَّ الدُّنيَا خُلقَت لِنَفْسِهَا لَكَانَتْ دَار الخُلود[2] .

٤٥٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «إِنَّ لِبَنِي أُمَيَّةَ مِرْوَداً يَجْرُونَ فِيهِ ، وَ لَوْ قَدِ ٱخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ كَادَتْهُمُ الضِّبَاعُ لَغَلَبَتْهُمْ» .

وَقَالَ الرَّضِيّ : (وَالمِرْوَدُ هَا هُنا مِفْعَلٌ مِن الْإِرْوَادِ ، وَهُوَ الْإِمْهَالُ ، وَالْإِنْظَارُ ، وَهَذا مِنْ أَفْصَحِ الكَلاَم وَأَغْرَبِه ، فَكَأَنَّه عليه السلام شَبَّهَ المُهْلَة الَّتي هُمْ فِيْهَا بِالمِضْمَارِ الَّذي يَجْرُون فِيهِ إِلىٰ الغَايَة ، فَإِذَا بَلغُوا مُنْقَطَعَها ٱنْتَقَضَ نِظَامُهُمْ بَعْدَها) .

(١) أنظر ، نَهج ٱلبَلاَغَة : ٱلخُطْبَة (١٥٧).

(٢) قَالَ أَبو العَلاَء المَعَرِّي :

خُلِقَ النَّاسُ لِلبَقاء فَضَلَّتْ	أُمَّـةٌ يَحْسَبونَهُمْ لِلنَّفَادِ
إِنَّمَا يُنْقَلُون مِن دَارِ أَعْمَا	لٍ إِلىٰ دَار شِقْوةٍ أو رَشَادِ

أُنظر ، سَقط الزَّند: ٩٧٨ و ٩٧٩ ، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابن أَبي ٱلحَديد: ٢٠ / ١٨١ ، تَاريخ بَغدَاد: ٤ / ٤٤٤ .

● المِرْوَدُ: مَن أَرْوَد إِروَاداً وَروِيداً أَي تمهل، وَالْمُرَاد بِالمِرْوَد هُنا المُدَّة الَّتِي يَكُون فِيها الأُمويُون يَداً وَاحدة، وَكَادَتْهُمْ: مَكْرَتْ بِهِمْ، وَالضِّبَاع: جَمع الضّبع نَوع مِن السِّباع الضِّعاف: يُقَال: ضَبّع الرَّجل أَي جَبُن، وَرُبَّما المُرَاد بِالضِّبَاع هُنا أَبُو مُسْلِم الخُرَاسَانِي وَجَيشه حَيْث كَان فِي بدَاية أمره أَضْعف خَلق الله، وَالْمَعْنَىٰ إِنَّ دَولة الأُمويين تَبْقىٰ حَتَّىٰ يَخْتَلفُوا فِيمَا بَيْنَهم، وَعِندَئِذٍ يَسْلبهُم المُلك وَالسُّلطَان الَّذِين كَانُوا أَذْلاَء مُسْتَضعَفِين.

وَقَالَ المُؤرخُون: مَات هُشَام بن عَبد المَلك، وَالأُمويُون قَلبَاً وَاحِداً، وَدَولَتهم فِي أَوْج عَظَمتها، وَبَعده تَنَازَعوا عَلىٰ المُلك، وَشَهرُوا السُّيوف وَقَتلُوا أَنْفسهم بِأَيْدِيهم، وَكَان الغَالب يَنْتَهب أَموَال المَغلُوب أَثَاث الْبَيْت، وَيشرّد وَيَسجن أَهْله وَأَوْلاَده... وَبَلغَت بِهِمْ الحَال أَنَّ الأَحْيَاء مِنْهُم كَانُوا يَنْشبُون قُبور مُوتَاهم وَيَصلبُونهم عَلىٰ الأَخْشَاب فِي الأَمَاكن العَامَّة[1]، كَمَا فَعلُوا بِجُثَّة يَزِيد بن الوَلِيد بن عَبد المَلك، (وَالَّذِي يُسَمىٰ بِالنَّاقص)، وَلمَّا رَأىٰ النَّاس مِنْهُم هَذا وَغَيْر هَذا ثَاروا

(١) كَان الصّراع كَمَا أَوْضَحنا سَابقاً بَيْن الحقّ وَالبَاطِل. وَقَد وَصَل الأَمر بِأَنَّهم جَعلُوا جَامِع دِمشق أَسطبلاً لدَوَاب وَجِمال عَبدالله بن عَليّ الوَالِي العَبَّاسِيّ، وَهُو الَّذِي نَبَش قَبر مُعَاوِيَة فَلَم يَجد فيهِ إِلَّا خَيطاً أَسوَداً، وَنَبش قَبر عَبد المَلك فَوجد جُمْجُمة... وَأَخرج جُثَّة هُشَام وَضَربها بِالسّوط وَهُو مَيت وَصَلبه أيَاماً، ثُمّ أَحرَقه، وَدَق رَمَاده، ثُمَّ ذرَّه فِي الرّيح و.... وَحَتَّىٰ النِّسَاء لَمْ تَنجُ مِن بَطْشهم،و... و....وَقتل فِي يَوْم وَاحد اثْنَيْن وَسَبعِين أَلفاً عِند نَهرٍ بِالرَّمله وَبَسط عَليهم الأَنْطَاع وَمَد عَليهم سِمَاطاً فَأكَل وَهُم يَخْتَلجُون عَنه.. .حَتَّىٰ إِذَا مَا فَرغ مِن طعَامه قَال: مَا أكلتة أكلَةً أَطيب مِن هَذِه الأَكلة! ثُمَّ حَفر بِئراً وَأَلقَاهُم فِيهِ. أُنظر، التَّأريخ العبَّاسيّ وَالفَاطميّ للدّكتُور أَحمد مُختَار العبَادِيّ : ٤٣، دَار النَّهضَة العَربيّة بَيرُوت، تَأريخ الخُلفَاء: ٢٥٩.

عَلَيْهم، وَقتلُوهم تحتَ كُلّ حَجَر وَمَدر(١).

وَفِي ٱلخُطْبَة (٨٧) قَالَ الإِمَامُ عليه السلام: «حَتَّىٰ يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَىٰ بَنِي أُمَيَّةَ، تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا، وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا، وَلاَ يُرْفَعُ عَنْ هَـٰذِهِ الأُمَّـةِ سَـوْطُهَا، وَلاَ سَيْفُهَا، وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ. بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً، ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً». وَفِي ٱلخُطْبَة (١٠٥) قَالَ الإِمَامُ عليه السلام: «يَا بَنِي أُمَيَّةَ، عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ، وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ! أَلاَ إِنَّ أَبْصَرَ الأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ طَرْفُهُ! أَلاَ إِنَّ أَسْمَعَ الأَسْمَاعِ مَا وَعَىٰ التَّذْكِيرَ، وَقَبِلَهُ».

٤٥٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام فِي مَدْحِ الأَنْصَارِ: «هُمْ وَ اللهِ رَبَّوُا الإِسْلاَمَ كَمَا يُرَبَّىٰ الْفِلْوُ مَعَ غَنَائِهِمْ، بِأَيْدِيهِمُ السِّبَاطِ، وَأَلْسِنَتِهِمُ السِّلاَطِ».

● رَبَّوُا الإِسْلاَمَ: قُوَّته الَّتي بِها أَزْهَر وَأَثْمَر: وَالْفِلْوُ: المُهْر إِذا بَلَغ سَنَة، وَمَعَ غَنَائِهِمْ، مَع ٱستغنَائهم أَي أَسْلَمُوا لوَجه الله لاَ يَبغُون جَزاءً وَلاَ شُكوراً. وَالأَيدِي السِّبَاطِ: الأَيدِي الكَرِيمَة، وَالأَلسِنَة السِّلاَط: الأَسِنَة الفَصِيحَة.

كَان الإِسْلاَم ضَعِيفاً فِي مَكَّة المُكَرَّمَة، فَوجد فِي الأَنصَار مِن أَهْل المَدِينَة المُنورَة قوَّة رَادِعة، وَطَرِيقاً جَدِيداً لِنشره وَسُلطانه. وَمِن هُنا أَثنىٰ الله عَلَيْهم وَرَسُوله فِي العَدِيد مِن آي الذِّكر الحَكِيم، وَأَحَادِيث الرَّسُول العَظِيم صلى الله عليه وآله، فَمِن الآيَات: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ

(١) أُنظر، الكَامِل فِي التَّأْرِيخ: ٥/٢٨٨، الدُر المَنثُور: ٥/١٥٩، تَأْرِيخ خَلِيفَة بن خَياط: ٢٨٩، تَأْرِيخ دِمشق: ٧/١٤٦، شَرح نَهج ٱلبَلاَغَة لِابن أَبي ٱلحَدِيد: ١٥/٢٨٥ و: ٢٠/١٨٢.

حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[١]. وَمِن الأَحَادِيث: «عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدرِي ﷺ عَن النّبيّ ﷺ أَنّه قَال: (أَلاَ أَنَّ عَيْبَتِي الَّتي آوِي إِليهَا أَهْلُ بَيْتِي، وَأَنَّ كَرْشِي الأَنْصارُ فَاعفُوا عَن مُسِيئهمْ، وَاقْبلُوا مِن مُحْسِنهمْ)[٢]. وَمِنْهَا: «أَللَّهُمَّ اغْفر لِلأَنْصَار وَلِلأَبْنَاء الأَنْصَار، وَلِلأَبْنَاء أَبْنَاء الأَنْصَار»[٣].

٤٥٨ ـ وَ قَالَ ﷺ: «الْعَيْنُ وِكَاءُ السَّهِ»[٤].

وَقَالَ الرَّضِيّ: (وَهَذِهِ مِنَ الْاِسْتعَارَاتِ الْعَجِيبَة، كأنَّهُ شَبَّهَ السَّهِ بِالوِعَاءِ، وَالْعَيْنَ بِالوِكَاءِ، فَإِذَا أُطْلِقَ الوِكَاءُ لَمْ يَنْضِبط الوِعَاءُ، وَهَذا القَوْلُ فِي الأَشْهرِ الأَظْهَرِ مِنْ كَلاَمِ النَّبيّ ﷺ، وَقَدْ رَوَاهُ قَوْمٌ لأَمِير الْمُؤْمِنِين ﷺ، وَذَكَر ذَلِكَ الْمُبَرِّدُ فِي الكتَابِ الْمُقْتَضبِ فِي بَاب اللَّفظِ بِالحرُوف[٥].

وَقَالَ الرَّضِيّ: وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلىٰ هَذِه الاِسْتعَارة فِي كِتَابنا المَوْسُوم بِمجَازَات الآثَار النَّبوِيَّة).

---

(١) الأَنفَال: ٧٤.

(٢) الحَدِيث وَرَد بأَلفَاظ مُختَلفة بَسِيطَة جِدّاً، كمَا فِي الفِردَوْس بمأثُور الخِطَاب: ١/ ٥٤ الطَّبعَة الأُولىٰ، وَالتِّرمِذي فِي سُننه: ٥/ ٣٧٣ ح ٣٩٩٤ و: ٩/ ٢٠٤، وَالصَّوَاعِق المُحرِقَة لإبن حَجر الهيتَمي: ١٥١، جوَاهر العِقدِين: ٢/ ١٧٦، المُعجَم الكَبِير لِلطَّبراني: ٦/ ٨٠.

(٣) أنظر، تَعجِيل المَنفَعَة: ١/ ٥٦١ ح ١٦٦٤، كتَاب الأُمّ: ١/ ١٨٩، نَيل الأَوطَار: ٦/ ١٣٩، فضَائل الصَّحابه لأَحْمَد: ٧٣، مُسْنَد أحمد: ٣/ ١٥٦، صَحِيح البُخَاريّ: ٦/ ٦٦، صَحِيح مُسْلِم: ٧/ ١٧٣، سُنَن التِّرمِذي: ٥/ ٣٧٢، مَجمَع الزَّوائِد: ١/ ٤٠، فَتح البَاري: ٨/ ٤٩٩، المُصَنَّف لِعَبدالرَّزاق الصَّنعَاني: ١١/ ٦٢ ح ١٩٩١٣، المُصَنَّف لإبن أَبِي شَيبَة الكُوفي: ٧/ ٥٤٢ ح ١٣.

(٤) فِي نُسْخَة أُخرىٰ: السَّته.

(٥) فِي نُسْخَة أُخرىٰ: المَعرُوف.

● هَذِه الكَلِمَة وَرَدت أيضاً فِي كَلاَم النَّبي ﷺ. وَالْوِكَاء: رِبَاط الْقِرْبَة، وَالْأُسْت، مُؤَخَّر الْإِنْسَان، وَالْمُرَاد بِهَا هُنا الْوِعَاء، وَالْمَعْنَىٰ إِنَّ الْأُسْت وِعَاء أَو كَالْوِعَاء تَرْبطَه الْعَيْن كَمَا يَربط الْوِكَاء الْقِرْبَة لِحفظ مَا فِيها مِن المَاء وَنحوه... وَالغَرض مِن هَذِه الْإِشَارَة التَّنْبِيه إِلى أَنَّ الْعَيْن تحفظ الْإِنْسَان وَتحرسه مِن بَيْنَ يَديه وَمن خَلفه. هَذَا مَا فَهِمناه مِن أَقْوَال الشَّارِحِين، وَالمُعَلقِين، وَأَهْل اللُّغَة فِي تَفْسِير هَذِه الكَلِمَة.. وَعَسىٰ أَنْ يَكُون هُو الْمُرَاد[1].

٤٥٩ ـ وَ قَالَ ﷺ فِي كَلَامٍ لَهُ: «وَ وَلِيَهُمْ وَالٍ فَأَقَامَ وَ اَسْتَقَامَ، حَتَّىٰ ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَانِهِ».

● الجِرَان: مُقَدَّم عُنُق البَعِير، وَالبَاء زَائِدَة، يُقَال: أَلقىٰ البَعِير جِرَانه أي بَرَك وَاَسترَاح، وَالضَّمِير فِي وَلِيَهُمْ يَعُود لِلمُسْلمِين، وَالْمُرَاد بِالوَالِي هُنا رَسُول الله[2]، كَمَا فِي تَعلِيق الشَّيخ عَبْدَه، وَالْمَعْنَىٰ: إِنَّ الْإِسْلاَم تمكن فِي الْأَرْض، وَأَظْهَره الله عَلىٰ الدِّين كُلّه بِفَضل نَبِيّ الرَّحْمَة ﷺ.

---

(١) أنظر، لِسَان العَرب: ٤٩٥/١٣، الصّحَاح: ٢٢٣٣/٦ مَادة «سته»، مجَازَات الآثَار النَّبوِيَّة: ٢٧٧، سُنَن أَبي دَاود: ٥٢/١، سُنَن اَبن مَاجه: ١٦١/١ ح ٤٧٧، كَنز العُمّال: ٣٤٢/٩ ح ٢٦٣٤٧، اَبن تَيميه فِي المُنتَقىٰ مَع شَرح نَيل الأَوطَار: ١٦٨/١، المُعْجَم الكَبِير: ٣٧٣/١٩، مُسْنَد الشَّامِيين: ٣٥٩/٢ ح ١٤٩٤، سُنَن الدَّار قُطني: ١٦٧/١، الجَامِع الصَّغير: ١٩٧/٢ ح ٥٧٤٩، المجمُوع: ٢٩٠/١٤، كَشف القِنَاع: ١٤٧/١، سُبل السَّلاَم: ٦٢/١، نَيل الأَوطَار: ٢٤١/١، السُّنَن الكُبرىٰ: ١١٨/١، مُسْنَد أَبي يَعلىٰ: ٣٦٢/١٣ ح ٧٣٧٢، فَيض القَدِير شَرح الجَامِع الصَّغِير: ٥٢٢/٤ ح ٥٧٤٩، النّهَاية فِي غَرِيب الحَدِيث: ٤٢٩/٢ و: ٢٢٢/٥، شَرح نَهج البَلاَغة لمُحَمَّد عَبْدَه: ١٠٧/٤.

(٢) أنظر، شَرح نَهج البَلاَغة لمُحَمَّد عَبْدَه: ١٠٨/٤، شَرح نَهج البَلاَغَة لِابن مَيثَم البَحرَاني: ٤٦٣/٥.

٤٦٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «يَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ ، يَعَضُّ الْمُوسِرُ فِيهِ عَلَىٰ مَا فِي يَدَيْهِ ، وَ لَمْ يُؤْمَرْ بِذَلِكَ ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ : ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[1] . تَنْهَدُ فِيهِ الْأَشْرَارُ ، وَ تُسْتَذَلُّ الْأَخْيَارُ ، وَ يُبَايِعُ الْمُضْطَرُّونَ ، وَ قَدْ نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله عَنْ بَيْعِ الْمُضْطَرِّينَ » .

● عَضُوضٌ : شَدِيد ، وَيَعَضُّ الْمُوسِرُ : يقْبَض الْغَنِيّ يَدَه وَيُمسِك أَموَاله ، وَلَا تنسَوُاْ الْفَضْل : أَحْسِنُوا كما أَحسَن الله عَلَيْكُم ، وَتَنْهَد : تَرْتَفع ، والبِيْع ـ بِكَسر البَاء وَفَتح اليَاء ـ جَمع بِيعَه أيضاً بِكَسر البَاء لِلهَيئة لاَ لِلمَرَّة ، وَالْمَعْنَىٰ يَأْتِي زَمَان عَلَىٰ النَّاس قَاسٍ وَشَدِيد ، يَبْخل فِيهِ الْغَنِيّ بِمَاله ، وَالله يَأمره بِالبَذل ، وَيسُود فِيهِ البَاطِل ، وَيُسِيطر الْأَذنَاب وَالذِّئَاب ، ينكلُون بِالْأَبرَار وَالْأَحرَار ، وَيَعُم الْفَسَاد وَالضَّلَال وَيَنْقَاد لِلحَاكِمين البَاغِين اْضطِرَاراً لاَ اْختِيَاراً ، وَالْإِسْلَام لاَ يَقر مُعَاملة الْمُضْطَر أي الْمُكْرَه .

وَإِنَّمَا فسرنَا الْإِضْطِرَار هُنا بِالْإِكرَاه ، لأَنَّ الْفُقَهَاء يُصَححُون مُعَاملة الْمُضْطَر دُونَ الْمُكْرَه ، وَيُفلسفُون ذَلِك بِأَنَّ التِّجَارة لاَ بُدَّ أَنْ تَكُون عَن تَرَاضٍ ، وَالْإِضْطِرَار يَجْتَمع مَع الرِّضا دُونَ الْإِكرَاه كَمَن بَاع عَن رِضا وَطِيب نَفس بِدَافع العِلَاج وَتكَالِيفه ، وَسَبق الْحَدِيث عَن آخر الزَّمَان فِي ٱلْخُطْبَة (١٠٣) ، وَٱلْحِكْمَة (١٠٣ و ١١٤ و ١٥٣ و ٢١٢ و ٣٦٩ و ٣٧٠) .

٤٦١ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلَانِ : مُحِبٌّ مُفْرِطٌ ، وَ بَاهِتٌ مُفْتَرٍ » .

---

(١) ٱلبَقَرَة : ٢٣٧ .

قَالَ الرَّضِيّ: وَهَذَا مِثْل قَوْلِهِ عليه السلام: «هَلَكَ فِيَّ رَجُلَانِ: مُحِبٌّ غَالٍ، وَ مُبْغِضٌ قَالٍ».

● كُلّ مِن البَاهِت وَالمُفْتَرِي كَذَّاب يَرمي بِالبَاطِل، وَلَكن البَاهِت صَلِف وَقِح، لأَنَّه يَرمِي بِالحضُور، وَالمُفْتَرِي أَعَم يَرمِي بِالحضُور وَالغِيَاب. وَتَقَدَّم مِثْلَه مَع الشَّرح فِي الْخُطْبَة (١٢٧)، وَالْحِكْمَة (١١٦ و ٤٦١).

٤٦٢ ـ وَ سُئِلَ عَنِ التَّوْحِيدِ، وَ الْعَدْلِ، فَقَالَ عليه السلام:
«التَّوْحِيدُ أَلَّا تَتَوَهَّمَهُ، وَ الْعَدْلُ أَلَّا تَتَّهِمَهُ».

● (أَلَّا تَتَوَهَّمَهُ) سُبْحَانَه وتَعَالىٰ أَي لاَ تَتصُورَه فِي وَهْمَك بِشكل مِن الأَشكَال، لأَنَّ التَّصور مَحْدُود، وَالله لاَ يُحده شَيء، وَلاَ يُحِيط بِهِ شَيء، أَزليٌّ أَبَديّ لاَ أَوَّل لَهُ وَلاَ آخر. وَالتَّفكِير يَجب أَنْ يَكُون فِي خَلقِهِ تَعَالىٰ، وآيَاته لاَ فِي حَقِيقَته وَذَاته (أَلَّا تَتَّهِمَهُ) بِشَيء يَتنَافىٰ مَع عَظمَته وَحِكمَته: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلاً سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1]. وَتَقَدَّم الكَلاَم عَن ذَلِكَ مَرَّات، مِنْهَا فِي الْخُطْبَة الأُولىٰ، والْخُطْبَة (١٨٧)، وَشَرحهَا.

٤٦٣ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «لَا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ، كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ».

---

(١) آلِ عِمْرَانَ: ١٩١.

● إِذَا كَانَ السَّاكت عَن الْحَقّ شَيْطَاناً أَخْرس ـ كَمَا قَالَ رَسُول الله ﷺ ـ «مَن سَكتَ عَن الْحَقّ فَهُو شَيطَان أَخْرَس»[1]، فَالقَائِل بِالبَاطِل شَيطان نَاطِق. وَتَقدّم الكَلاَم عَن ذَلِكَ مِراراً، مِنْهَا فِي شَرح ٱلْخُطْبَة المَاضِيَة، فِقْرَة «السُّكُوت»[2].

٤٦٤ ـ وَ قَالَ عليه السلام: «فِي دُعَاءٍ ٱسْتَسْقَىٰ بِهِ:

«أَللَّهُمَّ ٱسْقِنَا ذُلُلَ السَّحَابِ دُونَ صِعَابِهَا».

قَالَ الرَّضِيّ: (وَهَذَا مِنَ الكَلاَمِ الْعَجِيبِ الفَصَاحَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ ٧، شَبَّهَ السُّحُبَ ذَوَاتِ الرُّعُودِ وَالبَوَارِقِ، وَالرِّياحِ وَالصَّوَاعِقِ، بِالإِبِلِ الصِّعَابِ الَّتي تَقْمُصُ بِرِحَالِهَا، وَتَتَوَقَّصُ بِرُكْبَانِها، وَشَبَّهَ السحَائبَ الخَالِيَةَ مِنْ تِلْكَ الزَّوَابعِ بِالإِبِلِ الذُّلُلِ الَّتي تُحْتَلَبُ طَيِّعَةً، وَتُقْتَعَدُ مُسْمِحَةً).

● ذُلُل: جَمْع ذَلُول أي لَيِّن وَسَهل. وَقَال سُبْحَانَه: ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]، أَي مُنْقَادة... شَبَّه الإِمَام السُّحَاب الجَدب المَاحل بِالبَعِير النَّفُور المُتَمرد، وَالسُّحَاب المُورق المُثمر بِالنَّاقة الطَّيعة الحَلُوب. وَتَقَدَّم شَرح خُطْبَتِي الإِسْتِسقَاء (١١٥ و ١٤٣).

٤٦٥ ـ وَ قِيلَ لَهُ عليه السلام: (لَوْ غَيَّرْتَ شَيْبَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! فَقَالَ عليه السلام:

---

(١) أُنظر، شَرح النَّووي عَلىٰ صَحِيح مُسْلِم: ٢/ ٢٠، الأَذْكَار النَّووية لِيحيىٰ بن شَرف النَّووي: ٣٣٥.

(٢) أُنظر، شَرح نَهْج ٱلْبَلاَغَة: ٱلْخُطْبَة (٩٦). فِقْرَة، «السُّكُوت». (مِنْهُ).

(٣) ٱلنَّحل: ٦٩.

«الْخِضَابُ زِينَةٌ، وَ نَحْنُ قَوْمٌ فِي مُصِيبَةٍ، بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله).

● قَالَ الشَّرِيف الرَّضِيّ: يُرِيدُ بِالمُصِيبَة وَفَاةَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله. وَكَـان النَّـبِيّ صلى الله عليه وآله يُحبّ النَّظَافة، وَحُسن المَظهر، فَيَخْتَضب، وَيَتطَّيب، وَيَستَاك، وَيَستَعمل المُشط، وَالمرَآة.

وَرَآه الْإِمَام يَوْمَاً، وَقَد خَضَّب لِحْيَته بِالسَّواد، فَقَال: «مَا أَحسنَ هَذَا الخِضَاب يَا رَسُول الله!. أَفلاَ أُخَضب لِحيَتي اَقتدَاءً بِك؟. فَقَال: لاَ، دَعْـهَا سَـيُبعث أَشْـقىٰ الْأَوَّلِين وَالآخرِين شَقِيقُ عَاقِرِ نَاقة صَالح، فَيَضربك عَلىٰ رَأسك ضَربَـة تُخَـضب مِنْهَا لِحْـيَتك، وَأَنت فِي السّجود بَيْنَ يَدي الله. فَقَال الْإِمَام: أَفِي سَلاَمَة مِن دِيني يَا رَسُول الله؟. قَالَ: فِي سَلاَمَة مِن دِينك»[1].

---

(١) عَنْ عَليٍّ عليه السلام مَرْفُوعَاً: يَا عَليّ أَتدرِي مَن أَشقىٰ الْأَوَّلِين؟ قُلت: الله وَرَسُوله أَعْلَم. قَالَ: عَاقِر النَّاقَة، قَالَ: أَتدرِي مَن أَشقىٰ الآخرِين؟ قُلت: الله وَرَسُوله أَعْلَم، قَالَ: الَّذي يَضربك عَلىٰ هَذِه ـ وَأَشَار إِلىٰ رَأسـه ـ فَتَبْتَلّ مِنْهَا هَذِه ـ وَأَخَذ بِلحيَته ـ. أَخرَجه أَحمد فِي المَناقب، وَابن الضَّحَّاك كمَا جَاء فِي ذَخَائِر الْعُقْبَىٰ: ١١٥، ويَنَابِيع المَوَدَّة: ٢ / ١٩٩ طَبْعَة أُسوة.

وَجَاء فِي الصَّوَاعِق: قَالَ أَبُو الأَسود: فَمَا رَأَيت كَاليَوْم قَطّ مُحارِبَاً يُخْبِر بِذَا عَن نَفْسِه.

وَفِي اليَنَابِيع: فَمَا رَأَيت أَحَداً قَطّ يُخْبِر عَن قَتلِ نَفسه غَـيْر عَـليّ. أُنـظر، تَأْرِيخ دِمشـق: ٣/٢٧٣ ح ١٣٥٤، عُيُون أَخْبَار الرِّضا: ٢/٢٦٦، أَمَالي الشَّيخ الصَّدوق: ١٥٥، رَوضَـة الوَاعـظِين: ٣٤٦، مُسْـنَد الْإِمَام الرِّضا: ٢/١٨٦.

أُنظر، تَأْرِيخ بَغدَاد: ١٣/٣٩٨، عُيُون الْأَخْبَار: ١/٧٣، كفَاية الْأَثَر: ١٢٤، المَنَاقب لِلخوَارزمي: ٦٢، أَمَالي الطّوسي: ٣٥١، كتَاب سُلِيم بن قَيس: ١٣٦، الإِيضَاح لِابن شَاذَان: ٤٥٥، مَنَاقب أَمِير المُؤْمِنِين: ١/٢٣١ و: ٢/٥٥١، المُستَرشد فِي الإِمَامة: ٣٤١، فَرَائِد السّمطِين: ١/١٥٤، كَنز العُـمَّال: ١٣/١٧٦ ح ١٢١٦٠، شَرح الأَخْبَار: ٢/٤٦٤، الإِحتِجَاج: ١/٢٠٩، الطَّرَائِف: ٤٢٨، مَجْمَع الزَّوائد: ٩/١١٨، ذَخَائِر الْعُقْبَىٰ: ٩٠، الحَاكم فِي المُستَدرَك: ٣/١٣٩، تَأْرِيخ دِمشق: ٢/٣٢١.

٤٦٦ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «اَلْقَنَاعَةُ مَالٌ لاَ يَنْفَدُ» .
قَالَ الرَّضِيّ : (وَقَدْ رَوَىٰ بَعْضُهم هَذَا الكَلَامَ عَنْ رَّسُول الله صلى الله عليه وآله) .

● تَقَدَّم بِالحَرف الوَاحد فِي ٱلْحِكْمَة (٥٧) . أُنظر شَرحها مِن هَذَا المُجَلَّد .

٤٦٧ ـ وَ قَالَ عليه السلام لِزِيَادِ ٱبْنِ أَبِيه وَ قَدِ ٱسْتَخْلَفَهُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ عَلَىٰ فَارِسَ ، وَ أَعْمَالِهَا ، فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ كَانَ بَيْنَهُمَا نَهَاهُ فِيهِ عَنْ تَقَدُّمِ الْخَرَاجِ .
«ٱسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ ، وَ ٱحْذَرِ الْعَسْفَ ، وَ الْحَيْفَ ؛ فَإِنَّ الْعَسْفَ يَعُودُ بِالْجَلَاءِ ، وَ الْحَيْفَ يَدْعُو إِلَىٰ السَّيْفِ» .

● عَطَف الْحَيْفَ عَلىٰ الْعَسْف مِن بَاب عَطْف التَّفْسِير ، وَالْمُرَاد بِالْجَلَاءِ هِجْرَة أَهْل البِلَاد عَنْهَا فِرَاراً مِن البَغي وَالجُور ، وَالْمَعْنَىٰ لاَ تَظلم أَحداً مِـن الرَّعِـيَة ، لأنَّ الظُّلم يَدعو المُوَاطنِين إِلىٰ الثَّورَةِ ، أَو تَرك البِلَاد ، وَبِالثَّورَة تُسفَك الدِّمَاء ، وَبِالْهِجْرَة تُخَرَّب البِلَاد .

٤٦٨ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا ٱسْتَخَفَّ بِهَا صَاحِبُهُ» .

● تَقَدَّم مَع الشَّرح فِي ٱلْحِكْمَة (٣٤٧) ، وَهَذَا نَصها بِالحَرف : «أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا ٱسْتَهَانَ بِهِ صَاحِبُهُ» .

٤٦٩ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «مَا أَخَذَ اللهُ عَلَىٰ أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّىٰ أَخَذَ عَلَىٰ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلِّمُوا» .

● الْعِلْم حَسنٌ بِذَاته، وَطَلبه بِحُكم البَدِيهة، وَلاَ يَفْتَقِر ذَلِكَ إِلىٰ دَلِيل مِن كتَاب أَو سُنَّة... وَفِي ذَات يَوْم سَأَلني سَائِل: مَا الدَّلِيل عَلىٰ جوَاز تَعلِيم ٱلْمَرْأَة؟

قُلتُ لهُ: لَيْسَ هَذَا سُؤَالاً. وَإِنَّما السُّؤَال: هَل هُناكَ دَلِيل عَلىٰ حُرمَة تَعْلِيمها؟

لأنَّ الْعِلْم بِطَبعِهِ يَحمل الدَّلِيل الكَافِي عَلىٰ رِجْحَانِهِ لِكلّ إِنْسَان ذَكَراً كَان أَم أُنثىٰ، مُؤمِناً أَم غَيْر مُؤمِن، بَل هُو لِغَير الْمُؤْمِن أَلزَم وَأَرجَح.

أَمَّا وجُوب طَلَب الْعِلْم وَالْإِلزَام بِهِ، وَهَل هُو فَرض عَينٍ أَو فَرض كفَاية، أَمَّا هَذَا فَيَختَلف بِحَسب الغَاية المَقصُودة مِن طَلبِهِ، فَإِنْ كَانَتْ الغَاية إِقَامة مَا لاَ بُدَّ مِنْهُ لقوَام الدِّين وَالْحيَاة الدُّنْيَا ـ كَان طَلَب الْعِلْم وَاجِباً لِتَّحقِيق ذَلِكَ. وَإِذا كَانَتْ الغَايَة تَتَحقَّق بِفعل البَعض دُونَ الكُلّ، وَفعّل البَعض، وَتَحقَّق المَطلُوب ـ كَان الفَرض كفَايةً وَإِلّا فَهُوَ عَين... وَقَد يَحرم طَلَب الْعِلْم إذَا كَانَتْ الغَاية مِنْهُ التَّقْتِيل وَالتَّدمِير، وَالغُش وَاللُّصوصِيَّة وَالعُهر وَالفُجور، وَمَا إِلىٰ ذَلِكَ مِن الْمُحرَّمَات.

وَالْإِمَام يَتَحدث هُنا عَن الْعِلْم الَّذي هُو وَسِلية العَمل الوَاجب، وَمِن البَدَاهة إِنَّ مَا لاَ يَتِّم الوَاجب إِلّا بِهِ فَهُوَ وَاجب. وَأَيضاً مِن البَدَاهة إِنَّ وجُوب طَلَب الْعِلْم مَعنَاه التَّلاَزم وَالتَّرَابط بَيْنَ وجُوب التَّعلم وَالتَّعلِيم حَيْث لاَ تَعْلِيم بِلا مُتعلِم، وَلاَ تَعلُّم بِلا مُعَلِّم، فَكُلّ مِنْهَا جُزء مُتَمم للآخِرة... وَنَخْتُم الكَلاَم هُنا عَن الْعِلْم، يَقول الْإِمَام جَعْفَر الصَّادق عليه السلام: «كُنْ عَالِماً أَو مُتعَلِّماً أَو مُحبَّاً لَهُما، وَلاَ تكُن رَابِعاً فَتهلك»[١]. أَي جَاهِلاً مُبْغِضاً لِلعِلم وَأَهْل الْعِلْم.

(١) أنظر، بحَار الأَنْوَار: ٢٤٧/٦٦ ح ٢١، كَشف الخفَاء: ١٤٩/١ ح ٤٣٧ و: ١٣٢/٢ ح ٢٠١٨، مَجْمَع البَحرين: ١٠٣/١.

٤٧٠ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «شَرُّ الإِخْوَانِ مَنْ تُكُلِّفَ لَهُ» .
قَالَ الرَّضِيّ : (لأَنَّ التَّكْلِيف مُسْتَلزم لِلمَشَقة ، وَهُو شَرّ لاَزم عَن الأَخ المُتَكلف لهُ فَهُو شَرّ الإِخْوَان) .

● الأَخ بِحَق الَّذي يُخَفف عَن أَخيهِ الهمُوم وَالأَثقَال ، فَإِنْ زَاده هَمّاً عَلىٰ هَـمّ ، وَحِملاً عَلىٰ حِمل فَهُو مِن إِخوَان الزَّمَان ، وَأَصدقَاء المَـصْلَحة يُـقبِل عِـند الطَّـمع ، وَيُدبر عِند اليَأْس .

٤٧١ ـ وَ قَالَ عليه السلام : «إِذَا ٱحْتَشَمَ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ فَقَدْ فَارَقَهُ» .
وَقَالَ الرَّضِيّ : (يُقَال حَشَمهُ ، وَأَحشَمه إِذَا أَغْضَبه ، وَقِيل أَخْجَله ، أَو ٱحْـتَشَمه طَلَب ذَلِكَ لهُ ، وَهُو مَظَنَّة مُفَارقته) .

● المُرَاد بِالاِحْشَام هُنا الحَذَر ، وَالتَّحفظ ، وَعَدم الأُنْس وَالاِنْطلاَق . وَهُو دَلِيل قَاطع عَلىٰ عَدم الثِّقة وَالتَّصافِي . . . وَلَو صَحَّت النِّية وَتُوكِدت الثِّقة وَالعِلاَقة لِسَقط التَّحفظ ، وَزَالت الحدُود وَالقيُود .

كَان الفُراغ مِنْهُ فِي ٢٠ رَبيع الأَوَّل سَنَة ١٣٩٣ هـ نِيسَان سَنَة ١٩٧٣ م .
وَأَحمد الله الَّذي أَكْرَمني بِنعْمَة الصَّبْر ، وَالجَلد عَلىٰ مَاكَتَبتُ وَنَشرتُ ، وَوَقانِي مِن دَاء الكَسل ، وَالمَلل ، وَأَذَاقني حَلاوة القِرَاءة وَالكتَابة ، وَلَم يشغلِني عَنْهُما بِشَاغل مَع أَمَان مِن الحَاجَة . وَقد شَكَرته مُخْلِصاً عَلىٰ مَا أَلَّفتُ قَبل أَنْ أَكتُب فِقْه الإِمَام جَعْفر الصَّادق عليه السلام ، فَزَادنِي مِن إِحْسَانه ، وَقَادني بِتُوفِيقه إِلىٰ كتَابَة «فِقْه الإِمَام» مِن أَلفِه إِلىٰ يَائِهِ عَرضاً وَٱستدلاَلاً . . . وَأَيضاً شَكرته عَلىٰ هَذِه النِّعْمَة الجَلّي ، فَتَابع فِـيضَه

وَفَضله، وَهَدانِي إِلىٰ «التَّفْسِير الكَـاشِف»... وَأَيـضاً حَمَـدتُ، وَشَكـرتُ فَـقبل سُبْحَانَه حَمْدي وَشُكري وَزَادني هَذَا الكتَاب وَفَاءً لِقَوْلَه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَـئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَـئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾(١).

وَالآن أَذْكُرهُ وَأَشْكُرهُ، وَأَشهد عَلىٰ نَفْسي بِالْإِهمَالِ، وَالتَّقْصِيرِ... وَقَالَ الإِمَام زَين العَابدِينﷺ: «أَللَّهُمَّ إِنَّ أَحَداً لاَ يَبْلُغُ مِنْ شُكْرِكَ غَايَةً... إِلّا حَصَلَ عَلَيْهِ مِنْ إِحْسَانِكَ مَا يُلْزِمُهُ شُكْرَاً، وَلاَ يَبْلُغُ مَبْلَغاً مِـنْ طَـاعَتِكَ وَإِنْ اَجْـتَهَدَ... إِلاَّ كَـانَ مُقَصِّراً دُونَ اَسْتِحْقَاقِكَ بِفَضْلِكَ، فَأَشْكَرُ عِبَادِكَ عَاجِزٌ عَنْ شُكْـرِكَ، وَأَعْـبَدُهُمْ مُقَصِّرٌ عَنْ طَاعَتِكَ»(٢). وَإِذَا وَجَب الشُّكْر عَلىٰ الشُّكْر لِلتَّوفِيق إِلَيْهِ فَكَيف إِذا كَان مَع هَذَا التَّوفِيق فَضل عَلىٰ فَضل... أَللَّهُمَّ لاَ أَسْتَطِيع شُكرَك بِمَا أَنتَ أَهله.. فَزدنِي مِن فَيضك.. إِنَّك جوَاد كَرِيم، وَصلِّ عَلىٰ مُحَمَّد وَآله أَشرَف الخَـلق أَجْمَعِين مِـن الْأَوَّلِين وَالآخرِين.

---

(١) إِبْرَاهِيم: ٧.

(٢) أُنظر، الصَّحِيفَة السَّجَادِية: الدُّعَاء السَّابع وَالثَّلاَثُون ـ دُعَاؤُهُ فِي الشُّكْرِ ـ.

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٢٦٦٢٧
التاريخ ٥/١٠/١١٦

الاصدارات الجديدة لمؤسسة دارالكتاب الاسلامي

الموضوع	الكتاب	المؤلف	سنة الاصدار	الملاحظات
التفسير	محاضرات في تفسير القرآن الكريم	العلامة السيد اسماعيل الصدر(ره)	٢٠٠١	طبعة اولى
	التفسير المبين	العلامة محمدجواد مغنية(ره)	٢٠٠٢	طبعة جديدة مصححة
	التفسير الكاشف ١ / ٧	العلامة محمدجواد مغنية(ره)	٢٠٠٤	طبعة جديدة مصححة
	دستور الاخلاق في القرآن	الدكتور عبدالله دراز	٢٠٠٣	طبعة جديدة محققة
	المدرسة القرآنية	الشهيد السيد محمدباقر الصدر(ره)	٢٠٠٤	طبعة جديدة محققة
ادعيه عرفان اخلاق	ضياء الصالحين	محمدصالح الجوهرجي(ره)	٢٠٠٢	طبعة جديدة مصححة
	في ظلال الصحيفة السجادية	العلامة محمدجواد مغنية(ره)	٢٠٠٣	طبعة جديدة محققة
	في ظلال نهج البلاغة ١ / ٦	العلامة محمدجواد مغنية(ره)	٢٠٠٥	طبعة جديدة محققة
	الحقائق في محاسن الاخلاق	العلامة المحدث الفيض الكاشاني(ره)	٢٠٠٣	طبعة جديدة محققة
	اخلاق اهل البيت(ع)	السيد محمدمهدي الصدر(ره)	٢٠٠٣	طبعة جديدة محققة
حديث	غرر الحكم و درر الكلم	التميمي الآمدي	٢٠٠٣	طبعة جديدة محققة
	الاشراف على فضل الاشراف	ابراهيم الشافعي السمهودي	٢٠٠٢	طبعة اولى
	طرز الوفا في فضائل آل المصطفى(ص)	احمد زين العابدين الشافعي	٢٠٠٣	طبعة اولى
	الاتحاف بحب الاشراف	عبدالله بن محمد بن عامر الشبراوي	٢٠٠٣	طبعة اولى
	النعيم المقيم لعترة النباء العظيم	عمر بن شجاع الدين الموصلي	٢٠٠٣	طبعة اولى
	الاربعون حديثاً	الامام الخميني(ره)	٢٠٠٣	طبعة جديدة مصححة
	الجهاد الاكبر	الامام الخميني(ره)	٢٠٠٤	طبعة جديدة محققة
	المراجعات	الامام عبدالحسين شرف الدين(ره)	٢٠٠٣	طبعة جديدة محققة
سيرة و تاريخ	الامام علي(ع)	الدكتور علي شريعتي	٢٠٠١	طبعة اولى
	فاطمة هي فاطمة(ع)	الدكتور علي شريعتي	٢٠٠٢	طبعة اولى
	الامام الحسين(ع) وارث آدم	الدكتور علي شريعتي	٢٠٠٣	طبعة اولى
	فاطمة الزهراء(ع)	الدكتور جعفر شهيدي	٢٠٠٣	طبعة اولى
	السيده ام البنين(ع)	علي رباني	٢٠٠٣	طبعة اولى
	تراجيد يا كربلا	الدكتور ابراهيم الحيدري	٢٠٠٢	طبعة اولى
	حكم و مواعظ من حياة الانبياء ١ / ٢	مرتضى الميلاني	٢٠٠٣	طبعة اولى
	حكم و مواعظ من حياة الاوصياء	مرتضى الميلاني	٢٠٠٥	طبعة اولى
	موسوعة الامام المهدي ١ / ٤	السيد محمد محمدصادق الصدر(ره)	٢٠٠٣	طبعة جديدة مصححة
	الامام الصادق و المذاهب الاربعة ١ / ٤	العلامة أسد حيدر(ره)	٢٠٠٣	طبعة جديدة مصححة
	دموع الابرار على مصائب ابي الاحرار	محمدعلي الحسيني	٢٠٠٤	طبعة اولى
	حياة و كرامات فاطمة المعصومة(ع)	محمدعلي الحسيني	٢٠٠٤	طبعة اولى
	حياة الخضر(ع)	هاشم فياض الحسيني	٢٠٠٤	طبعة اولى
	ياجوج و مأجوج بين الحقيقة والخيال	هاشم فياض الحسيني	٢٠٠٤	طبعة اولى
	ذوالقرنين و سد يأجوج و مأجوج	هاشم فياض الحسيني	٢٠٠٤	طبعة اولى
	الزيدية بين الامامية و مذهب اهل السنة	سامي الغريري	٢٠٠٥	طبعة اولى
	تاريخ الحديث النبوي	محمدعلي الحلو	٢٠٠٥	طبعة اولى

عقائد	المرسل، الرسول، الرسالة	الشهيد السيد محمدباقر الصدر	٢٠٠٤	طبعة جديدة محققة
	عقائد الامامية برواية الصحاح السته	محمدعلى الحلو	٢٠٠٢	طبعة اولى
	هوية التشيع	العلامة الدكتور احمد الوائلي	٢٠٠٣	طبعة جديدة مصححة
	الله و الانسان	احمد القبانجي	٢٠٠٣	طبعة اولى
	التوحيد و الشهود الوجداني	احمد القبانجي	٢٠٠٣	طبعة اولى
الفلسفة المنطق علم الكلام	المدخل الى العلوم الاسلامية ١ / ٣	الشهيد مرتضى مطهرى	٢٠٠٢	طبعة اولى
	محاضرات فى الفلسفة الاسلامية	الشهيد مرتضى مطهرى	٢٠٠٢	طبعة اولى
	المدرسة الاسلامية ١ / ٢	الشهيد السيد محمدباقر الصدر	٢٠٠٣	طبعة جديدة مصححة
	معالم الفلسفة الاسلامية	العلامة محمدجواد مغنية	٢٠٠٥	طبعة جديدة مصححة
	رسالتنا	جماعة من العلماء	٢٠٠٤	طبعة جديدة مصححة
	خلاصة علم الكلام	الدكتور عبدالهادى الفضلي	٢٠٠٤	طبعة جديدة مصححة
الفقه اصول الفقه	الفقه على المذاهب الخمسة ١ / ٢	العلامة محمدجواد مغنية	٢٠٠٣	طبعة جديدة محققة
	محاضرات فى اصول الفقه ١ / ٢ (شرح الحلقة الثانية)	الشهيد السيد محمدباقر الصدر (شرح عبدالجبار الرفاعي)	٢٠٠٣	طبعة اولى
	نظرة عامة فى العبادات	الشهيد السيد محمدباقر الصدر	٢٠٠٣	طبعة جديدة مصححة
	تاريخ التشريع الاسلامى	الدكتور عبدالهادى الفضلي	٢٠٠٣	طبعة جديدة مصححة
علم النفس	النفس في دائرة الفكر الاسلامي	احمد القبانجي	٢٠٠٢	طبعة اولى
	الادراك لدى المسلمين	احمد القبانجي	٢٠٠٣	طبعة اولى
	الاسلام و الصحة النفسية	احمد القبانجي	٢٠٠٣	طبعة اولى
	حقيقة الانسان	احمد القبانجي	٢٠٠٥	طبعة اولى
ثقافة	العوده الى الذات	الدكتور على شريعتي	٢٠٠٢	طبعة جديدة محققة
	تاملات اسلامية حول المراة	السيد محمدحسين فضل الله	٢٠٠٣	طبعة جديدة مصححة
	خلاصة اقتصادنا	الشهيد السيد محمدباقر الصدر	٢٠٠٤	طبعة جديدة مصححة
	بحوث اسلامية	الشهيد السيد محمدباقر الصدر	٢٠٠٤	طبعة جديدة مصححة
	الاخطبوط الصهيوني	محمدعلى الحسيني	٢٠٠٤	طبعة اولى
ادب	الفضيلة تنتصر	الشهيدة بنت الهدي	٢٠٠٤	طبعة جديدة مصححة
	ليتني كنت أعلم	الشهيدة بنت الهدي	٢٠٠٤	طبعة جديدة مصححة
	امراتان و رجل	الشهيدة بنت الهدي	٢٠٠٤	طبعة جديدة مصححة
	صراع من واقع الحياة	الشهيدة بنت الهدي	٢٠٠٤	طبعة جديدة مصححة
	لقاء في المستشفى	الشهيدة بنت الهدي	٢٠٠٤	طبعة جديدة مصححة
	الخالة الضائعة	الشهيدة بنت الهدي	٢٠٠٤	طبعة جديدة مصححة
	ذكريات على تلال مكة	الشهيدة بنت الهدي	٢٠٠٤	طبعة جديدة مصححة
	الباحثة عن الحقيقة	الشهيدة بنت الهدي	٢٠٠٤	طبعة جديدة مصححة
	اختاه كلمة و دعوة - بطولة المراة المسلمة	الشهيدة بنت الهدي	٢٠٠٤	طبعة جديدة مصححة
	المراة مع النبي ﷺ	الشهيدة بنت الهدي	٢٠٠٤	طبعة جديدة مصححة